۳۸۲۳۱۸

موزه و مرکز اسناد مجلس شورای اسلامی
تأسیس ۱۳۰۱ هجری شمسی

۳۸۲۳۱۸

موزه و کتابخانه و مرکز اسناد مجلس شورای اسلامی
تأسیس ۱۳۰۱ هجری شمسی

قال ابن خلكان هو ابو القاسم علي بن الطاهر ذي المناقب ابي احمد الحسين بن موسى ... بن جعفر الصادق ... بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم ... كان اماما في علم الكلام والادب والشعر وكان ... وله الكتاب الذي سماه الغرر والدرر وهي مجالس املاها تشتمل على فنون من معاني الادب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك وهو كتاب ممتع يدل على فضل كثير وتوسع في الاطلاع على العلوم وذكره ابن بسام في اواخر كتاب الذخيرة فقال كان هذا الشريف امام ائمة العراق بين الاختلاف والافتراق اليه فزع علماؤها وعنه اخذ عظماؤها صاحب مدارسها وجامع شاردها وآنسها ممن سارت اخباره وعرفت به اشعاره وحمدت في ذات الله مآثره وآثاره الى تواليفه في الدين وتصانيفه في احكام المسلمين مما يشهد انه فرع تلك الاصول ومن اهل ذلك البيت الجليل ومدح الشريف المذكور وفضائله كثيرة وكانت ولادته في سنة خمس وخمسين وثلثمائة وتوفي يوم الاحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ست وثلاثين واربعمائة ودفن في داره عشية ذلك النهار

هذا كتاب غرر الفوائد ودرر القلائد من تصنيف الفاضل الكامل السيد الشريف الملقب بعلم الهدى من جناب علي المرتضى عليه الرحمة والتحية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشريف الامام الاجل المرتضى علي بن الحسين بن موسى الموسوي رضي الله عنه **تأويل آية** قال الله جل من قائل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا قلنا في هذه الآية وجوه من التأويل كل منها يبطل الشبهة الداخلة على بعض المبطلين فيها حتى عدلوا بتأويلها عن وجهه وصرفوه عن بابه اولها ان الاهلاك قد يكون حسنا وقد يكون قبيحا فاذا كان مستحقا او على سبيل الامتحان كان حسنا وانما يكون قبيحا اذا كان ظلما فتعلق الارادة به لا يقتضي تعلقها به على الوجه القبيح ولا ظاهر الآية يقتضي ذلك اذا علمنا بالادلة تنزه الله تعالى عن القبائح علمنا ان الارادة لم تتعلق الا بالاهلاك الحسن وقوله تعالى امرنا مترفيها المامور به محذوف وليس يجب ان يكون المامور به هو الفسق وان وقع بعده وانما يجري هذا مجرى قول القائل امرته فعصى ودعوته فابى والمراد انني امرته بالطاعة ودعوته الى الاجابة والقبول ويمكن ان يقال على هذا الوجه ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه وانما موضعها ان يقال اي معنى لتقدم الارادة فان كانت متعلقة باهلاك مستحق بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله اذا اردنا امرنا الا انه بما يامر به لا يحسن ارادته للعقاب المستحق بما تقدم من الافعال وان كانت الارادة متعلقة بالاهلاك المستحق بمخالفة الامر المذكور في الآية فهذا الذي تأبونه لانه يقتضي انه تعالى مريد لاهلاك من لم يستحق والجواب

عن ذلك

عن ذلك انه تعالى لم يعلق الارادة الا باهلاك مستحق بما تقدم من الذنوب والذي حسن قوله واذا اردنا امرنا هو ان في تكرار الامر بالطاعة والايمان اعذارا الى العصاة وانذارا لهم وايجابا للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوا واقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرر الوعيد والوعظ والانذار ممن يحق عليه القول وتجب عليه الحجة ويشهد بصحة هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا **والوجه الثاني** في تأويل هذه الآية ان يكون قوله امرنا مترفيها من صفة القرية وصلتها ولا يكون جوابا لقوله واذا اردنا ويكون تقدير الكلام واذا اردنا ان نهلك قرية من صفتها انا امرنا مترفيها ففسقوا فيها ويكون اذا على هذا الجواب لم يات لها جواب ظاهر في الآية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين ولم يات لاذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه ويشهد ايضا بصحة هذا التأويل قول الهذلي

حتى اذا اسلكوهم في قتائدة ... شلا كما تطرد الجمالة الشردا

فحذف جواب اذا ولم يات به لان هذا البيت آخر القصيدة **والوجه الثالث** ان يكون ذكر الارادة في الآية مجازا واتساعا وتنبيها على المعلوم من حال القوم وعاقبة امرهم وانهم متى امروا فسقوا وخالفوا ويجري ذكر الارادة ههنا مجرى قولهم اذا اراد التاجر ان يفتقر اتته النوائب من كل جهة وجاءه الخسران من كل طريق وقولهم اذا اراد العليل ان يموت خلط في اكله ويسرع الى ما تتوق اليه نفسه ومعلوم ان التاجر لم يرد في الحقيقة شيئا ولا العليل ايضا لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال هذا الهلاك حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الارادة لهذا الوجه مجازا وكلام العرب وحي واشارات واستعارات ومجازات ولهذه الحال كان كلامهم في المرتبة العلياء من الفصاحة فان الكلام متى خلا من الاستعارات وجرى كله على الحقيقة كان بعيدا من الفصاحة بريئا من البلاغة وكلام الله تعالى افصح الكلام **والوجه الرابع** ان تحمل الآية على التقديم والتاخير فيكون تلخيصها اذا امرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب اردنا اهلاكهم والتقديم والتاخير في الشعر وكلام العرب كثير وفيما يمكن ان يكون شاهدا لصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم والطهارة انما تجب قبل القيام الى الصلوة وقوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وقيام الطائفة معه يكون قبل اقامة الصلوة لان اقامتها هي الاتيان بجميعها على الكمال واما قراءة من قرأ الآية بالتشديد فقال امّرنا وقراءة من قرأها بالمد والتخفيف فقال آمرنا فلا يخرج معنى قراءتيهما عن الوجوه التي ذكرناها الا الوجه الاول فان معناه لا يليق الا بان يكون ما تضمنته الآية هو الامر الذي يستدعى به الفعل **تأويل خبر** روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

التوق الاشتياق تاق اليه يتوق توقا اشتاق

مترف یعنی نعمت داده شده
تدمیر هلاک کردن

فيان من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو اجذم

انه قال من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو اجذم قال ابو عبيد القسم بن سلام مفسّرا لهذا الحديث في كتاب غريب الحديث الاجذم المقطوع اليد واستشهد بقول المتلمس * وما كنت الا مثل قاطع كفه بكف له اخرى فاصبح اجذما * وقد خطّأ عبد الله بن مسلم بن قتيبة ابا عبيد في تاويله هذا الخبر فقال الاجذم وان كان المقطوع اليد فان هذا المعنى لا يليق بهذا الموضع قال لان العقوبات من الله تعالى لا تكون الا وفقا للذنوب بحسبها واليد لا مدخل لها في نسيان القرآن فكيف نعاقب فيها واستشهد بقوله تعالى الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وزعم ان تاويل الاية ان الربا اذا اكلوه ثقل في بطونهم وربا في اجوافهم فجعل قيامهم مثل قيام من يتخبطه الشيطان تعثرا وتخبلا واستشهد ايضا بما روى عن النبي صلى الله عليه واله وسلم من قوله رايت ليلة اسري بي قوما تقرض شفاههم وكلما قرضت وفت فقال لي جبرئيل هؤلاء خطباء امتك تقرض شفاههم لانهم يقولون ما لا يفعلون قال فالاجذم في الخبر انما هو المجذوم وانما جاز ان يسمى المجذوم اجذم لان الجذام يقطع اعضاءه ويشذبها والجذم هو القطع وقد اخطأ الرجلان جميعا وذهبا عن الصواب ذهابا بعيدا وكان غلط ابن قتيبة افحش واقبح لانه علل غلطه فاخرجه الى اغاليط كثيرة ونحن نبين معنى الخبر ثم نتكلم على ما اورداه اما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له ادنى معرفة بمذاهب العرب في كلامها وانما اراد عليه السلام بقوله يحشر اجذم المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال والتشبيه له بالاجذم من حسن التشبيه وعجيبه لان اليد من الاعضاء الشريفة التي لا يتم كثير من التصرف ولا يوصل الى كثير من المنافع الا بها ففاقدها يفقد ما كان عليه من الكمال وتفوته المنافع والمرافق التي كان يجعل يده ذريعة الى تناولها وهذه حال ناسي القرآن ومضيعه بعد حفظه لانه يفقد ما كان لابسا له من الجمال ومستحقا من الثواب وهذه عادة للعرب في كلامها معروفة يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه فلان بعد فلان اجذع وقد بقي بعده اجذم قال الفرزدق يرثي مالك بن مسمع * تضعضع طودا وائل بعد مالك * واصبح منها معطس العز اجدعا * وانما اراد المعنى الذي ذكرناه وللعرب ملاحن في كلامها واشارات الى الاغراض وتلويحات بالمعاني متى لم يفهمها ويتسرع الى الفطنة بها من يتعاطى تفسير كلامهم وتاول خطابهم كان ظالما نفسه متعديا طوره ونعود الى الكلام على ما ذكره الرجلان اما ابو عبيد فان اخطأ من حيث لم يفطن للغرض في الخبر وضل عن وجهه والا فالاجذم هو الاقطع لا محالة كما قال الا انه لا يليق بهذا الموضع واذا حمل عليه لم يفد شيئا وان كانت شبهته التي اوقعته في هذا التاويل ظنه ان ذلك يكون على سبيل العقوبة له على نسيان القرآن فليس كما ظن لان الجذم اولا ليس بعقوبة لان الله تعالى قد يجذم اولياءه والصالحين من عباده ويقطع اعضاءهم بالامراض وقد يبتدئ خلق من هو ناقص الاعضاء

قال الكميت ... ولا تعز معن من عز محمود ويفتقر واصبح عرنين المكارم اجدعا

فليس

فليس بلازم في الجذام ان يكون عقوبة ثم لو كان ناسي القرآن يستحق عقوبة على نسيانه لكان حفظ القرآن بأسره فرضا واجبا وحتما لازما لان العقوبة لا تستحق بترك ما ليس بواجب وليس حفظ جميع القرآن كذلك واما ابن قتيبة فانه غلط من حيث لم يفطن للوجه في الخبر الذي ذكرناه ومن حيث ظن ان العقوبة لا تكون الا في محل الذنب وهذا القول يوجب عليه ان لا يجلد ظهر الزاني ويخص العقوبة بفرجه وكذلك القاذف يجب ان يعاقب في لسانه دون سائر اعضائه والخبر الذي استشهد به حجة عليه لانا نعلم ان للسان اقوى حظا في باب الكلام من الشفة فلم لم يختص العقوبة به وحلت بالشفاه دونه ثم غلطه في تاويل الاية التي اوردها اقبح من كل ما تقدم لانه توهم ان ما تضمنته الاية من تخبط آكل الربا وتعثره عند القيام انما هو في الدنيا من حيث يثقل ما اكله في بطنه فيمنعه من النهوض ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك ونجد كثيرا من آكلي الربا اخف نهوضا واسرع قياما ونحن فامن غيرهم ممن لم ياكل الربا قط والمعنى في الاية ما ذكره المفسرون من ان ما وصفهم الله تعالى به يكون عند قيامهم من قبورهم فيلحقهم العثار والزلل والتخبل على سبيل العقوبة لهم وليكون ذلك ايضا امارة لمن يعاينهم من الملائكة والخزنة على الفرق بين الولي والعدو ومستحق الجنة ومستحق النار وليس بمعروف ولا ظاهر ان الاجذم هو المجذوم وقد رد ابن قتيبة معناه واشتقاقه الى الجذم الذي هو القطع يوجب عليه ان يكون كل داء يقطع الجسد ويفرق اوصاله كالجدري والاكلة وغيرهما يسمى جذاما ومن كان عليه اجذم وهذا باطل واما قول الشاعر * حرق قيس على البلاد * حتى اذا اضطرم اجذما * فليس من هذا الباب بل هو من الاجذام الذي هو الاسراع فكانه قال لما اضطرم اسرع عني وتباعد مني والاجذام بالذال المعجمة وبالدال غير المعجمة جميعا الاسراع فاما قول عنترة في وصف الذباب * هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الاجذم * فهو من هذا الباب لان الاجذم من صفة المكب لا من صفة الزناد فكانه قال قدح المكب الاجذم على الزناد وهذا من حسن التشبيه ولطيفه مسئلة قال الشريف المرتضى رضي الله عنه كان بعض الشيوخ المتقدمين يقول ليس يمتنع ان يمكن الله تعالى من الظلم من يعلم من حاله انه يرد القيامة غير مستحق لشيء من الاعواض او لما يوازي القدر المستحق عليه منها فاذا اراد الانتصاف منه يفضل عليه بما ينقله الى مستحق العوض ويقول ليس هذا ببعيد ولا مستحيل لان العوض ليس يختص بصفة تمنع من ان يجري في ذلك مجرى الثواب والمستقر من مذاهب الشيوخ وهو الصحيح ان الانتصاف لا يجوز ان يكون موقوفا على ما يتفضل به لان الانتصاف واجب على الله تعالى من حيث خلى بين عباده وبين الظلم فلا يجوز ان يتعلق الا بامر واجب والتفضل لفاعله ان لا يفعله فتؤول الحال الى تعذر الانتصاف وقالوا من يعلم الله انه يرد القيامة ولا اعواض له يمنعه من الظلم ولا يمكنه منه فهذه العلة يجيزون ان يمكن من الظلم من يكون في الحال غير مستحق للعوض او غير مستحق للقدر الذي يوازي الظلم من العوض بعد ان يكون المعلوم من حاله انه يرد القيامة وقد استحق من الاعواض ما يوازي ما عليه منها قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وهذا القول يقتضي تجويز تمكين الظالم من الظلم وهو في الحال غير مستحق للعوض

يبطل بالعلة التي ابطلنا بها قول من اجاز الانتصاف بالتفضل لانا نعلم ان تبقية المكلف لا تجب للقديم تعالى
ان لا يفعلها فلو لم يفعلها واخترم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن وقد تعلق الانتصاف
على هذا القول بما ليس بواجب وليس لهم ان يقولوا يحسن ذلك لان الله تعالى يعلم انه يبقيه فيستحق اعواضا لان
عليهم مثل ذلك اذا قيل لهم فاجيزوا ايضا ان يرد القيمة وهو لا يستحق العوض ويعلم الله تعالى انه يتفضل
عليه بما يقع به الانتصاف فاذا قالوا اعلم الله بانه يتفضل عليه لا يخرج التفضل من ان يكون غير واجب قيل
لهم وعلم الله تعالى بانه يبقى من لا عوض له ليستحق العوض لا يخرج العوض المتبقية من ان تكون غير واجبة
فاستوى الامران والصحيح ان يقال انه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوض له في الحال ليستقيم الكلام ويطرد

مجلس اخر تأويل اية ان سأل سائل عن قوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما
اوتيتم من العلم الا قليلا وقد ظن قوم من غفلة الملحدين ان وجها لهم ان الجواب عما سئل عنه في هذه
الاية لم يحصل وان الامتناع منه انما هو لفقد العلم به وان قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا تبكيت
وتقريع لم يقعا موقعهما وانما هما على سبيل المدافعة والمحاجزة عن الجواب وفي هذه الاية وجوه من
التأويل تبطل ما ظنوه وتدل على ما جهلوه اولها انه تعالى انما عدل عن جوابهم لعلمه بان ذلك ادعى
لهم الى الصلاح في الدين وان الجواب لو صدر منه تعالى اليهم لازدادوا فسادا وعنادا اذ كانوا في الحال
متعنتين لا مستفيدين وليس هذا بمنكر لانا قد نعلم في كثير من الاحوال فيمن يسال الناس عن الشيء ان
العدول عن جوابه اولى واصلح في تدبيره وقد قيل ان اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمدا عن الروح
فان اجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي فانا نجد في كتبنا ذلك فامره الله تعالى بالعدول عن ذلك
ليكون علما له ودلالة على صدقه وتكذيبا لليهود الرادين عليه وهذا جواب ابي علي محمد بن عبد الوهاب
الجبائي وثانيها ان القوم انما سالوه عن الروح وهل هي محدثة مخلوقة ام ليست كذلك فاجابهم
بانها من امر ربي وهو جوابهم عما سالوا عنه بعينه لانه لا فرق بين ان يقول في الجواب انها محدثة مخلوقة
وبين قوله انها من امر ربي لانه انما اراد انها من فعله وخلقه وسواء على هذا الجواب ان تكون الروح
التي سالوا عنها هي التي بها قوام الجسد ام عيسى عليه السلام ام جبرئيل عليه السلام فقد سمى الله تعالى
جبرئيل روحا وعيسى عليه السلام ايضا مسمى بذلك في القران وثالثها انهم سالوه عن الروح الذي هو
القران فقد سمى الله تعالى القران روحا في مواضع من الكتاب فاذا كان السؤال عن القران فقد وقع الجواب
موقعه لانه قال لهم ان الروح الذي هو القران من امر ربي ومما انزله على نبيه عليه السلام ليجعله دلالة
وعلما على صدقه وليس من فعل المخلوقين ولا مما يدخل في امكانهم وهذا الجواب للحسن البصري ويقويه
قوله تعالى بعد هذه الاية ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا
فكانه تعالى قال ان القران من امري وفعلي ومما انزلته علما على نبوة رسولي ولو شئت لرفعته وازلته

ونقص من بعضه كما يفعله الناس فيما يعملونه فصل قال الشريف المرتضى رضي الله عنه قال ابو مسلم محمد بن بحر
الاصفهاني في قوله تعالى والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون قال انما خص
الموزون دون المكيل بالذكر لوجهين احدهما ان غاية المكيل تنتهي الى الوزن لان سائر المكيلات اذا صارت
طعاما دخلت في باب الوزن وخرجت عن باب الكيل فكان الموزون اعم من المكيل والوجه الآخر ان في الوزن
معنى الكيل لان الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء ومقايسته اليه وتعديله به وهذا المعنى ثابت
في الكيل فخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل وهذا قول ابي مسلم ووجه الاية وما فيها له ظاهر
لفظها غير ما سلكه ابو مسلم وانما اراد تعالى بالموزون المقدر الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصا
عنها ولا زائدا عليها زيادة مضرة او داخلة في باب العبث ونظير ذلك من كلامهم قولهم كلام فلان
موزون وافعاله مقدرة موزونة وانما يراد ما اشرنا اليه وعلى هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين
في القران على احد التأويلين وانها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب قال الشاعر لها بشر مثل
الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر والهراء الكثير والنزر القليل فكانه قال انه كلام
لا يقل عن الحاجة ولا يزيد عليها وهذا يجري مجرى ان يقول هو موزون وقال مالك بن اسماء بن
خارجة الفزاري وحديث الذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا منطق صائب وتلحن احيانا
وخير الحديث ما كان لحنا وهذا الوجه الذي ذكرناه اشبه بمراد الله تعالى في الاية واليق بفصاحة
القران الكريم وبلاغته الموفيتين على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم فاما قول الشاعر الذي
استشهدنا بشعره وتلحن احيانا فلم يرد اللحن في الاعراب الذي هو ضد الصواب وانما اراد الكناية
عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن الافصاح عنه على معنى قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول
وقول الشاعر ولقد وحيت لكم لكيما تفطنوا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب وقد قيل ان اللحن
الذي عنى في البيت هو الفطنة وسرعة الفهم على معنى ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال لعل احدكم ان يكون الحن بحجته اي افطن لها واغوص عليها ومما يشهد لما ذكرناه ما اخبرنا به
ابو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثنا احمد بن عبد الله العسكري قال حدثنا
العنزي قال حدثنا علي بن اسمعيل اليزيدي قال اخبرنا اسحق بن ابرهيم قال تكلمت هند بنت اسماء بن خارجة
فلحنت وهي عند الحجاج فقال لها اتلحنين وانت شريفة في بيت قيس قالت اما سمعت قول اخي مالك
لامرأته الانصارية قال لها وما هو قالت قال منطق صائب وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحنا
فقال لها الحجاج انما عنى اخوك اللحن في القول اذ كنى المحدث عما يريد ولم يعن اللحن في العربية فاصلحي
لسانك وقد ظن عمرو بن بحر الجاحظ مثل هذا بعينه وقال ان اللحن يستحسن في النساء الغرائر ولكن
يستحسن منهن كل الصواب والتشبيه بفحول الرجال واستشهد بابيات مالك بعينها وظن انه اراد باللحن

في الخبر من احبنا اهل البيت فليستعد للفقر جلبابا

ما يخالف الصواب تبعه على هذا الغلط عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فذكر في كتابه المعروف بعيون الاخبار ابيات الفزاري واعتذر له من لحن ان اصيب في كتابه قال الشريف المرتضى رضي الله عنه واخبرنا المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني يحيى بن علي المنجم قال حدثني ابي قال قلت للجاحظ مثلك في عقلك وعلمك بالادب ينشد قول الفزاري ويحتج على اقرار اللحن في الاعراب انما اراد وصفها بالظرف والفطنة وانها تورّي عما قصدت له وتتنكب التصريح به فقال له قد فطنت لذلك بعد فقلت فغيّره من كتابك فقال فكيف لي بما صارت به الركبان قال الصولي فهو في كتابه على خطائه ومن حسن اللحن الذي هو التعريض والكناية ما اخبرنا به ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد الازدي ان رجلا من بني العنبر حصل اسيرا في بكر بن وائل فسألهم رسولا الى قومه فقالوا لا ترسل الا بحضرتنا لانهم كانوا عزموا على غزو قومه فخافوا ان ينذرهم فجيء بعبد اسود فقال له اتعقل قال نعم اني لعاقل قال ما اراك عاقلا واشار بيده الى الليل فقال ما هذا فقال الليل قال اراك عاقلا ثم ملأ كفيه من الرمل فقال كم هذا قال لا ادري وانه لكثير فقال ايما اكثر النجوم ام النيران فقال كل كثير فقال ابلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلانا يعني اسيرا كان في ايديهم من بكر فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد ادبى وشكت النساء وامرهم ان يعروا ناقتي الحمراء فقد اطالوا ركوبها وان يركبوا جملي الاصهب بآية ما اكلت معكم حيسا واسألوا عن خبري اخي الحرث فلما ادى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا اصهب ثم سرحوا العبد ودعوا الحرث فقصوا عليه القصة فقال قد انذركم اما قوله ادبى العرفج يريد ان الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح وقوله شكت النساء اي اتخذت الشكا للسفر وقوله ناقتي الحمراء اي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان وهو الجمل الاصهب وقوله اكلت معكم حيسا يريد اخلاطا من الناس قد غزوكم لان الحيس يجمع التمر والسمن والاقط فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه

مجلس آخر تأويل خبر روى ابو عبيد القسم بن سلام في كتابه غريب الحديث عن امير المؤمنين علي عليه السلام انه قال من احبنا اهل البيت فليستعد للفقر جلبابا او تجفافا قال ابو عبيد قد تأول بعض الناس هذا الخبر على انه اراد به الفقر في الدنيا وليس ذلك كذلك لانا نرى فيمن يحبهم مثل ما نرى في سائر الناس من الغنى والفقر ولا تمييز بينهما قال والصحيح انه اراد الفقر يوم القيامة واخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة والحث على الطاعات فكأنه اراد من احبنا فليعد لفقره يوم القيامة ما يجبره من الثواب والقرب الى الله تعالى والزلف عنده قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وجه الحديث خلاف ما قاله ابو عبيد ولم يرد الا الفقر في الدنيا ومعنى الخبر ان من احبنا فليصبر على التقلل من الدنيا والتقنع فيها وليأخذ نفسه بالكف عن احوال الدنيا واعراضها وشبّه الصبر على الفقر بالتجفاف والجلباب لانه يستر الفقر كما يستر الجلباب او التجفاف البدن قال ويشهد بصحة هذا التأويل ما روي عنه رضي الله تعالى عنه من انه رأى قوما على بابه فقال

يا قنبر

يا قنبر من هؤلاء فقال له قنبر هؤلاء شيعتك فقال ما لي لا ارى فيهم سيماء الشيعة قال وما سيماء الشيعة قال خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الظماء عمش العيون من البكاء وهذا كله قول ابن قتيبة وما اوردناه جميعا في الخبر حسن وان كان الوجه الذي ذكره ابن قتيبة احسن وافصح ويمكن ان يكون في الخبر وجه ثالث تشهد بصحته اللغة وهو ان احد وجوه معنى لفظة الفقر ان يحز انف البعير حتى يخلص الى العظم او قريب منه ثم يلوى عليه حبل يذلل بذلك الصعب يقال فقره يفقره فقرا اذا فعل ذلك به وبعير مفقور وبه فقرة وكل شيء حززته واثرت فيه فقد فقرته تفقيرا ومنه سميت الفاقرة ومثل سيف مفقر فيحتمل القول على ان يكون عليه السلام اراد من احبنا فليزم نفسه وليخطمها وليقدها الى الطاعات ويصرفها عما يميل طباعها اليه من الشهوات ويذللها على الصبر عما كره منها ومشقة ما اريد بها كما يفعل بالبعير الصعب وهذا وجه في الخبر ثالث لم يذكره وليس يجب ان يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله اذا كان له شاهد من اللغة وكلام العرب لان الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر ان يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني ويجوز ان يكون اراد المخاطب كل واحد منها منفردا وليس عليه العلم بمراده بعينه فان مراده مغيب عنه واكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام

فصل قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وممن كان من مشهوري الشعراء ومتقدميهم على مذاهب اهل العدل ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة وكنيته ابو الحرث وذو الرمة لقب لقب به لبيت قاله وهو في صفة الوتد اشعث باقي رمة التقليد والرمة القطعة البالية من الحبل يقال حبل رمام اذا كان ضعيفا باليا وقيل انه انما لقب بذي الرمة لانه كان وهو غلام يتفزع فجاءت امه بمن كتب له كتابا وعلقته عليه برمة من حبل فسمي ذا الرمة ويشهد بمذهبه في العدل ما اخبرنا به ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا ابو عثمان الاشناندني عن التوزي عن ابي عبيدة قال اختصم رؤبة وذو الرمة عند بلال بن ابي بردة فقال رؤبة والله ما فحص طائر افحوصا ولا تقرمص سبع قرموصا الا بقضاء من الله وقدره فقال له ذو الرمة والله ما قدر الله على الذئب ان يأكل حلوبة عيايل ضرائك فقال رؤبة افبقدره اكلها هذا كذب على الذئب ثان فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب الذئب وهذا الخبر صريح في قوله بالعدل واحتجاجه عليه وبصيرته فيه فاما العيايل فهو جمع عيل وهو ذو العيال والضرائك جمع ضريك وهو الفقير قال الشريف المرتضى رضي الله عنه واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكي عن ابي العيناء عن الاصمعي عن اسحق بن سويد قال انشد ذو الرمة وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما تفعل الخمر فقلت له فعولين خبر الكون فقال لي لو سبحت ربحت انما قلت وعينان فعولان وصفتهما بذلك وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل وقد روي هذا الخبر على خلاف هذا الوجه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال

حدثنا احمد بن خالد النحاس قال حدثني محمد بن القسم ابو العيناء قال حدثنا الاصمعي قال لما انشد ذو الرمة قوله وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولين بالالباب ما تفعل الخمر * وهو يريد كونا فكانتا فعولين فعولين حيث كانتا قال له عمرو بن عبيد ويحك قلت عظيما فقل فعولان بالالباب فقال له ذو الرمة ما ابالي اقلت هذا ام سبحت فلما علم ما ذهب اليه عمرو قال يا سبحان الله لو عنيت ما ظننت كنت جاهلا قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وممن روى انه كان على مذاهب اهل العدل من شعراء الطبقة الاولى اعشى قيس بن ثعلبة واستشهد بقوله استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولّى الملامة الرجلا * وممن قيل انه كان على مذاهب اهل الجبر من الشعراء لبيد بن ربيعة العامري واستدل بقوله ان تقوى ربنا خير نفل * وباذن الله ريثي والعجل * من هداه سبل الخير اهتدى * ناعم البال ومن شاء اضل * وان كان لا طريق الى نسبة الجبر الى مذهب لبيد الا هذان البيتان فليس دلالة على ذلك اما قوله فباذن الله ريثي والعجل فيحتمل ان يريد بعلمه كما يتأول عليه قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اي بعلمه فان قيل في هذه الاية انه اراد بتخليته وتمكينه وان كان لا شاهد لذلك في اللغة امكن مثله في قول لبيد فاما قوله من هداه اهتدى ومن شاء اضل فيحتمل ان يكون مصروفا الى بعض الوجوه التي يتأول عليها الضلال والهدى المذكوران في القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضي الاجبار اللهم الا ان يكون مذهب لبيد في الاجبار معروفا بغير هذه الابيات فلا يتأول له هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه * مسئلة * قال الشريف المرتضى رضي الله عنه اعلم ان اصحابنا لما استدلوا على نفي الرؤية بالابصار عن الله تعالى بقوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وبينوا انه تعالى تمدح بنفي الادراك الذي هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع الى ذاته فيجب ان يكون ثبوت الرؤية له في وقت من الاوقات نقصا وذما قال لهم مخالفوهم كيف يتمدح بانه لا يرى وقد يشاركه في نفي الرؤية ما ليس بممدوح كالمعدومات والارادات والاعتقادات قالوا لهم لم يتمدح تعالى بنفي الرؤية فقط وانما تمدح بنفي الرؤية عنه واثباتها له فتمدحه بمجموع الامرين وليس يشاركه في هاتين الصفتين مشارك لان الموجودات المحدثات على ضروب فمنها ما لا يرى ولا يرى كالارادات والاعتقادات ومنها ما لا يرى ويرى كالالوان ومنها ما يرى ويرى كالانسان وضروب الاحياء وليس فيها ما يرى ولا يرى فثبتت المدحة لله تعالى بمضمون الاية فقال لهم المخالفون وكيف يجوز ان تكون الصفة لا تقتضي المدحة بانفرادها ثم تصير تقتضيها مع غيرها ولئن جاز هذا ليجوزن ان يتمدح متمدح بانه شيء عالم او موجود قادر فاذا كان لا مدحة في وصف الذات بانها شيء وموجودة وان انضمت الى صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا فكذلك لا تقتضي في نفي الرؤية عمن تثبت له من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا فاجاب اصحابنا عن هذا الكلام بان قالوا ليس يمتنع

أعشى قيس بن ثعلبة

في نفي رؤيته تعالى بالابصار بقوله تعالى ولا تدركه الابصار الآية

في الصفة ان تكون لا تقتضي مدحا اذا انفردت وتقتضيه اذا انضمت الى غيرها ومثلوا ذلك بقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم فان نفي السنة والنوم ههنا انما يكون مدحا اذا انتفى عمن هو بصفة الاحياء وان كان بانفراده لا يقتضي مدحا لمشاركة ذوات كثيرة غير ممدوحة فيه وفصلوا بين الوصف بالشيء والوجود وبين ما ذكر من حيث لا يثبت لهاتين الصفتين في المدح واعلم ان صفات المدح المتضمنة للاثبات ما تكاد تفتقر الى شرط في كونها مدحا وصفات النفي اذا كانت مدحا فلا بد فيها من شرط وانما افترق الامران من حيث كان النفي اعم من الاثبات فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح والاثبات اشد اختصاصا الا ترى ان ما ليس بعالم من الذوات ليس بموجود اكثر مما ثبت له العلم والوجود منهما لان الاول لا يكون الا غير متناه والثاني لا يكون الا متناهيا فلما شملت صفات النفي الممدوح وغير الممدوح احتاجت الى شرط يخصصها وانت اذا اعتبرت فاين صفات النفي التي يتمدح بها وجدتها مفتقرة الى الشروط الا ترى ان من ليس بجاهل انما يكون ممدوحا بهذا النفي اذا كان حيا ذاكرا لانه قد يكون غير عالم ولا جاهل لسهو يلحقه وذهول يعتريه ومن ليس بعاجز انما يكون ممدوحا اذا كان ايضا موجودا حيا ومن ليس بظالم انما يكون ممدوحا اذا كان قادرا على الظلم وله دواع اليه ولا بد في الشرط الذي يحتاج اليه في صفات النفي حتى يكون مدحا ان يكون ايضا اثباتا او جاريا مجرى الاثبات ولا يكون نفيا لانه ان كان نفيا لم يتخصص وساوى فيه الممدوح ما ليس بممدوح مثال ذلك انا اذا مدحنا غيرنا بانه لا يظلم وشرطنا في هذه المدحة انه لم يدعه داع الى الظلم لم يحصل المدحة لانه قد يشاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي اليه ما ليس بممدوح فلا بد من شرط يجري مجرى الاثبات وهو ان نقول وهو ممن تدعوه الدواعي الى الافعال ويتصرف فيها بحسب حاجته ودواعيه فاذا صحت هذه الجملة فالوجه ان نقول ان المدحة في الاية انما تتعلق بنفي الادراك عن القديم تعالى لكن بشرط ان يكون مدركا ويجعل كل واحدة من الصفتين تقتضي المدح مجموعا مع ان كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفراد وليس بمنكر ان يقتضي الشيء غيره بشرط متى وجد حصل المقتضى واذا لم يحصل لم يحصل مقتضاه ونفي السنة والنوم والظلم عن الله تعالى انما كان مدحا بشرط معروف على نحو ما ذكرناه وهذا التلخيص في هذا الموضع اولى واحسم للشبهة مما تقدم ذكره

مجلس اخر تأويل اية ان سأل سائل فقال ما تقولون في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين وقال في موضع اخر وان الق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى والثعبان هو الحية العظيمة الخلقة والجان الصغير من الحيات فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة وكيف يجوز ان تكون العصا في حالة واحدة بصفة ما عظم خلقه من الحيات وبصفة ما صغر منها وبأي شيء تزيلون التناقض عن هذا الكلام **الجواب** اول ما نقوله ان الذي ظنه السائل من كون الايتين خبرا عن قصة واحدة

وجه الأشكال في الآيتين الواردتين في حكاية موسى وعصاه والجواب عنه

ما ظن بل الحالتان مختلفتان فالحال التي اخبر ان العصا فيها بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة وقبل مصير موسى عليه السلام الى فرعون والحال التي صارت العصا فيها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وابلاغه الرسالة والتلاوة تدل على ذلك واذا اختلفت القصتان فلا مسئلة على ان من المفسرين من تعاطوا الجواب عن السؤال مع ظنهم ان القصة واحدة او لاعتقادهم ان العصا الواحدة لا يجوز ان تنقلب في حالتين تارة الى صفة الجان وتارة الى صفة الثعبان او على سبيل الاستظهار في الحجة وان الحال لو كانت واحدة على ما ظن لم يكن بين الآيتين تناقض وهذا الوجه احسن ما تكلفوا الجواب لاجله لان الاولين لا يكونان الا عن غلط او غفلة وذكروا وجهين تزول بكل واحد منهما الشبهة في تأويلها احدهما انه تعالى انما شبهها بالثعبان في احدى الآيتين لعظم خلقها وكبر جسمها وهول منظرها وشبهها في الآية الاخرى بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها فاجتمع لها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجان وسرعة حركته وهذا اظهر في باب الاعجاز وابلغ في خرق العادة ولا تناقض معه بين الآيتين وليس يجب اذا شبهها بالثعبان ان يكون لها جميع صفات الثعبان ولا اذا شبهها بالجان ان يكون لها جميع صفاته وقد قال الله سبحانه ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا قوارير من فضة ولم يرد تعالى ان الفضة قوارير على الحقيقة وانما وصفها بذلك لانه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقتها مع انها من فضة وقد تشبه العرب الشيء بغيره في بعض وجوهه فيشبهون المرأة بالظبي وبالبقرة ونحن نعلم ان في الظباء والبقر من الصفات ما لا يستحسن ان يكون في النساء وانما وقع التشبيه في صفة دون صفة ومن وجه دون وجه والوجه الآخر في تأويلهما انه تعالى لم يرد بذكر الجان في الآية الاخرى الحية وانما اراد احد الجن فكانه تعالى اخبر بان العصا صارت ثعبانا في الخلقة وعظم الجسم وكانت مع ذلك كاحد الجن في هول المنظر وافزاعها لمن شاهدها ولهذا قال تعالى فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى ويمكن ان يكون للآية تأويل آخر استخرجناه لم يذكر على الوجهين الاولين لم ينقص عنهما والوجه في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار في الحجة وان التناقض الذي توهم زائل على كل وجه وهو ان العصا لما انقلبت حية صارت اولا بصفة الجان وعلى صورته ثم صارت بصفة الثعبان على تدريج ولم تصر كذلك ضربة واحدة فتتفق الآيتان على هذا التأويل ولا يختلف حكمهما وتكون الآية الاولى التي تتضمن ذكر الثعبان اخبارا عن غاية حال العصا وتكون الآية الثانية تتضمن ذكر الجان التي ولى موسى فيها هاربا وهي حال انقلاب العصا الى خلقة الجان وان كانت بعد تلك الحال انتهت الى صورة الثعبان فان قيل على هذا الوجه كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى فاذا هي ثعبان مبين وهذا يقتضي انها صارت ثعبانا بعد الالقاء بلا فصل قلنا ليس يقتضي الآية ما ظن وانما فائدة قوله تعالى فاذا هي الاخبار عن قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة وانه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك

ويجري هذا مجرى قوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين مع تباعد ما بين كونه نطفة وكونه خصيما مبينا وقولهم ركب فلان من منزله فاذا هو في ضيعته وسقط من اعلى الحائط فاذا هو في الارض ونحن نعلم ان بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعته زمانا وانه لم يصل اليها الا على تدريج وكذلك الهابط من الحائط وانما فائدة الكلام الاخبار عن تقارب الزمان وانه لم يطل ويمتد

تأويل آية اخرى

قال الشريف المرتضى رضي الله تعالى عنه قال الله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وقد ظن بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده ان تأويل هذه الآية ان الله سبحانه استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته وهم في خلق الذر فقررهم بمعرفته واشهدهم على انفسهم وهذا التأويل مع ان العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لان الله تعالى قال واذ اخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره وقال ذرياتهم ولم يقل ذريته ثم اخبر تعالى بانه فعل ذلك لئلا يقولوا يوم القيامة انهم كانوا عن هذا غافلين او يعتذروا بشرك آبائهم وانهم نشأوا على دينهم وسنتهم وهذا يقتضي ان الآية لم تتناول ولد آدم عليه السلام لصلبه وانها انما تناولت من كان له آباء مشركون وهذا يدل على اختصاصها ببعض ذرية آدم فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويلهم فاما شهادة العقل فمن حيث لا تخلو هذه الذرية التي استخرجت من ظهر آدم عليه السلام فخوطبت وقررت من ان تكون كاملة العقل مستوفية لشروط التكليف او لا تكون كذلك فان كانت بالصفة الاولى وجب ان يذكر هؤلاء بعد خلقهم وانشائهم واكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرروا به واستشهدوا عليه لان العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى وان بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز ان يتصرف احدنا في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم وسائر احواله وليس ايضا لتخلل الموت بين الحالين تأثير لانه لو كان تخلل الموت يزيل الذكر لكان تخلل النوم والسكر والجنون والاغماء بين احوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من احوالهم لان سائر ما عددناه مما ينفي العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب وليس لهم ان يقولوا اذا جاز في العاقل الكامل ان ينسى ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرناه وذلك انا انما اوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوه اذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملوا العقول ولو كانوا بصفة الاطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما اوجبناه على ان تجويز النسيان عليهم ينقض الغرض في الآية وذلك ان الله تعالى اخبر بانه انما قررهم واشهدهم لئلا يدعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك وسقوط الحجة عنهم فيه فاذا جاز نسيانهم له عاد الامر الى سقوط الحجة عنهم وزوالها وان كانوا على الصفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف

تأويل ليس منا من لم يتغن بالقرآن

فيه خطابهم وتقريرهم وإشهادهم وصار ذلك عبثاً قبيحاً تعالى الله عنه فإن قيل قد أبطلتم تأويل مخالفيكم
فما تأويلها الصحيح عندكم قلنا في الآية وجهان أحدهما أن يكون تعالى إنما عنى بها جماعة من ذرية بني آدم خلقهم
وبلغهم وأكمل عقولهم وقررهم على ألسن رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب من طاعته فأقروا بذلك
وأشهدهم على أنفسهم به لئلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم وإنما
أتى من اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظن أن اسم الذرية لا يقع إلا على من لم يكن كاملاً عاقلاً وليس الأمر
كما ظن لأنا نسمي جميع البشر بأنهم ذرية آدم وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون وقد قال الله تعالى
ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ولفظ الصالح
لا يطلق إلا على من كان كاملاً عاقلاً فإن استبعد تأويلنا وحملنا الآية على البالغين المكلفين فهذا
جوابهم والجواب الثاني أنه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيباً يدل على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب
عبادته وأراهم العبر والآيات والدلائل في غيرهم وفي أنفسهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم وكانوا
في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذي أراده الله تعالى وتعذر امتناعهم منه و
انفكاكهم من دلالته بمنزلة المقر المعترف وإن لم يكن هناك إشهاد ولا اعتراف على الحقيقة ويجري
ذلك مجرى قوله تعالى ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا
أتينا طائعين وإن لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى شاهدين
على أنفسهم بالكفر ونحن نعلم أن الكفار لم يعترفوا بالكفر بألسنتهم وإنما لما ظهر منهم ظهوراً لا
يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ومثل هذا قولهم جوارحي تشهد بنعمتك وحالي معترفة
بإحسانك وما روي عن بعض الحكماء أنه قال سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإن لم
تجبك حواراً أجابتك اعتباراً وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة في النظم والنثر يغني عن ذكر جميعها القليل
الذي ذكرناه منها تأويل خبر قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيما روي عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال أراد من لم يستغن به واحتج بقولهم تغنيت تغنياً وتغانيت تغانياً
وأنشد بيت الأعشى ÷ وكنت امرأ زمناً بالعراق ÷ عفيف المناخ طويل التغن ÷ وقول الآخر
كلانا غني عن أخيه حياته ÷ ونحن إذا متنا أشد تغانياً ÷ واحتج بقول ابن مسعود من قرأ سورة
آل عمران فهو غني أي مستغن وبالحديث الآخر نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها في آخر الليل
والصعلوك الفقير واحتج بحديث آخر يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو أنه قال لا ينبغي
لحامل القرآن أن يظن أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي لأنه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل
مما ملكه واحتج أيضاً بخبر يرفعه عن عبد الله بن نهيك أنه دخل على سعد في بيته فإذا مثال رث ومتاع
رث فقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال أبو عبيد فذكره المتاع

الرث

وإنما ذلك لما

بيته

الرث في المثال الرث يدل على أن التغني بالقرآن الاستغناء به عن الكثير من المال والمثال الفراش قال
الشاعر ÷ بكل طوال الساعدين كأنما ÷ يرى بسرى الليل المثال الممهدا ÷ يعني الفراش قال أبو عبيد
ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك إذ كان من لم يرجع بالقرآن فليس منه عليه السلام و
ذكر عن غير أبي عبيد جواب آخر وهو أنه عليه السلام أراد من لم يحسن صوته بالقرآن ويرجع فيه واحتج صاحب
هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السائب قال أتيت سعداً وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من
أنت فأخبرته فقال مرحباً يا ابن أخي بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن سمعت رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم يقول إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ومن لم يتغن
بالقرآن فليس منا فقوله عليه السلام فابكوا أو تباكوا دليل على أن التغني التحسين والترجيع و
روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا يأذن الله لشيء من أهل الأرض إلا لأصوات المؤذنين
وللصوت الحسن بالقرآن معنى قوله يأذن يستمع يقال أذنت للشيء آذن أذناً إذا استمعت له قال
الشاعر ÷ صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به ÷ وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا ÷ وقال عدي بن زيد العبادي
أيها القلب تعلل بددن ÷ إن همي في سماع وأذن ÷ وإنما حسن تكرير المعنى لاختلاف اللفظ وللعرب
في هذا مذهب معروف كقوله ÷ وهند أتى من دونها النأي والبعد ÷ فأما الددن فهو اللهو واللعب
وفيه ثلاث لغات دد على مثال يد وددا على مثال قفا وددن على مثال حزن ومنه قول النبي صلى الله
عليه وآله وسلم ما أنا من دد ولا الدد مني فإن قيل كيف يحمل قوله لا يأذن الله لشيء كأذنه لكذا وكذا على معنى
الاستماع وهو تعالى سامع لكل مسموع فأي معنى للاختصاص قلنا ليس المراد بالسمع هاهنا مجرد الإدراك
وإنما المراد به القبول فكأنه عليه السلام قال إن الله لا يتقبل أو يثيب على شيء من أهل الأرض كتقبله وثوابه
على كذا وكذا ومن هذا قولهم هذا كلام لا أسمعه وخاطبت فلاناً بكلام فلم يسمعه وإنما يريد نفي القبول
لا الإدراك والبيت الذي أنشدناه يشهد بذلك لأنه قال وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا ونحن نعلم
أنهم يسمعون الذكر بالخير والشر من حيث الإدراك فوجه الاختصاص ما ذكرناه وقد ذكر أبو بكر محمد بن القاسم
الأنباري وجهاً ثالثاً في الخبر قال أراد عليه السلام من لم يتلذذ بالقرآن ولم يستحله ولم يستعذب تلاوته
كاستحلاء أصحاب الطرب للغناء والتذاذهم به وسمى ذلك تغنياً من حيث يفعل عنده ما يفعل عند
التغني بالغناء وذكر أن ذلك نظير قولهم العمائم تيجان العرب والحبى حيطان العرب والشمس حمامات
العرب وأنشد بيت النابغة ÷ بكاء حمامة تدعو هديلاً ÷ مفجعة على فنن تغني ÷ فشبه صوتها
لما أطرب إطراب الغناء بالغناء وجعلوا العمائم لما قامت مقام التيجان تيجاناً وكذلك القول في
الحبى والشمس وجواب أبي عبيد أحسن الأجوبة وأسلمها وجواب أبي بكر أبعدها لأن التلذذ بكون
الأنغام المشتهاة وكذلك الاستحلاء والاستعذاب في تلاوة القرآن وفهم معانيه من الأفعال الشاقة

ليس

والأذن السماع

قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة

فكيف يكون ملذا مشتهى فان عاد الى ان يقول قد تستحلى التلاوة من الصوت الحسن قلنا هذا رجوع الى الجواب الثاني الذي رغبت عنه وانفردت عند نفسك بما خالفه ويمكن ان يكون في الخبر وجه رابع خطر لنا وهو ان يكون قوله عليه السلام يتغنى من غنى بالمكان اذا طال مقامه به ومنه قيل المغنى والمغاني قال الله تعالى كان لم يغنوا فيها اى لم يقيموا بها وقال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد وقول الاعشى الذي انشده ابو عبيدة وهو وكنت امرا زمنا بالعراق عفيف المناخ طويل التغن بطول المقام اشبه منه بالاستغناء لان المقام يوصف بالطول ولا يوصف الاستغناء بذلك فكان الاعشى اراد انى كنت ملازما لوطنى مقيما بين اهلى لا اسافر للانتجاع والطلب ويجرى قوله هذا مجرى قول حسان بن ثابت الانصارى اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل اراد بقوله حول قبر ابيهم انهم ملوك لا ينتجعون ولا يفارقون محالهم واوطانهم فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم يقم على القران فلا يتجاوزه الى غيره ولا يتعداه الى سواه ويتخذه مغنى ومنزل مقام فليس منا فان قيل اليس قد يتعدى القران الى السنة والاجماع وسائر ادلة الشرع فكيف يحظر علينا تعديه قلنا ليس في ذلك تعد للقران لان القران دال على وجوب اتباع السنة وغيرها من ادلة الشرع فمن اعتمد بعضها في شيء من الاحكام لا يكون متجاوزا للقران ولا متعديا له فاما قوله عليه السلام ليس منا فقد قيل فيه انه لا يكون على اخلاقنا واستشهد ببيت النابغة اذا حاولت في اسد فجورا فانى لست منك ولست منى وقيل انه اراد ليس على ديننا وهذا الوجه لا يليق الا بجوابنا الذي اخترناه وهو بعيد بجواب ابي عبيد المتقدم لانه محال ان يخرج عن دين النبي صلى الله عليه واله وسلم وملته من لم يحسن صوته بالقران ويرجع فيه او لم يتلذذ بتلاوته مسئلة واعلم ان اصحابنا قد اعتمدوا في ابطال ما ظنه اصحاب الرؤية في قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة على وجوه معروفة لانهم بينوا ان النظر ليس يفيد الرؤية ولا الرؤية من احد محتملاته ودلوا ان النظر ينقسم الى اقسام كثيرة منها تقليب الحدقة الصحيحة حيال المرئى طلبا لرؤيته ومنها النظر الذي هو الانتظار ومنها النظر الذي هو التعطف والرحمة ومنها النظر الذي هو الفكر والتامل وقالوا اذا لم يكن في اقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها تعلق واحتجنا جميعا الى طلب تاويل الاية من غير جهة الرؤية وتاولها بعضهم على الانتظار للثواب وان كان المنتظر في الحقيقة محذوفا والمنتظر منه مذكورا على عادة للعرب معروفة وسلم بعضهم ان النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الاية على رؤية اهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم على سبيل حذف المرئى في الحقيقة وهذا الكلام مشروح في مواضعه وقد بينا ما يورد عليه وما يجاب عن الشبهة المعترضة فيه في مواضع كثيرة وههنا وجه غريب في الاية حكى عن بعض المتاخرين لا يفتقر معتمده

لى

ذكر الصاحب بن عباد وهذا التفسير لعلي وابن عباس وقول كما يقول القائل انا انظر الى الله واليك وكما قال الاعشى الا اليك لما وجدت لناظر ... نظر الفقير الى الغنى الموسر ... وهذا الكلام يكفي الوجه الاول ايضا وهو حمل النظر على معنى التوقع والرجاء وقد استشهد عليه صاحب الكشاف بقول تعالى واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما ... وزيف قول القائلين بالرؤية بانه لا وجه للاختصاص فان المؤمنين في ذلك اليوم ينظرون الى الكثير وهم نظارة ذلك اليوم ووجه الاختصاص ظاهر ... اختصاص النعمة بالمؤمنين دون غيرهم كما قد ... من ابطال الباطل

الى العدول عن الظاهر او الى تقدير محذوف ولا يحتاج الى ما نازعنا هم في ان النظر يحتمل الرؤية او لا يحتملها بل يصح الاعتماد عليه سواء كان النظر المذكور في الاية هو الانتظار بالقلب او الرؤية بالعين وهو ان يحمل قوله تعالى الى ربها على انه اراد نعمة ربها لان الالاء النعم وفي واحدها اربع لغات يقال الى مثل قفا والى مثل معى والى مثل جنى قال الاعشى ابيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون الى اراد انه لا يخون نعمة واراد الى ربها نعم ربها واسقط التنوين للاضافة فان قيل اى فرق بين هذا الوجه وبين تاويل من حمل الاية على انه اراد بها الى ثواب ربها ناظرة يعنى رائية لنعمه وثوابه قلنا ذلك الوجه يفتقر الى محذوف لانه اذا جعل الى حرفا ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقدير محذوف وفي الجواب الذي ذكرناه لا يفتقر الى تقدير محذوف لان الى فيه اسم يتعلق به الرؤية فلا يحتاج الى تقدير محذوف غيره تاويل اخر رابع تاويل اية ان قال قائل ما تاويل قوله تعالى وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون فظاهر الكلام يدل على ان الايمان انما كان لهم فعله باذنه وامره وليس هذا مذهبكم فان حمل الاذن ههنا على الارادة اقتضى ان من لم يقع منه الايمان لم يرد الله تعالى منه وهذا ايضا خلاف قولكم ثم جعل الرجس الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون ومن كان فاقد العقل لا يكون مكلفا فكيف يستحق العذاب وهذا بالضد من الخبر المروى عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال اكثر اهل الجنة البله الجواب يقال في قوله تعالى الا باذن الله وجوه منها ان يكون الاذن الامر ويكون معنى الكلام ان الايمان لا يقع من احد الا بعد ان يأذن الله فيه ويامر به ولا يكون معناه ما ظنه السائل من انه لا يكون للفاعل فعله الا باذنه ويجرى هذا مجرى قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله ومعلوم ان معنى قوله لنفس في هذه الاية هو ما ذكرناه وان كان الاشبه في الاية التي فيها ذكر الموت ان يكون المراد بالاذن العلم ومنها ان يكون الاذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل ولا شبهة في ان الله تعالى يوفق لفعل الايمان ويلطف فيه ويسهل السبيل اليه ومنها ان يكون الاذن العلم من قولهم اذنت لكذا وكذا اذا سمعته وعلمته واذنت فلانا بكذا وكذا اذا اعلمته فتكون فائدة الاية الاخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات وانه ممن لا يخفى عليه الخفيات وقد انكر بعض من لا بصيرة له ان يكون الاذن بكسر الالف وتسكين الذال عبارة عن العلم وزعم ان الذي هو العلم الاذن بالتحريك واستشهد بقول الشاعر ان همي في سماع واذن وليس الامر على ما توهمه هذا المتوهم لان الاذن هو المصدر والاذن هو اسم الفعل ويجرى مجرى الحذر في انه مصدر والحذر بالتسكين الاسم على انه لو لم يكن مسموعا الا الاذن بالتحريك لجاز التسكين مثل مثل ومثل وشبه وشبه ونظائر ذلك كثيرة ومنها ان يكون الاذن العلم ومعناه

اعلامه

اعلام الله تعالى المكلفين بفضل الايمان وما يدعو الى فعله ويكون معنى الآية وما كان لنفس ان تؤمن الا باعلام الله تعالى لها ما يبعثها على الايمان ويدعوها الى فعله فاما ظن السائل دخول الارادة في محتمل اللفظ فباطل لان الاذن لا يحتمل الارادة في اللغة ولو احتملها ايضا لم يجب ما توهمه لانه اذا قال ان الايمان لم يقع الا وانا مريد له لم ينف ان يكون مريدا لما لم يقع وليس في صريح الكلام ولا في دليله شيء من ذلك واما قوله تعالى ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون لم يعن بها الناقصي العقول وانما اراد تعالى الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى والاقرار بنبوة رسله عليهم السلام والانقياد الى طاعتهم ووصفهم بانهم لا يعقلون تشبيها كما قال الله تعالى صم بكم عمي وكما يصف احدنا من لم يفطن لبعض الامور او لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وفقد العقل واما الحديث الذي اورده السائل شاهدا له فقد قيل انه صلى الله عليه وآله وسلم لم يرد بالبله ذوي الغفلة والنقص والجنون وانما اراد البله عن الشر والقبيح وسماهم بلها عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه لا من حيث فقد العلم به ووجه تشبيه من هذه حاله بالابله ظاهر فان الابله عن الشيء هو الذي لا يتعرض له ولا يقصد اليه واذا كان المنزه عن الشر معرضا عنه هاجرا لفعله جاز ان يوصف بالبله للفائدة التي ذكرناها ويشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر ولقد لهوت بطفلة ميالة ... بلهاء تطلعني على اسرارها. اراد انها بلهاء عن الشر والريبة وان كانت فطنة لغيرهما وقال ابو النجم العجلي من كل عجزاء سقوط البرقع ... بلهاء لم تحفظ ولم تضيع. اراد بالبلهاء ما ذكرناه فاما قوله سقوط البرقع فاراد انها تبرز وجهها ولا تستره ثقة بحسنها وادلالا بجمالها وقوله لم تحفظ اراد استقامة طرائقها اغنى عن حفظها وانها لعفافها ونزاهتها غير محتاجة الى مستر وموقف وقوله لم تضيع اراد بها انها لم تهمل في اغذيتها وتنعيمها وترفيهها فتشقى ومثل سقوط البرقع قول الشاعر فلما تواقفنا وسلمت اقبلت ... وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا. ومثله ايضا هباشر قوم من عفران وعنبر ... اطارت من الحسن الرداء المحبر. اي ميته عنها ثقة بالجمال والكمال ومثله وهو مليح لهونا بمجول البراقع حقبة ... فما بال دهر لزنا بالوصاوص. اراد بمجول البراقع اللوائي يوسعن عيون براقعهن ثقة بحسنهن ومنه الطلعة الخلاة ثم قال فما بال دهر احوجنا واضطرنا الى القبائح اللوائي يضيقن عيون براقعهن لقبحهن والوصاوص هي النقب الصغار في البراقع ومما يشهد بالمعنى الاول الذي هو الوصف بالبله لا بمعنى الغفلة قول ابن الدمينة بافلقي وما ابي من ذا عرضوا له ... ببعض الاذى لم يدر كيف يجيب. ولم يعتذر عذر البريء ولم تزل ... به سكتة حتى يقال مريب. ومثله ايضا احب اللواتي في صباهن غرة ... وفيهن عن ازواجهن طماح. مسرات حب مظهرات عداوة ... تراهن كالمرضى وهن صحاح. ومثله

قوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس الآية

يجبين النحوج في كبد المشي ... وبهن احلام لهن وسام. اما يجبين فماخوذ من لفظ الكباء وهو العود اي انهن يتبخرن به والينجوج والنجوج ويلنجوج والنجوج فاما كبد المشي فهو ضيقته وشدته ومنه قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد وقد روي في كبدة المشي والمعنى متقارب لان الكبدة هي اشد منه ولحمه ماخوذ من كبة الخيل فاما الوسام فهي الحسان من الوسامة وهي الحسن ويمكن ان يكون في الخبر جواب اخر وهو ان نحمله على معنى البله الذي هو الغفلة والنقصان في الحقيقة ويكون معنى الخبر ان اكثر اهل الجنة الذين كانوا بلها في الدنيا فقد ثبت ان الله تعالى ينعم الاطفال في الجنة والمجانين والبهائم وانما لم يجعلهم بلها في الجنة وان كان ما يصل اليهم من النعيم على سبيل العوض والتفضل لا يفتقر الى كمال العقل لان الخبر ورد بان الاطفال والبهائم اذا دخلوا الجنة لم يدخلوها الا وهم على افضل الخلائق واكملها فانما صرفنا عنهم البله في الجنة ورددناه الى احوال الدنيا والا فالعقل لا يمنع من ذلك كما ذكرناه في باب الثواب والعقاب

تأويل آية اخرى قال الله سبحانه مخبرا عن يوم القيمة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه وقال في موضع اخر هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقال في موضع اخر واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وظاهر هذه الايات ظاهر الاختلاف لان بعضها ينبئ عن ان النطق لا يقع منهم في ذلك اليوم ولا يؤذن لهم فيه وبعضها ينبئ عن خلافه وقال قوم من المفسرين في تأويل هذه الايات ان يوم القيمة يوم طويل ممتد فقد يجوز ان يمنع النطق في بعضه ويؤذن لهم في بعض اخر وهذا الجواب يضعف لان الاشارة الى يوم القيمة بطوله فكيف يجوز ان تختلف الحالات فيه مختلفة وعلى هذا التأويل يجب ان يكون قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون في بعضه والظاهر بخلاف ذلك والجواب السديد عن هذا ان يقال انما اراد الله تعالى نفي النطق المسموع المقبول الذي ينتفعون به ويكون لهم في مثله عذر وحجة ولم ينف النطق الذي ليست هذه حاله ويجري هذا مجرى قولهم خرس فلان عن حجته وحضرنا فلانا يناظر فلانا فلم يقل شيئا وان كان الذي وصف بالخرس عن الحجة والذي نفي عنه القول قد تكلم بكلام كثير غير انه من حيث لم يكن فيه حجة ولا به منفعة جاز اطلاق القول الذي حكيناه ومثل هذا قول الشاعر اعمى اذا ما جارتي خرجت ... حتى يواري جارتي الخدر. ويصم عما كان بينهما ... سمعي وما بي غيره وقر. وقول الاخر لقد طال كتمانيك حتى كأنني ... برد جواب السائلي عنك اعجم. وعلى هذا التأويل يزول الاختلاف لان التساؤل والتلاوم لا حجة فيه واما قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون فقد قيل انهم غير مأمورين بالاعتذار فكيف يعتذرون ويحمل الاذن على الامر وانما لم يؤمروا به من حيث

المروى لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر

كانت تلك الحال لا تكليف فيها والعباد ملجئون عند مشاهدة اهوالها الى الاعتراف والاقرار واحسن من هذا التاويل ان يحمل يؤذن لهم على انه معنى انه لا يسمع لهم ولا يقبل عذرهم والعلة فى امتناع قبول عذرهم هى التى ذكرناها آنفا فى الخبر روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وقد ذكر قوم فى تاويل هذا الخبر ان المراد به لا تسبوا الدهر فانه لا فعل له وان الله مصرفه ومدبره فحذف من الكلام ذكر المصرف والمدبر وقال هو الدهر وفى هذا الخبر وجه آخر هو احسن من الذى حكيناه وهو ان الملحدين ومن نفى الصانع من العرب كانوا ينسبون ما ينزل بهم من افعال الله تعالى كالمرض والعافية والجدب والخصب والبقاء والفناء الى الدهر جهلا منهم بالصانع جلت عظمته ويذمون الدهر ويسبونه فى كثير من الاحوال من حيث اعتقدوا انه الفاعل بهم هذه الافعال فنهاهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك وقال لهم لا تسبوا من فعل بكم هذه الافعال ممن تعتقدون انه هو الدهر فان الله تعالى هو الفاعل لهذه الافعال وانما قال ان الله هو الدهر من حيث نسبوا الى الدهر افعال الله تعالى وقد حكى الله عنهم قولهم ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وقال لبيد * فى قروم سادة من قومه * نظر الدهر اليهم فابتهل * اى دعا عليهم وقال عمرو بن قميئة * كانى وقد جاوزت تسعين حجة * خلعت بها عنى عذار لجامى * على الراحتين مرة وعلى العصا * انوء ثلاثا بعدهن قيامى * رمتنى بنات الدهر من حيث لا ارى * فكيف بمن يرمى وليس برام * فلو انها نبل اذا لاتقيتها * ولكننى ارمى بغير سهام * اذا ما رآنى الناس قالوا الم تكن * حديثا حديد الطرف غير كهام * وافنى وما افنى من الدهر ليلة * ولم يغن ما افنيت سلك نظام * واهلكنى تأميل يوم وليلة * وتأميل عام بعد ذاك وعام * وقال الاصمعى ذم اعرابى رجلا فقال هو اكثر ذنوبا من الدهر وانشد الفراء * حنتنى حانيات الدهر حتى * كانى خاتل ادنو لصيد * قصير الخطو يحسب من رآنى * ولست مقيدا انى بقيد * خاتل
وقال كثير * وكنت كذى رجلين رجل صحيحة * واخرى رمى فيها الزمان فشلت * وقال الآخر فاستاثر الدهر الغداة بهم * والدهر يرمينى وما ارمى * يا دهر قد اكثرت فجعتنا * بسراتنا ووقرت فى العظم * وسلبتنا ما لست تعقبنا * يا دهر ما انصفت فى الحكم * اما قوله ووقرت فى العظم فانما اراد به انك احدثت فيه وقرا او وقرة والوقر هو الحفرة العظيمة تكون فى الصفا يستنقع فيها ماء المطر والوقب ايضا كذلك والوقرة ايضا الحفيرة الا انها دون الاولى فى الكبر وكل هؤلاء الذين روينا اشعارهم نسبوا افعال الله تعالى التى لا اشتراك فيها لغيره الى الدهر فحسن وجه التاويل الذى ذكرناه مسئلة فصل اعلم ان المنافع التى عرض الله تعالى الاحياء

فى ان المنافع التى عرض الله الاحياء لها ثلثة

انما ثلث منفعة تفضل ومنفعة عوض ومنفعة ثواب فاما المنفعة على سبيل التفضل فهى الواقعة ابتداء من غير سبب استحقاق وللفاعل لها ان يفعلها وله ان لا يفعلها واما منفعة العوض
واما فهى المنفعة المستحقة من غير مقارنة شىء من التعظيم والتبجيل لها فاما منفعة الثواب فهى المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق والثواب يبين من العوض بالتعظيم والتبجيل المصاحبين له فكان التفضل اصلا لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتاخر ما عداه لانه لا سبيل للمنتفع ان ينتفع بشىء دون ان يكون حيا له شهوة والابتداء بخلق الحيوة والشهوة
اوضح من التفضل تفضل فقد صح انه لا سبيل الى النفع بمنفعة العوض والثواب الا بعد تقدم الثواب فاما المنفعة بالثواب فهى الاصل للمنفعة بالعوض لان الالام وما جرى مجرى الالام مما يستحق به العوض متى لم يكن فيها اعتبار ويفضى الى الثواب يستحق به لم يحسن فعلها وجرى فعلها مجرى العبث ولهذا نقول ان الله سبحانه لو لم يكلف احدا من المكلفين ما كان يحسن منه ان يبتديه بالالام وان عوض عليها والاحياء على ضروب فمنهم من عرض للمنافع الثلث ومنهم من عرض لاثنين ومنهم من عرض لواحدة فالمكلف المعرض للثواب لابد ان يكون منفوعا بالتفضل من الوجه الذى قلناه لانه اذا خلق حيا وجعل له القدرة والشهوة والعقل وضروب التمكين فقد نفع بالتفضل وليس يجب فيمن
يجده الله هذه حاله ان يكون منفوعا بالعوض لانه لا يمتنع ان يخلو المكلف منا من الم يفعله الله به فلا يكون معرضا للعوض فمتى عرض له فقد تكاملت فيه المنافع فصار المكلف مقطوعا على انه لابد فيه من المنافع ويجوز تكامل الثلث له فاما الذى ليس بمكلف فمقطوع فيه على احد المنافع وهو التفضل من حيث خلق حيا ومكن من كثير من المنافع ومشكوك فى تعريضه للعوض من الوجه الذى بيناه وكما قطعنا على احد المنافع فيه فنحن قاطعون ايضا على نفى التعريض للثواب عنه لفقد ما يوصل اليه
وجب وهو التكليف ولا بد فى كل حى محدث ان يكون معرضا لاحد هذه المنافع او جميعها وانما اوجبنا
يستحيل ذلك من جهة حكمة القديم تعالى لا من جهة انه يستحيل فى نفسه وانما قلنا انه ليس يستحيل فى نفسه لان كونه حيا وعاقلا وذا شهوة وقدرة ليس منفعة بنفسه وانما يكون منفعة ونعمة اذا فعل تعريضا للنفع فاما اذا فعل تعريضا للضرر او لا لوجه من الوجوه فانه لا يكون نعمة ولا منفعة واوجبناه من جهة حكمة القديم تعالى لانه اذا جعل الحى بهذه الصفات فلا يخلو من ان يكون اراد بها نفعه او ضرره او لم يرد بها شيئا فان كان الاول فهو الذى اوجبناه وان كان الثانى والثالث فالقديم تعالى
منزه منزه عنهما لان الثانى يجرى مجرى الظلم والثالث هو العبث بعينه وقد يشارك القديم فى النفع بالتفضل والعوض الفاعلون المحدثون ولا يصح ان يشاركوه فى النفع بالثواب لان الصفة التى يستحق لكونه عليها الثواب هى كون الفعل شاقا ولا يكون ذلك الا من فعله تعالى وليس لاحد ان يظن من

هدى الى الدين ويرشد الى الايمان وما يستحق به الثواب لانه معرض للثواب وذلك ان المكلف
قد يكون معرضا للثواب ويصح ان يستحقه من دون كل هداية وارشاد يقع منا ولولا الصفة
التي جعله الله لم يصح ان يستحقه فبان الامر بين الامرين على ان احدنا لو ان نفع غيره بالتفضل الفضل
وبالتعريض للعوض فهذه المنافع منسوبة الى الله ومضافة اليه من قبل انه لولا نعمه ومنافعه
لم يكن هذه منافع ولا نعما الا ترى انه لو لم يخلق الله الحياة والشهوة لم يكن ما يوصل اليه مما
ذكرناه منفعة ولا نعمة ولو لم يخلق المشتهي الملذ لم يكن لنا سبيل الى النفع والانعام فبان
بهذه الجملة ما قصدناه مجلس آخر خامس ان سأل سائل فقال ما تأويل قوله تعالى مخبرا
عن هلاك قوم فرعون وتوريثه نعمهم كذلك واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء
والارض وما كانوا منظرين وكيف يجوز ان يضيف البكاء اليهما وهو لا يجوز في الحقيقة عليهما
الجواب يقال له في هذه الآية وجوه اربعة من التأويل اولها ان الله تعالى اراد اهل السماء
والارض فحذف كما حذف في قوله واسئل القرية وفي قوله حتى تضع الحرب اوزارها اراد اهل
القرية واصحاب الحرب ويجري مجرى ذلك قولهم السخاء حاتم يريدون السخاء سخاء حاتم وقال
الحطيئة وشر المنايا ميت بين اهله كهلك الفتى قد اسلم الحي حاضره اراد وشر المنايا منية
ميت وقال الآخر قليل عيبه والعيب جم ولكن الغنى رب غفور اراد غنى رب غفور وقال
ذو الرمة لهم مجلس صهب السبال اذلة سواسية احرارها وعبيدها اراد اهل مجلس واما قوله
صهب السبال فانما اراد به الاعداء والعرب تصف الاعداء بذلك وان لم يكونوا صهب الاسبلة
وقوله سواسية يريد انهم مستوون متشابهون ولا يقال هذا الا في الذم وثانيها انه تعالى
اراد المبالغة في وصف القوم بصغر القدر وسقوط المنزلة لان العرب اذا اخبرت عن عظم
المصاب بالهالك قالت كسفت الشمس لفقده واظلم القمر وبكاه الليل والنهار والسماء
والارض يريدون بذلك المبالغة في عظم الامر وشمول ضرره قال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز
الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا وقال يزيد بن مفرغ الحميري
الريح تبكي شجوها والبرق يلمع في الغمامة وهذا صنيعهم في كل امر جليل خطبه وعظم موقعه
فيصفون النهار بالظلام وان الكواكب طلعت نهارا لفقد نور الشمس وضوئها قال النابغة
تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الاظلام اظلام وقال طرفة ان تنوله فقد
تمنعه وتريه النجم يجري بالظهر ومن هذا قولهم لاريك الكواكب بالنهار معناه لأظلمن
اسود عليك ما يظهر لك في عينك النهار فتظنه ليلا ذا كواكب فاما بيت جرير فقد قيل في انتصاب
النجوم والقمر وجوه ثلاثة احدها انه اراد ان الشمس طالعة وليست مع طلوعها كاسفة نجوم

الليل والقمر لان عظم الرزية قد سلبها ضوءها فلم يناف طلوعها ظهور الكواكب والوجه الثاني
ان يكون انتصاب ذلك كما ينتصب في قولهم لا اكلمك الابد والدهر وطول المسند وما جرى مجرى
ذلك فكانه اخبر بان الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر والوجه الثالث ان يكون القمر ونجوم
الليل باكين الشمس على هذا المرثي المفقود فبكتهن اي غلبتهن بالبكاء كما يقول باكاني عبد الله فبكيته
فبكيته اي غلبته وفضلت عليه وثالثها ان يكون معنى الآية الاخبار عن انه لا احد اخذ بثارهم
ولا انتصر لهم لان العرب كانت لا تبكي على قتيل حتى تاخذ بثاره وتقتل من كان بواءه من عشيرة
القاتل فكنى تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار والاخذ بالثار على مذهب القوم الذين خوطبوا
بالقرآن ورابعها ان يكون ذلك كناية عن انه لم يكن لهم في الارض عمل صالح يرفع منها الى السماء ويطابق
هذا التأويل ما روي عن ابن عباس رحمه الله تعالى في قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض فقيل
له او يبكيان على احد فقال نعم مصلاه في الارض ومصعد عمله في السماء وروى انس بن مالك عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ما من مؤمن الا وله باب يصعد فيه عمله وباب ينزل منه رزقه
فاذا مات بكيا عليه ومعنى البكاء ههنا الاخبار عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بعده
لو قال ابن مقبل لعمر ابيك لقد شاقني مكان حزنت له او حزن وقال مزاحم العقيلي بكت
ام دارهم من اجلهم فتهللت دموعي فاي الجازعين الوم امستعبرا يبكي من الهون والبلى وآخر يبكي
شجوه ويهيم فاذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين اخبر الله سبحانه عن بوارهم مقام صالح في الارض
ولا عمل كريم يرفع الى السماء جاز ان يقال فما بكت عليهم السماء والارض ويمكن في الآية وجه خامس
ان يكون البكاء فيها كناية عن المطر والسقيا لان العرب تشبه المطر بالبكاء ويكون معنى الآية ان السماء
لم تسق قبورهم ولم تجد عليهم بالقطر على مذهب العرب المعروف في ذلك لانهم كانوا يستسقون السحاب
لقبور من فقدوه من اعزائهم ويستنبتون لمواقع حفرهم الزهر والرياض قال النابغة فما زال قبر بين
تبنى وجاسم عليه من الوسمي طل ووابل فينبت حوذانا وعوفا منورا سأتبعه من خير ما قال قائل
وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام ومسألة الله تعالى لهم الرضوان والفعل الذي اضيف الى
السماء وان كان لا يجوز اضافته الى الارض فقد يصح عطف الارض على السماء بان يقدر فعل يصح نسبته
مدعا اليها والعرب تفعل مثل هذا قال الشاعر يا ليت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا فعطف الرمح
على السيف وان كان التقلد لا يجوز فيه لكنه اراد وحاملا رمحا ومثل هذا كثير فكانه تعالى
عليها اراد ان السماء لم تسق قبورهم وان الارض لم تعشب عليهم وكل هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله تعالى
ورضوانه تأويل خبر روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان احب الاعمال
وجه الى الله عز وجل ادومها وان قل فعليكم من الاعمال بما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وفي بعضه

عليه السلام ان الله تعالى لا يمل وجوه اربعة اولها انه اراد نفي الملل عنه وانه لا يمل ابدا فعلقه بما لا يقع
على سبيل التبعيد كما قال تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وقال الشاعر فانك
سوف تحلم او تناهى اذا ما شبت وشاب الغراب اراد انك لا تحلم ابدا فان قيل ومن اين قلتم ان ما
علقه به لا يقع حتى حكمتم بانه اراد نفي الملل على سبيل التأبيد قلنا معلوم ان الملل لا يشمل البشر
في جميع احوالهم واوطارهم لا يعرون من ضجر ورغبة واملل وطمع فلهذا جاز ان يعلق ما علم تعالى
انه لا يكون بملالهم والوجه الثاني ان يكون المعنى انه لا يغضب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له
وتعرضوا عن سؤاله والرغبة في حاجاتكم الى جوده فسمى الفعلين مللا وان لم يكونا على الحقيقة كذلك
على مذهب العرب في تسمية الشيء باسم غيره اذا وافق معناه من بعض الوجوه قال عدي بن زيد العبادي
ثم اضحوا لعب الدهر بهم * وكذاك الدهر يودي بالرجال * وقال عبيد بن الابرص الاسدي سائل
بنا حجر ابن ام قطام اذ * ظلت به السمر النواهل تلعب * فنسب اللعب الى الدهر وفي القنا تشبيها
وقال ذو الرمة * وابيض موشي القميص نصبته * على خصر مقلاة سفيه جديلها * فسمى اضطراب
زمامها وشدة تحريكه سفها لان السفه في الاصل هو الطيش وسرعة الاضطراب والحركة وانما
وصف ناقته بالذكاء والنشاط فاما قوله وابيض موشي القميص فانما عنى به سيفه وتبيين حفيته
والمقلاة الناقة التي لا يعيش لها ولد والوجه الثالث ان يكون المعنى انه تعالى لا يقطع عنكم فضله
واحسانه حتى تملوا من سؤاله فجعلهم مللا على الحقيقة وسمى فعله تعالى مللا وليس بملل على الحقيقة
للازدواج ومشاكلة اللفظين في الصورة وان اختلفا في المعنى ومثل هذا قوله تعالى فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء سيئة سيئة مثلها ومثله قول الشاعر وهو
عمرو بن كلثوم التغلبي * الا لا يجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا * وانما اراد الجزاء
على الجهل لان العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به والوجه الرابع ان يكون الراوي وهم فغلط من
الفتح الى الضم وان يكون قوله لا يمل بالضم لا بالفتح وعلى هذا يكون له معنيان احدهما انه
لا يملكم بالنار حتى تملوا من عبادته وتعرضوا عن طاعته لان الملة هي شي الخبز يقال مل الرجل
الخبزة وغيرها يملها اذا شواها في الملة وقيل ان الجمر لا يقال له ملة حتى يجاء الطعام وماده في المعنى
ان يكون اراد انه لا يخرج الى الجفاء بكم بل يحلم عنكم ويقابلكم حتى تملوا حلمه وتستعجلوا عذابه بركوب
المحارم وتتابعكم في الاثام ثم روي انه قيل للفرزدق هل حسدت احدا على شيء من الشعر فقال لا
لم احسد على شيء منه الا ابيات الاخطل في قولها وهو في عنترة القيس فجاله بين البيوت من الحباء
سفيها حتى اذا برز اللواء رأيته * تحت اللواء على الخميس زعيما * لا تعرضن الدهر آل مطرف *
لا ظالما ابدا ولا مظلوما * قال فعلي انه قال وركب كان الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها

بالعصائب * سروا يخبطون الليل وهي تلفهم * الى شعب الاكوار من كل جانب * اذا ابصروا نارا
يقولون ليتها * وقد خصرت ايديهم نار غالب * وليست ابيات الفرزدق بدون ابيات الحطيئة
بل هي اجزل الفاظا واشد اسرا الا ان ابياته اطبع واوضح وقد كان الفرزدق شديد الحسد
على الشعر والاستكثار للقليل منه والافراط في استحسان مستحسنه وقد روي ان الكميت بن زيد لما
عرض على الفرزدق ابياتا من قصيدته التي اولها * اتصرم الحبل حبل البيض متصل * وكيف
والشيب في ذلك مشتعل * والانياب لناعبات لقوس الحيلة حيث الجلد على الاحساب
تنتضل * اخرى ... فقال الفرزدق لله لك من رام ولا شلت ... اتعلم انك لا
انها امراة * والليث اذا الا امر وجل حسد الفرزدق فقال له انت خطيب وانما سلم الخطابة
ليخرجه عن اسلوب الشعر او لما بهره من حسن الابيات وافرطها اعجابه ولم يتمكن من دفع فضلها
عدل في وصفها الى معنى الخطابة وحسد الفرزدق على الشعر واعجابه بجيده من اول دليل على
نقده له وقوة بصيرته فيه وانه كان يطرب للجيد منه فضل طرب ويعجب منه فضل عجب ويدل
ايضا على انصافه فيه وانه مستقل للكثير الصادر من جهته فان كثيرا من الناس قد يبلغ بهم العجب
والاعجاب والاستحسان لما يظهر منهم من شعر او فضل الى ان يعموا عن محاسن غيرهم فيستقلوا منهم
الكثير ويستصغروا الكبير ولابيات الفرزدق التي ذكرناها خبر مشهور ومنذ اول اخبرنا ابو عبيد
الله المرزباني قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال اخبرنا ابو عبيدة عن يونس قال دخل
الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ومعه نصيب الشاعر فقال له سليمان انشدني فانشده الابيات
التي تقدم ذكرها فاسود وجه سليمان وغاظه فعله وكان ظن انه ينشده مديحا له فلما راى نصيب
ذلك قال الا انشدك فانشده * اقول لركب قافلين رأيتهم * قفا ذات اوشال ومولاك قارب *
قفوا خبروني عن سليمان انني * لمعروفه من اهل ودان طالب * فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله * ولو
سكتوا اثنت عليك الحقائب * فقال له سليمان انت اشعر اهل جلدتك وفي بعض الاخبار ان
الفرزدق قال ذلك في نصيب لما سأله عنه سليمان وروي ايضا انه لما انشد نصيب ابياته قال
له سليمان احسنت ووصله ولم يصل الفرزدق فخرج الفرزدق وهو يقول وخير الشعر اكرمه
رجالا وشر الشعر ما قال العبيد ولا شبهة في ان ابيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرصانة
على ابيات نصيب وان كان نصيب قد اغرب وابدع في قوله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب
الا ان ابيات نصيب من حيث موضعها ووردت في حال تليق بها وابيات الفرزدق جاءت في غير وقتها
وعلى غير وجهها فلهذا قدمت ابيات نصيب على الفرزدق مع تقدمه في الشعر وعلوه فيه الى الذروة
العليا والغاية القصوى * شريف الاباء كريم البيت له ولابائه * مآثر لا تدفع ومفاخر لا تجحد

والفرزدق لقب لقب به وليس باسمه وانما لقب بذلك لجهامة وجهه وغلظه لان الفرزدق هي
القطعة الضخمة من العجين وقيل انها الخبزة الغليظة التي تتخذ منها النساء الفتوت واسمه همام
بن غالب وكنيته ابو فراس وقيل انه كان يكنى في شبابه بابي مكية وهي اغرب كنيتيه وكان
شيعيا مائلا الى بني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق وراجع طريقة الدين
على انه في خلال فسقه لم يكن منسلخا من الدين جملة ولا مهملا لامره اصلا ومما يشهد بذلك
ما اخبرنا به علي بن محمد الكاتب عن ابي بكر محمد بن يحيى الصولي عن ابي حفص الغلابي عن عبد الله
بن سوار عن معاوية بن عبد الكريم عن ابيه قال دخلت على الفرزدق فتحرك فسمعت صوت
حديد يتقعقع فتاملت الامر فاذا هو مقيد الرجلين فسالته عن السبب في ذلك فقال آليت على
نفسي ان لا انزع القيد من رجلي حتى احفظ القرآن واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا
ابو ذر القراطيسي قال حدثنا ابن ابي الدنيا قال حدثني الرياشي عن الاصمعي عن سلام بن مسكين
قال قيل للفرزدق علام تقذف المحصنات فقال والله لله احب الي من عيني هاتين افتراه يعذبني
بعدها وروي انه تعلق باستار الكعبة فعاهد الله تعالى على ترك الهجاء والقذف الذين كان
ارتكبهما وقال ÷ الم ترني عاهدت ربي وانني ÷ لبين رتاج قائما ومقام ÷ على حلفة لا اشتم الدهر قائم
مسلما ÷ ولا خارجا من في زور كلام ÷ اطعتك يا ابليس سبعين حجة ÷ فلما انقضى عمري وتم تمامي
فزعت الى ربي وايقنت انني ÷ ملاق لايام الحتوف حمامي ÷ وروى الصولي عن الحسين بن الفياض فزعت
عن ادريس بن ... قال لما جاءنا الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله وسعتها فكان اوثقنا بالله تعالى
فقال له رجل الك هذا الرجاء والمذهب وانت تقذف المحصنات وتفعل ما تفعل فقال الفرزدق يقذفاني
لو اذنبت الى ابوي اكانا يقذفاني في تنور وتطيب نفسهما بذلك قلنا لا بل كانا يرحمانك قال
فانا والله برحمة ربي اوثق مني برحمتهما واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن ابي ...
قال حدثنا عبد الله بن ابي سعد الوراق قال حدثني محمد بن محمد بن سليمان الطفاوي قال حدثني ابي سعيد
عن جدي قال شهدت الحسن البصري في جنازة النوار امراة الفرزدق وكان الفرزدق حاضرا فقال له
الحسن وهو عند القبر يا ابا فراس ما اعددت لهذا المضجع قال شهادة ان لا اله الا الله منذ ثمانين سنة وان محمدا رسول الله
فقال له الحسن هذا العمود فاين الطنب وفي رواية اخرى انه قال نعم ما اعددت ثم قال الفرزدق
في الحال ÷ اخاف وراء القبر ان لم يعافني ÷ اشد من القبر التهابا واضيقا ÷ اذا جاءني يوم القيامة قائد القبر
عنيف وسواق يسوق الفرزدقا ÷ لقد خاب من اولاد آدم من مشى ÷ الى النار مغلول القلادة ازرقا مغلول
يقاد الى نار الجحيم مسربلا ÷ سرابيل قطران لباسا محرقا ÷ قال فرايت الحسن يدخل بعضه في بعض
ثم قال حسبك ويقال ان رجلا راى الفرزدق بعد موته في منام فقال له ما فعل بك ربك

قال

قال عفى عني بتلك الابيات واما ما يدل على تشيعه وميله الى بني هاشم فما اخبرنا ابو عبيد الله عفا
المرزباني قال حدثني عمر بن داود العماني قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي
بن سابق قال حدثنا ابو لبيد قال جاء الكميت الى الفرزدق فقال له يا عم اني قد قلت قصيدة
اريد ان اعرضها عليك فقال له قل فانشد ÷ طربت وما شوقا الى البيض اطرب ÷ فقال له الفرزدق
الى من طربت ثكلتك امك فقال ÷ ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب ÷ ولم تلهني دار ولا رسم منزل
ولم يتطربني بنان مخضب ÷ فقال له الى من طربت فقال ÷ ولا انا ممن يزجر الطير همه ÷ اصاح غراب
ام تعرض ثعلب ÷ ولا السانحات البارحات عشية ÷ امر سليم القرن ام مر اعضب ÷ فقال الى
من طربت لا ام لك فقال الكميت ولكن الى اهل الفضائل والنهى ÷ وخير بني حواء والخير يطلب
فقال الفرزدق ومن هؤلاء ويحك فقال الكميت ÷ الى النفر البيض الذين بحبهم ÷ الى الله فيما نابني
اتقرب ÷ فقال الفرزدق من هؤلاء بنو هاشم فقال الكميت ÷ بني هاشم رهط النبي فانني ÷ بهم
ولهم ارضى مرارا واغضب ÷ فقال له الفرزدق والله لو جزتهم الى سواهم لذهب قولك باطلا
ومما يشهد لذلك ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثني
جدي يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال حدثني غير واحد من اهل
الادب ان علي بن الحسين رضي الله عنهما حج فاستجهر الناس جماله وتشوفوا له وجعلوا يقولون
من هذا فقال الفرزدق ÷ هذا ابن خير عباد الله كلهم ÷ هذا التقي النقي الطاهر العلم ÷ هذا
الذي تعرف البطحاء وطاته ÷ والبيت يعرفه والحل والحرم ÷ اذا راته قريش قال قائلها ÷ الى
مكارم هذا ينتهي الكرم ÷ يكاد يمسكه عرفان راحته ÷ ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم ÷ يغضي
حياء ويغضى من مهابته ÷ فما يكلم الا حين يبتسم ÷ اي القبائل ليست في رقابهم ÷
لاولية هذا او له نعم ÷ من يشكر الله يشكر اولية ذا ÷ فالدين من بيت هذا ناله الامم الامم
وفي رواية الغلابي ان هشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك او الوليد وهو حدث
فاراد ان يستلم الحجر فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه فجلس ينتظر خلوة فاقبل علي بن الحسين حديث
عليهما السلام وعليه ازار ورداء وهو من احسن الناس وجها واطيبهم ريحا بين عينيه سجادة خلوة
كانها ركبة عنز فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحى الناس له حتى يستلمه هيبة له واجلالا
فغاظ ذلك هشاما فقال رجل من اهل الشام لهشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه رجال
الهيبة فقال هشام لا اعرفه لئلا يرغب فيه اهل الشام فقال الفرزدق وكان لذلك كله حاضرا
لكني اعرفه وذكر الابيات وفي اكثر مما رويناه تركناها لانها معروفة قال فغضب هشام وامر بحبس
الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة وبلغ ذلك علي بن الحسين عليهما السلام فبعث الى الفرزدق

آية لو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة الآية

واثني عشر الف درهم وقال عذرنا يا ابا فراس فلو كان عندنا في هذا الوقت اكثر منها لوصلناك
بها فردها الفرزدق وقال يا ابن رسول الله ما قلت الذي قلت الا غضبا لله ولرسوله وما كنت
لارزأ عليه شيئا فردها اليه واقسم بالله عليه في قبولها فقال له قد رأى الله مكانك وعلم
نيتك وشكر لك ونحن اهل بيت اذا انفذنا شيئا لم نرجع فيه فقبلها وجعل الفرزدق يهجو
وهو في الحبس هشاما فكان مما هجاه به قوله اتحبسني بين المدينة والتي * اليها قلوب الناس يهوي منيبها
يقلب راسا لم يكن راس سيد * وعينا له حولاء باد عيوبها * مجلس آخر ان سأل سائل
فقال ما عندكم في تأويل قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون
مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وظاهر هذه الآية تقتضي انه تعالى ما شاء ان يكونوا
امة واحدة وان يجتمعوا على الايمان والهدى وهذا خلاف ما تذهبون اليه ثم قال ولذلك
خلقهم فلا يخلو من ان يكون عنى انه للاختلاف خلقهم او للرحمة فلا يجوز ان يعني الرحمة لان الكناية
عن الرحمة لا تكون بلفظة ذلك ولو اراد ها لقال ولتلك خلقهم فلما قال ولذلك خلقهم كان
رجوعه الى الاختلاف قيل ليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكورا فيها لان
الرحمة ايضا غير مذكورة فيها واذا جعلنا قوله الا من رحم دالا على الرحمة فكذلك قوله مختلفين
دال على الاختلاف على ان الرحمة هي رقة القلب والشفقة وذلك لا يجوز على الله تعالى ومتى
نعتت بها ما ذكرنا لم يبق بها الا العفو واسقاط الضرر وما جرى مجراه عن مستحقه وهذا
مما لا يجوز ان يكونوا مخلوقين له على مذهبكم لانه لو خلقهم للعفو لما حسن منه عقاب
المذنبين ومؤاخذة المستحقين الجواب يقال له اما قوله تعالى ولو شاء ربك فانما عنى
به المشيئة التي ينضم اليها الالجاء ولم يعن المشيئة على سبيل الاختيار وانما اراد تعالى ان يخبرنا
عن قدرته وانه ممن لا يغالب ولا يعصى مقهورا من حيث كان قادرا على الجاء العباد واكراههم على
ما اراده منهم فاما لفظة ذلك في الآية فحملها على الرحمة اولى من حملها على الاختلاف بدليل
العقل وشهادة اللفظ فاما دليل العقل فمن حيث علمنا انه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن
الدين ونهى عنه وتوعد عليه فكيف يجوز ان يكون شائيا له ومجريا بخلق العباد اليه واما
شهادة اللفظ فلان الرحمة اقرب الى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ على اقرب المذكورين
اليها اولى في لسان العرب فاما ما طعن به السائل وتعلق به من تذكير الكناية وان الكناية عن
الرحمة لا تكون الا مؤنثة فباطل لان تأنيث الرحمة غير حقيقي واذا كني عنها بلفظ التذكير كانت
الكناية عن المعنى لان معناها هو الفضل والانعام كما قالوا سرني كلمتك يريدون سرني كلامك
وقال الله تعالى هذا رحمة من ربي ولم يقل هذه وانما اراد هذا فضل من ربي وقالت الخنسا

فذلك يا هند الرزية فاعلمي * ونيران حرب حين شب وقودها اراد الرزء وقال امرؤ القيس
برهرهة رودة رخصة * كخرعوبة البانة المنفطر فقال المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه رده
الى الغصن وقال الآخر هنيئا لسعد ما اقتضى بعد وقعتي * بناقة سعد والعشية بارد
فذكر الوصف لانه ذهب الى العشي وقال الآخر قامت تبكيه على قبره * من لي من بعدك يا عامر
تركتني في الدار ذا غربة * قد ذل من ليس له ناصر فقال ذا غربة ولم يقل ذات غربة لانه اراد
شخصا ذا غربة وقال زياد الاعجم ان الشجاعة والمروءة ضمنا * قبرا بمرو على الطريق الواضح
ويروى ان السماحة والشجاعة وهكذا كان في الاملاء فقال ضمنا ولم يقل ضمنتا قال الفراء
ذهب الى ان السماحة والشجاعة مصدران والعرب تقول قصارة الثوب يعجبني لان تأنيث
المصادر يرجع الى الفعل وهو مذكر قال الفرزدق تجوب بنا الفلاة الى سعيد * اذا ما الشاة
في الارطاة قالا فذكر الوصف لانه اراد التيس فاما الارطاة فهي واحدة الارطى وهو شجر
ينبت في الرمل تستظل بظلاله الظباء من الحر وتأوي اليه قال الشماخ اذا الارطى توسد
ابرديه * خدود جوازئ بالرمل عين وقوله قالا من القيلولة لا من القول على ان قوله تعالى
الا من رحم ربك كما يدل على الرحمة قد يدل ايضا على ان يرحم فاذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن
ان يرحم كان التذكير في موضعه لان الفعل مذكر ويجوز ايضا ان يكون قوله تعالى ولذلك
خلقهم كناية عن اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه امة واحدة ولا محالة انه لهذا خلقهم و
يطابق هذه الآية قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال قوم في قوله تعالى
ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة معناه انه لو شاء ان يدخلهم اجمعين الجنة فيكونوا
في وصول جميعهم الى النعيم امة واحدة واجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى ولو شئنا لآتينا
كل نفس هداها في انه اراد هداها الى طريق الجنة فعلى هذا التأويل ايضا يمكن ان ترجع لفظة
ذلك الى ادخالهم اجمعين الى الجنة لانه تعالى انما خلقهم للمصير اليها والوصول الى نعيمها فاما
قوله ولا يزالون مختلفين فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات
وذكر ابو مسلم محمد بن بحر في قوله مختلفين وجها غريبا وهو ان يكون معناه ان خلف هؤلاء الكافرين
يخلف سلفهم في الكفر لانه سواء قولك خلف بعضهم بعضا وقولك اختلفوا كما سواء قولك
قتل بعضهم بعضا واقتتلوا ومنه قولهم لا افعل كذا ما اختلف العصران والجديدان اي جاء
كل واحد منهما بعد الآخر فاما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل لكنها فعل النعم
والاحسان يدل على ذلك ان من احسن الى غيره وانعم عليه يوصف بانه رحيم به وان لم تعلم
رقة قلبه عليه بل وصفهم بالرحمة من لا يعهدون منه رقة القلب اقوى من وصفهم الرقيق القلب

بذلك لان مشقة النعمة والفضل والاحسان على من كثر دقة نعيله اكثر منها على الرقيق القلب
وقد علمنا ان من رق قلبه لو امتنع من الافضال والاحسان لم يوصف بالرحمة واذا انعم
وصف بذلك فوجب ان يكون معناها ما ذكرناه على انه لا يمتنع ان يكون معنى الرحمة في
الاصل ما ذكرتم ثم انتقل بالتعارف الى ما ذكرناه كنظايره وقد وصف الله تعالى القران
ما ذكرتم
بانه هدى ورحمة من حيث كان نعمة ولا بيان في القران ما ظننتموه وانما وصفت رقة القلب
بانها رحمة لانها مما يتجاوز بها الرحمة التي هي النعمة في الاكثر وتوجد عندها فحمل وصف الشهوة
بانها محبة لما كانت توجد عندها المحبة في الاكثر وليست الرحمة مختصة بالعفو بل تستعمل
في ضروب النعم وصنوف الاحسان الا ترى انا نصف المنعم على غيره المحسن اليه بالرحمة وان لم
يسقط عنه ضررا ولا تجاوز له عن زلة وانما سمي العفو عن الضرر وما جرى مجراه رحمة من حيث
كان نعمة لان النعمة باسقاط الضرر تجري مجرى النعمة بايصال النفع فقد بان بهذه الجملة معنى
الاية وبطلان ما تضمنه السائل سؤاله فان قيل اذا كانت الرحمة هي النعمة وعندكم ان نعم الله
شاملة للخلق اجمعين فاي معنى لاستثناء من رحم من جملة المختلفين وان كانت الرحمة هي النعمة
وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامة قلنا لا شبهة في ان نعم الله
سبحانه شاملة للخلق اجمعين غير ان في نعمه ايضا ما يختص بها بعض العباد اما لاستحقاق او
لسبب تقتضي الاختصاص فاذا حملنا قوله تعالى الا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص
ظاهر لان النعمة به لا تكون الا مستحقة فمن استحق الثواب باعماله وصل الى هذه النعمة ومن
لم يستحقه لم يصل اليها وان حملنا الرحمة في الاية على النعمة بالتوفيق للايمان واللطف الذي
تم لنا به فعل الايمان كانت هذه النعمة ايضا مختصة لانه تعالى انما لم ينعم على سائر المكلفين
بها لانه لم يكن في معلومه ان لهم توفيقا وان في الافعال ما يختارون عنده الايمان فاختصاص
هذه النعمة ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم اخر لهم كما ان شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص
هذه تاويل خبر روى ابو مسعود البدري عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان مما
ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وفي هذا الخبر وجوه من
التاويل ثلاثة احدها ان يكون معناه اذا عملت العمل لله عز وجل وانت لا تستحيي من الناس
الياك ولا تخوفهم ان ينسبوك فيه الى الرياء صنعت ما شئت لان فكرك فيهم وفي ارتقابهم
لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ويمنعانك من القيام بحدوده وحقوقه واذا
اطرحت الفكر توفرت على استيفاء عملك والوجه الثاني ان من لم يستحي من المعايب والمخازي
والفضايح صنع ما شاء والظاهر ظاهر امر والمعنى معنى تغليظ وانكار مثل قوله تعالى اعملوا

ما شئتم

ما شئتم وقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وهذا نهاية التغليظ والزجر ونهيا
عن كبير الذنب في اطراح الحياء ويجري مجرى قولهم تعبدان فعل فلان كذا وكذا فليفعل
ما شاء وتعبدان اقدم على كذا فليقدم على ما شاء والمعنى المبالغة في عظم ما ارتكبه وقبح
وقبح
ما اقترفه والوجه الثالث ان يكون معنى الخبر اذا لم تفعل ما تستحيي منه فافعل ما شئت فكان معنى
الخبر اذا لم تفعل قبيحا فافعل ما شئت لانه لا يتبع من ضروب القبائح الا والحيا يصاحبه ومن
شان فاعله اذا وقع منه ان يستحيي منه فمن جانب الانسان ما يستحيي منه من افعاله فقد جانب
سائر القبائح وما عدا القبائح من الافعال فهو حسن ويجري هذا مجرى خبر يروى فيما اطعم
عن نبينا عليه السلام ان رجلا جاءه فاسترشده الى خصلة يكون فيها جماع الخير فقال عليه السلم
الشرط عليك الا تكذبني وان سالك ما وراء ذلك فهان على الرجل ترك الكذب خاصة والمعاهدة
ولئن
على اجتنابه دون سائر القبائح وشرط على نفسه ذلك فلما انصرف جعل كلما هم بقبيح فكر في ورود
اراينا وسالني عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما كنت قائلا له لانني ان صدقته
افتضحت وان كذبته نقضت العهد بيني وبينه وكان ذلك سببا لاجتنابه سائر القبائح ف
هكذا معنى الخبر الذي تاولناه لان في اجتناب ما يستحيي منه اجتنابا لسائر القبائح تاويل خبر
روى محمد بن الحنفية عن ابيه رضي الله عنه قال كان قد كثر على مارية القبطية ام ابراهيم في
ابن عم لها قبطي كان يزورها ويختلف اليها فقال لي النبي عليه السلم خذ هذا السيف وانطلق
فان وجدته عندها فاقتله قلت يا رسول الله اكون في امرك اذا ارسلتني كالسكة المحماة
امضي لما امرتني ام الشاهد يرى ما لا يرى الغايب فقال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل
الشاهد يرى ما لا يرى الغايب فاقبلت متوشحا بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف
فلما اقبلت نحوه علم اني اريده فاتى نخلة فرقي اليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه فاذا
برجليه
انه اجب امسح ما له مما للرجال قليل ولا كثير قال فغمدت السيف ورجعت الى النبي صلى الله
عليه وآله وسلم فاخبرته فقال الحمد لله الذي يصرف عنا اهل البيت قال المرتضى رضي الله
عنه في هذا الخبر احكام وغريب ونحن نبدأ باحكامه ثم نتلوه بغريبه فاول ما فيه ان لقائل
ان يقول كيف يجوز ان يامر الرسول عليه السلام بقتل رجل على التهمة بغير بينة وما يجري
ولاما
مجراها والجواب عن ذلك ان القبطي جايز ان يكون من اهل العهد الذين اخذ عليهم ان تجري
ان تجري عليهم
فيهم احكام المسلمين وان يكون الرسول عليه السلم تقدم اليه بالانتهاء عن الدخول الى مارية
فخالف واقام على ذلك وهذا نقض للعهد وناقض العهود من اهل الكفر مؤذن بالمحاربة والمؤذن
العهد
بها مستحق للقتل فاما قوله عليه السلم بل الشاهد يرى ما لا يرى الغايب فانما عنى به تفهيم

لا رؤية البصر لانه لا معنى في هذا الموضع لرؤية البصر فكانه عليه السلام قال بل الشاهد
يعلم ويصح له من وجه الرأي والتدبير ما لا يصح للغائب ولو لم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على
كل حال وانما جاز منه عليه السلام ان يخير بين قتله والكف عنه ويفوض الامر في ذلك الى امير
المؤمنين عليه السلام من حيث كان قتله لم يكن من الحدود والحقوق التي لا يجوز العفو عنها ولا يسع
الا اقامتها لان ناقض العهد ممن يلحق الى الامام القائم بامور المسلمين اذا قدر عليه قبل التوبة بين ان
يقتله او يمن عليه ومما فيه ايضا من الاحكام اقتضاؤه ان مجرد امر الرسول صلى الله عليه
وآله وسلم لا يقتضي الوجوب لانه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولا استفهامه وفي
حسنها ووقوعها دلالة على انه لا يقتضي ذلك ومما فيه ايضا من الاحكام دلالة على انه
لا باس بالنظر الى عورة الرجل عند امر يهم له ولا يوجد من النظر اليها بد اما لحد يقام
او لعقوبة تسقط لان العلم بانه امسح اجب لم يكن الا عن تامل ونظر وانما جاز التامل و
النظر ليتبين هل هو ممن يكون منه ما قرف به ام لا والواجب على الامام فيمن شهد عليه بالزنا
وادعى انه مجبوب ان يامر بالنظر اليه ليتبين امره وبمثله امر النبي صلى الله عليه وآله
وسلم في قتل مقاتلة بني قريظة لانه امر ان ينظروا الى مؤتزر كل من اشكل عليهم امره فمن و
جدوه قد انبت قتلوه ولو لا جواز النظر الى العورة عند الضرورة لما قامت شهادة بالزنا
لان من راى رجلا مع امراة واقعا عليها متى لم يتامل امرهما حق التامل لم تصح شهادته
ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسعد بن عبادة وقد ساله عمن وجد مع
امراته رجلا ايقتله فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا حتى ياتي باربعة شهداء فلو لم يكن
للشهداء اذا حضروا النظر الى عورتيهما لاقامة الشهادة كان حضورهم كغيبتهم ولم
تتم شهادة الزنا لان من شرطها مشاهدة العضو في العضو كالميل في المكحلة فان قيل كيف جاز
لامير المؤمنين عليه السلام الكف عن القتل ومن اي جهة آثره لما وجده اجب واي تاثير لكونه
اجب فيما استحق به القتل وهو نقض العهد قلنا انه لما فوض اليه الامر في القتل والكف كان
له ان يقتله على كل حال وان وجده اجب لان كونه بهذه الصفة لا يخرجه من نقض العهد وانما
آثر الكف لانه كان اليه ومفوضا الى رايه وزالت التهمة والشك الواقعين في امره وكانه
اشفق من ان يقتله فيتحقق الظن ويلحق بذلك العار فراى رضي الله عنه الكف اولى لما ذكرناه واما
غريب الحديث فقوله شغر برجله يريد رفعهما واصله في وصف الكلب اذا رفع رجله للبول
فاما نكاح الشغار بالكسر وقد قيل الشغار بالفتح فهو ان يزوج الرجل من هو ولي لها من بنت او

اخت

اخت عنده على ان يزوجه بنته او اخته بغير مهر وكان احد العرب في الجاهلية يقول للآخر شاغرني
اي زوجني حتى ازوجك واظن انه ماخوذ من الشغر الذي هو رفع الرجل لان النكاح فيه معنى
الشغر فسمي هذا العقد شغارا ومشاغرة لانضمامه في كل واحد من المتزوجين الى معنى الشغر
وصار اسما لهذا النكاح كما قيل في الزنا سفاح لان الزانيين يتسافحان الماء اي يسكبانه و
هو النطفة ويمكن ايضا الماء الذي يغتسلان به فكنى بذلك عن الزناء ثم صار اسما له وعلما
عليه ومن الشغر الذي هو رفع الرجل قول زياد لابنة معوية وكانت عند ابنه فافتخرت يوما
عليه وتطاولت فشكاها الى ابيه زياد فدخل عليها بالدرة يضربها ويقول لها اشغرا وفخرا
فاما قول الفرزدق شغارة تقذ الفصيل برجلها فطارة لقوادم الابكار فان من شعره
وغيره قال معنى شغارة انها ترفع رجلها للبول وقوله تقذ الفصيل برجلها اي تركله وتدفعه
عن الدنو الى الرضاع ليتوفر اللبن على الحالب اذا دنت اي تبالغ في ايلامه وضربه ومنه الموقوذة
فاما قوله فطارة لقوادم الابكار فالفطر هو الحلب بثلاث اصابع والقوادم هي الاخلاف و
انما خص الابكار بذلك لان صغر اخلافها يمنع من حلبها ضبا والضب هو الحلب بالاصابع
الاربع فكانه لا يمكن فيها لقصر اخلافها الا الفطر ومعنى البيت تعيير لنساء جرير بانهن راعيات
وذلك مما تعير به العرب النساء الا ترى الى قوله قبل هذا البيت كم عمة لك يا جرير وخالة
فدعاء قد حلبت علي عشاري كانا نحاذر ان تضيع لقاحنا وَلْهاً اذا سمعت دعاء يسار ثم
قال بعد ذلك قوله شغارة تقذ الفصيل برجلها فطارة لقوادم الابكار قال الشريف المرتضى
رضي الله عنه وعندي ان قوله شغارة كناية عن رفع رجلها للزناء وهو اشبه بان يكون مراده
في هذا الموضع الا ترى انه قد وصفها بالوله وترك حفظ اللقاح عند سماعها دعاء يسار
ويسار اسم راع فكانه وصفها بالوله الى الزناء والاسراع اليه وترك حفظ ما استحفظته من اللقاح
فهو اشبه ان يكون قوله شغارة مع كونه عقيب البيت الذي ذكرناه محمولا على ما اشرنا اليه فاما
قولهم ذهبوا شغر بغر فليس من هذا في شيء وانما يراد به انهم ذهبوا متفرقين متشتتين
ومثله ذهبوا عباديد وعبابيد وشعاليل وشعارير وايادي سبا كل ذلك بمعنى واحد فاما
قوله فاذا هو اجب يعني به مقطوع الذكر لان الجب هو القطع ومنه بعير اجب اذا كان مقطوع
السنام وقد ظن بعض من فسر هذا الخبر ان الامسح ههنا هو قليل لحم الاليتين كالارسح و
الامسح والازل وهذا غلط لان الوصف بذلك لا معنى له في الخبر وانما اراد تاكيد الوصف
له بانه اجب والمبالغة فيه لان قوله امسح يفيد انه مصطلم الذكر ويزيد على معنى اجب فائدة
ظاهرة اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا القسم بن الحسن الوراق قال حدثني سليمان

الزنى والزناء كلاهما صحيح

ضفا والضف

اللقاح جمع لقحة وهي الناقة

بيان بعض لغاته

الارسح والازل قليل لحم الورك

مقالات الاصمعي مع الرشيد

بن داود الطوسي قال حدثني سوار بن عبد الله القاضي عن الاصمعي قال دخلت على الرشيد في
الليل فتذاكرنا احوال القمر فقلت العرب تقول للقمر اذا كان ابن ليلة ما انت ابن ليلة قال
رضاع سخيلة حل اهلها برميلة قيل له فما انت ابن ليلتين قال حديث امتين بكذب
ومين قيل له ما انت ابن ثلاث قال قليل اللباث وقيل ايضا حديث فتيات غير جد مؤتلفات
قيل له فما انت ابن اربع قال عتمة ام ربع وقيل عتمة ام الربع غير جائع ولا مرضع قيل فما انت
ابن خمس قال عشا خلفات قعس ويقال حديث وانس ويقال سر وبس قيل فما انت ابن ست قال
سر وبت وقيل حدث وبت قيل فما انت ابن سبع قال دلجة الضبع وقيل هدى لانس ذي الجمع
وقيل حديث جمع وقيل يصفر في القيع وقيل ملتقط في الجزع قيل فما انت ابن ثمان قال قمر
اضحيان قيل فما انت ابن تسع قال منقطع الشسع وقيل ملتقط في الجزع وقيل الودع وقيل
عشية اهل جمع قيل فما انت ابن عشر قال ثلث الشهر وقيل مخنق الفجر وقيل اوديك الى الفجر
قيل انا دد الفجر قيل فما انت ابن احدى عشرة قال اطلع عشاء وارى بكرة وقيل اغيب بسحرة قيل
فما انت ابن اثنتي عشرة قال مؤنق للبشر بالبدو والحضر قيل فما انت ابن ثلاث عشرة قال قمر باهر
يغشى له الناظر قيل فما انت ابن اربع عشرة قال مقتبل الشباب اضيء مدجنات السحاب وقيل اضيء
للسحاب قيل فما انت ابن خمس عشرة قال تم الشباب وانتصف الحساب قيل فما انت ابن ست عشرة
قال نقص الخلق بالغرب والشرق قيل فما انت ابن سبع عشرة قال امكنت المقتفر الغفرة قيل فما انت
ابن ثماني عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء قيل فما انت ابن تسع عشرة قال بطيء الطلوع
بين الخشوع قيل فما انت ابن عشرين قال اطلع بسحرة واضيء بالبهرة وقيل اهجر بالبهرة
قيل فما انت ابن احدى وعشرين قال اطلع كالقبس يرى بالغلس قيل له فما انت ابن اثنتين
وعشرين قال لا اطلع الا ريث ما ارى قيل له فما انت ابن ثلاث وعشرين قال اطلع في قتمة
ولا اجلو الظلمة قيل له فما انت ابن اربع وعشرين قال لا قمر ولا هلال قيل فما انت ابن خمس و
عشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل فما انت ابن ست وعشرين قال دنا ما دنا فلا يرى
مني الا شفا قيل فما انت ابن سبع وعشرين قال اطلع بكرا ولا ارى ظهرا قيل فما انت ابن ثمان و
عشرين قال اسبق شعاع الشمس قيل فما انت ابن تسع وعشرين قال ضئيل صغير فلا يراني الا
البصير قيل فما انت ابن ثلاثين قال هلال مستتر قال الاصمعي ثم قلت للرشيد يقال ان
لا يحفظ هذا الحديث من الرجال الا لطفا فقال اعده علي فاعدته حتى بلغ
له ما انت ابن ثمان قال قمر اضحيان اما قوله رضاع سخيلة اراد تصغير سخلة والمعنى ان القمر
يبقى بقدر ما ينزل قوم فتضع شاتهم سخلة ثم ترضعها ويرتحلون فبقاؤه في الافق بمقدار

فهذا

هذا الزمان فقوله حل اهلها برميلة ظن ان المعنى فيه الاخبار عن قلة اللباث وسرعة الارتحال
لان الرمل ليس بمنزل مقام للقوم لانهم كانوا يختارون في منازلهم جلد الارض وصليبها
والاماكن التي لا تستولي السيول عليها فخص الرميلة بهذا المعنى وقوله حديث امتين
بكذب ومين يريد ان بقاءه قليل بقدر ما تلتقي الامة الامة فتكذب لها حديثا ثم تفترقان
وقوله حديث فتيات غير جد مؤتلفات اراد انه يبقى بقاء فتيات اجتمعن على غير ميعاد فتحادثن
ساعة ثم انصرفن غير مؤتلفات وقوله عتمة ام ربع يقال عتمت بالابل اذا تأخرت عن العشاء ومن
هذا سميت صلاة العتمة لانها اخر الوقت في العشاء وقوله ام ربع يعني الناقة وهو يأخر حلبها
يريد ان بقاءه بمقدار ما تحلب فيه الناقة ولدها ولد نتج في اول الربيع وهو اول النتاج والولد
في هذا الوقت يسمى ربعا اذا كان ذكرا فان كان انثى قيل ربعة فان كان في اخر النتاج قيل هبع
للذكر وللانثى هبعة وقوله عشاء خلفات قعس الخلفات اللواتي قد استبان حملهن والواحدة
خلفة وهي واحدة المخاض ولا واحد للمخاض من لفظها وانما قال عشاء خلفات لانها لا تتعشى
الى ان يغيب القمر في هذه الليلة والقعساء الداخلة الظهر الخارجة البطن وقوله سر وبت يريد
انه لا يبقى الا بقدر ما يسير الانسان ثم يبيت وقوله قمر اضحيان اي صاح بارز ويقال قمر
اضحيان بالتنوين جميعا وقمر اضحيان بالاضافة ومنه قيل ليلة اضحيانة اذا كانت نقية البياض
وقوله منقطع الشسع اراد انه يبقى بقدر ما يبقى شسع من قد يمشي به حتى ينقطع وقوله ملتقط
في الجزع اي انه مضيء ابلج لو انقطعت مخنقة فتاة فيها شذر ومفصل لجمع ما ضاع منها
في ضيائه ونقائه وقوله اضيء بالبهرة يعني به وسط الليل لان بهرة الشيء وسطه وقوله
امكنت المقتفر الغفرة فالمقتفر الذي يتبع الآثار ومقتفراته مواضعه التي يقصدها

مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى و
اضل سبيلا فقال كيف يجوز ان يكونوا في الآخرة عميا وقد تظاهر الخبر عن الرسول عليه السلم
بان الخلق يحشرون كما بدؤا سالمين من الآفات والعاهات قال الله تعالى كما بدأنا اول خلق
نعيده وقال تعالى كما بدأكم تعودون وقال عز وجل فبصرك اليوم حديد الجواب يقال له في
هذه الآية وجوه احدها ان يكون العمى الاول انما هو عن تأمل الآيات والنظر في الدلائل
والعبر التي اراها الله تعالى المكلفين في انفسهم وفيما يشاهدون ويكون العمى الثاني هو عن الايمان
بالآخرة والاقرار بما يجازى به المكلفون فيها من ثواب وعقاب وقد قال قوم ان الآية متعلقة
بما قبلها من قوله تعالى ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الى قوله تعالى
ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير

ممن خلقنا تفضيلا ثم قال تعالى بعد ذلك ومن كان في هذه اعمى يعني عن هذه النعم وعن هذه
العبر فهو في الآخرة اعمى اي هو عما غيب عنه من امر الآخرة اعمى ويكون قوله في هذه كناية عن
النعم لا عن الدنيا ويقال ان ابن عباس رحمة الله عليه سأله سائل عن هذه الآية فقال له
اتل ما قبلها فنبهه عن التأويل الذي ذكرناه والجواب الثاني من كان في هذه يعني الدنيا
اعمى عن الايمان والمعرفة بما اوجب الله عليه المعرفة به فهو في الآخرة اعمى عن الجنة والثواب
بمعنى انه لا يهتدي الى طريقهما ولا يوصل اليهما ولتنقطع الحجة اذا سئل ووقف ومعلوم ان
من ضل عن معرفة الله تعالى والايمان به يكون في القيمة منقطع الحجة مفقود المعاذير
والجواب الثالث ان يكون العمى الاول عن المعرفة والايمان والثاني بمعنى المبالغة في الاخبار
عن عظم ما ينال هؤلاء الكفار من الخوف والغم والحزن الذي ازاله الله عن المؤمنين الفائزين
بقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن عادة العرب ان تسمي من اشتد همه وقوي حزنه اعمى
سخين العين فيصفون المسرور بانه قرير العين قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون والجواب الرابع ان العمى الاول عن الايمان والثاني
هو الآفة في العين على سبيل العقوبة كما قال الله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب
لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى
ومن يجيب بهذا الجواب يتأول قوله تعالى كما بدأنا اول خلق نعيده على ان المعنى فيه الاخبار
عن الاقتدار وعدم المشقة في الاعادة كما انها معدومة في الابتداء ويجعل ذلك نظيرا
لقوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه ويتأول قوله تعالى فبصرك
اليوم حديد على ان معناه الاخبار عن قوة المعرفة وان الجاهل بالله تعالى في الدنيا يكون عارفا
به في الآخرة والعرب تقول فلان بصير بهذا الامر وزيد ابصر بكذا من عمرو ولا يريدون
ابصار العين بل العلم والمعرفة ويشهد هذا التأويل قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد اي كنت غافلا عما انت الآن عارف به فلما
كشفنا عنك الغطاء بان اعلمناك وفعلنا في قلبك المعرفة عرفت وعلمت فاما الخبر الذي تقدم
روايته فهو خبر واحد ولا حجة في مثله واذا عرف لفظه ربما امكن تأويله على ما يطابق هذا
الجواب ومن ذهب الى الاجوبة الاولة يحمل العمى الاول والثاني معا على غير الآفة في العين
ويحتج بقوله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى وان قوله على العمى عن الثواب وعن الجنة وقال
في قوله لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا ان معناه كنت بصيرا في اعتقادي وظني من حيث
كنت ادعو لنفسي الهداية الى الثواب وطريق الجنة والمحصل من هذه الجملة انه لا يجوز ان يراد بالعمى الثاني

والاول

والاول جميعا الآفة في العين لانه يؤدي الى ان كل من كان مؤوف البصر في الدنيا من مؤمن
وكافر وطائع وعاص يكون كذلك في الآخرة وهذا باطل وبمثله يبطل ان يراد بلفظة اعمى
الثانية المبالغة بمعنى افعل من فلان ويبطله ايضا ان العمى الذي هو الخلقة لا يتعجب منه
بلفظة افعل وانما يقال ما اشد عماه ولا يجوز ان يراد بالعمى الاول عمى العين والثاني العمى عن الثواب
والجنة او الحجة لانا نعلم ان من عميت عينه في الدنيا من يستحق الثواب يصل اليه ولا يجوز ان
يراد بالاول والثاني العمى عن المعرفة والايمان لا على طريقة المبالغة والتعجب على غير ذلك لانا
نعلم ان الجهال بالله تعالى المفرطين في الدنيا عن معرفته لا يجوز ان يكونوا في الآخرة كذلك فضلا
عن ان يكونوا على ابلغ من هذه الحال لان المعارف في الآخرة ضرورية يشترك فيها جميع الناس
فلم يبق بعد الذي ابطلناه الا ما دخل في الاجوبة وهو الاجوبة الثلاثة الاول اذا اريد باعمى
الثانية المبالغة والتعجب كان في موضعه لان عمى القلب مما له يتعجب منه بلفظة افعل وان لم
يجز ذلك في عمى الجارحة ولمن اجاب بالجواب الرابع ان لا يجعل قوله تعالى فهو في الآخرة اعمى لفظ تعجب
بل يجعله اخبارا عن عماه من غير تعجب فيعطف عليه بقوله تعالى واضل سبيلا ويكون تقدير
الكلام ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى وهو اضل سبيلا فان قيل ولم لم يكن من الخلق
بلفظة افعل قلنا قد قال النحويون في ذلك ان الالوان والعيوب لا يتعجب منها بلفظ التعجب وانما
يعدل فيها الى اشد واظهر وما جرى مجراهما قالوا لان العيوب والالوان قد صارت كالاسماء
وصارت خلقة كاليد والرجل ونحو ذلك فلا يقال ما اسوده واعوره كما لا يقال ما ايداه وارجله
ويقال ما اشد سواده كما يقال ما اشد يده ومن علل منهم بعلة اخرى قالوا ان الفعل
من الالوان والعيوب على افعل وافعال مثل احمر واعور واحول واحوال والتعجب لا يدخل فيما
زاد على ثلاثة احرف من الافعال الا ترى انه لا يدخل في انطلق واستخرج ودحرج لزيادته على ثلاثة
احرف فان قيل لهم فقد قالوا عور وعمي وحول قالوا هذا منقول من افعل وهو في الحكم زائد
على ثلاثة احرف يدل على ذلك صحة الواو فيه كما صحت في اسود وابيض ولولا انه منقول لاعتل الواو
فقلت عار كما قالت خاف وهاب ويحكى عن الفراء في ذلك جواب آخر وهو ان افعل في التعجب فيه
زيادة على صفة مثله اذا قال القائل افضل واجمل فهو زائد في الوصف من جميل وفاضل فلو
قالوا ما ابيض زيدا لم يقع فيه التزيد ولا يكون مثل ابيض وصف زيد ابيض عليه في اللفظ
لفظه كما خالف افضل واجمل فاضلا وجميلا فلما انهم في ابيض واحمر علم التزيد ادخلوا عليه ما يبين
الزيادة بغيره فقالوا ما اظهر حمرة زيد وما اشد سواد عمرو لان اظهر يدل على ظاهر واشد يدل
على شديد والجواب الاخر ان التعجب مبني على زيادة تصلح ان يتعقبها نقص وتقصير عن بلوغ الغاية

فقالوا

فقالوا ما أعلم زيدا قيل لو أعلى زيادة علمه لانهم في قولهم عالم وعليم لم يبلغوا في الثناء مبلغ اعلم لم
يقولوا ما ابيض زيدا لان البياض لا تأتي منه زيادة بعد نقص فعدلوا الى التعجب باشد ونحو
هذا وهذا الجواب ليس بسديد لان الالوان قد يأتي فيها الزيادة بعد نقص وقد يدخل فيها النقصان
الا ترى ان ما حله قليل اجزاء البياض يكون انقص حالا في البياض مما حله الكثير من الاجزاء والجواب
الاول الذي حكيناه عن الفراء صواب وان كان ما قدمناه عن البصريين هو المعتمد وقد انشد بعضهم
معترضا على ما ذكرناه قول الشاعر يا ليتني مثلك في البياض ؛ ابيض من اخت بني اباض وانشدوا
ايضا قول الشاعر أما الملوك فانت اليوم ألأمهم ؛ لؤما وابيضهم سربال طباخ ؛ واما البيت
الاول فان ابا العباس المبرد حمله على الشذوذ قال ان الشاذ النادر لا يطعن به في المعول عليه
المتفق على صحته ويجوز ان يقال ايضا في البيت الثاني مثل ذلك وقد قيل في البيت الثاني ان
ابيضهم ليس هو الذي للمفاضلة وانما افعل الذي مؤنثه فعلاء كقولهم ابيض وبيضاء ويجري
ذلك مجرى قولهم هو حسن القوم وجها وشريفهم خلقا فكأن الشاعر قال ابيضهم ثم انتصب
ما بعده لتمام الاسم وهذا احسن من حمله على الشذوذ ويمكن فيه وجه آخر وهو ان ابيض
في البيت وان كان في الظاهر عبارة عن اللون فهو في المعنى كناية عن اللؤم والبخل فحمل لفظ التعجب على
المعنى دون اللفظ ولولا انه اراد بابيضهم بياض الثوب فيقاس على الحقيقة لما جاز ان يتعجب بلفظ افعل
والذي جوز تعجبه بهذه اللفظة واما قول المتنبي ابعد بعدت بياضا لا بياض له ؛ لانت اسود في عيني
من الظلم فقد قيل فيه ان قوله لانت اسود في عيني كلام تام ثم قال من الظلم اي من جملة الظلم كما يقال حر
من الاحرار ولئيم من اللئام اي من جملتهم وقال الشاعر وابيض من ماء الحديد كأنه ؛ شهاب بدا
والليل داج عساكره ؛ كأنه قال وابيض كائن من ماء الحديد وقوله من ماء الحديد صفة لابيض وليس
يتصل به كاتصال من بافعل في قولك هو افضل من زيد فلفظة من في بيت المتنبي في موضع صفة
وصف لاسود واذا اريد المفاضلة والتعجب كانت منصوبة الموضع باسود كما تقول زيد خير منك فمنك
في موضع نصب بخير كأنه قال فضل زيد عليك اي فضلك في الخير وهذا التأويل المذكور في بيت المتنبي
يمكن ان يقال في قول الشاعر ابيض من اخت بني اباض ويحمل على انه اراد من جملتها ومن قومها
ولم يرد التعجب وتأويله على هذا الوجه اولى من حمله على الشذوذ واما قول المتنبي ابعد بعدت بياضا
لا بياض له فالمعنى الظاهر ان الناس يرون انه ذو ضياء لانه نور واشراق من حيث كان خلوا من حزنا
من فانه يقتضي التجمل وهذا لعمري معنى ظاهر الا انه يمكن فيه معنى آخر وهو ان يريد انه بياض لا
لون بعده لان البياض آخر الوان الشعر فجعل قوله لا بياض له بمنزلة قوله لا لون بعده فانما سوغ ذ
لك ان البياض هو الذي بعد السواد فلما نفى ان يكون للشيب بياض كان نفيا لان يكون بعده

لون

تقيء الأرض أفلاذ كبدها — الخبر

لون وقد اختلف القراء في فتح الميم وكسرها من قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى فقرأ ابن كثير
ونافع وابن عامر بفتح الميمين معا وقرأ عاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي بكسر الميم منهما معا وفي
رواية حفص عن عاصم لا يكسرهما وكسر ابو عمرو الاولى وفتح الاخيرة ولكل وجه اما من ترك امالة
الجميع فانه الاحسن لان كثيرا من العرب لا يميلون هذه الفتحة ومن امال الجميع فوجه قوله انه نحا
بالالف نحو الياء ليعلم انها انقلبت عن الياء واما قراءة ابي عمرو بامالة الاولى وفتح الثانية فوجه
قوله ان يجعل الثاني افعل من كذا مثل افضل من فلان فاذا جعلها كذلك لم تقع الالف في آخر الكلمة
لان آخرها انما هو من كذا وانما الامالة تحسن في الاواخر وقد حذف من افعل الذي هو للتفضيل الجار و
المجرور جميعا وهما مرادان في المعنى واخفى من السر وكذلك قوله تعالى فهو في الآخرة اعمى اي اعمى منه
في الدنيا واعمى من غيره ويقوي هذه الطريقة ما عطف عليه من قوله تعالى واضل سبيلا
فكما ان هذا لا يكون الا على افعل من كذا كذلك المعطوف عليه ثم [illegible] روى ابو هريرة
النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال تقيء الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة
فيجيء القاتل فيقول في مثل هذا قتلت ويجيء القاطع الرحم فيقول في مثل هذا قطعت رحمي ويجيء
السارق فيقول في مثل هذا قطعت يدي ثم يتركونه لا يأخذون منه شيئا معنى تقيء ان تخرج ما
فيها من الذهب والفضة وذلك من علامات قرب الساعة وقوله تقيء تشبيه واستعارة من حيث كان
اخراجها واظهارها وكذلك تشبيه ما في الارض من الكنوز بالكبد لان [illegible] الكبد التي في بطن البعير و
غيره من [illegible] هذا مذهب معروف قال [illegible] العبدي يصف [illegible] للاضياف
لها [illegible] اللحم او مليه عن العظام الا ما [illegible] [illegible] القلات
[illegible] فوصفها بالغضب تشبيها واستعارة فاما الافلاذ فهو [illegible]
العرب تقول [illegible] مثل [illegible] الصوف [illegible] اي غضبت [illegible]
اي اغضبته قال النابغة الجعدي في معنى الاستعارة ؛ سألتني [illegible] هلكوا ؛ شرب الدهر عليهم
واكل ؛ فوصف الدهر بالشرب والاكل تشبيها واستعارة وقال قوم معنى البيت شرب اهل الدهر
بعدهم واكلوا واختلف اهل اللغة في الافلاذ فقال يعقوب بن السكيت الفلذ لا يكون الا للبعير وهو
قطعة من كبده ولا يقال فلذ الشاة ولا فلذ البقرة ويقال اعطني فلذا من الكبد وفلذة من الكبد
قال اعشى باهلة ؛ تكفيه حزة فلذ ان الم بها ؛ من الشواء ويروي شربه الغمر ؛ والغمر القدح الصغير
وقال يعقوب لا يقال اعطني حزة من سنام ولا من لحم وانما الحزة في الكبد خاصة فاذا اراد ذلك
من السنام واللحم قالوا اعطني جدبة من لحم وهي الصغيرة وفلقة من سنام وقال الطوسي [illegible]
عن الاصمعي لا يقال اعطني جدبة من لحم وحزة من لحم اذا كانت مقطوعة طولا فاذا كانت مجتمعة [illegible]

ابن حنين من لحم وقبره من لحم وعقدة ومثل هذا الحديث قوله تعالى وأخرجت الارض اثقالها معناها
أخرجت ما فيها من الكنوز وقال قوم عنى به الموتى وانما اخرجت موتاها فسمى الله تعالى ذلك اثقالا تشبيها
بالحمل الذي يكون في البطن لان الحمل يسمى ثقلا قال الله تعالى فلما اثقلت دعوا الله ربهما والعرب تقول
ان للسيد الشجاع ثقلا على الارض فاذا مات سقط عنها بموته ثقل قالت الخنساء ترثي اخاها صخرا
أبعد ابن عمرو من آل الشريد : حلت به الارض اثقالها : معناه انه لما مات حل عنها بموته ثقل كبوده
وشرفه وقال قوم معنى حلت زينت موتاها وهو مأخوذ من الحلية وقال الشمردل اليربوعي يرثي
اخاه وحلت به اثقالها الارض وانتهى ثواه منها وهو عقد شمائل روى هشام بن المنذر قال قال
زهير بن ابي سلمى المزني بيتا ثم اكدى فمر به النابغة الذبياني فقال له يا ابا امامة اجز فقال وماذا
قال : تزال الارض اما متخضا : وتحيى ان حييت بها ثقيلا : نزلت بمستقر العز منها : فاذا فاع كذا
واعيا النابغة واقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له ابوه اجز يا بني فقال وماذا فانشده البيت الاول
ومن الثاني قوله بمستقر العز منها فقال كعب فتمنع جانبيها ان يزولا فقال زهير اشهد انه والله ابني
وانما عنى الكبد من بين ما يشتمل عليه البطن لانه من اطايب الجزور والعرب تقول اطايب الجزور
السنام والملحاء والكبد قال الشريف قدس الله روحه واني لاستحسن قول الخنساء وقد قيل لها انما مدحت
اخاك حتى هجوت اباك فقالت : جارى اباه فاقبلا وهما : يتعاوران ملاءة الحضر : حتى اذا نزت
القلوب وقد : لزت هناك العذر بالعذر : وعلا هتاف الناس ايهما : قال المجيب هناك لا ادري
برقت صحيفة وجه والده : ومضى على غلوائه يجري : اولى فاولى ان يساويه : لولا جلال السن
والكبر : وهما كانهما وقد برزا : صقران قد حطا الى وكر : ويقال انه قيل لابي عبيدة ليس هذه
الابيات في مجموع شعر الخنساء فقال ابو عبيدة العامة اسقط من ان يجاد عليها بمثل ذلك ولعمري
انها قد بلغت بتصحيح اخيها من غير ازراء على ابيها النهاية لانها جعلت تقدم ابيها له عن تقديم
منه على المساواة وعن عجز وتقصير منه وانما فرج له عن السبق معرفة له بحقه وفضيلة الكبر سنه
كان الخنساء نظرت في هذا المعنى الى قول زهير فتح بها الاماعز وهو يهوى : هوي الدلو اسلمها
الرشاء : فليس لحاقه كلحاق الف : ولا كنجاتها منه نجاء : وبعد هذا اذا اختلفت عليهم اتمام
السن منه والذكاء : ويشبه ان يكون الكميت اخذ من الخنساء قوله في مخلد بن يزيد بن المهلب
ما ان ارى كابيك ابيك اشاوة : احدا وشبلك طالبا لحوق : تتجاريان لد فضيلة سنه : ولو
نعتد مصليا او تسبق : ان تعزيا فلاه فضيلة سبقه : وبمثل جدك وابيك لو شحقيق : ولئن
لحقته على ما قد مضى : من سنه فانه والخلق المعنى قول المؤمل بن اميل الكوفي المحاربي
بمدح المهدي وهارون المنصور : لئن فت الملوك وقد توافوا : اليك من السهولة والوعور لقد

فأنت

اشعار الخنساء

قوله تعالى وجاؤا على قميصه بدم كذب الآية

فاتت الملوك ابوك يحيى : بقوا من بين كاب وحسير : وحبت وراءه مجريا حثيثا : وما بك حين تجري
من فتور : فقال الناس ما هذان الا : بمنزلة الخليق من الجدير : فان سبق الكبير فاهل سبق
له فضل الكبير على الصغير : وان بلغ الصغير مدى كبير : فقد خلق الصغير من الكبير : ومن هذا قول
الشاعر جرى اخرت في حلبة فتفاضلت : على قدر الاشياء والعرق واحدة : وتمام هذا المعنى بعض
الشبه وان لم يذكر فيه السن وتفضيل الكبير قول النمير في الجواد فان لم يحويا شاوهما : على انه
فضله جمعا : او يسبقاه على ما كان من مهل : فمثل ما قدما من صالح سبقا : ويروى انه عرضت
على جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي جارية شاعرة فاراد ان يبلوها فقال لها قولي شيئا في معنى بيتي
زهير اللذين ذكرناهما فقالت بلغت وكدت يحيى او لحقته : فلما تدانا في شأو مستبق : لكن
مضى قدما يحيى فاذا له : قال بعلك دون الركض بالعنق : ومن احسن ما قيل في المساواة والمقاربة
وهو داخل في هذا المعنى مناسب له قول عبد بن شبل : اذا اخترت من قوم خيار خيارهم
فكل بني عبد المدان خيار : جروا معا والحلبة فضل بينهم : بان قيل قد فات العذار عذار
وقول الكميت مصل ابوه له سابق : مان قيل فات العذار العذار ومثله قول العتابي
وهو يمدح جدا كما تقادف حرتي في لفظها سبقا باذانها تراق بالعذر واول من سبق الى
هذا المعنى زهير في قوله يصف مطاير البازي للقطاة ومقاربته لها دون السماء وفوق
الارض عند دها عند الذنابي فلا فوت ولا درك وقد لحظ ابو نواس هذا المعنى في قوله يمدح
الفضل بن الربيع وتذكر مقاربته لابيه في الفضل والسود ثم جرى الفضل فانثنى مدى ما
دون مدا من غير تقصير معقبل راشاهما براد ببرز الغاية والفضل سابق الفوق ويشبه
ذلك قول البحتري في ابن ابي سعيد النقري جلكين ابي سعيد انه نزل النعمان كاد له يشرف
فاسمه انخلا قد هي الردي للمعتدي هي الليث المعتفي فاذا جريا من غاية وجريت من اخرى
التقاشاوا كما في المنصف ويشبه ايضا قوله واذا رايت شمائل ابني صاعد ادت اليك
شمائل ابني مخلد كالفرقدين اذا تامل ناظر لم يعل موضع فرقد عن فرقد واما قول الخنساء جاريا
ملاءة الحضر وهو يعني بالملاءة الغبار فان عدي بن الرقاع كانه نظر اليها في قوله يصف حمارا واتانا
يتعاوران من الغبار ملاءة : بيضاء محدثة هما نسجاها : تطوى اذا وطئا مكانا جاسيا : واذا
السنابك اسهلت نشراها وهذا المعنى وان كان هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد في استيفائه
زيادة ظاهرة صار بها احق به منها وقد اخذ هذا المعنى وحل من بيته عقيل فقال
تقيد بيشران من هجم الغبار عليهما قميصين اسمالا ويرتديان مجلس آخر ان سأل سائل
عن قوله تعالى وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله

على ما تصفون فقال كيف وصف الدم بانه كذب والكذب من صفات الاقوال لا من صفات الاجسام
واى معنى لوصفه الصبر بانه جميل فمعلوم ان صبر يعقوب عليه السلام على فقد ابنه لا يكون الا
جميلا ولم اوقع الصبر موقع المقتضى لرفعه الجواب يقال له اما الكذب فمعناه انه مكذوب فيه و
عليه مثل قولهم هذا ماء سكب وشراب صب يريدون مسكوبا ومصبوبا وشلة ماء غور و
رجل صوم وامرأة نوح قال الشاعر تظل جيادهم نوحا عليهم مقلدة اعنتها صفونا اراد
نائحات عليهم ومثله ما لفلان معقول يريدون ما له عقل وما له على هذا الامر مجلود يريدون جلد قال
الشاعر حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا وانشد ابو العباس ثعلب قد والت
تتمنى التمام بعد ما بلغ العزاة وادرك المجلود وقال الفراء وغيره يجوز في التوبيخ كذبا بالنصب
على المصدر لانهم جاؤوا فيه معنى كذبوا كذبا كما قال الله تعالى والعاديات ضبحا فنصب ضبحا على
المصدر لان العاديات بمعنى الضابحات وانما ادعى انه مكذوب فيه لان اخوة يوسف عليه السلام
ذبحوا سخلة ولطخوا قميص يوسف عليه السلام بدمها وجاؤوا اباهم بالقميص وادعوا اكل الذئب له
فقال لهم يعقوب عليه السلام يا بني لقد كان هذا الذئب رفيقا حين اكل ابني ولم يخرق قميصه
قالوا بل قتله اللصوص فقال كيف قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه احوج منهم الى قتله و
قيل انه كان في قميص يوسف ثلاث آيات حين قد قميصه من دبر وحين القي على وجه ابيه فارتد بصيرا
وحين جاؤوا عليه بدم كذب فنبهه ذلك على ان الذئب لو اكله لخرق قميصه واما وصف الصبر
بانه جميل فلان الصبر قد يكون جميلا وغير جميل وانما يكون جميلا اذا قصد به وجه الله تعالى وفعل للوجه
الذي وجب فلما كان في هذا الموضع واقعا على الوجه المحمود حسن وصفه بذلك وقد قيل ان الصبر
لا شكوى فيه ولا جزع ولو لم يصفه بذلك لظن مصاحبته الشكوى والجزع له فاما ارتفاع قوله
تعالى فصبر جميل فقد قيل ان المعنى فشأني صبر جميل والذي اعتقده صبر جميل وقال قطرب معناه
فصبري صبر جميل وانشد شكا الي جملي طول السرى يا جملي ليس الى المشتكى صبر جميل
فكلانا مبتلى معناه فليكن منك صبر جميل وقد روي ان في قراءة ابي فصبرا جميلا بالنصب
وذلك يكون على الاغراء والمعنى فاصبري يا نفس صبرا جميلا قال ذو الرمة الا انما مي فصبرا بلية
وقد يبتلى الحر الكريم فيصبر وقال الاخر ابى القلب ان ينفك يهوى نباتة فصبرا على ما شاءه الله
لي صبرا تأويل خبر في الحديث ان قيس بن عاصم قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وآله و
سلم فقال هذا سيد اهل الوبر فقلت يا رسول الله الذي ليس علي فيه تبعة من طالب ولا ضيف
فقال عليه السلام نعم المال الاربعون والاكثر ستون وويل لاصحاب المئين الا من اعطى الكريمة ومنح
الغزيرة ونحر السمينة فاكل واطعم القانع والمعتر وفي رواية اخرى الا من اعطى من رسلها واطرق فحلها

وافقر ظهرها

قال عليه السلام نعم المال الاربعون والاكثر ستون الخبر

وافقر ظهرها ومنح غزيرتها واطعم القانع والمعتر فقلت يا رسول الله ما اكرم هذه الاخلاق واحسنها
انه لا يحل بالوادي الذي انا فيه ابل من كثرتها فقال كيف تصنع في العطية قلت اعطي البكر و
اعطي الناب قال فكيف تصنع في المنحة قلت اني لامنح المائة قال فكيف تصنع في الطروقة قلت يغدو الناس
بابلهم فلا يوزع رجل عن جمل يختطمه فيمسكه ما بدا له حتى يكون هو الذي يرده وفي الرواية الاخرى
قال فكيف تصنع في الاطراق قلت يغدو الناس فمن شاء ان يأخذ برأس بعير ذهب به قال فكيف
تصنع في الافقار قلت اني لافقر الناب المدبرة والضرع الصغيرة قال فكيف تصنع في المنحة قلت
اني لامنح في السنة المائة قال فمالك احب اليك ام مال مواليك قلت لا بل مالي قال فانما مالك ما
اكلت فافنيت او اعطيت فامضيت وفي الرواية الاخرى او لبست فابليت وسائره لمواليك فقلت
لا جرم والله لئن رجعت اليها لاقلن عددها فلما حضره الموت جمع بنيه فقال يا بني خذوا
عني فانكم لن تأخذوا عن احد هو انصح لكم مني لا تنوحوا علي فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لم ينح عليه وقد سمعته ينهى عن النياحة وكفنوني في ثيابي التي كنت اصلي فيها وسودوا اكابركم فانكم
اذا سودتم اكابركم لم يزل لابيكم فيكم خليفة واذا سودتم اصاغركم هان اكابركم على الناس وزهدوا
فيكم واصلحوا عيشكم فان فيه غنى عن طلب الى الناس واياكم والمسألة فانها اخر كسب المرء واذا
دفنتموني فاخفوا قبري عن بكر بن وائل فقد كانت بيننا خماشات في الجاهلية فلا آمن سفيههم
ان يدخل عليكم عيبا اما قوله عليه السلام الاكثرون معناه الكثير تقول العرب نسأل الله الكثر
ونعوذ به من القل اي نسأله الكثير ونعوذ به من القليل قال الشاعر فان الكثر اعياني قديما ولم اقتر
لدن اني غلام وقال الاخر وقد يقصر القل الفتى دون همه وقد كان لولا القل طلاع انجد والكريمة
يعني بها كرائم ماله والمنح الغزيرة اي اعطيها من يحلبها ويردها ومن ذلك الحديث العارية مؤداة و
المنحة مردودة والدين مقضي والزعيم غارم فالمنحة الناقة والشاة يدفعها الرجل الى من يحلبها وينتفع
بلبنها ثم يردها عليه والزعيم الكفيل ويقال له ايضا القبيل والصبير والحميل ومنه قوله تعالى
وانا به زعيم وقال الشاعر فلست بآمر فيها بسلم ولكني على نفسي زعيم وقال الآخر فلست كفيلك
رهن بالرضا فادعي ما عنده فالك قد وجب معنا الكفيل قبيل مشتق من القبيل الذي هو
الكفيل ايضا وقال الفراء القانع هو الذي يسألك فما اعطيته قبل والمعتر الذي يعتريك
عند الذبيحة ويمسك عن السؤال فكانه يعترض بالمسألة ولا يصرح بها يقال قنع الرجل قناعة
اذا رضي وقنع قنوعا اذا سأل فاما قوله لا جرم فقال قوم معنى جرم كسب وقالوا في معنى قوله تعالى
لا جرم ان لهم النار انه رد على الكفار ثم ابتدأ فقال جرم ان لهم النار بمعنى كسب قولهم ان
لهم النار وقال الشاعر نصبنا رأسه في جذع نخل بما جرمت يداه وما اعتديا اي بما كسبت

وقال آخر في معنى جرم حقا جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا اراد حقت فزارة وروى الفراء عن
بالنصب على معنى كسبت الطعنة فزارة الغضب وقال الفراء لاجرم في الاصل بمنزلة لا بد ولا محالة
ثم استعملته العرب في معنى حقا وبأنه جرى مجرى الايمان فقالوا لا جرم لآتينك كما قالوا والله لآتينك
وفيها لغات يقال لا جرم ولا جُرْم بضم الجيم وتسكين الراء ولا جر بحذف الميم ولا ذا جرم قال الشاعر
ان كلابا والده لا ذا جرم لاهدرن اليوم هدرا في النعم هدر المعنى ذي الشقاشق اللهم الناب
الناقة الهرمة وجمعها نيب ومثلها الشارف قال الشاعر لا افتأ الدهر ابكيهم بادمعة ما اجترت
النيب او حنت الى بلد ويقال للبعير اذا كبر جدا عود والانثى عودة قال الشاعر عود على عود من
القدم الاول يموت بالترك ويحيى بالعمل وهذا من ابيات المعاني ومعناه بعير عود على طريق مثله
وهي الطريق يعني انه عود لتقادمه تشبيها بالبعير وقوله يموت بالترك ويحيى بالعمل اراد انه اذا سلك
وطرق ظهرت آثاره ووضحت طرقه فاهتدى بها ركبه السالكون فلم يعدل عن قصده ومتى هجر كالعامل
واذا لم يسلك طمست آثاره وانمحت معالمه فلم يهتد فيه راكب لقصده وكان ذلك كالموت له فاما الخنا
فهي الخيانة والجهالة قال ذو الرمة يذكر الحمار والاتن ورابع لها امدا وقال الحرث بن ورقاء خنا شنا
دخل ابراد امثالها يريد بقوله ابراد امثالها اي ابرادا اقتصاصها يقال اشكينه من هذا الاحل
واقتضني اقتضاء يعني واحد فاما قوله لا يورع دحلا اي لا يحبس ولا يمنع يقال ورعت الرجل عن
اذا منعته وكففته والورع هو المتحرج المانع نفسه مما تدعوا اليه يقال قد ورع وورعا ودعو قال
لبيد اكل يوم هامتي مقزعة لا يمنع الفتيان من حسن الرعة ويقال ما ورعت ان فعلت كذا
وكذا اي ما كذبت فاما الورع بالفتح فهو الجبان واما الطرقة فهي ان لا فحلات لها ان تطرق وهي الحقة
وقوله في الرواية الاخرى الا من اعطى رسلها فالرسل اللبن والافقار هو ان يركبها الناس ويحملهم على
ظهورها ماخوذ من فقر الظهر والاطراق الفحول هو ان يبذلها لمن يحتاج اليها على تلف بذله وذكر الطرق
في هذه الرواية احب الى من الطرقة لانه قد تقدم من قوله انه يعطي الناب والبكر والضرع والمالية فلا
فائدة في ذكر الطرقة وقوله في الجواب بعده والناس فلا يورع رحل عن حمل حطمه فيمسكه عما بداله ثم
لا يحتمل ضد الاطراق ولا يليق بمعنى الطرقة قال وكان قيس بن عاصم شريفا في قومه حليما ولكنه ابي
وكان الاحنف بن قيس يقول تعلمت الحلم من قيس بن عاصم اتى بقاتل ابنه فقال رعبتم الفتى واقبل
عليه فقال يا بني لقد نقصت عددك واوهنت ركنك وفتنت في عضدك واشمت عدوك
اساءت بقومك خلوا سبيله وقاحل حبوته ولا تغير وجهه وقال ابن الاعرابي قيل لقيس بما
سدت قومك قال ثلاث بذل الندى وكف الاذى ونصر المولى وذكر المدايني قال كان قيس
بن عاصم يقول لبنيه اياكم والبغي فانه ما بغى قوم قط الا قلوا وذلوا وكان الرجل من بنيه يظلم بعضهم

فنهي

ولبيد ايضا بيت

ابي دهبل الجمحي الشاعر

فنهى الحوفزان فيصده وقيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان ابن شريك الشيباني بطعنة في يوم جدبة
فسمي الحارث الحوفزان وقال سوار بن حيان المنقري ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة سقته نجيعا
من دم الجوف اشكلا وحمران قسرا انزلته رماحنا فعالج غلا في ذراعيه مثقلا وفي يوم جدبة
يقول ابن بن عاصم جزى الله يربوعا باسوء سعيها اذا ذكرت في النائبات امورها ويوم جديد
قد تحضتم دياركم وسالمتم والخيل تدمى نحورها ستخطم سعد والرباب انوفكم كما حز في انف
القضيب جريرها القضيب الناقة المقتضبة الصعبة وفي قيس يقول عبدة بن الطبيب يرثيه عليك
سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء ان يترحما سلام امرئ جللته منك نعمة اذا زار عن
بلاد لك سلما فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما قال سيدنا الشريف
المرتضى قدس الله روحه ذاكر في بعض الاخبار يقول لابي دهبل الجمحي وهو يعني ناقته وابرد
من بطن مكة بعدما اصات المنادي بالصلاة فاعتما وسالني اجاره هذا البيت ما يبات مخضم اليه
واجعل الكلام فيه كانها كناية عن امراة لا عن ناقة فقلت في الحال فطيب مرآها المقام وضوا
ما بين الحطيم وزمزما فيا رب ان لقيت وجها تحية فحي وجوها بالمدينة سهما تجاوز
عن مس الدهنا وطالما عصمن عن الحناء كفا ومعصما وكم من جليل لا يخاشر الهوى شتمن عليه
الوجد حتى تتيما اهان لهن النفس وهي كريمة والقى اليهن الحديث المكتما تسفهت لما ان مررت
بدارها وعوجلت دون الحلم ان تتحلما فعجت تقرى دارسا متنكرا وتسأل مصروفا عن النطق
اعجما ويوم وقفنا للوداع وكلنا يعد مطيع الشوق من كان احزما ونصر بقلبي لا يعنف في الهوى
وعيني متى استمطرتها قطرت دما وكان ابو دهبل من شعراء قريش وممن جمع الى الطبع التجويد واسمه
وهب بن زمعة بن اسيد بن احيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح واسمه تيم بن عمرو بن هصيص بن
كعب بن لؤي بن غالب وكان سمي جمح تيما واسم اخيه زيدا وهما ابنا عمرو بن هصيص فاستبقا الى
غاية فحبسه تيم عن الغاية فقيل جمح تيم فسمي جمح ووقف عليهما زيد فقيل سهم زيد فسمي سهما فاما
كنيته فهو مشتقة من الدهبلة وهي المشي الثقيل يقال دهبل الرجل دهبلة اذا مشى مشيا ثقيلا
اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا محمد بن يحيى النحوي
قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال قيل لابي عمرو بن العلاء ما يعجبك من شعر ابن دهبل الجمحي قال
قوله ما عمر حتم فراقكم عمرا وعزمت منا النأي والهجرا يا عمر شيخك وهو ذو شرف يرعى
الذمار ويكرم الصهرا والله ما احببت حبكم لا ثيبا خلقت ولا بكرا ان كان هذا السحر منك فلا
ترع على وجدد سحرا احدى بني اود كلفت بها حملت بلا ترة لنا وترا وترى لها دلا اذا نطقت
تركت بنات فؤاده صعرا كتساقط الرطب الجني من الاقناء لا نثرا ولا نزرا ومقالة منكم

وجه تكرار الآي في سورة الرحمن وسورة الجحد

عوجي لها جيد اربدها يا لك العذراء * ومرها بسركم عدلت به عما يحاول معلقه اوعزا * قال
تقيم لنا النجم به يوم فيتيم عيدنا شهراء * ما ان ابهم لحاجة عرضت * الا لا ابكم عدتاء * واذا
هممت بحلفه عدت * واذا انشاتم نعقد نفراء * الى الارض فاد صبت به * وادى الحين حاشكم
شكراء وروى ابو عمرو الشيباني لابي دهبل * يا ليت من يمنع المعروف يمنعه * حتى يذوق
رجال غب ما صنعوا * وليت رزق رجال مثل نائلهم * قوت كقوت ووسع كالذي وسعوا
ويروى حتى يذوق كغيبق ووسعا كالذي اتسعوا * وليت للناس حظا في وجوههم * تبين اخلاقهم
فيه اذا اجتمعوا * وليت ذا الفحش لاقى فاحشا ابدا * ووافق الحلم اهل الحلم فاتدعوا * ولابي دهبل
في قتل الحسين بن علي عليهما السلام * تبيت النشاوى من امية نوما * وبالطف قتلى ما ينام حميمها
وما ضيع الاسلام الا عصابة * تأمر نوكاهم فدام نعيمها * وصارت قناة الدين في كف ظالم
اذا مال منها جانب لا يقيمها * واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال
حدثنا احمد بن يحيى قال روى ابو عمرو الشيباني لابي دهبل فقال يقال انها للمجنون * وانوك
ليلى ليس بيني وبينها * سوى ليلة اني اذا لصبور * هبوني امرا منكم اضل بعيره * له ذمة ان
الذمام كبير * وللصاحب المتروك اعظم حرمة * على صاحب من ان يضل بعير * عفا الله عن
ليلى الغداة فانها * اذا وليت حكما علي تجور * وروى ابو عمرو الشيباني لابي دهبل وقد رواه ابو تمام
في الحماسة له * اقول والركب قد مالت عمائمهم * وقد سقى القوم كاس النعسة السهر * يا ليت اني
باثوابي وراحلتي * عبد لاهلك هذا الشهر مؤتجر * ان كان ذا قدر يعطيك نافلة * منا ويحرمنا
ما انصفت القدر * واخبرنا المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى قال مثل ابي دهبل * ولو تركنا
لاهلك الله امرهم * فلم يجمعوا الا من الشر يجمع * ومثل صرف الدهر تهوي بجيشنا * ومثل قسيمهم
الدهر والدهر العوج * قول العجاج لرؤبة ابنه يشكو ملما استطال عمره وتمنى موته * لما رأى
ارعشت اطرافي * استعجل الدهر وفيه كاف * يخترم الالف عن الالاف * قال ومثله اعددت لي
هم لا يزال كاثر * وان اوان منطو لي على وتر * بعين على الدهر والدهر مكتف * واذا استعنته
لا يعين على الدهر قال قدس الله روحه ومثل الجميع قول ابي احمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
الى كم يكون العتب في كل ساعة * وكم لا تملين القطيعة والهجرا * رويدك ان الدهر فيه كفاية
لتفريق ذات البين فانتظري الدهرا

مجلس آخر

ان سال سائل فقال ما وجه التكرار
في سورة الكافرين وما الذي حسن اعادة النفي لكونه عابدا ما يعبدون وكونهم عابدين لما
يعبد وذكر ذلك مرة واحدة يكفي وما وجه التكرار ايضا في سورة الرحمن لقوله فباي آلاء ربكما
تكذبان الجواب يقال له قد ذكر ابن قتيبة في معنى التكرار في سورة الكافرين وجها قال ان القرآن

لم ينزل

ويشبه قول ابي دهبل

ينزل دفعة واحدة وانما كان ينزل شيئا بعد شيء والامر في ذلك ظاهر وكان المشركون اتوا النبي صلى
الله عليه وآله وسلم فقالوا له استلم بعض آلهتنا حتى نؤمن بك ونصدق بنبوتك فامر الله سبحانه
بان يقول لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ثم غبر واحدة من الزمان وجاؤه
فقالوا له اعبد بعض آلهتنا واستلم بعض اصنامنا يوما او شهرا او حولا لنفعل مثل ذلك بالهك
فامره الله تعالى ان يقول لهم ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد اي اذا كنتم لا تعبدون
الهي الا بهذا الشرط فانكم لا تعبدونه ابدا وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بان قال انه يقتضي
شرطا وحذفا لا يدل عليه ظاهر الكلام وهو ما شرطه في قوله ولا انتم عابدون ما اعبد قال واذا كان
ما نفاه عن نفسه من عبادة ما يعبدون مطلقا غير مشروط فكذلك ما عطفه عليه وهذا الطعن
غير صحيح لانه لا يمتنع اثبات شرط بدليل وان لم يكن في ظاهر الكلام ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق
مع قيام الدلالة والجواب عن هذا السؤال ثلاثة اجوبة كل واحد منها اوضح مما ذكره ابن قتيبة اولها
ما حكي عن ابي العباس ثعلب انه قال انما حسن التكرار لان تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الاخرى
وتلخيص الكلام قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال ولا انتم عابدون
ما اعبده في هذه الحال ايضا فاختص الفعلان منه ومنهم بالحال وقد قال من بعد ولا انا عابد
ما عبدتم في المستقبل ولا انتم عابدون ما اعبد فيما تستقبلون فاختلفت المعاني وحسن التكرار
لاختلافها ويجب ان تكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم انه لا يؤمن وقد ذكر مقاتل وغيره
انها نزلت في ابي جهل والمستهزئين ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم احد والمستهزئون هم العاص بن وائل
والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد المطلب والاسود بن عبد يغوث وعدي بن قيس والجواب الثاني وهو
جواب الفراء ان يكون التكرار للتاكيد كقول المجيب بلى بلى والممتنع لا لا مؤكدا ومثله قوله تعالى
كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وانشد الفراء وكائن وكم عندي لهم من صنيعة * ايادي
ثنوها علي واوجبوا * وانشد ايضا كم نعمة كانت لكم كم كم وكم * وقال آخر نعق الغراب ببين لبنى غدوة
كم كم وكم بفراق لبنى ينعق * وقال الآخر اردت لنفسي بعض الامور * فاولى لنفسي اولى لها والجواب
الثالث هو ان يكون ما نفى ان يعبده الاصنام التي تعبدونها ولا انتم عابدون ما اعبد اي انتم غير
عابدين الله تعالى الذي انا عابده اذا اشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها معبودة من دونه او معه
وانما يكون عابدا له من اخلص له العبادة دون غيره وافرده بها وقوله ولا انا عابد ما عبدتم اي لست
اعبد عبادتكم فما في قوله ما عبدتم في موضع المصدر كما قال تعالى والارض وما طحاها وعنيت
وما سواها اي وطحيه اياها وتسويته لها وقوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق
وبما كنتم تمرحون اي بفرحكم ومرحكم قال الشاعر يا ربع سلامة بالمنحنى بخيف سليع جاده الوابل
[illegible]

فاختلف

ان نمير وحشا فيما قد نرى وانت معود منا اهلا اراد هيمر ... معودا اهلا ومعنى قوله ولا انتم
عابدون ما اعبد اي لستم عابدين عبادتي على نحو ما ذكرناه ولو تكرر الكلام لاختلاف المعنى
وتلخيص ذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال للكفار لا اعبد المعبود الذي تعبدونه من دون
الله ولا انتم عابدون الحق فان زعمتم انكم عابدون الهي فانتم كاذبون اذ كنتم من غير الجهة التي امر بها
تعبدونه فانا لا اعبد مثل عبادتكم ولا انتم عابدون مثل عبادتي على ما انتم عليه تعبدون مثل عبادتي فان
قيل اما الخلاف في المعبود فلا شبهة فيه فما الوجه في الخلاف في العبادة قلنا انه صلى الله عليه وآله و
سلم كان يعبد الله مخلصا له العبادة ولا يشرك به شيئا وهم يشركون فاختلفت عبادتاهما ولانه
ايضا كان يتقرب الى معبوده بالافعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة وهم لا يفعلون تلك
الافعال ويتقربون بافعال غيرها يعتقدون جهلا انها عبادة وقربة فان قيل فما معنى قوله تعالى
لكم دينكم ولي دين وظاهر هذا الكلام يقتضي اباحته لهم المقام على اديانهم قلنا في هذه الاية وجوه
احدها اولها ان ظاهر الكلام وان كان ظاهره اباحة فهو وعيد ومبالغة في النهي والزجر كما قال تعالى اعملوا
ما شئتم وثانيها انه اراد لكم جزاؤكم ولي جزائي ويحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه وثالثها انه
اراد لكم جزاؤكم ولي جزائي لان نفس الدين هو الجزاء قال الشاعر اذا ما لقونا لقيناهم ودناهم
مثل ما يقرضونا فاما التكرار في سورة الرحمن فانما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعددة فكلما ذكر
نعمة انعم بها قرر عليها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره الم احسن اليك بان خولتك الاموال
الم احسن اليك بان خلصتك من المكاره الم احسن اليك بان فعلت بك كذا فيحسن منه التكرير لاختلاف
ما يقرر به وهذا كثير في كلام العرب واشعارهم قال مهلهل بن ربيعة يرثي اخاه كليبا على ان ليس عدلا
من كليب اذا طرد اليتيم عن الجزور على ان ليس عدلا من كليب اذا ما ضيم جيران المجير على ان ليس
عدلا من كليب اذا رجف العضاه من الجنوب على ان ليس عدلا من كليب اذا خرجت مخبأة الخدور
على ان ليس عدلا من كليب اذا ما اعلنت نجوى الامور على ان ليس عدلا من كليب اذا خيف المخوف
من الثغور على ان ليس عدلا من كليب غداة تلاتل الامر الكبير على ان ليس عدلا من كليب
اذا ما خار جأش المستجير وقالت ليلى الاخيلية ترثي توبة بن الحمير لنعم الفتى يا توب كنت اذا التقت
صدور العوالي واستشال الاسافل ونعم الفتى يا توب كنت ولم تكن لتسبق يوما كنت فيه تحاول
ونعم الفتى يا توب كنت لخائف اتاك لكي تحمي ونعم المجامل ونعم الفتى يا توب جارا وصاحبا
ونعم الفتى يا توب حين تناضل لعمري لانت المرء ابكي لفقده بجد ولو لامت عليه العواذل
لعمري لانت المرء ابكي لفقده ولو لام فيه ناقص الرأي جاهل لعمري لانت المرء ابكي لفقده
اذا كثرت بالملجمين التلاتل ابى لك ذم الناس يا توب كلما ذكرت امور محكمات كوامل

ابى لك ذم الناس يا توب كلما ذكرت سماح حين تأوي الارامل فلا يبعدنك الله يا توب انما لقيت حمام الموت
كذاك المنايا عاجلات وآجل ولا يبعدنك الله يا توب النفث عليك الغوادي المدجنات الهواطل
فتجد في هذه الابيات من تكرار ما تكرار لاختلاف المعاني التي عددتها على نحو ما ذكرناه وقال الحرث بن عباد
قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال ثم كرر قوله قربا مربط النعامة مني
في ابيات كثيرة من القصيدة للغرض الذي ذكرناه وقالت ابنة عم النعمان بن بشير ترثي زوجها
وحدثني اصحابه ان مالكا اقام ونادى صحبه برحيل وحدثني اصحابه ان مالكا ضروب
بنصل السيف غير نكول وحدثني اصحابه ان مالكا جواد بما في الرحل غير بخيل وحدثني اصحابه ان
مالكا خفيف على الحدثان غير ثقيل وحدثني اصحابه ان مالكا صروم كماضي الشفرتين صقيل
وهذا المعنى اكثر من ان نحصيه وهذا هو الجواب عن التكرار في سورة المرسلات بقوله تعالى ويل يومئذ
للمكذبين فان قيل فاحسن التكرار في سورة الرحمن ما عدده من الائه ونعمه فقد عدد في جملة
ذلك ما ليس بنعمة وهو قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران وقوله هذه
جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فكيف يحسن ان يقول بعقب هذا
فبأي آلاء ربكما تكذبان وليس هذا من الآلاء والنعم قلنا الوجه في ذلك ان فعل العقاب وان
لم يكن نعمة فذكره ووصفه والانذار به من اكبر النعم لان في ذلك زجرا عما يستحق به العقاب وبعثا على
ما يستحق به الثواب وانما اشار بقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان بعد ذكر جهنم والعذاب
فيها الى نعمته بوصفها والانذار بعقابها وهذا مما لا شبهة في كونه نعمة **فصل** قال السيد
الشريف المرتضى قدس الله روحه وكما انه كان في الجاهلية وقبل الاسلام وفي ابتدائه قوم
يقولون بالدهر وينفون الصانع وآخرون مشركون يعبدون غيره تعالى ويستنزلون الرزق
من عنده وهم الذين اخبر الله تعالى عنهم في كتابه وضرب لهم الامثال وكرر عليهم البينات والاعلام
فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يستتر باظهار الاسلام ويحقن باظهار شعاره والدخول في
جملة اهله دمه وماله زنادقة ملحدون وكفار مشركون فمنعهم عز الاسلام عن المظاهرة والجهار
خوف القتل الى المساترة وبلية هؤلاء على الاسلام واهله اعظم واغلظ لانهم يدغلون في الدين
ويموهون على المستضعفين بجأش رابط وراي جامع من فعل من قد امن الوحشة ووثق بالانسة بما
يظهره من لباس الدين الذي هو منه على الحقيقة عار وباثوابه غير متوار كما يحكى ان عبد الكريم
بن ابي العوجاء قال لما قبض عليه محمد بن سليمان وهو والي الكوفة من قبل المنصور واحضره للقتل
وايقن بمفارقة الحياة لئن قتلتموني لقد وضعت في احاديثكم اربعة آلاف حديث مكذوبة
مصنوعة والمشهورون من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك والحمادون حماد الراوية وحماد بن

الزبرقان وحماد عجرد وعبد الله بن المقفع وعبد الكريم بن ابي العوجاء وبشار بن برد ومطيع بن
اياس ويحيى بن زياد الحارثي وصالح بن عبد القدوس الازدي وعلي بن خليل الشيباني وغير هؤلاء
ممن لم نذكره وهم وان كان عددهم كثيرا فقد اقلهم الله واذلهم بما شهد له ولا بلد الواضح وبحجج
اللائحة على عقولهم من الضعف وادائهم من السخف ونحن نذكر من اخبار كل واحد ممن ذكرناه
وتهمته في دينه نبذة ونومي منها الى جملة كافية والذي دعانا الى التشاغل بذلك وان كان
غنايتنا بغيره اولى مشتملة من نوادر لطائفه ونوادر مستطرفة فتكلفناه لما فيه من جمله مع انه غير
خال من فائدة ينفع علمها ويشاد بروايتها وحفظها اما الوليد فكان مشهورا بالالحاد متظاهرا بالعناد
بالغناء غير محتشم في اطراح الدين احدا ولا مراقب فيه بشرا وفي الحديث انه ولد لاخي ام سلمة
زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غلام فسموه الوليد فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم سميتموه
باسماء فراعنتكم ليكونن في هذه الامة رجل يقال له الوليد لهو شر على هذه الامة من فرعون على
قومه قال الاوزاعي فسالت الزهري عنه فقال ان استخلف الوليد بن يزيد والا فهو الوليد بن عبد الملك
اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال كان الوليد
ابن عبد الملك قد عزم ان يبني فوق بيت الله الحرام قبة يشرب عليها الخمور ويشرف على الطواف فقال
الحجيج لقد رايت المجوسي البناء فوق الكعبة وهو يعتقد مواضع القبة فلم تمض تلك الليلة حتى وقع
الخبر بقتل الوليد واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني عبد الله بن يحيى العسكري عن ابي اسحق
الطلحي قال اخبرنا احمد بن ابراهيم بن اسماعيل عن ابي العالية عن بعض اهل العلم قال يزيد بن الوليد
وهو الملقب بالناقص لما ولي انشدت الله رجلا سمع شيئا من الوليد الا اخبرنيه فقام نوفل بن يزيد
فقال اشهد لسمعته يقول اسقياني واين حرب ٭ واسقيا نابا ذا ربه ٭ واتركا من طلب الجنة يسعى
من خساره ٭ سامسوس الناس حتى ٭ يركبوا على دين الحمار ٭ واخبرنا المرزباني قال اخبرني احمد بن
القاسم قال حدثنا محمد بن مكحول قال نشر الوليد بن يزيد يوما المصحف وكان خطه كانه اصابع وجعل
يرميه بالسهام وهو يقول اتذكرني الحساب ولست ادري ٭ احقا ما نقول من الحساب ٭ فقل لله يمنعني
طعامي ٭ وقل لله يمنعني شرابي ٭ قال سيدنا الشريف المرتضى رضي الله عنه وقد روي من هذا الخبر اعلى
ويلا طويلا وما اشد ما اقدم على الله من طعامه وشرابه وحياه وما اولى اللعين بالیم العقاب وشديد
العذاب لولا ما انتهم من الحلم وينظم من التكليف من تاخير المستحق من الثواب والعقاب حتى يصير هاهنا
احوال الطاعات والمعاصي اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني احمد بن كامل قال كان الوليد بن يزيد
زنديقا وانه فتح المصحف يوما فرأى فيه واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فاتخذ المصحف غرضا
ورماه بالنبل حتى مزقه وهو يقول اتوعد كل جبار عنيد ٭ فها انا ذاك جبار عنيد ٭ فان لقيت

الوليد بن يزيد

ربك يوم حشر ٭ فقل يا رب مزقني الوليد ٭ واما حماد الراوية فكان منهمكا من الدين زاريا على اهله
مدمنا الشرب للخمور وله كتاب الخمور وقال عمرو بن بحر الجاحظ كان مسلم بن زياد الهلالي ومطيع بن
اياس ويحيى بن زياد وحفص بن ابي وردة وقاسم بن زنقطة وابن المقفع ويونس بن ابي فروة وحماد عجرد
وعلي بن الخليل وحماد بن ابي ليلى الراوية وحماد بن الزبرقان ووالبة بن الحباب وعمارة بن حمزة بن ميمون ويزيد بن
الفيض وجبل بن محفوظ المهلبي وبشار بن برد المرعث وابان اللاحقي يجتمعون على الشرب وقول
الشعر ويهجو بعضهم بعضا وكلهم كان متهما في دينه وعمل يونس بن ابي فروة كتابا في مثالب العرب
وعيوب الاسلام بزعمه وصار به الى ملك الروم فاخذ منه مالا وقال احمد بن يحيى النحوي قال رجل يهجو
حمادا الراوية نعم الفتى لو كان يعرف ربه ٭ ويقيم وقت صلاته حماد ٭ بسطت مشافره الشمول فانفه
مثل القدوم يسنها الحداد ٭ وابيض من شرب المدامة وجهه ٭ فبياضه يوم الحساب سواد ٭ لا
يعجبنك بزه ولباسه ٭ ان المجوس ترى لها اسبابا ٭ وكان حماد الراوية مشهورا بالكذب في الرواية و
عمل الشعر واضافته الى الشعراء المتقدمين ودسه في اشعارهم حتى ان كثيرا من الرواة قالوا فيه
حماد الشعر لانه كان نحلا يقيد وعلى صنعته فيدس في شعر كل رجل منهم ما ليس له كل طريقته فاختلط
لذلك الصحيح بالسقيم وهذا الفعل منه وان لم يكن دالا على الالحاد فهو فسق وتهاون بالكذب في الرواية
واما حماد بن الزبرقان فهو الذي يتهمه الحرم والتهتك واخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن
دريد قال اخبرنا الاشنانداني قال دعا حماد بن الزبرقان ابا الغول النهشلي الى منزله وكانا يتقاربان
فانصرف ابو الغول فلم يزل المفضل حتى اجابه واطلعه فلما رجع الى المفضل قال انظر ٭ انت وحماد
قال اصطلحنا على ان لا امر بالشاذ ولا يدعوني الى شرب الخمر فانشد المفضل قوله نعم الفتى لو كان
يعرف ربه وذكر الابيات التي تقدمت في الرواية الاولى منسوبة الى هجاء حماد الراوية فاما حماد عجرد فشهرته
في الضلال تكفيه وكان يرمى مع ذلك بالثنوية اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني
علي بن محمد بن عبد الله الفارسي قال اخبرني ابي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني علي بن عبد الله بن سعد
قال حدثني السري بن الصباح الكوفي قال دخلت على بشار بالبصرة فقال يا ابا علي اني قد اوجعت صاحبكم
وبلغت منه يعني حماد عجرد فقلت بماذا يا ابا معاذ فقال بقولي فيه يا ابن نهيا راس علي ثقيل
واحتمال الراسين خطب جليل ٭ فادع غيري الى عبادة ربين ٭ فاني بواحد مشغول ٭ فقلت له اذن
في غنائه فقلت قد بلغ حماد هذا الشعر وهو يروى على خلاف هذا قال فما يقول قلت يقول فادع غيري
الى عبادة ربين ٭ فاني عن واحد مشغول ٭ قال فلما سمعه اطرق وقال احسن والله ابن الفاعلة
ثم قال ابي فلا احتشمك فلا تحدث احدا هذين البيتين وكان اذا سئل عنهما بعد ذلك قال ما هما
واخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هارون بن علي عن عمه يحيى بن علي عن عمر بن شبة قال حدثني خلاد

ابن المقفع

الا رفظ قال قال بشار بلغني ان رجلا كان يقرأ القرآن وحماد ينشد الشعر فاجتمع الناس على القارئ فقال حماد علام يجتمعون فوالله ما اقول احسن مما يقول فلعنه الناس على هذا وروى ابن شبة عن ابي عبيدة قال كان حماد عجرد يعير بشارا بالقبح لانه كان عظيم الجسم مجدورا طويلا جاحظ العينين قد تغشاهما لحم احمر فلما قال حماد فيه ٭ والله ما الخنزير في نتنه ٭ بربعه في النتن او خمسه ٭ بل ريحه اطيب من ريحه ٭ ومسه الين من مسه ٭ ووجهه احسن من وجهه ٭ ونفسه افضل من نفسه ٭ وعوده اكرم من عوده ٭ وجنسه اكرم من جنسه ٭ قال بشار ويلي على الزنديق لقد نفث بما في صدره قيل له وكيف ذلك قال اراد الزنديق قول الله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فاخرج الجحود بمخرج الهجاء وهذا خبث من بشار وتغلغل شديد لطيف واول من جعل نفي الالحاد تاكيدا للوصف به واخرج ذلك مخرج المبالغة بشار والوراق في حماد عجرد فقال لو ان ما بي في دينا ما غصبتهم جاؤا اليك لما قلناه زنديق انت العباءة والتوحيد منذ خلقنا وذا الزنديق ينرج مخاريق فاما ابن المقفع فان جعفر بن سليمان روى عن المهدي انه قال ما وجدت كتاب زندقة قط الا واصله ابن المقفع وروى ابن شبة قال حدثني من سمع ابن المقفع وقد مر ببيت نار للمجوس بعد ان اسلم فلمحه وتمثل ٭ يا بيت عاتكة الذي اتعزل ٭ حذر العدى وبه الفؤاد موكل ٭ اني لامنحك الصدود وانني ٭ قسما اليك مع الصدود لاميل ٭ وروى احمد بن يحيى ثعلب قال قال ابن المقفع يرثي يحيى بن زياد وقال الاخفش الصحيح انه يرثي بها ابن ابي العوجاء ٭ رزينا ابا عمرو ولا حي مثله ٭ فلله ريب الحادثات بمن وقع ٭ فان تك قد فارقتنا وتركتنا ٭ ذوي خلة ما في انسداد لها طمع ٭ لقد جر نفعا فقدنا لك اننا ٭ امنا على كل الرزايا من الجزع ٭ قال ثعلب البيت الاخير يدل على مذهبهم في ان الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج بالخير واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي من حفظه قال حدثنا خالد بن خداش قال كان الخليل بن احمد يحب ان يرى ابن المقفع وكان ابن المقفع يحب ذلك فجمعهما عباد بن عباد المهلبي فتحادثا ثلاثة ايام ولياليهن فقيل للخليل كيف رايت عبد الله قال ما رايت مثله وعلمه اكثر من عقله قال المغيرة فصدق فادى عقل الخليل علمه اكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رايت الخليل قال ما رايت مثله وعقله اكثر من علمه قال المغيرة فصدق فادى عقل الخليل الخليل الى ان مات ازهد الناس وجهل ابن المقفع اداه الى ان كتب امانا لعبد الله بن علي فقال فيه ومتى غدر امير المؤمنين بعمه عبد الله فنساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده احرار والمسلمون في حل من بيعته فاشتد ذلك على المنصور جدا وخاصة امر البيعة فكتب الى سفيان بن معاوية المهلبي وهو امير البصرة من قبله بقتله فقتله وكان ابن المقفع مع قلة دينه

ابن ابي العوجاء

الكلام فصيح العبارة له حكم وامثال مستفادة من ذلك ما روي ان يحيى بن زياد الحارثي كتب اليه يلتمس معاقدة الاخاء والاجتماع على المودة والصفاء فاخر جوابه فكتب اليه كتابا آخر يستبطئه فكتب اليه عبد الله ان الاخاء رق فكرهت ان املكك رقي قبل ان اعرف حسن ملكتك وكان يقول ذلل نفسك بالصبر على الجار السوء والعشير السوء والجليس السوء فان ذلك لا يكاد يخطئك وكان يقول اذا نزل بلاء مهم فانظر فان كان مما له حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع ودعاه عيسى بن علي الى الغداء فقال اعز الله الامير لست يومي للكرام اكيلا فقال ولم قال لاني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار وكتب الى بعض اخوانه اما بعد فتعلم العلم ممن هو اعلم منك وعلم من انت اعلم منه فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال لبعض الكتاب اياك والتتبع لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك هو العي الاكبر وقال لآخر عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب لالفاظ السفلة وقيل له ما البلاغة فقال التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها وقال لا تجاهدن من تخاف تكذيبه ولا تسال من تخاف منعه ولا تعدن ما لا تقدر على انجازه ولا تضمن ما لا تثق بالقدرة عليه ولا ترج ما تعنف برجائه ولا تقدم على ما تخاف العجز عنه وقال لبعض اخوانه اذا صاحبت ملكا فاعلم انهم قد يحسبون لك قلة الوفاء فلا تشعرن قلبك استبطاءه فانه لم يشعر احد قلبه شيئا الا ظهر على لسانه ان كان سخيفا وعلى وجهه ان كان حليما وكان يقول من فما سعى يشغل العالم عن الدنيا علمه بان الارزاق لم تقسم فيها على قدر الاخطار فاما ابن ابي العوجاء فقد ذكرنا ما روي من اعترافه بدسه في احاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم احاديث مكذوبة وروي انه رأى عند ابي ... وقد كتب عليه آية الكرسي فقال لصاحبه لم كتبت هذا عليه فقال للبركة فقال كم رأيت آية ٭ ولبشار فيه ٭ قل لعبد الكريم يا ابن ابي العوجاء بعت الاسلام بالكفر موقا ٭ لا تصلي ولا تصوم فان صمت فبعض النهار صوما دقيقا ٭ لا تبالي اذا اصبت من الخمر عتيقا ان لا تكون عتيقا ٭ ليت شعري غداة حليت في الجيد حنيفا حليت ام زنديقا ٭ فاما بشار بن برد فروى المازني قال قال رجل لبشار اتاكل اللحم وهو مباين لديانتك يذهب الى انه ثنوي فقال بشار ان هذا اللحم يدفع عني شر هذه الظلمة قال المبرد ويروى ان بشارا كان يتعصب للنار على الارض ويصوب راي ابليس في الامتناع من السجود وروي له ٭ الارض مظلمة والنار مشرقة ٭ والنار معبودة مذ كانت النار ٭ وروى بعض اصحابه قال كنا اذا حضرت الصلاة نقوم اليها ويقعد بشار فنجعل حوله اثوابنا لننظر هل يصلي فنعود والتراب بحاله لم يقم الى الصلاة اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن ابي عبد الله الفارسي قال اخبرني ابي قال حدثني بن مهرويه عن احمد بن خلاد فقال حدثني ابي قال كنت اكلم بشارا وارد عليه سوء مذهبه بميله الى الالحاد فكان يقول ما اعرف

بشار بن برد

الا ما عاينت او عاينه معاين فكان الكلام يطول بيننا فقال لي ما اظن امرنا الا سيظهر انك كأنك انت عندكم لان وفي ذلك اقول

طبعت على ما فيّ غير مخيّر هواي ولو خيّرت كنت المهذّبا
أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد وقصّر علمي أن أنال المغيّبا
وأصرف عن قصدي وعلمي مقصّر فأمسي وما أعقبت الا التعجّبا

قال الجاحظ كان بشار صديقا لواصل بن عطاء الغزال قبل ان يظهر مذاهبه المكروهة وكان بشار مدح واصل بن عطاء وذكر خطبته التي نزع منها الراء وكانت على البديهة فقال

تكلّفوا القول والأقوام قد حفلوا وحبّروا خطبا ناهيك من خطب
فقام مرتجلا تغلي بداهته كمرجل القين لما حفّ باللهب
وجانب الراء لم يشعر به أحد قبل التصفّح والاغراق في الطلب

ومثل ذلك قول بعضهم في واصل بن عطاء

ويجعل البرّ قمحا في تصرّفه وجانب الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرا والقول يعجله فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر

فلما اظهر بشار مذاهبه هتف به واصل وقام بذكره وتكفيره وبعد فقال بشار فيه

ما لي أشايع غزّالا له عنق كنقنق الدوّ ان ولّى وان مثلا
عنق الزرافة ما بالي وبالكم تكفّرون رجالا كفّروا رجلا

فلما تتابع على واصل ما يشهد بالحاده قال غير مرة اما لهذا الأعمى الملحد المشنّف المكنى بابي معاذ من يقتله اما والله لولا ان الغيلة سجيّة من سجايا الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه في جوف منزله او في يوم حفله ثم كان لا يتولى ذلك الا عقيلي او سدوسي فعدل واصل بن عطاء من البصير الى الأعمى ومن الكافر الى الملحد ومن المرعّث الى المشنّف ومن بشار الى ابي معاذ ومن الفراش الى المضجع وزاد قوم فقالوا ومن أرسلت الى بعثت ومن يبعج الى ... ومن منزله ومن المغيرية الى الغالية والأول أشبه بان يكون مقصودا بان ذكرت ثانيا فقد يتفق استعماله من غير عمد لها عن استعمال الراء فاما قوله لا يتولى ذلك الا عقيلي او سدوسي فلان بشارا كان مولى لبني عقيل وذكر يحيى سدوس لان بشارا كان نزل فيهم فاما لقب بشار بالمرعّث ففيه ثلاثة أقوال احدها انه لقّب بذلك لبيت قاله وهو

قال ريم مرعّث ساحر الطرف والنظر
لست والله نائلي قلت أو يغلب القدر

والقول الثاني انه كان لبشار ثوب له جيبان احدهما عن يمينه والآخر عن شماله فكان اذا اراد لبسه ضمّه عليه ضما من غير ان يدخل رأسه فيه فشبّه اسفلهما بالجيبين وشبّههما بالرعاث وهي القرطة فقيل المرعّث قال ابو عبيدة انما سمي المرعّث لانه كان يلبس في صباه رعاثا وهذا هو القول الثالث وكان بشار مقدما في الشعر جدا حتى ان كثيرا من الرواة يجعلونه يتقدم عصره عليه من المجودين اخبرنا المرزباني عن محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن الحسين اليشكري قال قيل لابي حاتم من أشعر الناس قال الذي يقول

ولها مبسم كغرّ الأقاحي وحديث كالوشي وشي البرود
نزلت في السواد من حبّة القلب ونالت زيادة المستزيد
عندها الصبر عن لقائي وعندي زفرات يأكلن صبر الجليد

يعني بشارا قال فكان يقدم على جميع الناس ولما قال بشار في بني امية

بني أمية هبّوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الناي والعود

فبلغ ذلك المهدي فوجد عليه وكان ذلك سببا لقتله

مجلس آخر

فاما مطيع بن اياس الكناني فاخبرنا عبيد الله المرزباني عن علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي عن ابي ايوب المديني عن احمد بن ابراهيم الكاتب الجرجي قال رأيت بنتا لمطيع قد أتي بها في أول أيام الرشيد فأقرّت بالزندقة وقرأت كتابهم وقالت هذا شيء علّمنيه ابي فقبل الرشيد توبتها وردّها الى اهلها قال محمد بن داود الجراح في اخبار مطيع انه كان يرمى بالزندقة وروي انه لما حضرته الوفاة أحاط به اهل بيته فأقبلوا يقولون له قل يا مطيع لا اله الا الله فلا يقول حتى اذا صار نفسه في ثغرة نحره ثم أهوى الى الكلام فقالوا له قل لا اله الا الله فتكلم كلاما ضعيفا فسمعوا فاذا هو يقول

لهف نفسي على الزمان فريدا أي زمان دهتني الأزمان
حار بالربيع واستقبل الصيف وطاب الطلاء والريحان

قال المرزباني وهذا الحديث يرويه الهيثم بن عدي ليحيى بن زياد فاما يحيى بن زياد الحارثي الكوفي فهو يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي الكوفي وزياد بن عبيد الله هو خال ابي العباس السفاح ويكنى يحيى أبا الفضل وكان يعرف بالزندقة وكانوا اذا وصفوا انسانا بالظرف قالوا هو أظرف من الزنديق يعنون يحيى لانه كان ظريفا وهذا المعنى قصده ابو نواس بقوله ... ومن ظرفه زنديق قال الصولي وانما قال ذلك لان الزنديق لا يمتنع من شيء ولا يتمنع مما يطلع عليه فنسب الى الظرف لمساعدته على كل شيء وقلة خلافه وروي انه قيل ليحيى بن زياد وهو يجود بنفسه قل لا اله الا الله فقال لا يبقى الا الغيظ والجلاء ثم اغمي عليه فلما افاق أعيد عليه القول فقال وما زال تغلي به المراجل وروى محمد بن يزيد قال قال مطيع بن اياس يرثي يحيى بن زياد وكانا جميعا مرميين بالخروج عن الملة

يا أهل بكوا لقلبي القرح وللدموع السواكب السفح
راحوا بيحيى الى مغيّبه في القبر بين التراب والصفح
راحوا بيحيى ولو تطاوعني الأقدار لم يبتكر ولم يرح
يا خير من يحسن البكاء له اليوم ومن كان أمس للمدح
قد ظفر الحزن بالسرور وقد أديل مكروهنا من الفرح

ولمطيع يرثيه

انظر الى الموت كيف بادهه والموت مقدام على البهم
لو قد تدبّرت ما صنعت به قرعت سنا عليه من ندم
فاذهب بما شئت اذ ذهبت به ما بعد يحيى للرزء من ألم

قال ابو صالح بن عبد القدوس ... متظاهرا بمذاهب الثنوية ويقال ان ابا الهذيل العلاف ناظره فقطعه ثم قال له على أي شيء تعزم يا صالح قال أستخير الله وأقول بالاثنين فقال ابو الهذيل فأيهما استخرت لا أم لك وروي ان ابا الهذيل ناظره في مسئلة مشهورة في امتزاج النور والظلمة فأقام عليه الحجة وانقطع فأنشأ يقول

أبا الهذيل هداك الله يا رجل فأنت حقا لعمري معضل جدل

علي بن الخليل

الله وهو يصلي صلاة تامة الركوع والسجود فقيل له ما هذا ومذهبك معروف فقال سنة البلد وعادة الجسد وسلامة الاهل والولد ويقال انه لما اراد المهدي قتله على الزندقة دعي اليه بكتاب وقال له اقرأ هذا قال وما هو قال كتاب الزندقة قال صالح او تعرفه انت يا امير المؤمنين قال نعم قال فاقرأه قال لا قال فلم تقتلني على ما لا تعرف قال صالح فقد عرفته ولست بزنديق فكذلك اقرأه ولست بزنديق وذكر محمد بن يزيد المبرد قال ذكر بعض الرواة ان صالحا لما نوظر فيما قرف به من الزندقة بحضرة المهدي قال له المهدي الست القائل في حفظك ما انت عليه ورب سر كتمته فكأني اخرس او ثنى لساني الخبل ولو اني ابديت للناس علمي لم يكن لي في غير حبسي اكل فقال صالح قد كان ذلك يا امير المؤمنين فاني اتوب وارجع فقال له المهدي الست القائل والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه اذا ارعوى عاد الى جهله كذي الضنا عاد الى نكسه ثم قدم فقتل ويقال انه صلبه على الجسر ببغداد ومن شعره وهو في الحبس خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى اذا دخل السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا فان حسنت لم تأت عجلا وابطأت وان قبحت لم تحتبس واتت عجلى طوى دوننا الاخبار سجن ممنع له حارس تهدا العيون ولا يهدا قبرنا ولم ندفن ونحن بمعزل من الناس لا نخشى فنغشى ولا نغشى الا احد يأوي لاهل محلة مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا قال السيد الشريف المرتضى رضي الله عنه واظن ان ابن الجهم لحظ قول صالح فنغشى ولا نغشى في قوله يصف الحبس بيت يجدد للكريم كرامة ويزار فيه ولا يزور ويحفد فاما علي بن الخليل فذكر محمد بن داود قال كان علي بن الخليل وهو مولى يزيد بن مزيد الشيباني ويكنى ابا الحسن وهو كوفي متهم بالزندقة فطلبه الرشيد عند قتله الزنادقة فاستتر طويلا ثم قصد الرقة ونها الرشيد فمدحه ومدح الفضل بن الربيع وروي انه لما قعد الرشيد للظالم بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة حسن الخضاب معه قصيدة فانشدها فامر الرشيد باخذها منه فقال يا امير المؤمنين انا احسن قراءة لها من غيري فاذن لي في قراءتها فقال افعل فقال الشيخ كبير ولا آمن الاضطراب اذا قمت فان رأيت ان تأذن لي في الجلوس فعلت فقال اجلس فجلس ثم انشأ يقول يا خير من وخدت بارحله نجب الركاب بمهمه جلس نطوي السباسب في ازمتها العيس المطهم من الادب الرئيس القطع يسطح الخاد عمايم البرس لما اتتك الشمس طالعة سجد الوجه لطلعة الشمس خير الخلائف في كلهم في يومك الماضي وفي امس وكذلك لا ننفك خيرهم تمسي وتصبح فوقنا تغشى من عصبة طابت ارومتها اهل العفاف ومنتهى القدس فوق النجوم فروع نبعتهم وجع الحضيض منابت الغرس انى تعلقك الملك من فرعهم كان التوكل عنده في رمسي ماذا الذي

دجل

دجل اسموا الى قمر من الانس بقراريس لا قرين لها تبتلن بالنطو يلبق الحبس واجاذب الفتيان بينهم صهباء مثل مجاجة الورس للماء في حافاتها حبب تظم كحلي صحايف الفرس والله يعلم في بقيته ما ان لمست لفاحشة لمسي فقال الرشيد من انت فقال انا علي بن الخليل الذي يقال انه زنديق فقال انت آمن وكتب الى حمدويه ان لا يتعرض له ومن تركنا ذكره من هؤلاء اكثر من ذكرناه انما اعتمدنا على من يطرف بالبيت اشهر وامره فيها اظهر واوردنا مع ذلك قليلا من كثير وجملا من تفصيل وان نذكر جملة من اخبار اهل الضلالة والمنقادين للجهالة حسب ما سألنا نحن نتبعها بشيء من اخبار اهل التوحيد والعدل وملح حكاياتهم ومحاسن الفاظهم ليعلم الفرق بين من نحن بصفته ومن خبرنا صفقته فقد سألنا ايضا ذلك اعلم ان اصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام امير المؤمنين رضي الله عنه وخطبه فانها تتضمن من ذلك ما لا زيادة عليه ولا غاية وراءه ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم ان جميع ما اسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه انما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول وروي عن الائمة من اولاده من ذلك ما لا يكاد يحاط به كثرة ومن احب الوقوف عليه وطلبه من مظانه اصاب منه الكثير الغزير الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة ونتاج للعقول العقيمة ونحن نقدم على ما نريد ذكره شيئا مما روي عنهم في هذا الباب فمن ذلك ما روي عن امير المؤمنين عليه السلام وهو يصف الله تعالى بمضادته بين الاشياء علم ان لا ضد له وبمقارنته بين الامور علم ان لا قرين له ضاد النور بالظلمة والخشونة باللين واليبس بالبلل والصرد بالحرور مؤلف بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها وروي عنه عليه السلام انه سئل بم عرفت ربك فقال بما عرفني به نفسه قيل وكيف عرفك نفسه فقال لا تشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بالناس وقيل له رضي الله عنه كيف يحاسب الله الخلق فقال كما يرزقهم فقيل له كيف يحاسبهم ولا يرونه قال كما يرزقهم ولا يرونه وسأله رجل اين كان ربنا قبل ان يخلق السماء والارض فقال اين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان وروي عن ابي عبد الله الصادق رضي الله عنه انه سأله محمد الحلبي فقال له هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه فقال نعم رآه بقلبه فاما ربنا جل جلاله فلا تدركه ابصار الناظرين ولا تحيط به اسماع السامعين وروى صفوان بن يحيى قال دخل ابو قرة المحدث على ابي الحسن الرضا عليه السلام فسأله عن اشياء من الحلال والحرام والاحكام والفرائض حتى بلغ سؤاله الى التوحيد فقال ابو قرة انا روينا ان الله تعالى قسم الكلام والرؤية فقسم لموسى الكلام ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم الرؤية فقال الرضا فمن المبلغ عن الله تعالى الى الثقلين الجن والانس لا تدركه الابصار ولا يحيطون به علما وليس كمثله شيء اليس محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيا صادقا قال بلى قال فكيف يجيء رجل الى الخلق جميعا فيخبرهم انه جاء من عند الله تعالى يدعوهم الى الله بامره ويقول لا تدركه الابصار ولا

مسائلة الشامي مع امير المؤمنين في التوحيد والقضاء والقدر

يحيطون به علماً وليس كمثله شيء ثم يقول سأراه بعيني واحيط به علماً اما تستحيون ما قدرت الزنادقة
ان ترميه بهذا ان يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر فقال ابو قرة فانه يقول ولقد
رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى قال رضي الله عنه ما بعد هذه الآية يدل على ما رأى حيث
يقول ما كذب الفؤاد ما رأى يقول ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه ثم اخبر بما رأى فقال لقد
رأى من آيات ربه الكبرى وآيات الله غير الله وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به علماً فاذا رأته
الابصار فقد احاط به العلم فقال ابو قرة أفأكذب بالرواية فقال الرضا عليه السلام اذا القرآن
كذبها وما اجمع عليه المسلمون انه لا يحاط به علماً ولا تدركه الابصار وليس كمثله شيء واتى اعرابي
ابا جعفر محمد بن علي عليهما السلام فقال له هل رأيت ربك حين عبدته فقال لم اكن اعبد شيئاً
لم اره فقال كيف رأيته فقال عليه السلام لم تره الابصار بمشاهدة العيان بل رأته القلوب بحقائق
الايمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور في قضيته
وهو الله لا اله الا هو فقال الله اعلم حيث يجعل رسالاته وروي ان شيخاً حضر صفين مع امير فقال الاعرابي
المؤمنين عليه السلام فقال له اخبرنا يا امير المؤمنين عن مسيرنا الى الشام اكان بقضاء من الله وقدر
قال له نعم يا اخا اهل الشام والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئاً ولا هبطنا وادياً
ولا علونا تلعة الا بقضاء من الله وقدر فقال الشامي عند الله احتسب عنائي يا امير المؤمنين وما اظن وقدره
ان لي اجراً في سعيي اذ كان الله قضاه علي وقدره فقال له رضي الله عنه ان الله قد اعظم لكم الاجر
على مسيركم وانتم سائرون وعلى مقامكم وانتم مقيمون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا
اليها مضطرين ولا عليها مجبرين فقال الشامي وكيف ذاك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان
مسيرنا وانصرافنا فقال له ويحك يا اخا اهل الشام لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدراً حتماً لو كان
ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والامر من الله والنهي وما كان
المحسن اولى بثواب الاحسان من المسيء والمسيء اولى بعقوبة الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان
وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله عز وجل
امر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً وكلف يسيراً واعطى على القليل كثيراً ولم يطع مكرهاً ولم يعص
مغلوباً ولم يكلف عسيراً ولم يرسل الانبياء لعباً ولم ينزل الكتب الى عباده عبثاً ولا خلق السموات
والارض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فقال الشامي فما القضاء
والقدر اللذان كان مسيرنا بهما وعنهما قال الامر من الله تعالى بذلك والحكم ثم تلا وكان امر الله قدراً
مقدوراً فقام الشامي فرحاً مسروراً لما سمع هذا المقال فقال فرجت عني يا امير المؤمنين فرج
الله عنك وانشأ يقول انت الامام الذي نرجو بطاعته يوم الحساب من الرحمن غفراناً اوضحت من يوم النشور

امرنا

الحسن البصري

امرنا ما كان ملتبساً جزاك ربك بالاحسان احساناً وروي ان ابا حنيفة النعمان بن ثابت قال
دخلت المدينة فاتيت ابا عبد الله رضي الله عنه فسلمت عليه وخرجت من عنده فرأيت ابنه موسى
في دهليزه قاعداً في مكتبه وهو صغير السن فقلت له اين يحدث الغريب اذا اراد ذلك فنظر الي ثم
قال يجتنب شطوط الانهار ومساقط الثمار وافنية الدور والطرق النافذة والمساجد ويضع
ويرفع بعد ذلك حيث شاء فلما سمعت هذا القول نبل في عيني وعظم في قلبي فقلت له جعلت فداك
فمن المعصية فنظر الي ثم قال اجلس حتى اخبرك فجلست فقال ان المعصية لا بد ان تكون من العبد
او من ربه او منهما جميعاً فان كانت من الله تعالى فهو اعدل وانصف من ان يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعل
وان كانت منهما فهو شريكه والقوي اولى بانصاف عبده الضعيف وان كانت من العبد وحده فعليه
وقع الامر واليه توجه النهي وله حق الثواب والعقاب ووجبت الجنة والنار فلما سمعت ذلك قلت
ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم وقد نظم هذا المعنى شعراً فقيل لم تخل افعالنا اللاتي نذم
بها احدى ثلاث خلال حين نأتيها اما تفرد بارينا بصنعتها فيسقط اللوم عنا حين ننشيها
او كان يشركنا فيها فيلحقه ما سوف يلحقنا من لائم فيها او لم يكن لالهي في جنايتها ذنب فما
الذنب الا لذنب جانيها وأحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل الحسن بن ابي الحسن البصري
واسم ابيه يسار من اهل ميسان مولى لبعض الانصار وكان اسم امه خيرة مولاة لام سلمة زوج النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ويقال ان ام سلمة كانت تأخذ الحسن اذا بكى فتسكته بثديها فكان
يدر عليه فيقال ان الحكمة التي اوتيها الحسن من ذلك وبلغ الحسن من السن تسعاً وثمانين سنة
فممن يصرح بالعدل ما رواه علي بن الجعد قال سمعت الحسن يقول من زعم ان المعاصي من الله عز
وجل جاء يوم القيامة مسوداً وجهه ثم قرأ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة
وقال داود بن ابي هند سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء وقدر الا المعاصي وكان الحسن بارع
الفصاحة بليغ المواعظ كثير العلم وجميع كلامه في الوعظ وذم الدنيا واجله مأخوذ لفظاً ومعنى
او معنى دون لفظ من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فهو القدوة والغاية فمن ذلك
قوله رضي الله عنه شيئان احدهما مأخوذ من الآخر احدهما اكثر شيء في الدنيا والآخر اقل شيء في
الدنيا اليقين والاعتبار وقوله رضي الله عنه مثل الدنيا والآخرة مثل المشرق والمغرب متى
ازددت من احدهما قرباً ازددت من الآخر بعداً وقوله رضي الله عنه شتان بين عملين عمل تذهب
لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى اجره وقوله في صفة الدنيا ما اصف من دار اولها
عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من صح فيها امن ومن مرض فيها ندم
ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر حزن وقوله في كلام له يعني ايها الذام للدنيا المغتر بغرورها متى

استأذنت عليك بل متى غرّتك أم بمضاجع آبائك من الثرى أم بمنازل أمهاتك من البلى كم مرّضت
بكفيك وكم عالجت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطباء مثّلت لك الدنيا
بنفسك وبمصرعهم مصرعك قال الكرماني رضي الله عنه وهذا باب لو عملنا أغراضنا من تحرير
زاجر وشواهد على تمام ما طرق كل قول في هذا الباب إذا أضيف إليه أو نوّه به كان كأصناف القطع
إلى العنبر والحصاة إلى الجمرة وإنما أشرنا إليه إشارة وأومأنا إليه إيماءً ثم نعود إلى كتابه
أمر أنها بنبع كلام الحسن البصري فقال المؤمن فصيح اللفظ إذا وعظ وروي أن الحسن تلا يوما
إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ثم قال إن قوما غدوا في المطارف العتاق والعمائم
الرقاق يطلبون الإمارات ويضيّعون الأمانات يتعرضون للبلاء وهم في عافية حتى إذا أخافوا من فوقهم
من أهل العفة وظلموا من تحتهم من أهل الذمة أهزلوا دينهم وأسمنوا براذينهم ووسعوا دورهم وضيّقوا
قبورهم ألم ترهم قد جدّدوا الثياب وأخلقوا الدين يتكئ أحدهم على شماله يأكل من غير ماله طعامه
وخدمته سخرة يدعو بحلو بعد حامض وبحار بعد بارد ورطب بعد يابس حتى إذا أخذته الكظة تجشأ
من البشم ثم قال يا جارية هاتي هاضوما يعني هاضوما يهضم الطعام يا أحيمق لا والله إن تهضم
دينك أين جارك أين يتيمك أين مسكينك أين ما أوصاك الله تعالى به وذكر يوما الحجاج فقال أتانا
أخيفش أعيمش له جميمة يرجّلها وأخرج إلينا بنانا قصارا والله ما عرقت فيها الأعنّة في سبيل الله
فقال بايعوني فبايعناه ثم رقي هذه الأعواد ينظر إلينا بالتصغير وننظر إليه بالتعظيم يأمرنا بالمعروف
ويجتنبه وينهانا عن المنكر ويركبه وروى عيسى بن عمر قال قال الحسن إن هذه القلوب طلعة فاقدعوها
فإنكم إن تطيعوها تنزع بكم إلى شر غاية وحادثوا هذه النفوس فإنها سريعة الدثور وقال
عيسى بن عمر فحدثت بذلك أبا عمرو بن العلاء فعجب من فصاحته وكان يقول في بعض كلامه ما لتشاء
قد ترى أحدهم أبيض بضّا يملخ في الباطل ملخا ينفض مذرويه ويقول ها أنا ذا فاعرفوني قال
ورخص اللحم وليس هو من البيان على ما نعنيه ولكن لأنه قد يكون للخاصة مع الأثرة فأما قوله
يملخ فإن الملخ هو التثني والتكسر يقال ملخ الفرس إذا لعب لا يفتر وصيف الحمار ومعنى يملخ
الملق والمذروان فرعا الأليتين قال عنترة أحولي تنفض استك مذرويها لتقتلني فها أنا ذا عمارا
وأحسب هذا قول أبي عبيدة وقال ابن قتيبة وإنما عليه ليس المذروان فرعي الأليتين حسب بل
الجانبان من كل شيء تقول العرب جاء فلان يضرب أصدريه ويضرب عطفيه وينفض مذرويه
وهما منكباه وذكر أنه سمع رجلا من فصحاء العرب يقول قنّع الشيب مذرويه يريد جانبي رأسه
وهما فوداه وإنما سمّيا بذلك لأنهما يذريان أي يشيبان والذرأة الشيب قال وهذا أصل الحرف
ثم استعير للمنكبين والأليتين والطرفين من كل شيء قال أمية بن أبي عائذ الهذلي يذكر قوسا على عجس

الحسن البصري

هتّافة تخذ المذروين دوراء متضجعة في الشمال إذا دفعتها ينبض طرفاها قال ولا معنى لوصف الرجل
الذي ذكره الحسن بأنه يحرك أليتيه ولا من شأن من يبذخ ويختال على نفسه ويقول ها أنا ذا فاعرفوني
أن يحرك أليتيه وإنما أراد أنه يضرب عطفيه وهذا مما يوصف به المرح المختال الذي يزهو بنفسه
ذرعا فأما الواحد فإنما ينفض مذرويه إذا كان يتهدد ويتوعد لأنه إذا تكلم وحرّك رأسه نفض فوديه
وهما مذرواه قال عبد الله ووضح ليس الذي ذكره أبو عبيد ببعيد ولا من شأن المختال الذي يزهو
بنفسه أن يهتز ويتثنى فتتحرك أعطافه وأعضاؤه ومذرواه من جملة ما يهتز ويتحرك لأنهما بارزان
فيظهر فيهما الاهتزاز وإنما خص المذروين بالذكر مع أن غيرهما يتحرك أيضا على طريق التقبيح على هذا

خبر المذروين

المختال في التشبيه لفعله وقول ابن قتيبة ليس من شأن من يبذخ أن يحرك أليتيه فليس بشيء لأن
الأغلب من شأن البذخ المختال الاهتزاز وتحريك الأعطاف على أن هذا يلزمه فيما قاله لأنه ليس من
شأن كل متوعد أن يحرك رأسه وينفض مذرويه فإذا قال إن في الأكثر قيل له مثله وكان الحسن
يقول يا ابن آدم جمعا جمعا شدّا شدّا جمعا في وعاء وشدّا في وكاء وركوب الذلول ولبس اللين
حتى قيل مات فأفضى والله إلى الآخرة فطال حسابه وكان يقول المسكين ابن آدم مكتوم الأجل مكنون العلل
أسير جوع صريع شبع إن من تؤلمه البقة وتقتله الشرقة لبادي الضعف قريب الحتف وكان يقول
ما أطال أحد الأمل إلا أساء العمل وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد فإن طول البقاء إلى فناء
فخذ من فنائك الذي لا يبقى لبقائك الذي لا يفنى والسلام وكان يقول إذا رأيت رجلا ينافسك في الدنيا
فنافسه في الآخرة وقال له رجل ما حالك فقال ما أشد حال من أصبح وأمسى ينتظر الموت ولا يدري
ما يفعل الله به وكان يقول يا ابن آدم قد بسطت لك صحيفة ووكّل بك ملكان كريمان يكتبان عملك
فأملل ما شئت فأكثر وأقلل في خير أمرك كل ذلك ملكان كريمان يكتبان ما تعمل
وروى أبو بكر الهذلي قال لما قدم عمر بن هبيرة واليا على العراق أرسل إلى الشعبي
وإلى الحسن البصري فقال لهما إن يزيد بن عبد الملك عبد أخذ الله ميثاقه وانتجبه لخلافته وقد
أخذ بنواصينا وأعطيناه عهودنا وموثقنا وصفقة أيدينا فوجب علينا السمع والطاعة له وإنه
يبعثني إلى العراق فكيف ترى لا يزال يبعث إلينا في القوم نقتلهم أو في الضياع نقبضها
أو في الدور نهدمها فما ترى أن أصنع من ذلك فأما الشعبي فقال قولا فيه بعض
اللين وأما الحسن فإنه قال يا عمر إني أنهاك عن الله أن تتعرض له فإن الله مانعك من يزيد ولا
يمنعك يزيد من الله إنه يوشك أن ينزل عليك ملك من السماء فيستنزلك من سريرك ويخرجك من
سعة قصرك إلى ضيق قبرك ثم لا يوسعه عليك إلا عملك إن هذا السلطان إنما جعل ناصرا لدين الله
فلا تركبوا دين الله وعباد الله بسلطان الله تذلونهم به فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

عز وجل وذكر عن الشعبي انه قال كان والله الحسن اكرهنا عليه وروى ابو بكر بن عياش قال قال مسلمة
بن عبد الملك للحسن عظني فقال اذا نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به قال عظني فاوجز فقال
نعم قال فما كنت تحب ان يؤتى اليك فاته الى من وليته وعن ثابت البناني قال قال رجل للحسن اخذ
عطائي ام ادعه حتى اخذه من حسناتهم يوم القيمة فقال له قم ويحك خذ عطاك فان القوم مفاليس
من الحسنات يوم القيمة وولد للحسن غلام فهناه بعض اصحابه فقال الحسن نحمد الله على هبته
ونستزيده من نعمه ولا مرحبا بمن ان كنت غنيا اذهلني وان كنت فقيرا اتعبني لا ارضى بسعيي له
سعيا ولا بكدي له في الحياة كدا اشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي وانا في حال لا يصل الي
من همه حزن ولا من فرحه سرور وكان الحسن يقول لو لم يكن من شوم الخطيئة الا ان صاحبها اجترى على
الله فاسد له لكان ينبغي للعاقل ان يتركها [illegible] وعزى رجلا عن ابنه فقال له احتسب الله على
مصيبتك واعلم ما جاء به ابنا من اهل ملتك وهذا [illegible] لا انه لو وقع له الثواب
الذي لا يستحقه الكفار [illegible] والعوض الذي يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب وكان الحسن
يقول ليس للفاسق المعلن بالفسق غيبة ولا لاهل الاهواء والبدع غيبة ولا للسلطان الجائر غيبة
وقال في قوله تعالى ربنا اتنا في الدنيا حسنة قال العلم وفي الاخرة حسنة قال الجنة وخرج
الحسن في جنازة معها نوائح فقال له رجل اما ترى يا ابا سعيد هذا وهم الرجل بالرجوع فقال
له الحسن ان كنت كلما رايت قبيحا تركت له حسنا اسرع ذلك في دينك وذكرت عنده الدنيا فقال
احلام نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع وكان يتمثل اليوم عندك دلها وحديثها
وغدا لغيرك كفها والمعصم وعن ابي عبيدة قال لما فرغ الحجاج من خضراء واسط اذن للناس ان
يخرجوا فيدعوا له بالبركة فخرج الناس وخرج الحسن فاجتمع عليه الناس فخاف اهل الشام عليه
ان يقتلوه فرجع وهو يقول نظرنا يا اخبث الاخبثين وافسق الفاسقين فاما اهل السماء
فمقتوك واما اهل الارض فغروك ثم قال ان الله تعالى اخذ على اهل العلم ميثاقه ليبيننه
للناس ولا يكتمونه ثم انصرف فبلغ ذلك الحجاج فقال يا اهل الشام وهم حوله الله ليقوم عبيد
من عبيد اهل البصرة فيتكلم في بما تكلم به ثم لا يكون عند احد منكم تغيير ولا نكير فقالوا ومن
ذاك اصلحك الله [illegible] فقال علي به وامر بالنطع والسيف فاحضر ووجه اليه فلما انتهى
الى الباب حرك شفتيه والحاجب ينظر اليه فلما دخل قال له الحجاج ههنا واجلسه قريبا من فرشه
وقال له ما تقول في علي وعثمان قال اقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك قال موسى عليه السلم
لفرعون اذ قال له فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى علم
علي وعثمان عند الله تعالى فقال الحجاج انت سيد العلماء يا ابا سعيد ثم دعا بغالية فغلل بها

لحيته

لحيته فلما خرج الحسن تبعه الحاجب فقال يا ابا سعيد والله لقد دعا بغير ما فعل بك لقد احضر النطع
والسيف فلما اقبلت رايتك قد حركت شفتيك بشي فما قلت قال قلت يا عدتي عند كربتي و
يا صاحبي عند شدتي ويا ولي نعمتي ويا الهي واله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ارزقني مودته
واصرف عني اذاه ومعرته ففعل بي ربي ذلك وكان الحسن يقول ما زال النفاق مقموعا حتى عمم
هذا عمامته وقلد سيفا يعني الحجاج وروى ابو بكر الهذلي ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد ان الشيعة
تزعم انك تبغض عليا رضي الله عنه فاكب يبكي طويلا ثم رفع راسه فقال لقد فارقكم بالامس
رجل كان سهما من مرامي الله عز وجل على عدوه رباني هذه الامة وذو شرفها وفضلها وذو قرابة
من النبي صلى الله عليه وآله وسلم قريبة لم يكن بالنومة عن امر الله تعالى ولا بالغافل عن حق الله
ولا بالسروقة من مال الله اعطى القران عزائمه ففاز منه برياض مونقة واعلام
بينة ذاك ابن ابي طالب يا لكع وكان الحسن اذا اراد ان يحدث في زمن بني امية عن علي رضي الله عنه
قال قال ابو زينب وشهد الحسن جنازة فقال ان امرا هذا اخره لينبغي ان يزهد في اوله وعن حميد
الطويل قال خطب رجل الى الحسن ابنته فكنت السفير بينهما فرضيه واراد ان يزوجه فاثنيت عليه
ذات يوم وقلت ازيدك يا ابا سعيد ان له خمسين الفا قال له خمسون الفا ما اجتمعت
من حلال قلت يا ابا سعيد انه والله ما علمت لورع مسلم فقال ان كان جمعها من الحلال لقد
ضن بها على حق لا يجر به والله لا يجري بيني وبينه صهر ابدا وقيل لعلي بن الحسين بن علي رضي الله
عنهم قال الحسن البصري ليس العجب ممن هلك وانما العجب ممن نجا كيف نجا فقال رضي الله عنه انا اقول
ليس العجب ممن نجا كيف نجا انما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله وراى رجل
الحسن البصري وهو يقبض عند الحجر فقال ارضيت ان تحسن نفسك للموت قال لا قال فعلمت الحساب قال
لا قال فثم دار للعمل غير هذه قال لا قال فلله في ارضه معاذ غير هذا البيت قال لا قال فلم تشغل

واصل بن عطا

الناس عن الطواف [illegible] وممن تظاهر بالقول بالعدل واشتهر به واصل بن عطا الغزال
ويكنى ابا حذيفة وقيل انه مولى بني ضبة وقيل انه مولى بني مخزوم وقيل انه مولى بني هاشم وروي
انه لم يكن غزالا وانما لقب بذلك لانه كان يكثر الجلوس في الغزالين وقيل انه كان يجلس في الغزالين
عند صديق له يعرف بابي عبد الله الغزال وذكر المبرد ان واصلا كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات
من النساء فيصرف صدقته اليهن ولقب بذلك كما لقب ابو سلمة حفص بن سليمان بالخلال وهو
وزير ابي العباس السفاح ولم يكن خلالا وانما كان منزله بالكوفة بقرب الخلالين فكان يجلس عندهم
فسمي خلالا ومثله ابو علي الحرمازي هو مولى لبني هاشم وانما لقب بذلك لانه كان ينزل بمكة في بني
[illegible] وابو سعيد المقبري لانه نزل بالمقابر وكان واصل الثغ في الراء قبيح اللثغة وكان يخلص كلامه

من الراء ويعدل عنها في سائر محاوراته وقد ذكرنا طرفا من ذلك في اخبار بشار بن برد وذكر ابو الحسين
البرذعي المتكلم ان اناسا سألوا عمرو بن عبيد او غيره عن شيء في القدر بحضرة واصل بن عطاء فتكلم
السائل بشيء اغضب عمرا فاجابه عمرو بجواب لم يرضه واصل فقال له واصل اياك والحدة
الغضب فانها مفسدة والشيطان يكون معها وله في تضاعيفها همزة وقد اوجب الله تعالى
على نبيه عليه السلام ان يستعيذ من همزات الشياطين وان يكونوا معه بقوله اعوذ بك من همزات
الشياطين الى خاتمة الآية وقلما شاهدت احدا اجاب فتثبت في جوابه فما نطق به لسانه فلحقه
لوم قال البرذعي انظر الى واصل كيف اخرج الراء من كلامه كله فقال موضع والشيطان
يحضرها يكون معها وقد اوجب الله على نبيه ولم يقل امره وقال وان يكونوا معه بدلا من قوله و
ان يحضروه ثم قال الى خاتمة الآية ولم يقل الى آخر الآية قال المرتضى رضي الله عنه ومما لم يذكره
البرذعي انه عدل عن افتتاح الآية من اجل الراء ايضا لان اولها وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين ولولا قصده الى العدول لكان ذكرها اجيب من ابتدائها لا سيما وفي ابتدائها
تعليم وتوقيف على كيفية دعائه والاستعاذة به وقيل ان رجلا قال له كيف تقول اسرج
الفرس فقال البد الجواد وقال له آخر كيف تقول ركب فرسه وجر رمحه فقال استوى على جواده
وسحب عامله وذكر ابو الحسين الخياط ان واصلا كان من اهل مدينة الرسول صلى الله عليه وآله
وسلم ومولده سنة ثمانين ومات سنة احدى وثلاثين ومائة وكان واصل ممن لقي ابا هاشم
عبد الله بن محمد بن الحنفية وصحبه واخذ عنه وقال قوم انه لقي ابا محمد رضي الله عنه وذلك
غلط لان محمدا توفي سنة ثمانين او احدى وثمانين وواصل ولد في سنة ثمانين وواصل هو
اول من اظهر المنزلة بين المنزلتين لان الناس كانوا في اسماء اهل الكبائر من اهل الصلاة على
اقوال كانت الخوارج تسميهم بالكفر والشرك والمرجئة تسميهم بالايمان وكان الحسن البصري
واصحابه يسمونهم بالنفاق فاظهر واصل القول بانهم فساق غير مؤمنين ولا كفار ولا
منافقين وكان عمرو بن عبيد من اصحاب الحسن وتلامذته فجمع بينه وبين واصل ليناظره فيما
اظهره من القول بالمنزلة بين المنزلتين فلما وقفوا على الاجتماع ذكر ان واصلا اقبل ومعه جماعة
من اصحابه الى حلقة الحسن وفيها عمرو بن عبيد جالس فلما نظر الى واصل وكان في عنقه طول واعوجاج
قال ارى عنقا لا يفلح صاحبه فسمع ذلك واصل فلما سلم عليه قال له يا ابن اخي ان من عاب الصنعة
عاب الصانع للتعلق الذي بين الصانع والمصنوع فقال له عمرو بن عبيد يا ابا حذيفة قد وعظت
فاحسنت ولن اعود الى مثل الذي كان مني وجلس في الحلقة وسئل ان يكلم عمرا فقال واصل لعمرو
لم قلت ان من اتى كبيرة من اهل الصلاة فيستحق اسم النفاق فقال عمرو لقوله تعالى والذين يرمون المحصنات

ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم
الفاسقون ثم قال في موضع آخر ان المنافقين هم الفاسقون فكان كل فاسق منافقا اذ كانت الف
ولام المعرفة موجودين في الفاسق فقال له واصل أليس قد وجدت الله تعالى يقول ومن لم
يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون كما قال في القاذف فاولئك هم الفاسقون فيسميه منافقا
بقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون فامسك عمرو ثم قال له واصل يا ابا عثمان ايما اولى ان
نستعمل في اسماء المحدثين من امتنا ما اتفق عليه اهل الفرق من اهل القبلة او ما اختلف فيه فقال
عمرو بل ما اتفقوا عليه اولى فقال له واصل ألست تجد اهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب
الكبيرة فاسقا ويختلفون فيما عدا ذلك من اسمائه لان الخوارج تسميه مشركا فاسقا والشيعة تسميه
كافر نعمة فاسقا قال السيد رضي الله عنه يعني بالشيعة الزيدية والحسن يسميه منافقا فاسقا
والمرجئة تسميه مؤمنا فاسقا فاجمعوا على تسميته بالفسق واختلفوا فيما عدا ذلك من اسمائه فالواجب ان
نسميه بالاسم الذي اتفق عليه وهو الفسق لاتفاق المختلفين عليه ولا نسميه بما عدا ذلك من
الاسماء التي اختلف فيها فيكون صاحب الكبيرة فاسقا ولا يقال فيه انه مؤمن ولا منافق ولا مشرك
ولا كافر فهذا اشبه باهل الدين فقال له عمرو بن عبيد ما بيني وبين الحق عداوة والقول قولك
فليشهد علي من حضر اني تارك للمذهب الذي ذهبت اليه من نفاق صاحب الكبيرة من اهل الصلاة
قائل بقول ابي حذيفة في ذلك واني قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب فاستحسن الناس هذا
من عمرو وقيل ان اسم الاعتزال انما اختصت به هذه الفرقة لاعتزالهم مذهب الحسن بن ابي الحسن
في تسمية مرتكب الكبيرة من اهل الصلاة بالنفاق وحكى غير ذلك وقيل ان قتادة بعد موت الحسن
البصري كان يجلس مجلسه وكان هو وعمرو بن عبيد جميعا رئيسين مقدمين في اصحاب الحسن فجرت بينهما
نفرة فاعتزل عمرو مجلس قتادة فاجتمع اليه جماعة من اصحاب الحسن وكان قتادة اذا جلس مجلسه سأل
عن عمرو واصحابه فيقول ما فعلت المعتزلة فسموا بذلك قال السيد قدس الله روحه اما ما الزمه واصل
بن عطاء لعمرو بن عبيد فلا شك في لزومه واما ما كلمه به ثانيا فغير واجب ولا لازم لانه لا يمتنع
ان يوجب في تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق وغيره من الاسماء كما اوجب في تسميته بالفسق فيمتنع
ان يسمى بذلك الا بدليل غير الاجماع ووجود الاجماع في الشيء وان كان دليلا على صحته فليس فقده دليلا
على فساده وواصل انما الزم عمرا ان يعدل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ويقتصر على
التسمية بالفسق للاتفاق عليه وهذا باطل ولو لزم ما ذكره للزمه ان يقال قد اتفق اهل الصلاة
على استحقاق صاحب الكبيرة من اهل الصلاة الذم والعقاب ولم يتفقوا على استحقاقه التخليد في
العقاب ويقول انهم اجمعوا على استحقاقه للعقاب ولم يجمعوا على فعل المستحق به فيجب ان اقول ان الفسق

عليه واتفق اختلفوا فيه فاذا قيل له استحقاق الخلود وفعل المستحق به من العقاب فان لم يجمعوا
عليه فقد علم بدليل غير الاجماع قيل له بمثل ذلك فما عولوا عليه بطل على كل حال ان يكون لا خلاف
في القول دليلا على وجوب الامتناع منه وهذا ينتقض عليه بمسائل كثيرة ذكرها يطول على ان الفقه
التي قدمناها لا تشبه ما الزم عليها لان الاجماع اولى من الاختلاف فيما يتعارض ويتقابل والاجماع
والاختلاف في الموضع الذي كلم عليه واصل عمرا في الكتابين لان الاجماع هو على تسميته بالفسق
والاختلاف هو في تسميته بما عداه من الاسماء فلا تعارض بينهما ولا ان يلحق بالاجماع في موضع
ويعول فيما الاختلاف فيه على دلالة غير الاجماع لان فقد الاجماع من القول يوجب بطلانه وحكي
ان واصلا كان يقول اراد الله تعالى من العباد ان يعرفوه ثم يعملوا ثم يعلموا قال الله تعالى يا موسى
اني انا الله فعرفه نفسه ثم قال له فاخلع نعليك فبعد ان عرفه نفسه امره بالعمل قال والدليل على
ذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا يعني صدقوا وعملوا الصالحات وتواصوا
بالحق وتواصوا بالصبر علموا وعملوا وعلموا وروى المبرد قال حدثت ان واصل بن عطاء اقبل
في رفقة له فاحسوا بالخوارج وكانوا قد اشرفوا على العطب فقال واصل لاهل الرفقة ان هذا ليس من
شأنكم فاعتزلوا ودعوني واياهم فقالوا شأنك فقال الخوارج له ما انت ومن اصحابك قال قوم
مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويعرفوا حدوده فقالوا قد اجرناكم قال فعلمونا احكامه فجعلوا
يعلمونه احكامهم وجعل يقول قد قبلت انا ومن معي قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال
ليس ذلك لكم قال الله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه
مأمنه فابلغونا مأمننا فساروا جميعا حتى بلغوهم الامن وحكي ان محمدا وابرهيم ابني عبد الله بن
الحسن كانا من تلامذة واصل الى القول بالعدل فاستجابا له وذلك لما حج واصل ودعا الناس بمكة
والمدينة وحكى ابو الهيثم البلخي ان عبد الله قال لابنه محمد كل خصالك يا بني محمودة الا قولك ما
بالقدر فقال له يا ابه اشيء اقدر على تركه ام لا اقدر على تركه فورد الكلام على رجل عاقل فقال
لا خاطبتك عليه ابدا قال محمد رحمه الله يقول ان كنت اقدر على تركه فهو قولي وان كنت لا اقدر عليه
فلم تعاتبني على شيء لا اقدر على تركه فاما عمرو بن عبيد فيكنى ابا عثمان مولى لبني العدوية من بني تميم
قال الجاحظ هو عمرو بن عبيد بن باب من سبي كابل من سبي عبد الرحمن بن سمرة وكان
باب مولى لبني العدوية قال وكان ابو عبيد شرطيا وكان عمرو متزهدا فكانا اذا اجتازا معا على
الناس قالوا هذا شر الناس ابو خير الناس فيقول عبيد صدقتم هذا ابرهيم وانا آزر قال علي بن
الجعد هو عبيد بن باب وكان نوابا للحكم بن ايوب قال وكان باب مكاريا له وكان معروفا
له دكان باب وكان فارسيا والفرزدق معه خبيث هو تركنا ذكره لشهرته ولفحش فيه وذكر ابو

الحسين

الحسين الخياط ان مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء جميعا في سنة ثمانين قال ومات عمرو سنة
اربع واربعين ومائة وهو ابن اربع وستين سنة وروي ان عمرا استأذن على المنصور فدخل
عليه الربيع فقال له بالباب رجل قال من قال عمرو بن عبيد وكانت على المنصور جبة يمانية مخرقة
فقال ويلك يا ربيع عمرو بالباب قال نعم قال هات لي قميصا ابيض فاتاه به فالقاه عليه ثم قال رده
من خلفي نغط الجبة وادن علي قال الربيع ولم اكن ارى ان احدا يوقره المنصور حتى رأيت عمرو
بن عبيد قال فدخل عليه رجل آدم مربوع الكدنة بين عينيه اثر السجود حسن الادب حسن الالفاظ
كأنه لم يزل مع الملوك في توقيره للخليفة واعظامه اياه فقال فسلم فاجتذبه المنصور ليجلس معه
فابى وطرح نفسه بين يديه فسأله وتحفى به فلما اراد عمرو القيام قال له عظني يا ابا عثمان
واوجز فقال له ان ما في يديك لست بوارثه عن احد وانما هو شيء صار اليك وكان في يد غيرك
قبلك ولو دام لمن قبلك لم يبلغ بيد الاول والسلام ودعني لا صنع قال فاصطلح العراق لعمرو بن عبيد
اني لادعك مما يقول الناس فيك فقال عمرو وما عسى ان اقول فيهم شيئا قال الا قال يا امير فاذا
وقال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد لم لا تأخذ مني فتقضي دينا ان كان عليك وتصل رحمك
فقال له عمرو اما دين فليس علي واما صلة رحمي فلا تجب علي وليس عندك قال فلا يمنعك ان تأخذ
مني قال يمنعني انه ما اخذ احد من احد شيئا الا ذل له وانا والله اكره ان اذل لك وقال ابن
لهيعة اتاني عمرو بن عبيد في المسجد الحرام فسلم علي وجلس الي وقال لي يا ابا عثمان ما تقول في
قوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فقال ان ذلك في محبة القلوب
التي لا يستطيعها العبد ولم يكلفها فاما العدل بينهن في القسمة من النفس والكسوة والنفقة
فهو مطيق لذلك وقد كلفه بقوله تعالى فلا تميلوا كل الميل فيما تطيقون فتذروها كالمعلقة
لا هي ايم ولا ذات زوج فقال ابن لهيعة هذا والله هو الحق وقيل ان عمرو بن
عبيد اتى يونس بن عبيد يعزيه عن ابن له فقال له ان اباك كان اصلك وان ابنك كان
فرعك وان امرا ذهب اصله وفرعه لحري ان يقل بقاؤه وقيل ان عبد الله بن عبد الاعلى
اخذ هذا المعنى فقال صحبتك قبل الروح اذ انا نطفة تصان بما يلقى لعيني مصونها
ارى المرء دينا للمنايا وانها مطال اذا حلت ستقبض دونها فاذا ذوى الفرع بعد اصله
ستلقى الذي لاقى الاصول غصونها واول من سبق الى هذا المعنى امرؤ القيس في قوله
فبعض اللوم عاذلتي فاني ستكفيني التجارب وانتسابي الى عرق الثرى وشجت عروقي
وهذا الموت يسلبني شبابي واخذ ذلك لبيد في قوله فان انت لم تصدقك نفسك فانتسب
لعلك تهديك القرون الاوائل فان لم تجد من دون عدنان والدا ودون معد فلتزعك العواذل

واخذه ايضا في قوله انوح ابنيا اذا تعيش ابوهما * وهل انا الا من ربيعة او مضر * ونظر اليه
فاما
محمود الوراق وابرهيم بن العباس الصولي اما محمود ففي قوله اذا ما انتسبت الى آدم * فلم يك
بينكما من اب * وجاءت شعوبك لا ترتضيني * وصرت الى جانب الاجنب * ودب البلى في
خلال السواد * فاصبحت في شيبة الاشهب * فكيف تؤمل طول الحياة * ان كان حملك لم يعز
علاك
واما ابرهيم ففي قوله لي تعني الى ابيه * وخير ابن منقلبي * موعظ اراها في ابيه * كما دلت
ابي * وكان ابا نواس لحظ هذا المعنى في قوله * وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب في
الهالكين عريق * اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق * مجلس آخر

عمرو بن عبيد

روي ان عمرو بن عبيد دخل على معوية بن عمرو الغلابي وهو يجود بنفسه فقال له ان الله تعالى
تعبدك في حال الصحة بالعمل بجوارحك وقلبك ووضع عنك في هذه الحال عمل الجوارح ولم
يكلفك الا العمل بقلبك فاعطه بقلبك ما يجب له عليك وروي ان قوما اجتمعوا الى عمرو بن
عبيد فتذاكروا النحاة فاكثروا في وصفه وعمرو ساكت فسألوه عما عنده فقال ما اصبتم صفته
ان السخي من جاد بماله تبرعا وكف عن اموال الناس تورعا وذكر اسحق بن الفضل الهاشمي قال اني
لعلى باب المنصور يوما والى جنبي عمارة بن حمزة اذ طلع عمرو بن عبيد على حمار فنزل عن حماره ثم دفع
البساط برجله وجلس دونه فالتفت الي عمارة فقال لا تزال بصرتكم ترمينا منها باحمق فما فصل
كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول ابو عثمان عمرو بن عبيد قال فوالله ما دل على نفسه حتى ارشد
اليه فاتكأ عليه ثم قال اجب امير المؤمنين جعلت فداك فمر متوكئا عليه فالتفت
الى عمارة فقلت ان الرجل الذي استحمقته قد دعي وتركنا فقال كثيرا ما يكون ذلك فاطال
اللبث ثم خرج الربيع وهو متوكئ عليه والربيع يقول يا غلام حمار ابي عثمان فما برح حتى اقره
بالحمار فاقره على سرجه وضم اليه نشر ثوبه واستودعه الله فاقبل عمارة على الربيع فقال لقد
فعلتم اليوم بهذا الرجل فعلا لو فعلتموه بولي عهدكم لقضيتم ذمامه قال فما غاب عنك
مما فعل به اكثر واعجب فقال عمارة فان اتسع لك الحديث فحدثنا فقال الربيع ما هو الا ان
سمع الخليفة بمكانه فما امهل حتى امر بمجلس ففرش لبودا ثم انتقل اليه والمهدي معه وعليه سواده
وسيفه ثم اذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فرد عليه وما زال يدنيه حتى اتكأه فخذه
وتحفى به ثم سأله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامرأة امرأة ثم قال له يا ابا عثمان
عظنا فقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم والفجر وليال عشر وقرأها الى
آخرها وقال ان ربك يا ابا جعفر لبالمرصاد فبكى بكاء شديدا كأنه لم يسمع تلك الآيات الا
تلك الساعة فقال زدني فقال ان الله قد اعطاك الدنيا باسرها فاشتر نفسك منه ببعضها

واعلم

واعلم ان هذا الامر الذي صار اليك انما كان في يد من كان قبلك ثم افضى اليك وكذا يخرج
منك الى من هو بعدك واني احذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيمة قال فبكى اشد من
بكائه الاول حتى رجف جنباه وفي رواية اخرى انه لما انتهى الى آخر السورة قال يا امير المؤمنين
ان ربك لبالمرصاد لمن عمل مثل عملهم ان ينزل بهم مثل ما انزل بهم فاتق الله فان من وراء
بابك نيرانا تأجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب الله ولا سنة رسول الله فقال يا ابا عثمان انا نكتب
اليهم وبالطوامير نأمرهم بالعمل بالكتاب والسنة فان لم يفعلوا فما عسى ان نصنع فقال له مثل اذن
الفارة يجزيك من الطوامير الله تكتب اليهم في حاجة نفسك فينفذونها وتكتب اليهم في حق
الله فلا ينفذونها انك والله لو لم ترض من عمالك الا بالعدل لتقرب اليك به من لا نية له
فيه قال الكرخي رضي الله عنه رجعنا الى تمام الحديث فقال له سليمان بن مجالد رفقا بامير المؤمنين

سليمان بن مجالد

فقد اتعبته منذ اليوم فقال له ومثلك ضاع الامر وانتشر ابا لك فما خفت على امير المؤمنين
ان يبكي من خشية الله وفي رواية اخرى ان سليمان بن مجالد لما قال له ذلك رفع عمرو رأسه ثم قال
له من انت فقال ابو جعفر اولا تعرفه يا ابا عثمان فقال لا ولا ابالي ان لا اعرفه فقال هذا اخوك
سليمان بن مجالد فقال هذا اخو الشيطان ويلك يا ابن مجالد خزنت نصيحتك عن امير المؤمنين
ثم اردت ان تحول بينه وبين من اراد نصيحته يا امير المؤمنين ان هؤلاء اتخذوك سلما لشهواتهم
فانت كالآخذ بالقرنين وغيرك يحلب فاتق الله فانك ميت وحدك وتحاسب وحدك وتبعث
وحدك ولن يغني عنك هؤلاء من ربك شيئا فقال له المنصور يا ابا عثمان اعني باصحابك
استعين بهم فقال له اظهر الحق يتبعك اهله قال بلغني ان محمد بن عبد الله بن الحسن كتب اليك
كتابا قال قد جاءني كتاب يشبه ان يكون كتابه قال فبماذا اجبته قال اوليس قد عرفت رأيي في السيف
ايام كنت تختلف الينا واني لا اراه قال اجل ولكن تحلف لي ليطمئن قلبي قال لئن كذبتك تقية
لاحلفن لك تقية قال له انت الصادق البار وقد امرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها
على زمانك قال لا حاجة لي فيها قال والله لتأخذنها قال والله لا آخذنها فقال له المهدي يحلف امير المؤمنين و
تحلف فترك المهدي واقبل على المنصور وقال من هذا الفتى قال هذا ابني محمد وهو المهدي
وهو ولي عهدي فقال والله لقد سميته اسما ما استحقه بعمل والبسته لبوسا ما هو من لبوس
الابرار ولقد مهدت له امرا امتع ما يكون به اشغل ما تكون عنه ثم التفت الى المهدي فقال
نعم يا ابن اخي اذا حلف ابوك حلف عمك لان اباك اقدر على الكفارة من عمك قال المنصور
يا ابا عثمان هل من حاجة قال نعم قال ما هي قال لا تبعث الي حتى آتيك قال اذا لا نلتقي قال عن
حاجتي سألتني ثم ودعه ونهض فلما ولى اتبعه بصره وانشأ يقول كلكم طالب صيد كلكم

بمشغ

مأتش نويد عمر عمرو بن عبيد وروى ان هشام بن الحكم قدم البصرة فاتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها وعمرو لا يعرفه فقال لعمرو اليس قد جعل الله لك عينين قال بلى قال ولم قال لانظر بهما في ملكوت السموات والارض فاعتبر قال فجعل لك فما قال نعم قال ولم قال لاذوق الطعوم واجيب الداعي ثم عدد عليه الحواس كلها ثم قال وجعل لك قلبا قال نعم قال ولم قال لتؤدي اليه الحواس ما ادركته فيميز بينها قال فانت لم يرض لك ربك تعالى اذ خلق لك خمس حواس حتى جعل لها اماما ترجع اليه ايرضى لهذا الخلق الذي جشاهم العالم الا يجعل لهم اماما يرجعون اليه فقال له عمرو ارتجع حتى ننظر في مسالتك وعرفه ثم دار هشام في حلق البصرة فما امسى حتى اختلفوا وروى ابو عبيدة قال دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له سليمان اخبرني عن صاحبك يعني الحسن حين يزعم ان عليا قال اني وددت اني كنت اكل الحشف بالمدينة ولم اشهد مشهدي هذا يعني يوم صفين فقال له عمرو بن عبيد لم يقل هذا لانه ظن ان امير المؤمنين عليه السلام شاك ولكنه يقول وددت اني كنت اكل الحشف بالمدينة ولم تكن هذه الفتنة قال له فقوله في عبد الله بن العباس بغيتنا في الغملة والقتيلة وطارنج باموالنا في ليلة فقال له كيف نقول هذا وابن عباس رحمه الله عليه لم يفارق عليا عليه السلام حتى قتل وشهد صلح الحسن رضي الله عنه واي مال يجتمع في بيت مال البصرة مع حاجة علي رضي الله عنه الى الاموال وهو يفرغ بيت مال الكوفة في كل خمس وثلاثة وقالوا انه كان يقبل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة وهذا باطل قال الجاحظ نازع رجل عمرو بن عبيد في القدر فقال له عمرو ان الله تعالى قال في كتابه ما يزيل الشك عن قلوب المؤمنين في القضاء والقدر قال الله تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون ولم يقل لنسألنهم عما قضيت عليهم او قدرته فيهم او اردته منهم او شئته لهم وليس بعد هذا الا الاقرار بالعدل والسكوت عن الجور الذي لا يجوز على الله تعالى قال خلاد الاوقط حدثني زميل العمرو بن عبيد في الليلة التي مات فيها يقول اللهم انك تعلم انه لم يعرض لي امران قط احدهما لك فيه رضى والاخر لي فيه هوى الا قدمت رضاك على هواي فاغفر لي ومر ابو جعفر المنصور على قبر عمرو بن عبيد وهو موضع على ليال من مكة على طريق البصرة فانشا يقول صلى الاله عليك من متوسد قبرا مررت به على مران قبرا تضمن مومنا متخشعا عبد الاله ودان بالقران واذا الرجال تنازعوا في شبهة فصل الخطاب بحكمة وبيان فلو ان هذا الدهر ابقى صالحا ابقى لنا عمرا ابا عثمان فاما ابو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل ابن عبد الله بن مكحول العبدي قال ابو القسم البلخي هو من موالي عبد القيس وولد سنة اربع وثلاثين ومائة وقال ابو الحسين الخياط ولد سنة احدى وثلاثين ومائة وقيل انه توفي في اول ايام المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين

فكانت

ابا الهذيل

فكانت سنه مائة سنة قال المرتضى لحق ابا الهذيل في اخر عمره خرف الا انه لم يكن يذهب عليه شيء من المذهب والقياس بحجته وقيل كف بصره قبل وفاته واخذ ابو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب واصل بن عطاء وقيل ان ابا الهذيل في حداثته بلغه ان رجلا يهوديا قدم البصرة وقطع جماعة من متكلميها فقال لعمه يا عم امض بي الى هذا اليهودي حتى اكلمه فقال له عمه يا بني كيف تكلمه وقد عرفت خبره وانه قطع مشايخ المتكلمين فقال لا بد ان تمضي بي اليه فمضى به قال فوجدته يقرر الناس على نبوة موسى عليه السلام فاذا اعترفوا بها قال نحن على ما اتفقنا عليه الى ان نجمع على ما تدعونه فتقدمت اليه فقلت له اسالك ام تسالني فقال بل اسالك فقلت ذاك اليك فقال لي اتعترف بان موسى عليه السلام نبي صادق ام تنكر ذلك فتخالف صاحبك فقلت له ان كان موسى الذي تسالني عنه هو الذي بشر بنبينا عليه السلام وشهد بنبوته وصدقه فهو نبي صادق وان كان غير من وصفت فذلك الشيطان لا اعترف بنبوته فورد عليه ما لم يكن في حسابه ثم قال لي اتقول ان التوراة حق فقلت هذه المسالة تجري مجرى الاولى ان كانت هذه التوراة التي تسالني عنها هي التي تتضمن البشارة بنبي عليه السلام فتلك حق وان لم تكن كذلك فليست بحق ولا اقر بها فبهت وافحم ولم يدر ما يقول ثم قال لي احتاج ان اقول لك شيئا بيني وبينك فظننت انه يقول شيئا من الخير فتقدمت اليه فسارني وقال لي امك كذا وكذا وام من علمك لا يكني فقدر اني اشب فيقول وثبوا بي فشغبوا علي فاقبلت على من كان في المجلس فقلت اعزكم الله قد وقفتم على مسالته اياي وعلى جوابي اياه قالوا بلى قلت فليس عليه ان يرد جوابي ايضا قالوا بلى قلت لهم فانه لما سارني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد وشتم من علمني وانما قدر اني اثب عليه فيدعي انا واثبنا وشغبنا عليه وقد عرفتكم شانه بعد الانقطاع فاخذته الايدي من كل جهة وخرج هاربا من البصرة وعن ابي العيناء قال قال لي ابو الهذيل ما معنى الخسف فقلت ان تقلب الارض اعلاها اسفلها فقال لم يكن هذا اليوم بالارض فانه لبالناس وقال ابو الهذيل قال لي المعدل بن غيلان العبدي وكان من سادة عبد القيس وكان يجتمع اليه اهل النظر يا ابا الهذيل ان في نفسي شيئا من قول القوم في الاستطاعة فبين لي ما يذهب بالريب عني فقال له فقلت عن قول الله تعالى وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون هل يخلو من ان يكون اكذبهم لانهم مستطيعون الخروج وهم تاركون له فاستطاعة الخروج فيهم وليس يخرجون فقال انهم لكاذبون اي هم مستطيعون الخروج وهم يكذبون فيقولون لسنا نستطيع ولو استطعنا لخرجنا فاكذبهم الله تعالى على هذا الوجه او يكون على وجه اخر يقول انهم لكاذبون اي ان اعطيتهم الاستطاعة لم يخرجوا فيكون معهم الاستطاعة على الخروج ولا يخرجون

فهل

فعلى كل حال فقد كانت الاستطاعة على الخروج ولا يكون الخروج ولا يعقل بلا آلة معه قالت الشعراء الروحين
اللذين وصفنا وحكى سليمان الرقي انا بالهذيل المادود دستر صرداى نزل في غرفة الى ان ظلب له
دار فجاء لي فقال بعض من شاء فقلت له يا ابا الهذيل انزل في مثل هذا المنزل فانشد يقول ويقول
زين المرء يا اخي بجمله لا انما زين الرجل ما في ذا كمه ؛ وعن ابي مجالد قال رايت رجلا وقد سال ابا
الهذيل وهو في الوراقين بعقب صلاح فقال له من جمع بين الزانيين يا ابا الهذيل فقال له يا ابن اخي
اتاملك الحكم فانهم يقولون القوادون ولا احسب هل تعدادا يخالفونهم في هذا القول فما هو
تقول انت يا جمال الرجل فسكت فقال ابو الهذيل للرجل من ينفي الحركة ولو فيهم يوجد يوم انذر الاصم
خبرني عن قول الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وذكر القاذف فقال
أجلدوهم ثمانين جلدة فاي هما اكثر فقال حد الزاني فقلت بكم بعشرين قلت فخبرني عن الجلد أهو بيد
تجلد فقال لا قلت فهو السوط قال لا قلت فهو ظهر المجلود فقال لا قلت فهو الا انفراج الذي بين
السوط وظهر المجلود قال لا قلت فثم شيء غير هذا هو الجلد قال لا قلت فانما تقول ان لا شيء اكثر من لا
شيء بعشرين فانقطع قال ابو الهذيل قلت لمجوسي ما تقول في النار قال بنت الله قلت فالبقر قال
ملائكة الله قص اجنحتها وحطها الى الارض يحرث عليها فقلت فما الماء قال نور الله قلت فما الجوع
والعطش قال فقر الشيطان وفاقته قلت فمن يحمل الارض قال بهمن الملك فقلت فما في الدنيا شر من
المجوس اخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها بنور الله ثم شووها ببنت الله ثم دفعوها الى
فقر الشيطان وفاقته ثم سلحوها على راس بهمن اعز ملائكة الله فانقطع المجوسي وخجل مما لزمه وذهل
ابو الهذيل يوما على الحسن بن سهل بفم الصلح وعنده فتى قد رفع مجلسه فقال ابو الهذيل من هذا
الفتى الذي قد رفعه الامير لتوقيته بمعرفته حقه قال رجل من اهل التنجيم قال من اهل صناعة
ام الاحكام قال الاحكام قال ذلك علم باطل فاساله قال سل فاخذ ابو الهذيل تفاحة من بين يديه
فقال آكل هذه ام لا فقال تاكلها فوضعها ابو الهذيل فقال لست آكلها قال فتعيدها
بيدك واعيد لك النظر فوضعها واخذ غيرها فقال له الحسن لو اخذتها قال لا تقول لي لا
تاكلها فاكلها خلافا عليه فيقول لي قد اصبت في المسالة الاولى وقال ثمامة المنادي يوما كان
الهذيل يدل على حدث العالم بعين الحركة والسكون فقال له ابو الهذيل مثلك مثل رجل قال
لخصمه احضر معي الى القاضي ولا تحضر بيتك وذكر محمد بن الجهم صاحب الفراء قال رايت ابا الهذيل
وقد جاء الى المامون حتى قام المامون فسال سهل بن هارون بن راهيون ان يكتب له كتابا في
حاجة له الى حمصي صاحب الجيش فنهض ابو الهذيل فاملى على سهل بن هارون ان الضعيف
اذا سالتك حاجة ولا بد الهذيل خلافا ابنه فاذا اتاك لحاجة فامدد له حبل الرجاء مخافة

الوعيد

حكاية ابو الهذيل مع المجوسي

الوعيد والزلزلة لنيل البغيض حقه في غير منفعة ولا رفق حتى اذا طالت شقاوة حليه ووجا
العفو فاجبهه بالرد واذا استطعت لضره فاجهد فيما يضره ابلغ الجهد وانظر كل الاتي
فاقدم به خلف الشر امنيات في البعد وكذلك فاصل غير محتشم ان جئت سائلا في ابي السند
قال قدس الله روحه ويشبه هذا المعنى ما اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن
الازهر قال حدثنا ابو العيناء قال كان لي صديق فجاءني يوما فقال اريد الخروج الى فلان العامل و
احببت ان تكون معي اليه وسيلة وقد سالت عن صديقه فقيل ابو عثمان الجاحظ وهو صديقه
واحببت ان تاخذ لي كتابا اليه بالعناية قال فصرت الى الجاحظ فقلت له في اي شيء جاء ابو عبد الله
مسلما وقاضيا للحق وفي حاجة لبعض اصدقائي وهي كذا وكذا فقال لا تشغلنا الساعة عن المحادثة
كاتب في غد اوجه اليك بالكتاب فلما كان من الغد وجه الي بالكتاب مختوما فقلت لابني وجه هذا
الكتاب الى فلان ففيه حاجته فقال لي ان ابا عثمان بعيد الغور فينبغي ان نفضه وننظر ما فيه
ففعل فاذا في الكتاب كتابي اليك مع من لا اعرفه وقد كلمني فيه من لا اوجب حقه فان قضيت حاجته
لم احمدك وان رددته لم اذممك فلما قرات الكتاب مضيت الى الجاحظ من فوري فقال لي يا ابا عبد الله
قد علمت انك انكرت ما في الكتاب فقلت او ليس موضع نكرة فقال لا هذه علامة بيني وبين
الرجل فيمن اعتني به فقلت لا والله ما رايت احدا اعلم بطبعك وما جبلت عليه من هذا الرجل
يعني صاحب الحاجة علمت انه لما قرا الكتاب قال ام الجاحظ عشرة آلاف وام من يسأله فقلت له يا هذا
اتشتم صديقنا فقال هذه علامتي فيمن اشكره وفي خبر آخر ان ابا العيناء سلم الكتاب الى صاحب
الحاجة وقال له فض الكتاب فقال انه مختوم فقال له ابو العيناء طينة اهون من لحيته قال السيد قدس
الله روحه واظن ان ابا العيناء تنبه على فض الكتاب من اثر خبر طرفة بن العبد والمتلمس الضبعي
المشهور وذلك انهما وفدا على عمرو بن هند فنادماه واختصا به ثم افضى الامر الى ان هجاه كل واحد منهما
وعرض به في الشعر المشهور في الرواية فحنق عليهما وهم بقتلهما ثم اشفق من ذلك واراد قتلهما بيد
غيره وكان على طرفة احنق فعلم انه ان قتله هجاه المتلمس فكتب لهما كتابا الى البحرين وقال لهما اني قد
كتبت لكما بصلة فاخرجا اقبضاها فخرجا من عنده والكتابان في ايديهما فرايا شيخا الى جانب الطريق
متكشفا بين يديه وهو يأكل كسرة خبز ياكل منها ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه فقال احدهما
لصاحبه هل رايت اعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ مقالتهما فقال وما ترى من عجبي ادخل طيبا
واخرج خبيثا واقتل عدوا وان اعجب مني لمن يحمل حتفه بيده وهو لا يدري فاوجس المتلمس في نفسه خيفة
وارتاب بكتابه ولقيه غلام من اهل الحيرة فقال له اتقرا يا غلام قال نعم ففض خاتم الكتاب ودفعه
الى الغلام فقراه فاذا فيه اذا اتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فاقبل على طرفة فقال له

ابو العيناء

نغصة وتنغص

اعظم

وعرض في الشعر

كنايتين

متكشف العورة

المتلمس

لعلمي واسلم كتب فيك بمثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقرؤه عليك فقال كلا والله ما كان ليجترئ
علي قومي بمثل هذا فلم يلتفت الى قول المتلمس فالقى المتلمس كتابه في نهر الحيرة وقال قذفت بها بالثني
من جنب كافر، كذلك اقنو كل قط مضلل، رضيت لها بالماء لما رأيتها، يجول بها التيار في كل جدول،
كافر نهر بالحيرة والقنو القنو والقط الكتاب والتيار معظم الماء واكثر موجه وقال المتلمس ايضا من شعر
من اخوتهم، نجاء، فمصلة قومهم بذاك لا نفس او ورد الذي علق الصحيفة منهما، ونجا حذار حبائه
المتلمس، ألقى صحيفته ونجته كودة، وخباء مجمرة المناسم عرمس، عيرانة طبخ الهواجر لحمها، فكأن
نفيها اديم املس، اطريف بن العبد انك حاين، اباحر الملك الهمام عمرس، الو العجيفة
لا ابالك انني، تخشي عليك من الحباء النقرس، النقرس ههنا الداهية ووصف طرفة بكتابه
الى البحرين فأمر به المعلى بن حنش العبدي فقتل فقال المتلمس عصاني فلم يحفظ الوساد وانما يميز
من امر القوى عواقبه، فاصبح محمولا على ظهر آلة، تمج نجيع الجوف منه ترائبه، فلا تحمل الهايعا
لولك عوقها، وكيف تولى ظهرها انت كيبا، ولحق المتلمس ببلاد الشام وهجا عمرو بن المنذر
يقول لك وصلبه بالعراق ليقتلني فقال: اليت حب العراق الدهر اطعمه، والحب يأكله في القرية
السوس، وجرى المثل بصحيفة المتلمس فقال الفرزدق وقد ذكر الشعراء الذين ورثوا اشعارهم
وهب القصايد لي النوابغ اذ مضوا، وابو يزيد وذو القروح وجرول، واخو بني قيس وهن قتلنه
ومهلهل الشعراء ذاك الاول، يعني بالنوابغ النابغة الذبياني والجعدي ونابغة بني شيبان ويعني
بابي يزيد المخبل السعدي وجرول هو الحطيئة وذو القروح امرؤ القيس واخو بني قيس هو طرفة ويعني
قوله وهن قتلنه يعني القصايد التي هجا بها عمرو بن هند ويقال ان صاحب المتلمس وطرفة في هذه
القصة هو النعمان بن المنذر وذلك اشبه بقول طرفة: ابا منذر كانت غرورا صحيفتي، ولم
اعطكم في الطوع مالي ولا عرضي، ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا، حنانيك بعض الشر اهون
من بعض، وابو منذر هو النعمان بن المنذر وكان النعمان بعد عمرو بن هند وقد مدح
طرفة النعمان بقصيدة فيجوز ان يكون عمرو قتله ويشبه ان تكون القصة مع النعمان بمجلس اخر وكان ابو
بشر بن المعتمر من شيوخ اهل الكلام ويقال ان جميع معتزلة اهل بغداد كانوا من مستجيبيه وكان
ابو القسم البلخي انه من اهل بغداد وقيل من اهل الكوفة وذكر الجاحظ انه كان ابرص حكي انه كان
يوما في مجلسه عنده اصحابه يسمعهم مجبر فيسمعهم ويقول انتم تحمدون الله على ايمانكم وهم
يقولون نعم فيقول لهم فكانه يجب ان تحمد على ما لم يفعل وقد قدم ذلك في كتابه فيقولون له انما
ذم من احب ان يحمد على ما لم يفعله مما لم يعن عليه ولم يدع اليه وهو يعني بذلك الفعل بما
فقال بشر للمجبر قد سالت القوم ولما يبلغوا هذا ابو فاساله فساله عن المسئلة فقال الرجل

يجب عليك ان تحمد الله على الايمان قال لا بل هو يحمد في عليه لانه زينه في قلبي فقبلته وانا احمد على
ما اكرمني به وفقني عليه من الدعاء اليه فانقطع المجبر وقال بشر شنعت فسهلت قال الجاحظ و
كان بشر يقع في ابي الهذيل وينسبه الى النفاق فقال وهو يصفه ابو الهذيل لان يكون لا يعلم
وهو عند الناس يعلم احب اليه من ان يعلم ويكون عند الناس لا يعلم ولان يكون من السفلة وهو عند
الناس من العلية احب اليه من ان يكون من العلية وهو عند الناس من السفلة ولان يكون
نبيل المنظر سخيف المخبر احب اليه من ان يكون نبيل المخبر سخيف المنظر وهو بالنفاق اشد عجبا
منه بالاخلاص ولباطل مقبول احب اليه من حق مدفوع ولبشر اشعار كثيرة يحتج فيها على
اصحاب المقالات ذكر الجاحظ انه لم ير احدا اقوى على المخمس والمزدوج مما قوي عليه بشر وانه كان
اكثر في ذلك واقدر من ابان اللاحقي وهو القائل: ان كنت تعلم ما اقول، وما تقول فانت عالم
او كنت تجهل ذا وذاك، فكن لاهل العلم لازم، اهل الرياسة من ينازعهم رياستهم فظالم
سهرت عيونهم وانت، عن الذي قاسوه حالم، لا تطلبن رياسة، بالجهل انت لها مخاصم، لولا
مقامهم رأيت، الدين مضطربا لدعائم، فاما ابو اسحق ابرهيم بن سيار النظام فانه كان مقدما
في العلم بالكلام حسن الخاطر فيه شديد التدقيق والغوص على المعاني وانما اداه الى المذاهب الباطلة
التي تفرد بها واستشنعت منه تدقيقه وتغلغله وقيل انه مولى الزياديين من ولد العبيد وان
الرق جرى على احد ابائه وقيل للنظام ما الاختصار فقال الذي اختصاره فساد وقال له رجل
لا انا المجوسي فقال نعم ذاك الذي حلق وسط راسه كما يفعل اليهودي فقال النظام لا المجوس
عرفت ولا اليهودي وصفت قال الجاحظ وذكر النظام عبد الوهاب الثقفي فقال هو احلى من امن
بعد خوف وبرء بعد سقم وخصب بعد جدب وغنى بعد فقر وطاعة المحبوب وفرج المكروب
ومن الوصل الدائم مع الشباب الناعم وللنظام شعر كثير صالح فمنه: يا تاركي جسدا بغير فؤاد،
اسرفت في الهجران والابعاد، ان كان يمنعك الزيارة اعين، فادخل الي بعلة العواد، كيما
اراك وتلك اعظم منة، ملكت يداك بها منيع قياد، ان العيون على القلوب اذا جنت، كانت
بليتها على الاجساد، وله ايضا: تامله الطرف حتى اذا ما جنت، فصار مكان الوهم من نظري اثر
كفى فالوهم كفه، ومر صحيح قلبي في انامله عقر، ومر بقلبي خاطر فجرحته، ولم ار خلقا قط
يجرحه الفكر، يمر فمن لين وحسن تعطف، يقال به سكر وليس به سكر، ويقال ان ابا
العتاهية قال انشدت النظام: اذا قام النديم له بلحظ، تمشت في محاسنه الكلوم فقال
ينبغي ان يتنادم هذا المعنى كثيرا في شعره فمن ذلك قوله: رق فلو بزت سرابيله، علقه الجو
من اللطف، يجرحه اللحظ بتكراره، ويشتكي الايماء بالطرف، وحكى ابو ان النظام

وهو حدث الى الخليل بن احمد ليتعلم فقال له الخليل يوما يمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف
هذه الزجاجة فقال أبمدح ام بذم قال بمدح قال نعم تريك القذى ولا تقبل الاذى ولا تستر
ما وراءها قال فذمها قال سريع كسرها بطيء جبرها قال فصف هذه النخلة واومأ الى نخلة في داره
فقال أبمدح ام بذم قال بمدح قال هي حلو مجتناها باسق منتهاها ناضر اعلاها قال فذمها قال
هي صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالاذى فقال الخليل يا بني نحن الى التعلم منك احوج
قال السيد قدس الله روحه هذه بلاغة من الغلام حسنة لان البلاغة هي وصف الشيء ذما
او مدحا باقصى ما يقال فيه ويشبه هذا المعنى خبر لبيد المشهور في هجائه للبقلة التي امتحن
بهجائها واخبر فيها فقال فيها ابلغ ما يقال في مثلها وذلك ان عمارة وانسا وقيسا والربيع
بني زياد العبسيين وفدوا على النعمان بن المنذر ووفد عليه العامريون بنو ام البنين وعليهم
ابو البراء عامر بن جعفر بن كلاب وهو ملاعب الاسنة وكان العامريون ثلاثين رجلا
فيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو يومئذ غلام له ذؤابة وكان الربيع بن زياد
العبسي ينادم النعمان ويكثر عنده ويتقدم على من سواه وكان يدعى الكامل لشطاطه وبياضه
وكماله فضرب النعمان قبة على ابي براء واجرى عليه وعلى من كان معه النزل فكانوا يحضرون
النعمان لحاجتهم فافتخروا يوما بحضرته فكاد العبسيون يغلبون العامريين وكان الربيع اذا
خلا بالنعمان طعن فيهم وذكر معايبهم ففعل ذلك مرارا لعداوته لبني جعفر لانهم كانوا اسروه فصد
النعمان عنهم حتى نزع القبة عن ابي براء وقطع النزل فدخلوا عليه يوما فراوا منه جفاء وقد
كان قبل ذلك يكرمهم ويقدم مجلسهم فخرجوا من عنده غضابا وهموا بالانصراف ولبيد في رحالهم
يحفظ امتعتهم ويغدو بابلهم فيرعاها فاذا امسى انصرف بها فاتاهم تلك الليلة وهم يتذاكرون
امر الربيع فقال لهم ما لكم تتناجون فكتموه وقالوا اليك عنا فقال اخبروني فلعل لكم عندي
فرجا فزجروه فقال والله لا احفظ لكم متاعا ولا اسرح لكم بعيرا او تخبروني وكانت ام لبيد
عبسية في حجر الربيع فقالوا خالك قد غلبنا على الملك وصد عنا وجهه فقال هل تقدرون
على ان تجمعوا بيني وبينه غدا حين يقعد الملك فازجر به زجرا ممضا مؤلما لا يلتفت اليه النعمان
بعده ابدا قالوا وهل عندك ذاك قال نعم قالوا فانا نبلوك بشتم هذه البقلة وقدامهم بقلة
دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها في الارض تدعى التربة فاقتلعها من الارض واخذها
بيده فقال هذه التربة الثفلة الرذلة التي لا تذكي نارا ولا تؤهل دارا ولا تسر جارا عودها
ضئيل وفرعها ذليل وخيرها قليل بلدها شاسع ونبتها خاشع وآكلها جائع والمقيم عليها
قانع اقصر البقول فرعا واخبثها مرعى واشدها قلعا فحزنا لجارها وجدعا القوا بي اخا عبس

القوا

ارجعه عنكم بتعس ونكس واتركه من امره في لبس فقالوا نصبح ونرى فيك راينا فقال لهم عامر انظروا
الى غلامكم هذا فان رايتموه نائما فليس امره بشيء انما يتكلم بما جرى على لسانه وان رايتموه ساهرا
فهو صاحبكم فرمقوه بابصارهم فوجدوه وقد ركب رحلا يكدم واسطته حتى اصبح فلما اصبحوا
قالوا انت والله صاحبه فحلقوا راسه وتركوا له ذؤابتين والبسوه حلة ثم غدا معهم فدخلوا
على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع ليس معه غيره والدار والمجالس مملوءة بالوفود فلما
فرغ من الغداء اذن للجعفريين فدخلوا عليه والربيع الى جانبه فذكروا للنعمان حاجتهم فاعترض
الربيع في كلامهم فقام لبيد فقال من احد شقي راسه وارخى ازاره وانتعل نعلا واحدة وكذلك
كانت الشعراء تفعل في الجاهلية اذا ارادت الهجاء فمثل بين يديه فقال يا رب هيجا هي خير من دعه
اكل يوم هامتي مقزعه نحن بني ام البنين الاربعه ونحن خير عامر بن صعصعه المطعمون
الجفنة المدعدعه والضاربون الهام تحت الخيضعه مهلا ابيت اللعن لا تاكل معه ان
استه من برص ملمعه وانه يدخل فيها اصبعه يدخلها حتى يواري اشجعه كانما يطلب شيئا
ضيعه فلما فرغ لبيد التفت النعمان الى الربيع يرمقه شزرا وقال اكذلك انت قال كذب والله ابن
الحمق اللئيم فقال النعمان اف لهذا الطعام لقد خبث علي طعامي فقال الربيع ابيت اللعن اما اني
لقد فعلت بامه ولا يكني وكانت في حجري فقال لبيد انت لهذا الكلام اهل اما انها من نسوة
غير فعل وانت المرء فعل هذا بيتيمة في حجره قال السيد قدس الله روحه ووجدت في رواية اخرى
اما انها من نسوة فعل وانما قال ذلك لانها كانت من قوم الربيع فنسبها الى القبيح وصلة عليها
نسبها اليه ولقومه فامر الملك بهم جميعا فاخرجوا واعاد على ابي براء القبة وانصرف الربيع
الى منزله فبعث اليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به وامره بالانصراف الى اهله وكتب اليه الربيع اني
قد تخوفت ان يكون قد وقر في صدرك ما قال لبيد ولست برائم حتى تبعث الي من يجردني
ليعلم من حضرك من الناس اني لست كما قال فارسل اليه انك لست صانعا بانتفائك مما قال
لبيد شيئا ولا قادرا على ما زلت به الالسن فالحق باهلك ثم كتب لبيد النعمان في جملة
ابيات جوابا عن ابيات كتبها اليه الربيع مشهورة قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا فما اعتذارك
من شيء اذا قيلا واخبرنا بهذا الخبر ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن الحسن بن دريد
قال اخبرنا ابو حاتم عن ابي عبيدة واخبرنا به المرزباني قال حدثني محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا
احمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال اخبرنا محمد بن زياد بن زبان عن الكلبي عن عبد الله بن مسلم
البكائي وقد كان ادرك الجاهلية وفي حديث كل واحد زيادة على الآخر ولم نات بجميع الخبر
على وجهه بل اسقطنا منه ما لم نحتج اليه واوردنا ما اوردنا منه بالفاظه قال السيد قدس

الله وجهه اما قوله نحن بنو ام البنين الاربعه فانه نصب على المدح والعرب تنصب على المدح والذم جميعا وام البنين هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب فولدت له عامر بن مالك ملاعب الاسنة وطفيل بن مالك فارس قرزل وهو ابو عامر بن الطفيل وقرزل فرس كانت له وربيعة بن مالك ربيع المقترين وهو ابو لبيد ومعوية بن مالك معوّد الحكام وانما سمي معوّد الحكام بقوله · اعوّد مثلها الحكام بعدي · اذا ما الحق في الاشياع نابا · وعبيدة الوضاح فهؤلاء خمسة وقال لبيد اربعة لان الشعر لم يمكنه من غير ذلك فاما الجفنة المدعدعة فهي المملوءة واما الخضخضة فان الاصمعي ذكر ان لبيدا قال تحت الخضعة يعني الجلبة فنونها الرواة وان الخضعة هو ان وقع السيوف والخضعة ايضا البيضة التي تلبس على الراس والخضعة الغبار والقول يحتمل كل ذلك فاما البيت اللحن فان ابا حاتم قال سالت الاصمعي عنه فقال معناه ابيت اللعن ان تأتي من الامور ما تلعن عليه فاما الاشاجع فهي العروق والعصب الذي على ظهر الكف وقد روي يا رب هيجا هي خير من دعه · يوم هامتي مقزعه والقزع ان تنتف بعض الشعر او الصوف وبقاء بعضه يقال الكبش اقزع ونعجة قزعاء فاما الجاحظ فهو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب مولى لابي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقيمي وذكر المبرد انه ما رأى احرص على العلم من ثلاثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحق القاضي فاما الجاحظ فانه كان اذا وقع في يده كتاب قراه من اوله الى اخره اي كتاب كان واما الفتح بن خاقان فكان يحمل الكتاب في خفه فاذا قام من بين يدي المتوكل للبول او للصلاة اخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريده ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه حتى ياخذ مجلسه واما اسمعيل بن اسحق فاني ما دخلت عليه قط الا وفي يده كتاب ينظر فيه او يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه قال البلخي ونصر الجاحظ القول بان المعرفة تحصل من الطباع وهي مع ذلك فعل للعباد على الحقيقة وكان يقول في سائر الافعال انها انما تنسب الى العباد على انها وقعت منهم طباعا وانها وجبت بارادتهم وليس بجائز ان يبلغ احد فلا يعرف الصانع الى ان قال وعنده ان من معاند وبين عارف قد استغرقه حبه لمذهبه وتعصبه فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخالقه وكان الجاحظ لمحمد بن عبد الملك الزيات وكان منحرفا عن احمد بن ابي دواد للعداوة التي كانت بين احمد ومحمد فلما قبض على محمد الزيات هرب الجاحظ فقيل له لم هربت فقال خفت ان اكون ثاني اثنين اذ هما في التنور يريد ما صنع بمحمد بن عبد الملك من ادخاله تنورا فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات وروي انه اتي بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر اليه ابن ابي دواد قال والله ما علمتك الا متناسيا للنعمة كفورا للصنيعة معددا للمساوي وما فتني باستصلاحي لك ولكن الايام لا تصلح منك لفساد طويتك

ووداه

الجاحظ

الفتح بن خاقان

الجاحظ

ورداءة دخلتك وسوء اختيارك وغالب طبعك فقال الجاحظ خفض عليك ايدك الله فوالله لان يكون لك الامر علي خير من ان يكون لي عليك لاني اسيء وتحسن خير في الاحدوثة عنك من ان احسن فتسيء وان تعفو عني في حال قدرتك اجمل بك من الانتقام مني فقال له ابن ابي دواد قبحك الله فوالله ما علمتك الا كثير تزويق اللسان وقد جعلت بيانك امام قلبك ثم اصطفيت فيه النفاق والكفر يا غلام صر به الى الحمام وامط عنه الاذى فاخذت عنه السلسلة والقيد وادخل الحمام وحمل اليه تخت من ثياب وطويلة وخف فلبس ذلك ثم اتاه فصدره في مجلسه ثم اقبل عليه فقال هات الان حديثك يا ابا عثمان وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول احذر من تأمن فانك على حذر ممن تخاف قال الجاحظ قلت لابي يعقوب الخريمي الشاعر من خلق المعاصي قال الله قلت فمن يعذب عليها قال الله قلت فلم قال لا ادري والله وكان الجاحظ يقول ينبغي للكاتب ان يكون رقيق حواشي الكلام عذب ينابيعه اذا حاور سدد سهم الصواب الى غرض المعنى ولا يكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة وقال سوار بن ابي شراعة كنت عند الجاحظ فرأى اكثر ما في دواتي في ورق دقيق متقارب السطور فقال لي يا احسبك محتسبا ورقك فقلت كيف ذاك فقال لا ارى بين سطورك فيها فسحة وذكر ابو العباس المبرد قال سمعت الجاحظ يقول لرجل ان انت والله احوج الى هوان من كريم الى اكرام ومن علم الى عمل ومن قدرة الى عفو ومن نعمة الى شكر وقال المبرد قال لي الجاحظ يوما انشدني قول الحصين بن الحمام · ولا خير فيمن لا يوطن نفسه · على نائبات الدهر حين تنوب · فقلت نعم قول كثير فيها احسن منه · فقلت لها يا عز كل مصيبة · اذا وطنت يوما لها النفس ذلت · وروى يموت بن المزرع لخاله عمرو بن بحر الجاحظ في الجماز يهجوه · نسب الجماز مقصور اليه منتهاه · تنتمي الاحساب بالناس ولا يعدو قفاه · فالجماز بن ابو الجماز فيه كالنبات · ليس يدري من ابو الجماز الا من نواه · اخبرنا المرزباني قال اخبرني علي بن هرون قال انشدني وكيع قال انشدنا ابو العيناء قال انشدني الجاحظ لنفسه في الخضاب · ركبت منها بما رأيت هذا فاستعجلت الى الزوال · فلما رأيت ذاك الشبيبة الا السبال · كانما كرعت في جريال · ما يبتغي مثلك من المشتهى فتح لداني ومن حكى · قال المرزباني رحمه الله كانما كرعت في جريال مليح قوي ولا يشبه شعر الجاحظ بلاغته وفصاحة كلامه وذكر ابو العيناء قال حدثني ابرهيم بن رباح قال انشدني الجاحظ يمدحني · بدا حين اثرى باخوانه · ففلل عنهم شباة العدم · وذكره الحزم ريب الزمان · فبادر بالعرف قبل الندم · قال ابرهيم فانشدتهما احمد بن ابي دواد فقال قد انشدنيهما يمدحني بهما ثم لقيت محمد بن الجهم فقال قد انشدنيهما يمدحني بهما وقال يموت بن المزرع سمعت خالي الجاحظ يقول لا اعرف شعرا يفضل قول ابي نواس · ودار ندامى عطلوها وادلجوا · بها اثر منهم جديد ودارس · مساحب من جر الزقاق على الثرى

واضغاث ريحان جنيّ ويابس ÷ حبست بها صحبي فجددت عهدهم ÷ واني على امثال تلك لحابس
ولم ادر من هم غير ما شهدت به ÷ بشرقيّ ساباط الديار البسابس ÷ اقمنا بها يوما ويوما وثالثا
ويوما له يوم الترحل خامس ÷ تدار علينا الراح في عسجدية ÷ حبتها بانواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها ÷ مها تدريها بالقسيّ الفوارس ÷ فللخمر ما زرّت عليه جيوبها
وللماء ما دارت عليه القلانس ÷ قال الجاحظ فانشدتها ابا شعيب القلال فقال يا ابا عثمان لو نقر هذا الشعر لطنّ فقلت ويلك ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت قال السيد قدس الله روحه اخذ ابو نواس قوله ولم ادر من هم غير ما شهدت به ÷ بشرقي ساباط الديار البسابس من ابي خراش الهذلي في قوله ولم ادر من القى عليه رداءه ÷ سوى انه قد سلّ عن ماجد محض ويقال ان ابا خراش قال هذا في مدح رجل من قريش وذلك ان خراش بن ابي خراش اسر هو وعروة بن مرة فطرح رجل من القوم رداءه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة ونجاه فلما نقر عنوا له قال انت اهل مضى ويقال بل رآه في الاسر رجل من خثعم فالقى عليه رداءه ليجيره فقال له انج ومضى فقال ابو خراش في ذلك حمدت الهي بعد عروة اذ نجا ÷ خراش وبعض الشر اهون من بعض ÷ فاقسم لا انسى قتيلا رزئته ÷ بجانب قوسى ما مشيت على الارض ÷ على انها تعفو الكلوم وانما ÷ نوكل بالادنى وان جل ما يمضي ÷ ولم ادر من القى عليه رداءه ÷ سوى انه قد سل عن ماجد محض واخبرنا المرزباني قال حدثني ابرهيم بن محمد بن شهاب قال حدثنا ابو الحسن احمد بن عمر البرذعي المتكلم قال صرت الى منزل الجاحظ في اول ما قدمت من مكة وقد اعتل علته التي فلج فيها فاستأذنت عليه فخرج اليّ الخادم من منزله فقال لي يقول لك وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل فاضرب عنه وذكر يموت بن المزرع قال وجه المتوكل في السنة التي قتل فيها ان يحمل اليه الجاحظ من البصرة وسال الفتح ذلك فوجده لا فضل فيه فقال لمن اراد حمله وما تصنع بامرئ ليس بطائل ذي شق مائل ولعاب سائل وفرج بائل وعقل زائل ولون حائل وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول انا من جانبي الايسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما علمت ومن جانبي الايمن منقرس فلو مر به الذباب لالمت وفي مثانة لا ينسرح لي البول معها واشد ما علي ست وتسعون وقال يوما لطبيب يشكو اليه علته اصطلحت الاضداد على جسدي ان اكلت باردا اخذ برجلي وان اكلت حارا اخذ برأسي وتوفي في سنة خمس وخمسين ومائتين

مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء

قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق الآية

وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فقال كيف نفى ان يكون تولية الوجوه الى الجهات من البر وانما يفعل ذلك في الصلاة وهي بر لا محالة وكيف خبّر عن البر بمن والبر كالمصدر ومن اسم محض وعن اي شيء كنى بالهاء في قوله تعالى وآتى المال على حبه وما المخصوص بانها كناية عنه ها هنا اشياء كثيرة وعلى اي شيء ارتفع الموفون وكيف نصب الصابرين وهم معطوفون على الموفون وكيف وجه الكناية في موضع وجمعها في آخر فقال من آمن وآتى المال واقام الصلوة ثم قال والموفون والصابرين قلنا اما ما ذكرته اولا فالجواب عنه من وجهين احدهما انه تعالى اراد ليس الصلوة هي البر كله ولكنه ما عدّه في الآية من ضروب الطاعات وصنوف الواجبات فلا تظنوا انكم اذا توجهتم الى الجهات بصلاتكم فقد احرزتم البر باسره وحزتموه بكماله بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمه واكثره والجواب الثاني ان النصارى لما توجهوا الى المشرق واليهود الى بيت المقدس واتخذوا هاتين الجهتين قبلتين واعتقدوا في الصلوة اليهما انها بر وطاعة خلافا على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اكذبهم الله تعالى في ذلك وبيّن ان ذلك ليس من البر اذ كان منسوخا بشريعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي تلزم الاسود والابيض والعربي والعجمي وان البر هو ما تضمنته الآية فاما الاخبار عن البر بمن ففيه وجوه ثلاثة اولها ان يكون معنى البر ها هنا البار وذا البر وجعل احدهما في مكان الآخر والتقدير ولكن البار من آمن بالله ومجرى ذلك مجرى قول الله تعالى ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا ومثل قول الشاعر ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت ÷ فانما هي اقبال وادبار اراد انها مقبلة ومدبرة ومثله تظل جيادهم نوحا عليهم ÷ مقلدة اعنتها صفونا اراد نائحة عليهم ومثله ÷ هريقي من دموعهما سجاما ÷ ضباع وجاوبي نوحا قياما والوجه الثاني ان العرب قد تخبر عن الاسم بالمصدر والفعل وعن المصدر بالاسم فاما اخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى ولكن البر من آمن بالله وقول العرب انما البر الذي يصل الرحم ويفعل كذا وكذا واما اخبارهم عن الاسم بالمصدر والفعل فمثل قول الشاعر لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى ÷ ولكنما الفتيان كل فتى ندى ÷ فجعل ان تنبت وهو مصدر خبرا عن الفتيان والوجه الثالث ان يكون المعنى ولكن البر بر من آمن بالله فحذف البر الثاني واقيم من مقامه كقوله واشربوا في قلوبهم العجل اراد حب العجل قال الشاعر وكيف تواصل من اصبحت ÷ خلالته كابي مرحب اراد كخلالة ابي مرحب قال النابغة وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي ÷ على وعل في ذي المطارة عاقل اراد على مخافة وعل وتقول العرب بنو فلان يطأهم الطريق اي اهل الطريق وحكي عن بعضهم اطيب الناس الزبد اي اطيب ما ياكل الناس الزبد وكذلك قولهم حسبت صياحي زيدا اي صياح زيد وروي عن ابن عباس في قوله تعالى ليس على الاعمى حرج اي ليس على من اكل مع الاعمى حرج وفي قوله تعالى وداعيهم كلهم قال صاحب كليهم ذكروا وان كان داعيا شعبهم فاما ما كنى عنه بالهاء في قوله تعالى وآتى المال على

وآتى المال على حبه ذوي القربى

على
على حبه ذوي القربى ففيه وجوه أربعة أولها أن تكون الهاء راجعة إلى المال الذي تقدم ذكره ويكون المعنى
وآتى المال على حب المال وأضيف الحب إلى المفعول ولم يذكر الفاعل كما يقول القائل أشربت طعامي
كاشتراء طعامك والمعنى كاشترائك طعامك والوجه الثاني أن تكون الهاء راجعة على من آمن بالله
فيكون المصدر مضافا إلى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه والوجه الثالث أن ترجع
الى
الهاء على الإيتاء الذي دل عليه آتى والمعنى وأعطى المال على حب الإعطاء ويجري ذلك مجرى قول
القطامي هم الملوك وأبناء الملوك لهم والآخذون به والساسة الأول فكنى بالهاء عن الملك لما
الخلاف
دل قوله الملوك عليه ومثله قول الشاعر إذا نهي السفيه جرى إليه وخالف والسفيه إلى خلاف أراد جرى
إلى السفه الذي دل ذكر السفيه عليه والوجه الرابع أن تكون الهاء ترجع إلى الله تعالى لأن ذكره قد
تقدم فيكون المعنى وآتى المال على حب الله تعالى ذوي القربى واليتامى فإن قيل أي فائدة في ذلك
وقد علمنا الفائدة في إيتاء المال مع محبته والضن به وأن العطية تكون أشرف وأمدح فما الفائدة
فيما ذكرتموه وما معنى محبة الله والمحبة عندكم هي الإرادة والقديم تعالى لا يصح أن يراد قلنا
أما المحبة عندنا فهي الإرادة إلا أنهم يستعملونها كثيرا مع حذف متعلقها مجازا أو توسعا فيقولون
فلان يحب زيدا إذا أراد منافعه ولا يقولون زيد يريد عمرا بمعنى أنه يريد منافعه لأن التعارف جرى
في استعمال الحذف والاختصار في المحبة دون الإرادة وإن كان المعنى واحدا وقد ذكر أن قولهم زيد
يحب عمرا مزية على قولهم يريد منافعه لأن اللفظ الأول ينبئ عن أنه لا يريد إلا منافعه وأنه لا يريد
شيئا من مضاره والثاني لا يدل على ذلك فحصلت له مزية وعلى هذا يصف الله سبحانه بأنه يحب أو
أوليا المؤمنين
لياءه والمؤمنين من عباده والمعنى فيه أنه يريد لهم ضروب الخير من التعظيم والإجلال والنعم فأما
وصف أحدنا بأنه يحب الله تعالى فالمعنى فيه أنه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعته ولا يصح فيه المعنى
الذي ذكرناه في محبة العباد بعضهم بعضا لاستحالة المنافع عليه ومن جوز عليه تعالى الانتفاع
لا يصح فيه
لا يصح أن يكون محبا له على هذا المعنى لأنه باعتقاده ذلك قد خرج من أن يكون عارفا به فمحبته
بالحقيقة
في الحقيقة لا تتعلق به ولا تتوجه إليه كما نقول في أصحاب التشبيه أنهم إذا عبدوا من اعتقدوه إلها
فقد عبدوا غير الله تعالى فأما الفائدة في إعطاء المال مع محبة الله تعالى فهي ظاهرة لأن إعطاءه لما
قارنته إرادة وجه الله تعالى وعبادته وطاعته استحق به الثواب ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحق
الفاعل ثوابا وكان ضائعا وتأثير ما ذكرناه أبلغ من تأثير حب المال والضن به لأن المحب للمال
الضنين به متى بذله وأعطاه ولم يقصد به الطاعة والعبادة والقربة لم يستحق به شيئا من الثواب
لم يسبق له في هذه
وإنما يؤثر حبه للمال في زيادة الثواب متى حصل ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة ولو تقرب
بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا محب له لاستحق الثواب وهذا الوجه لم يسبق إليه في هذه الآية.

وهو أحسن ما قيل فيها وقد ذكر فيها وجه آخر وهو أن تكون الهاء راجعة إلى من آمن أيضا وينتصب
ذوي القربى بالحب ولا يجعل بآتى منصوبا لوضوح المعنى ويكون تقدير الكلام وأعطى المال
في حال حبه
على حال حبه ذوي القربى واليتامى على حال محبته إياهم وهذا الوجه ليس فيه ما يفسر في باب
رجوع الهاء التي وقع عنها السؤال وإنما يبين مما تقدم في تقدير انتصاب ذوي القربى بالحب
وذلك غير ما وقع السؤال عنه والأجوبة الأول أقوى وأولى فأما قوله تعالى والموفون
المرفوعون ففي رفعه وجهان
ففي رفعه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعا على المدح لأن النعت إذا طال وكثر رفع بعضه ونصب بعضه
على المدح ويكون المعنى وهم الموفون بعهدهم قال الزجاج وهذا أجود الوجهين والوجه الآخر أن يكون
معطوفا على من آمن ويكون المعنى ولكن البر وذو البر المؤمنون والموفون بعهدهم قال الزجاج
فيها
وهذا أجود الوجهين والوجه الآخر أن يكون معطوفا فأما نصب الصابرين ففيه وجهان أحدهما
المدح لأن مذهبهم في الصفات والنعوت إذا طالت أن يعترض بينها بالمدح والذم ليميز الممدوح
أو المذموم ويفرد فيكون غير متبع لأول الكلام من ذلك قول الخرنق بنت بدر بن هفان لا يبعدن
قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر النازلين بكل معترك والطيبين معاقد الأزر فنصب
ذلك على المدح وربما رفعوهما جميعا على أن يتبع آخر الكلام أوله ومنهم من ينصب النازلين ويرفع
الطيبين وآخرون يرفعون النازلين وينصبون الطيبين والوجه في النصب والرفع ما ذكرناه ومن
ذلك قول الشاعر أنشده الفراء إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وذا الرأي
حين تغم الأمور بذات الصليل وذات اللجم فنصب ليث الكتيبة وذا الرأي على المدح وأنشد
تكنفوني
الفراء أيضا فليت التي فيها النجوم تواضعت على كل غث منهم وسمين غيوث الحيا في كل محل
ولزبة أسود الشرى يحمين كل عرين ومما نصب على الذم قوله سقوني الخمر ثم تكنفوني عداة
الله من كذب وزور والوجه الآخر في نصب الصابرين أن يكون معطوفا على ذوي القربى ويكون
المعنى وآتى المال على حبه ذوي القربى والصابرين قال الزجاج وهذا لا يصلح إلا أن يكون
رفع رفعا
الموفون رفع على المدح للمضمرين لأن ما في الصلة لا يعطف عليه بعد العطف على الموصول وكان
يقوي الوجه الأول فأما توحيد الذكر في موضع وجمعه في آخر فلأن من آمن لفظه لفظ الواحد وإن
في
كان في المعنى للجمع فالذكر الذي في قوله من آمن موحد لأنه جرى على اللفظ وما جاء من الوصف بعد ذلك
على سبيل الجمع مثل قوله تعالى والموفون والصابرين فعلى المعنى وقد اختلفت القراء في
رفع الراء ونصبها من قوله تعالى ليس البر فقرأ عاصم وحمزة في رواية حفص ليس البر بنصب الراء
وروى هبيرة عن حفص عن عاصم أنه كان يقرأ بالنصب والرفع وقرأ الباقون البر بالرفع والوجهان
جميعا حسنان لأن كل واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة وإذا اجتمعا في التعريف تكافآ في

في جواز كون احدهما اسما والآخر خبرا كما انتكافأ النكرتان في جهة من دفع البراءة لان يكون الاسم الفاعل
أولى لان الاسم يشبه الفعل فكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده الا ترى
انك اذا قلت ضرب غلامه زيد فان الاسم يلي الفعل وتقول ضرب غلامه زيدا فيكون التقدير في الغلام التأخير
فلولا ان الفاعل أحق بهذا الموضع لم يجز هذا كما لم يجز في الفاعل ضرب غلامه زيدا حيث لم يجز
في الفاعل تقدير التأخير كما جاز في المفعول به لوقوع الفاعل موقعه المختص به ووجه من نصب الجز
ان يقول كون الاسم ان وصلتها أولى لشبهها بالمضمر في انها لا توصف كما لا يوصف المضمر فكانه
اجتمع مضمر ومظهر والأولى اذا اجتمعا ان يكون المضمر الاسم من حيث كان اذهب في الاختصاص
من المظهر حدثنا ابو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا الدقاق قال اخبرنا ابو عبد الله
محمد بن احمد الحكيمي الكاتب قراءة عليه قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي ثعلب قال
اخبرنا ابن الاعرابي قال قال ابن الكلبي لما كان صبيحة يوم الهباءة جاء قيس بن زهير الى النمر بن قاسط
فقال لهم انجاوركم واختبركم فزوجوني امرأة قد ادبها الغنى واذلها الفقر في حسب وجمال
فزوجوه ظبية ابنة الكيس النمري فقال لهم ان في ثلاثا اني غيور واني فخور واني انف ولست
افخر حتى ابدا ولا اغار حتى ارى ولا انف حتى اظلم فاقام فيهم حتى ولد له فلما اراد الرحيل عنهم
قال اني موصيكم بخصال وناهيكم عن خصال عليكم بالاناة فان بها تنال الفرصة وتسويد من لا
تعابون بتسويده وعليكم بالوفاء فان به يعيش الناس وباعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسألة
ومنع من تريدون منعه قبل الالحاح واجارة الجار على الدهر وتنفيس المنازل عن بيوت اليتامى
وخلط الضيف بالعيال وانهاكم عن الرهان فان به ثكلت مالكا اخي والبغي فانه قتل زهيرا ابي
وعن الاعطاء في الفضول فتعجزوا عن الحقوق وعن الاسراف في الدماء فان يوم الهباءة الزمني
العار ومنع الحرم الا من الاكفاء فان لم تصيبوا لهن الاكفاء فان خير مناكحها القبور او خير منازلها
واعلموا اني كنت ظالما مظلوما ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكا اخي وظلمتهم بان قتلت من لا ذنب له
قال المرتضى قدس الله روحه اما قوله انهاكم عن الرهان فاراد المراهنة في سباق الخيل وذلك
ان قيس بن زهير راهن حذيفة بن بدر الفزاري على فرسيه داحس والغبراء وفرسي حذيفة الخطار
والحنفاء وقال بعض بني فزارة بل قرزل والحنفاء وكان قيس كارها لذلك وانما هاجه بينهما
بعض بني عبد الله بن غطفان وقيل بل رجل من بني عبس والخبر في شرح ذلك مشهور ثم وقع الاتفاق
على السباق وجعلوا الغاية من واردات الى ذات الاصاد وجعلوا القصبة في يد رجل من بني ثعلبة
بن سعد يقال له حصين ويقال رجل من بني العشراء من بني فزارة وملؤا البركة ماء وجعلوا السابق
اول الخيل يكرع فيها ثم ان حذيفة بن بدر وقيس بن زهير اتيا المدى الذي ارسلت الخيل

معنى الرهان والسباق

منه ينظر اليها والى خروجها فلما ارسلت عارضها فقال حذيفة خدعتك يا قيس فقال قيس
ترك الخداع من اجرى من مائة يعني من مائة غلوة فارسلها مثلا ثم ركضا ساعة فجعل خيل
حذيفة تتقدم خيل قيس فقال حذيفة سبقتك يا قيس فقال قيس جري المذكيات غلاب فارسلها
مثلا والمذكيات المسان من الخيل ويروى غلاء اي كما يتغالى بالنبل ثم ركضا ساعة فقال حذيفة
انك لا تركض مركضا سبقت خيلك فقال قيس رويدا يعلون الجدد فارسلها مثلا ويروى
يعلون الجدد اي يتعالين الجدد الى الوعث وقد كان بنو فزارة كمنوا بالثنية كمينا لينظروا
فان جاء داحس سابقا امسكوه وصدوه عن الغاية فجاء داحس سابقا فامسكوه ولم يعرفوا
وهي خلفه مصلية حتى مضت الخيل واسهلت من الثنية ثم ارسلوه فتمطر في آثارها
يبددها فرسا فرسا حتى انتهى الى الغاية مصليا وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو تباعدت
الغاية لسبقها فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ثم حلؤوها عن البركة ثم لطموا داحسا وقد
جاء متواليين ثم جاء حذيفة وقيس في آخر الناس وقد دفعهم بنو فزارة عن سبقهم ولطموا
فرسيهم وجرى من الخلاف في ذلك السبق ما قد شرحته الرواة وقيل في بعض الروايات ان الرهان
والسباق كان بين حمل بن بدر وبين قيس وفي ذلك يقول قيس كما لاقيت من حمل بن بدر واخوته
على ذات الاصاد هم فخروا علي بغير فخر وردوا دون غايته جوادي وقد لقوا الي بفعل سوء
فالفوني لهم صعب القياد وكنت اذا منيت بخصم سوء دلفت له بداهية نآد ثم ان
قيسا اغار على عوف بن بدر فقتله واخذ ابله فبلغ ذلك بني فزارة فهموا بالقتال فحمل الربيع
ابن زياد العبسي دية عوف بن بدر مائة عشراء متلية ويقال ان قيسا قتل ابنا لحذيفة
يقال له مالك وان حذيفة كان ارسله اليه يطلب منه السبق فطعنه فدق صلبه وان الربيع
بن زياد حمل ديته مائة عشراء فسكن الناس عن القتال ثم ان مالك بن زهير نزل موضعا
يقال له اللقاطة قريبا من الحاجر ونكح امرأة يقال لها مليكة بنت حارثة من بني غراب بن
فزارة فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدس اليه فرسانا فقتلوه وكان الربيع بن زياد العبسي مجاورا
لحذيفة بن بدر وكانت تحت الربيع معاذة بنت بدر فلما وقف على الخبر قال نام الخلي وما
اغمض حار من سيء النبا الجليل الساري من مثله تمشي النساء حواسرا وتقوم معولة
مع الاسحار من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار يجد النساء
حواسرا يندبنه يضربن اوجههن بالاسحار قد كن يخبأن الوجوه تسترا فاليوم حين
يبدين للنظار افبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الاطهار ما ان ارى
في قتله لذوي الحجى الا المطي تشد بالاكوار ومجنبات ما يذقن عذوفة يقذفن بالمهرات

زهير بن جذيمة العبسي

والأنهار وصاغرا صداء الحديد عليهم فكانت الطلى أو جونيقادة فأما خبر مقتل زهير بن
جذيمة العبسي أبي قيس فاختلفت الرواية في سببه فيقال ان هوازن بن منصور كانت تؤدي
الاتاوة زهير بن جذيمة ولم يكثر عامر بن صعصعة بعد فهم اذل من يد في رحم فاتت عجوز
من هوازن الى زهير بن جذيمة بسمن في نحي فاعتذرت اليه وشكت السنين اللواتي تتابعت
على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعها اي دفعها بقوس في يده عطل في صدرها فاستلقت منكشفة
عورتها فغضبت من ذلك هوازن وحقدت الى ما كان في صدرها من الغيظ وكانت يومئذ
قد امرت بنو عامر بن صعصعة اي كثرت فآلى خالد بن جعفر بن كلاب فقال والله لأجعلن
ذراعي هذه وراء عنقه حتى أقتل أو يقتل وفي ذلك يقول خالد بن جعفر أريغوني اراغتكم
فاني وحذفة كالشجا تحت الوريد مقربة أواسيها بنفسي وألحفها ردائي في الجليد
لعل الله يمكنني عليها جهارا من زهير أو أسيد فأما تثقفوني فاقتلوني ومن أثقف
فليس الى خلود ويقال بل كان السبب في ذلك ان زهير بن جذيمة لما قتل في غني من قتل
بابنه شأس وافى عكاظ فلقيه خالد بن جعفر بن كلاب وكان حدثا فقال يا زهير أما آن لك
أن تشتفي وتكف يعني مما قتل بشأس فأغلظ له زهير وحقره فقال خالد اللهم أمكني بيدي
هذه الشعراء القصيرة من عنق زهير ثم أعني عليه فقال زهير اللهم أمكن يدي هذه
البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا فقالت قريش هلكت والله يا زهير فقال أنتم والله
الذين لا علم لهم ثم أجمع خالد بن جعفر على قصد زهير وقتله واتفق نزول زهير بالقرب من بني
عامر وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد امرأة زهير بن جذيمة وأم ولده فمر بها أخوها الحرث بن
عمرو بن الشريد فقال زهير لبنيه ان هذا الحمار لطليعة عليكم فأوثقوه فقالت اخته لبنيها أ
يزوركم خالكم فتوثقونه وقالت تماضر لأخيها الحرث انه ليس يعني كبشنا أملح وقد وبذت الا كبشنا
الغنم والغرة المسكون فلا يأخذن منك ما قال زهير فانه رجل بيذارة عيذارة شنوءة
قال الاثرم البيذارة الكثير الكلام والعيذارة السيء الخلق ثم خلوا له وطلبوا أخذوا منه
يمينا ان لا يخبر عليهم ولا يبدو بهم أحدا فخرج الحرث حتى أتى بني عامر فقعد الى شجرة يجتمع اليها
بنو عامر وأتى الوطب تحتها والقوم ينظرون ثم قال أيتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن
فاذا هو حلو ثم يقرص بعد فقالوا انه يخبرنا ان طلبتنا قريب فركب خالد بن جعفر بن كلاب
ومعه جماعة وكان ذلك قريبه حدثة فلحقوا زهيرا وخرا عن فرسيهما ووقع خالد فوق زهير
ونادى يا بني عامر اقتلوني والرجل واستغاث زهير بنيه فاقبل اليه ورقاء بن زهير
يشتد بسيفه فضرب خالدا ثلاث ضربات فلم يغن شيئا وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ثم

ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق الآية

ضرب جندع زاسي زهير فقتله وفي ذلك يقول ورقاء بن زهير رأيت زهيرا تحت كلكل خالد
فاقبلت أسعى كالعجول أبادر فشلت يميني يوم أضرب خالدا ويمنعه مني الحديد المظاهر
فيا ليتني من قبل ضربة خالد ويوم زهير لم تلدني تماضر فأما خبر الهباءة فان بني عبس
بني فزارة لما التقوا الى جنب جفر الهباءة في يوم قائظ فاقتتلوا ولحقهم شرج طويل فعرق
استجار حذيفة وحمل معه بجفر الهباءة ليتبرد فهجم عليه القوم فقال حذيفة يا بني عبس فأين
العقول وأين الأحلام فضربه حمل بن بدر بن كثيفه وقال اتق مأثور القول بعد اليوم فأرسلها
مثلا وقتل قرواش بن هني حذيفة بن بدر وقتل الحارث بن زهير حملا وأخذ منه ذا النون سيف
مالك بن زهير أخيه وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتل فقال قيس في ذلك
تعلم ان خير الناس ميت على جفر الهباءة لا يريم ولولا ظلمه ما زلت أبكي عليه الدهر ما
طلع النجوم ولكن الفتى حمل بن بدر بغى والبغي مرتعه وخيم أظن الحلم دل علي قومي
وقد يستجهل الرجل الحليم ومارست الرجال ومارسوني فمعوج علي ومستقيم وقال قيس أيضا
شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني فان أك قد بردت بهم غليلي
فلم اقطع بهم الا بناني مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى ومثل الذين كفروا
كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون فقال أي وجه للتشبيه
الذين كفروا بالصائح الناعق بالغنم والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التأمل و
التمييز والناعق بالغنم قد يكون مميزا محصلا لا يلحقه في هذه الاية جوابان أولهما ان
يكون المعنى مثل الواعظ الذين كفروا والداعي لهم الى الايمان والطاعة كمثل الراعي الذي ينعق
بالغنم وهي لا تعقل معنى دعائه وانما تسمع صوته ولا تفهم غرضه والذين كفروا بهذه الصفة
لانهم يسمعون وعظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعاءه وانذاره فينصرفون عن قبول ذلك و
يعرضون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه لاشتراكهما في عدم الانتفاع به وعلى هذا
جاز ان يقوم قوله الذين كفروا مقام الواعظ والداعي لهم كما يقول العرب فلان يخافك كخوف
الاسد والمعنى كخوفه الاسد فأضاف الخوف الى الاسد وهو في المعنى مضاف الى الرجل قال الشاعر
فلست مسلما ما دمت حيا على زيد بتسليم الامير أتذكر اذ لحافك جلد شاة واذ نعلاك من جلد البعير
فسبحان الذي أعطاك ملكا وعلمك الجلوس على السرير أراد بتسليمي على الامير ونظائر ذلك كثيرة و
الجواب الثاني ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل الغنم التي لا تفهم نداء الناعق فأضاف الله
تعالى المثل الثاني الى الناعق وهو في المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في قولهم طلعت
الشعرى وانتصب العود على الحرباء والمعنى وانتصب الحرباء على العود فجاز التقديم والتأخير لوضوح

المعنى وانشد الفراء ان سراجا لكريم مفخره * تحلى به العين اذا ما تجهره * معناه تحلى بالعين
فقدم واخر وانشد الفراء ايضا كانت فريضة ما تقول كما كان الزنا فريضة الرجم المعنى
كما كان الرجم فريضة الزنا. وانشد ايضا وقد خفت حتى ما تزيد مخافتى على وعل في ذى المطارة
عاقل اراد ما تزيد مخافة وعل على مخافتى ومثله كان لون ارضه سماؤه اراد كان لون سمائه لون
ارضه ومثله ترى الثور فيها مدخل الظل راسه وسائره باد الى الشمس اجمع اراد مدخل راسه الظل
وقال الراعي فصبحته كلاب الغوث يوسدها مستوضحون يرون العين كالاثر يريد انهم يرون
الاثر كالعين وقال ابو النجم قبل دنو الافق من جوزائه * وقلب قال العباس بن مرداس
فديت بنفسه نفسي ومالي * وما آلوك الا ما اطيق * اراد فديت بنفسي نفسه وقال ابن مقبل
ولا تهيبني الموماة اركبها * اذا تجاوبت الاصداء بالسحر * اراد لا اتهيب الموماة وهذا كثير
جدا والجواب الثالث ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا ومثلنا او مثلهم ومثلك يا محمد كمثل الذي
ينعق اى مثلهم في الاعراض ومثلك في الدعاء والتنبيه والارشاد كمثل الناعق بالغنم فحذف المثل
الثاني اكتفاء بالاول ومثله قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر اراد الحر والبرد فاكتفى بذكر
الحر من البرد كما قال ابو ذويب * عصيت اليها القلب اني لامره * مطيع فما ادرى ارشد طلابها
اراد ام غى فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الامر والجواب الرابع ان يكون المراد ومثل الذين كفروا
في دعائهم الاصنام التي يعبدون من دون الله تعالى وهي لا تعقل ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع كمثل
الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء. بما لا يسمع صوته جملة والدعاء والنداء على هذا الجواب ينتصبان بينعق
وإلا توكيد للكلام ومعناها الالغاء قال الفرزدق هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم وضحوا بلحم من محل ومحرم والمعنى هم القوم حيث سلوا سيوفهم والجواب الخامس ان يكون المعنى
ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام وعبادتهم لها واستنزافهم اياها كمثل الراعي الذي ينعق
بغنمه وينادبها فهي تسمع دعاء ونداء ولا تفهم معنى كلامه فشبه ما يدعوه الكافرون
المعبود من دون الله تعالى بالغنم من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهم ولا تنفع عند دعائه ولا تضره
وهذا الجواب يختاره الذي يقولون كانت يعنيهما مزيد ظاهر لان الاول يقتضي ضرب المثل بما لا
يسمع الدعاء والنداء جملة ويجب ان يكون مصروفا الى غير الغنم وما اشبهها مما يسمع وان لم
يفهم وهذا الجواب يقتضي ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء وان لم يفهمها والاصنام من حيث
كانت لا تسمع الدعاء جملة يجب ان يكون داعيها ومناديها اسوا حالا من منادي الغنم ويصح ان يصرف
الى الغنم وما اشبهها مما يشاركها في السماع ويخالفها في الفهم والتمييز وقد اختلف الناس في ينعق
فقال اكثرهم لا يقال نعق ينعق الا في الصياح بالغنم وحدها وقال بعضهم نعق ينعق بالغنم والابل

البقر

والمعز يا الا ذاك الظاهر من كلام العرب قال الاخطل فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في
الخلاء ضلالا وقال ايضا نعق الغراب ونغق بالغين المعجمة اذا صاح من غير ان يمد عنقه ويحركها
فاذا مدها وحركها ثم صاح قيل نعب ويقال ايضا نعب الفرس ينعب نعبا ونعيبا ونعبانا
هو صوته ويقال فرس منعب اى جواد وناقة نعابة اذا كانت سريعة تاويل خبر روى عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم انه خرج مع اصحابه الى طعام دعوا اليه فاذا بالحسين عليه السلام وهو صبي يلعب مع
صبية في السكة فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امام القوم فطفق الصبي يفر مرة
ههنا ومرة ههنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضاحكه ثم اخذه فجعل احدى يديه تحت
ذقنه والاخرى تحت قفاه ووضع فاه على فيه وقبله وقال انا من حسين وحسين منى احب الله من
احب حسينا حسين سبط من الاسباط قال السيد قدس الله روحه استتل تقدم يقال استتل
الرجل فتحا او فانبرى وابتدر وانبرى وابتدع ابتدع ابتداعا اذا تقدم هكذا ذكره ابو بكر الانباري في
وحكى بعض المتقدمين في علم اللغة في كتاب له قال تقول استتلت الامر استتلاء اذا اشرف
له واستتل الرجل تقدم من القوم ويقال استتل اشرف الى انتصاب الحجر ليتوكل عليه
وحكى هذا الرجل في كتابه الذي ذكرناه انبرى وابتدع ايضا انه من الاستعداد فاما السكة
فهي المنازل المصطفة والنخل المصطف ومعنى طفق اخذ قال الشاعر طفقت تبكى واسعدها
فكلانا ظاهر الكمد وقال الراجز طرف الصحاح المشرف على القفا ومعنى اقنع رفعه هكذا ذكره
ابن الانباري وقال غيره اقنع ظهره اذا طاطا ثم رفعه فاما الاسباط فاصلها في ولد اسحق
عليه السلام كالقبائل في بني اسماعيل عليه السلام وقال ابن الانباري هم الصبية والصبوة بالياء
والواو معا حدثنا ابو القسم عبيد الله بن عثمان قال اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن احمد الحكيمي قراءة
عليه قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب قال اخبرنا ابن الاعرابي انه قيل لابنة الخس
ما مائة من المعز قالت مويل يشف الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز قيل فما مائة من
الضان قالت قرية لا حمى بها قيل فما مائة من الابل قالت بخ جمال ومال ومنى الرجال قيل
فما مائة من الخيل قالت طغى من كانت عنده ولا توجد قيل فما مائة من الحمر قالت عازبة الليل
وخزي المجلس لا لبن فيحلب ولا صوف فيجتز ان ربط عيرها دلى وان ارسلته ولى بهذا الاسناع عن ابن
الاعرابي قال قيل لابنة الخس والحسن والخير قال كل ذلك يقال ما احسن شيء فقالت ديمة في اثر سارية
في نجاء قاوية قال نجاء ارض قريبة لان النبات في موضع مشرف احسن وقالوا ايضا نجاء اى
والسيل ليس بها دمث ولا حجارة قال والجمع النجاء وقعت الراهبة احسن من نبت الاودية لان السيل
يصرع الشجر فيفسد نبت الاودية ثم يلقى عليه الدمن قال السيد قدس الله روحه ومما يدل على

ان نبت الرابية احسن من قول الاعشى ❊ ما روضة من رياض الحزن معشبة ❊ خضراء جاد عليها مسبل هطل ❊ فما روضة بالحزن طيبة الثرى ❊ يمج الندى جثجاثها وعرارها ❊ فخص الحزن للمعنى الذي ذكرناه وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال العرب يقول جاءنا بطعام لا ينادي وليده اذا جاء بطعام كثير لا يراد منه زيادة ووقع في امر لا ينادي وليده يقول لا يدعى له الصبيان ولا يستعان الا بكبار الرجال فيه قال السيد قدس الله روحه وفي ذلك قولان آخران احدهما عن الاصمعي قال اصله من الشدة تصيب القوم حتى تذهل الام عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه ثم صار مثلا لكل شدة ولكل امر عظيم والقول الآخر عن الكلابي قال اصله من الكثرة والسعة فاذا اهوى الوليد الى شيء لم يزجر عنه لحال الخصب والسعة ما هم فيه ثم صار مثلا لكل كثرة قال الفراء وهذا القول اشبه وكان موضع يراد به الغاية وانشد لعاشق يمدح يزيد بن مزيد ❊ شرائع جود لا ينادي وليدها ❊ وبالاسناد الذي تقدم عن ابن الاعرابي قال دخل رجل من [illegible] على معن بن زائدة الشيباني فقال اني رأيت اكرمك الله ان تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك فانك قد بلغت حالا لو اعتقني الله فيها بكرمك من تصنع الرجال تعبدك ولكن كثيرا ما قد قدمت الرجاء واحسنت الثناء ولزمت الحفاظ ثم انشأ يقول ❊ يا معن انك لم تنعم على احد ❊ فشاب نعماك تنغيص ولا كدر ❊ فانظر الي بطرف غير ذي مرض ❊ فربما صح لي من طرفك النظر ❊ انا وجهك لطالب مجد ❊ اذا امسكت بما تحوي ومضطر ❊ ومن هواك شفيع ليس يغفلني ❊ وان نأيت وان قلت بي الذكر ❊ قد كنت اوزع نفسي عن رجائك ❊ فقد تقارب بي في ذلك الاثر ❊ فاجبر بفضلك عظما كنت تجبره ❊ واجمع بفضلك ما قد كاد ينتشر ❊ ما نازع العسر في اليسر مذ علقت ❊ كفي بحبلك الا ظفر اليسر ❊ وقد خشيت وهذا الدهر ذو غير ❊ بان يدال لطول الجفوة العسر ❊ وانما كان من غير ومن غير ❊ ان خطك فيه الحمد والشكر فقال معن اوما كنا اعطيناك شيئا قال لا قال اما الذهب والفضة فليسا عندنا ولكن هات تختا من ثيابي يا غلام فدفعه اليه وقد كان يحمل عليه [illegible] بن بلبل فاعطاه ما معه من خمسين وقال [illegible] قال السيد قدس الله روحه

معن بن زائدة

وكان معن بن زائدة جوادا شجاعا شاعرا ويكنى ابا الوليد وهو معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو ومطر هو اخو الحوفزان بن شريك وكان معن من اصحاب ابن هبيرة فلما قتل رثاه فقال ❊ الا ان عينا لم تجد يوم واسط ❊ عليك بجاري دمعها لجمود ❊ عشية قام النائحات وشققت ❊ جيوب بايدي مأتم وخدود ❊ فان تمس مهجور الفناء فربما ❊ اقام به بعد الوفود وفود ❊ فانك لم تبعد على متعهد ❊ بلى كل من تحت التراب بعيد ❊ اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني يوسف بن يحيى المنجم عن ابيه قال حدثني محمد بن القسم بن مهرويه قال

حدثني

حدثني ابو يزيد الحكم بن موسى قال حدثني ابي قال كان معن بن زائدة من اصحاب يزيد بن عمر بن هبيرة وكان مستترا حتى كان يوم الهاشمية فانه حضر وهو معتم متلثم فلما نظر الى القوم وقد وثبوا على المنصور تقدم فاخذ لجام بغلته ثم جعل يضربهم بالسيف فلما افرجوا له وتفرقوا عنه قال له من انت ويحك قال انا طلبتك معن بن زائدة فلما انصرف المنصور حباه وكساه وزينه ثم قلده اليمن فلما قدم عليه من اليمن قال له هنيئا يا معن يعطي مروان بن ابي حفصة مائة الف درهم على ان قال لك ❊ معن بن زائدة الذي زيدت به ❊ شرفا على شرف بنو شيبان ❊ ان عد ايام الفعال فانما ❊ يوماه يوم ندى ويوم طعان ❊ فقال كلا يا امير المؤمنين ولكني اعطيته على قوله ❊ ما زلت يوم الهاشمية معلنا ❊ بالسيف دون خليفة الرحمن ❊ فمنعت حوزته وكنت وقاءه ❊ من وقع كل مهند وسنان ❊ فقال احسنت يا معن ثم خرج آخر ثم دخل على المنصور فقال له ويلك ما اظن ما قيل فيك من ظلمك لاهل اليمن واعتسافك اياهم الا حقا قال وكيف ذاك يا امير المؤمنين قال بلغني انك اعطيت شاعرا كان يلزمك الف دينار وهذا من السرف الذي لا شيء مثله فقال يا امير المؤمنين انما اعطيته من فضول مالي وغلات ضياعي وفضلات رزقي وكففته عن عرضي وقضيت الواجب من حقه علي وقصده الي وملازمته لي فجعل ابو جعفر ينكت بقضيب في يده الارض ولم يعاوده القول واخبرنا المرزباني قال اخبرني علي بن يحيى عن عبد الله بن ابي سعيد الوراق عن خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن عبد الله بن محمد المعروف بعنقار من اهل خراسان وكان من ولد الرشيد قال حدثني معن بن زائدة قال كنا في الصحابة سبع مائة رجل فكنا ندخل على المنصور في كل يوم قال فقلت للربيع اجعلني في آخر من يدخل عليه فقال لست باشرفهم فتكون في اولهم ولا باخسهم نسبا فتكون في آخرهم وان مرتبتك لتشبه نسبك قال فدخلت على المنصور ذات يوم وعلي دراعة فضفاضة وسيف حنفي اقرع بنعله الارض وعمامة قد سدلتها من قدامي وخلفي فسلمت عليه وخرجت فلما صرت عند الستر صاح بي يا معن صيحة انكرتها فلبيته فقال الي فدنوت منه فاذا به قد نزل عن فراشه الى الارض وجثا على ركبتيه واستل عمودا من بين فراشين واستحال لونه ودرت اوداجه وقال انك لصاحبي يوم واسط لا نجوت ان نجوت مني قال قلت يا امير المؤمنين تلك نصرتي لباطلهم فكيف نصرتي لحقك قال فقال لي كيف قلت فاعدت عليه القول فما زال يستعيدني حتى رد العمود الى مستقره واستوى متربعا واسفر لونه وقال يا معن ان باليمن هنات قلت يا امير المؤمنين ليس لمكتوم رأي وهو اول من ادخلنا مثلا فقال انت صاحبي فاجلس قال فجلست فامر الربيع باخراج كل من كان في الدار فخرج الربيع فقال ان صاحب اليمن قد هم بالمعصية واني اريد ان اخذه اسيرا ولا يفوتني شيء من ماله فما ترى قلت ولني اليمن واظهر

انك قد ضممتني اليه ومر الربيع ان يزيح علتي في كل ما احتاج اليه ويخرجني في يومي هذا لئلا يخثر الخبر قال فاستل عهده من بين فراشين فوقع فيه باسمي وناولنيه ثم دعا الربيع فقال يا ربيع انا قد ضممنا معنا الى صاحب اليمن فازح علته فيما يحتاج اليه من السلاح والكراع ولا يمس الا وهو راحل قال ثم ودعني فودعته وخرجت الى الدهليز فلقيني ابو الوالي فقال يا معن اعزز علي ان تضم الى ابن اخيك قال فقلت له انه لا غضاضة على الرجل ان يضمه سلطانه الى ابن اخيه وخرجت الى اليمن فاتيت الرجل فاخذته اسيرا وقرات عليه العهد وقعدت في مجلسه وروى عمر بن شبة قال اجتمع عند معن بن زائدة ابن ابي عاصية وابن ابي حفصة والضمري فقال ليبيت كل واحد منكم مدح بيت قال الذي فانشده ابن ابي حفصة مسحت ببيعة وجه معن سابقا لما جرى وجرت ذوو الاحساب فقال له معن الجواد بعيد منه وجهه من الغبار وقيل من العثار وغيرها و

انشده الضمري انما انت في قصائد العالي ولو معروفك الربيع وبنائك الحمد تشتريه يشبع غيرك من يشبع فقال له ما احسن ما قلت الا انك لم تسمني ولم تذكرني في شعرك

انشده ابن ابي عاصية ان ذا المعن بني زائدة كم بنيك لندى الى ما بعيرها فرفع فضله عليهم

وروى انه اتى معن بن زائدة بثلاثمائة اسير فامر بضرب اعناقهم فقال له شاب منهم يا اخا شيبان نناشدك الله ان تقتلنا عطاشا فقال اسقوهم ماء فلما شربوا قال يا اخا شيبان نناشدك الله ان تقتل اضيافك فقال اطلقوهم وذكر احمد بن كامل ان الخوارج قتلت معن بن زائدة بسجستان في سنة احدى وخمسين ومائة وروى ان عبد الله بن طاهر كان يوما عند المامون فقال يا ابا العباس من اشعر من قال الشعر في خلافة بني هاشم قال امير المؤمنين اعرف بهذا مني قال على ذلك قال عبد الله اشعرهم الذي يقول في معن بن زائدة

ايا قبر معن كنت اول حفرة ... من الارض خطت للسماحة مضجعا

ايا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا

بلى قد وسعت الجود والجود ميت ... ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

والابيات للحسين بن مطير الاسدي وهي يرثيه على هذا المقدار واولها

ألما على معن وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا

وفيها

فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

ولما مضى معن مضى الجود وانقضى ... واصبح عرنين المكارم اجدعا

مجلس آخر

تاويل آية ان سال سائل فقال ما الوجه في قوله تعالى ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق وفي موضع آخر وقتلهم الانبياء بغير حق وظاهر هذا القول يقتضي ان قتلهم قد يكون بحق وقوله ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وقوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وقوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به وقوله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وقوله لا يسألون

ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين

فاما السؤال عن كل هذه الآيات من وجه واحد وهو الذي نقدم الجواب قلنا ان للعرب في هذا الجنس من الكلام عادة معروفة ومذهبا مشهورا عند من تصفح كلامهم وفهم عنهم مرادهم بذلك المبالغة في النفي وتاكيده فمن ذلك قولهم فلان لا يرجى خيره ليس يريدون ان فيه خيرا لا يرجى وانما غرضهم انه لا خير عنده على وجه من الوجوه ومثله قل ما رايت مثل هذا الرجل وانما يعنون ان مثله لا يرى لا قليلا ولا كثيرا وقال امرؤ القيس

على لاحب لا يهتدى بمناره ... اذا سافه العود النباطي جرجرا

يصف طريقا واراد بقوله لا يهتدى بمناره انه لا منار له فيهتدى بها والعود المسن من الابل والنباطي منسوب الى نباف قرية بالشام معروفة وسافه شمه والجرجرة مثل الهدير وانما اراد ان العود اذا شم ترابه فاستبعده وذكر ما يلحقه فيه من المشقة جرجر لذلك قال ابن احمر

لا تفزع الارنب اهوالها ... ولا ترى الضب بها ينجحر

اراد ليس بها اهوال فتفزع الارنب وقال النابغة

تحفه جانبا نيق وتتبعه ... مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد

اراد ليس بها رمد فتكحل له وقال امرؤ القيس

وصم صلاب ما يقين من الوجى ... كان مكان الردف منه على رال

يصف حوافر فرس وقوله ما يقين من الوجى فالوجى هو الحفا ويقين اي يتوقين يقال وقى الفرس اذا هاب المشي لوجى او حفا فيتهيب الارض من اجله والرال فرخ النعام شبهه في اشرافه بعجز الرال وقال الآخر

لا يغمز الساق من اين ولا وصب ... ولا يعض على شرسوفه الصفر

اراد ليس بساقه اين ولا وصب فيغمزها من اجلهما وقال سويد بن ابي كاهل

من اناس ليس في اخلاقهم ... عاجل الفحش ولا سوء الجزع

ولم يرد ان في اخلاقهم فحشا آجلا ولا جزعا غير سيء وانما اراد نفي الفحش والجزع عن اخلاقهم ومثل ذلك قولهم فلان غير سريع الى الخنا وهم يريدون انه لا يقرب الخنا لا انه لا يسرع اليه وقال الفرزدق وهو يهجو بني جعفر بن كلاب ويعيرهم بقوم منهم اصيبوا في بعض حروبهم فحملت الخنساء

هؤلاء القتلى حتى ابتنى بهم الحي ولم تات غير اهلها كالذي اثت به جعفر يوم المصيبات غيرها انهم بعير لم تكن هجرية ولا حنطة الشام المزيت خبزها

يعني ان بعيرا انما يحمل التمر والطعام الى الحي فحملت بعير هؤلاء القوم القتلى وقوله لم تكن هجرية اي لم تحمل التمر وذلك لكثرة التمر بهجر ثم قال ولا حنطة الشام المزيت خبزها ولم يرد ان هناك حنطة ليس في خبزها زيت لكنه اراد انها لم تحمل تمرا ولا حنطة ثم وصف الحنطة بما يجعل في خبزها من الزيت وعلى هذا تاويل الآيات التي وقع السؤال عنها لانه تعالى لما قال ويقتلون النبيين بغير حق دل على ان قتلهم لا يكون الا بغير حق ثم وصف القتل بما لا بد ان يكون عليه من الصفة وهي وقوعه على خلاف الحق وكذلك من يدع مع الله الها آخر لا برهان

لم يبر إنما هو وصف لهذا الدعاء وأنه لا يكون إلا عن برهان وقوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وجهه أيضا أنه لو كان هناك عمد لرأيتموه فإذا نفى رؤية العمد نفى وجود العمد كما قال لا يهتدى بمناره أي لا منار له من حيث علم أنه لو كان له منار لاهتدي به فصار نفي الاهتداء بالمنار نفيا لوجود المنار وقوله تعالى ولا تكونوا أول كافر به تغليظ وتأكيد في تحذيرهم من الكفر وهو أبلغ من أن يقول ولا تكفروا به ويجري مجرى قولهم فلان لا يرجع إلى الخنا وقل ما رأيت مثله إذا أرادوا به تأكيد نفي الخنا ونفي رؤية مثل المذكور وكذلك قوله تعالى لا يسألون الناس إلحافا معناه لا مسألة تقع منهم ومثل الأول ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا والفائدة أن كل ثمن لها لا يكون إلا قليلا فصار نفي الثمن القليل نفيا لكل ثمن وهذا واضح بحمد الله ومنه.

باب في ذكر شيء من أخبار المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم

أحد المعمرين الحرث بن كعب بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد المذحجي ومذحج هي أم مالك بن أدد فنسب ولد مالك إليها وإنما سميت مذحجا لأنها ولدت على أكمة تسمى مذحجا واسمها مدلة بنت ذي منجشان قال أبو حاتم السجستاني جمع الحرث بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال يا بني قد أتت علي ستون ومائة سنة ما صافحت يميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلة فاجر ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ولا طرحت عندي مومسة قناعها ولا بحت لصديق بسر وإني لعلى دين شعيب النبي صلى الله عليه وما عليه أحد من العرب غيري وغير أسد بن خزيمة وتميم بن مر فاحفظوا وصيتي وموتوا على شريعتي إلهكم فاتقوه يكفكم المهم من أموركم ويصلح لكم أعمالكم وإياكم ومعصيته لا يحل بكم الدمار ويوحش منكم الديار يا بني كونوا جميعا ولا تفرقوا فتكونوا شيعا وإن موتا في عز خير من حياة في ذل وعجز وكل ما هو كائن كائن وكل جمع إلى تباين الدهر ضربان فضرب رخاء وضرب بلاء واليوم يومان فيوم حبرة ويوم عبرة والناس رجلان فرجل لك ورجل عليك تزوجوا الأكفاء وليستعملن في طيبهن الماء وتجنبوا الحمقاء فإن ولدهن إلى أفن ما يكون ألا إنه لا راحة لقاطع القرابة وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم منهم وآفة العدد اختلاف الكلمة والتفضل بالحسنة يقي السيئة والمكافأة بالسيئة الدخول فيها والعمل السوء يزيل النعماء وقطيعة الرحم تورث الهم وانتهاك الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب النكد ويمحق العدد ويخرب البلد والنصيحة تجر الفضيحة والحقد يمنع الرفد ولزوم الخطيئة يعقب البلية وسوء الرعة يقطع أسباب المنفعة والضغائن تدعو إلى التباين ثم أنشأ يقول:

أكلت شبابي فأفنيته * وأفنيت بعد دهور دهورا
ثلاثة أهلين صاحبتهم * فبادوا وأصبحت شيخا كبيرا
قليل الطعام عسير

القيام

القيام * قد ترك الدهر خطوي قصيرا
أبيت أراعي نجوم السماء * أقلب أمري بطونا ظهورا

قوله ولا صبوت بابنة عم ولا كنة الصبوة هي رقة الحب والكنة هي امرأة أخي الرجل وامرأة ابنه وأما المومسة فهي الفاجرة البغي وأراد بقوله لم تطرح عندي قناعها أي لم تتبذل وتتبسط كما تفعل مع من يريد الفجور بها وقوله فيوم حبرة ويوم عبرة فالحبرة السرور والفرح والعبرة تكون من ضد ذلك لأن العبرة لا تكون إلا من أمر محزن مؤلم فأما الأفن فهو الحمق يقال رجل أفين إذا كان أحمق ومن أمثالهم وجدان الرقين يغطي على أفن الأفين أي وجدان المال يغطي على حمق الأحمق وواحد الرقين رقة وهي الفضة فأما قوله النصيحة تجر الفضيحة فيشبه أن يكون معناه أن النصح لمن لا يقبل نصيحته ولا يصغي إلى موعظته فقد افتضح عنده لأنه أفضى إليه بسره وباح بمكنون صدره فأما سوء الرعة فإنه يقال فلان حسن الرعة والتورع إذا كان حسن الطريقة.

ومن المعمرين المستوغر وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وإنما سمي المستوغر لبيت قاله وهو:

ينش الماء في الربلات منها * نشيش الرضف في اللبن الوغير

الربلات واحدها ربلة وربلة بفتح الباء وإسكانها وهي كل لحمة غليظة هكذا ذكر ابن دريد والرضف الحجارة المحماة وفي الحديث كأنه على الرضف واللبن الوغير لبن ألقي فيه حجارة محماة ثم يشرب أخذ من وغرة الظهيرة وهي أشد ما يكون من الحر ومنه وغر صدر فلان يوغر وغرا إذا التهب من غضب وحقد وقال أصحاب الأنساب عاش المستوغر ثلاثمائة سنة وعشرين سنة وأدرك الإسلام أو كاد يدرك أوله وقال ابن سلام كان المستوغر قديما وبقي بقاء طويلا حتى قال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة أتت من بعدها مائتان لي * وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقي إلا كما قد فاتنا * يوم يكر وليلة تحدونا

وهو القائل:

إذا ما المرء صم فلم يكلم * وأودى سمعه إلا ندايا
ولاعب بالعشي بني بنيه * كفعل الهر يحترش العظايا
يلاعبهم وودوا لو سقوه * من الذيفان مترعة ملايا
فلا ذاق النعيم ولا شرابا * ولا يشفى من المرض الشفايا

أراد بقوله صم فلم يكلم أي لم يسمع ما يكلم به فاختصر ويجوز أن يريد أنه لم يكلمه الناس من استماعه فأعرض عن خطابه لذلك وقوله أودى سمعه إلا ندايا أراد أن سمعه هلك إلا أنه يسمع الصوت العالي الذي ينادى به وقوله ولاعب بالعشي بني بنيه فإنه مبالغة في وصفه بالهرم والخرف وأنه قد صار يلاعب الصبيان ويأنس بهم ويشبه أن يكون خص العشي بذلك لأنه وقت رواح الصبيان إلى بيوتهم واستقرارهم فيها وقوله يحترش العظايا أي يصيدها والاحتراش أن يقصد الرجل إلى جحر الضب فيضرب بكفه ليحسبه الضب أفعى فيخرج إليه فيأخذه يقال حرشت

تبتذل وتنبسط

المستوغر

دويد بن زيد

الضب فاخرشته ومن امثالهم هذا اجل من الحرش يضرب عند الامر يستعظم ويتكلم بذلك على
لسان الضب قال ابن دريد قال الضب لبنيه اتقوا الحرش قالوا وما الحرش قال اذا سمعتم حركة بباب
الجحر فلا تخرجوا فسمع يوما وقع المحفار فقال يا ابت هذا الحرش فقال هذا اجل من الحرش يجعل
مثلا للرجل اذا سمع الشيء الذي هو اشد مما كان يتوقعه والذي قال السهر والعطايا جمع عطاية
وهي دويبة صغيرة وقوله ومن المعمرين دويد بن زيد بن نهد بن ليث بن سود بن اسلم بن
الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مالك بن حمير قال ابو حاتم عاش دويد بن زيد اربعمائة
وستا وخمسين سنة قال ابن دريد لما حضر دويد بن زيد الوفاة وكان من المعمرين قال في
لا نعد العرب معمرا الا من عاش مائتي سنة وعشرين سنة قضاعة قال لبنيه اوصيكم بالناس
شرا لا ترحموا لهم عبرة ولا تقيلوا لهم عثرة قصروا الاعنة وطولوا الاسنة اطعنوا شزرا واضربوا
هبرا واذا اردتم المحاجزة فقبل المناجزة والمرء يعجز لا المحالة بالجد لا بالكد التجلد ولا التبلد
والمنية ولا الدنية لا تأسوا على فائت وان عز فقده ولا تحنوا الى ظاعن وان الف قربه ولا
تطمعوا فتطبعوا ولا تهنوا فتخرعوا ولا يكون لكم المثل السوء ان الموصين بنو سهوان اذا مت فارحبوا
خط مضجعي ولا تضنوا علي برحب الارض وما ذلك بمؤد الى روحا ولكن حاجة نفس خامرها الا
شفاق ثم مات قال ابو بكر بن دريد فحدثني ابو ابن الاعرابي قال اليوم يبنى لدويد بيته يا رب نهب
صالح حويته ورب قرن بطل ارديته ومعصم مخضب ثنيته
لو كان للدهر بلى ابليته او كان قرني واحدا كفيته ومن قوله القى على الدهر رجلا ويدا
والدهر ما اصلح يوما افسدا يفسد ما اصلحه اليوم غدا قوله اطعنوا شزرا واضربوا هبرا
معنى الشزر ان تطعنه من احدى ناحيتيه يقال فتل الحبل شزرا اذا فتله على الشمال والنظر
الشزر نظر بمؤخر العين وقال الاصمعي يقال نظر اليه شزرا اذا نظر اليه من عن يمينه وشماله
وطعنه شزرا كذلك قوله هبرا قال ابن دريد يقال هبرت اللحم اهبره هبرا اذا قطعته قطعا
كبارا والاسم الهبرة والهبير وسيف هبار وهابر واللحم هبير ومهبور والمحاجزة المحاولة وقوله
لا بالجد لا بالكد اي يدرك الرجل حاجته وطلبته بالجد وهو الحظ والبخت ومنه رجل مجدود واذا
كره الجيم فهو الانكماش في الامر والمبالغة فيه وقوله التجلد ولا التبلد اي تجلدوا ولا تبلدوا
وقوله فتطبعوا اي تدنسوا والطبع الدنس يقال طبع السيف يطبع اذا ركبه الصدأ وقال
ثابت قطنة العتكي لا خير في طمع يدني الى طمع وغفة من قوام العيش تكفيني وقوله ولا
تهنوا فتخرعوا الوهن الضعف والخرع والخراعة اللين ومنه سميت الشجرة الخروع للينها وقوله
ان الموصين بنو سهوان فالموصين جمع موصى وبنو سهوان ضرب مثلا اي لا تكونوا ممن يغفلهم

فيهموا

زهير بن جناب

فيهموا او يعرضوا عن الوصية وقال الاصمعي يضرب هذا المثل للرجل الموثوق به ومعناه ان الذين يحتاجون
يحتاجون الى ان يوصوا بحوائج اخوانهم هم الذين يسهون عنها لقلة عنايتهم بها وانت غير غافل ولا
ساه عن حاجتي وقوله فارحبوا اي وسعوا والرحب السعة والروح والراحة وقوله في الشعر عبل
فالعبل الساعد الممتلئ والمعصم موضع السوار من اليد ومن المعمرين زهير بن جناب بن
هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب
بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن
حمير قال ابو حاتم عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة واوقع مائتي وقعة وكان
سيدا مطاعا شريفا في قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من اهل زمانه
وكان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم والطب في
ذلك الزمان شرف وحازي قومه والحزاة الكهان وفارس قومه وله البيت فيهم والعدد منهم
واوصى الى بنيه فقال يا بني اني قد كبرت سني وبلغت حرسا من دهري فاحكمتني التجارب والامور
تجربة واختبار فاحفظوا عني ما اقول وعوه اياكم والخور عند المصائب والتواكل عند النوائب
فان ذلك داعية للغم وشماتة للعدو وسوء ظن بالرب واياكم ان تكونوا بالاحداث مغترين ولها امنين ومنها ساخرين
فانه ما سخر قوم قط الا ابتلوا ولكن توقعوها فان الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر
دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد ان يصيبه قوله حرسا من دهري يريد دهرا
والحرس الدهر قال الراجز في سنة عشنا بذاك حرسا والسنة المدة من الدهر والتواكل
ان يكل القوم امرهم الى غيرهم من قولهم رجل وكل اذا كان لا يكتفي بنفسه ويكل امره الى غيره و
يقال رجل وكلة تكلة والغرض كل ما نصبته للرمي وتعاوره اي تداوله قال السيد قدس الله
روحه وقد ضمن ابن الرومي معنى قول زهير بن جناب الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة
فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وعن شماله ثم لا بد ان يصيبه ابياتا فاحسن كل
الاحسان والابيات كفى بسراج الشيب في الراس هاديا لمن قد اضلته المنايا لياليا امن بعد ابداء
المشيب مقاتلي لرامي المنايا تحسبيني ناجيا غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه لشخصي اخلق
ان يصبن سواديا وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى فلما اضاء الشيب شخصي رمانيا اما
البيت الاخير فانه ابدع فيه واغرب وما علمنا انه سبق الى معناه لانه جعل الشباب كالليل الساتر
على الانسان الحاجز بينه وبين من اراد رميه والشيب مسببا للمقاتل هاديا الى اصابته لضوئه
وبياضه وهذا في نهاية حسن المعنى واراد بقوله رماني اصابني ومثله قول الشاعر فلما رمى
شخصي رميت سواده ولا بد ان يرمي سواد الذي يرمي وكان زهير بن جناب على عهد كليب

وابل ولم تكن في العرب نطق من زهير ولا اوجه عند الملوك وكان لسداد رايه يسمى كاهنا ولم تجتمع قضاعة الا عليه على رزاح ابن ربيعة وسمع زهير بعض نسائه تتكلم بما لا ينبغي لامراة ان تتكلم عند زوجها فقالت له اسكت عني والا ضربتك بهذا العمود فوالله ما كنت اراك تسمع شيئا ولا تعقله فقال عند ذلك

الا يا لقومي لا ارى النجم طالعا ❊ ولا الشمس الا حاجبي بيميني ❊
معزبتي عند القفا بعمودها ❊ يكون نكيري ان اقول ذريني ❊
امينا على سر النساء وربما ❊ اكون على الاسرار غير امين ❊
فللموت خير من حداج موطا ❊ مع الظعن لا ياتي المحل لحين ❊

وهو القايل

ابني ان اهلك فقد ❊ ورثتكم مجدا بنيه ❊
وتركتكم ابناء سادات ❊ زنادكم وريه ❊
من كل ما نال الفتى ❊ قد نلته الا التحيه ❊
ولقد رحلت البازل الكوماء ❊ ليس لها وليه ❊
وخطبت خطبة حازم ❊ غير الضعيف ولا العييه ❊
فالموت خير للفتى ❊ فليهلكن وبه بقيه ❊
من ان يرى الشيخ البجال ❊ وقد يهادى بالعشيه ❊

وهو القايل ايضا

شرب والدهر ذو حدثان ❊ اي حين
منيتي ملقي ❊ اسبابي على الفراش خفاف ❊ ام بكفي مفجع حران ❊

وقال حين حضرته الوفاة بماتي سنة من عمره

لقد عمرت حتى لا ابالي ❊ احتفي في صباحي ام مسائي ❊
وحق لمن اتت مايتان عاما ❊ عليه ان يمل من الثواء ❊

قوله معزبتي يعني امراته يقال معزبة الرجل امراته وطلته وحنته كل ذلك امراته وقوله امينا على سر النساء فالسر خلاف العلانية والسر النكاح ايضا قال الحطيئة

ويحرم سر جارتهم عليهم ❊ وياكل جارهم انف القصاع ❊

وقال امرؤ القيس

الا زعمت بسباسة اليوم انني ❊ كبرت وان لا يحسن السر امثالي ❊

وكلام زهير يحتمل الوجهين جميعا لانه ذكر هرمه وكبره ثم ان النساء لا يتحاشين بحضرته باسرارهن لهرمه وعجزه ويقولون على نقل سمعه وكذلك هرمه وكبره يوجبان كونه امينا على نكاح النساء لعجزه عنهن وقوله حداج موطا الحداج مركب من مراكب النساء والجمع احداج وحدوج والظعن والاظعان الهوادج والظعينة المراة في الهودج ولا تسمى ظعينة حتى تكون في الهودج والجمع ظعاين وانما خبر عن هرمه وان موته خير من كونه مع الظعن في جملة النساء وقوله زنادكم ورية الزناد جمع زند وزندة وهما عودان يقدح بهما النار في احدهما فرض وهو ثقب فالتي فيها الفرض هي الانثى والذي يقدح بطرفه هو الذكر ويسمى الزند الاب والزندة الام وكنى بزنادكم ورية عن بلوغهم ما يرومون تقول العرب ورت بك زنادي اي نلت بك ما احببت من النجح والنجاح ويقال للرجل الكريم واري الزناد فاما التحية فهي الملك كانه قال من كل ما نال الفتى قد نلته الا الملك وقيل التحية ههنا الخلود والبقاء والبازل الناقة التي قد بلغت تسع سنين وهي اشد ما تكون ولفظ البازل في الناقة والجمل سواء والكوماء العظيمة السنام والولية برذعة تطرح على ظهر البعير

لو جلده والبجال الذي يجله قومه ويعظمونه ومعنى يهادى اي يمشي بين الرجال فيسندونه لضعفه والتهادي المشي الضعيف وقوله اسباب فالسبات سكون الحركة ورجل مسبوت والخفات الضعف يقال خفت الرجل اذا اصابه ضعف من مرض او جوع والمفجع الذي قد فجع بوالد او قرابة والحران العطشان الملتهب وهو ههنا المحزون على فقده ومما يروى لزهير بن جناب

اذا ما شئت ان تسلى حبيبا ❊ فاكثر دونه عدد الليالي ❊
فما سلى حبيبك مثل ناي ❊ ولا بلى جديدك كابتذال ❊

ومن المعمرين ذو الاصبع العدواني واسمه حرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر وانما سمي الحارث عدوان لانه عدا على اخيه فهم فقتله وقيل بل فقا عينه وقيل الاسم ذي الاصبع محرث بن حرثان وقيل حرثان بن حويرث وقيل حرثان بن حارثة ويكنى ابا عدوان وسبب لقبه بذي الاصبع ان حية نهشته على اصبعه فشلت فسمي بذلك ويقال انه عاش مائة وسبعين سنة وقال ابو حاتم انه عاش ثلثمائة سنة وهو احد حكام العرب في الجاهلية وذكر الجاحظ انه كان اثرم وروى عنه انه قال

اسعد بن عمرو قد عهد السبا ❊ ولا لذاته وبناته النضر ❊
لولا اواعن ما حفاظ ❊ عوليت من حرج الى غرب ❊
مزمن ثيابه ان راث هرب ❊ وان انحنى لتقادم ظهري ❊

وكان لذي الاصبع بنات اربع فعرض عليهن ان يزوجهن فابين وقلن خدمتك وقربك احب الينا ثم اشرف عليهن يوما من حيث لا يرينه فقلن لتقل كل واحدة ما في نفسها فقالت الكبرى

الا هل اراها ليلة وضجيعها ❊ اشم كنصل السيف عين مهند ❊
عليم بادواء النساء واصله ❊ اذا ما انتمى من سر اهلي ومحتدي ❊

ويروى من اهل سري ومن اصل سري فقلن لها انت تريدين ذا قرابة وعرفته ثم قالت الثانية

الا ليت زوجي من اناس اولي غنى ❊ حديث الشباب طيب الثوب والعطر ❊
لصوق باكباد النساء كانه ❊ خليفة جان لا ينام على وتر ❊

ويروى لا ينام على هجر فقلن لها انت تريدين فتى ليس من اهلك ثم قالت الثالثة

الا ليته يكسى الجمال نديه ❊ له جفنة تشقى بها المعز والجزر ❊
له حكمات الدهر من غير كبرة ❊ تشين فلا فان ولا ضرع غمر ❊

فقلن لها انت تريدين سيدا شريفا وقلن للرابعة قولي فقالت لا اقول فقلن يا عدوة الله علمت ما في انفسنا ولا تعلمينا ما في نفسك فقالت زوج من عود خير من قعود فمضت مثلا فزوجهن اربعتهن فمكثن حولا ثم اتى الكبرى فقال يا بنية كيف رايت زوجك قالت خير زوج يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة قال فما مالكم قالت خير مال الابل نشرب البانها جرعا ويروى جرعا بالراء وناكل لحمانها مزعا وتحملنا وضعيفتنا معا فقال يا بنية زوج كريم ومال عميم ثم اتى الثانية فقال يا بنية كيف زوجك قالت خير زوج يكرم اهله وينسى فضله قال فما مالكم قالت البقر تالف الفناء وتملا الاناء وتودك السقاء

وحدثناه مع النساء فقال حظيت وصفيت ثم اتى الثانية فقال يا بنية كيف وجدت بعلك
قالت خير بعل لا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعزى قال وهو قالت لو كنا نولدها قطعا ونسلخها
ادما ويروى ادمنا لم نبع بها نعما فقال لها حبذه مغنية ويروى حبذه معيشة ثم اتى
الصغرى فقال يا بنية كيف وجدت بعلك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال فما مالكم
قالت شر مال قال وما هو قالت الضان جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وامر
مغويتهن يتبعن فقال ابوها اشبه امرء بعض بزه فمضت مثلا قال السيد قدس الله روحه
اما قول احدى بناته في الشعر شم فالشمم ارتفاع ارنبة الانف وورودها يقال رجل اشم و
امرأة شماء وقوم شم قال حسان بن ثابت بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز الاول
والشمم الارتفاع في كل شيء ويحتمل ان يكون اراد حسان بشم الانوف ما ذكرنا من ورود الارنبة
لان ذلك عندهم دليل العتق والنجابة ويجوز ان يريد بذلك الكناية عن تنزههم وتباعدهم
عن دنايا الامور ورذائلها وخص الانوف بذلك لان الحمية والغضب والانفة فيها ولم يرد طول
انفهم وهذا اشبه بان يكون مراده لانه قال بيض الوجوه ولم يرد بياض اللون في الحقيقة وانما
كنى بذلك عن نقاء اعراضهم وجميل اخلاقهم وافعالهم كما يقول القائل جاءني فلان بوجه ابيض
وقد بيض فلان وجهه بكذا وكذا وانما يعني ما ذكرناه وقول المراة اشم كنصل السيف يحتمل الوجهين
ايضا وقول حسان من الطراز الاول اي فعلهم افعال آبائهم وسلفهم وانهم لم يحدثوا فعلا
مذموما لا تشبه مجادهم واصولهم وقولها عين مهند اي هو المهند بعينه كما يقال هذا هو
بعينه وعين الشيء نفسه وعلى الرواية الاخرى غير مهند اي ليس هو السيف المنسوب الى الهند
في الحقيقة وانما هو مشبه به في مضائه وقولها من سر اهلي اي من اكرمهم واخلصهم يقال فلان
في سر قومه اي في صميمهم وشرفهم وسر الوادي اطيبه ترابا والمحتد الاصل وقول الثانية
اولي عدى فانما معناه ان يكون له اعداء لان من لا عدو له هو السفل الرذل الذي لا خير عنده
والكريم الفاضل من الناس هو المحسد المعادى وقولها صدوق باكباد النساء يعني في الصبابة
ويحتمل ان يكون اراد في المحبة والمودة وكنى بذلك عن شدة محبتهن وميلهن اليه وهو
وقولها كانه خليفة جان اي كانه حية للصوقه والجان جنس من الحيات خفيف لضمره والشعر
وقول الثالثة يحبى الجبال مدبر فالمدبر هو الجليس وقولها احكمات الدهر يقول قد احكمته التجارب
وجعلته حكيما فاما الورع فهو الضعيف الغمر الذي لم يجرب الامور وقول الكبرى يكرم الحليلة
ويعطي الوسيلة فالحليلة هي امراة الرجل والوسيلة الحاجة وقولها ان تشرب البانها جرعا فالجرع
جمع جرعة وهو الماء القليل يبقى في الاناء وقولها مزعا المزعة البقية من دسم وقيل الجرعة

ولا مزعة

ولا مزعة هكذا ذكر ابن دريد بالضم في مزعة ووجدت غيره يكسرها فيقول جرعة واذا كسرت فينبغي
ان يكون تشرب البانها جرعا وتكسر المزعة ايضا ليزدوج الكلام فتقول وتاكل لحمانها مزعا
فان المزعة بالكسر هي القطعة من اللحم والمزعة ايضا ما يكسر من الريش والقطن وغير ذلك كالقزع
من الخرق والتمزيق التقطيع والتشقق يقال يكاد يتمزع من الغيظ ومزع الظبي في عدوه
يمزع مزعا اذا اسرع وقوله مال عميم اي كثير وقول الثانية تولد السقاء من الودك الذي هو
الدسم وقول الثالثة نولدها قطعا القطع جمع قطيع وهو المقطوع من الرضاع وقولها نسلخها
ادما فالادم جمع ادام وهو الذي يؤكل تقول لو انا فطمناها عند الولادة وسلخناها للادم من
الحاجة لم نبع بها نعما وعلى الرواية الاخرى ادمنا من الادم وقوله حبذه مغنية فالحذف القطع
وقول الصغرى جوف لا يشبعن الجوف جمع جوفاء وهي العظيمة الجوف والهيم العطاش ولا ينقعن
اي لا يروين ومعنى قولها وامر مغويتهن يتبعن اي القطيع من الضان يمر على قنطرة فتزل واحدة
فتقع في الماء فيقعن كلهن اتباعا لها والضان توصف بالبلادة اخبرنا ابو الحسن محمد بن علي
الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابي عبيدة عن يونس قال ابن دريد واخبرنا
ابو العكلي عن ابن ابي خالد عن الهيثم بن عدي عن مسعر بن كدام قال حدثني سعيد بن خالد الجدلي قال
لما قدم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير دعا الناس الى فرائضهم فاتيناه فقال
من القوم فقلنا من جديلة فقال جديلة عدوان قلنا نعم فتمثل عبد الملك عذير الحي من عدوان
كانوا حية الارض بغى بعضهم بعضا فلم يرعوا على بعض ومنهم كانت السادات والموفون بالقرض ومنهم
حكم يقضي فلا ينقض ما يقضي ومنهم من يجير الناس بالسنة والفرض ثم اقبل على رجل كنا قدمناه
امامنا جسيم وسيم فقال ايكم يقول هذا الشعر فقال لا ادري فقلت انا من خلفه يقوله ذو الاصبع
فتركني واقبل على ذلك الجسيم فقال ما كان اسم ذي الاصبع فقال لا ادري فقلت انا من خلفه
حرثان فاقبل عليه وتركني فقال لم سمي ذا الاصبع فقال لا ادري فقلت انا من خلفه لان حية
نهشته على اصبعه فاقبل عليه وتركني فقال من ايكم كان فقال لا ادري فقلت انا من خلفه من
بني ناج فاقبل على الجسيم فقال كم عطاؤك فقال سبعمائة ثم اقبل علي فقال كم عطاؤك قلت اربعمائة
فقال يا ابا الزعيزعة حط من عطاء هذا ثلاثمائة وزدها في عطاء هذا فرحت وعطائي سبعمائة
وعطاؤه اربعمائة وفي رواية اخرى انه لما قال لهم من ايكم كان قال لا ادري فقلت انا من خلفه
من بني ناج الذين يقول فيهم الشاعر فاما بنو ناج فلا تذكرنهم ولا تتبعن عينيك من
كان هالكا اذا قلت معروفا لتصلح بينهم يقول وهيب لا اسالم ذلكا ويروى لا احاول
فاضحى كظهر العود جب سنامه يدب الى الاعداء احدب باركا وقد رويت هذه الابيات
لذي الاصبع ايضا ومن ابيات ذي الاصبع قوله اكاشر ذا الضغن المبين منهم واضحك

بيلغ الناب اجمع ٭ وامنعته بالقول هذا ولا ارى ٭ سوى نبوة ما الفتى بات يفزع ٭ ومعناها
اسكته ومن قوله ايضا ٭ اذا ما الدهر جرّ على اناس ٭ شراشره اناخ باخرينا ٭ فقل للشامتين بنا
افيقوا ٭ سيلقى الشامتون كما لقينا ٭ ومعنى الشراشر هنا الثقل يقال القى عليه شراشره
جراميزه اي ثقله ومن قوله ذهب الذين اذا راوني مقبلا ٭ هشوا الي ورحبوا بالمقبل ٭
وهم الذين اذا حملت حمالة ٭ ولقيتهم فكانني لم احمل ٭ ومن قوله وهي مشهورة ٭ لي ابن عم على
ما كان من خلق ٭ مختلفان فاقليه ويقليني ٭ ازرى بنا اننا شالت نعامتنا ٭ فخالني دونه
بل خلته دوني ٭ لاه ابن عمك لا افضلت في حسب ٭ عني ولا انت دياني فتخزوني ٭
ما بابي بذي غلق ٭ عن الصديق ولا خيري بممنون ٭ ولا لساني على الادنى بمنطلق ٭ بالفاحشات
ولا اغضي على الهون ٭ ماذا علي وان كنتم ذوي رحمي ٭ ان لا احبكم ان لم تحبوني ٭ يا عمرو ان
لم تدع شتمي ومنقصتي ٭ اضربك حيث تقول الهامة اسقوني ٭ كل امرئ صائر يوما لشيمته ٭
وان تخلق اخلاقا الى حين ٭ وانتم معشر زيد على مائة ٭ فاجمعوا امركم طرا فكيدوني ٭ ولا
يخرج القشر مني غير مابيه ٭ ولا البراق لا يبتغي لبني ٭ قوله شالت نعامتنا معناها فرقتنا
النعام مثلا اي لا اطمئن اليه ولا يطمئن الي يقال شالت نعامة القوم اذا خلوا عن الموضع
وقوله لاه ابن عمك قال قوم اراد لله ابن عمك وقال ابن دريد اراد والله ابن عمك وقوله
عني اي علي والديان الذي يلي امره ومعنى فتخزوني اي تسوسني والخزو السوس والهوان وقوله اضربك
حيث تقول الهامة اسقوني قال الاصمعي العطش في الهامة فاذا اضربك في ذلك الموضع اي على
الهامة بحيث يعطش وقال اخرون العرب تقول ان الرجل اذا قتل خرجت من راسه هامة
تدور حوله وتقول اسقوني اسقوني فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بثاره وهذا باطل ويجوز
ان يعنيه ذو الاصبع على مذاهب العرب وقوله لا يخرج القشر مني غير مابيه فالقشر اللباس اي ان
اخفيته لم ازدد الا اباء ومن المعمرين معدي كرب الحميري من ال ذي رعين قال ابن سلام
وقال معدي كرب وقد طال عمره اراني كلما افنيت عمرا ٭ اتاني بعده يوم جديد ٭ يعود ضياؤه
في كل فجر ٭ ويابى لي شبابي ما يعود ومن المعمرين الربيع بن ضبع الفزاري ويقال انه بقي
الى ايام بني امية وروي انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له يا ربيع اخبرني عما ادركت من العمر
والمدى ورايت من الخطوب الماضية قال انا الذي اقول ها انا ذا امل الخلود وقد ادرك عقلي ومولدي
حجرا فقال قد رويت هذا الشعر من شعرك وانا صبي قال وانا القائل ٭ اذا عاش الفتى مائتين
عاما ٭ فقد ذهب اللذاذة والفتاء ٭ قال قد رويت هذا من شعرك وانا غلام وابيك يا ربيع
لقد طلبك جد غير عاثر ففصل لي عمرك قال عشت مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلام وعشرين

ومائة في الجاهلية وستين في الاسلام قال اخبرني عن فتية من قريش متواطئي الاسماء قال سل
عن ايهم شئت قال اخبرني عن عبد الله بن عباس قال فهم وعلم وعطاء حذم ومقرى ضخم قال
فاخبرني عن عبد الله بن عمر قال حلم وعلم وطول كظم وبعد من الظلم قال فاخبرني عن عبد الله
ابن جعفر قال ريحانة طيب ريحها لين مسها قليل على المسلمين ضررها قال فاخبرني عن عبد الله
ابن الزبير قال جبل وعر ينحدر عنه الصخر قال لله درك يا ربيع ما اعرفك بهم قال قرب جواري
وكثر استخباري قال السيد قدس الله روحه ان كان هذا الخبر صحيحا فيشبه ان يكون سؤال
عبد الملك له انما كان في ايام معوية لا في ولايته لان الربيع يقول في الخبر عشت في الاسلام
ستين سنة وعبد الملك ولي في سنة خمس وستين من الهجرة فان كان صحيحا فلا بد مما
ذكرناه فقد روي ان الربيع ادرك ايام معوية وقيل ان الربيع لما بلغ مائتي سنة قال الا ابلغ
بني بني ربيع ٭ فاشرار البنين لكم فداء ٭ باني قد كبرت ودق عظمي ٭ فلا تشغلكم عني النساء ٭ وان
كنائني لنساء صدق ٭ وما الى بني ولا اساؤا ٭ اذا كان الشتاء فادفئوني ٭ فان الشيخ يهدمه
الشتاء ٭ واما حين يذهب كل قر ٭ فسربال خفيف او رداء ٭ اذا عاش الفتى مائتين عاما ٭
فقد ذهب اللذاذة والفتاء ٭ وقال حين بلغ مائتين واربعين سنة ٭ اصبح مني الشباب قد
حسرا ٭ ان كان ولى فقد ثوى عصرا ٭ ودعنا قبل ان نودعه ٭ لما قضى من جماعنا وطرا
ها انا ذا امل الخلود وقد ٭ ادرك عقلي ومولدي حجرا ٭ ابا امرئ القيس هل سمعت به ٭
هيهات هيهات طال ذا عمرا ٭ اصبحت لا احمل السلاح ولا ٭ املك راس البعير ان نفرا ٭
والذئب اخشاه ان مررت به ٭ وحدي واخشى الرياح والمطرا ٭ من بعد ما قوة اسر بها ٭
اصبحت شيخا اعالج الكبرا ٭ قوله عطاء حذم اي سريع وكل شيء اسرعت فيه فقد حذمته وفي
الحديث اذا اذنت فترسل واذا اقمت فاحذم اي اسرع الاقامة الذي يقرب بعيره وقوله ما الى بنيّ ولا
اساؤا اي لم يقصروا والالي المقصر مخلص اخر ومن المعمرين ابو الطمحان القيني واسمه حنظلة بن
الشرقي من بني كنانة بن القين قال ابو حاتم عاش مائتي سنة فقال في ذلك ٭ حنتني حانيات الدهر
حتى ٭ كاني خاتل ادنو لصيد ٭ قريب الخطو يحسب من راني ٭ ولست مقيدا اني بقيد ٭ قال
ابو حاتم السجستاني حدثني عدة من اصحابنا انهم سمعوا يونس بن حبيب ينشد هذين البيتين
وينشد ايضا ٭ تقارب خطو رجلك يا سويد ٭ وقيدك الزمان بشر قيد ٭ وهو القائل ٭ و
اني من القوم الذين هم هم ٭ اذا مات منهم سيد قام صاحبه ٭ نجوم سماء كلما غاب كوكب ٭
بدا كوكب تاوي اليه كواكبه ٭ اضاءت لهم احسابهم ووجوههم ٭ دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه ٭
وما زال منهم حيث كان مسود ٭ تسير المنايا حيث سارت كتائبه ٭ ومعنى البيتين الاولين قوله

اوس بن حجر ؛ اذا مقرم منا ذا حد نابه ؛ تخمط فينا ناب اخر مقرم ؛ ولطفيل الغنوي مثل هذا
المعنى وهو قوله ؛ كواكب دجن كلما انقض كوكب ؛ بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب ؛ ومما اخذ هذا المعنى
الخزيمي فقال ؛ اذا قمر منا تغور او خبا ؛ بدا قمر في جانب الافق يلمع ؛ ومثل ذلك خلا فقد اعيل تدري
فينا او ذا اننه ؛ اذا مات منا سيد قام صاحبه ؛ ومثله ؛ اذا سيد منا مضى لسبيله ؛ اقام عمود الملك
الاخر سيد ؛ وكان مراجها العقيلي نظر الى قول ابي الطمحان اضاءت لهم احسابهم ووجوههم فقال
واحسن وجوه لو ان المدلجين اغتشوا بها ؛ صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي ؛ ويقارب ذلك
قول جحيفة بن المضرب السعدي ؛ اضاءت لهم احسابهم فتضاءلت ؛ لنورهم الشمس المضيئة والبدر
وانشد محمد بن يحيى الصولي في معنى بيت ابي الطمحان ؛ من البيض الوجوه بني سنان ؛ لو انك
تستضيء بهم اضاؤا ؛ هم حلوا من الشرف المعلى ؛ ومن كرم العشيرة حيث شاؤا ؛ فلو ان السماء
دنت لمجد ؛ ومكرمة دنت لهم السماء ؛ وابو الطمحان القائل اذا كان في صدر ابن عمك احنة ؛
فلا تستثرها سوف يبدو دفينها ؛ وهو القائل ؛ اذا شاء راعيها استقى من وقيعة ؛ كعين الغراب صفوها لم يكدر ؛ الوقيعة المستنقع في الصخرة للماء ؛ ويقال للماء اذا زال عن صخرة فوقع في بطن اخرى
هو ماء الوقايع ؛ وانشد والذي الرمة ؛ ونلنا سقاطا من حديث كأنه ؛ جنى النحل ممزوجا بماء الوقايع ؛
ويقال للماء الذي على الصخر ماء الحشرج وللماء الذي يجري بين الحصى في الرمل ماء المفاصل و
انشد والابي ذويب ؛ مطافيل ابكار حديث نتاجها ؛ تشاب بماء مثل ماء المفاصل ؛ و
انشد ابو محلم السعدي لابي الطمحان ؛ بني اذا ما سامك الذل قاهر ؛ عزيز فبعض الذل اتقى واحرز
ولا تحم من بعض الامور تعززا ؛ فقد يورث الذل الطويل التعزز ؛ وهذان البيتان يرويان لعبد
الله بن معوية الجعفري ؛ ويروى لابي الطمحان ايضا في مثل هذا المعنى ؛ يا رب مظلمة يوما لطيت لها ؛
تمضي علي اذا ما غاب نصاري ؛ حتى اذا ما انجلت عني غيابتها ؛ وثبت فيها وثوب المخدر الضاري ؛

ومن المعمرين عبد المسيح بن بقيلة الغساني

وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة
وبقيلة اسمه ثعلبة وقيل الحارث وانما سمي بقيلة لانه خرج في بردين اخضرين على قومه فقالوا
له ما انت الا بقيلة فسمي بذلك ؛ وذكر الكلبي وابو مخنف وغيرهما انه عاش ثلاثمائة وخمسين سنة ؛
وادرك الاسلام فلم يسلم وكان نصرانيا وروي ان خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة وتحصن منه
اهلها ارسل اليهم ابعثوا الي رجلا من عقلائكم وذوي اسنانكم فبعثوا اليه بعبد المسيح بن بقيلة فاقبل
يمشي حتى دنا من خالد فقال انعم صباحا ايها الملك قال قد اغنانا الله عن تحيتك هذه فمن ابن
اقصى اثرك ايها الشيخ قال من ظهر ابي قال فمن اين خرجت قال من بطن امي قال فعلام انت قال على
الارض قال ففيم انت قال في ثيابي قال أتعقل لا عقلت قال اي والله وأقيد قال ابن كم انت قال

ابن

ارفات السفينة قربها من الشط وذلك الموضع رفاق

ابن رجل واحد قال خالد ما رايت كاليوم قط اني اسائله عن الشيء وينحو في غيره قال ما انبأتك الا بما
سالت فسل عما بدا لك قال اعرب انتم ام نبيط قال عرب استنبطنا ونبيط استعربنا قال فحرب انتم
ام سلم قال لا بل سلم قال فما هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحذر منه حتى يجيء الحليم ينهاه قال
كم اتى لك قال خمسون وثلاثمائة سنة قال فما ادركت قال ادركت سفن البحر ترقى الينا في هذا الجرف
ورايت المراة من اهل الحيرة تضع مكتلها على راسها لا تزود الا رغيفا واحدا حتى تاتي الشام ثم قد
اصبحت اليوم خرابا يبابا وذلك داب الله تعالى في العباد والبلاد قال ومعه سم ساعة يقلبه في
كفه فقال له خالد ما هذا في كفك قال السم قال فما تصنع به قال ان كان عندك ما يوافق قومي واهل
بلدي حمدت الله وقبلته وان كانت الاخرى لم اكن اول من ساق اليهم ذلا وبلاء اشربه فاستريح
من الدنيا فانما بقي من عمري اليسير قال خالد هاته فاخذه ثم قال بسم الله وبالله رب الارض والسماء
الذي لا يضر مع اسمه شيء ثم اكله فجللته غشية ثم ضرب بذقنه في صدره طويلا ثم عرق فافاق
كانما نشط من عقال فرجع ابن بقيلة الى قومه فقال جئتكم من عند الشيطان اكل سم ساعة فلم
يضره صانعوا القوم واخرجوهم عنكم فان هذا الامر مصنوع لهم فصالحوهم على مائة الف درهم ؛
وانشد ابن بقيلة يقول ؛ ابعد المنذرين ارى سواما ؛ تروح بالخورنق والسدير ؛ تحاماه
فوارس كل قوم ؛ مخافة ضيغم عالي الزئير ؛ فصرنا بعد هلك ابي قبيس ؛ كمثل الشاء في اليوم
المطير ؛ ويروى ابا قابوس فصغره ويروى كمثل المعز ؛ تقسمنا القبائل من معد ؛ علانية كاشراك
الجزور ؛ نؤدي الخرج بعد خراج كسرى ؛ وخرج من قريظة والنضير ؛ كذاك الدهر دولته سجال ؛
فيوم من مساءة او سرور ؛ ويقال ان عبد المسيح بن بقيلة لما بنى بالحيرة قصره المعروف
بقصر بني بقيلة قال ؛ لقد بنيت للحدثان حصنا ؛ لو ان المرء تنفعه الحصون ؛ طويل الراس
اقعس مشمخرا ؛ لانواع الرياح به حنين ؛ ومما يروى لعبد المسيح بن بقيلة والناس ابناء
علات فمن علموا ؛ ان قد اقل فمجفو ومحقور ؛ وهم بنون لام ان راوا نشبا ؛ فذاك بالغيب محفوظ
ومحفور ؛ وهذا يشبه قول اوس بن حجر ؛ بني ام ذي المال الكثير يرونه ؛ وان كان عبدا سيد
الامر جحفلا ؛ وهم لمقل المال اولاد علة ؛ وان كان محضا في العمومة مخولا ؛ وذكر ان بعض
مشايخ اهل الحيرة خرج الى ظهرها يختط ديرا فلما احتفر موضع الاساس وامعن في الاحتفار اصاب
كهيئة الكهف فدخله فاذا رجل على سرير من رخام وعند راسه كتابة انا عبد المسيح بن بقيلة
حلبت الدهر اشطره حياتي ؛ ونلت من المنى بلغ المزيد ؛ وكافحت الامور وكافحتني ؛ ولم احفل
بمعضلة كؤود ؛ وكدت انال في الشرف الثريا ؛ ولكن لا سبيل الى الخلود ؛ ومن المعمرين النابغة
الجعدي واسمه حبان بن كعب بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن

معصعة ويكنى ابا ليلى وروى ابو حاتم السجستاني قال كان النابغة الجعدي اسن من النابغة الذبياني
والدليل على ذلك قوله: تذكرت والذكرى تهيج على الفتى ومن حاجة المحزون ان يتذكرا ندامى
عند المنذر بن محرق ارى اليوم منهم ظاهر الارض مقفرا كهول وفتيان كان وجوههم
دنانير مما شيف في ارض قيصرا فهذا يدل على انه كان مع المنذر بن محرق والنابغة الذبياني
كان مع النعمان بن المنذر بن محرق قوله شيف يعني جلي والشوف الجلو ويقال ان النابغة
غبر ثلاثين سنة لا يتكلم ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة باصبهان وكان ديوانه
بها وهو الذي يقول فمن يك سائلا عني فاني من الفتيان ايام الخنان وايام الخنان ايام
كانت للعرب قديمة هاج بهم فيها مرض في انوفهم وحلوقهم مضت مائة لعام ولدت فيه
وعشر بعد ذاك وحجتان فابقى الدهر والايام مني كما ابقى من السيف اليماني تفلل
وهو مأثور جراز اذا جمعت بقائمه اليدان وقال ايضا في طول عمره لبست اناسا فافنيتهم
وافنيت بعد اناس اناسا ثلاثة اهلين افنيتهم وكان الاله هو المستآسا يعني
المستعاض وروى هشام بن محمد الكلبي انه عاش مائة وثمانين حجة وروى ابن دريد عن ابي حاتم
في موضع آخر ان النابغة عاش مائتي سنة وادرك الاسلام وروى له قالت امامة كم عمرت زمانة
وذبحت من عتر على الاوثان العتيرة شاة تذبح لاصنامهم في رجب في الجاهلية ولقد شهدت
عكاظ قبل محلها فيها وكنت اعد ملفتيان والمنذر بن محرق في ملكه وشهدت يوم
هجائن النعمان وعمرت حتى جاء احمد بالهدى وقوارع تتلى من القرآن ولبست من
اسلام ثوبا واسعا من سيب لا حرم ولا منان وله ايضا في طول عمره المرء يهوى ان
يعيش وطول عيش ما يضره تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره وتتابع الايام حتى ما يرى
شيئا يسره كم شامت بي ان هلكت وقائل لله دره وروى ان النابغة الجعدي كان يفتخر ويقول
اتيت النبي صلى الله عليه وآله وانشدته بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنرجو فوق ذلك
مظهرا فقال صلى الله عليه وآله الى اين المظهر يا ابا ليلى فقلت الى الجنة يا رسول الله فقال اجل ان شاء الله
ثم انشدته ولا خير في حلم اذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرا ولا خير في جهل اذا لم يكن له
حليم اذا ما اورد الامر اصدرا فقال صلى الله عليه وآله لا يفضض الله فاك وفي رواية
اخرى لا يفضض فوك فيقال ان النابغة عاش عشرين ومائة سنة لم يسقط له سن ولا ضرس
وفي رواية اخرى قال فرايته وقد بلغ الثمانين ترف غروبه وكان كلما سقطت له ثنية نبتت
له اخرى مكانها وهو احسن الناس ثغرا معنى ترف تبرق وكان الماء يقطر منها قال السيد قدس
الله روحه ومما يشاكل قوله الجنة في جواب قول النبي صلى الله عليه وآله الى اين المظهر يا ابا ليلى وان

كان

كان يتضمن العكس من معناه ما روي من دخول الاخطل على عبد الملك بن مروان مستغيثا من فعل
الجحاف السلمي وانه انشده لقد اوقع الجحاف بالبشر وقعة الى الله منها المشتكى والمعول فان لم
تغيرها قريش بحلمها يكن من قريش مستماز ومرحل فقال عبد الملك الى اين يا ابن اللخناء فقال
الى النار فقال لو قلت غيرها لقطعت لسانك فقوله الى النار تخلص مليح على البديهة كما تخلص الجعدي بقوله
الى الجنة واول قصيدة الجعدي التي ذكرنا منها الابيات خليلي عوجا ساعة وتهجرا ولوما على
ما احدث الدهر او ذرا ولا تسألا ان الحياة قصيرة فطيرا لروعات الحوادث او قرا وان كان
امر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا يهيج الاسى عند الندامة ثم ما يغير شيئا
غير ما كان قدرا الم تعلما ان الملامة نفعها قليل اذا ما الشيء ولى فادبرا لو الله علم الغيب عن
سواه لو يعلم منه ما مضى وتاخرا وجاهدت حتى ما احس ومن معي سهيلا اذا ما لاح ثم تغورا
يريد اني كنت بالشام وسهيل لا يكاد يرى هناك وهذا بيت حسن وفيها يقول وانا اناس
لا نعود خيلنا اذا ما التقينا ان تحيد وتنفرا وتنكر يوم الروع الوان خيلنا من الطعن حتى
نحسب الجون اشقرا وليس بمعروف لنا ان نردها صحاحا ولا مستنكر ان تعقرا اخبرنا المرزباني
قال انشدنا علي بن سليمان الاخفش قال انشدنا احمد بن يحيى قال انشدنا محمد بن سلام وغيره
للنابغة الجعدي تلوم على هلاك البعير ظعينتي وكنت على لوم العواذل زاريا الم تعلمي اني
رزيت محاربا فما لك منه اليوم شيء ولا ليا ومن قبله ما قد رزيت بوحوح وكان ابن امي
والخليل المصافيا فتى كملت خيراته غير انه جواد فما يبقي من المال باقيا فتى كان فيه ما يسر صديقه
على ان فيه ما يسوء الاعاديا اشم طويل الساعدين سميدع اذا لم يرح للمجد اصبح غاديا
السميدع السيد ومما يروى للنابغة الجعدي عقيلية او من هلال بن عامر بذي الرمث من
وادي المنار خيامها اذا ابتسمت في البيت والليل دونها اضاء دجى الليل البهيم ابتسامها
وذكر الاصمعي عن ابي عمرو بن العلاء قال سئل الفرزدق عن النابغة الجعدي فقال صاحب خلقان
يكون عنده ثوب عصب وعنده مطرف بالف وخمار بواف قال الاصمعي وصدق الفرزدق بينا النابغة
في كلام اسهل من الزلال واشد من الصخر اذ لان فذهب ثم انشد له سما لك هم ولم تطرب
وبت ببث ولم تنصب وقالت سليمى ارى راسه كناصية الفرس الاشهب وذلك من
وقعات المنون ففيئي اليك ولا تعجبي اتين على اخوتي سبعة وعدن على ربعي الاقرب
ثم يقول بعد هذا فادخلك الله برد الجنان جذلان في مدخل طيب فلان كلامه حتى لو
ان ابا الشمقمق قال هذا البيت كان رديا ضعيفا قال الاصمعي وطريق الشعر اذا ادخلته في باب
الخير من مراثي النبي صلى الله عليه وآله وحمزة وجعفر عليهما السلام وغيرهما لان شعره ومجلس

النابغة الجعدي

في تطاول الاعمار وامتدادها وانكار بعضهم لذلك

آخر مسألة تتعلق بما ذكرناه ان سال سائل فقال كيف يصح ما اودعتموه من تطاول الاعمار وامتدادها وقد علمتم ان كثيرا من الناس ينكر ذلك ويحيله ويقول انه لا قدرة عليه ولا سبيل اليه ومنهم من ينزل في انكاره درجة فيقول انه وان كان جائزا من طريق القدرة والامكان فانه مما يقطع على انتفائه لكونه خارقا للعادات فان العادات اذا وثق الدليل بانها لا تنخرق الا على سبيل الابانة والدلالة على صدق نبي من الانبياء علم ان جميع ما روي من زيادة الاعمار على العادة باطل مصنوع لا يلتفت الى مثله الجواب قيل له اما من ابطل تطاول الاعمار من حيث الاحالة واخرجه عن باب الامكان فقوله ظاهر الفساد لانه لو علم ما العمر في الحقيقة وما المقتضي لدوامه اذا دام وانقطاعه اذا انقطع لعلم من جواز امتداده ما علمناه والعمر هو استمرار كون من يجوز ان يكون حيا وغير حي حيا وان شئت ان تقول هو استمرار كون الحي الذي لكونه على هذه الصفة ابتداء حيا وانما شرطنا الاستمرار لانه يبعد ان يوصف من كان في الحال الواحدة حيا بان له عمرا بل الابدان يراعوا في ذلك ضربا من الامتداد والاستمرار وان قل وشرطنا جواز ان يكون غير حي او يكون لكونه حيا ابتداء احترازا من ان يلزم عليه القديم تعالى لانه جلت قدرته ممن لا يوصف بالعمر وان استمر كونه حيا وقد علمنا ان المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى وفيما يحتاج اليه الحياة من البنية ومن المعاني ما يختص به عز وجل ولا يدخل الا تحت مقدوره كالرطوبة وما يجري مجراها فمتى فعل تعالى الحياة وما تحتاج اليه من البنية وهو مما لا يجوز عليه البقاء وكذلك ما تحتاج اليه فليست تنتفي لانفسها بطرو عليها او ضد بنفي ما تحتاج اليه ولو كان الحياة ضد على الحقيقة لم يخل بما قصدناه من هذا الباب فما لم يفعل القديم تعالى ضدها او ضد ما تحتاج اليه ولا نقض ما فيه بنية الحي استمر كون الحي حيا ولو كانت الحياة مما لا تبقى على مذهب من راى ذلك لكان ما قصدناه صحيحا لانه تعالى قادر على ان يفعلها حالا فحالا ويوالي بين فعلها وبين فعل ما تحتاج اليه فيستمر كون الحي حيا فاما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقص بنية الانسان فليس مما لا بد منه وانما اجرى الله تعالى العادة بان يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا ايجاب هناك ولا تاثير للزمان على وجه من الوجوه وهو تعالى قادر على ان لا يفعل ما اجرى العادة بفعله واذا ثبتت هذه الجملة ثبت ان تطاول العمر ممكن غير مستحيل وانما اوتي من احال ذلك من حيث اعتقد ان استمرار كون الحي حيا موجب عن طبيعة وقوة لهما مبلغ من المادة متى انتهتا اليه انقطعتا واستحال ان يدوما ولو اضافوا ذلك الى فاعل مختار متصرف لخرج عندهم من باب الاستحالة فاما الكلام في دخول ذلك في العادة او خروجه عنها فلا شك في ان العادة قد جرت في الاعمار باقدار

عظمته

متقاربة

متقاربة بحيث يعد الزايد عليها خارقا للعادة الا انه قد ثبت ان العادات قد تختلف في الاوقات وفي الاماكن ايضا ويجب ان يراعى في العادة اضافتها الى من هي عادة له في المكان والوقت ويمتنع ان يقل ما كانت العادة جارية على تدريج حتى يصير حدوثه خارقا للعادة بغير خلاف ولا ان يكثر الخارق للعادة حتى يصير حدوثه غير خارق لها على خلاف فيه واذا صح ذلك لم يمتنع ان تكون العادة في الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الاعمار وامتدادها ثم تناقص ذلك على تدريج حتى صارت عادتنا الآن جارية بخلافه وصار ما يبلغ مبلغ تلك الاعمار خارقا للعادة وهذه جملة فيما ذكرناه كافية

باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي يسميها قوم المسكتة

اعلم ان اجوبة المحاورة في المناظرة انما تستحسن وتؤثر اذا اجتمع مع الصواب سرعة الحضور فكم من جواب اتى بعد لاي وورد بعد تقاعس لم يكن له في النفوس موقع ولا حل من القلوب محل الحاضر السريع وان كان المتثاقل اعرف في نسب الاصابة واخذ باطراف الحجة ولهذا قيل احسن الناس جوابا واحضرهم قريش ثم العرب ولن المولى ياتي جوابها بعد لاي وفكرة وروية وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان فقال صحار العبدي لمعوية بن ابي سفيان وقد ساله عن البلاغة فقال ان تصيب فلا تخطي وتسرع ولا تبطي ثم اختصر بعد ذلك فقال لا تخطي ولا تبطي ولطول الفكرة والاغراق في الروية مذهب وان كان منهما التسرع والتعجل كما لا يحمد في الاجوبة الحاضرة التثاقل والتايد وانما يحمد التسرع في اجوبة المحاورة والمناظرة وتراد الفكرة والروية للاراء المستخرجة والامور المستنبطة التي على الانسان فيها مهلة تاملها فحجة ولا عيب عليه معها في اطالة التامل واعادة التصفح ولهذا قال الاحنف يصف [illegible] الراي فان ذلك يكشف لكم عن محضه وقال عبد الله بن وهب الراسبي لما اراده الخوارج على الكلام عقيب والراي الاخير في الراي الفطير والكلام القضيب في شئ وابن التوام الرقاشي فاسل عن الجواب وقال ما احسب الخير الا ما بينا فاما قولهم ثلاث لا يعرفن في الاحمق سرعة الجواب وكثرة الالتفات والثقة بكل احد فمحمول على سرعة الجواب عند الراي والمشاورة والاحوال التي يجب فيها التايد والتثبت او على الاسراع من غير تحصيل ولا ضبط وذلك مذموم لا اشكال فيه ثم نعود الى ما قصدناه روى ان بعض ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم سالته متى يعرف الانسان ربه فقال عليه السلام اذا عرف نفسه وقال له صلى الله عليه وآله رجل ما لي اكره الموت فقال عليه السلام ألك مال قال نعم قال قدم مالك فان قلب كل امرئ عند ماله وقال يهودي لامير المؤمنين عليه السلام ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فقال عليه السلام انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت اقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون وروى انه لما فرغ من دفن النبي عليه السلام سال عن خبر السقيفة فقيل له ان الانصار قالت منا امير ومنكم امير فقال عليه السلام

وليس ع

بقى

اي العبيد

المتكون

فهل لا ذكرت ثم انصار قول النبي صلى الله عليه وآله يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الامر فيهم والوصاة بهم وقال له عليه السلام ابن الكواء يا امير المؤمنين كم بين السماء والارض فقال دعوة مستجابة وقيل له ما طعم الماء فقال طعم الحياة وقيل له كم بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس واثنى عليه رجل وكان له متهما فقال انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك وكان عليه السلام اذا اطراه رجل فقال اللهم انك اعلم بي منه وانا اعلم بنفسي منه اللهم اغفر لي ما لا يعلم اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني عبد الواحد بن محمد الخصيبي قال حدثني ابو علي احمد بن اسماعيل قال حدثني

حكاية نفيع مع الرشيد

ايوب بن الحسين الهاشمي قال قدم على الرشيد رجل من الانصار يقال له نفيع وكان عريضا فحضر باب الرشيد يوما ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وحضر موسى بن جعفر عليهما السلام على حمار له فتلقاه الحاجب بالبشر والاكرام واعظمه من كان هناك وعجل له الاذن فقال نفيع لعبد العزيز من هذا الشيخ قال او ما تعرفه قال لا قال هذا شيخ آل ابي طالب هذا موسى بن جعفر فقال ما رأيت اعجز من هؤلاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر ان يزيلهم عن السرير اما ان خرج لاسوءنه فقال له عبد العزيز لا تفعل فان هؤلاء اهل بيت قلما تعرض لهم احد في خطاب الا وسموه في الجواب سمة يبقى عارها عليه مدى الدهر قال وخرج موسى بن جعفر فقام اليه نفيع الانصاري فاخذ بلجام حماره ثم قال له من انت فقال يا هذا ان كنت تريد النسب انا ابن محمد حبيب الله ابن اسماعيل ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله وان كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك ان كنت منهم الحج اليه وان كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضي مشركو قومي مسلمي قومك اكفاء لهم حتى قالوا يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قريش خل عن الحمار فخلى عنه ويده ترعد وانصرف بخزي فقال له عبد العزيز الم اقل لك وقيل ان معوية استشار الاحنف بن قيس في عقد البيعة ليزيد فقال انت اعلم بليله ونهاره وقال احمد بن يوسف لابي يعقوب الخزيمي مدحت المهدي بن منصور اجود من مرثيتك فيه فقال كنا نعمل للرجاء واليوم للوفاء وبينهما بون ودخل مطيع بن اياس على الهادي في حياة المهدي فدهش فقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقيل له مه فقال بعد امير المؤمنين وقال معوية بن ابي سفيان لعقيل بن ابي طالب وكان جيد الجواب حاضره انا خير لك من اخيك فقال عقيل ان اخي آثر دينه على دنياه وانت آثرت دنياك على دينك فاخي خير لنفسه منك وانت خير لي منه وقال له يوما ان فيكم لشبقا يا بني هاشم فقال هو منا في الرجال ومنكم في النساء وقال له معوية يوما وقد دخل عليه هذا عقيل عمه ابو لهب فقال عقيل رضي الله عنه هذا معوية عمته حمالة الحطب وعمة معوية ام جميل بنت حرب بن امية وكانت امرأة ابي لهب قال له يوما يا ابا يزيد اين ترى عمك ابا لهب فقال عقيل اذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترشا عمتك حمالة الحطب فانظر ايهما اسوء حالا

الناكح

الناكح ام المنكوح وقال له معوية يا ابا يزيد انت معنا الليلة قال ويوم بدر كنت معكم وقيل لسعيد بن المسيب وقد كف الا تقدح عينيك قال حتى افتحها على من ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال له كبرت يا معن قال في طاعتك قال وانك لتتجلد قال على اعدائك قال وان فيك لبقية قال هي لك قال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل والله لاقتلنك قتلة يتحدث بها بعدك فقال مسلم اشهد انك لا تدع سوء القتلة ولؤم القدرة لاحد اولى بهما منك وقال رجل لعمرو بن العاص لاتفرغن لك قال اذا وقعت في الشغل وقال معوية لعمرو بن سعيد بن العاص الملقب بالاشدق الى من اوصى بك ابوك فقال ان ابي اوصى الي ولم يوص بي وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته الوفاة الا اوصيك قال لا فالقبح بعد بحي فقال يا بني اذا لم يكن للحي الا وصية الميت فالحي هو الميت وقال الوليد بن يزيد لابن الرقاع العاملي انشدني بعض قولك في الخمر فانشده كميت اذا شجت وفي الكاس وردة لها في عظام الشاربين دبيب فقال له شربتها ورب الكعبة فقال ابن الرقاع لئن كان رابك نعتي لها فقد رابني معرفتك بها ولما اتى معوية نعي الحسن بن علي عليهما السلام بعث الى ابن عباس اذ كان ينسى الله في اجلك ولا اتت بحفرتك قال الحسن قد ترك صبية صغارا قال انا كان صغيرا فكبر قال واحسنه قد كان بلغ سنا قال مثل مولده لا يجهل قال معوية لو قال انك اصبحت سيد قومك قال اما وابو عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام حي فلا فلما كان من غد اتى يزيد بن معوية ابن عباس وهو في المسجد يعزيه فجلس بين يديه جلسة المعزي واظهر حزنا وغما فلما انصرف شيعه ابن عباس ببصره وقال اذا ذهب آل حرب ذهب حلم قريش وروي ان وفودا دخلوا على عمر بن عبد العزيز فاراد فتى منهم الكلام فقال عمر ليتكلم اكبركم فقال الفتى ان قريشا لترى فيها من هو اسن منك فقال له تكلم يا فتى وروى محمد بن سلام الجمحي قال انشد كثير عبد الملك بن مروان على ابن ابي العاصي ولاضر حصينة ... اجاد السدي نسجها فاذالها فقال له هلا قلت كما قال الاعشى واذا تكون كتيبة ملمومة ... شهباء يخشى الذايدون نهالها كنت المقدم غير لابس جنة ... بالسيف تضرب معلما ابطالها فقال له انه وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم ويشبه ذلك ما روي عن ابي عمرو بن العلاء ان ذا الرمة قال له انشدني قصيدتك ما بال عينك منها الماء ينسكب فانشده اياها فلما انتهى الى قوله تصغي اذا شدها بالكور جانحة حتى اذا ما استوى في غرزها تثب فقال له ابو عمرو قول الراعي احسن مما قلت حيث يقول تراها اذا قام في غرزها كمثل السفينة او اوقر ولا تعجل المرء عند البروك وهي بركبته ابصر فقال ذو الرمة ان الراعي وصف ناقة ملك وانا وصفت ناقة سوقة وحكى الصولي ان اعرابيا سمع ذا الرمة ينشد بيته الذي حكيناه فقال سقط والله الرجل فاما الغرز فهو للناقة مثل الركاب للبغل

وهو تشبع مصفور وقوله يطفي مريد بمثل راسها كانها تسمع لانها تبتسم وقيل موده
في الكور الرحل بعد اخذ هذا المعنى ابو نواس فاحسن فيه الاحسان فقال يصف الناقه في مدح
الخصيب بن عبد الحميد فكانها مصغ لتسمعه بعض الحديث باذنيه وقر فلم يرض بان يصفها
بالاصغاء حتى وصفها بالوقر وهو الثقل في الاذن لان الثقيل السمع يكون اصغاؤه وميله الى
جهة الحديث اشد واكثر قال السيد قدس الله روحه واني لاستحسن القصيده التي من جملتها
البيتان الذي اوردناه لابي نواس لانها دون العشرين بيتا وقد نسب في اولها ثم وصف الناقه
باحسن وصف ثم مدح الرجل فاحسن مدحه واقتضاه حاجته كل ذلك بطبع متدفق ورونق
بين قرانه وسهوله مع جزالة والقصيده هي يا منة امتنها السكر ما ينقضي مني لها الشكر
اعطتك فوق منالك من تجمل قد كنت قبل مرامها وعر ميلوا اليك بها سوالف مرشاة صناعة
عينا التحر ظلت حميا الكاس تبسطنا حتى تهتك بيننا الستر في مجلس ضحك السرور به
عن ناجذيه وحلت الخمر اما قوله وحلت الخمر يحتمل ان يريد به ان ما وصفه به من طيب
الموضع وتكامل السرور به وحصول المأمول فيه صار مقتضيا لشرب الخمر وملجيا الى تناولها
وداعيا للحرج منها على مذهب الشعراء في المبالغه ويكون فايدة وصفها بانها حلت المبالغه في
وصف الحال بالحسن والطيب ويحتمل ان يكون عقد على نفسه والى ان لا يشربها الا بعد
الاجتماع مع محبيه وكان الاجتماع معهم محرما من بينه على مذهب العرب في تحريم الخمر على نفوسهم
الى ان ياخذوا بثارهم ويجري ذلك مجرى قول الشنفرى حلت الخمر وكانت حراما وبلاي ما المت تحل
ويحتمل ان يريد بحلت نزلت وانه من الحلول الذي هو المقام لا من الحلال كانه وصف
بلوغ جميع اربه وحضور صنوف لذاته وانها تكاملت بحلول الخمر التي فيها اجتماع اللذات وهذا الوجه
وان لم يشر اليه احد ممن تقدم في تفسير هذا البيت فالعقول تحتمله ولا مانع من ان يكون مرادا
وقد قيل انه اراد انا استحللنا الخمر لسكرنا وفقدنا العقول التي كنا نمتنع بها من الحرام والوجه
المتقدم اشبه واقرب الى الصواب وقد يجوب الفلاة اذا صام النهار وقالت العفر اذ اد
مصام وقف وقال وصف له بالامتداد والطول فالعفر الظباء الوان في الوانهن حمرة
تخالطها كدرة وقالت من القايلة وهي … نصف النهار لا من القول شدنية رعت الحمى
فاتت ملا الجبال فكانها قصر شدنية منسوبة الى شذن وهو موضع باليمن يقال لملكه
ذو شذن تثني على الحاذين ذا خصل … الشذنان والخطر الحاذ موضع الخصل والشذر
دفع الناقة ذنبها من المرح والنشاط … من خطر غطر … اي علم انما اراد
شاملة فقول … يعني … اي … الطاير اذا

تشرحنا عليه ظاهر ابن عمر بخريات اما اذا وضعته خافقة فتقول ازحي خلفها تبتر ولتعرفها
فتحسبها مترسما تقتاده اثره معنى تشتكي … راسها من الارض والمترسم الذي يتبع الرسم
ويتامله ومعنى تقتاده اثره اي هو معنى يطلب الاثر وهو كل يتبعه فقال اثره … اثر ولا
لغات وقد وهم الصولي في تفسير هذا البيت لانه قال ابو نواس جمع الاثر اثارا ثم جمع الاثار
ثم خفف فقال اثر وليس يحتاج الى ما ذكره مع ما اوردناه وانما ذهب عليه انه يقال اثر لا
اثر فاذا شعرت فقصرت لها الزمام سماه فوق المقادم ملطم حر فكانها مصغ لتسمعه بعض
الحديث باذنه وقر وقوله تبري لانقاض اصرها حدب البرى فجد ودها صعر معنى تبري تعرض
اي تعرض لهذا الانقاض والانقاض جمع نقض وهو البعير الذي قد اهزله السفر والكد والبرى
جمع برة وهي الحلقة تكون في انف البعير … الى … عنهم ملك
الدهر انت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر لا تقعدا بي عن مدى املي شيئا
فما لكما عذر … بينكما الا تحل … **مجلس اخر** قال السيد
قدس الله روحه ثم نعود الى ما كنا اخذنا فيه من ذكر مستحسن الجوابات روي ان رجلا نظر الى كثير
الشاعر راكبا وابو جعفر محمد بن علي عليهما السلام يمشي فقيل له اتركب وابو جعفر يمشي فقال هو امرني
بذلك فانا بطاعته في الركوب افضل مني في عصيانه في المشي وقال دعاة خراسان صاروا
الى ابي عبد الله الصادق عليه السلام فقالوا الولد ادنى ولد محمد بن علي فقال اولئك …
نصاحبكم فقالوا لو اذا قصدنا خير الكفاة … فقال المنصور بعد ذلك لابي عبد الله قد ارادوا
الخروج علينا فقال نحن دللناهم عليكم في دولة غيركم فكيف نخرج عليكم في دولتكم وقال عبد الملك
بن مروان لنصيب هل لك في الشراب فقال له نصيب اشعر مفلفل اللون … وانما قربني
اليك عقلي فدعني … وقال مروان بن محمد الملقب بالحمار لحاجبه وقد ولى منه ما كره علي بالسيف
فقال لا تطاولني بذلك فقال والله لئن لم تفعل لاسوءنك فقال وددنا انك تقدر على ذلك
وقال يحيى بن خالد لشريك علمنا مما علمك الله يا ابا عبد الله فقال له شريك اذا علمتم ما تعلمون
علمناكم ما تجهلون وقال المامون لمحمد بن عمران بلغني انك بخيل فقال ما احمد في حق ولا اذوب
في باطل وقيل لابي دواد الايادي ونظر الى … فرسه امتهنها يا ابا دواد فقال امتهنها
بكرامتي كما اكرمها لمهنتي ومثل ذلك قول ابي جعفر … على باب السلطان اهينهم نفسي
لاكرمها بهم ولن تكرم النفس التي لا تهينها ودخل عمارة بن حمزة على المنصور فجلس مجلسه الذي
كان يجلس فيه فقام رجل الى المنصور فقال مظلوم يا امير المؤمنين قال من ظلمك قال عمارة
غصبني ضيعتي فقال المنصور يا عمارة فاقعد مع خصمك فقال عمارة ما هو لي بخصم …

قال ان كانت الضيعة لم فلست ادعها وان كانت لى فهى لم ولا اقوم من مجلسي حتى تردها يا امير
المؤمنين لا فعلت فردها عليه بسبب صيحته وقال هشام بن عبد الملك لرجل في الكعبة
سلني حاجتك فقال لا اسال في بيت الله غير الله وهرب سليمان بن عبد الملك من الطاعون فقيل له
ان الله تعالى يقول قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا
فقال ذلك القليل نطلب قيل ان الجعد بن درهم جعل في قارورة ترابا وماء فاستحال دودا و
هوام فقال لاصحابه انا خلقت ذلك لاني كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليهما
السلم فقال ليقل كم هو وكم الذكران منه والاناث ان كان خلقه وكم وزن كل واحد منهن
وليامر الذي يسعى الى هذا الوجه ان يرجع الى غيره فانقطع وهرب وقال المامون للفضل بن سهل
انى اخاف عليك ان تولينا اعمالا دونك فلا تركب الا في جيش فقال الفضل ما اخاف غيرك فان اعفيتني
من نفسك لم يضرني انسان وقيل لابي ثور ما تقول في حماد بن زيد بن درهم وحماد بن سلمة
بن دينار فقال بينهما في العلم كما بين ابويهما في العرف ولما ولى المامون تقبيل السواد وجلس
يناظر العمال على ذلك فقام رجل من الدهاقين فقال يا امير المؤمنين ان الله عز وجل ولاك
علينا الامانة فلا تقبلنا فاضرب عن ذلك وقال رجل لابن عباس زوجني من فلانة وكانت
يتيمة في حجره فقال لا ارضاها لك لانها تتشرف فقال الرجل قد رضيتها فقال ابن عباس
الان لا ارضاك لها وشبه هذا الخبر من وجه ما يجري ما المدائني قال ارسل عمر بن عبد العزيز
رجلا من اهل الشام وامره ان يجمع بين اياس بن معوية المزني وبين القسم بن ربيعة الجوشني
من بني عبد الله بن غطفان فيولي القضاء انفذهما فقدم البصرة فجمع بينهما فقال اياس
ايها الرجل سل عني وعن القسم فقيهي المصر الحسن وابن سيرين فمن اشار عليك به فوله
وكان القسم يأتي الحسن وابن سيرين ولم يكن اياس يأتيهما فعلم القسم انه ان سالهما اشارا به
فقال القسم لا تسأل عني ولا عنه فو الله الذي لا اله الا هو ان اياسا افضل مني وافقه
واعلم بالقضاء فان كنت عندك ممن يصدق فانه ينبغي ان تقبل مني وان كنت كاذبا فما يحل لك
ان توليني وانا كاذب فقال اياس للشامي انك جئت برجل فاوقفته على شفير جهنم فافتدى نفسه
من النار وان تقذفه فيها بيمين حلفها كذب فيها فيستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال الشامي
اما اذ فطنت لهذا فاني اوليك فاستقضاه ولما امضى معوية بيعة يزيد جعل الناس يقرظونه
فقال يزيد لابيه ما ندري انخدع الناس ام يخدعوننا فقال معوية يا بني من خادعك لتنخدع له
فقد خدعته وسمع عبد الملك بن مروان ليلة قيصر وهو يحدو بنفسه وقد سمع صوت قصار
يقول ليتني كنت غسالا لا اعيش الا كسب يوما بيوم فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم

عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنى في الحيوة ما هم فيه وقال الواثق للجاحظ يوما يا ابا عثمان
فقال لو كان لي ان اصفني الى عبدك ما قدرت على بيعه لكثرة عيوبه فكيف اكون على ...
وقال ابن عباس رضي الله تعالى للخوارج وقد ارسله امير المؤمنين عليه السلم اليهم نشدتكم
الله ايما اعلم بالتنزيل والتاويل علي ام انتم قالوا علي فقال ابن رشدون لعل الذي حكم به
منكم بفضل علمه على ما لا تعلمون فرجع اكثرهم وقال عتبة بن ابي سفين لعبد الله بن عباس
ما منع علي بن ابي طالب ان يجعلك احد الحكمين فقال اما والله لو بعثني لاعترضت مدارج
انفاسه الطير اذا اسف ولاسبقته اذا طار ولعقدت له عقدا لا ينقض مريرها ولا يبدو طرفها
ولكنه سبق قدر ومضى اجل والاخرة خير لامير المؤمنين عليه السلم من الدنيا وقال ابو جعفر
محمد بن علي عليهما السلام لكثير امتدحت عبد الملك بن مروان فقال لم اقل له يا امام الهدى
انما قلت له يا شجاع والشجاع حية ويا اسد والاسد كلب ويا غيث والغيث موات فتبسم ابو جعفر
وقالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة ما رايت الائم من اخوانك اذا ايسرت لزموك
واذا اعسرت تركوك فقال هذا من كرمهم ياتوننا في حال القوة منا عليهم ويفارقوننا في حال
الضعف منا عنهم وقيل لابرهيم النخعي متى كنت فقال حيث احتيج الي ورءى رجل يصلي صلاة
خفيفة فقال له يا فلان ما هذه الصلاة فقال صلوة ليس فيها رياء اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال
حدثني محمد بن الحجاج الازهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال تزعم الرواة ان قتيبة بن مسلم لما فتح
سمرقند افضى الى اثاث لم ير مثله والات لم يسمع بمثلها فاراد ان يرى الناس عظيم ما فتح ويعرفهم
اقدار القوم الذين ظهر عليهم فامر بدار ففرشت وفي صحنها قدور يرتقى اليها بسلالم واذا
بالحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي قد اقبل والناس جلوس على مراتبهم والحضين
شيخ كبير فلما راه عبد الله بن مسلم اخو قتيبة قال لقتيبة ائذن لي في معاتبته قال لا ترده فانه
خبيث الجواب فابى عبد الله الا ان ياذن له وكان عبد الله يضعف وكان قد تسور حائطا الى
الى امراة قبل ذلك فاقبل على الحضين فقال امن الباب دخلت يا ابا ساسان فقال اجل اسن
عمك عن تسور الحيطان قال ارايت هذه القدور قال هي اعظم من ان لا ترى قال ما احسب بكر
بن وائل رأى مثلها قال اجل ولا عيلان ولو راها سمي شبعان ولم يسم عيلان قال اتعرف الذي يقول
عزلنا وامرنا وبكر بن وائل تجر خصاها تبتغي من تحالف قال اعرفه واعرف الذي يقول
وخيبة من يخيب على غني وباهلة بن يعصر والرباب قال افتعرف الذي يقول كان فقاح الازد حول
ابن مسمع وقد عرقت افواه بكر بن وائل قال اعرفه واعرف الذي يقول قوم قتيبة امهم وابوهم
لولا قتيبة اصبحوا في مجهل قال اما الشعر فاراك ترويه ولكن هل تقرا شيئا من القرآن قال

نعم اقرأ منه الكثير الطيب هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً فأغضبه فقال
والله لقد بلغني أن امرأة الحسين حملت إليه وهي حبلى من عمر قال فما غرك أن تنتزع من هيئته
الأولى ثم قال على رسله وما أنكر فلان ما على فراشي فقال ابن الحسين كما قال عبد الله بن مسلم
ما قيل فيه على عبد الله فقال لا يعبد الله غيرك ولقي شريك النميري رجلاً من بني تميم فقال التميمي
التميمي يعجبني من الجوارح البازي فقال له شريك وخاصة إذا صاد القطا أراد التميمي بقوله البازي
قول جرير ، أنا البازي المطل على نمير ، وأراد شريك بقوله إذا صاد القطا قول الطرماح ،
تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ، ولو سلكت طرق المكارم ضلت ، وساير شريك النميري
عمر بن هبيرة الفزاري على بغلة فجاوزت بغلته برذون عمر فقال له عمر اغضض من لجامها فقال
شريك إنها مكتوبة فقال له عمر ما أردت ذلك يا شريك ولا أنا أردته ظن أن عمر أراد بقوله اغضض
من لجامها قول جرير ، فغض الطرف إنك من نمير ، فلا كعباً بلغت ولا كلاباً ، وعنى شريك بقوله
إنها مكتوبة قول الآخر ، لا تأمنن فزارياً خلوت به ، على قلوصك واكتبها بأسيار ، وأنشد أبو تمام الطائي
أحمد بن المعتصم قصيدته السينية التي مدحه بها فلما بلغ إلى قوله في حلم أحنف في شجاعة عامر
في جود حاتم في ذكاء إياس قال له الكندي كأنك ما صنعت شيئاً قال وكيف قال لأن شعراء
دهرنا قد تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى إلى قول ابن العكوك في أبي دلف ، رجل أبر
على شجاعة عامر بأساً وغبر في محيا حاتم ، فأطرق الطائي ثم رفع رأسه وأنشد ، لا تنكروا
ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس ، فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة
والنبراس ، وقال ابن هبيرة لأبي الأسد وكان مولى لبني أمية لما ظهرت المسودة لا يحضرن لك
منهم عبداً صالحاً حين ملكت فلما علت كلمتهم وفتشت عنهم قال أبو الأسد ليت الله ينقض لحظهم
مولى صالحاً أحذره وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمي إن خصالك كاملة سوى حقد
فيك فقال الآخر إنه يحفظ الخير والشر وقد نظر ابن الرومي إلى هذا المعنى في قوله ، وما الحقد إلا توأم
الشكر في الفتى ، وبعض السجايا ينتسبن إلى بعض ، فحيث ترى حقداً على ذي إساءة ، فثم ترى شكراً
على حسن القرض ، إذا الأرض أدت ريع ما أنت زارع ، من البذر فيها فهي ناهيك من أرض ،
وقال الحجاج للخطيط الخارجي ما تقول في عبد الملك بن مروان قال ما أقول في رجل أنت خطيئة من
خطاياه قال فهل هممت بي قط قال نعم ولكن حال بيننا وبينك بعد وقال عطية لعبد الله بن عبد الرحمن
والله لئن قتلتني فيك وإن خليت عني لأطلبنك ولئن عذبتني لأصبرن لك فأمر بقتله أما البين فهي
الأرض الواسعة قال ابن مقبل ، بسرو حمير أبوال البغال به ، أنى تسديت وهناً ذلك البينا ، وقيل
لأبي العتاهية ما قال عتب ما للخيال خبريني ومالي خرجت من العروض فقال أنا أكبر من العروض

عبد

عبد الملك بن مروان للهيثم بن الأسود ما مالك قال قوام من العيش وغنى عن الناس فقيل له لم لا تخبره
فقال إن كان كثيراً حسدني وإن كان قليلاً ازدراني واغتاب الأعمش رجلاً من أصحابه فطلع الرجل فقطع
نعيبه ذلك فقال له رجل من أصحابه قل له ما قلته حتى لا تكون له نميمة فقال قل له أنت تحكي
نميمة قال لعمرو بن العاص هل غششتني منذ نصحتني قال لا قال بلى يوم أشرت علي بمبارزة علي بن
أبي طالب أنت تعلم من هو قال عمرو دعاك رجل عظيم الخطر إلى المبارزة فكنت من مبارزته على إحدى
الحسنيين إما أن تقتله فقد قتلت قاتل الأقران وازددت شرفاً إلى شرفك وخلوت بملكك
وإما أن يقتلك فتعجل مرافقة الشهداء والصديقين والصالحين فقال معاوية هذه أشد علي من الأولى
فقال عمرو وأنت من جهادك في شك فتتبرم منه الساعة قال دعني منك الآن وقيل للأحنف وقد
رأى مسيلمة الكذاب كيف هو قال ما هو بنبي صادق ولا بمتنبئ حاذق وقد دعي للبراز قال
زياد لأبي الأسود الدؤلي لولا أنك قد كبرت لاستعنا بك في بعض الأمور فقال إن كنت تريدني
للصراع فليس عندي وإن كنت تريد عقلي ورأيي فهما أقوى ما كانا وكان أبو الأسود حاضر الجواب
جيد الكلام مليح النادرة وروي عن الشعبي أنه قال قاتل الله أبا الأسود ما كان أعفه وأطرفه
لحضوره أنه دخل على معاوية في النخيلة فقال له معاوية أكنت ذكرت للحكومة قال نعم قال فما كنت صانعاً
قال كنت أجمع ألفاً من المهاجرين وأبنائهم وألفاً من الأنصار وأبنائهم ثم أقول يا معشر من حضر
أرجل من المهاجرين أحق أم رجل من الطلقاء فلعنه معاوية وقال الحمد لله الذي كفاناك وقد
روي أن أبا الأسود طلب أن يكون في الحكومة وقال لأمير المؤمنين عليه السلام ثقف الحكمين يا
أمير المؤمنين لا ترض بأبي موسى فإني قد عجمت الرجل وبلوته وحلبت أشطره فوجدته قريب القعر
مع أنه يمان وما أدري ما يبلغ نصحه فابعثني فإنه لا يحل عقدة إلا عقدت له أشد منها فإنهم
قد رموك بحجر الأرض فإن قيل إنه لا صحبة لي فاجعلني ثاني اثنين فليس صاحبهم ممن تقرب كان في
الخلاف عليهم كالنجم فأبى علي عليه السلام عليه روى محمد بن يزيد النحوي أن أبا الأسود كان نازلاً في بني
قشير وكانوا يخالفونه في المذهب لأن أبا الأسود كان شيعياً فكانوا يرمونه بالليل فإذا أصبح شكا
ذلك فشكا مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما أخطأني
وقال لهم يا بني قشير ما في العرب أحد أحب إلي طول بقاء منكم قالوا ولم ذلك قال لأنكم إذا ركبتم
أمراً علمت أنه غي فاجتنبته وإذا اجتنبتم أمراً علمت أنه رشد فاتبعته فنازعوه الكلام فأنشأ يقول
يقول الأرذلون بنو قشير ، طوال الدهر لا تنسى علياً ، أحب محمداً حباً شديداً ، وعباساً وحمزة والوصيا
أحبهم لحب الله حتى ، أجيء إذا بعثت على هويا ، فإن يك حبهم رشداً أصبه ، ولست بمخطئ إن كان
غيا ، فقالوا شككت يا أبا الأسود فقال ألم تسمعوا قول الله تعالى يقول وإنا أو إياكم لعلى هدى

فقال له الأعمش بل قل

او في ضلال مبين افترون الله تعالى شك لما قولهم هويا فاما الغر هذيل يقولون ذلك في كل
مقصور مثل الهوى والعصى والقفا والفتى قال ابو ذويب سبقوا هوي واعنقوا لهواهم
فتخرموا ولكل جنب مصرع وروي ان ابا الاسود دخل على معوية فقال له اصبحت جميلا يا ابا
الاسود فلو علقت تميمة تدفع عنك العين فقال افنى الشباب الذي فارقت بهجته كر الجديدين
من آت ومنطلق لم يتركا لي في طول اختلافهما شيئا اخاف عليه لذعة الحدق وروي انه
دخل يوما السوق يشتري ثوبا فقال له رجل هلم الي ابا الاسود في هذا الثوب فقال ان لم تقاربني فيه اعد
ثم قال له بكم هو قال قد اعطيت به كذا وكذا قال فما يمنعك منه فانك وروي انه كان ماشيا في
طريق فقال له راكب اطرق الطريق فقال له عن الطريق تقال لي ومرض ابو الاسود الدؤلي فقيل
له هذا امر الله فقال فذاك اشد له وقيل ان امرأة ابي الاسود خاصمته الى زياد في ولدها فقالت
ايها الامير ان هذا يريد ان يغلبني على ولدي وقد كان بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري له
فناء فقال ابو الاسود اتهبينا تريدين ان تغلبيني على ابني فوالله لقد حملته قبل ان تحمليه
ووضعته شهوة ووضعته كرها فقال له زياد انها امراة عاقلة يا ابا الاسود فادفع ابنها اليها فاحرى
ان تحسن ادبه وقال رجل لابي الاسود انت والله ظرف كله ظرف لفظ وظرف علم ووعاء حلم غير انك
بخيل قال فما خير ظرف لا يمسك ما فيه وسلم عليه اعرابي يوما فقال ابو الاسود كلمة مقولة قال الاعرابي
اتاذن لي في النزول قال وراءك اوسع عليك قال فهل عندك شيء قال نعم قال اطعمني قال عيالي احق به
قال فما رايت الام منك قال نسيت نفسك قال وسال رجل شيئا فمنعه فقال له اصبحت حاتما
قال بلى والله قد اصبحت حاتمكم من حيث لا تدري اليس حاتم الذي يقول اماوي اما مانع فبين
واما عطاء لا ينهنهه الزجر

مجلس آخر

اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابو عبد الله
ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوي قال لما ولي سليمان ابن عبد الملك اتي بيزيد بن ابي مسلم مولى الحجاج
في جامعة وكان رجلا دميما تقتحمه العين فلما راه سليمان قال لعن الله من اجرك رسنك وحكمك في
مثلك فقال يا امير المؤمنين رايتني والامر عني مدبر ولو رايتني والامر علي مقبل لاستعظمت
ما استصغرت ولاستجللت ما استحقرت فقال سليمان اين ترى الحجاج ايهوي في النار ام قد استقر
فقال يا امير المؤمنين لا تقل كذا فان الحجاج قمع لكم الاعداء ووطأ لكم المنابر وزرع لكم الهيبة
في قلوب الناس وبعد فانه ياتي يوم القيامة عن يمين ابيك عبد الملك وشمال اخيك الوليد فضعه
حيث شئت وروي ان خالد بن صفوان فاخر رجلا من بني عبد الدار من اهل اليمامة فقال له
العبدري من انت فقال انا خالد بن صفوان بن الاهتم فقال له العبدري انت خالد ولكن
هو في النار وانت ابن صفوان وقال الله عز وجل كمثل صفوان عليه تراب وانت ابن الاهتم و

الصبح

والصبح خير من الاهتم فقال له خالد يا اخا بني عبد الدار اتتكلم وقد هشمتك هاشم وامتك بنو امية
وخزمتك بنو مخزوم وجمحتك بنو جمح فانت عبيد دارهم تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا فقام
العبدري محموما وتقدم الاشعث بن قيس الى شريح فقال له الاشعث تجلس لي يا ابن ام شريح
لقد عهدتك وان شانك لشوين فقال له شريح انك امرؤ تعرف النعمة في غيرك وتنساها في نفسك وروى
ابو العيناء عن العتبي قال دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وعنده الحطيئة فانشد بين يديه قال
اليك فررت منك ومن زياد ولم احسب دمي لكما حلالا فان يكن الهجاء احل قتلي فقد قلنا
لشاعركم وقالا ترى الغر الجحاجح من قريش اذا ما الامر في الحدثان عالا قياما ينظرون الى سعيد
كانهم يرون به الهلالا فقال له الحطيئة هذا والله الشعر لا ما كنا نعلل به منذ اليوم
يا غلام اتهمت امك من الحجاز قال لا ولكن قد قدم ابي اراد الحطيئة بقوله ان كانت امك قد حجت
فقد وقعت عليها فكنت مني واراد الفرزدق بقوله لكن قدم ابي وقع بامك فكنت انت اخي
ويشبه ذلك ما روي ان الفرزدق كان ينشد شعره يوما والناس حوله اذ مر به الكميت بن زيد فقال
له الفرزدق كيف ترى شعري فقال له الكميت حسن قبيح فقال له الفرزدق ايسرك اني ابوك قال
اما ابي فلا ابغي به بدلا ولكن يسرني لو كنت امي فقال له الفرزدق لكدت تذكرها علي يا ابن اخي
فما مر بي مثلها وقيل ان عبد الملك ظفر برجل من بني مخزوم زبيري الراي فقال له لما احضر
مجلسه اليس قد ردك الله على عقبيك فقال له الرجل او من رد عليك يا امير المؤمنين فقد رد على
عقبيه فوجم عبد الملك وقال موسى بن عيسى لشريك يا ابا عبد الله عزلوك عن القضاء وما
راينا قاضيا عزل فقال شريك هم الملوك يعزلون ويخلعون يعرض بان اباه خلع من ولاية العهد
وذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى ان المفضل الضبي الراوية وهب لبعض جيرانه ايام الاضحى اضحية
فلما لقيه قال كيف وجدت اضحيتك قال ما وجدت لها دما يعرض بقول الشاعر ولو ذبح الضبي
بالسيف لم يجد من اللؤم للضبي لحما ولا دما وروي عن المامون انه قال ما اعياني جواب
احد قط مثل جواب ثلاثة احدهم ام الفضل بن سهل فاني عزيتها عن ابنها وقلت لا تجزعي على
الفضل لانه قد ذلك فيها انا ذا ابنك مكانه فقالت وكيف لا اجزع على من جعل لي مثلك ابنا
والثاني رجل حضرني يزعم انه نبي الله موسى عليه السلام فقلت له ان الله تعالى اخبرنا عن موسى انه
يدخل يده في جيبه فيخرجها بيضاء من غير سوء فقال لي متى فعل ذلك موسى اليس بعدما قال له
فرعون فاعمل كما عمل فرعون حتى اعمل كما عمل موسى والثالث ان جماعة من اهل الكوفة اجتمعوا
الي يشكون من عاملها فقلت نصبوا بواحد اسمع منه فرضوا برجل منهم فقال في العامل واكثر
فقلت له كذبت بل هو العفيف الورع العدل فذهب اصحابه يتكلمون فسكتهم ثم قال صدقت

يا امير المؤمنين هو كما ذكرت فوالله ما سحبك في العدل قصر فيه غيرهم ودخل عدى بن حاتم بن عبد الله الطائي على معوية فقال له ما فعل الطرفات يعني طريفا وطرافا وطرفة قال قتلوا مع علي بن ابي طالب عليه السلام فقال له ما انصفك ابن ابي طالب قدم بنيك واخر بنيه فقال عدى بل ما انصفته انا اذ قتل وبقيت وكتب رجل الى صديق له يعرض شيئا منه فالحاه فشكو صديق حاله فكتب اليه ان كنت كاذبا جعلك الله صادقا وان كنت صادقا جعلك الله كاذبا وان كنت معذورا جعلك الله ملوما وان كنت ملوما جعلك الله معذورا وسمع الاحنف رجلا يقول ما اعلم معوية فقال لو كان حليما ما سفه الحق ومدح رجل عند الشعبي بالحلم فقال الشعبي ويلك وهل اغمد سيفه وفي قلبه على احد شيء وقال رجل لرجل حضر ابن منزلك فقال وسط البصرة قال الله من التوليد فال عجبا فقيل له ان داره اقصى البصرة عند المقابر وله ابن واحد فقال الرجل ادري بين الدنيا والاخرة فهي وسط البصرة وكان لي عشرة بنين فقد مات تسعة منهم وبقي واحد لا ادري هو لي ام انا له وقال رجل لابن سيرين اني وقعت فيك فاجعلني في حل فقال ما احب ان احلك مما حرم الله عليك وخطب الحجاج يوم الجمعة فاطال فقال له رجل ان الصلاة لا تنتظرك وان الله لا يعذرك فامر به فحبس فجاءه اهله فشهدوا انه مجنون فقال ان اقر عندي بالجنون اطلقته فقيل له اعترف بذلك وتخلص فقال والله لا اقول انه ابتلاني وقد عافاني وحدث الحسن البصري بحديث فقال له رجل يا ابا سعيد عمن قال وما تصنع بعمن اما انت فقد نالتك عظته وقامت عليك حجته وقيل لعبد الله بن جعفر ونظر اليه يوما كم تجود بدرهم وانت تجود بما تجود به فقال اني ما في حديث هذا عقلي بخلته وروى ان ابا العيناء محمد بن القسم اليمامي حدث بعض الزبيرية في فضايل اهله فقال له الزبيري اتجلب التمر الى هجر فقال ابو العيناء نعم اذا اجدبت ارضها وفاوم نخلها وكان ابو العيناء احسن الناس جوابا واجودهم بديهة واملحهم نادرة وروى العقيلي عن ابي العيناء قال لما دخلت على المتوكل دعوت له وكلمته فاستحسن خطابي فقال لي يا محمد ان فيك شرا فقلت يا امير المؤمنين ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسيء باساءته فقد زكى الله تعالى وذم فقال في التزكية نعم العبد انه اواب وقال في الذم هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم فذمه الله تعالى حتى قذفه وقال الشاعر

اذا انا بالمعروف لم اثن دائما ولم اذمم الجبس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما

وان كان الشر كفعل العقرب تلسع النبي والذمي بطبع لا بتمييز فقد صان الله عبدك من ذلك وروى انه قال له يوما الى كم تمدح الناس وتذمهم فقال ما احسنوا واساؤا وروى انه قال له المتوكل يوما اني لافرق من لسانك فقال له ان الشريف فروق ذو احجام وان اللئيم ذو وقاحة واقدام وقال له يوما وقد دخل عليه اشتقتك والله يا ابا العيناء فقال له يا سيدي انما يشتد الشوق على العبد لانه لا يصل الى مولاه فاما السيد فمتى اراد عبده دعاه وروى انه قال له يوما ما بقي احد في مجلسي الا وقد اغتابك وذمك عندي ما جرى من ذكر لعيري فقال ابو العيناء اذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضبانا علي لئامها وذكر ابو العيناء قال قال لي المتوكل كيف ترى داري هذه فقلت رايت الناس بنوا دورهم في الدنيا وامير المؤمنين جعل الدنيا في داره وقال ابو العيناء قال لي المتوكل من اسخى من رايت ومن ابخل من رايت فقلت يا امير المؤمنين ما رايت اسخى من احمد بن ابي دؤاد ولا ابخل من موسى بن عبد الملك قال وكيف وقفت على بخله فقلت رايته يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة فقال الجيب الى من طرحته فنحيته والى من استكتبته فجالسته فقلت يا امير المؤمنين ان الصدق ما هو في موضع من المواضع انفق منه بحضرتك والناس يغلطون فيمن ينسبونه الى السخاء فاذا نسب الناس الى البرامكة فانما ذاك سخاء امير المؤمنين الرشيد واذا نسب الناس الحسن بن سهل والفضل بن سهل الى السخاء فانما ذاك سخاء المأمون واذا نسبوا احمد بن ابي دؤاد الى السخاء فذاك سخاء امير المؤمنين المعتصم واذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى الى السخاء فانما هو سخاؤك والا فما بال هؤلاء القوم لا ينسبوا الى السخاء قبل صحبتهم للخلفاء فقال لي صدقت وسري عنه وقال له المتوكل يوما ما اشد عليك في ذهاب البصر فقال فقد رؤيتك مع اجماع الناس على جمالك وقال له اريد ان تجالسني فقال لا اطيق ذاك وما اقول هذا على جهل بما لي في هذا المجلس من الشرف ولكن انا رجل محجوب والمحجوب تختلف اشاراته ويخفى عليه ايماؤه ويجوز علي ان اتكلم بكلام غضبان ووجهك راض وبكلام راض ووجهك غضبان ومتى لم اميز بين هذين هلكت قال صدقت وروى انه قال له يوما لولا انك ضرير لنادمتك فقال له ان اعفيتني عن رؤية الهلال ونقش الخواتيم فاني اصلح وقال له المتوكل ما تقول في ابن مكرم والعباس بن رستم فقال هما الخمر والميسر فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما فقال المعتز انك تؤذيهما فقال لقد ابتعت الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال له يوما بلغني ان سعيد بن عبد الملك يضحك منك فقال ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون فقال ابو العيناء قال لي المنتصر ما احسن الجواب قلت ما اسكت المبطل وحير المحق وقيل لابي العيناء ابرهيم بن نوح النصراني عليك غاضب فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وداه نزقان وهو يصلي خلف نصرانيا فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فقال ابو العيناء لا ينهكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين واخبرنا ابو الحسن

ان احللْ

او غادم

جعلته كاتبا

الخلفاء

فيهما اثم كبير ومنافع للناس

ابو العيناء

علي بن محمد الكاتب قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال اخبرنا ابو العيناء قال كان سبب اتصالي باحمد بن ابي دواد ان قوما من اهل البصرة عادوني وادعوا علي دعاوي كثيرة منها ان ذا قضي فاحتجت الى ان اخرجت من البصرة الى سر من راى فالقيت نفسي على ابن ابي دواد وكنت الازمه فاده اجالسه في كل يوم وبلغ القوم خبري فخصوا الخروج الى سر من راى فقلت له ان القوم قد قدموا من البصرة يدا علي فقال يد الله فوق ايديهم فقلت ان لهم مكرا فقال ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فقلت انهم كثير فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقلت لله در القاضي فهو والله كما قال الصموت الكلابي لله درك اي جنة خائف ومتاع دنيا انت للحدثان مخبط يطالب الرجال غلبة وطاء الفنيق وادج الغرثان ويكبهم حتى كان رؤوسهم ماموم تخبط للغربان ويفرج الباب الشديد رتاجه حتى يصير كانه بابان فقال لابنه ابي الوليد اكتب هذه الابيات فكتبها بين يديه قال الصولي حفظي عن ابي العيناء الصموت الكلابي على انه رجل وقال لي وكيع حفظي انها الصموت الكلابية على انها امراة ودخل ابو العيناء على الحسن بن سهل فاثنى عليه فامر له بعشرة الاف درهم فقال والله ما استكثر كثيرا نالنيه الامير ولا استقل قليلا قال وكيف ذاك قال لا استكثر كثيرا لانك اكثر منه ولا استقل قليلا لانه اكثر من كثير غيرك وقال عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوما اعذرني فاني مشغول فقال لو افرغتنا اليك لما احتجنا اليك وقال له يوما قد تجنبت فيك الغضب يا ابا عبد الله فقال له قد اجل الله قدرك عن غضبي انما يغضب الرجل على من هو دونه فاما على من هو فوقه فلا ولكن اجرتني بتقصيرك فتمت حرتي غضبا وقال ان صاعد بن مخلد كان من احسن من اسلم دينا واكثرهم صلاة وصدقة فصار الى بابه ابو العيناء مرات كثيرة فيقال له هو يصلي فقيل له ان مشغول بالصلاة فقال ابو العيناء لكل جديد لذة ودخل يوما على ابي الصقر اسماعيل بن بلبل في وزارته فقال له يا ابا عبد الله ما اخرك عنا فقال سرق حماري قال وكيف سرق قال لم اكن مع الذي سرقه فاخبرك كيف كان قال له هلا اكتريت واستعرت او اشتريت قال قعدني عن الشراء عدمي وكرهت منة العواري وذل المكاري فوهب له حمارا او وصله وادناه ابو الصقر يوما فرفعه فقال له يدنيني حتى كان ابعدني حتى كاني عندك وقال لعبيد الله بن سليمان ايضا وقد رفعه الى كم ترفعني ولا ترفع بي راسا وقال له يوما وقد اتاه مضبوط الظاهر مرحوم الباطن فقال ان ابا علي البصير قال لابي العيناء وكانت بينهما ملاحاة معرفة في اي وقت ولدت قال قبل طلوع الشمس فقال ابو علي لذلك خرجت شحاذا سايلا لان الوقت الذي يخشر فيه السوال واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني ابو العيناء قال غاولني قطا اخبرنا هذا عند طلحة من ابن خاقان فلما لي كان ابو عمرو الجحدري قعد

كيزا ثم حجا انشدنا قال فان تنا عنا لاتقصرنا وان نغد نحتبينا على العهد الذي كنت تعلم ثم قال ولا ادري لمن هذا البيت فقلت له ان ابن سلام روى عن يونس ان الفرزدق لما قال لنصر من قد يكون فاعل وما خلت مري في ذهر تنصرم فوارس تابحي وتحفر فهالا وقد باد القطر الاناث فيقعم وقد كان نزل عليهم حين هرب من زياد فقال جرير بن خرقاء العجلي يجيبه لقد نوا الدار بكر بن وايل وضمت لك الاحشاء اذ انت مجرم ليالي غني ان تكون حمامة بمكة يغشاها الستار المحرم فان تنا عنا الاتصر لان تغد تجدنا على العهد الذي كنت تعلم فقال ابن عائشة انت والله يا بني ممن سيقصد في العلم مخايله وقال ابو العيناء لابي الصقر بن بلبل وهو وزير انت والله تقرب منا اذا احتجنا اليك وتبعد منا اذا احتجت الينا قال السيد قدس الله روحه وهذا يشبه قول ابرهيم بن عباس الصولي ولكن الجواد ابا هشام وفي العهد مامون المغيب بطي عنك ما استغنيت عنه وطلاع عليك مع الخطوب ولعله ماخوذ منه فليس يكون ذلك لانهما وان اجتمعا في زمان واحد في بعض الاوقات فان ابا العيناء بقي بعد ابرهيم زمانا طويلا لان ابرهيم توفي في سنة ثلاث واربعين ومائتين وابو العيناء توفي في سنة اثنتين او ثلاث وثمانين ومائتين وما حكيناه عنه من الكلام قاله لابي الصقر في وزارته وكانت بعد وفاة ابرهيم بن العباس بزمان طويل ويشبه بحق ابرهيم ان يكون ماخوذا من قول اوس بن حجر وليس اخوك الدائم العهد بالذي يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا ولكنه النائي اذا كنت امنا وصاحبك الادنى اذا كنت لعضلا ولابرهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى ايضا وهو قوله اسدا ضاريا اذا هيجته واب برا اذا ما قدرا يعلم الابعد ان اثري ولا يعلم الادنى اذا ما افتقرا ويشبه هذا ان يكون ماخوذا من قول المرار الفقعسي اذا افتقر المرار لم ير فقره وان ايسر المرار ايسر صاحبه ومما اشبه قول المرار بعينه قول ابرهيم بن العباس ايضا فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت راى خلة من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت ومن قول المتنخل الهذلي ابو مالك قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه وهذا الذي رويناه للهذلي من جملة ابيات يرثي بها المتنخل اباه وقيل يرثي اخاه اولها لعمرك ما ان ابو مالك بواه ولا بضعيف قواه ولا بالد له نازع يغاري اخاه اذا ما نهاه معنى له نازع اي خلق سوء ينزعه ويغاري اي يلاحي ويشار ولكنه هين لين كعالية الرمح عرد نساه القرد الشديد يقال وتر عرد وعرند بالنون شديد والنساء عرق معروف فاذا سدته سدت مطواعة ومهما وكلت اليه كفاه معنى سدته من المساودة التي هي المسارة والسواد هو السرار كانه قال اذا ساودته طاوعك مساعدا وقال قوم انه من السيادة وكانه اراد اذا كنت فوقه

وصله

نصلك

قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض الآية

وسيد له الطاعة ولم يجد له وان وكانت ليس شيئا كفاك وقوم يشدونه اذا استهم مست
مطواعة ولم اجد ذلك في رواية الا من ينادي بما مالك ما اقامر فاهوام في سواه ابو مالك
فاصر فقره **مجلس آخر** تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون
في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا
سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآيات الله وكانوا عنها غافلين فقال ما تأويل هذه
الآية على ما يطابق العدل فان ظاهرها كأنه مخالفه **الجواب** قيل له ان في هذه الآية وجوها منها
ما ابتدأناه ومنها ما سبقنا اليه فحررناه واخترنا فيه من الطاعن واجبنا عما لعله يعترض فيه يعرض
من الشبه اولها ان يكون تعالى عنى بذلك صرفهم عن ثواب النظر في الآيات وعن العز والكرامة
اللذين يستحقهما من ادى الواجب عليه في آيات الله وادلته وتمسك بها والآيات على هذا التأويل
يحتمل ان تكون سائر الادلة وتحتمل ان تكون معجزات الانبياء عليهم السلم خاصة وهذا التأويل
يطابقه الظاهر لانه تعالى قال في ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فبين ان صرفهم عن
الآيات يستحق بتكذيبهم ولا يليق ذلك الا بما ذكرناه وثانيها ان يصرفهم تعالى عن زيادة المعجزات مستحق
التي يظهرها على الانبياء عليهم السلم بعد قيام الحجة بما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم لانه تعالى انما
يظهر هذا الضرب من المعجزات اذا علم انه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدم من الآيات فاذا علم خلاف
ذلك لم يظهرها وصرف الذين علم من حالهم انهم لا يؤمنون بها عنها ويكون الصرف على احد وجهين
اما بأن لا يظهرها جملة او بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم فاذا قيل
وما الفرق فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات وبين زيادتها قلنا الفرق بينهما ان المعجز الاول
يجب اظهاره لازاحة العلة في التكليف ولانا به نعلم صدق الرسول المؤدي الينا ما فيه لطفنا
ومصلحتنا فاذا كان التكليف يوجب تعريف المصالح والالطاف لانزاح العلة وكان لا سبيل الى
معرفتها على الوجه الذي تكون عليه لطفا الا من قبل الرسول وكان لا سبيل الى العلم بكونه
رسولا الا من جهة المعجز وجبت بعثة الرسول وتحميله ما فيه مصلحتنا من الشرائع واظهار
المعجز على يده لتعلق هذه الامور بعضها ببعض ولا فرق في هذا الموضع بين ان يعلم ان المبعوث
اليهم الرسول او بعضهم يطيعون ويؤمنون وبين ان لا يعلم ذلك في وجوب البعثة وما يجب
بوجوبها لان تعريف المصالح مما يقتضيه التكليف العقلي الذي لا فرق في حسنه بين ان يقع
عنده الايمان ولا يقع وليس هذه سبيل ما يظهر من المعجزات بعد قيام الحجة بما تقدم منها
لانه متى لم ينتفع بها منتفع ويؤمن عندها من لم يؤمن لم يكن في اظهارها فائدة وكانت عبثا
فافترق الامران فان قيل كيف يطابق هذا التأويل قوله ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها

غافلين

غافلين ومن المعلوم ان صرفهم عن الآيات لا يكون مستحقا بذلك قلنا يمكن ان يكون قوله تعالى
ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا لم يرد به تعليل قوله تعالى سأصرف عن آياتي بل يكون كالتعليل لما
هو اقرب اليه من ترتيب الكلام وهو قوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا
سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا لان من كذب
بآيات الله وتغفل عن تأملها والاستدلال بها يبعد رشاده وركب الغي واتخذه سبيلا وحاد عن الرشد
وضل ضلالا بعيدا ورجوع لفظة ذلك الى ما ذكرناه اشبه بالظاهر من رجوعها الى قوله سأصرف
لان رجوع اللفظ الى اقرب المذكورين اليه اولى ويمكن ايضا ان يكون قوله تعالى كذبوا بآياتنا في العربية
وان كان بلفظ الماضي المراد به الاستقبال ويكون وجه جعله التكذيب لما كان معلوما منهم لو ظهرت
لهم الآيات جعل كأنه واقع وبني الخطاب عليه ولهذا نظائر في اللغة كثيرة ويكون جوابا لمحذوف وكأنه
قال ذلك بأنه متى اظهرنا لهم آياتنا كذبوا بها ويجري ما ذكرناه اولا مجرى قوله ونادى اصحاب
النار اصحاب الجنة في انه بلفظ الماضي والمعنى للاستقبال وثالثها ان يكون معنى سأصرف عن
آياتي اي لا اؤتيها من هذه صفته واذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظين يفيد معنى اي لا اؤتيها
واحدا وليس لاحد ان يقول هلا قال سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون والآيات ههنا هي المعجزات
التي يختص بها الانبياء عليهم السلم فان قيل فأي فائدة في قوله على سبيل التعليل ذلك بأنهم
كذبوا بآياتنا واي معنى لتخصيصه الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وهو لا يؤتي الآيات والمعجزات لتخصيص
الا الانبياء دون غيرهم وان كان ممن لا يتكبر قلنا لخروج الكلام مخرج التعليل على هذا التأويل
وجه صحيح لان من كذب بآيات الله لا يؤتى معجزا اذ التكذيب به كفر وان كان قد يكون غير مكذب
ويمنع من ايتائه الآيات علة اخرى والتكبر والبغي بغير الحق مانع من ايتائه الآيات وان منع غيره
ويجري هذا مجرى قول القائل انا لا اودع فلانا لغدره ولا يلزم اذا لم يكن غادرا ان اودعه لانه
ربما خلا من الغدر وحصل على صفة اخرى تمنع من مودعته ويجوز ان تكون الآية خرجت على ما يجري
مجرى السبب بأن يكون بعض الجهال في ذلك يعتقد جواز ظهور المعجزات على ايدي الكفار المتكبرين العصر
فأكذبهم الله تعالى بذلك ورابعها ان يكون المراد بالآيات العلامات التي يجعلها الله تعالى في قلوب ١
المؤمنين ليدل بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر فيفعلوا بكل واحد منهما ما يستحقه
من التعظيم والاستخفاف كما تأول اهل الحق الطبع والختم اللذين ذكرهما القرآن على ان المراد بهما
العلامة المميزة بين الكافر والمؤمن ويكون معنى سأصرفهم عنها اي اعدل بهم عنها واخص بها المؤمنين
المصدقين بآياتي وانبيائي وهذا التأويل يشهد ايضا قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا
عنها غافلين لان صرفهم عن هذه الآيات كالمستحق بتكذيبهم واعراضهم عن آيات الله تعالى وحاصلها

ان يريد

ان يريد تعالى انى اصرف من رام المنع من اداء اياتى وتبليغها لان الواجب على الله تعالى ان يحول
بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن منه لانه ينقض الغرض فى البعثة ويجرى ذلك مجرى قوله
تعالى والله يعصمك من الناس فتكون الايات ههنا القران وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التى
تحملها الرسل والصرف وان كان متعلقا فى الاية بنفس الايات فقد يجوز ان يكون فى المعنى متعلقا
بغيرها مما هو متعلق بها واذا ساغ ان يعلقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالايات ساغ
ان يعلقه بما يمنع من تبليغها واداتها واقامة الحجة بها وعلى هذا التاويل لا يجعل قوله تعالى ذلك
بانهم كذبوا باياتنا راجعا الى ما تقدم بل يرده الى ما هو قبله بلا فصل من قوله تعالى وان يروا
سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا على ما بيناه فى الوجه الثانى من تاويل هذه الاية وسادسها
ان يكون الصرف ههنا الحكم والتسمية والشهادة ومعلوم ان من شهد على غيره بالانصراف عن
شىء جاز ان يقال صرفه عنه كما يقال اكفره وكذبه وفسقه وكما قال تعالى ثم انصرفوا صرف الله
قلوبهم اى شهد عليها بالانصراف عن الحق والهدى وكقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم
وهذا التاويل يطابقه قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين لان الحكم عليهم
بما ذكرناه والتسمية به من موجب تكذيبهم وغفلتهم عن ايات الله واعراضهم عنها وسابعها
انه تعالى لما اعلم ان الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق سيصرفون عن النظر فى اياته والايمان
بها اذا اظهرها على ايدى رسله جاز ان يقول ساصرف عن اياتى يعنى بذلك سا ظهرها فينصرفون
اختيارهم عنه ويجرى ذلك مجرى قولهم ساتخل فلانا وساخطئه اى اساله ما يبخل بيذله واستحنه
بما يخطئ فيه ولا يكون المعنى سافعل فيه البخل والخطاء والايات على هذا الوجه يجوز ان تكون
المعجزات دون سائر الادلة الدالة على الله تعالى وجايز ان تكون جميع الادلة ويجب على هذا الوجه
ان يكون قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا غير راجع الى الصرف بل الى ما قدمنا ذكره لتصح
الفائدة وثامنها ان يكون الصرف ههنا معناه المنع من ابطال الايات والحجج والقدح فيها بما يخرجها
عن ان تكون ادلة وحججا فيكون تقدير الكلام انى بما اوتيه من حججى واحكمه من اياتى وبيناتى
صارف للمبطلين والمكذبين عن القدح فى الدلالة والايات ومانع لهم عما كانوا لولا هذا الاحكام
والتاييد يعترضونه ويعتمدونه من تمويه الحجج وتلبيس الباطل ويجرى هذا مجرى قول احدنا قد منع
فلان اعداءه بافعاله الكريمة وطرائقه المهذبة وصرفهم عن ذمه واخرس السنتهم عن الطعن عليه
انما يريد المعنى الذى ذكرناه فان قيل الذين فى المبطلين من طعن على ايات الله تعالى واورد الشبه
فيها مع ذلك قلنا لم يرد الله تعالى الصرف عن الطعن الذى لا يؤثر ولا يشتبه على من احسن النظر
وانما اراد ما قدمناه وقد يكون الشىء فى نفسه مطعونا عليه وان لم يطعن عليه طاعن كما قد يكون

أيضا التأويل

بريئا من الطعن وان طعن فيه بما لا يؤثر الا ترى انهم يقولون فلان قد اخرس اعداءه عن ذمه وان لم يرد انه
منعهم عن التلفظ بالذم وانما المعنى انه لم يجعل للذم عليه طريقا فيجب على هذا الوجه ان يكون قوله
تعالى ذلك بانهم كذبوا يرجع الى ما قبله بلا فصل ولا يرجع الى قوله ساصرف وتاسعها ان الله عز
وجل لما وعد موسى عليه السلام وامته باهلاك عدوهم قال ساصرف عن اياتى الذين يتكبرون
فى الارض بغير الحق واراد جل وعز انه يهلكهم ويصطلمهم ويحتاجهم على طريق العقوبة لهم بما كان
منهم من التكذيب بايات الله تعالى والرد لحججه والمروق عن طاعته ويبشر من وعده بهذه الحال
من المؤمنين بالوفاء بعدنا وهو تعالى اذا اهلك هؤلاء الجبابرة المتكبرين واصطلمهم فقد صرفهم
عن اياته من حيث قطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم وخروجهم عن صفات
اهله وعلى هذا الوجه يمكن ان يقال فيه ان العقوبة لا تكون الا مضامة للاستخفاف والاهانة
كما ان الثواب لا بد ان يكون مقترنا بالتعظيم والتبجيل واماتة الله تعالى الامم وما يفعله بهم
من بوائق واهلاك لا يقترن اليه ما لا بد ان يكون مقترنا الى العقاب من الاستخفاف ولا يخالف ما
يفعله تعالى باوليائه على سبيل الامتحان والاختبار فكيف يصح ما ذكرتموه ويمكن ان يجاب عن
ذلك بان يقال لا يمتنع ان يقترن الله تعالى الى ما يفعله بهؤلاء الكفار المتكبرين من الاهلاك والعذاب
اللعن والذم والاستخفاف والاهانة ويامرنا بان نفعل ذلك بهم فيكون ما يقع بهم من الايلام
على وجه العقوبة بشرطها ولا يمتنع ايضا ان يكون الله يتعبد ويامر باهلاكهم وقتلهم على وجه
الاستخفاف والنكال فيضيفه تعالى ذلك اليه من حيث وقع بامره عن امره فان قيل فما معنى قوله
تعالى يتكبرون فى الارض بغير الحق وكان فى التكبر ما يكون بالحق قلنا فى هذا وجهان احدهما ان يكون
ذلك على سبيل التاكيد والتغليظ والبيان عن ان التكبر لا يكون الا بغير الحق وان هذه صفة
لا تقع منهم الا مع هذه الحال ويجرى ذلك مجرى قوله ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به وقوله تعالى
فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء بغير حق ولم يرد تعالى الا المعنى الذى ذكرناه
ومثله قوله تعالى ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا لم يرد النهى عن الثمن القليل دون الكثير بل اراد به
تاكيد القول بان كل ثمن يؤخذ عليها يكون قليلا بالاضافة اليها ويكون المعوض به عنها مغبونا
مبخوسا خاسر الصفقة والوجه الاخر ان فى التكبر ما يكون ممدوحا لان من تكبر وتنزه عن الفواحش
والدنايا وتباعد من فعلها وتجنب اهلها يكون مستحقا للمدح سالكا لطريق الحق وانما التكبر
المذموم هو الواقع على وجه التجبر والبغى والاستطالة على ذوى الضعف والفخر عليهم والمباهاة
لهم ومن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذى ندب الله تعالى اليه وارشد الى الثواب
المستحق عليه مستحق بذلك الذم والمقت فلهذا شرط تعالى ان يكون التكبر بغير الحق وقوله تعالى

في هذه السورة قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ويحتمل ايضا
هذين الوجهين اللذين ذكرناهما فان اريد بالبغي المكروه الذي هو الظلم وما اشبهه كان قوله
بغير الحق تأكيدا واخبارا عن هذه صفته وان اريد بالبغي الطلب فذلك اصله في اللغة كان الشرط
في موضعه لان الطلب قد يكون بالحق وبغير الحق فان قيل ما معنى قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد
لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وهل المراد بالرؤية ههنا العلم او الادراك
بالبصر فهذا مما يمكن ان يكون قوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها محمولة على رؤية البصر
لان الآيات والادلة مما يشاهد كيف تحمل الرؤية الثانية على العلم وسبيل الرشد انما هي طريقه
ولا يصح ان يرجع بها الى المذاهب والاعتقادات التي لا تجوز عليها رؤية البصر فلا بد اذا من ان يكون
المراد برؤية العلم ومن علم طريق الرشد لا يجوز ان ينصرف عنه الى طريق الغي لان العقلاء لا
يختارون مثل ذلك قلنا الجواب عن ذلك من ثلاثة اوجه احدها ان يكون المراد بالرؤية الثانية
رؤية البصر ويكون السبيل المذكورة في الآية عبارة عن الادلة والآيات لانها مما يدرك بالبصر وتسمى
بانها سبيل الرشد من حيث كانت وصلة الى الرشد وذريعة الى حصوله ويكون سبيل الغي هي
الشبهات والمخاريق التي تعيضها المبطلون والمتغلون في الدين ليوقعوا بها الشبهة على اهل
الايمان وتسمى بانها سبيل الغي وان كان النظر فيها لا يوجب حصول الغي من حيث كان المعلوم
ان من تشاغل بها واغتر باهلها انتهى الى الغي والوجه الثاني ان يكون المراد بالرؤية العلم الا
العلم لا يثبتا ولا كونها سبيلا للرشد وكونها سبيلا للغي بل تناولها والمراد من هذا الوجه لا
ترى ان كثيرا من المبطلين يعلمون مذاهب اهل الحق واعتقاداتهم ويحجبهم الا انهم يجهلون كونها
صحيحة مفضية الى الحق فيتجنبونها وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة الا
انهم يجهلون كونها باطلة ويعتقدون صحتها للشبهة فيصيرون اليها وعلى هذا الوجه لا
يجب ان يكون تعالى وصفهم بالعناد وترك الحق مع العلم به والوجه الثالث ان يكونوا عالمين
سبيل الرشد والغي ومميزين بينهما غير انهم لميل الى اغراض الدنيا والذهاب مع الهوى في
الشهوات يعدلون عن الرشد الى الغي ويجحدون ما يعلمون كما اخبر تعالى عن كثير من اهل الكتاب
بانهم يجحدون الحق وهم يعلمون ويستيقنونه فان قيل فما معنى قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا
والتكذيب لا يكون في الحقيقة الا في الاخبار دون غيرها قلنا التكذيب قد يطلق في الاخبار
وغيرها الا ترى انهم يقولون فلان يكذب بكذا اذا كان يعتقد بطلانه كما يقولون يصدق بكذا
اذا كان يعتقد صحته ولولا صرفنا التكذيب ههنا الى اخبار الله تعالى التي تضمنها كتبه المنزلة
على ايدي رسله عليهم السلام جاز ان تكون الآيات ههنا هي الكتب المنزلة دون سائر المعجزات فقيل

فما معنى وصفه تعالى لهم بانهم كانوا عن الآيات غافلين والغفلة على مذهبكم من فعله لانها السهو
او ما جرى مجراه مما ينافي العلوم الضرورية ولا تكليف على الساهي فكيف يذمهم بذلك قلنا المراد
ههنا بالغفلة التشبيه لا الحقيقة ووجه التشبيه انهم لما اعرضوا عن تأمل آيات الله تعالى و
الانتفاع بها اشبهت حالهم حال من كان ساهيا غافلا عنها فاطلق عليهم هذا القول كما قال تعالى
صم بكم عمي على هذا المعنى وكما يقول احدنا لمن يستبطئه ويصفه بالاعراض عن التامل والتيقظ
انت ميت وراقد وما لك لا تسمع ولا تبصر وما اشبه ذلك وكل هذا واضح بحمد الله تعالى
تأويل خبر ان سأل سائل عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر انه قال سمعت النبي صلى الله عليه
وآله يقول ان قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء ثم يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذلك اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا الى طاعتك
وعما يرويه انس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من قلب آدمي الا وهو بين اصبعين
من اصابع الله تعالى فاذا شاء ان يثبته ثبته وان شاء ان يقلبه قلبه وعما يرويه ابن
حوشب قال قلت لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله ما كان اكثر دعاء النبي صلى الله
عليه وآله يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال قلت يا رسول الله ما اكثر دعائك يا مقلب
القلوب ثبت قلبي على دينك فقال يا ام سلمة ما من آدمي الا وقلبه بين اصبعين من اصابع
الله عز وجل ما شاء اقام وما شاء ازاغ ما تأويل هذه الاخبار على ما يطابق التوحيد وينفي
التشبيه او ليس من مذهبكم ان الاخبار التي يخالف ظاهرها الاصول ولا تطابق العقول لا يجب
ردها والقطع على كذبها وبطلانها الا بعد ان يكون في اللغة مخرج ولا تأويل وان كان لها
ذلك فلا استنكار وتعسف في شيء من قول ذلك في هذه الاخبار فما تأويلها الجواب
ان الذي يعول عليه من تكلم في تأويل هذه الاخبار هو ان يقول ان الاصبع في كلام العرب
وان كانت الجارحة المخصوصة فهي ايضا الاثر الحسن يقال لفلان على ماله واهله اصبع حسنة
اي قيام واثر حسن قال الراعي يصف راعيا حسن القيام على ابله: ضعيف العصا بادي العروق
ترى له عليها اذا ما اجدب الناس اصبعا ... وقال طفيل الغنوي يصف خيلا: بنت كركن لنا
احيا بنا ثم مغاليتها واستحسنتهن اصبع ... وقال لبيد بن ربيعة: من يجعل الله عليه
اصبعا في الخير او الشر يلقه ملآنا منه ذنوبا مترعا ... وقال حميد بن ثور: اغر
كلون البدر في كل منكب من الناس نعمى يحتذيها واصبع ... وقال آخر: وارثات لبيقين
ابن ذو اصبع في شيبها وذو وطن ... وقال آخر: اكرم نزارا واسقه المشعشعا فان فيه خصلة
انبعثا حمدا وجودا وندى واصبعا ... والاصبع في كل ما اوردناه يراد بها الاثر الحسن والنعمة

والمعنى ما من آدمي الا وقلبه بين نعمتين لله جليلتين حسنتين فان قيل هذا قد ذكرتموه كما حكيتم
الا انه لم يفصل ما النعمتان وما وجه التثنية ههنا ونعم الله تعالى عليه كثيرة لا تحصى قلنا يحتمل
ان يكون الوجه في ذلك نعم الدنيا ونعم الآخرة وثناهما لانهما كالجنسين او كالنوعين وان كان كل
قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير لان الله تعالى قد انعم على عباده بان عرفهم بادلته وبراهينه ما
انعم به عليهم من نعم الدنيا والآخرة وعرفهم ما لهم في الاقرار بذلك والشكر عليه والثناء به
من الثواب الجزيل ذي البقاء والنعيم الطويل ويمكن ان يكون الوجه في تثنيتهم الاثر الحسن [illegible]
وهو من جنس ما يشار اليه بالاصبع اعجابا به وتنبيها عليه وهذه عادتهم في تنبيه الشيء بما يتبعه
ومما له به علقة وقد قال قوم في بيتي طفيل والراعي انهما ارادا بقولهما اصبعا مكان الاصبع التي
هي الجارحة وفي الاصبع ثماني لغات اصبع بفتح الالف والباء اصبع بفتح الالف وكسر الباء واصبع بضم الالف
والباء واصبع بضم الالف وفتح الباء واصبوع بضم الالف والواو واصبع بكسر الالف والباء
واصبع بكسر الالف وضم الباء واصبع بكسر الالف وفتح الباء وفي هذه الاخبار وجه آخر
وهو اوضح مما ذكرناه واشبه بمذاهب العرب في ملاحن كلامها وتصرف كناياتها وهو ان يكون المعنى
في ذكر الاصابع الاخبار عن تيسر تصريف القلوب وتقليبها والفعل فيها عليه جلت عظمته وتذلل
ذلك تحت قدرته الا ترى انهم يقولون هذا الشيء في خنصري واصبعي وفي يدي وقبضتي كل
ذلك اذا ارادوا تسهله وتيسره وارتفاع المشقة والمؤنة وعلى هذا المعنى تأولوا قوله تعالى
والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه وكأنه صلى الله عليه
وآله لما اراد المبالغة في وصفه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة
وان كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ولا يتمكن منه قال انها بين اصابعه كناية عن هذا المعنى واختصارا
للفظ الطويل وجريا على مذاهب العرب في اخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ وهذا
الوجه يجب ان يكون مقدما على الوجه الاول ومعتمدا لانه اوضح واجلى ويمكن ان يكون في
الخبر وجه آخر على تسليم ما يقترحه المخالفون من ان الاصبعين هما المخلوقتان من اللحم والدم والعظم
اسقطناه في الحجة واقمناها على كل وجه وهو انه لا ينكر ان يكون القلب يشتمل عليه جسمان على
شكل الاصبعين يحركه الله بهما ويقلبه بالفعل فيهما ويكون وجه تسميتهما بالاصابع من حيث
كانا على شكلهما والوجه في اضافتهما الى الله تعالى وان كان جميع افعاله يضاف اليه بمعنى الملك
والقدرة انه لا يقدر على الفعل فيهما وتحريكهما منفردين عما جاورهما غيره تعالى فقيل انهما
اصبعا الرحمن من حيث اختص بالفعل فيهما على هذا الوجه لان غيره انما يقدر على تحريك القلب بما هو
مجاور للقلب من الاعضاء وتحريك جملة الجسم ولا يقدر على تحريكه وتصريفه منفردا عما جاوره وغيره تعالى

فمن ابن للمبطلين المتأولين هذه الاخبار باهوائهم وضعف آرائهم ان الاصابع ههنا اذا كانت
لحما ودما فهي جوارح الله تعالى وهذا الوجه الذي ذكرناه بعيد وعلى المتأول ان يورد كل
ما يحتمله الكلام مما لا تدفعه الحجة وان ترتب بعضه على بعض في القوة والوضوح ونحن نعود الى
تفسير ما لعله ان يشتبه من الابيات التي استشهدنا بها اما قوله جلا وجودا وندى فاصبعا
المجد ههنا المضاء والنفاذ وقول الآخر [illegible] فليس فيهن ابن [illegible] للعصي والاثر المعقد
واما قول حميد بن ثور في كل منكب من الناس فالمنكب الجماعة من الناس والمنكب الناحية واما معنى
ابيات لبيد فانه اراد من يسق الله اليه خيرا او نفعا وعنده شر اتيهما فعل ذلك به باصبع لم يزل عنه
جنبي تنهاه واما بيت طفيل الغنوي فمعناه ان هذا الفحل الذي وصفه بانه كميت وانه ركن البناء
تمام وشدة لما ضرب في الابل التي وصفها عاشت اولادها التي هي بناته وبنات ذكورها ولم تكن مقاليت
والمقاليت التي لا يعيش لها ولد فكان هذا سببه اثرا جميلا عليها فاما بيت الراعي فمعنى قوله ضعيف
العصا انه قليل الضرب لها اما لانه لا يحوجها سوء رعيها وتأدبا او لشفقته عليها وهو
كناية في غاية الحسن والاختصار وشبه به لانه قد يجوز ان يكون ضعيف العصا على الحقيقة من حيث
لا يحتاج الى استعمالها في الضرب فيختارها قوية ويجوز ان يكون كنى عن رفقه وقلة عنفه بضعف العصا
وقوله بادي العروق يعني عروق رجله لقلة لحمها من السعي في آثار الابل والمراد بالاصبع ان له عليها
في حالة ترى الناس اثرا جميلا لحسن قيامه ونعمه وقد قيل انما سمي الراعي ببيت قاله في هذه القصيدة
بعد بيتين من البيت الذي انشدناه لها امرها حتى اذا ما تبوأت باخفافها مأوى تبوأ
مضجعا هذا قول الاصمعي قال السكري سمي بذلك لقوله في هذه القصيدة ايضا [illegible]
وصاحب علية يرى المجد ان يلقى خلاء ومرتعا وروي عن بعض بني نمير انه قال انما سمي بذلك
لقوله بنيت مرافقهن فوق مزلة لا يستطيع بها القراد مقيلا فقال بعضهم [illegible]
هذا الا راع الا فهو راعي ابل فبقيت عليه وقال محمد بن سلام انما سمي الراعي بكثرة وصفه للابل
وحسن نعته لها واسمه عبيد بن حصين بن جندل وكنيته ابو جندل وقيل ابو نوح

مجلس آخر

تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك فقال ما المراد
بالنفس في هذه الآية وهل المعنى فيها كالمعنى في قوله ويحذركم الله نفسه او يخالفه ويطابق معنى
الآيتين والمراد بالنفس فيهما ما رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يقول الله
عز وجل اذا احب العبد لقائي احببت لقاءه واذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملأ
ذكرته في ملأ خير منهم واذا تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا واذا تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا
او لا يطابقه الجواب قلنا النفس في اللغة لها معان كثيرة مختلفة ووجوه في التصرف متباينة فالنفس

نفس الانسان وغيره من الحيوان وهي اذا فقد فما خرج عن كونه حيا ومنه قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت والنفس ذات الشي الذي يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه اذا تولى فعله والنفس الانفة من قولهم ليس لفلان نفس اي لا انفة له والنفس الارادة من قولهم نفس فلان في كذا اي ارادته قال الشاعر فنفساي نفس قالت ائت ابن بجدل تجد فرجا من كل غمّى تهابها ونفس تقول اجهد نجاءك لا تكن كخاضبة لم يغن شيئا خضابها وصدرت رجلا قال للحسن يا ابا سعيد ولم احج قط فنفس تقول لي حج ونفس تقول لي تزوج فقال الحسن انما النفس واحدة ولكن لك هم يقول لك حج وهم يقول تزوج وامره بالحج وقال النمر بن العبد ويروى لجعفر بن عمار البارقي الا من لعين قد نآها حميمها وارقها بعد المنام همومها فباتت لها نفسان شتى همومها فنفس تعزيها ونفس تلومها وقال النمر بن تولب العكلي اما خليلي فاني لست معجله حتى يؤامر نفسيه كما زعما نفس له من نفوس القوم صالحة تعطي الجزيل واخرى ترضع الغنما اراد انه بين نفسين نفس تامره بالجود واخرى تامره بالبخل وكنى برضاع الغنم عن البخل لان البخيل يرضع اللبن عن الشاة ولا يحلبها لئلا يسمع الضيف صوت الشخب فيهتدي اليه فيقصده وقيل للئيم راضع وقال كثير فاصبحت نفسين نفس مريضة من الياس ما ينفك ثم يعود هذا ونفس ترجي وصلها بعد صرمها تجمل كي يزداد غيظا حسودها والنفس العين التي تصيب الانسان يقال اصابت فلانا نفس اي عين وروى ان رسول الله صلى الله عليه واله كان يرقي فيقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من عين عائن ونفس نافس وحسد حاسد وقال ابن الاعرابي النفوس الذي يصيب الناس بالعين وذكر رجلا فقال كان والله حسودا نفوسا كذوبا وقال عبيد الله بن قيس الرقيات يتقي اهلها النفوس عليها فعلى نحرها الرقى والتميم وقال مضرس بن ربعي الفقعسي واذا نموا صعدا فليس عليهم منا الخبال ولا نفوس الحسد قال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك فاسلم سلمت من المكاره والردى وعثارها ووقيت نفس الحسد والنفس ايضا من الدباغ مقدار الدبغة تقول اعطني نفسا من دباغ اي قدر ما ادبغ به مرة والنفس الغيب يقول القائل اني لا اعلم نفس فلان اي غيبه وعلى هذا تاويل قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم غيبي وما عندي ولا اعلم غيبك وقيل ان النفس ايضا العقوبة من قولهم احذر نفسي اي عقوبتي وبعض المفسرين حمل قوله تعالى ويحذركم الله نفسه على هذا المعنى كانه قال ويحذركم عقوبته وروى ذلك عن ابن عباس والحسن وآخرون قالوا معنى الاية ويحذركم الله اياه وقد روى عن الحسن ومجاهد في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ما ذكرناه من التاويل بعينه فان قيل ما وجه تسمية الغيب بانه نفس قلنا لا يمتنع ان يكون الوجه في ذلك ان نفس الانسان لما كانت خفية الموضع نزلت تكنه

ويجتهد

ويجتهد في ستر منزلها وسمى باسمها فقيل غيب اذ نفسه مبالغة في وصفه بالكتمان والخفاء وانما حسن ان يقول تعالى مخبرا عن نبيه ولا اعلم ما في نفسك من حيث تقدم قوله تعالى تعلم ما في نفسي لمزدوج الكلام ولهذا لا يحسن ابتداء ان يقول انا لا اعلم ما في نفس الله تعالى وان حسن على الوجه الاول ولهذا نظائر في الاستعمال مشهورة مذكورة فاما الخبر الذي ذكره السائل فتاويله ايضا ظاهر وهو خارج على مذهب العرب في مثل هذا الباب معروف ومعناه ان من ذكرني في نفسه جازيته على ذكره لي واذا تقرب الي شبرا جازيته على تقربه الي وكذلك الخبر الذي تقدم فسمى الجزاء على الشي باسمه اتساعا كما قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين والله يستهزئ بهم وكما قال الشاعر الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب ولما اراد تعالى المبالغة في وصفه بفعله بدءا من الثواب والمجازاة على تقربه بالكثرة والزيادة كنى عن ذلك بذكر المسافة المضاعفة فقال باعا وذراعا اشارة الى المعنى من ابلغ الوجوه واحسنها مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل فقال ما تاويل قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وكيف يجوز ان تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم احياء ومعلوم ان القلب اذا زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه وعن اي شي زاغت الابصار وبأي شي تعلقت ظنونهم بالله تعالى الجواب قيل لهم في هذه الآية وجوه منها ان يكون المراد بذلك انهم جبنوا وفزع اكثرهم لما اشرف المشركون عليهم وخافوا من بوايقهم وبوادرهم ومن شان الجبان عند العرب اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته ولهذا يقولون للجبان انتفخ سحره اي رئته وليس يمتنع ان تكون الرئة اذا انتفخت رفعت القلب فنهضت به الى نحو الحنجرة وهذا التاويل قد ذكره الفراء ورواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ومنها ان القلوب توصف بالوجيب والاضطراب والخفوق في الجزع والهلع قال الشاعر كان قلوب لا انتهاء معلقة بقرون الظباء وقال امرؤ القيس ولا مثل يوم في قدار ان ظلته كاني واصحابي على قرن اعفرا ويروى في قذال ظلته اراد الباقعر في وصف نفسه واصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة السكون والاستقرار وانما خص الظبي لان قرنه اكثر تحركا واضطرابا بالنشاط ومرحه وسرعته وقد قال بعض الناس ان امرأ القيس لم يصف شدة اصابته في هذا البيت فيليق قوله على قرن اعفرا بالتاويل المذكور بل وصف ما كان فيها من سرور واستمتاع الا ترى ان قوله قبل هذا البيت الا رب يوم صالح قد شهدته بتاذف ذات التل من فوق طرطرا فيكون معنى قوله على قرن اعفر على هذا الوجه انه كان على مكان عال مشرف شبهه لارتفاعه وطوله بقرن الظبي وهذا القول لابن الاعرابي ولا

للأصمعي وأما قول الآخر ٭ ألا قل للشأن كيف تغيرا ٭ فأصبح يرمي الناس عن قرن أعفرا ٭ فلا يحتمل
إلا التشبيه بحال المذموم فيجوز أن يريد أن الناس منه غير مطمئنين ولهم منزعجون قلقون كالمقيم
على قرن ظبي ويحتمل أنه يطعنهم بقرن ظبي كقولك رماه بداهية ويكون معنى عن ههنا معنى الباء
فقال عن قرن أعفر وهو يريد بقرن أعفر وقد ذكر في هذا البيت وجهان معا فيكون معنى الآية
على هذا التأويل أن القلوب لما اتصل وجيبها واضطرابها بلغت الحناجر لشدة القلق ومنها أن
يكون المعنى كادت القلوب من شدة الرعب والخوف تبلغ الحناجر وإن لم تبلغ في الحقيقة وألغى ذكر
كادت لوضوح الأمر فيها ولفظة كادت ههنا للمقاربة مثل قول قيس بن الخطيم ٭ أتعرف رسما كاطراد
المذاهب ٭ لعمرة وحشا غير موقف راكب ٭ ديار التي كادت ونحن على منى ٭ تحل بنا لولا نجاء
الركائب ٭ معناه قاربت أن تحل بنا وإن لم تحل في الحقيقة وقوله غير موقف راكب فيه وجهان أحدهما
أنه ليس بموضع يقف فيه راكب لخلوه من الناس ووحشته والآخر أن يكون أراد أنه وحش إلا أن راكبا
وافقته به يبغي نفسه وقال تصنب ٭ وقد كدت يوم الحزن لما ترنمت ٭ هتوف الضحى محزونة بالترنم
أموت لمبكاها أسى إن لو عني ٭ ووجد لها مشجوة غير منجم ٭ معنى المنجم المقلع وقال ذو الرمة
وقفت على ربع لمية ناقتي ٭ فما زلت أبكي عنده وأخاطبه ٭ وأسقيه حتى كاد مما أبثه ٭ تكلمني
أحجاره وملاعبه ٭ وكل هذا معنى كاد فيه المقاربة ومتى دخلت العرب على كاد جحدا فقالوا
ما كاد عبد الله يقوم ولم يكد عبد الله يقوم كان فيه وجهان أجودهما قام عبد الله بعد إبطاء
ولأي ومثله قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون أي ذبحوها بعد إبطاء وتأخير لأن وجدان
البقرة عسر عليهم وروي أنهم أصابوها ليتيم لا مال له غيرها فاشتروها من وليه بملء جلدها
ذهبا فقال تعالى وما كادوا يفعلون إما لأنهم لم يجدوها إلا بعد عناء أو لغلائها وكثرة ثمنها والوجه
الآخر في قولهم ما يكاد عبد الله يقوم أي ما يقوم عبد الله وتكون لفظة يكاد على هذا المعنى
مطرحة لا حكم لها وعلى هذا يحمل أكثر المفسرين قوله تعالى إذا أخرج يده لم يكد يراها أي لم يرها
أصلا لأنه جل وعز لما قال أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات
بعضها فوق بعض كان بعض هذه الظلمات يحول بين العين وبين النظر إلى اليد وسائر المناظر
فيكد على هذا التأويل زيدت للتأكيد والمعنى إذا أخرج يده لم يرها وقال قوم معنى الآية إذا أخرج
يده رآها بعد إبطاء وعسر لتكاثف الظلمة وترادف الموانع من الرؤية فيكد على هذا الجواب ليست بزائدة
وقال آخرون لا يراد إذا أخرج يده لم يرد أن يراها لأن ما شاهدها من تكاثف الظلمات آيسه من تأمل يده و
فرهق نفسه أنه لا يدركها ببصره وحكي عن العرب أولئك أصحاب الذين كادوا أنزل عليهم أي أريد أن
أنزل عليهم وقال الشاعر ٭ كادت وكدت وتلك خير إرادة ٭ لو عاد من لهو الصبابة ما مضى ٭ أي أرادت

وأردت وقال الأفوه الأودي ٭ فإن تجمع أوتاد وأعمدة ٭ وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا ٭ أي أرادوا
وقال بعضهم معنى قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف أي أردنا ليوسف وقال الكلبي عن أبي صالح عن
ابن عباس معناه كذلك صنعنا ليوسف ومما يشهد لمن جعل لفظة يكد زائدة في الآية قول الشاعر
سريع إلى الهيجاء شاك سلاحه ٭ فما إن يكاد قرنه يتنفس ٭ أي فما إن يتنفس قرنه ويكاد مزيدة
للتوكيد وقال حسان ٭ وتكاد تكسل أن تجيء فراشها ٭ في جسم خرعبة وحسن قوام ٭ معناه و
تكسل أن تجيء فراشها وقال الآخر ٭ وألا ألوم النفس فيما أصابني ٭ وألا أكاد بالذي نلت أنجح ٭
أي لا أنجح بالذي نلت ولو لم يكن الأمر على هذا لم يكن البيت مدحا وروى عبد الصمد بن المعذل
بن غيلان عن أبيه عن جده غيلان قال قدم علينا ذو الرمة الكوفة فأنشدنا بالكناسة وهو
على راحلته قصيدته الحائية التي يقول فيها ٭ إذا غير النأي المحبين لم يكد ٭ رسيس الهوى من
حب مية يبرح ٭ فقال له عبد الله بن شبرمة قد برح يا ذا الرمة ففكر ساعة ثم قال إذا غير
النأي المحبين لم أجد ٭ رسيس الهوى من حب مية يبرح ٭ قال فأخبرت أبي بما كان من قول ذي الرمة
واعتراض ابن شبرمة في اعتراضه عليه كقوله عز وجل إذا أخرج يده لم يكد يراها أي لم يرها فأما
قوله عز وجل إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فيحتمل أن يكون المعنى أريد
أخفيها لكي تجزى كل نفس بسعيها ويجوز أن تكون زائدة ويكون المعنى إن الساعة آتية أكاد
أخفيها وقد قيل فيه وجه آخر وهو أن يتم الكلام عند قوله تعالى إن الساعة آتية أكاد ويكون
المعنى أكاد آتي بها ويقع الابتداء بقوله تعالى أخفيها لتجزى كل نفس ومما يشهد لهذا الوجه
قول ضابئ البرجمي ٭ هممت ولم أفعل وكدت وليتني ٭ تركت على عثمان تبكي حلائله ٭ أراد و
كدت أفعل فحذف الفعل لبيان معناه وقد روي عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ أكاد أخفيها فمعنى
أخفيها على هذا أظهرها وقال عبدة بن الطبيب يصف ثورا ٭ يخفي التراب بأظلاف ثمانية
في أربع مسهن الأرض تحليل ٭ أراد أنه يظهر التراب ويستخرجه بأظلافه وقال امرؤ القيس ٭ فإن
تدفنوا الداء لا نخفه ٭ وإن تبعثوا الحرب لا نقعد ٭ أراد لا نظهره وقال النابغة ٭ تخفي بأظلافها
حتى إذا بلغت ٭ يبس الكثيب تداعى الترب فانهدما ٭ وقد روى أهل العربية أخفيت الشيء
بمعنى سترته وأخفيته بمعنى أظهرته وكانت القراءة بالضم تحتمل الأمرين الإظهار والستر والقراءة
بالفتح لا تحتمل غير الإظهار وإذا كانت بمعنى الإظهار كان الكلام في كاد واحتمالها للوجوه
التي ذكرناها كالكلام فيها إذا كانت بمعنى الستر والتغطية فإن قيل أي معنى لقوله إني أسترها لتجزى
كل نفس بما تسعى وأظهرها على الوجهين جميعا وأي فائدة في ذلك قلنا الوجه في هذا ظاهر لأنه
لأنه تعالى إذا سترها وقت الساعة كانت دواعينا إلى فعل الجميل والقبيح مترددة وإذا عرفنا وقتها

وبلغت القلوب الحناجر والكلام فيه

بعينه كما ملجئين الى التوبة بعيد مفارقة الذنوب وبعض ذلك الغرض بالتكليف واستحقاق الثواب
به فضار فما ابطل من المجازاة للمكلفين بنفعهم وايصال ثواب اعمالهم يمنع من اطلاعهم على وقت
انقطاع التكليف عنهم فاذا كانت لفظة اخفيها بمعنى لاظهرها توجها ايضا والخبر لانه تعالى اتمها
القيامة وبقطع التكليف ليجازى كلا باستحقاقه ويوفى مستحق الثواب ثوابه ويعاقب المسيء
موضع وجه قوله تعالى اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى على معنيين جميعا قال السيد قدس الله
روحه ووجدت ابا بكر محمد بن القسم الانبارى يطعن على جواب من اجاب فى قوله تعالى وبلغت
القلوب الحناجر بان معناها كادت تبلغ الحناجر ويقول كاد لا تضمر ولا بد من ان يكون منطوقا بها
ولو جاز ضميرها لجاز قام عبد الله بمعنى كاد عبد الله يقوم فيتاول قام عبد الله لم يقم عبد الله
لان معنى كاد عبد الله يقوم لم يقم عبد الله وهذا الذى ذكره غير صحيح ونظن ان الذى حمله على
الطعن فى هذا الوجه حكايته له عن ابن قتيبة لان من شأنه ان يرد كل ما ياتى به ابن قتيبة ولا
يتعسف فى الطعن عليه والذى استبعده غير بعيد لان كاد قد تضمر فى مواضع يقتضيها بعض
الكلام وان لم يجر صريحها الا ترى انهم يقولون اوردت على فلان من العتاب والتوبيخ ما مات
عنده وخرجت نفسه ولما رأى فلان فلانا لم يبق فيه روح وما اشبه ذلك فمعنى جميع ما ذكرنا
المقاربة ولا بد من اضمار كاد فيه وقال جرير ان العيون التى فى طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين
قتلانا وانما المعنى انهن كدن يقتلننا فهذا اكثر فى الشعر والكلام من ان نذكره وليس يسع ان
انما قوله يحيين قتلانا فالاظهر فى معناه انهن لم يزلن ما قاربنا عنده الموت فى القتل من الصد
والهجر وما اشبه ذلك وسمى هذه الامور حياة كما سمى اضدادها قتلا وقد قيل ان معنى يحيين
انهن لم يدين قتلانا من الدية لان دية القتيل عند العرب كالحياة له وقد روى ثم لم يحبين قتلانا
وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم ولا محصل ومعناها ضعيف ركيك واذا كان الامر على ما ذكرناه
لم يمتنع ان يقال قام فلان بمعنى كاد يقوم اذا دلت الحال على ذلك كما يقال مات بمعنى كاد يموت
فاما قوله فيكون تاويل قام عبد الله لم يقم عبد الله فخطاء لانه ليس معنى كاد يقوم انه لم يقم كما
ظن بل معناه انه قارب القيام ومن قام فيه فمن قال قام عبد الله واراد كاد يقوم فقد افاد ما لا
يفيده قوله لم يقم فاما قوله تعالى زاغت الابصار وبلغت فمعناه زاغت عن النظر الى كل شئ فلم
تلتفت الا الى عدوها ويجوز ان يكون المراد بزاغت الابصار اى جالت وما لت عن القصد فى النظر
دهشا وتحيرا فاما قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا فمعناه انكم تظنون مرة انكم تنصرون وتظهرون
على عدوكم ومرة انكم تبتلون وتمحصون بالتخلية بينكم وبينهم ويجوز ايضا ان يريد تعالى
ان ظنونكم اختلفت فظن المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله به من النصر وشكوا فى خبره تعالى

كما قال تعالى

قوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا

كما قال تعالى حكاية عنهم ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وظن المؤمنون ما طابق وعد الله تعالى
لهم كما حكى عز وجل عنهم فى قوله هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وكل ما ذكرناه
واضح فى تاويل الاية وما تعلق بها **مجلس اخر** تاويل اية ان سأل سائل عن قوله تعالى وجعلنا
نومكم سباتا فقال اذا كان السبات هو النوم فكانه قال وجعلنا نومكم نوما وهذا مما لا فائدة
فيه **الجواب** قلنا فى هذه الاية وجوه منها ان يكون المراد بالسبات الراحة والدعة وقد قال
قوم ان اجتماع الخلق كان فى يوم الجمعة والفراغ منه فى يوم السبت فسمى اليوم بالسبت للفراغ
الذى كان فيه ولان الله تعالى امر بنى اسرائيل فيه بالاستراحة من الاعمال وقيل واصل السبات
التمدد يقال سبتت المرأة شعرها اذا حلته من العقص وارسلته قال الشاعر وان سبتته
مال جثلا كانه سدى واهلات من نواسج خثعما اراد ان ارسلته ومنها ان يكون المراد بذلك
القطع لان السبت القطع والسبت ايضا الحلق يقال سبت شعره اذا حلقه وهو يرجع الى معنى
القطع والنعال السبتية لا شعر عليها قال عنترة بطل كان ثيابه فى سرحة يحذى نعال
السبت ليس بتوام ويقال للخل اذا ضرب فقعة منقطعة مما حولها سبتاء وجمعها سباتا
فيكون المعنى على هذا الجواب جعلنا نومكم قطعا لاعمالكم وتصرفكم ومن اجاب بهذا الجواب يقول
انما سمى يوم السبت بذلك لان بدء الخلق كان يوم الاحد وجمع يوم الجمعة وقطع يوم السبت
فترجع التسمية الى معنى القطع وقد اختلف الناس فى ابتداء الخلق فقال اهل التوراة ان الله
تعالى ابتدأ فى يوم الاحد فكان الخلق فى يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء و
الخميس والجمعة ثم فرغ فى يوم السبت وهذا قول اهل التوراة وقال اخرون ان الابتداء كان
فى يوم الاثنين الى السبت وفرغ فى يوم الاحد هذا قول اهل الانجيل فاما قول اهل الاسلام
فهو ان ابتداء الخلق كان فى يوم السبت واتصل الى الخميس وجعلت الجمعة عيدا فعلى هذا القول
الاخير يمكن ان يسمى اليوم بالسبت من حيث قطع فيه بعض خلق الارض فقد روى ابو هريرة
عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال ان الله تعالى خلق التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم
الاحد ومنها ان يكون المراد بذلك انا جعلنا نومكم سباتا ليس بموت لان النائم قد يفقد من
علومه وقصوده والحواله اشياء كثيرة يفقدها الميت فاراد تعالى ان يمتن علينا بان جعل
نومنا الذى يضاهى فيه بعض احوالنا احوال الميت ليس بموت على الحقيقة ولا مخرج لنا عن الحياة
والادراك فجعل التاكيد بذكر المصدر قائما مقام نفى الموت وسادا مسد قوله وجعلنا نومكم
ليس بموت ويمكن فى الاية وجه اخر لم يذكر فيها وهو ان السبات ليس هو كل نوم وانما هو من
صفات النوم اذا وقع على بعض الوجوه والسبات هو النوم الممتد الطويل السكون ولهذا

تواضع

فى ابتداء الخلق يوم السبت

البرية

يقال فيمن وصف بكثرة النوم انه مسبوت وبه سبات ولا يقال ذلك في كل نائم واذا كان
الامر على هذا لم يجر قوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا مجرى ان يقول وجعلنا نومكم نوما و
الوجه في الامتنان علينا بان جعل نومنا ممتدا طويلا ظاهر وهو لما في ذلك لنا من المنفعة
والراحة لان التهويم والنوم الغرار لا يكسبان شيئا من الراحة بل يصحبهما في الاكثر القلق و
الانزعاج والهموم هي التي تقلل النوم وتنزره وفراغ القلب ورخاء البال يكون معهما غزارة النوم
وامتداده وهذا واضح قال السيد قدس الله روحه وجدت ابا بكر محمد بن القسم الانباري يطعن على
الجواب الذي ذكرناه اولا ويقول ان ابن قتيبة اخطا في اعتماده لان الراحة لا يقال لها سبات ولا
يقال سبت الرجل بمعنى استراح واراح ويعتمد على الجواب الذي حكيناه بعده ويقول فيما استشهد
به ابن قتيبة من قولهم سبتت المراة شعرها ان معناه ايضا القطع لان ذلك انما يكون بازالة الشداد
الذي كان يجمع غايته وقطعه والمقدار الذي ذكره ابن الانباري لا يقدح في جواب ابن قتيبة لانه لا
ينكر ان يكون السبات هو الراحة والدعة اذا كانتا عن نوم وان لم يوصف كل راحة بانها سبات
ويكون هذا الاسم يخص الراحة اذا كانت على هذا الوجه ولهذا نظائر كثيرة في الاسماء واذا امكن ذلك
لم يكن في امتناع قولهم سبت الرجل بمعنى استراح في كل موضع دلالة على ان السبات لا يكون اسما
للراحة عند النوم والذي يجب على ابن قتيبة ان يبين ان السبات هو الراحة والدعة ويستشهد
على ذلك بشعر او لغة فان البيت الذي ذكره يمكن ان يكون المراد به القطع دون التمدد والارسال
فان قيل فما الفرق بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الذي ذكرتموه اخيرا قلنا الفرق بينهما بين لان ابن قتيبة
جعل السبات نفسه راحة وجعل عبارة عنها واخذ يستشهد على ذلك بالتمدد وغيره ونحن جعلنا
السبات نفسه من صفات النوم والراحة واقعة عنده للامتداد وطول السكون فيه فلا يلزمنا ان
يقال سبت الرجل بمعنى استراح لان الشيء لا يسمى بما يقع عنده حقيقة والاستراحة تقع على جوابنا
عند السبات وليس السبات اياها بعينها على ان في الجواب الذي اختاره ابن الانباري ضربا من الكلام
لان السبت وان كان القطع على ما ذكره فلم يسمع فيه البناء الذي ذكره وهو السبات ويحتاج في اثبات
مثل هذا البناء الى سمع عن اهل اللغة وقد كان يجب ان يورده من اي وجه اذا كان السبت هو القطع جاز
ان يقال سبات على هذا المعنى ولم نره فعل ذلك تاويل خبر ان قال قايل ما تاويل الخبر الذي روي
عن النبي صلى الله عليه وآله ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه وفي رواية اخرى ان الميت يعذب في قبره
بالنياحة عليه وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبة ايضا فقال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول
من نيح عليه فانه يعذب بما نيح عليه الجواب انا قد علمنا بادلة العقل التي لا يدخلها الاحتمال
ولا الاتساع والمجاز قبح مواخذة احد بذنب غيره وعلمنا ايضا بادلة السمع مثل قوله تعالى ولا تزر وازرة

وزر

الغرار القليل

قال ابن دريد السبات السكون والرجل مسبوت وقال الجوهري السبات السكون واصله الراحة

قال الرسول ... يعذب ببكاء الحي عليه

وزر اخرى فلا بد من ان نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الادلة الى ما يطابقها والمعنى في الاخبار التي سئلنا
عنها ان صحت روايتها انه ان اوصى موص بان يناح عليه ففعل ذلك بامره وعن اذنه فانه يعذب بالنياحة
عليه ليس معنى يعذب بها انه يواخذ بفعل النياحة والبكاء بل المعنى انه يواخذ بامره بها ووصيته
بفعلها وانما قال صلى الله عليه وآله ذلك لان الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيامرون
ويؤكدون الوصية بفعله هذا مشهور عنهم قال طرفة ابن العبد فان مت فانعيني بما انا اهله
وشقي علي الجيب يا ام معبد وقال بشر بن ابي خازم لابنته عميرة فمن يك سائلا عن بيت بشر
فان له بجنب الردة بابا ثوى في ملحد لا بد منه كفى بالموت نايا واغترابا رهين بلى وكل فتى سيبلى
فاذري الدمع وانتحبي انتحابا وقد روي عن ابن عباس في هذا الخبر قال وهل ابن عمر انما مر رسول الله
صلى الله عليه وآله على قبر يهودي فقال انكم لتبكون عليه وانه ليعذب في قبره وقد روي انكار هذا الخبر
عليه ايضا عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وآله وانها قالت لما اخبرت بروايته وهل ابو عبد
الرحمن كما وهل يوم قليب بدر انما قال عليه السلام ان اهل الميت ليبكون عليه وانه ليعذب بجرمه قال
السيد قدس الله روحه معنى وهل اي ذهب وهمه الى الصواب يقال وهلت الى الشيء فانا اهل وهلا اذا
ذهب وهمك اليه وانت تريد غيره ووهلت عنه اهل وهلا اذا نسيته وغلطت فيه ووهل الرجل يوهل وهلا اذا فزع
والوهل الفزع فاما القليب فهي البئر وجمع القلب قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين
يناديهم رسول الله لما قذفناهم كباكب في القليب الم تجدوا حديثي كان حقا وامر الله ياخذ بالقلوب
وقال الاخر يبكي قتلى بدر من المشركين فماذا بالقليب قليب بدر من الفتيان والشرب الكرام وما
ذا بالقليب قليب بدر من الشيزى تكلل بالسنام ومعنى وهل في ذكر القليب انه روي ان النبي
صلى الله عليه وآله وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ثم قال انهم ليسمعون
ما اقول فانكر ذلك عليه وقيل انما قال عليه السلام انهم الان ليعلمون ان الذي كنت اقول لهم هو الحق و
استشهد بقول الله تعالى انك لا تسمع الموتى واهل القليب جماعة من قريش منهم عتبة وشيبة ابنا
ربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وآله
ذات يوم قائما يصلي بمكة وانا معه وقريش في حلقة فيهم ابو جهل بن هشام فقال ما يمنع احدكم ان ياتي
الجزور التي نحرها آل فلان فيلقي سلاها ثم ياتي بمحمد اذا سجد وضعه على ظهره قال عبد الله فانبعث
اشقى القوم وانا انظر اليه فجاء به حتى وضعه على ظهره قال عبد الله فلو كانت لي يومئذ منعة لمنعته و
جاءت فاطمة عليها السلام وهي يومئذ صبية حتى القته عن ظهره ثم جاءت حتى قامت على رؤوسهم
فاوسعتهم شتما قال فوالله لقد رايت بعضهم يضحك حتى انه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك فلما سلم
النبي صلى الله عليه وآله اقبل الى القوم فقال اللهم عليك بفلان وفلان فلما راوا النبي صلى الله

عندهم

يا ابنة

الردة اسم موضع

وهم

ابن عمر عائشة

اي جماعات

من الفتيان

الشيزى ... الجفان

واستشهد

عليه واله فدعا عليهم اسقط في ايديهم فوالله الذي لا اله الا هو ما سمى النبي صلى الله عليه وسلم
احدا الا وقد رايته يوم بدر وقد اخذ برجله يجر الى القليب مقتولا قوله فياخذ سلاها اي جلدها
التي فيها ولدها ما دام في بطنها والجمع اسلاء وقال ابن حبيب السلا التي فيها الاولاد وقال الاخطل
يطرحن بالثغر السخال كانما يشققن بالاسلاء اردية العصب وقال الشماخ والعيس دلمه
المناسم ضمر يقذفن بالاسلاء تحت الاركب وقال الفراء سقط في ايديهم من الندامة واسقط
لغتان وهي بغير الف اكثر واجود ويمكن ان يكون في قوله تعذيب ببكاء اهله عليه وجه اخر وهو ان
يكون المعنى ان الله تعالى اذا اعلمه ببكاء اهله واعزته عليه وما لحقهم بعده من الحزن والهم تالم بذلك
فكان هذا بالالم والعذاب ليس بجار مجرى العقاب الذي لا يكون الا على ذنب متقدم بل قد يستعمل
كثيرا بحيث يستعمل الالم والضرر الا ترى ان القائل قد يقول لمن ابتداه بالضرر والالم قد عذبتني
وكذا واذيتني كما يقول ضررتني والمتني وانما لا يستعمل العقاب حقيقة في الالام المبتداة من حيث
كان اشتقاق لفظه من العاقبة التي لا بد من تقدم سبب لها وليس هذه في العذاب تاويل خبر
ان سال سائل عن الخبر الذي يرويه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال ما من احد
يدخله عمله الجنة وينجيه من النار قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه
وفضل يقولها ثلاثا فقال البلخي هذا دلالة على ان الله تعالى متفضل بالثواب وانه غير مستحق عليه
فمذهبكم خلاف ذلك قلنا الجواب قلنا فاما الخبر فمعناه بيان فقر المكلفين الى الله تعالى في
حاجتهم الى الطافه وتوفيقاته ومعوناته وان العبد لو خلي الى نفسه وقطع الله تعالى مواد المعونة
واللطف عنه لم يدخل بعمله الجنة ولا نجا من النار فكانه عليه السلم اراد ان احدا لا يدخل الجنة
بعمله الذي لم يعنه الله تعالى عليه ولا لطف له فيه ولا ارشده اليه وهذا هو الحق الذي لا شبهة
فيه فاما الثواب فلا نابى القول بانه تفضل بمعنى ان الله تعالى تفضل بسببه الذي هو التكليف
ولهذا نقول انه لا يجب على الله تعالى شيء ابتداء وانما يجب عليه ما اوجبه على نفسه فالثواب مما كان
اوجبه على نفسه بالتكليف وكذلك التمكين والالطاف وكل ما يجلبه ويوجبه التكليف ولولا ايجابه
له على نفسه بالتكليف لما وجبت فقيل فقد سمى الرسول صلى الله عليه واله ما يفعل به فضلا تفضلا
فقال الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل قلنا هذا يطابق ما ذكرناه لان الرحمة النعمة والثواب
نعمة وهو فضل وتفضل من الوجه الذي ذكرناه وان حملنا قوله عليه السلم برحمة منه وفضل
على ما يفعل به من الالطاف والمعونات فهي ايضا فضل وتفضل لان سببها غير واجب فاما قوله عليه
السلم يتغمدني فمعناه يسترني يقال غمدت السيف في غمده اذا سترته قال الشاعر نصبنا رماحا فوقها
جد عامر كظل السماء كل ارض تغمدا فالجد ههنا الحظ وشبه ما شملهم لعامر من الغلبة والظفر

بظل

بظل السماء الذي يستر كل شيء ويظهر عليه اخبرنا ابو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى [illegible]
قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي قراءة عليه قال حدثنا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب النحوي
قال اخبرنا ابن الاعرابي قال يقال للقوم اذا دعوت عليهم بهرهم الله وابهرهم الله هو المكروب وانشد [illegible]
مثل المهاة تهادى بين خمس كواعب اتراب قال السيد قدس الله روحه وقيل في معنى قوله
بهرا غير هذا الوجه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا القسم
اسمعيل قال حدثنا التوزي عن ابي عمر الاسكري قال سمعت ابا عمرو بن العلاء يقول عمر بن ابي ربيعة
حجة في العربية وما اخذ عليه شيء الا قوله ثم قالوا تحبها قلت بهرا ولو عند كفيه عندي ان ذا الخبر
لا الاستفهام كانهم قالوا انت تحبها على جهة الاخبار منهم لا الاستفهام فاكذبهم اخبارهم بجوابه فهذا
حسن وبهرا يجوز ان يكون اذ كانها احبها بهرا بمعنى عجبا وقيل تعسا دعا عليهم اذ جهلوا امر حبه
لها ما لا يجهل مثله وانشد ابو عمرو لحى الله قومي اذ يبيعون مهجتي بجارية بهرا لهم بعدها بهرا
ويكون بهرا بمعنى ظاهرا او جليا ظاهرا من قولهم قمر باهر وقد حكى بعض الرواة انه قال قيل لي
هل تحبها فقلت بهرا والرواية الاولى هي المشهورة ولعل من روى ذلك فر بهذه الرواية من اللحن وهذان
البيتان لعمر بن عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي من جملة ابيات منها من رسولي الى الثريا باني
ضقت ذرعا بهجرها والكتاب وهي مكنونة تحير منها في اديم الخدين ماء الشباب سلبتني مجاجة
المسك عقلي فسلوها بما تحل اغتصابي ازهقت ام نوفل اذ دعتها مهجتي ما لقاتلي من متاب
حين قالت لها اجيبي فقالت من دعاني قالت ابو الخطاب ابرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس
كواعب اتراب ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب والثريا هذه التي عناها عمر بن ابي ربيعة
اموية وقد اختلف في نسبها فقيل انها الثريا بنت عبد الله بن محمد بن الحرث بن امية الاصغر بن عبد شمس
وقيل انها الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحرث بن امية الاصغر وانها اخت محمد بن عبد الله المعروف
بابي جراب العبلي الذي قتله داود بن علي واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال
حدثنا محمد بن يحيى عن الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمر بن نافع قال اخبرني بلال مولى ابن ابي
عتيق في حديث طويل لعمر بن ابي ربيعة مع الثريا اختصرناه واوردنا بعضه قال لما سمع ابن ابي عتيق
قول عمر من رسولي الى الثريا قال اياي اراد وبي نوه لا جرم والله لا اذوق اكالا حتى اشخص اليه فاصلح
بينهما فنهض ونهضت معه فجاء قوما من بني الديل بن بكر لم تكن النجائب تفارقهم يكريها فاكترى
منهم راحلتين واغلى لهم بما تكلف له استوضعهم شيئا اودعني اماكسهم فقد استشطوا فقال
لي ويحك اما علمت ان المكاس ليس من خلق الكرام وركب احديهما وركبت الاخرى فسار سيرا
شديدا فقلت له ارفق على نفسك فان ما تريد لا يفوتك فقال ويحك ابادر حبل الود ان

يتقضبا

قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم الآية

يتقضيا وما ملح الدنيا ان يتم الصدع بين عمر والثريا فقدم منا مكة ليلة غير محرم من فدق على عمر
بابه فخرج اليه فسلم عليه فما نزل ابن ابي عتيق عن راحلته وقال لعمر اركب اصلح بينك وبين الثريا
فانا رسولك الذي سألت عنه فركب معه فقدمنا الطايف فقال ابن ابي عتيق للثريا هذا عمر
قد جشمني سفر المدينة اليك فجئتك به معترفا بذنب لم يجنه معتذرا من اساءته اليك فدعيني
من التعداد والترداد فانه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون فصالحته احسن صلح وكررنا
راجعين الى المدينة ولم يقم ابن ابي عتيق بمكة ساعة واحدة وفي الثريا يقول عمر ايضا لما تزوجها
سهيل بن عبد العزيز بن مروان ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان هي شامية
اذا ما استقلت وسهيل اذا ما استقل يماني مجلس آخر تاويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى
فغشيهم من اليم ما غشيهم فقال ما الفائدة في قوله ما غشيهم وقوله فغشيهم يدل عليه ويستغنى
به عنه لان غشيهم لا يكون الا للذي غشيهم وما الوجه في ذلك قلنا قد ذكر في هذا وجوه احدها
ان يكون المعنى فغشيهم من اليم البعض الذي غشيهم لانه لم يغشهم جميع مائه بل غشيهم بعضه فقال
تعالى ما غشيهم ليدل على ان الذي غرقهم بعض الماء وانهم لم يغرقوا بجميعه وهذا الوجه حكي
عن الفراء وذكره ابو بكر بن الانباري واعتمده وغيره اوضحه واليم هو البحر قال الشاعر
وبني تبع على اليم قصرا عاليا مشرفا على البنيان وثانيها ان يكون المعنى فغشيهم من اليم ما
غشي موسى واصحابه وفرعون واصحابه سلكوا جميعا البحر وغشيهم كلهم الا ان فرعون وقومه
ما غشيهم غرقهم وموسى عليه السلام وقومه جعل لهم في البحر طريقا يبسا فقال تعالى فغشي فرعون
وقومه من ماء البحر ما غشي موسى وقومه فنجا هولاء وهلك هولاء وعلى هذا التاويل يكون الكناية
في قوله ما غشيهم كناية عن غير من كني عنه بقوله فغشيهم لان الاولى كناية عن فرعون وقومه
والثانية كناية عن موسى وقومه وثالثها انه غشيهم من عذاب اليم واهلاكه لهم ما غشي الامم
السالفة من الهلاك والعذاب عند تكذيبهم انبياءهم واقامتهم على رد اقوالهم والعدول عن
ارشادهم والامم السالفة وان لم يغشهم العذاب والاهلاك من قبل البحر فقد غشيهم عذاب
واهلاك استحقوه بكفرهم وتكذيبهم انبياءهم فشبه بينهم وبين هولاء من حيث اشتمال
العذاب على جميعهم عقوبة على التكذيب ورابعها ان يكون المعنى فغشيهم من قبل اليم ما غشيهم
من العطب والهلاك فتكون لفظة غشيهم الاولى للبحر والثانية للهلاك والعطب اللذين لحقاهم
من قبل البحر ويمكن في الاية وجه خامس لم يذكر فيها وهو واضح يليق بمذاهب العرب في استعمال
هذا اللفظ وهو ان تكون الفائدة في قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم تعظيم الامر وتفخيمه
كما يقول القائل فعل فلان ما فعل واقدم على ما اقدم اذا اراد التفخيم وكما قال وفعلت فعلتك

الخ

قوله تعالى فخر عليهم السقف الآية

التي فعلت ومما يجري هذا المجرى ويدخل في هذا الباب قولهم للرجل هذا هذا وانت انت وفي
القوم هم هم قال الهذلي رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم
وقال ابو النجم انا ابو النجم وشعري شعري كل ذلك اذا ارادوا تعظيم الامر وتكبيره تأويل
آية اخرى ان سأل سائل عن قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون فقال ما الفائدة في قوله من فوقهم وهو لا يفيد الا ما يفيد قوله فخر عليهم السقف
لان مع الاقتصار على القول الاول لا يذهب وهم احد الى ان السقف يخر من تحتهم الجواب قيل
له في ذلك اجوبة اولها ان يكون على بمعنى عن فيكون المعنى فخر عنهم السقف من فوقهم اي
خر عن كفرهم وجحودهم بالله تعالى وآياته كما يقول القائل اشتكى فلان عن دواء شربه فيكون على
وعن بمعنى من اجل الدواء وكذلك يكون معنى الاية فخر من اجل كفرهم السقف من فوقهم قال
الشاعر ارمي عليها وهي فرع اجمع وهي ثلاث اذرع واصبع اراد ارمي عنها لان كلام العرب
رميت عن القوس فاقام على مقام عن ولو اقتصر تعالى على هذا المعنى فخر عليهم السقف ولم
يقل من فوقهم جاز ان يتوهم متوهم ان السقف خر وليسوا تحته وثانيها ان يكون على بمعنى اللام
والمراد فخر لهم السقف فان على قد تقام مقام اللام وحكي عن العرب ما اغيظك علي وما اغمك
علي يريدون ما اغيظك لي واغمك لي قال الطرماح كأن مخواها على ثفناتها معرس
خمس وقعت للجناجن اراد وقعت على الجناجن فاقام اللام مقام على
وقد يقول القائل ايضا تداعت على فلان داره واستهدم عليه حائطه ولا يريد انه كان تحته
فاخبر تعالى بقوله من فوقهم عن فائدة لولاها ما فهمت وجاز ان يتوهم متوهم في قوله فخر عليهم
السقف انه ليس من فوقهم من قولهم خرب عليه ربعه ووقفت عليه دابته واشباه ذلك وللعرب في
هذا مذهب طريف لانهم لا يستعملون لفظة على في مثل هذا الموضع الا في الشر والامر
المكروه الضار ويستعملون اللام وغيرها في خلاف ذلك الا ترى انهم يقولون على فلان
ضيعته بلا من قولهم خربت عليه ضيعته ولا ولدت عليه جاريته بل يقولون عمرت له ضيعته
وولدت له جاريته وهكذا من شانهم اذا قالوا قال على وروى على فانه يقال في الشر والكذب
وفي الخير والحق يقولون قال عني وروى عني ومثل ذلك قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين
على ملك سليمان لانهم لما اضافوا الشر والكفر الى ملك سليمان حسن ان يقال يتلون عليه و
لو كان خيرا لقيل عنه ومثله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون وقوله تعالى اتقولون على الله ما
لا تعلمون وقال الشاعر عرضت نصيحة مني ليحيى فقال غششتني والنصح مر وما بي ان اكون اعيب
يحيى ويحيى طاهر الاخلاق بر ولكن قد اتاني ان يحيى يقال عليه في نعماء شر فقلت له

عن النبي ان القرآن مادبة الله الخبر

تجنب كل شيء يقال عليان الحزجر ومثله قول الفرزدق في عنبسة بن معدان المعروف بعنبسة الفيل وقد كان يتتبع شعره ويخطئه ويلحنه ٭ لقد كان في معدان والفيل زاجر ٭ لعنبسة الراوي على القصائدا ٭ فقال علي ولم يقل عني للمعنى الذي ذكرناه وثالث الوجوه في الاخبار بكونها من عوفهم تأكيدا للكلام وزيادة في البيان كما قال تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والقلب لا يكون الا في الصدر ونظائر ذلك في الكتاب وكلام العرب كثيرة ٭ تأويل خبر ان سأل سائل عن الخبر الذي يرويه نافع عن ابي اسحاق الهجري عن ابي الاحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان هذا القرآن مادبة الله فتعلموا مادبته ما استطعتم وان اصفر البيوت لجوف اصفر من كتاب الله فقال ما تأويله وكيف بيان غريبه الجواب قلنا المادبة في كلام العرب هي الطعام يصنعه الرجل ويدعو الناس اليه فشبه النبي صلى الله عليه وآله ما يكتسبه الانسان من خير القرآن ونفعه وعائدته عليه اذا قرأه وحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعي وانتفاعه به يقال ادب الرجل يادب اذا دعا الناس الى طعامه ويقال المادبة للمدعاة وذكر الاحمر انه يقال فيها ايضا مادبة بفتح الدال قال طرفة بن العبد ٭ نحن في المشتاة ندعو الجفلى ٭ لا ترى الآدب فينا ينتقر ٭ ومعنى الجفلى انهم يدعونه ولم يخصوا قوما دون قوم والنقرى اذا خصوا بها بعضا دون بعض ومعنى ينتقر من النقرى قال بعض هذيل ٭ وليلة يصطلي بالفرث جازرها ٭ يختص بالنقرى المثرين داعيها ٭ لا ينبح الكلب فيها غير واحدة ٭ عند الصباح ولا تسري افاعيها ٭ معنى يصطلي بالفرث جازرها ان الجازر اذا شق الكرش ادخل يده لشدة البرد في الفرث مستدفئا به ومعنى يختص بالنقرى المثرين انه يخص بدعائه الى طعامه الاغنياء الذين يطمع من جهتهم في المكافاة وقال الآخر ٭ قالوا ثلاثاؤه خصب ومادبة ٭ وكل ايامه يوم الثلاثاء ٭ وقال الهذلي يصف عقابا ٭ كأن قلوب الطير في جوف وكرها ٭ نوى القسب يلقى عند بعض المآدب ٭ اراد جمع مادبة وقد روي هذا الحديث بفتح الدال المادبة وقال الاحمر المراد بهذا اللفظ مع الفتح هو المراد بها مع الضم وقال غيره المادبة بفتح الدال مفعلة من الادب معناه ان الله تعالى انزل القرآن ادبا للخلق وتقويما لهم وانما دخلت الهاء في مادبة ومادبة لتفيد مذكرا معنى المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس وكما قال عنترة ٭ والكفر مخبثة لنفس المنعم ٭ وجرى ذلك مجرى قولهم رجل علامة ونسابة في باب المدح على جهة التشبيه بالداهية ورجل هلباجة في باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة ويقال الطعام الاملاك وليمة والطعام الزفاف العرس والطعام الختان العذيرة والطعام الدار الوكيرة والطعام حلق الشعر العقيقة والطعام القادم من سفره النقيعة والطعام النفاس الخرسة والذي تطعمه النفساء الخرس قال الشاعر ٭ اذا النفساء لم تخرس ببكرها

غلاما

غلاما ولم يسكت بحتر فطيمها ٭ الحتر الشيء القليل وقال الخرس كل الطعام تشتهي ربيعة ٭ الخرس والاعذار والنقيعة ٭ ومنه الخرس ويقال ايضا في النقيعة ٭ انا لنضرب بالسيوف رؤوسهم ٭ ضرب القدار نقيعة القدام ٭ والقدار الجزار والقدام جمع قادم وقال ابو زيد يقال لطعام الاملاك النقيعة وللطعام بناء الدار الوكيرة وللطعام الختان الاعذار والعذيرة وقال الفراء الشندخي طعام الاملاك والوليمة طعام العرس وقال ابو زيد يقال من النقيعة نقعت وقال الفراء يقال منها انقعت وقال ابن السكيت يقال للطعام الذي يتعلل به قبل الغداء السلفة واللهنة ويقال الهنوا ضيفكم اي اطعموا اللهنة قال الشاعر ٭ عجبت لعارضها منعلة ٭ طعامها اللهنة او اقل ٭ وقال ابن السكيت قال الاصمعي لرجل فلان يأكل الوزمة اذا كان يأكل اكلة في اليوم وقال الاصمعي فلان يأكل الوجبة اذا كان يأكل اكلة في اليوم والليلة قال بشار ٭ فاشتغل بالوجبات عن ذهب ٭ لم يبق قلبي لامري في هبة ٭ وقال ابن السكيت قال الاصمعي لرجل اسرع في سيره كيف كان سيرك فقال كنت آكل الوجبة واعجو الوقعة واعرس اذا افجرت وارتحل اذا اسفرت واسير الوضع واجتنب الملع فجئتكم لمسي سبع قوله اعجو الوقعة معناه اقضي حاجتي مرة في اليوم وهو من العجو وقوله اسير الوضع فالوضع سير فيه بعد الاسراع والملع سير اشد منه فاراد انه يجتنب الشديد من السير كراهة ان يقطع ظهره قبل ان يبلغ الارض التي يقصدها وقال شر السير الحقحقة اي السير الشديد الذي يقطع صاحبه عن بلوغ بغيته قال الشاعر ٭ اذا اوردت الارض ثم تباعدت ٭ عليك فضع رحل المطية وانزل ٭ اي استرح حتى تقوى على السير فان جهدت نفسك لم تقطع ارضا ولم تبق ظهرا وهذا من ابيات المعاني التي يسأل عنها والذي قيل ما ذكرناه ويمكن ايضا ان يكون معنى البيت اذا بعدت عليك ارض فدعها واسأل عنها كما يقال دواء ما عز مطلبه الصبر فيما جرى مجرى ذلك من الفاظ التسلية والامر بالعدول عن تتبع ما صعب من الامور وقال الآخر في معنى البيت الاول ٭ تقطع بالنزول الارض عنا ٭ وبعد الارض يقطعه النزول ٭ وقوله جئتكم لمسي سبع معناه لمساء سبع ليال ويقال للذي يحضر طعام القوم من غير ان يدعوه اليه الوارش والوروش وقول العامة الطفيلي مولد لا يوجد في العتيق من كلام العرب واصل ذلك ان رجلا يقال له طفيل كان بالكوفة لا يفقد من وليمة من غير ان يدعى اليها فقيل للوارش الطفيلي تشبيها بطفيل هذا في وقته ويقال للذي يحضر شراب القوم من غير ان يدعى اليه واغل قال امرؤ القيس ٭ فاليوم فاشرب غير مستحقب ٭ اثما من الله ولا واغل ٭ ويقال الوغل لما يشربه قال الشاعر ٭ ان اك مسكرا فلا اشرب الوغل ٭ ولا يسلم مني البعير ٭ وقوله صلى الله عليه وآله ان اصفر البيوت لبيت صفر من كتاب الله معناه ان اخلى البيوت والصفر عند العرب الخالي من الاشياء وغيرها ويمكن في قوله مادبة وجه آخر وهو ان يكون وجه التشبيه للقرآن بالمادبة وتسميته بها

حيث دعا الخلق اليه وامرهم بالاجتماع عليه فسماه عليه السلم مادبة لهذا الوجه لان المادبة هي التي
يدعى الناس اليها ويجتمعون عليها وهذا الوجه يخالف الاول لان الاول تضمن ان وجه التشبيه من
حيث النفع العائد على الحافظ للقران كما ينتفع المدعو الى المادبة بما يصيبه من الطعام وهذا الوجه
الاخر تضمن ان التشبيه وقع لاجتماع الناس في الدعاء اليه والارشاد الى اصابته وليس يبعد ان
يريد عليه السلم بالخبر المعنيين معا فلا تنافي بينهما اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن
دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال كنا في مجلس الاصمعي اذ اقبل اعرابي فقال ابن عميد كوفا شرفا الى الاصمعي
فقال له ما معنى قول الشاعر لا مال الا العطاف تؤزره ... ام ثلاثين وابنة الجبل لا يرتقي
النز في ذلاذله ولا يعد نعليه من بلل ... فقال الاصمعي عصرته نطفة تضمنها لصب تلقى
مواقع السبل ... او وجبة من جنى اشكلة ... ان لم يرغها بالقوس لم تنل قال فقال الاعرابي
يقول لم ار كاليوم عضلة قال ابن دريد انما وصف رجلا خائفا في راس جبل يقول لا مال له الا
العطاف وهو السيف تؤزره ام ثلاثين يعني كنانة فيها ثلاثون سهما وابنة الجبل يعني القوس
لانها تعمل من شجر الجبال مثل النبع وغيره وقوله لا يرتقي النز في ذلاذله لانه في راس جبل فلا
هناك يبقى بما يفصل من ثيابه ولا يبل نعليه عنه والعصرة الملجا والنطفة الماء المجتمع في
صخر او غيره من بقية ماء المطر واللصب الشق في الجبل اضيق من اللهب واوسع من الشعب و
السبل المطر والوجبة ان ياكل كل يوم مرة والاشكل السدر الجبلي واحدته اشكلة يقول فهذه النطفة
والوجبة من الاشكلة عصرته وقوله ان لم يرغها يعني انها لا تنال باليد حتى تحرك بالقوس قال
السيد قدس الله روحه وانما جعل الاصمعي انشاد باقي الابيات دلالة على معرفته معناها لانه
يبعد ان يعرفها ولا يعرف معناها والاعرابي انما سال عن المعنى فاقام انشاده لها مقام تفسيرها
فاستغنى الاعرابي بذلك لعلمه باتمامه الابيات معرفته بمعناها وكان الاصمعي كثيرا اذا انشد شيئا
من الشعر ينشد في معناه في الحال فمن ذلك ان اسحق بن ابراهيم الموصلي انشده يوما النمير اذا
كانت الاحرار اصلي ومنصبي ... وقام بنصري خازم وابن خازم عطست بانف شامخ وتناولت
يداي الثريا قاعدا غير قائم قال فلما فرغت من انشادهما انشد بعقب ذلك الا ايها السائلي
جاهلا ليعرفني انا انف الكرم ... في الكرام بنو عامر فروعي واصلي قريش العجم قال فحار
والله بالشعر الذي يحفظه وعجلت بجبني عليه واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن
يحيى الصولي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا اسحق بن ابراهيم قال ما انشدت الاصمعي شيئا
قط الا انشدني مثله كانما اعده لي فانشدته يوما للاعشى علقتها عرضا وعلقت رجلا غيري
وعلق اخرى غيرها الرجل فانشدني في وقته قلنا اخت بني لؤي اذ رمت ... واصاب سلك

معاني الابيات

اذ رمت

قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى الاية

اذ رميت سواها واغارها الحدثان منك موقرا واعار غيرك قدها وقواها وذكر ابو العيناء قال
كان الاصمعي اسمع الناس لما يحتذ شعرا في معنى انشد في ذلك المعنى من غيره بما اراده فانشد
رجل قول القطامي والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولام المخطئ الهبل فانشد هو قول
قعنب الفزاري من يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وروى ميمون بن هارون
قال سمعت اسحق بن ابراهيم يقول انشدت الاصمعي قول الاعشى طالما ان يحتذ مثله وكان مع تخلفه
بالعلم لا يغص بمثل هذا ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا او تنزلون فانا معشر نزل فانشدني لربيعة
بن مقروم الضبي ولقد شهدت الخيل يوم طرادها بسليم اوظفة القوائم هيكل فدعوا
نزال فكنت اول نازل وعلام اركبه اذا لم انزل وذكر عن اسحق بن ابراهيم ايضا انه قال دخلت الى الاصمعي
يوما وعنده اخ للعماني الراجز حافظ وافر فلما دخل عبث باخي العماني فقال له من هذا قال
هو الباهلي الذي يقول فما صفحت ماء وهو بالقلة ما طيب فيها ولا ارطب فقال له قبل
ان تستتم الكلام هو على كل حال اصلح من قول الخيلب العماني يا رب جاد شجرة ناعمة كانها عود
في جوف جوف قال اسحق فقلت له اكنت عرفت هذا الجواب قال لا ولكن ما مر بي شيء الا وانا اعرف
منه طرفا مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم فقال اي معنى لقوله بافواههم ومعلوم ان القول
لا يكون الا بالافواه الجواب قلنا القول يحتمل معنيين في كلام العرب احدهما القول باللسان والاخر
بالقلب فالقول الذي يضاف الى القلب هو الظن والاعتقاد ولهذا المعنى ذهبت العرب بالقول مذهب
الظن فقالوا اتقول عبد الله خارجا ومتى تقول محمدا منطلقا يريدون متى تظن قال الشاعر اما
الرحيل فدون بعد غد فمتى تقول الدار تجمعنا اراد متى تظن الدار وقال الاخر اجهالا تقول
بني لؤي لعمر ابيك ام متجاهلينا اراد اتظن بني لؤي وقال توبة بن الحمير الا يا صفي النفس كيف
تقولها لو ان طريدا خائفا مستجيرها تخبر ان شطت بها غربة النوى ستنعم ليلى ان تعلى اسيرها
اراد كيف تظنها فلما كان القول يستعمل في الامرين معا افاد قوله تعالى بافواههم قصر المعنى
على ما يكون باللسان دون القلب ولو اطلق القول لم يفد ما افاد ذكر الافواه مجازا ان يتوهم المعنى الاخر
ومما يشهد لذلك قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك
لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فلم يكذبهم تعالى في قول السنتهم لانهم لم يخبروا بافواههم
الا بالحق بل كذبهم بما يرجع الى قلوبهم من الاعتقادات ووجه اخر وهو ان تكون الفائدة في قوله
تعالى بافواههم ان القول لا برهان عليه وانه باطل كذب لا يرجع فيه الا الى مجرد القول باللسان لان
الانسان قد يقول بلسانه الحق والباطل وانما يكون قوله حقا اذا كان راجعا الى برهان فيكون صحيحا

مهم

الى الحجة

قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم الآية

القول الى اللسان يقتضى ما ذكرناه من الفائدة وهذا كما يقول القائل لمن يشك فى قوله او يكذبه هكذا تقول بلسانك وليس اللسان فيما تقوله وتتفوه به وتقلبه لسانك فكانهم ارادوا ان يقولوا هذا قول لا برهان عليه فاقاموا قولهم هكذا تقول بلسانك وانما يقولون كذا بافواههم مقام ذلك والمعنى انه قول لا تعضده حجة ولا برهان ولا يرجع فيه الى اللسان ويجوز ايضا ان تكون الفائدة فى ذلك التاكيد فقد جرت به عادة العرب فى كلامها وما تقدم من الوجهين اولى لان حمل كلامه تعالى على الفائدة اولى من حمله على ما تسقط معه الفائدة تاويل آية اخرى ان سال سائل عن قوله تعالى الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم فقال اى معنى لرد الايدى فى الافواه واى مدخل لذلك فى التكذيب بالرسل عليهم السلم الجواب قلنا فى ذلك وجوه اولها ان يكون اخبارا عن القوم بانهم ردوا ايديهم فى افواههم عاضين عليها غيظا وحنقا على الانبياء عليهم السلم كما يفعل المتوعد لغيره المبالغ فى معاداته ومكايدته وهذه عادة معروفة فى المغيظ المحنق انه يعض على اصابعه ويفرق انامله ويضرب باحدى يديه على الاخرى وما شاكل ذلك من الافعال وثانيها ان يكون الهاء فى الايدى للكفار المكذبين والهاء التى فى الافواه للرسل عليهم السلم فكانهم لما سمعوا وعظ الرسل ودعاءهم وانذارهم اشاروا بايديهم الى افواه الرسل مانعين لهم من الكلام كما يفعل المسكت منا لغيره الراد لقوله وثالثها ان تكون الهاءان التى فى الايدى والتى فى الافواه معا للرسل والمعنى انهم كانوا ياخذون ايدى الرسل فيضعونها على افواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم ورابعها ان تكون الهاءان جميعا راجعتين الى الكفار لا الى الرسل فيكون المعنى انهم لما سمعوا وعظهم وانذارهم وضعوا ايدى انفسهم على افواههم مشيرين لهم بذلك الى الكف عن الكلام والامساك عنه كما يفعل من يريد منا تسكيت غيره ومنعه عن الكلام من وضع اصبعه على فى نفسه وخامسها ان يكون المعنى فردوا القول بايدى انفسهم الى افواه الرسل اى انهم كذبوهم ولم يصغوا الى اقوالهم فالهاء الاولى للقوم والثانية للرسل والايدى انما ذكرت مثلا وتاكيدا كما يقول القائل اهلك فلان نفسه بيده اى وقع الهلاك به من جهته لا من جهة غيره وسادسها ان المراد بالايدى النعم وفى محمولة على الباء والهاء الثانية للقوم المكذبين والتى قبلها للرسل والتقدير فردوا بافواههم نعم الرسل اى ردوا وعظهم وانذارهم وتنبيههم على مصالحهم الذى لو قبلوه لكان نعما عليهم ويجوز ايضا ان تكون الهاء التى فى الايدى للقوم الكفار لانها نعم من الله تعالى عليهم فيجوز اضافتها اليهم وحمل لفظة فى على الباء جائز لقيام بعض الصفات مقام بعض يقولون رضيت عنك ورضيت عليك وحكى فى لغة طىء ادخلك الله فى الجنة يريدون فى الجنة فعبروا

بالباء عن معنى فى كذلك يصح ايضا ان يعبروا بفى عن الباء قال الشاعر وارغب فيها عن لقيط ورهطه ولكننى عن سنبس لست ارغب اراد وارغب بها فحمل فى على الباء وسابعها وهو جواب ابى مسلم بن بحر وزعم انه اقوى من غيره قال المضمرون فى قوله ايديهم الرسل وكذلك المضمرون فى افواههم والمراد باليد ههنا ما نطق به الرسل من الحجج والبينات التى ذكر الله تعالى انهم جاؤا بها قومهم واليد فى كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان ايضا وعلى الملك وعلى العهد والعقد ولكل ذلك شاهد من كلامهم والذى اتى به الانبياء قومهم هو الحجة والسلطان وهو النعمة وهو العهد وكل ذلك يقع عليه اسم اليد لما كان ما يعظ به الانبياء قومهم ويندرونهم به انما يخرج من افواههم فردوه وكذبوه قيل انهم ردوا ايديهم فى افواههم اى انهم ردوا القول من حيث جاء قال ولا يجوز ان يكون الضمير فى ذلك للرسل اليهم كما تاوله بعض المفسرين وذكر ان معناه انهم عضوا عليهم انامله غيظا لان رافع يده الى فيه والعاض عليها لا يسمى رادا لليد الى فيه الا اذا كانت يده فى فيه فيخرجها ثم يردها قال السيد قدس الله روحه وليس ما استنكره ابو مسلم من رد الايدى الى الافواه بمستنكر ولا بعيد لانه قد يقال رد يده الى فيه والى وجهه اذا فعل ذلك بعد ان لم يتقدم ذلك الفعل منه ولو لم يسغ هذا القول حقيقة لساغ تجوزا واتساعا وليس يجب ان تؤخذ العرب بالتحقيق فى كلامها فان تجوزها واستعارتها اكثر على انه يمكن ان يكون المراد بذلك انهم فعلوا ذلك الفعل شيئا بعد شىء وتكرر منهم فلهذا جاز ان يقول ردوا ايديهم فى افواههم لانه قد تقدم منهم مثل هذا الفعل فلما تكرر جازت العبارة عنه بالرد وهذا يبطل استضعافه للجواب الذى صار اليه تاويل خبر روى ان مسلم بن الخزاعى ثم المصطلقى قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد انشده منشد قول سويد بن عامر المصطلقى لا تامنن وان امسيت فى حرم ان المنايا بجنبى كل انسان واسلك طريقك تمشى غير مختشع حتى تبين ما يمنى لك المانى فكل ذى صاحب يوما يفارقه وكل زاد وان ابقيته فان والخير والشر مقرونان فى قرن بكل ذلك ياتيك الجديدان فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لو ادركته لاسلم فبكى ابى فقال له ابنه يا ابه ما يبكيك من مشرك مات فى الجاهلية فقال يا بنى لا تفعل فما رأيت مشركة تلقفت من مشرك خيرا من سويد قوله ما يمنى لك المانى معناه ما يقدر لك القدر قال الفراء يقال منى الله عليك الموت اى قدره عليك الموت قال يعقوب منى الله بما يسرك اى قدر لك ما يسرك وانشد ابى عمرو العمر لقد ساقه المنى الى جدث يوزى له بالاهاضب قال ابن الاعرابى ساقه المنى اى ساقه القدر وانشد ابن الاعرابى منت لك ان تلاقينى المنايا احاد احاد فى الشهر الحلال معناه قدرت لك وقوله

تلفقت

مفاوضة

يفعل

بالتأكيد

ابو عبيدة في قوله تعالى من نطفة اذا تمنى معناه اذا تخلق وتقدر وقال بعض اهل اللغة انما سمي
منى لما يمنى فيه من ثواب الله تعالى اي يقدر ويقال ايضا بما يمنى فيه من الدم وقيل انما
سمي بذلك لان ابراهيم عليه السلام لما انتهى اليه قال له الملك تمن قال اتمنى الجنة فسمي منى لذلك و
منى يذكر ويؤنث والتذكير اجود قال الشاعر في التذكير: سقى منى ثم رواه وساكنه: ومن ثوى
ثم من الود ومنعوه: وقال الآخر في التأنيث: ليومنا بمنى اذ نحن ننزلها: اسر من يومنا بالعرج
او ملل: فاما قوله والخير والشر مقرونان في قرن فالقرن الحبل والمراد انهما مجموعان لا يفترقان من حيث
لا يكاد يصيب الانسان في الدنيا خير صرف لا شر فيه فلهذا قيل انهما مقرونان ويجوز ايضا
ان يريد ان سرعة تقلب الدنيا وابدالها الخير بالشر كان الخير والشر مجموعان مع التقارب
ما بينهما فاما الجديدان فهما الليل والنهار وهما الاجدان والملوان والفتيان والردفان و
العصران قال الشاعر: ان الجديدين من طول اختلافهما: لا يفسدان ولكن يفسد الناس
وقال الآخر: وامطله العصرين حتى يملني: ويرضى بنصف الدين والانف راغم: وقال ابو عبيدة
ويقال لليل والنهار ابنا سبات: وانشدني الاعرابي: وكنا وهم كابني سبات تفرقا: سوى
ثم كانا منجدا وتهاميا: ويقال للغداة والعشي القرنان والبردان والصرعان اخبرنا ابو القاسم عبيد الله
بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا ابو عبيد الله محمد الحكيمي قال املى علينا ابو العباس ثعلب النحوي قال
انشدنا ابن الاعرابي لربيع الوالبي: كذبتك ما وعدتك امس صلاح: وعسى يكون لما وعدت
نجاح: ابرئ من السقم الطويل ثمانة: لا يستوي سقم بكم وصحاح: اصلاح انك قد رميت فؤاده: و
جوانح البيت من جراح: ولقد رايتك بالقوادم مرة: وعلي من سدف العشي رواح: معنى رواح
ههنا اي على وقت من العشي ومثله رواح ويوم ريح روحة بالكسر فليس بشيء ما كان بصر لي بغرائر
الصبي: فاليوم قد شغفت لي الاشباح: ومشى بجنب الشخص شخص مثله: والارض نائية الشخوص
براح: حلق الحوادث لمتي فتركنها: واسا يصل كانه مجاح: وذكا باصداغي وفرق رأسي: قبس
المشيب كانه مصباح: قال كانه مجاح من ملاسه والمجاح سهم او قصبة يجعل عليها طين ثم يرمى به
الطير ولهذا الاسناد بعينه ادى الناس للصعلوك حربا فلا ارى: لذي شيبة لا يخيل مضافيا
ادى المال يغشى ذا الوصوم فلا ترى: ويدعى من الاشراف ان كان غانيا: الصعلوك الفقير وهو ايضا
الفرضي الفقير والشرف الوصوم العيوب وبهذا الاسناد لعقيل بن علفة ان يصحب الصديق اذا
احتكه مالي ويكره هجرو الاضغان: وابيت تخلجني الهموم كانني: دلو السقاة تمد بالاشطان: و
اعيش بالبلل القليل وقد ارى: ان الرؤوس مصارع الفتيان: واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا
علي بن ابي منصور قال اخبرني محمد بن موسى عن دعبل بن علي قال قال عقيل بن علفة وذكر الابيات القافية واد
مقل كان به مجاح:

فيهما

فيهما ولقد علمت لتاتين عشية: لا بد ذكرها فهي اذا على النعي بكاء: قال السيد قدس الله روحه وكان عقيل
ابن علفة مع قوة شعره جيد الكلام حكيم الالفاظ وروى المدائني قال قال عبد الملك بن مروان لعقيل بن
علفة المري ما اخس اموالكم فقال ما نال له احد ما غر صاحبه تفضلا قال ثم ايها قال ما اورثنا قال
فايها اشرف قال ما استفدناه بوجه فحولت نعمها وافادت عزا قال فما مبلغ عزكم قال لم يطمع فينا
ولم نؤمن قال فما مبلغ جودكم قال ما عقدنا به منا وابقينا به ذكرا قال فما مبلغ حفاظكم قال يدفع
كل رجل منا عن المستجير به كدفاعه عن نفسه قال عبد الملك هكذا فليصف الرجل قومه وروي انه
قيل لعقيل بن علفة قد عنست بناتك افما تخشى عليهن الفساد قال كلا اني خلفت عندهن
حافظين وبلوتهما قال الجوع والعري قال اجيعهن فلا يأشرن واعريهن فلا يظهرن قال له عبد
الملك يوما ما لك تهجو قومك قال لانهم اشباه الغنم اذا صيح بها رتعت واذا سكت عنها ربضت
وقال انما تقول البيت والبيتين قال حسبي من القلادة ما احاط بالعنق فاما معنى علفة اسم ابيه فان
ابن الاعرابي قال العلفة مثل الباقلاء الرطبة تكون تحت الزهرة من البقل وغيره وقال ابو سعيد
السكري العلفة ضرب من اوعية بذر بعض النبات مثل قشرة الباقلي واللوبيا وهو الغلاف الذي
يجمع عدة حب وقيل ان عقيلا كان يكنى بابي الوليد كان عقيل غيورا موصوفا بشدة الغيرة وروى
ابو عمرو بن العلاء انه حمل يوما ابنة له وانشا يقول: اني وان سيق الى المهر الف وعبدان وذود
عشر: احب اصهاري الى القبر: وذكر الاصمعي ان عقيلا كان لغيرته اذا رأى الرجل يحدث من النساء
اخذه ودقه اذا قاعه ومغالية بن زياد ونطه وطرحه في قرية النمل فلا يعود الى محادثتهن وروى الاصمعي
قال كان عقيل بن علفة في بعض سفره ومعه ابنه العملس وابنته الجرباء فانشد يقول: قضت وطرا من دير
سعد وربما: على عجل ناطحنه بالجماجم: ثم اقبل على ابنه فقال اجز يا عملس فقال واصبحن بالموماة يحملن
فتية: نشاوى من الادلاج ميل العمائم: ثم اقبل على ابنته فقال اجيزي يا جرباء فقالت كان الكرى
سقاهم صرخدية: عقارا تمشت في المطا والقوائم: قال فاقبل على ابنته يضربها ويقول والله ما وصفتها
بهذه الصفة حتى شربتها فوثب عليه اخوها فقاتلوه دونها ثم رماه احدهم بسهم فانتظم فخذيه فقال
عقيل: ان بني رملوني بالدم: من يلق ابطال الرجال يكلم: ومن يكن ذا اود يقوم: شنشنة اعرفها من
اخزم: الشنشنة الطبيعة والسجية وقيل الشيمة وهذا مثل اخذه عقيل وقد قيل قبله وتمثل:
للدهر اثواب فكن في ثيابه: كلبسته يوما اجد واخلقا: وكن اكيس الكيسى اذا كنت فيهم: وان كنت في
الحمقى فكن انت احمقا

مجلس آخر

تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى والى الله ترجع الامور فقال
كيف يصح القول بانها ترجع اليه وهي لم تخرج عن يده الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه احدها ان الناس
في دار المحنة والتكليف قد يغتر بعضهم ببعض فيعتقدون فيهم انهم يملكون جر المنافع اليهم وصرف المضار

قوله تعالى وَالَى الله ترجع الامور

عنهم وقد تدخل عليهم الشبهة لتقصيرهم في النظر وعدولهم عن حججه وطرقه فيعبدون الاصنام و غيرها من المعبودات الجامدة الهامدة التي لا تسمع ولا تبصر ويعبدون البشر ويجعلونهم شركاء لله تعالى في استحقاق العبادة ويضيفون كل هؤلاء افعال الله تعالى فيهم الى غيره فاذا جاءت الآخرة و انكشف الغطاء واضطروا الى المعارف زال ما كانوا عليه في الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل وايقن كل انه لا خالق ولا رازق ولا ضار ولا نافع غير الله تعالى فردوا اليه امورهم وانقطعت آمالهم من غيره وعلموا ان الذي كانوا عليه من عبادة غيره وتاميلهم الضر والنفع من غيره ضلال فقال تعالى والى الله ترجع الامور وفيه وجه آخر من غير رجوع حقيقي وقد تقول العرب قد رجع علي من فلان مكروه بمعنى صار الي منه ولم يكن سبق مكروه الى قبل هذا الوقت وكذلك قد يقولون قد عاد علي من فلان كذا وكذا وان وقع منه على سبيل الابتداء قال الشاعر فان تكن الايام احسن مرة الي فقد عادت لهن ذنوب اي صارت لها ذنوب لم تكن من قبل بل كان قبلها الخير فحمل الآية على هذا المعنى سائغ جائز تشهد له اللغة والوجه الثالث انا قد علمنا ان الله تعالى قد ملك العباد في دار التكليف امورا تنقطع بانقطاع التكليف وافضاء الامر الى دار الآخرة مثل ما ملكه المولى من العبيد وما ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك فيجوز ان يريد تعالى برجوع الامر اليه انتهاء ما ذكرناه من الامور التي يملكها غيره بتمليكه الى ان يكون هو وحده مالكها ومدبرها ويمكن في الآية وجه رابع وهو ان يكون المراد بها ان الامر ينتهي الى ان لا يكون موجود قادر غيره ويقضي الامر في الانتهاء الى ما كان عليه في الابتداء لان قبل ابتداء الخلق هكذا كانت الصورة وبعد افنائهم هكذا تصير فيكون الكلام برجوع الامور اليه عن هذا المعنى وهو رجوع حقيقي لانه عاد الى ما كان عليه متقدما ويحتمل ايضا ان يكون المراد بذلك انه الى قدرته يعود المقدور وذلك ان ما افناه من مقدوراته الباقية كالجواهر والاعراض الباقية ترجع الى قدرته ويصح منه تعالى ايجادها لعودها الى ما كان عليه وان كان في الاعراض ما يصح مقدورا لذات البشر وان كانت باقية لما دل عليه الدليل من اختصاص مقدورات القدر باستحالة العود اليها من حيث لم يجز عليها التقديم والتاخير فهذا ايضا حكم هو تعالى المتفرد به دون سائر القادرين والله اعلم بما اراد

مجلس آخر تاويل آية ان سأل سائل عن قوله عز وجل وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها اي معنى لذكر البيوت لظهورها وابوابها وهل المراد ذكر البيوت المسكونة على الحقيقة او كنى بهذه اللفظة عن غيرها فان كان الاول فما الفائدة في اتيانها من ابوابها دون ظهورها وان كانت كناية فبينوا وجهها ومعناها الجواب قيل له في هذه الآية وجوه اولها ما ذكره ان الرجل من العرب كان اذا قصد حاجة فلم تقض له ولم ينجح فيها رجع فدخل من مؤخر البيت ولم يدخل من بابه تطيرا فاعلمهم الله تعالى ان هذا من فعلهم لا بر فيه وامرهم من التقى بما ينفعهم و

يقربهم

قوله تعالى ليس البر بان تاتوا البيوت الآية

ويقربهم اليه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن التطير فقال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر اي لا يعدي شيء شيئا وقال عليه السلام لا يوردن ذو عاهة على مصح ومعنى هذا الكلام ان من لحقت ابله آفة او مرض فلا ينبغي ان يوردها على ابل غيره صحاح لانه ربما لحق بعض الصحاح مثل هذه العاهة اتفاقا لا لاجل العدوى ولا يؤمن من صاحب الصحاح ان يقول انما لحق ابلي هذه الآفة من تلك الابل وهي علة ابلي فنهى النبي صلى الله عليه وآله عن هذا لئلا ياثم بظن الفريقين والظن القبيح وثانيها ان العرب الا قريشا ومن ولدته قريش كانوا اذا احرموا في غير الاشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من ابوابها ولكن يدخلونها من ظهورها اذا كانوا من اهل الوبر واذا كانوا من اهل المدر نقبوا في بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه ولم يدخلوا ولم يخرجوا من ابواب البيوت فنهاهم الله عز وجل عن ذلك واعلمهم انه لا معنى له وانه ليس من البر وان البر غيره وثالثها وهو جواب ذكره ابو عبيدة معمر بن المثنى ان المعنى ليس البر ان تطلبوا الخير من غير اهله وتلتمسوه من غير بابه واتوا البيوت من ابوابها معناه واطلبوا الخير من جهته ومن عند اهله ورابعها وهو جواب ابي علي الجبائي ان تكون الفائدة في هذا الكلام ضرب المثل واراد ان ياتي الرجل الشيء من خلاف جهته كان اتيانه من خلاف جهته يخرج الفعل عن حد الصواب الى الخطا وبين ان البر التقوى وامرنا بان ناتي الامور من وجوهها وان نفعل على الوجوه التي وجبت وحسنت وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها وابوابها مثلا لان العادل في الامر عن وجهه كالعادل في البيت عن بابه وخامسها ان تكون البيوت كناية عن النساء ويكون المعنى واتوا النساء من حيث امركم الله والعرب تسمي المراة بيتا قال الشاعر ما لي اذا انزعها صايت اكبر غيرني ام بيت اراد بالبيت المراة ومما يمكن ان يكون شاهدا للجواب الذي حكيناه عن ابي علي الجبائي والجواب عن ابي عبيدة ايضا ما اخبرنا به ابو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب قال انشدنا ابن الاعرابي اني عجبت لام الغمر اذ هزئت من شيب راسي وما بالشيب من عار ما شقوة المرء بالاقتار يقتره ولا سعادته يوما باكثار ان الشقي الذي في النار منزله والفوز فوز الذي ينجو من النار لا ادخل البيت احبو من مؤخره ولا اكسر في ابن العم اظفاري ما عوذ بالله من امر يزين لي شتم العشيرة او يدني من العار وخير دنيا ينسي شر آخرة وسوف يكلني الجبار اسراري فقوله لا ادخل البيت احبو من مؤخره يحتمل ان يريد به انني لا آتي الامور من غير وجوهها على احد الاجوبة في الآية ويحتمل ايضا انني لا اطلب الخير الا من اهله على جواب ابي عبيدة ويحتمل وجها آخر وهو ان يريد انني لا اقصد البيت المريبة والفضائح لان من شان من يسعى لفساد حرمه ويقصد البيوت المريبة ان يعدل عن ابوابها طلبا لاخفاء امره فكانه نفى عن نفسه هذا الفعل القبيح ونزه عنه كما تنزه بقوله ولا اكسر في ابن العم اظفاري عن مثله واراد انه لا ينكأ ابن العم بسوء ولا ينال ديته من جهتي فاكون كاني جرحته باظفاري

وكسرها في لحمه وهذه كنايات بليغة مشهورة للعرب ويجري مجرى هذه الابيات في تقاربها في المعنى
وحسن الكناية قول هلال بن خثعم * واني لعف عن زيارة جارتي * واني لمشنوء الي اغتيابها * اذا
غاب عنها بعلها لم اكن لها * زؤورا ولم تانس الي كلابها * وما انا بالداري احاديث بيتها * ولا عالم من
اي حوك ثيابها * فان قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوآت الامور اجتنابها * قال المرتضى
قدس الله روحه وقد جمعت هذه الابيات ضروبا عجيبة وكنايات بليغة لانه نفى عن نفسه زيارة جارته
عند غيبة بعلها وخص حال الغيبة لانها ادخل في الريبة واخص بالتهمة فقال ولم تنبح على كلابها
اراد اني لا اطرقها ليلا ومستخفيا متنكرا فتنكرني كلابها وتنبحني وهذه الكناية تجري مجرى قول
الشاعر المتقدم لا ادخل البيت احبو من مؤخره * وقد روي فلم تانس الي كلابها وهذا معنى اخر كانه
اراد انه ليس يكثر الطروق لها والغشيان لمنزلها فتانس به كلابها لان من شأن الكلاب ان تانس بمن يكون الامر المواصلة في
المواترة وقوله وما انا بالداري احاديث بيتها يحتمل ان يريد به انتفاء التاكيد في نفي زيارتها وطروقها عن نفسه
لانه اذا ادمن الزيارة عرف احاديث بيتها واذا لم يزرها وصار منها لم يعرفه ويحتمل ان يريد انني لا اسأل
عن احوال احاديثها كما يفعل اهل الفضول فنزه نفسه عن ذلك وقوله ولا عالم من اي حوك ثيابها
كناية مليحة عن انه لا يجتمع معها ولا يقرب منها فيعرف صفة ثيابها ومن الابيات المتقدمة لحارثة بن بدر
الغداني * اذا الهم امسى وهو داء فامضه * ولست بمضيه وانت تعادله * ولا تنزلن امر الشديدة بامرئ
اذا هم امرا عوقته عواذله * فلو كل ما حاولته الموت دونه * ولا دونه ارصاده وحبائله * وما الفتك ما امرت
فيه ولا الذي * تحدث من لاقيت انك فاعله * وما الفتك الا لامرئ ذي حفيظة * اذا صال لم ترعد عليه
خصائله * ولا تجعلن سرا الى غير اهله * فتقعد ان امسى عليك تجادله * ولا تنال المال الجميل ولم تكن
غنى بعلياء او بنته اوائله * ارى المال افياء الظلال فتارة * يؤوب واخرى يختل المال خاتله *
معنى امرت شاورت والخصائل كل لحم مجتمع وقد روينا في هذه الابيات زيادة على القدر الذي
ذكرناه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثني
المفضل بن محمد عن ابي المنهال المهلبي قال من الابيات السائرة قول حارثة بن بدر الغداني لعمرك
ما ابقى لي الدهر من اخ * حفي ولا ذي خلة لي اواصله * ولا من خليل ليس فيه غوائل * فشر الاخلاء
الكثير غوائله * وقل للفؤاد ان نزا بك نزوة * من الروع افرخ اكثر الروع باطله * معنى افرخ اي
اسكن يقال افرخ روعه اذا سكن وما كل ما حاولته وذكر البيتين اللذين بعده وزاد وذكر انه
تزعم ... ولا ... للناس بالسر ... اذا امكنت الشيء قل فيه ولا تقل الشيء
الذي انت جاهله ومما يتضمن لحارثة بن بدر قول النابغة كانت تغنيا وزعها وما بعث لا قليلا
عروقها * وان الشجى المنايا نفوسنا * ومنها اخرى ترتع لانه دوقها * وشيبا ...

رعود

رعود المنايا بجيئا وبروقها * قول النابغة كانت تغنيا عروقها مثل ضربه وانما اراد عشيرته واهل
بيته وقد روى هذه الابيات علي بن سليمان الاخفش عن ابي العباس ثعلب وزاد فيها * رايت المنايا باديات
وعودا * الى دارنا سهلا الينا طريقها * وقد قسمت نفسي فريقين منهما * فريق مع الموتى وعندك فريقها
ويجبا نرجي النفس ما هو ذاهب * ومن لا امرئ فيه دونها ما يعوقها * وذكر ابو العيناء قال انشد الاصمعي
عبد الله بن جعفر الطيار الابيات الثلاثة الاول فقال عبيد الله لمن هذا الشعر يا اصمعي فقال
لحارثة بن بدر * ولقد وليت امانة وعجبتها * في المال ما لم يولها ولم اقول * ولقد سمعت النصح من
متقبل * ولقد رددت النصح من لم يقبل * فبه لنفسه لامر التمس * وبحيلة خاب امر احتيل *
يا طالب الحاجات يرجو نجحها * ليس النجاح مع الاخف الاعجل * فاصدق اذا حدثت تكن صادقا
فاذا حلفت مماريا فتحلل * معنى تكن صادقا اي تكون صادقا عند الله وقوله فتحلل اي استثن و
اذا رايت الباهشين الى العلى * غبرا اكفهم بريث فاعجل * معنى الباهشين الى العلى المادين ايديهم الى الشيء
المشتهين له واحدهم باهش ومكان التوق الانثى الباهش * واذا نبا بك منزل فتحول * واذا ابن عمك لج بعض لجاجه
فانظر به غدا ولا تستعجل * واذا افتقرت فلا تكن متخشعا * ترجو الفواضل عند غير المفضل
واستغن ما اغناك ربك بالغنى * واذا تكون خصاصة فتجمل * واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال
اخبرني محمد بن ابي الازهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال كان حارثة بن بدر الغداني رجل بني تميم
في وقته وكان قد غلب على زياد وكان قد غلب عليه الشراب فقيل لزياد ان هذا قد غلب عليك وهو مستهتر
بالشراب فقال زياد كيف باطراح رجل هو يسايرني منذ دخلت العراق لم يصك ركابي ركابه ولا
تقدمني فنظرت الى قفاه ولا تأخر عني فلويت اليه ولا اخذ علي الشمس في شتاء قط ولا الروح في
صيف قط ولا سالته عن علم الا ظننت انه لا يحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله ابنه فقال له حارثة ايها
الامير ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند ابي المغيرة فقال له عبيد الله ان ابا المغيرة قد كان برع بروعا
لا يلحقه معه عيب انا حدث وانما انسب الى من يغلب علي وانت رجل تديم الشراب فمتى قربتك فظهرت
منك رائحة الشراب لم امن ان يظن بي فدع الشراب وكن اول داخل علي واخر خارج فقال له حارثة
انا لا ادعه لمن يملك ضري ونفعي افادعه للحال عندك قال فاختر من عملي ما شئت قال توليني رامهرمز
فانها ارض عذاة وسرق فان بها شرابا وصف لي فولاه اياها فلما شيعه الناس قال انس بن ابي انيس
وقيل ابن ابي اياس الدؤلي * احار بن بدر قد وليت امارة * فكن جرذا فيها تخون وتسرق * ولا تحقرن
يا حار شيئا وجدته * فحظك من ملك العراقين سرق * وباه تميما بالغنى ان للغنى * لسانا به المرء
الهيوبة ينطق * وان جميع الناس اما مكذب * يقول بما يهوى واما مصدق * يقولون اقوالا ولا
يحققونها * فان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا * وهذه الابيات تروى لابي الاسود الدؤلي ...

بها الى حارثة فلما دنا اليه سُرّ وقال ادنُ منها وكن في اليوم ان الذكر يجيء غدا يوم على الناس مطلق
ولا تعجزن فالعجز اوطأ مركب * وما كل من يُدعى الى الخير يرتقي * اذا ما دعاك القوم عدّ لما كان فكل ما
اوجع لست فيه بمحوّق * ويقال ان حارثة بن بدر اجاب عن هذه الابيات بقوله * جزاك اله الناس خير جزائه
فقد قلت معروفا واوصيت كافيا * اشرت بامر لو اشرت بغيره لالفيتني فيه لامرك عاصيا * ويقال
ان حارثة بن بدر دخل الاحنف بن قيس مخلا على ابن زياد فقال لحارثة اي الشراب الطيب فكان بينهم فقال
برة طلساء وبر واقطة قنوية وسمنة عنبرية وسكر موسقية ونطفته من ثانية فقال للاحنف يا ابا
بحر اي الشراب اطيب فقال الخمر قال وما يدريك ولست من اهلها قال رايت فيها خصلتين عرفت انها اطيب
الشراب بهما قال وما هما قال رايت من احلت له لا يتعداها الى غيرها ومن حرمت عليه يتناولها فعرف
انها الطيب الشراب ولحارثة بن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما تغير عليه بعد اختصاصه كان بابيه
اهان واقصى ثم ينتصحونني * واي امرء يعطي نصيحته قسرا * رايت اكف المصلتين عليكم ملاء وكفي
من عطائكم صفرا * ولي مع النار والنايم ينبعه * اذا الحدث الاكبر في عظيم كبرا منه تتلوه تاعلى
ولي مثواة الذي لا استطيع على الكثير ضيرا * وقال الحارثة * وكم من امير قد تجبر بعدما مهدت له الدنيا
فيتبعني هذه * اذا زيغته عن هواه ثنيته * رعاها ولا انقى اذا ما افرقت * اذا ما هي احلولت فخافوا تتقي
ويقيم لي منها اذا ما امرت * زيغته اي دفعته عن ان يحلبها والفواق اجتماع اللبن في الضرع بين الحلبتين
ومعنى امرت تركت حلبها وتشبه ابيات حارثة هذه قول عبد الله بن الزبير الاسدي يعاتب معونيه
ومروان وافضل بنيه من جملة قصيدة وهي ابيات قوافيها حذاء * عطاوكم للضاربين رقابكم * وندعى اذا
ما كان حز الكراكر * اخوكم اخوكم في المضيق وسهمنا * اذا ما قسمتم في الخطاء الاصاغر * وندعى لايذا
ما سالتم * وتلقى فيكم حين تسال الحاسر * فان كان فينا الذنب في الناس مثله * اخذتم به من قبل ازور
معقر من قبل ذا فوا امير اي قبل ان تتهم عنه او تقوم احتجاج * وان نياكم منا قريب ابغضكم لو تفهم
لوما جو من الخاص * فهل يفعل الاعداء * كفعلكم * هوان السراة وابتغاء العواثر * وغيركم
ما فضلتم * وذكر فوا انكم متظاهر * حفاوكم من قام الحرب منكم * واعداوكم من حارب فيتعاشر
ولا تسالوني عن هواكم وذكر * وقلبي في فؤاد فلو تحت ناظر * ولحارثة بن بدر ولما ولقي عليه لعهنه
من خائف ليبغي جوار الحسن ليس مجير * اما القبور فانهن اوانس * بجوار قبرك والديار قبور عمت
فواضله فعم مصابه * فالناس فيه كلهم ماجور * وذكر صنائعه اليه حياته * فكانه من نشرها منشور
قال المرتضى قدس الله روحه واظن ان ابا تمام الطائي نظر الى قول حارثة في صنائعه في قوله الم تمت يا
شقيق النفس مذ زمن * فقال لي لم يمت من لم يمت كرمه * واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد
قال اخبرنا عبد الرحمن ابن اخي الاصمعي عن عمه قال دخل حارثة بن بدر الغداني ومعه كعب مولاه فجعل

لا يمر بمجلس من مجالس تميم الا قالوا مرحبا بسيدنا فقال كعب ما سمعت كلاما قط هو اقر لعيني والذ
في سمعي مما سمعته اليوم فقال حارثة ولكني ما سمعت كلاما قط هو اكره الي منه ثم قال * ذهب الرجال
فسدت غير مسود * ومن الشقاء تفردي بالسؤدد * وهذا البيت يقال انه لحارثة لا انه تمثل به واخبرنا
المرزباني قال حدثني عبد الله بن جعفر قال حدثني محمد بن يزيد قال قال رجل لحارثة بن بدر يا ابا المغيرة
بن قيس فقال لولا انك مستعجل لشاورتك فقال اجل كانوا يكرهون ان يشاوروا الجائع حتى يشبع
والظمآن حتى ينقع والمضل حتى يجد والغضبان حتى يرضى والمحزون حتى يفيق مجلس آخر تاويل
آية ان سال سائل عن قوله تعالى اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب وقيل ظاهر هذه
المدحة فيه الجواب قلنا في ذلك وجوه اولها ان يكون المعنى انه سريع المجازاة للعباد على اعمالهم وان
وقت الجزاء قريب وان تاخر ويجري مجرى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وانما جاز ان
يعبر عن المجازاة والجزاء بالحساب لان ما يجازي به العبد هو كفؤ لفعله وبمقداره فهو حساب له اذ كان مماثلا
مكافيا ومما يشهد بان الحساب يعني المكافاة قوله عز وجل جزاء من ربك عطاء حسابا اي عطاء كافيا
ويقال احسبني الطعام يحسبني احسابا اذا كفاني قال الشاعر واذ لا ترى في الناس حسنا يفوتها وفي
الناس حسن لو تاملت محسب * معناه كاف وثانيها ان يكون المراد انه عز وجل يحاسب الخلق جميعا
في اوقات يسيرة ويقال ان مقدار ذلك مقدار حلب شاة لانه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن
محاسبة غيره بل يكلمهم جميعا ويحاسبهم كلهم على اعمالهم في وقت واحد وهذا احد ما يدل على انه تعالى
ليس بجسم وانه لا يحتاج في فعل الكلام الى آلة لانه لو كان بهذه الصفة تعالى عنها لما جاز ان يخاطب
اثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين ولكان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ولكانت مدة
محاسبته للخلق على اعمالهم طويلة غير متيسرة كما ان جميع ذلك واجب في المحدثين الذين يتكلمون بالآلات
وثالثها ما ذكره بعضهم من ان المراد بالآية انه سريع العلم بكل محسوب وانه لما كانت عادة بني آدم
ان يستعملوا الحساب والاحصاء في اكثر امورهم اعلمهم الله انه يعلم ما يحسبونه بغير حساب وانما سمى العلم
حسابا لانما يراد به العلم وهذا جواب ضعيف لان العلم بالحساب المحسوب لا يسمى حسابا ولو سمي بذلك لما
جاز ايضا ان يقال انه سريع العلم بكذا لان علمه بالشيء مما لا يتجدد فيوصف بالسرعة ورابعها ان الله
سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه يسئل في وقت واحد سؤالات مختلفة من امور
الدنيا والآخرة فيجزي كل عبد بمقدار استحقاقه ومصلحته فيوصل اليه عند غايته ومسئلته
ما فيه وجبه بجيب ومقداره فلو كان الامر على ما يتعارفه الناس لطال العدد واتصل الحساب فاعلمنا تعالى
انه سريع الحساب اي سريع القبول للدعاء بغير احتساب وبحث عن المقدار الذي يستحقه الداعي كما
يحسبه المخلوقون للحساب والاحصاء وهذا الجواب مبني على دعوى لان قبول الدعاء لا يسمى حسابا في لغة

محاسبة الخلق على اعمالهم

قوله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب

ولا عرف ولا شرع وقد كان يجب على من أجاب بهذا الجواب أن يستشهد على ذلك بما يكون حجة فيه والا فلا طائل فيما ذكره ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على أعمالهم يوم القيامة وموافقتهم عليها وتكون الفائدة في الأخبار لسرعة الاخبار عن قرب الساعة كما قال تعالى سريع الحساب في بعض الأحيان يقول فهذا هو الجواب الأول الذي حكيناه وذلك أن بينهما فرقا لأن الأول مبني على أن الحساب في الآية هو الجزاء والمكافأة على الأعمال وفي هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه ومعنى المحاسبة والمقابلة بالأعمال وترجيحها وذلك غير الجزاء الذي يقتضي الحساب اليه وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني متعرضا على أبي علي الجبائي في اعتماده إياه بأن قال مخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد وليس في خفة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضي زجرا ولا هو مما يتوعد بمثله فيجب أن يكون المراد الاخبار عن قرب أمر الآخرة والمجازاة على الأعمال وهذا الجواب ليس أبو علي هو المبتدئ به بل حكي عن الحسن البصري واعتمده أيضا قطرب بن المستنير النحوي وذكره المفضل بن سلمة وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا الطاعن مبطل له لأنه اعتمد على أن مخرج الآية مخرج الوعيد وليس كذلك لأنه تعالى قال فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب فالأشبه بالظاهر أن يكون الكلام وعدا بالثواب راجعا إلى الذين يقولون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويكون راجعا إلى الجميع فيكون المعنى أن للجميع نصيبا مما كسبوا فلا يكون وعيدا خالصا على ما ذكره الطاعن ولكان لقوله تعالى والله سريع الحساب على تأويل من أراد قصر الزمان وسرعة الموافقة وجه وتعلق بالوعد والوعيد لأن الكلام على كل حال متضمن لوقوع المجازاة على أعمال العباد والإحاطة بخيرها وشرها وإن وصف الحساب مع ذلك بالسرعة وفي هذا ترغيب وترهيب لا محالة لأن من علم أنه يحاسب بأعماله ويوافق على جميلها وقبيحها انزجر عن القبيح وعلم ورغب في فعل الواجب فهذا ينصر الجواب أن كنا لا نمنع من أن يحمل الحساب على قرب المجازاة وقرب المجازاة على الأعمال ترغيبا في الطاعات وزجرا عن المقبحات فالتأويل الأول أشبه بالظاهر وبنسق الآية إلا أن التأويل الآخر غير مدفوع ولا مرذول

تأويل آية أخرى إن سأل سائل عن قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فقال أي تمدح في الإعطاء بغير حساب وقد يكون المعطي منا أجزل عطية من المعطي بغير حساب

الجواب قلنا في هذه الآية وجوه أولها أن تكون الفائدة أنه تعالى يرزق من يشاء بغير تقتير من المرزوق ولا احتساب منه فالحساب ههنا راجع إلى المرزوق لا إليه تعالى كما يقول القائل ما كان كذا وكذا في حسابي أي لم أؤمله ولم أقدره فيكون هذا وصف للرزق بأحسن الأوصاف لأن الرزق إذا لم يكن محتسبا كان أهنأ وأحلى وقد روي

الموافقة

عن ابن

عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أنه قال عنى بها أموال بني قريظة والنضير وإنها تصير إليكم بغير حساب ولا قتال وعلى أسهل الأمور وأقربها وأيسرها وثانيها أنه تعالى يرزق من يشاء رزقا غير ضيق ولا مقتر بل من بالغ في السعة والكثرة على كل عطاء المخلوقين فيكون نفي الحساب فيه نفيا للتضييق والتقتير في صفته بالسعة والعرب تسمي العطاء القليل محسوبا قال قيس بن الخطيم أني سريت وكنت غير سروب وتقرب الأحلام غير قريب ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه في النوم غير مصرد محسوب وثالثها أن يكون المعنى أنه يرزق من يشاء من غير طلب المكافأة أو لأداء غرض لعائدة تعود اليه أو منفعة ترجع عليه لأن من شأن أهل الدنيا أن يعطوا ليكافؤوا أو لينتفعوا ولهذا يقول فيمن يقصد بالعطية أمثال هذه الأمور فلان يحاسب الناس فيما يعطيهم يعني أنه يقصد به المكافأة وما أشبه ذلك فلما انتفت هذه الأمور عن عطائه سبحانه جاز أن يقول إنه يرزق بغير حساب ورابعها ما أجاب به قطرب قال معنى الآية يعطي العدد الكثير لأنه لا يضبط الحساب ولا يأتي عليه العدد لأن مقدوره تعالى لا يتناهى وما في خزائنه لا ينحصر ولا يصح عليه النفاد وليس كالمعطي منا الألف من الألفين والعشرة من المائة لأن مقدار ما يجتمع له ويتمكن منه محدود متناه ولا تناهي ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليه وخامسها أنه يعطي عباده في الجنة من النعيم واللذات أكثر مما استحقوا وأزيد مما وجب لهم بحساب استحقاقهم على طاعاتهم كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه لكم ويغفر لكم وكما قال تعالى ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وسادسها أن يكون المعطي منا غيره ربما والرازق سواه رزقا قد يكون له ذلك فيكون فعله حسنا لا يؤاخذ به ولا يحاسب عليه وربما لم يكن له ذلك فيكون فعله قبيحا يؤاخذ به ويحاسب عليه فنفى الله عز وجل من نفسه أن يفعل من الرزق القبيح وما ليس له أن يفعله بنفي الحساب عنه ولينبئنا أنه لا يرزق ولا يعطي إلا على أفضل الوجوه وأحسنها وأبعدها من الذم ويجري الآية مجرى قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وإنما أراد أنه تعالى من حيث كانت أفعاله كلها حسنة غير قبيحة لم يجز أن يسأل عنها وإن سأل العباد عن أفعالهم لأنهم يفعلون الحسن والقبيح معا وسابعها أن الله عز وجل إذا رزق العبد وأعطاه من فضله كان الحساب ساقطا من جهة الناس وليس لأحد أن يقول لم رزق ولا أن يقول لربه لم رزقته ولا يسأله تدبير الرزق وتملكه وإنما يسأله عن إنفاقه في الوجوه التي ينفقه فيها فسقط الحساب من هذه الوجوه عما يرزقه الله تعالى فلذلك قال عز وجل بغير حساب وثامنها أن يكون المراد بمن يشاء أن يرزقه أهل الجنة لأنه يرزقهم رزقا لا يصح أن يتناوله جميعه الحساب ولا العدد والإحصاء من حيث لا نهاية له ولا انقطاع للمستحق منه ويطابق هذه الآية قوله تعالى في موضع آخر فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب

تأويل خبر إن سأل

عن النبي توضؤوا مما غيرت النار

سائل عن الخبر الذي يروى عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال توضؤوا مما غيرت النار
فقال ما المراد بالوضوء ههنا ومذهبكم ان من اكل ما غيرت النار لا يوجب وضوءا **الجواب** ان معنى توضؤوا
اي نظفوا ايديكم من الزهومة لانه روي ان جماعة من الاعراب كانوا لا يغسلون ايديهم من الزهومة
ويقولون فقدها اشد علينا من ريحها فامر عليه السلام بالتنظيف لاجل ذلك فان قيل كيف يصح ان
يحملوا الخبر على اللفظ اللغوي مع انتقاله بالعرف الشرعي الى الافعال المخصوصة بل لا فرق بين من غسل
او وجهه لا يقول بالاطلاق توضأ في معنى سلم لكون الوضوء اصلا من الفاظ لم ينفعكم مع الاستعمال
الذي ذكرناه وكلامه عليه السلام اخص بالعرف الشرعي وحمله عليه اولى من حمله على اللغة قلنا ليس
الاطلاق في الوضوء هو المنتقل من اللغة الى عرف الشرع والمختص بالافعال المعينة وكذلك المضاف الى
الحدث والصلاة وما اشبههما فاما المضاف الى الطعام وما جرى مجراه فباق على اصله الا ترى انهم
لو قالوا توضأت من الطعام او من الغمر او توضأت ... لم يفهم منه الا الغسل والتنظيف واذا
قال توضأت اطلاقا او توضأت من الحدث او للصلاة فهم منه الافعال الشرعية فليس ينكر ما ذكرناه
من اختصاص النقل لانه كما يجوز انتقال اللفظة من فائدة في اللغة الى فائدة في الشرع على كل وجه كذلك
يجوز ان ينتقل على وجه دون وجه ويبقى من الوجه الذي لم ينتقل منه على ما كان عليه في اللغة وقد
ذهب كثير من الناس الى ان اطلاق لفظة مؤمن منتقل من اللغة الى عرف الدين ومختص بمستحق الثواب
وان كان مقيدها باقيا على ما كان عليه في اللغة ويبين ذلك ايضا ما روي عن الحسن انه قال الوضوء
قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وانما اراد غسل اليد بغير شك وروي عن قتادة انه قال غسل
اليد وضوء وروى عكراش ان رسول الله صلى الله عليه وآله اكل وغسل يديه ومسح ببلل يديه وجهه
وذراعيه وراسه وقال هكذا الوضوء مما مست النار على انه لو كانت هذه اللفظة منتقلة على كل
حال الى الافعال الشرعية المخصوصة لجاز ان نحمل في الخبر على خلاف ذلك ونردها الى اصلها بالادلة لان
كان الاولى لولا الادلة ان نحمل على مقتضى الشرع فمن الادلة على ما ذكرناه ما رواه ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وآله وسلم اكل كتف شاة فقام وصلى ولم يتوضأ وروى عطاء عن ام سلمة قالت قربت جنبا
مشويا الى النبي صلى الله عليه وآله فاكل منه وصلى ولم يتوضأ وروى محمد بن المنكدر عن جابر انه قال كان
آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وآله ترك الوضوء مما مست النار وكل هذه الاخبار يوجب العدول
عن ظاهر الخبر الاول عن لو كان له ظاهر فكيف وقد بينا انه لا ظاهر له فاما اشتقاق الوضوء فمن الوضاءة
التي هي الحسن فلما كان من غسل يده ونظفها قد حسنها قيل وضأها يقال فلان وضيء الوجه وقد
وضؤ وضاءة قال الشاعر مساميح الفعال ذوو اناة * مراجيح واوجههم وضاء * والوضوء بضم الواو
وكذلك ايضا التوضؤ والوضوء بفتح الواو اسم ما يتوضأ به وكذلك الوقود اسم لما توقد به النار والوقود بالضم

المصدر ومثله الوقود وقد يجوز ان يكون الوقود بفتح الواو المصدر وكذلك الوضوء بفتح الواو كما
قالوا حسن القبول مصدر وهو مفتوح الاول وقال قوم لا يجوز في الوقود والوضوء الا الضم اذا اريد المصدر
قال جرير ... ذاك ... من مدافع اودا * وقال آخر ... التهيل لاح كالوقود
... المطرد * وقال آخر واجمتا بجلل يفاع لوضح * وقود النار للمتنوبينا * اخبرنا ابو عبيد الله
المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابرهيم
بن المنذر قال حدثني ابرهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن ابن شهاب قال
اتيت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يوما في منزله فاذا هو مغيظ ينفخ فقلت له ما لي اراك هكذا
قال دخلت على اميركم هذا يعني عمر بن عبد العزيز ومعه عبد الله بن عمرو بن عثمان فسلمت فلم يردا
علي السلام فقلت * الا ابلغا عني عراك بن مالك * فان انت لم تفعل فابلغ ابا بكر * فقد جعلت تبدو
شواكل منكما * كانكما بي موقران من الصخر * وطاوعتما بي داعكا ذا معاكة * لعمري لقد اورى وما مثله يوري *
فلولا اتقاء الله بقياي فيكما * للمتكما لوما احر من الجمر * فمسا تراب الارض منها خلقتما * وفيها المعاد
والمقام الى الحشر * ولا تانفا ان تغشيا فتكلما * فما خشي الاقوام شر من الكبر * ولو شئت ادلى فيكما غير
واحد * علانية او قال عندي في سر * معنى لو شئت اغنى بكما عندي غير واحد وقوله ذا معاكة يعني
معك ... وسدد به اذا تعرض به لشر * فان انا لم آمر ولم انه عنكما * ضحكت له حتى يلج ويستشري *
وكيف تريدان ابن سبعين حجة * على ما اتى وهو ابن عشرين او عشر * لقد علقت ... لو كان اذا لو عقل *
من القوم لا يدخل المرض لا تردد قال ابن شهاب فقلت له مثلك يرحمك الله مع نسكك وفقهك وفضلك
وفهمك يقول الشعر فقال ان المصدور اذا نفث برأ وانما ذكر عراك بن مالك وابا بكر بن عمرو بن حزم
لانهما كانا صديقيه فكانه بذكرهما عن ذكر غيرهما وقد جاءت رواية اخرى بان ابا بكر بن حزم وعراك بن مالك كانا
يجتازان على عبيد الله ولا يسلمان عليه فقال الابيات يخاطبهما وروى محمد بن سلام لعبيد الله
بن عبد الله بن عتبة * اذا كان لي سر فحدثته العدا * وضاق به صدري فللناس اعذر * هو السر ما استودعته
وكتمته * وليس بسر حين يفشو ويظهر * وانشد مصعب الزبيري لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود
... واخي نجاء لا استطيع بعضهم * على سر بعض ان صدري لواسع * ... حوت عوف بن غالب *
فذلك ... تبارح لا اطالعه * بلا دعيها ... على قلب حازم * كتوم لما ضمت عليه الاضالع *
بني لي عبد الله في سورة العلى * وعتبة مجدا لا ينال ... والبيت الاول يشبه قول مسكين
الدارمي * وفتيان صدق لست مطلع بعضهم * على سر بعض غير اني جماعها * ومما يستحسن لعبيد الله
بن عبد الله بن عتبة قوله * تغلغل حب عثمة في فؤادي * فباديه مع الخافي يسير * تغلغل حيث لم يبلغ
شراب * ولا حزن ولم يبلغ سرور * تشقق القلب ثم ذر فيه * هواك فليم فالتام الفطور * اكاد اذا ذكرت

قوله تعالى حاكياً عن شعيب قد افترينا على الله كذباً الآية

العهد هذا اطير لو ان انسانا يطير، عني النفس ان دائحا دو يحيي الى وصل فقيرة، واخذ هذا البيت
ابو نواس فقال الحب من قبلي هواك تخلله، فاحلها المأكول والمشروب، واخذه المتنبي فقال ولم
يبق موضع لانباله نديم ولا يفضي اليه شراب، وكان العباس بن الاحنف الم بهذا في قوله لو شق عن قلبي
قرى وسطه اسمك والتوحيد في سطر، وقول عبيد الله احسن من الجميع وبعد بيت المتنبي ولعبيد الله
بن عتبة ايضاً لعمر ابي الحصين ايام تلمشت، لما لا نلاقيها من الدهر اكثر، يعدون يوما واحداً ان
اتيتها، وينسون ما كانت على الدهر تهجر، فان يكن الواشون اغروا بهجرنا، فانا نجد بالمودة اجدر
ومن مستحسن قوله لعمري لئن شطت بعثمة دارها، لقد كنت من وشك الفراق ابيح، اروح بهم ثم
اغدو بمثله، ويحسب اني في الثياب صحيح، اخذ هذا البيت جنار فقصر عنه في قوله يصبح محزونا
ويمسي به، وليس يدري ما له عنده. مجلس آخر تأويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى حاكياً عن
شعيب عليه السلام قد افترينا على الله كذباً ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان
نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا فقال اليس هذا تصريحاً منه بان الله تعالى يجوز ان يشاء الكفر و
القبيح لان ملة قومه كانت كفراً وضلالاً وقد اخبر انه لا يعود فيها الا ان يشاء الله. الجواب قيل له
في هذه الآية وجوه اولها ان تكون الملة التي عناها الله تعالى انما هي العبادات الشرعيات التي
كانت قوم شعيب متمسكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع الى الاعتقاد في الله وصفاته
مما لا يجوز ان تختلف العبادة فيه والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة من حيث تتبع المصالح
والالطاف في المعلوم من احوال المكلفين فكأنه قال ان ملتكم لا نعود فيها مع علمنا بان الله قد نسخها
وازال حكمها الا ان يشاء الله ان يتعبدنا بمثلها فنعود اليها وتلك الافعال التي كانوا متمسكين بها
مع نسخها عنهم ونهيهم عنها وان كانت ضلالاً وكفراً فقد يجوز فيما هو مثلها ان يكون ايماناً وهدى
بل فيها انفسها قد كان يجوز ذلك وليس يجري هذه الافعال مجرى الجهل بالله تعالى الذي لا يجوز ان
يكون الا قبيحاً وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز ان يتعبدهم الله تعالى بتلك الملة
مع قوله تعالى قد افترينا على الله كذباً ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فيقال له لم ينف عوده
اليها على كل وجه وانما نفى العود اليها مع كونها منسوخة منهياً عنها والذي علقه بمشية الله تعالى
من العود اليها هو بشرط ان يأمر بها ويتعبد بمثلها والجواب مستقيم لا خلل فيه وثانيها انه اراد ان ذلك
لا يكون ابداً من حيث علقه بمشية الله تعالى لما كان معلوماً انه لا يشاؤه وكل امر علق بما لا يكون
فقد نفي كونه على ابعد الوجوه ويجري مجرى قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
وكما يقول القائل انا لا افعل كذا حتى يبيض القار او يشيب الغراب وكما قال الشاعر وحتى يؤوب القارظان
كلاهما، وينشر في القتلى كليب لوائل، والقارظان لا يؤوبان ابداً وكليب لا يحشر ابداً فكأنه قال ان

اي الشفق

معنى الملة

لا يكون

لا يكون ابداً وثالثها ما ذكره قطرب بن المستنير من ان في الكلام تقديماً وتأخيراً فان الاستثناء من الكفار
وقع لا من شعيب عليه السلام فكأنه تعالى قال حاكياً عن الكفار لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك
من قريتنا الا ان يشاء الله ان تعود في ملتنا ثم قال حاكياً عن شعيب عليه السلام وما يكون لنا ان نعود فيها
على كل حال ورابعها ان تعود الهاء التي في قوله فيها الى القرية لا الى الملة لان ذكر القرية قد تقدم كما تقدم
ذكر الملة ويكون تلخيص الكلام انا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها الا ان يشاء الله بما ينجزه لنا من
الوعد في الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود اليها وخامسها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يردكم الى
الحق فنكون جميعاً على ملة واحدة غير مختلفة لانه لما قال تعالى حاكياً عنهم او لتعودن في ملتنا كان
معناه ولنكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن ان يقول من بعد الا ان يشاء الله ان يجمعكم معنا على
ملة واحدة فان قيل الاستثناء بالمشية انما كان بعد قوله وما يكون لنا ان نعود فيها فكأنه قال لا نعود
فيها الا ان يشاء الله فكيف يصح هذا الجواب قلنا هو كذلك الا انه لما كان معنى ان نعود فيها انا لا نصير
على ملة واحدة غير مختلفة جاز ان يوقع الاستثناء على المعنى فيقول الا ان يشاء الله ان نتفق في الملة
بان ترجعوا انتم الى الحق فان قيل فكان الله تعالى ما شاء ان يرجع الكفار الى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك
الا انه ما شاءه على كل حال بل من وجه دون وجه وهو ان يؤمنوا ويصيروا الى الحق مختارين ليستحقوا الثواب
الذي اجرى بالتكليف اليه ولو شاءه على كل حال لما جاز ان يقع منهم فكان شعيباً عليه السلام قال انا لا
نكون واحداً ابداً الا بان يشاء الله ان يلجئكم الى الاجتماع معنا على ديننا والموافقة في ملتنا و
الفائدة في ذلك واضحة لانه لو اطلق انا لا نتفق ابداً ولا نصير ملة واحدة لتوهم متوهم ان ذلك
مما لا يمكن بحال من الاحوال فافاد تعليقه له بالمشية على هذا الوجه ويجري قوله الا ان يشاء الله
مجرى قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً وسادسها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله
ان يمكنكم من اكراهنا ويخلي بينكم وبينه فنعود الى اظهارها مكرهين ويقوي هذا الوجه قوله تعالى
اولو كنا كارهين وسابعها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يتعبدنا باظهار ملتكم مع الاكراه لان
اظهار كلمة الكفر قد يحسن في بعض الاحوال اذا تعبد الله تعالى باظهارها وقوله اولو كنا كارهين يقوي
هذا الوجه ايضاً فان قيل فكيف يجوز من نبي من انبياء الله تعالى ان يتعبد باظهار الكفر وخلاف ما جاء
به الشرع قلنا يجوز ان يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكأنه قال وما يكون لي ولا لامتي ان نعود
فيها الا ان يشاء الله ان يتعبد امتي باظهار ملتكم على سبيل الاكراه وهذا جائز غير ممتنع. تأويل
خبر روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال خير الصدقة ما ابقت غنى واليد العليا
خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول فقد قيل في قوله خير الصدقة ما ابقت غنى قولان احدهما ان خير
ما تصدقت به ما فضل عن قوت عيالك وكفايتهم فاذا خرجت صدقتك عنك الى من اعطيته خرجت

الجوى

ان يتعبد

تصدقت

اليد العليا خير من اليد السفلى الحديث

عن استغناء منك فمن عيالك عنها ومثله في الحديث الاخر انما الصدقة عن ظهر غنى وقال ابن عباس
رحمه الله في قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو قال ما فضل عن اهلك والجواب الاخر
ان يكون اراد خير الصدقة ما اغنيت به من اعطيت عن المسألة ان تجزل له في العطية فيستغني بها
ويكف عن المسألة وذلك مثل ان يريد الرجل ان يتصدق بمائة درهم فيدفعها الى رجل واحد محتاج
فيستغني بها ويكف عن المسألة فذلك افضل من ان يدفعها الى مائة رجل لا تبين عليهم والتاويل الاول
يشهد له اخر الخبر وهو قوله وابدأ بمن تعول وتشهد له الحديث الاخر ايضا انما الصدقة عن ظهر غنى
وقوله اليد العليا خير من اليد السفلى قال قوم يريد ان اليد المعطية خير من الاخذة وقال اخرون
العليا هي الاخذة والسفلى هي المعطية قال ابن قتيبة ولا ارى هؤلاء الا قوما استطابوا السؤال
فهم يحتجون للدناءة ولو كان هذا يجوز لقيل ان المولى من فوق وهو الذي اعتق والمولى من اسفل وهو الذي
اعتق والناس انما يعلون بالعطايا لا بالسؤال قال المرتضى رحمه الله عليه وعندنا ان معنى قوله عليه السلام
اليد العليا خير من اليد السفلى غير ما ذكر من الوجهين جميعا وهو ان تكون اليد ههنا هي العطية والنعمة
لان النعمة قد تسمى يدا في مذهب اهل اللسان بغير شك فكانه صلى الله عليه واله اراد ان العطية الجزيلة
خير من العطية القليلة وهذا حث منه عليه السلام على المكارم وتحضيض على اصطناع المعروف وجميل الكلام
واحسنه مخرجا ويشهد لهذا التاويل احد التاويلين المتقدمين في قوله ما ابقت غنى وهذا اشبه
اولى من ان يحمل على الخارج خبرا لان من ذهب الى ذلك وجعل العطية خيرا من الاخذة لا يستمر قوله لان
فيمن ياخذ من هو خير عند الله ممن يعطي ولفظ خير لا يحمل الا على الفضل في الدين واستحقاق الثواب
فاما من جعل الاخذ خيرا من العطية فيدخل عليه هذا الطعن ايضا مع انه قد قال قولا شنيعا وعكس
الامر على ما ذكره ابن قتيبة فان قيل كيف يصح تاويلكم مع قوله عليه السلام خير الصدقة ما ابقت غنى
ومع قوله لا يبقي غنى الا بعد ان تنقص عشيرها واذا كانت العطية التي هي اجزل وافضل فتلك لا تبقي غنى والتي
تبقي غنى ليست الجزيلة وهذا تناقض قلنا اما تاويلنا فطابق للوجهين المذكورين في قوله ما ابقت غنى
لان من تاول ذلك على ان المراد بها المعطي وان خير العطية ما اغنته عن المسألة فالمطابقة ظاهرة ومن
تاوله على الوجه الاخر وحمل ابقاء الغنى على المعطي واهله واقاربه فتاويلنا ايضا مطابق له لانه قد يكون
في العطايا التي تبقي بعدها الغنى على الاهل والاقارب جزيل فخير جزيل فقال عليه السلام خير الصدقة
ما ابقت غنى بعد اخراجها والعطية الجزيلة التي يبقى بعدها غنى خير من القليلة فدح عليه السلام بعد
ابقاء الغنى جزيل العطية وحث على الكرم والفضل اخبرنا ابو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا
ابو عبد الله الحكيمي قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي قال انشدنا ابن الاعرابي لثابت قطنة
العتكي يا هند كيف تنصب يكيني وغابر في سواد العين يؤذيني كان ابلي ولا اصداء بها
وعاذل

حدثة الليل البهيم واعيا من يداويني لما حنى الدهر من عودي وقد دفني شيبي وقاسيت امر العالمين
اذا ذكرت باغنان ادعني هم اذا عرضن لنا دون فيحزنني كان المفضل غرامي دوي من ونغضته
للساكنين غيثا الدمى نحيرا ثابتة من السنين وماكل بيكيني انى تذكرت قتلى لو شهدتهم
في حومة الحرب لم يصلوا بها وحدي لا خير في العيش اذ لم نجن بعدهم حربا تحنى بهم قتلى فتشفيني
في طمع يكل الى طمع وعفة من قوام العيش تكفيني ولست انظر فيما الست يعنيني ولا اركب الامر تزري
بي عواقبه ولا يعاب به عرضي ولا ديني الا تغلبه الجهل خلقي عند مقلته ولا العضيهة من ذي
الضغن تكسبني كم من عدو رماني لو قصدت له لم يأخذ النصف مني حين يرميني قال السيد
المرتضى قدس الله روحه وهذه الابيات يروى بعضها لعروة بن اذينة وتداخل ابياتا على هذا الوزن
وهي التي يقول فيها لقد علمت وما الاسراف من خلقي ان الذي هو رزقي سوف ياتيني اسعى له
فيعنيني تطلبه ولو قعدت اتاني لا يعنيني كم قد اهلت وكم املت من نشب ومن معار بغير ريبة
غير ممنون فما اسرت على شيء وما عرضت نفسي لخلق غير جاسيلوني حيي كريم ونفسي لا تحدثني
ان لا اريد الادون يخليني ولا اشرت الى قطع مكرمة الا سبقت اليه غير مغبون ولا دعيت الى
مجد ومكرمة الا اجبت اليه من يناديني لا ابتغي وصل من يبغي مفارقتي ولا الين لمن لا يبتغي ليني
الى سعى في ممن شاء عرضي ولو كرهت فلهذا الخير يحقيني فنطقي جاهدا واحمد على اذاهم لا
قومك فانظر هل لقيتني وهم يحطئون فرويدن قوله لقد علمت ما الاسراف التين عنه معجزة وذلك
خطأ وانما اراد بالاسراف اني لا استشرف ولا اطمع الى شيء من امور الدنيا ومكاسبها فلا يتعبها نفسي
قال السيد المرتضى قدس الله روحه ولي ابيات في معنى بعض ابيات ثابت قطنة وعروة بن اذينة التي
نقلته وهي من جملة قصيدة طويلة خرجت عنها منذ نحو عشر سنين والابيات تعاقبني نوب الزمان في
حفظه وادني حرب الزمان عن سلمه ونعلم المغرور الدهر انه وانا سر في المرء في الدهر غره وما المرء
الا ابن يوم وليلة يخيم به شهب الفناء ودهمه نعلم بريد الحياة تميته ويغتره وكم لنيم نسيمه
وكان بعيدا من فناء الردى فالقته في كف المنية امه الا ان خير الزاد ما سد فاقة وخير تلاد
الكنز لا اجمه وان الطوى بالعز اعنى بالفتى اذا كان من كسب المذلة طعمه وانى لانهى النفس عن كل لذة
اذا ما ارتقى منها الكريم وصمه واعرض عن نيل الثرا اذا ابدا وفي طيه سوء المقال فدمه اعف وما الفحشاء
عني بعيدة وحسبي في صبري عن الاسراف وما العف عن ليس عن القرب نسيته ولكن من ولى عن السوء
حزمه ولى في معنى قوله وما الاسراف من خلقي ما خامر الرزق فلي حال فخانته ولا قطفته في الدنيا
يد كم قد تودد لم احفل بساداته ولو تجاوز ذنبي ما فتن في غضبي ان اسخط الاسراء وعنه مضطربا
وان ادنى بلا من مذهب احد ومعنى ما خامر الرزق قلبي اي لم اتمنه ولا تطلعت الى حصوله ولا خطر لي

لان

ببال النزهة وتقضا الوضوء وتخصيص نفي شعط البيت في الذوائب ان الذوائب يضرع عندها في اكثر المتنزه ويطلب المتقصف من لزم النزاهة مع الحاجة وشدة الضرورة فهو الكامل المروة ومعنى البيت الثاني ظاهر واما الثالث فالمراد به انني متى اذكره شيئا تمكن من مفارقته والنزوع عنه ولست ممن تضيق حيلته وتقصر يده عن اسنده ذلك فاتجنب ما اكره وفيه فائدة اخرى وهي انني ممن لا تملكه العادة وتقتاده الى هواه بل متى اردت مفارقة خلق الى غيره وعادة الى سواها لم يكن ذلك علي متعذرا من حيث كان الرأي على هواي السلطان والرجحان اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم حدثنا احمد بن يحيى النحوي قال اخبرنا الزبير بن بكار قال حدثني عروة بن عبيد الله بن عروة العقيقي فسمعته ينشد لنفسه ان التي زعمت فؤادك ملها خلقت هواك كما خلقت هوى لها فبك الذي زعمت بها فكلاكما ابدى لصاحبه الصبابة كلها ولعمرها لو كان حبك فوقها يوما وقد ضحيت اذن لاظلها واذا وجدت لها وساوس سلوة شفع الضمير لها الى فسلها بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلباقة فادقها واجلها لما عرضت مسلما لي حاجة اخشى صعوبتها وارجو ذلها منعت تحيتها فقلت لصاحبي ما كان اكثرها لنا واقلها فدنا فقال لعلها معذورة في بعض رقبتها فقلت لعلها قال عروة بن عبيد الله فجاءني ابو السائب المخزومي يوما فسلم علي وجلس الي فقلت له بعد الترحيب الك حاجة يا ابا السائب فقال او كما تكون الحاجة ابيات لعروة بن اذينة بلغني انك سمعتها منه قلت اي ابيات قال وهل يخفى القمر ان التي زعمت فؤادك ملها فانشدته اياها فقال ما يروي هذا الا اهل المعرفة والفضل هذا والله الصادق الود الدائم العهد لا الهذلي الذي يقول ان كان اهلك يمنعونك رغبة عني فاهلي بي اضن وارغب لقد عدا الاعرابي طوره واني لارجو ان يغفر الله لابن اذينة لحسن الظن بها وطلب العذر لها فعرضت له بطعام فقال لا والله حتى اروي هذه الابيات فلما رواها وثب فقلت لم يغفر الله لك حتى تاكل فقال لا والله ما كنت لاخلط بحبي لها واخذي اياها بغيرها وانصرف قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه والهذلي الذي عناه وانشد له هذا البيت هو عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي وقول عروة باكرها النعيم اراد انها لم تعش الا في النعيم ولم تعرف الا الخفض فانها لم تلاق بؤسا وتضريجا … ذلك في حالها … والبكور هو التقدم في كل شيء وكان عروة بن اذينة مع تغزله يعرف بالعفاف والنزاهة وروي ان سكينة بنت الحسين بن علي عليهما السلام مرت به فقالت ابا عامر انت الذي تقول اذا وجدت اوار الحب في كبدي اقبلت نحو سقاء القوم ابترد هبني بردت ببرد الماء ظاهره فمن لنار على الاحشاء تتقد وانت القائل قالت وابثثتها وجدي فبحت به قد كنت عندي تحب الستر فاستتر الست تبصر من حولي فقلت لها غطى هواك وما القي على بصري قال فالتفتت الى جواريها ان كان خرج هذا من قلب سليم وانشد ابو الحسن علي بن احمد

بن احمد

عن احمد بن يحيى لعروة وكان خزامى طلة صابها الندى ووفاة مسك ختمتها باتيابها فكدت لذكرها اطير صبابة وغالبت نفسا زاد شوقا غلابها اذا اقتربت سعدى لججت بهجرها وان تغترب يوما يرعك اغترابها فتى انت هذا تاركك عند هذه سواء تعمري نابها واقترابها وعاد الهوى منها كظل سحابة الا … ثم مرت سحابها قال علم الهدى قدس الله روحه وفيها هذا البيت الاخير من قول كثير وان وهيامي بعزة بعدما تخليت مما بيننا وتخلت لكالمرتجي ظل الغمامة كلما تبوأ منها للمقيل اضمحلت كاني واياها سحابة ممحل رجاها فلما جاوزته استهلت وروى محمد بن علي قال حدثنا ابو عثمان قال اشعر بيت قيل في الحسد والدعاء لهم بالكثرة اذ بغير ما قول الكميت بن زيد ان يحسدوني فاني غير لائمهم قبلي من الناس اهل الفضل قد حسدوا فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات اكثرنا غيظا بما يجد انا الذي يجدوني في صدورهم لا ارتقي صدرا منها ولا ارد لا ينقص الله حسادي فانهم اسر عندي من اللائي لهم ودد وقال عروة بن اذينة لا يبعد الله حسادي وزادهم حتى يموتوا بداء في مكنونه اني رأيتهم في كل منزلة اجل قدرا من اللائي يحبوني وقال نصر بن سيار ان يحسدوني على ما بي وما بهم فمثل ما بي مما يجلب الحسدا وقال معن بن زائدة اني حسدت فزاد الله في حسدي لا عاش من عاش يوما غير محسود ما يحسد المرء الا من فضائله بالعلم والظرف او بالباس والجود وقال المرتضى قدس الله روحه ولقد لحظ البحتري هذا المعنى في قوله محسد بخلال فيه فاضلة وليس تفترق النعماء والحسد واظن ابا العتاهية اخذ قوله كم عايب لك لم اسمع مقالته ولم يزدك لدينا غير تزيين كان عائبكم يبدي محاسنكم وصفا فيمدحكم عندي ويعزيني ما فوق حبك حب لست اعلمه فلا يضرك ان لا تستزيديني من قول عروة بن اذينة لا تعذ سعدى ان تجنى يحجب نوما ولا قربها ان جم يشفيني اذا الوشاة لحوا فيها عصيتهم وخلته ان تعصيك وقد اخذ ابو نواس هذا المعنى في قوله ما حطك الواشون عن رتبة عندي ولا ضرك مغتاب كانهم اثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا ولعروة بن اذينة في روعنا الحب بمقبلات و تلهو احين تحمى في اهبابك كروعة تلك لغار ذئب فلما غاب عادت راتعات الثلة القطع من الضان وهذا المعنى قد سبق عليه بعض الاعراب فقال وحدث دوغائب لذي كل فزعة وبرع تنينا وما جاءنا امن فانا لا كثر ان تبدينا لك البدن فاندم … بها السد اخذ ابو تمام في قوله اذا ما رايتم سنين رعتهم وان غبتم ملتم الى صبواتها واخذ عروة قوله ان القمر مثل الهلال له … ليالي … ونفته … كان بيلى ويبقى الحب الخلق … من قول بعض شعراء طي مهما يكن ريب الزمان فانني ارى قمر الليل المعذب كالفتى يهل صغيرا ثم يعظم ضوؤه وصورته حتى اذا ما هو استوى تقارب يخبو ضوؤه وشعاعه ويمصح حتى يستتر فلا يرى كذلك زيد المرء

تأويل قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين الآية

ثم استفاضه ويعود الى مثل الذى كان قد بدأه أخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال المرء مثل هلاله
عند طلعه يبدو ضئيلاً ضعيفاً ثم يتسق بيناً حتى اذا ما تم اعقبه كر الجديدين نقصاً ثم
ينمحى **مجلس آخر** تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك
سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل
هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون
به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد
علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون فقال كيف
ينزل الله سبحانه السحر على الملائكة أم كيف تعلم الملائكة الناس السحر والتفريق بين المرء وزوجه وكيف
تنسب الضرر الواقع عند ذلك الى انه باذنه وهو تعالى قد نهى عنه وحذر من فعله وكيف اثبت
العلم لهم ونفاه عنهم بقوله ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ثم بقوله لو كانوا
يعلمون **الجواب** قلنا فى الآية وجوه كل منها يزيل الشبهة الداخلة على من لا يمعن النظر فيها اولها
ان يكون ما فى قوله تعالى وما انزل على الملكين بمعنى الذى فكأنه تعالى اخبر عن طائفة من اهل الكتاب
بانهم اتبعوا ما تكذب فيه الشياطين على ملك سليمان وتضيفه اليه من السحر فبرأه الله عز وجل من
قرفهم واكذبهم فى قولهم فقال تعالى وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا باستعمال السحر
والتمويه على الناس ثم قال يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين واراد انهم يعلمونهم السحر الذى
انزل على الملكين وانما انزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك
ويعرفاه الناس فيجتنبوه ويحذروا منه كما انه تعالى قد علمنا ضروب المعاصى ووصف لنا احوال
القبائح لنجتنبها لا لنواقعها الا ان الشياطين كانوا اذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه واقدموا على فعله و
ان كان غيرهم من المؤمنين لما عرفه اجتنبه وحاذره وانتفع باطلاعه على كيفيته ثم قال وما يعلمان
من احد يعنى الملكين ومعنى يعلمان يُعلِمان والعرب تستعمل لفظة علّم بمعنى اعلم قال القطامى
تعلّم ان بعد الغى رشداً وان لذلك الغى انقشاعا وقال كعب بن زهير تعلّم رسول الله انك مدركى
وان وعيداً منك كالاخذ باليد ومعنى تعلّم فى البيتين معنى اعلم والذى يدل على ان هاهنا الا
الاعلام لا التعليم قوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر اى انهما لا يعرفان صفة
السحر وكيفيته الا بعد ان يقولا انما نحن محنة لان الفتنة بمعنى المحنة وانما كان محنة من حيث القيا
الى المكلفين امراً لينزجروا عنه وليمتنعوا من مواقعته وهم اذا عرفوه امكن ان يستعملوه ويرتكبوه فقالا
لمن يطلعانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض فى القائه اليك فانه انما القى اليك
واطلعت عليه لتجتنبه لا لتفعله ثم قال فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه اى فيعرفون

من جهتهما

من جهتهما ما يستعملونه فى هذا الباب وان كان الملكان ما القياه اليهم لذلك ولهذا قال ويتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم لما قصدوا بتعلمه ان يفعلوه ويرتكبوه لا ان يجتنبوه صار ذلك بسوء
اختيارهم ضرراً عليهم وثانيها ان يكون ما انزل موضع جر فيكون معطوفاً بالواو على ملك سليمان
والمعنى واتبعوا ما كذبت به الشياطين على ملك سليمان وعلى ما انزل على الملكين ومعنى انزل على
الملكين اى معهما او على السنتهما كما قال تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اى على السنتهم
ومعهم وليس بمنكر ان يكون ما انزل معطوفاً على ملك سليمان وان اعترض بينهما من الكلام ما اعترض
لان رد الشئ الى نظيره وعطفه على ما هو اولى به هو الواجب وان اعترض بينهما ما ليس منهما ولهذا نظائر
فى القرآن وكلام العرب كثيرة قال الله تعالى الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا
قيما وقيم من صفات الكتاب لا حال منه لا من صفة عوج وان تباعد ما بينهما ومثله يسئلونك عن
الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام فالمسجد الحرام هاهنا
معطوف على الشهر الحرام اى يسئلونك عن الشهر الحرام وعن المسجد الحرام وحكى عن بعض علماء اهل
اللغة انه قال العرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمى بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد الى كل خبره
كقوله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وهذا واضح
فى مذهب العرب كثير النظائر ثم قال تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة والمعنى
انهما لا يعلمان احداً بل ينهيان عنه ويبلغ من نهيهما عنه وصدهما عن فعله واستعماله ان يقولا
انما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال السحر والاقدام على فعله وهذا كما يقول الرجل ما امرت فلاناً بكذا
ولقد بالغت فى نهيه حتى قلت له انك ان فعلته اصابك كذا وكذا وهذا هو نهاية البلاغة فى الكلام
والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعانى الكثيرة لانه استغنى بقوله تعالى وما يعلمان من احد
حتى يقولا انما نحن فتنة عن بسط الكلام الذى ذكرناه ولذلك نظائر فى القرآن قال الله تعالى ما اتخذ
الله من ولد وما كان معه من اله اذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض فلولا الاختصار
لكان مع شرح الكلام يقول ما اتخذ الله من ولد وما كان معه اله اذاً لذهب كل اله بما خلق ومثله
قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا
العذاب اى فيقال للذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم واستغنى بالكلام عن ان يورده ثم قال تعالى
فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وليس يجوز ان يرجع الضمير على هذا الجواب الى الملكين
وكيف يرجع اليهما وقد نفى عنهما التعليم بل يرجع الى الكفر والسحر وقد تقدم ذكر السحر وتقدم
ايضا ذكر ما يدل على الكفر ويقتضيه فى قوله ولكن الشياطين كفروا فدل كفروا على الكفر والعطف
عليه مع السحر جائز وان كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه ومثل ذلك قوله عز وجل سيذكر من يخشى

ويجتنبها الاشقى اي يجتنب الذكرى الاشقى ولم يتقدم تصريح بالذكرى لكن دل عليها قوله سيذكر
ويجوز ان يكون معنى فيتعلمون منهما اي بدلا مما علمهم الملكان ويكون المعنى انهم يعدلون عما علمهم
وحثهم عليه الملكان من النهي عن السحر الى تعلمه واستعماله كما يقول القائل ليت لنا من كذا وكذا اي
بدل كما قال الشاعر جمعت من الخيرات وطبا وعلبة وصرا لاخلاف المزممة البزل ومن كل اخلاق
الكرام نميمة وسعيا على الجار المجاور بالمحل يريد جمعت مكان الخير الشر ومكان اخلاق الكرام هذه
الاخلاق الذميمة وقوله ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجهان احدهما ان يكونوا يغوون احد
الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجه الاخر المؤمن المقيم على دينه
فيفرق بينهما اختلاف النحلة والملة والوجه الاخر ان يسعوا بين الزوجين بالنميمة والوشاية والاغراء و
التمويه بالباطل حتى يؤول امرهما الى الفرقة والمباينة وثالث الوجوه في الاية ان يحمل ما في قوله وما انزل على الملكين
على الجحد والنفي فكانه قال واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولا انزل الله السحر على
الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون قوله ببابل هاروت وماروت
رد من المؤخر الذي معناه التقديم ويكون على هذا التاويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس
هذان اسماهما وانما ذكرا بعد ذكر الناس تمييزا وتبيينا ويكون الملكان المذكوران اللذان نفي عنهما
السحر جبريل وميكائيل عليهما السلام لان سحرة اليهود فيما ذكر كانت تدعي ان الله انزل السحر على لسان جبريل و
ميكائيل الى سليمان بن داود عليهما السلام فاكذبهما الله تعالى بذلك ويجوز ان يكون هاروت وماروت
يرجعان الى الشياطين فكانه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما يسوغ في
قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين يعني حكم داود وسليمان عليهما السلام ويكون قوله تعالى على هذا
التاويل وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة راجعا الى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين
او من الانس المتعلمين للسحر من الشياطين والعاملين به ومعنى قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر يكون
على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالع كما يقول الماجن من الناس اذا فعل قبيحا او قال باطلا هذا
فعل من لا يفلح وقول من لا يحبب والله ما حصلت الا على الخسران وليس ذلك منه على سبيل النصح للناس
وتحذيرهم من مثل فعله بل على جهة المجون والتخالع فيجوز ايضا على هذا التاويل الذي يتضمن النفي
والجحد ان يكون هاروت وماروت الملكين ونفى عنهما انزال السحر بقوله وما انزل على الملكين ويكون
قوله وما يعلمان من احد يرجع الى القبيلين من الجن والانس او الى شياطين الجن والانس فتحسن التثنية لهذا او
قد روي هذا التاويل الاخير من حمل ما على النفي عن ابن عباس رحمه الله وغيره من المفسرين وروي عنه
ايضا انه كان يقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين انما كانا ملكين وعلى
هذه القراءة لا ينكر ان يرجع قوله وما يعلمان من احد اليهما فاما على هذه القراءة في الاية وجه اخر

وانه

هذان اسماهما

وان يحمل قوله وما انزل على الملكين على الجحد والنفي وهو ان يكون هؤلاء الذين اخبر عنهم انهم اتبعوا ما تتلوا
الشياطين ونفى عنه على ملك سليمان واتبعوا ما انزل على هذين الملكين من السحر فما يكون الانزال مضافا
الى الله سبحانه تعالى وان اطلق لانه جل وعز لا ينزل السحر بل يكون منزله اليهما بعض الضلال والعصاة
ويكون معنى انزل وان كان من الارض حمل اليهما لا من السماء انه اتى به من نجود البلاد واعاليها فان من
هبط من نجد البلاد الى غورها يقال نزل وهبط وما جرى هذا المجرى واما قوله تعالى وما هم بضارين به
من احد الا باذن الله فيحتمل وجوها منها ان يريد بالاذن العلم من قولهم اذنت فلانا بكذا اذا اعلمته
واذنت بكذا اذا استمعته وعلمته قال الشاعر في سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ماذي مشار و
منها ان لا يكون الا بتخليته فيكون المعنى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويجري مجرى قول
احدنا لقيت زيدا الا اني اكرهه اي لقيت زيدا فاكرهته ومنها ان يكون اراد بالاذن التخلية و
ترك المنع فكانه افاد بذلك ان العباد لن يعجزوه وما هم بضارين من احد الا بان يخلي الله تعالى بينهم وبينه
ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر زائدا على منعهم بالزجر والنهي ومنها ان يكون الضرر الذي عني انه لا
يكون الا باذنه واضافه اليه هو ما يلحق المسحور من الادوية والاغذية التي يطعمه اياها السحرة ويدعون
انها موجبة لما يقصد ونحوه من الامور ومعلوم ان الضرر الحاصل عن ذلك من فعل الله تعالى
بالعادة لان الاغذية لا توجب ضررا ولا نفعا وان كان المعرض للضرر من حيث كان كالفاعل له هو المستحق
للذم وعليه يجب العوض ومنها ان يكون الضرر المذكور انما هو ما يحصل عن التفريق بين الازواج لانه
اقرب اليه في ترتيب الكلام والمعنى انهم اذا اغووا احد الزوجين فكفر فبانت منه زوجته فاستضر
بذلك كانوا ضارين له بما حسنوه له من الكفر الا ان الفرقة لم تكن الا باذن الله وحكمه لانه تعالى هو الذي
حكم وامر بالتفريق بين المختلفي الاديان فلهذا قال وما هم بضارين به من احد الا باذن الله والمعنى
لولا حكم الله وامره بالفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له هذا الضرب من
الضرر الحاصل عند الفرقة ويقوي هذا الوجه ما روي انه كان من دين سليمان عليه السلام انه من سحر
بانت منه امراته فاما قوله عز وجل ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق ثم قوله لو كانوا
يعلمون ففيه وجوه اولها ان يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين او
الذين خبر عنهم بانهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمان والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر وشروا به انفسهم وثانيها ان يكون الذين
علموا هم الذين لم يعلموا الا انهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره فكانه تعالى وصفهم بانهم عالمون بانه
لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصيرون اليه من عقاب الله الذي
لا نفاد له ولا انقطاع وثالثها ان يكون الفائدة في نفي العلم بعد اثباته انهم لم يعملوا بما علموا فكانهم

عدي بن زيد

لم يعلموا وهذا كما يقول احدنا لغيره ما ادعوك اليه خير لك واعود عليك لو كنت تعقل وتنظر في
العواقب وهو يعقل وينظر في العواقب لانه لا يعمل بموجب علمه فحسن ان يقال له مثل هذا القول وقال
كعب بن زهير يصف ذئبا وغرابا تبعاه ليصيبا من زاده اذا حضراني قلت لو تعلمانه الم تعلما اني من الزاد
مرمل فنفى عنهما العلم ثم اثبته بقوله الم تعلما وانما المعنى في نفيه العلم عنهما انهما لم يعملا بما علما
فكانهما لم يعلما وثانيهما ان يكون المعنى ان هؤلاء القوم الذين قد علموا ان الاخرة لا حظ لهم فيها
مع علمهم الضيع لانهم ارتكبوه طمعا في حطام الدنيا وزخرفها فقال تعالى ولبئس ما شروا به انفسهم
لو كانوا يعلمون ان الذي آثروه وجعلوه عوضا من الاخرة لا يتم لهم ولا يبقى عليهم وانه منقطع زائل
مضمحل باطل وان المآل الى الشقوة في الاخرة وكل ذلك واضح بحمد الله مجلس آخر تاويل خبر روى عقبة
بن عامر عن النبي صلى الله عليه واله انه قال لو كان هذا القرآن في اهاب ما مسته النار وقد
ذكر متأولو حديث النبي صلى الله عليه واله في هذا الخبر وجوها كثيرة كلها غير صحيح ولا شاف وانا   ذكروا
اذكر ما اعتمدوه وابين ما فيه ثم اذكر الوجه الصحيح قال ابن قتيبة ذهب الاصمعي الى ان من تعلم
القرآن من المسلمين لو القي في النار لم تحرقه فكنى بالاهاب وهو الجلد عن الشخص والجسم واحتج على تاويل
هذا الحديث بما روى عن سليمان بن محمد قال سمعت ابا امامة يقول اقرأوا القرآن ولا تغرنكم هذه
المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن قال ابن قتيبة وفي الحديث تاويل آخر وهو ان   المعلقين
القرآن في جلد ثم القي في النار على عهد رسول الله صلى الله عليه واله لم تحرقه النار على جهة الدلالة
على صحة امر النبي صلى الله عليه واله ثم انقطع ذلك بعده قال فجرى هذا مجرى كلام الذئب
وشكاية البعير وغير ذلك من آياته عليه السلم قال وفيه تاويل ثالث وهو ان يكون لا احراق ولا معنى
عن القرآن لا عن الاهاب ويكون معنى الحديث لو جعل القرآن في اهاب ثم القي في النار ما احرق
القرآن فكان النار تحرق الجلد والمداد ولا تحرق القرآن لان الله سبحانه يمنعه ويرفعه من الجلد
صيانا عن الاحراق وقال ابو بكر محمد بن القسم الانباري رادا على ابن قتيبة معترضا عليه ما اعتبرنا
ابن قتيبة من ذلك كله فما وجدنا فيه شيئا صحيحا اما قوله الاول فيرده ما روى عنه عليه السلم من قوله
يخرج من النار قوم بعد ما يحرقون فيها فيقال هؤلاء الجهنميون طلقاء الله عز وجل قال وقد   يحرقون
روى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه واله قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
قال الله سبحانه انظروا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجوه منها قال ابو بكر   ايمانا
وكيف يصح قول ابن قتيبة في تعميمه ان النار لا تحرق من قرأ القرآن ولا خلاف بين المسلمين في الخوارج
وغيرهم ممن يلحد في دين الله تعالى ويقرأ القرآن تحرقهم النار بغير شك واحتجاجه بخبر ابي امامة
ان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن ومعناه قرأ القرآن وعمل به فاما من حفظ الفاظه وضيع حدوده

فانه غير واع له فان فاما قوله انه من دلائل النبوة التي انقطعت بعده فما روى هذا الحديث احد انه كان
في دلائله عليه السلم ولو اراد ذلك دليلا لكان صلى الله عليه واله يجعل القرآن في اهاب ثم يلقيه   كان
في النار فلا يحرق قال وقول ابن قتيبة الثالث لا تحرق الجلد والمداد ولم تحرق القرآن غير صحيح لان الذي
يصحح هذا القول يوجب ان يكون القرآن غير المكتوب وهذا محال لان المكتوب في المصحف هو القرآن والدليل
على هذا قوله تعالى انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون ومنه الحديث لا تسافروا
بالقرآن الى ارض العدو وانما اريد المصحف قال ابو بكر والقول عندنا في تاويل هذا الخبر انه لو كان القرآن   اراد
في جلد ثم القي في النار ما ابطلته لانها وان احرقته فانها لا تبطله اذ كان الله عز وجل قد ضمنه القلوب
الاخيار من عباده والدليل على هذا قوله عز وجل للنبي صلى الله عليه واله فيما يحكيه عنه اني منزل   فيما روى انه
عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظان فلم يرد تعالى ان القرآن لو كتب في شيء ثم غسل بالماء
لم يغسل وانما اراد ان الماء لا يبطله ولا يدرسه اذ كان القلوب تعيه وتحفظه قال ومثل هذا كثير
في كتاب الله وفي لغة العرب قال الله تعالى يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى
بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا فهم قد كتموا الله تعالى لما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وانما
اراد تعالى ولا يكتمون الله حديثا في حقيقة الامر لانهم وان كتموه في الظاهر فالذي كتموه غير مستتر
عنه قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه والوجه الصحيح في تاويل الخبر غير ما ذكرهما ابن قتيبة وابن
الانباري جميعا وهو ان هذا من كلام النبي صلى الله عليه واله على طريق المثل والمبالغة في تعظيم شان
القرآن والاخبار عن جلالة قدره وعظم خطره والمعنى انه لو كتب في اهاب والقي في النار وكانت النار
مما لا يحرق شيئا لعلو شانه وجلالة قدره لم تحرقه النار ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب وامثالهم
كثيرة ظاهرة لا تخفى على من له ادنى انس بمذاهبهم وتصرف كلامهم فمن ذلك قوله تعالى لو انزلنا   لاخفاء
هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم
يتفكرون ومعنى الكلام انا لو انزلنا القرآن على جبل وكان الجبل مما يتصدع اشفاقا من شيء او خشية
لامر لتصدع مع صلابته وقوته فكيف بكم معاشر المكلفين مع ضعفكم وقلتكم فانتم اولى
بالخشية والاشفاق وقد صرح الله بان الكلام خرج مخرج المثل بقوله وتلك الامثال نضربها للناس
لعلهم يتفكرون ومثله قوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ومثله
قول الشاعر اما وجلال الله لو تذكرينني كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا فقالت بلى والله
ذكرا لو انه يضمنه صم الصفا لتصدعا ومثله فلو ان ما بي بالحصا فلق الحصا وبالريح لم يسمع   بالحصى
لهن هبوب ومثله وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت ابكي عنده واخاطبه واسقيه حتى
كاد مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة يقولون هذا

كلام يفلق الصخر ويهدّ الجبال ويصرع الطير وينزل الوعول وغير ذلك مما يكذب منهم بل المعاند
يحسه وعاد وتمرد على الاعتراف بفعل مثل هذه الامور لو قالت ولو كانت مما يتهيأ ويتيسر لشيء من الكلام
لتسهلت ومن اجله فاما الجواب الاول المحكي عن ابن قتيبة فالذي عندنا انه زائد على ما رده ابن الانباري
انه لو كان الامر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الاصمعي لكان النبي صلى الله عليه وآله قد اغرانا
بالذنوب لانه اذا امننا حافظ القرآن وجعله من دخول النار والعذاب فيها دكن المكلفون في
تعلّم القرآن والاقدام على القبائح آمنين غير خائفين وهذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وآله ومعنى
في قولنا في امامه ان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الانباري فاما جواب ابن
قتيبة الثاني فبين لم ان ذلك مختص بزمانه عليه السلام وليس في اللفظ ولا في غيره دلالة عليه
واقوى ما يبطله انه لو كان هذا كما ذكر لما جاز ان يخفى على جماعة المسلمين الذين رووا جميع معجزاته
وضبطوها وفي وجداننا من يروي ذلك فيجمعه وغيبي بخبر عارف بهذه الدلالة وبلا بد ابطال
لما توهمه فاما الجواب الثالث فباطل لان القرآن في الحقيقة ليس يحل الجلد ولا يكون فيه حتى يجب
الاحتراق الى الجلد دونه واذا كان الامر على هذا لم يكن في قوله ان الاهاب هو المحترق دون
القرآن فائدة لان هذه سبيل كل كلام كتب في اهاب او في غيره اذا احترق الاهاب لم يضف
الاحتراق الى الكلام لاستحالة هذه الصفة عليه ومن عجيب الامور قول ابن الانباري وهذا يدل
ان القرآن غير المكتوب لان كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنه بل يوجب ضده من ان المكتوب
هو القرآن وقد اعلق الاحتراق بالكتابة والجلد دون المكتوب الذي هو القرآن واذا كان
المكتوب في المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الانباري فما المانع من قول ابن قتيبة ان الجلد
يحترق دونه لان احدا لا يقول ان الجلد هو القرآن وانما يقول قوم انه مكتوب فيه واذا كان
غيره لم يمتنع اضافة الاحتراق الى احدهما دون الآخر وهذا كله تخليط من الرجلين لان القرآن غير
حال في الجلد على الحقيقة وليست الكتابة غير المكتوب انما الكتابة امارة للحروف فاما ان تكون هي الكلام
على الحقيقة او يوجد معها الكلام مكتوبا فمحال واما اشتغالهما بمعنى ذلك في الآية وبقوله لا تسافروا
بالقرآن فذلك تجوّز وتوسع وليس يجب ان يجعل اطلاق الالفاظ المحتملة دليلا على اثبات الاحكام
والمعاني ومعترضة على ادلة العقول وقد يتجوز القوم باكثر من هذا فقالوا في هذا الكتاب شعر امرئ القيس
وعلم الشافعي وفقه فلان ولم يقتض ذلك ان يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودين في الدفتر وقد
بيّنّا الكلام في هذا الباب في مواضع هي اولى به فاما جواب ابن الانباري الذي ارتضاه لنفسه فباطل
ايضا فيه لانه لا مزية للقرآن فيما ذكره على كل كلام وشعر في العالم لانا نعلم ان الشعر والكلام المحفوظ
في صدور الرجال اذا كتب في جلد ثم احترق لو ذهب لم يذهب ما في الصدور منه بل يكون ثابتا بحاله فاي

مزية

يتهمل
يبطله

مزية للقرآن في هذا على غيره واي فضيلة فان قال ان وجه المزية ان غير القرآن من الشعر وغيره يمكن ان يبدل
ويبطل باحراق النار والقرآن اذ كان هو تعالى المتولي لايداعه الصدور لا يتم ذلك فيه قلنا الكل
سواء لان غير القرآن انما يبطل باحتراق الاهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظا مودعا للصدور ومتى كان
في هذه الصفة لم يبطل باحتراق الجلد وهكذا القرآن لو لم يحفظ في الصدور لبطل بالاحتراق وكتبه لا يحفظ
بهذا الشرط فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثباته كالشرط في بطلان القرآن وثباته فلا مزية على هذا
الجواب للقرآن فيما خصّ به من ان النار لا تمسه وهذا يبين انه لا وجه غير ما ذكرناه في الخبر وهو اشبه
بمذاهب العرب واولى بتفضيل القرآن وتعظيمه اخبرنا ابو الحسين علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد
قال انشدنا ابو حاتم قال ابن دريد وانشدنا عبد الرحمن يعني ابن اخي الاصمعي عن عمه للحسين بن مطير الاسدي
قال عبد الرحمن قال عمي لو كان شعر العرب هكذا لما اتهم منشده الا حبّ بالبيت الذي انت هاجره وانت
بتلماح من الطرف اي زائره فانك من بيت الى المعجب واملح في عيني من البيت عامره اصدّ حياء ان يلج
بي الهوى وفيك المنى لولا عدوّ احاذره وفيك حبيب النفس لو تستطيعه لمات الهوى والشوق حين
تخاوره فان آته لم انج الا بظنة وان يأته غيري تنط بي جرائره وكان حبيب النفس للقلب واتره
وكيف يحب القلب من هو واتره فان يك للاعداء اجمل كلامه علينا فلن نخفي علينا مناظره
فيا سلمي على هجرنية ولا ماس في حب يعف سرائره وبالعاذلي لولا نفاسة حبها عليك لما باليت انك
اخابره بنفسي من لا بد اني هاجره ومن انا في الميسور والعسر ذاكره ومن قد لحاه الناس حتى اتقاهم
ببغضي الا ما يخن ضمائره احبك يا ليلى [illegible] عاذره
او الحب فاغض ولو صح [illegible] فلا املك يا سلمى [illegible] فلا عجبي [illegible]
قل خاطره الا لا ابالي [illegible] اذا ثمد البرقاء لم يجل حاضره وانشدنا [illegible] الحسين بن مطير
لعمرك للبيت الذي لا نطوره احب الينا من بلاد نطوفها تقلبت الاخوان حتى عرفتهم
ولا يعرف الاخوان الا خبيرها ولا اصرم الخلان حتى يصارموا وحتى يسيروا سيرة لا اسيرها
فانك بعد الشر ما انت واجد خليلا مديما شيمة لا يديرها [illegible]
[illegible] وانك في بعض الاخلاء عالم بيان التي يخفى عليك ضميرها فلا انت معروفا تجيء
صاحب من الود لا تدري علام مصيرها وما الجود عن فقر الرجال ولا الغنى ولكنه خيم الرجال
وخيرها وقد تغدر الدنيا فيضحى غنيها فقيرا ويغنى بعد بؤس فقيرها وكاين نرى من حال دنيا
تغيرت وحال صفا بعد اكدرار غديرها ومن طامع في حاجة لن ينالها ومن يائس منها اتاه
بشيرها ومن يتبع ما يعجب النفس لم يزل مطيعا لها في فعل شيء يضيرها فنفسك اكرم عن امور كثيرة
فما لك نفس بعدها تستعيرها قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه ومعنى قوله في بيت ابن مطير وقد تغدر

ابن مطير

الدنيا والبيت لذي نعلنا من جملة قصيدة : وكيف اذن الدنيا وليست لي : الا امر الله تعوي من
عواذيها : نصبو اليها بالمال مجتبرة : كاننا ما نرى عيني انا بها : وحشة الدار ممن كان يسكنها
كل اغتباط لمن قد طال ثاويها : لا تكذبن فما قلبي بطاو قتلنا : وقد رابت طلول من مغانيها : واخبرنا
ابو عبيد الله المرزباني قال انشدنا علي بن سليمان الاخفش قال انشدنا احمد بن يحيى ثعلب للحسين
بن مطير : لقد كنت جلدا قبل ان توقد النوى : على كبدي نارا بطيئا خمودها : ولو تركت نار الهوى
لتضرمت : ولكن شوقا كل يوم يزيدها : وقد كنت ارجو ان تموت صبابتي : اذا قدمت ايامها وعهودها
فقد جعلت في حبة القلب والحشا : عهاد الهوى تولى بشوق يعيدها : بمرتجة الارداف هيف خصورها
عذاب ثناياها عجاف قيودها : يعني انها عجاف اللثات واصول الاسنان وهي قيودها وقال ابو
العباس ثعلب عجاف بالخفض لحن لانه ليس من صفة النساء وسبيله ان يكون نصبا لانه حال من
الثنايا : مخصرة الاوساط زانت عقودها : باحسن مما زينتها عقودها : وصفر تراقيها وحمر اكفها
وسود نواصيها وبيض خدودها : وصف التراقي بالصفرة من الطيب وحمرة اكفها من الخضاب :
يمنيننا حتى ترق قلوبنا : رفيف الخزامى بات طل يجودها : اخذ قوله مخصرة الاوساط من قول
مالك بن اسماء الخارجية : وترمل بن الطيب الطيب طيبا : ان عتبة ابن مثلك ايناه واذا الدر
زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا : وقد روى ابو تمام الطائي في الحماسة بعض الابيات التي
ذكرناها للحسين بن مطير وروى لنا ايضا وخشيت ان يكون الجميع من قصيدة واحدة : وكنت اذود العين
ان ترد البكا : فقد وردت ما كنت عنه اذودها : خليلي ما بالعيش عتب لو اننا : وجدنا لايام الصبى
من يعيدها : وروى ابو تمام ايضا لغيره وبعض الرواة يرويها للحسين بن مطير : ولي نظرة بعد
الصدود من الجوى : كنظرة ثكلى قد اصيب وحيدها : هل الله عاف عن ذنوب تسلفت : ام الله
لم يعف عنها مفيدها : وانشد ابو محلم لابن مطير : قضى الله يا اسماء ان لست زائلا : احبك
حتى يغمض العين مغمض : وحبك بلوى غير ان لا يسرني : وان كان بلوى انني لك مبغض : اذا انا
رضت النفس في حب غيرها : اتى حبها من دونها يتعرض : فيا ليتني اقرضت غيري صبابتي : واقرضني صبرا
على الشوق مقرض : وخشيت ان يكون اخذ قوله اذا انا رضت النفس في حب غيرها من رجل من قرادة
واعرض حتى يحسب الناس انما : بي الهجر لا والله ما بي لك الهجر : ولكن اروض النفس انظر هل لها
اذا فارقت يوما احبتها صبر : او من قول نصيب : واني لاستحيي كثيرا واتقي : عيونا واستبقي
المودة بالهجر : وانذر بالهجران نفسي اروضها : لتعلم عند الهجر هل لي صبر : وخشيت ان يكون اخذ
قوله فيا ليتني اقرضت جلدا ماخوذا من قول بعض العرب : رمى قلبه البرق الملالي رمية : بحسب
الحمى وهنا فكاد يهيم : فهل من معير طرف عين خلية : فانسا عين العامري كليم : وللحسين هذا المعنى

مادوا

المبرد ولي كبد مقروحة من يبيعني : بها كبدا ليست بذات قروح : ابى الناس ويب الناس
لا يشترونها : ومن يشتري ذا علة بصحيح : واخذ العباس بن الاحنف هذا المعنى فقال : من ذا
يعيرك عينه تبكي بها : ارايت عينا للبكاء تعار : واخبرنا المرزباني قال حدثني ابو عبد الله الحكيمي
قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثنا محمد بن حميد قال كنا عند الاصمعي فانشد رجل لابن
دعبل : اين الشباب وايه سلكا : لا اين يطلب ضل بل هلكا : لا تعجبي يا سلم من رجل : ضحك المشيب برأسه
فبكى : يا سلم ما بالشيب منقصة : لا سوقة يبقي ولا ملكا : قصر الغواية عن هوى قمر : وجد السبيل اليه
مشتركا : يا ليت شعري كيف نومكما : يا صاحبي اذا دمي سفكا : لا تاخذا بظلامتي احدا : قلبي وطرفي في دمي
اشتركا : قال فاستحسنها كل من كان في المجلس واكثر التعجب من قوله ضحك المشيب برأسه فبكى فقال الاصمعي
انما اخذ قوله هذا من ابن مطير الاسدي حيث يقول : اين اهل القباب بالدهنا : اين جيراننا على الاحساء
جاورونا والارض ملبسة : نور الاقاحي تجاد بالانواء : كل يوم عن اقحوان جديد : تضحك الارض من بكا
السماء : وقد اخذه مسلم صريع الغواني في قوله : مستعبر يبكي على دمنة : ورأسه يضحك فيه المشيب
قال المرتضى قدس الله روحه : ولابي الحسناء نصيب الاصغر مثل هذا المعنى وهو قوله : فبكى الغمام به
فاصبح روضه : جذلا يضحك عن حميم زهر : ولابن المعتز شبيه الحنظلية كل ظلماء دجية : اذا ما بكت
اجفانها ضحك الزهر : ولابي دلف مثله : مبتسم المزن وانهلت مدامعه : فاضحك الروض يقع
الضاحك الباكي : وغازل الشمس نور ظل يلحظها : بعين مستعبر بالدمع ضحاك : وقد حكي عن ابي العباس
المبرد انه قال اخذ ابن مطير قوله تضحك الارض من بكا السماء من قول دكين الراجز : جن النبات في
ذراها وزكا : وضحك المزن بها حتى بكى : مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله عز وجل فاما
الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله
والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب الجواب قلنا قد
ذكر في هذه الاية وجهان ظاهران للحق احدهما ان يكون الراسخون في العلم معطوفين على اسم الله تعالى
فكانه قال وما يعلم تاويله الا الله والا الراسخون في العلم وانهم مع علمهم به يقولون امنا به فوقع قوله
يقولون امنا به موقع الحال والمعنى انهم يعلمونه قائلين امنا به كل من عند ربنا وهذا غاية المدحة
لهم لانهم اذا علموا ذلك بقلوبهم واظهروا التصديق به على السنتهم فقد تكاملت مدحتهم و
وصفهم باداء الواجب عليهم والحجة لمن ذهب الى ما بيناه والرد على من استبعد عطفه على الاول
وتقديره ان يكون قوله يقولون امنا به على التاويل ابتداء قوله ما افاء الله على رسوله من اهل
القرى فلله وللرسول الى قوله شديد العقاب فذكر جملة ثم تلاها بالتفصيل وتسمية من يستحق هذا
الفيء فقال للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا

الى قوله انك رءوف رحيم وقال في الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا
يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال فيمن جاء من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فهذه الايات تدل على انه لا ينكر في
اية الراسخون في العلم ان يكون قوله تعالى يقولون آمنا حالا لهم مع العلم بتاويل المتشابه ولو
اشكل شيء من ذلك لما اشكل قوله والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا فانه موافق لقوله
والراسخون في العلم يقولون آمنا به فان التقديرين واحد ومما يستشهد به على ذلك من الشعر قول
يزيد بن مفرغ في عبد له كان يسمى بردا فباعه ثم ندم على بيعه وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت
هامه هامة تدعو صدى بين المشقر فاليمامه والريح تبكي شجوه والبرق يلمع في الغمامه فعطف
البرق على الريح ثم اتبعه بقوله يلمع كانه قال والبرق ايضا يبكيه لامعا في غمامه اي في حال لمعانه
لو لم يكن البرق معطوفا على الريح في البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة ويمكن ايضا على هذا الوجه
مع عطف الراسخين على ما تقدم واثبات العلم بالمتشابه لهم ان يكون قوله يقولون آمنا به مستانفا
جملة واستغنى فيه عن حرف العطف كما استغنى في قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم وما
ذلك مما الجملة الثانية فيه ملتبسة بالجملة الاولى فيستغنى به عن حرف العطف فلو عطف بحرف العطف
كان حسنا لتنزل الملتبس منزلة غير الملتبس والوجه الثاني في الاية ان يكون قوله والراسخون في العلم
مستانفا غير معطوف على ما تقدم ثم اخبر عنهم بانهم يقولون آمنا به ويكون المراد بالتاويل على
هذا الجواب المتاول لانه قد يسمى تاويلا قال الله تعالى هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله والمراد
بذلك لا محالة المتاول والمتاول الذي لا يعلمه العلماء وان كان الله عز وجل عالما به كنحو وقت قيام الساعة
ومقادير الثواب والعقاب وصفة الحساب وتعيين الصغائر الى غير ذلك فكانه قال وما يعلم تاويل جميعه
على المعنى الذي ذكرناه الا الله والعلماء يقولون آمنا به وقد اختار ابو علي الجبائي هذا الوجه وقواه
وضعف الاول بان قال قول الراسخين في العلم آمنا به كل من عند ربنا دلالة على استسلامهم لانهم لا
يعرفون تاويل المتشابه كما يعرفون تاويل المحكم ولان ما ذكرناه من وقت القيامة ومن تمييز الصغائر
والكبائر هو من تاويل القرآن اذ كان ذلك في خبر الله والراسخون في العلم لا يعلمون ذلك وليس الذي
ذكره بشيء لانه لا يمتنع ان يقول العلماء مع علمهم بالمتشابه آمنا به على الوجه الذي قدمنا ذكره فكيف
نظن انهم لا يقولون ذلك الا مع فقد العلم وما المنكر من ان يظهر الانسان بلسانه الايمان بما يعلمه
ويحققه فاما قوله ولان ما ذكرناه من تاويل القرآن فذلك مما يكون تاويلا اذا حملت هذه اللفظة على
المتاول لا على الفائدة والمعنى فاما اذا حملت على انه وما يعلم معنى المتشابه وفائدته الا الله فلا بد من
العلماء فيه ولمن نصر ذلك ان يقول ان حمل التاويل على المتاول اظهر من حمله على المعنى والفائدة لان الامر

بالعكس

بالعكس من ذلك بل حمله على المعنى اظهر واكثر في الاستعمال واشبه بالحقيقة على انه لو قيل ان الجواب الاول
اقوى من الثاني لكان اولى من قوله من قبل انه لو كان المراد بالتاويل المتاول لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص
المتشابه بذلك دون المحكم معنى لان في متاول المحكم كالاخبار عن الثواب والعقاب والحساب مما لا يعلمه
في كونه محكما الا لا يعرف تفصيله ولا كنهه الا الله فاي معنى لتخصيص المتشابه والكلام يقتضي توجهه نحو
المتشابه الا ترى الى قوله فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء
تاويله فخص المتشابه بالذكر فالاولى ايضا ان يكون المراد بلفظة تاويله الاولى وقد علمنا ان الذين في
قلوبهم زيغ انما ابتغوا تاويله على خلاف معناه ولو طلبوا تاويله الذي هو متاوله فالوجه الاول اقوى
وارجح ويمكن في الاية وجه ثالث لم نجدهم ذكروه على ان يكون قوله والراسخون في العلم مستانفا غير
معطوف ويكون المعنى وما يعلم تاويل المتشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل الا الله وهذا واضح صحيح
لان كثير المتشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق الموافقة لادلة العقول فيذكر المتاول جميعها و
لا يقطع على مراد الله تعالى منها بعينه لان الذي يلزم في ذلك ان نعلم في الجملة انه لم يرد من المعنى ما
يخالف الادلة وانه قد اراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية في الجواز والموافقة للحق وليس من تكليفنا ان
نعلم المراد بعينه وهذا مثل الضلال والهدى اللذين يحتملان الوجوه الكثيرة ومنها ما يخالف الحق
فنقطع على انه تعالى لم يرده ومنها وجوه تطابق الحق فنعلم في الجملة انه قد اراد احدها ولا نعلم المراد منها
بعينه وغير هذا من الاي المتشابهة فان اكثرها يحتمل وجوها والقليل منها يختص بوجه واحد صحيح لا
يحتمل سواه ويكون قوله تعالى من بعد والراسخون في العلم يقولون آمنا به اي صدقنا بما نعلمه مفصلا
ومجملا من المحكم والمتشابه وان كلا من عند ربنا وهذا ايضا وجه واضح اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال اخبرني محمد بن الازهري قال انشدنا محمد بن يزيد لابي حية النميري وهي ابيات مختارة وخبرك الواشون
ان لا احبكم بلى وستور البيت ذات المحارم اصد وما الصد الذي تعرفينه عزاء بنا الا اجتراع العلاقم
حياء وبقيا ان تشيع نميمة بنا وبكم اف لاهل النمائم وان دما لو تعلمين جنيته على الحي جاني
مثله غير نائم اما انه لو كان غيرك ارقلت صعاد القنا بالراعفات اللهاذم ولكنه والله ما طل
مسلما كبيض الثنايا واضحات الملاغم قال ثعلب الملاغم ما حول الفم وقال المبرد واضحات الملاغم يريد
العوارض وقوله ما طل مسلما اي ابطل دمه اذا هن ساقطن الحديث حسبته سقوط حصى المرجان
من سلك ناظم ويروى ساقطن الاحاديث للفتى ويروى ايضا ساقطن الحديث كانه [illegible] رمين فاقصدن
القلوب فلا ترى دما مائرا الا جوى في الحيازم قال السيد قدس الله روحه ومن مستحسن ما مضى في
هذه القصيدة قوله كانك من ابرح بالعيون وافتلى تنفس ابصار الصحاح السقائم ولم ار [illegible]
له [illegible] من [illegible] الظالم اذا [illegible] وحف المقادم واذا

منقاداً لكلّ مُقَوِّدِ ٭ الى اللهو خلاف البطالة آثم ٭ وروى ابن حبيب مقوّد ومعنى خلاف البطالة
اي خلاف في البطالة يهيّن لها ما سلف غير انني على ذنوبنا الملقية غير نادم ٭ اي تحيّر يوم خميس
وان عذلا في اللوم لم احفل ملامة لائم ٭ معنى حين يوم الخميس اي احبّ يوم محالي الذي هو لاهتز
عند الراي في العقل وانشد ابو اسحاق ابرهيم بن سفيان الزيادي لابي حيّة وقال اسمه هيثم بن الربيع
رحل بالشباب الشيب شيبا ٭ فليت الشيب كان هو الرحيل ٭ وقد كان الشباب لنا خليلا ٭ فقد قضى مآربه
الخليل ٭ لعمر ابي الشباب لقد تولّى ٭ حميدا ما يراد به بديل ٭ اذ الايام مقبلة علينا ٭ و
ظلّ اراكة الدنيا ظليل ٭ وانشد المبرد قال انشدنا ابو عثمان المازني لابي حيّة ٭ زمان الصبي ليت
ايامنا رجعن ٭ لنا الصالحات لقصادا ٭ زمان علىّ غراب غداف ٭ فطيّره الدهر عنّي فطارا ٭ فلا
يبعد الله ذاك الغراب ٭ وان هو لم يبق لا ادّكارا ٭ كانّ الشباب لذاته ٭ وريق الصبي كان ثوبا معارا
ربى الصبي وشيقه وروقه اوله ٭ وهذا ... ان ذا انثني ٭ تلمّع شيب بها فاستنارا ٭ وقد
صنرتعد الظلام عذارا ٭ فما استطيع اعتذارا ٭ اجارتنا ان ريب الزمان ٭ قبل غال الرجال الخيارا
فما ارى الحي هكذا ٭ فاسرع فيها بشيب التغار ٭ فقد ادرك وخفّة حلمه ٭ وقد يرد الفتيان الخمارا ٭ المستحيا
اما قوله زمان علىّ غراب غداف فاراد الشباب والشعر الاسود ويشبه ان يكون ماخوذا من قول
الاعشى ٭ وما طلابك شيئا لست مدركه ٭ ان كان عنك غراب الجهل قد وقعا ٭ ولابي حيّة من قصيدة
اولها ٭ الا يا اسلمي اطلال رحلنا وانعمي ٭ وحفنا بجماس الرشاجين مشيها الى الروح اقنا وخطى
المتجشّم ٭ الما اجلي قبل التزيي الهوى ٭ منافذة سفر الفؤاد المتيّم ٭ يعف فاتق لم يبق من روح نفسه
ولا عظمه المسلوب غير التوهّم ٭ فقلنا لها سرا فدينا لك لا برح ٭ صحيحا وان لم تقتليه فالمم ٭ فالقت
قناعا دونه الشمس واتّقت ٭ باحسن موصولين كفّ ومعصم ٭ وهذا البيت الاخير ماخوذ من قول
النابغة ٭ سقط النصيف ولم ترد اسقاطه ٭ فتناولته واتّقتنا باليد ٭ وقوله فقلن لها سرا فدينا لك
البيت خبر وما اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الباقطاني
قال اتصل لعبيد الله بن سليمان بن وهب امر علي بن العباس الرومي وكثرة مجالسته لابي الحسين القسم
ابنه وسمع شيئا من اهاجيه فقال لابي الحسين قد احببت ان ارى ابن الرومي هذا فدخل يوما
عبيد الله الى ابي الحسين وابن الرومي عنده فاستنشده من شعره فانشده وخاطبه فرآه مضطرب
العقل جاهلا فقال لابي الحسين بينه وبينه ان لسان هذا اطول من عقله ومن هذه صورته لا تؤمن
عقاربه عند اول عتب لا يفكر في عاقبته فاخرجه عنك فقال اخاف حينئذ ان يعلن ما يكتمه في
دولتنا ويذيعه في عكسنا فقال يا بني اني لم ارد باخراجك له طرده فاستعمل فيه بيت ابي حيّة النميري
فقلن لها سرا فديناك لا يرح ٭ سليما وان لم تقتليه فالمم ٭ فحدث القسم ابن فراس بما جرى وكان اعدى الناس
والنّم

لابن

لابن الرومي وقد هجاه باهاج قبيحة فقال له الوزير يا عزّ الله شانا وابن بغال حتى تستراح منه وانا اكفيك
ذلك فسمّه في الخشكنانج فمات فقال الباقطاني والناس يقولون ما قتله ابن فراس وانما قتله عبيد الله وذكر
محمد بن يزيد المبرد قال مما يفضل لخلاصه من التكلف وسلامته من التزيّد وبعده من الاستعانة قول
ابي حيّة ٭ رمتني وستر الله بيني وبينها ٭ عشية آرام الكناس رميم ٭ الا ربّ يوم لو رمتني رميتها
ولكنّ عهدي بالنضال قديم ٭ قال المرتضى علم الهدى قدّس الله روحه وقد روى هذان البيتان لغيره
في غير رواية المبرد قال المبرد يقول رمتني واصابتني بمحاسنها ٭ ولو كنت شابا لرميت كما رميت وفتنت
كما فتنت ولكن عهدي قد تطاول بالشباب وهذا كلام واضح ولما الاستعانة فهو ان
تدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع اليه ليصحّح نظما او وزنا قال ومما يختار من قول ابي حيّة ايضا
الا حيّ من اجل الحبيب المغانيا ٭ لبسن البلى مما لبسن اللياليا ٭ اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة
تقاضاه شيء لا يملّ التقاضيا ٭ ويقال ان احسن ما وصف به السواك قول ابي حيّة ٭ لقد طال ما
عيّنت راحلة الصبى ٭ وعلّلت شيطان الغوي المشوّقا ٭ وذو تيّف روح القلب منهنّ بالمنى و
باللحظ لو يبذلنه المسترّق ٭ وساميتني كاس الهوى فسقيتها ٭ مدى في الشنا اعذبه المتريق حسنا
نقيّ عن منفصل ٭ كنور الاقاحي طيّب المتذوّق ٭ ويروى عن متنق يعني ثغرا على سوق الحلق الاحمر
فيه ٭ اذا مضغت بعد امتناع من الضحى ٭ اتابيب من عود الاراك المخلّق ٭ سقت شعث المسواك ماء غمامة
فضيضا بخرطوم المدام المروّق ٭ الامتناع الارتفاع منع النهار وامتنع اذا طال والمخلّق الذي علّق
بالخلوق والطيب من بلادها وقال بعضهم عني بالخلق المملس وفضيض الذي جعل من الغمام اي
كما فضّ والخرطوم سلاف الخمر وهو اول ما يخرج من غير عصر ولا دوس وان ذقت فاها بعد ما سقط
يقطغي محبد او ترنم المنطق الجذاة الضحم والرداح العظيمة الارداف ٭ شممت العرار الطل عنه
ونور الخزامى في الندى المترقرق ٭ العرار بهار البرّ والطلّ الغض الطري والمضيئة مطرتهن واخبرنا ابو عبيد
الله المرزباني قال حدثني علي بن هارون قال سمعت ابي وقد ذكر قول ابي حيّة ٭ نظرت كاني من وراء زجاجة
الى الدار من فرط الصبابة انظر ٭ فعيناي طورا تغرقان من البكاء ٭ فاعشى وطورا احسر انا فابصر ٭ فقال ابو
اعشى ضعيف حال يجب طاعته فيلزم الانقياد لامره فقال اي شعر اجود واولى بان يتخصّص بالوصف
في انه من المدح من الفخر والهجاء من التشبيه وسائر اصناف الشعر فهذا هب الشعراء فيه لما عدل
عن هذين البيتين ويقال ان ابا احمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر اجاز بيتي ابي حيّة هذين بقوله
فلا مقلتي من عبرة الماء تنجلي ٭ ولا دمعي من شكة الوجد تقطر ٭ ولابي حيّة من المبكيات الحلبة حتى
كانما يجيح بعينيه الدموع شعيب ٭ الشعيب المزادة من اديمين يشعب احدهما الآخر ٭ الا ليت انا
جميعا وحولنا ٭ سواهم منها وابح وقريبه ٭ وان تحتسين الذنوب ما لنا ٭ الهن لها ولهن ذنوب

توبة بن الحمير

ولا بُجَيْنَة أصدّ عن البيت الحبيب وإنّني ، لأصغي إلى البيت الذي أتجنّب ، أفيد ديونا غيره ولا أهله
على ما عدت عنهم أعزّ وأقرب ، وقطع أسباب المودّة معشر ، غضاب وهل أحسن القول مغضب ، وإن
لا تنبني يا أم عمرو بهيمة ، تذكّرت بها بيني وبينك عقرب ، وصاحبنا الواتر كان عالما بذاك الأولى
يولون ما يربت ، حديث إذا لم تخش عينا كأنه ، إذا ساقطته الشهد بل هو أطيب ، ولو أن لا تستشفي
به بعد سكرة ، من الموت كانت سكرة الموت تذهب ، وقلت لها ما تأمرني فأتقي ، إلى البين إذ دنى
دون عينه تترقّب ، قال محمد بن يحيى الصولي ولا آخذ في قوله لو أنك تستشفي به بعد سكرة الأشبع قول توبة
ابن الحمير ، ولو أن ليلى الأخيلية سلّمت ، عليّ ودوني تربة وصفائح ، لسلّمت تسليم البشاشة أو زقا ،
إليها صدى من جانب القبر صائح ، قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه وأول من سبق إلى هذا المعنى
فأحسن الأعشى في قوله ، عهدي بها في الحي قد درعت ، صفراء مثل المهرة الضامر ، لو أسندت
ميتا إلى نحرها ، عاش ولم ينقل إلى قابر ، حتى يقول الناس مما رأوا ، يا عجبا للميت الناشر ، ومعنى الناشر
المنشور يقال أنشر الله الميت فنشر وهو ناشر بمعنى منشور ، ومثل ماء دافق بمعنى مدفوق وقال بعض
أصحاب المعاني إن الجارية التي وصفها أي سامية بمعنى أنها مسمومة كما قال الله تعالى إنك ميت وإنهم
ميتون أي ستموتون فيكون المعنى إن الناس يعجبوا من أن يكون من يموت ينشر الموتى ومن حمل هذا
أجاز أنشر الله الموتى بمعنى نشر والقول الأول أشهر وما نطق الأعشى غيره. **مجلس آخر** تأويل آية إن
سأل سائل عن قوله عز وجل لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فقال لم خص
اليوم بالقول وإنما أراد نفي تعنيفهم في جميع ... قيل له في هذه الآية وجوه
أولها أنه لما كان هذا الوقت الذي أشار إليه هو وقت الإنابة التي كشف فيها نعمه وأطلعهم على ما كان
يستره عنهم من أمره أشار إلى الوقت الذي هو أول أوقات الاستغفار لا ابتداء فيه والذي هو قبل عفافه عنهم
لم يراجع الانتقام وثانيها أن يوسف عليه السلام لما قدم توبيخهم وعدّد عليهم قبيح ما فعلوه وعظيم
ما ارتكبوه وهو مع ذلك يستر عنهم نفسه ولا يفصح لهم بحاله قال لهم عند تبين أمره لا تثريب عليكم
اليوم أي قد انقطع عنكم توبيخي وتقضى عتابي ولا عتبى عند اعترافكم بالذنب فكان ذكر اليوم دلالة
على انقطاع المعاتبة والتوبيخ وعلى أن الأوقات المتصلة باليوم تجري مجراه في زوال التعنيف وتمام
العفو وصفو الموافقة لهم على ما سلف منهم وثالثها أن ذكر اليوم المراد به الزمان والحين ووضع اليوم
موضع الزمان كله المشتمل على الليالي والأيام والشهور والسنين كما يقول العربي لغيره قد كنت تعذر
شرب الخمر فاليوم قد تقضت لتركها ومنعها ويريد في هذا الزمان ولا يريد يوما واحدا بعينه ومثله
قد كنت تقصر في الجواب عن فنون العلم فاليوم ما تعجز عن مسألة ولا تتوقف عن مشكلة يريد باليوم
ما في الزمان كله وقال امرؤ القيس ، حلت لي الخمر وكنت امرأ ، عن شربها في شغل شاغل ، فاليوم أشرب

نهى عن كسب الزمارة

غير مستحقب ، إثما من الله ولا واغل ، ولم يقصد يوما بعينه ومثله اليوم يرحمنا من كان يغبطنا ،
واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا ، وقال لبيد ، وما الناس إلا كالديار وأهلها ، بها يوم حلّوها وغدوا
بلاقع ، كل ذلك لا يراد بذكر اليوم والغد بعينه إلا جميع الأوقات المستقبلة ورابعها أن يكون المراد
لا تثريب عليكم اليوم البتة ثم قال اليوم يغفر الله لكم فتعلق اليوم بالغفران وكان المعنى يغفر الله لكم
اليوم وقد ضعف قوم هذا الجواب من حيث أن الدعاء لا ينصب ما قبله فأما معنى التثريب فإن أبا عبيدة قال
معناه لا تشغيب لا معاقبة ولا إفساد قال الشاعر ، فعفوت عنهم عفو غير مثرّب ، وتركتهم لعقاب
يوم سرمد ، وقال أبو العباس ثعلب يقال ثرّب فلان على فلان إذا عدّد عليه ذنوبه وقال غيره أصل
التثريب مأخوذ من لفظ الثرب وهو شحم الجوف فكأنه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والتقصي
إلى بعد غاياتهما. **تأويل خبر** روى أبو عبيد القاسم بن سلام عن حجاج عن حماد بن سلمة عن هشام
بن حسان وحبيب بن الشهيد عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله نهى عن كسب
الزمارة وقال أبو عبيد قال الحجاج الزمارة الزانية وقال هذا مثل حديثه الآخر أنه نهى عن كسب البغي قال
أبو عبيد وقال غير حجاج هي الزمازة تنقد بها الولاء قال فقول حجاج أعجب عندنا لأنهم كانوا يكرهون
إماءهم على البغاء فأنزل الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة
الدنيا فالعرض هو كسب البغي الذي نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عنه قال أبو عبيد
ولا أعلم لهذه الزمارة غير أني وجدت ذلك في الحديث معنى وقال ابن قتيبة الأمر على ما ذكر
أبو عبيد إلا أنه أنكر على من زعم أنها الزمازة لأن الزمارة هي الفاجرة سميت بذلك لأنها ترمز
أي تومي بعينيها وحاجبيها وشفتيها قال الفراء وأكثر الرمز بالشفتين ومنه قوله تعالى آيتك أن لا تكلم
الناس ثلاثة أيام إلا رمزا فالرمازة صفة من صفات الفاجرة ثم صارت لها كالاسم ولذلك قيل
هلوك لأنها تتهالك على الفراش أو على الرجل ثم صار اسما لها دون غيرها من النساء وإن تهالكت
على زوجها وقيل لها خريع للينها وتثنيها ثم صار ذلك اسما لها دون غيرها من النساء وإن لانت
وتثنت ونحوه قولهم للبعير أعلم لانشقاق في مشفره الأعلى ثم صار كالاسم له وكذلك قولهم للذئب
أزل لأنه ممسوح ثم صار كالاسم له والمرتبة لا تكاد تفارق الكلام ترمض أو ترمز أو تصغر قال الشاعر
ورمزت إلى مخافة من بعلها ، من غير أن يبدو هناك كلامها ، وقال الأخطل ، أحاديث سداها
جدّ وأخرى هزل ، ورمازة مالت لمن يستميلها ، وقال الراجز يومين بالأعين والحواجب ، إيماض برق
في عماء ناصب ، والعماء السحاب الناصب البعيد وقال بعضهم إنما قيل للفاجرة قحبة من القحاب وهو
السعال قال الفراء حسبه أراد أنها تتنحنح وتسعل ترمز بذلك قال وبلغني عن المفضل أنه كان يقول
في قول الناس رجل حين مر صار فلان الرجل يصفر للفاجرة يخاف من كل شيء فأما الأصمعي فإنه قال الضاح

ما يصفر من الطير وإنما وُصف بالجبن لأنه ليس من الجوارح قال ابن قتيبة ولا أدري القول للمفضل
على ذلك لقول الكميت بن زيد الأسدي أرجو لكم أن تكونوا في إخائكم كلباً كورهاء تقلي كل صفّارِ
لما أجابت صفيراً كان آتيها من قابس شيّط الوجعاء بالنارِ وهذه امرأة يصفر لها رجل فتجيبه
فتمثّل ذو جمّابة وصفر لها فأتته فشيّطها بميسم فلما أعاد الصفير قالت قد قلينا كل صفّارة يريد
أنا قد عففنا واطّرحنا كل فاجر وقال أبو بكر محمد بن القسم الأنباري واختلفوا في الزمّارة معجمة الزاي
على ما قال أبو عبيد في ثلاثة مذاهب أجاع أصحاب الحديث زمّارة والحجة الثانية أن الفاجرة تسمى
زمّارة لأنها تحسّن نفسها وكلامها والزمر عند العرب الحسن قال عمرو بن أحمر الباهلي يصف شراباً و
غناءً زنّان حنّان بينهما رجل أجشّ غناؤه زمر قال الأصمعي معناه غناؤه حسن كأنه من مزامير
داود والحجة الثالثة أنهم سمّوا الفاجرة زمارة لمهانتها وقلة ما فيها من الخير من قول العرب نعجة زمرة
إذا كانت قليلة الصوف ويقال رجل زمر المروءة إذا كان قليلها قال ابن أحمر مُطلنفئاً لون الحصى لونه
يحجر عنه الذَّرّ ذو زمر المطلنفئ اللاصق بالأرض والذرّ النمل والزمر القليل فسميت البغي زمارة على
وجه الذم لها والتصغير لشأنها كما قيل لها فاجر عليها عن القصد يقال فجر الرجل إذا مال قال لبيد
فإن تتقدّم تغش منها مقدماً غليظاً وإن أخّرت فالكفل فاجر أي مائل والكفل كساء يوضع على
البعير يوقّى من العرق قال السيد المرتضى رضي الله عنه ولا أرى لأحد الروايتين على الأخرى
لأن كل واحدة منهما قد أتت من جهة من يسكن إلى مثله ولكل منهما مخرج في اللغة وتأويل صحيح
واحد لأن الزمارة بالراء غير معجمة يرجع معناها إلى ما ذكره ابن قتيبة إلى معنى الفجور ومن رواها بالزاي
المعجمة فالمرجع معناها إلى ذلك أيضاً على الوجهين اللذين ذكرهما ابن الأنباري فالأولى أن يسمعا
ويكون الراوي مخيّراً فيهما أخبرنا المرزباني قال أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال أنشدنا أحمد بن يحيى
قال أنشدنا ابن الأعرابي للمضرّب وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى وقفت بربع دونه تعلمي
وودّها وسعد حتى بيض منا المسايح وحتى رأيت الشخص يزداد مثله إليه وحتى نصف رأسي واضح
علا حاجبي الشيب حتى كأنه ظباء جرت منها سنيح وبارح وهزّ إظعان عليهن بهجة طلبن
ربيعاً الصبا في جامع فلما قضينا من منى كل حاجة ومسّح بالأركان من هو ماسح أخذنا بأطراف
الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح وشدّت على حدب المهاري رحالها ولا ينظر
الغادي الذي هو رائح تعللنا على الحوض المراسيل وارتمت بهن الصحارى والصفاح الصحاصح وأنشد
ابن الأعرابي تصدّ بعيني شادن وتختمت بمجاعز عن غروب حوى الأسحل على
أو جرى عليهن من فرع الأراك قضيب أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى
الصولي قال حدثنا محمد بن الحسن البلخي قال حدثنا أبو حاتم قال سمعت الأصمعي يقول قلب العاشق

عليه مع معشوقه فقلت له هذا والله يا أمير المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام العذري لعفراء أراني
تعروني لذكراك روعةٌ لها بين جلدي والعظام دبيبُ وما هو إلا أن أراها فجاءةً فأُبهت حتى لا
أكاد أجيب وأصرف عن رأيي الذي كنت أرتئي وأنسى الذي أعددت حين أغيب ويضمر قلبي غدرها و
يعينها عليّ فما لي في الفؤاد نصيب فقال الرشيد من قال هذا وهما فإني أعلم وهذا فإني
أحيد عندك ما يسقط عند العلماء قال الصولي فأخذ العباس بن الأحنف فقال بهم محب إن الجر
قلبه وفيها غزال فاتر الطرف ساحر يوازره قلبي عليّ وليس لي يدان بمن قلبي عليّ يوازره وأشار
إليه أيضاً في قوله قلبي إلى ما ضرّني داعي يكثر أحزاني وأوجاعي كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي
بين أضلاعي وأخذه سهل بن هارون الكاتب فقال أعان طرفي على جسمي وأعضائي بنظرة وقفت
جسمي على دائي وكنت غرّاً بما تجني عليّ يدي لا علم لي أن بعضي بعض أعدائي وقال البحتري ولست
أعجب من عصيان قلبك لي يوماً إذا كان قلبي فيك يعصيني وروى أبو عكرمة الضبي عن مسعود بن بشر
المازني قال قال لنا الأصمعي يوماً ما أحسن ما قيل في صفة امرأة عجزاء خميصة فأنشد قول الأعشى
صفر الوشاحين ملء الدرع بهكنة إذا تأتّى يكاد الخصر ينخزل وأنشد قول علقمة بن عبدة صفر
الوشاحين ملء الدرع خرعبة كأنها رشأ في البيت ملزوم ثم أنشد قول ذي الرمة ترى خلفها
نصفاً قناة قويمة ونصفاً نقاً يرتج أو يتمرمر فقال ثم أحسن ما قيل فيه قول ابن وجزة السعدي
أدماء في وضح يكاد رداؤها يثوي ويشبع ما أحبّ إزارها قال أبو عكرمة ومثله قول الحرب بن
خالد المخزومي نيطت إلى عن شاحها قلق دان من أردافها المرط وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد
بن إبراهيم قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا الأصمعي قال المأمون محمد بن سليمان بن علي الهاشمي دخل
على أخيه جعفر بن سليمان وقد جزع عليه حزناً شديداً ولم يطعم ثلاثاً فأنشدته لابن ذاكر الثقفي
لعمري لقد أنعت عينيك ما مضى من الدهر أو ساق الحمام إلى القبر لتستغنيا آه الشؤون بأسرها
ولو كنت تمريها من ثبج البحر فقلت لعبد الله أدخل باكياً لعزّ وماء العين منهمر يجري تبيّن
فإن كان البكاء ردّ هالكاً على أحد فاجهد بكاك على عمرو ولا تبك ميتاً بعد ميت أجنّه علي و
عباس وآل أبي بكر قال فسرّي عني بالطعام فأكل من ساعته قوله حن باكياً معناه رفع صوته بالبكاء
وقال قوم الحنين بالخاء المعجمة من الأنف والحنين من الصدر وهو صوت يخرج من كل واحد منهما و
أخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال سمعت التوزي يقول دخلنا
مع الأصمعي إلى الهاشمي إسماعيل بن جعفر ليلة في حاجة فأنشد الأصمعي أبيات ابن هرمة إنا تنحنا
حاجة ووسيلة لديك فقد تخطى لديك الوسائل ونذكره والله بيننا على الدهر لم
تذهب إليه الغوائل فإن تُنِم ما كنا رجونا فإنك لأكذب ظني فيك رجاء الفوائل ولا جعفر

قوله تعالى خلق الانسان من عجل الآية

ولا حاجة عنك علة ولا عاق حين اغا حباك منك اجل ولا لائم فيك الباذل الوجه نفسه وقد أ
في الجود انا المناحل فلم يزد على هذه الابيات فقضى حاجته واجاب مسئلته قال السيد المرتضى
قدس الله روحه ونشبه ان يكون ابن هرمة اخذ قوله ولا اكذب فيك الرجاء القوابل من قول
الكناني في زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلم فلما تردى بالحمائل وانتهى بصول باطراف القنى
الذوابل تبينت الاعداء ان سنانه يطيل حنين الامهات الثواكل تبين فيه ميسم العز والتقى
وليدا يفدى بين ايدي القوابل واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال
حدثني محمد بن الحسن المليحي قال حدثنا ابو حاتم عن الاصمعي قال قال لي الرشيد يوما يا اصمعي ابعر
للعرب اعتذارا افقلت او دع النابغة فانه يحتج وتغضب فقلت ما اعرف ذلك الا لبشر بن ابي خازم
الاسدي فانه هجا اوس بن حارثة بن لام فاسره بعد ذلك واراد قتله فقالت له امه وكانت ذات راي قد
لا محاجيا بلك لامدحه اياك فعفا عنه فقال بشر اني على ما كان مني لنادم واني الى اوس بن لام لتائب
واني الى اوس ليقبل توبتي ويعرف زدني ما حييت لراغب فهب لي حياتي فالحياة لقائم بتلك فيها
خير ما انت واهب ساعمو بمدح منك اذ انا صادق كتاب هجاء سار اذ انا كاذب فقال الرشيد الا
ان دولني لحسن بقيانك فيها واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن
يعني ابن اخي الاصمعي عن عمه قال سمعت بيتين لم احفل بهما ثم قلتهما على حال غير من موضعهما من الكتاب
قال كنا عند الرشيد يوما وعنده عيسى بن جعفر فاقبل على مسرور الكبير فقال يا مسرور كم في بيت
مال السرور فقال ما فيه شي فقال عيسى هذا بيت مال الحزن فاغتم لذلك الرشيد واقبل على عيسى
فقال والله لتعطين الاصمعي سلفا على بيت مال السرور الف دينار فوجم عيسى وانكسر فقلت في نفسي
جاء موضع البيتين فانشدت الرشيد اذا شئت ان تلقى اخاك معبسا وجداه في الماضين
كعب وحاتم فكشفه عما في يديه فانما تكشف اخبار الرجال الدراهم قال فتجلى عن الرشيد وقال
لمسرور اعطه على بيت مال السرور الفي دينار فاخذت الالفين وما كان البيتان يساويان عندي درهمين
مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون الجواب
قيل له قد ذكر في هذه الآية وجوه من التاويل نحن نذكرها ونرجح الارجح منها فاولها ان يكون معنى
القول المبالغة في وصف الانسان بكثرة العجلة وانه شديد الاستعجال لما يؤثره من الامور لهج بتعجل
ما يجلب اليه نفعا او يدفع عنه ضررا ولهم عادة في استعمال مثل هذا اللفظ عند المبالغة كقولهم
لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلقت الا من نوم وما خلق فلان الا من شر اذا ارادوا كثرة وقوع الشر
منه وربما قالوا ما انت الا اكل وشرب وما اشبه ذلك قالت الخنساء تصف بقرة ترتع ما غفلت
حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار وانما ارادت ما ذكرناه من كثرة وقوع الاقبال والادبار منها

ويشهد لهذا التاويل قوله عز وجل في موضع آخر وكان الانسان عجولا وبعد قوله تعالى فلا
تستعجلون لان وصفهم بكثرة العجلة وان من شانهم فعلها توبيخا لهم ونهاهم عن الاستعجال وفائدته
الى التثبت والتاتي وثانيها ما اجاب به ابو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرهما من ان في الكلام قلبا
والمعنى خلق العجل من الانسان واستشهدوا على ذلك بقوله سبحانه وقد بلغني الكبر اي قد بلغت الكبر
وبقوله تعالى ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة والمعنى ان العصبة تنوء بها وبقول العرب
عرضت الناقة على الحوض وانما هو عرضت الحوض على الناقة وقولهم اذا طلعت الجوزاء استوى العود على
الحرباء ويريدون استوى الحرباء على العود وبقول الاعشى لمحقوقة ان تستجيبي لصوته وان تعلمي ان المعان
موفق يريد ان الموفق المعان وبقول الآخر على العباد ان مداجون قد بلغت نجران او بلغت سوآتهم
هجر والمعنى ان السوآت هي التي بلغت هجر وبقول خداش بن زهير وتركب خيل لا هوادة بينها وتشقى
الرماح بالضياطرة الحمر يريد الضياطرة بالرماح وبقول الآخر يمشي بها عود النعاج كانها
عذارى ملوك في بياض ثياب يريد في ثياب بيض ويقول الآخر حسرت كفي عن السربال آخذه
فردا يجر على ايدي المفديينا يريد حسرت السربال عن كفي وبقول ابن احمر وجرد طار باطلها نسيلا
واحدث قوها شعرا قصارا اراد طار نسيلها باطلا وبقول الآخر وقد ثنوا اكفاهم في ثيابهم
اذا ما مشوا لا يعرفون من النساء اراد ثيابهم في اكفائهم ويقول الآخر ومن عن الاخلاق والو
اي الاخلاق والولمان منهن وينبغي على صاحب هذا الجواب مع التغاضي له عن حمل كلامه تعالى على
القلب ان يقال له وما المعنى والفائدة في قوله عز وجل خلق العجل من الانسان وهو يريد ان الله
تعالى خلق في الانسان العجلة وهذا لا يجوز لان العجلة فعل من افعال الانسان فكيف تكون مخلوقة
فيه لغيره ولو كان كذلك لما جاز ان ينهاهم عن الاستعجال في الآية فيقول سأريكم آياتي فلا تستعجلون
لانه لا ينهاهم عما خلقه فيهم فان قالوا المراد انه تعالى خلق فيها الكثرة اي كثرة فعل الانسان لها وانه لا يزال
يفعلها قيل لهم هذا هو الجواب الذي قدمناه من غير حاجة الى القلب والتقديم والتاخير واذا كان هذا
يتم وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا اليه وقد ذكر ابو القسم البلخي هذا الجواب واختاره وقوا
وسأل نفسه عنه فقال كيف جاز ان يقول فلا تستعجلون وهو خلق العجلة فيهم واجاب بانه قد اعطاهم
قدرة على مغالبة طبائعهم وكفها وقد يكون الانسان مطبوعا عليها وهو مع ذلك مامور بالتثبت
قادر على ان يجانب العجلة وذلك كخلقه في البشر شهوة النكاح وامرهم في كثير من الاوقات بالامتناع
منه وهذا الذي ذكره البلخي تصريح بان المراد بالعجل غيره وهو الطبع الداعي اليه والشهوة المتناولة له
ويجب ايضا ان يكون المراد بمن ههنا في لان شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الانسان وانما تكون فيه
وهذا تجوز على تجوز وتوسع على توسع لانه القلب والمجاز ثم هو من بعيد المجاز وذكر العجل والمراد

بغير مجاز آخر وإقامة من مقام مجاز كذلك أنه تعالى إنما نهاهم عن العجلة بقوله عز وجل فلا تستعجلون أي معنى لتقديم قوله أن خلقت شهوة العجلة فيهم أو الطبع الداعي إليها على ما عبر به البلخي وهذا إلى أن يكون عذرا لهم أقرب منه إلى أن يكون حجة عليهم وأيسر الأحوال أن لا يكون عذرا ولا احتجاجا فلا يكون لتقديمه معنى وفي الجواب الأول حسن تقديمه ذلك على طريق الذم والتوبيخ أو التقريع من غير أن ينسبه إليه عز وجل فالجواب الأول أوضح وأصح وثالثها جواب روي عن الحسن قال يعني بقوله من عجل أي من ضعف وهي النطفة المهينة الضعيفة وهذا قريب إن كان في اللغة شاهد على أن العجل يكون عبارة عن الضعف أو عن معناه ورابعها ما حكي أن أبا الحسن الأخفش أجاب به وهو أن يكون المراد أن الإنسان خلق من تعجيل الأمر لأنه تعالى قال إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فإن قيل كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد فلا تستعجلون قلنا يمكن أن يكون وجه المطابقة أنهم لما استعجلوا بالآيات واستبطؤوها أعلمهم تعالى أنه ممن لا يعجزه شيء إذا أراده ولا يمتنع عليه وأن من خلق الإنسان بلا كلفة ولا مؤونة بأن قال له كن فكان مع ما فيه من بدائع الصنعة وعجائب الحكمة التي يعجز عنها كل قادر ويحار فيها كل ناظر لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات وخامسها ما أجاب به بعضهم من أن العجل الطين فكأنه تعالى قال خلق الإنسان من طين كما قال في موضع آخر وبدأ خلق الإنسان من طين واستشهد بقول الشاعر والنبع ينبت بين الصخر ضاحية ✽ والنخل ينبت بين الماء والعجل ووجدنا قوما يطعنون في هذا الجواب يقولون ليس بمعروف أن العجل هو الطين وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم أن العجل الحمأة ولم يستشهد عليه إلا أن البيت الذي أنشدناه يمكن أن يكون شاهدا له وقد رواه ثعلب عن ابن الأعرابي وخالف في شيء من ألفاظه فرواه والنبع في الصخرة الصماء منبتة ✽ والنخل ينبت بين الماء والعجل وإذا صح هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى فلا تستعجلون على نحو ما ذكرناه وهو أن من خلق الإنسان مع الحكمة الظاهرة فيه من الطين لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات ويكون المعنى أنه لا يجب لمن خلق من الطين المهين وكان أصله هذا الأصل الحقير الضعيف أن يهزأ برسل الله تعالى وآياته وشرائعه لأنه تعالى قال قبل هذه الآية وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وسادسها أن يكون المراد بالإنسان آدم عليه السلام ومعنى من عجل أي في سرعة من خلقه لأنه لم يخلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره وإنما ابتدأه الله تعالى ابتداء وأنشأه إنشاء فكأنه تعالى نبه بذلك على الآية العجيبة في خلقه له وأنه عز وجل يري عباده من آياته وبيناته أولا أولا ما يقتضيه مصالحهم ويستدعيه أحوالهم وسابعها ما روي عن مجاهد وغيره أن الله تعالى خلق آدم بعد خلق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة على سرعة معاجلا به غروب الشمس وروي أن آدم عليه السلام لما نفخت فيه الروح وبلغت إلى جسده ولم

معنى العجل

تبلغ أسافله قال رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وثامنها ما روي عن ابن عباس والسدي أن آدم عليه السلام لما خلق وجعلت الروح في أكثر جسده وثب عجلان مبادرا إلى ثمار الجنة وقال قوم بل هم بالوثوب فهذا معنى قوله خلق الإنسان من عجل وهذه الأجوبة الثلاثة المتأخرة مبنية على أن المراد بالإنسان فيها آدم عليه السلام دون غيره قال الشريف المرتضى قدس الله روحه وإني لأستحسن لمسكين الدارمي قوله

مسكين الدارمي

رب أمور قد بريت لحاءها ✽ وقومت من أصلابها ثم رشتها ✽ أتيت بدار الحزم ما لم أطق بها ✽ فإن تخف من دار هوانا تركتها ✽ وأصلح حبل المال حتى تخالني ✽ شحيحا وإن حق عراني أهنتها ✽ ولست بولاج البيوت لفاقة ✽ ولكن إذا استغنيت عنها ولجتها ✽ أبيت عن الإدلاج في الحي نائما ✽ وأرض بإدلاج وهم قطعتها ✽ ألا أيها الجاري سفيها وبارحا ✽ تعرض نفسا لو أشاء قتلتها ✽ تعارض نحن الفاخرين بعصبة ✽ ولو وضعت في ثأره أكلتها ✽ وإن لنا ربعية المجد كلها ✽ موارث آباء كرام ورثتها ✽ إذا قصرت أيدي الرجال عن العلى ✽ مددت يدا طالت عليهم فنلتها ✽ وداع دعا للعلى فأجبته ✽ ودعوة باغ في الصديق خذلتها ✽ ومكرمة كانت دعائم الذي ✽ فعليتها والذي فعلتها ✽ وعوراء من قيل امرئ ذي قرابة ✽ تصاممت عنها بعد ما قد سمعتها ✽ رجاء غد أن تعطف الرحم بيننا ✽ ومظلمة منه بجنبي عركتها ✽ إذا ما أمور الناس رثت وضيعت ✽ وجدت أموري كلها قد رممتها ✽ وإني بحمد الله لم أدم حرة ✽ ولو تمنيت يوم ستر كشفتها ✽ ولا قاذف غيبي وغيبي حرمته ✽ وكيف أغتذي بعد ما قد قذفتها ✽ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذر القراطيسي قال حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن صالح الأزدي أن رجلا من الأنصار حدثه قال قال مسكين الدارمي ولست إذا ما سرني الدهر ضاحكا ✽ ولا خاشعا ما عشت من حادث الدهر ✽ ولا جاعلا عرضي لمالي وقاية ✽ ولكن أقي عرضي فيحرزه وفري ✽ أعف لدى عسري وأبدي تجملي ✽ ولا خير فيمن لا يعف لدى العسر ✽ وإني لأستحيي إذا كنت معسرا ✽ صديقي وإخواني بأن يعلموا فقري ✽ وأقطع إخواني وما حال عهدهم ✽ حياء وإعراضا وما بي من كبر ✽ فإن يك عار ما أتيت فربما ✽ أتى المرء يوم السوء من حيث لا يدري ✽ ومن يفتقر يعلم مكان صديقه ✽ ومن يحي لا يعدم بلاء من الدهر ✽ ومن مستحسن قوله أنا مسكين لمن أبصرني ✽ فما قصرت قدري بيوت الحي والحجر ✽ وقيل إن مسكينا لقب وإن اسمه ربيعة وإنما سمي بذلك لقوله وسميت مسكينا وكانت لجاجة ✽ وإني لمسكين إلى الله راغب ✽ ومعنى قصرت قدري أي سترت يريد أنها بادية لا يحجبها السواتر والحيطان ✽ ما مس رحلي العنكبوت ولا جدياته من وضعه غبرنه ✽ كأنه ملتجئ عن مواصلة السير وهجر الوطن لأن العنكبوت إنما تنسج على ما ثبت له الأبد ولا يكثر استعماله والجديات جمع على جدية وهي باطن دفة الرحل لا أخذ الصبيان التهم والأمر قد يعرض به الأمر يقول لا أقبل الصبي وأنا أريد المعرض بأمه ومثله العرض ✽ ولا ألفي لذي الود عارا سوطي ✽ لا أعبثه فرسنه

اربد * وانشد ابن الاعرابي مثله * اذا رايت صبي القوم يلثمه * ضخم المناكب لا عم ولا خال * فاحفظ صبيك
منه ان يدنسه * ولا يغرنك يوما قلة المال * رجع الى تمام القصيدة * ولرب ظامر قد تركت فناؤه يهوي و
بين الغبائر سنة * ومخاصم قاومت في كبد * مثل الدهان فكان لي العذر * ما علتي نوحي بنو علس الغر
وهم الملوك وخالي الاشرع عمي نداه غير منتحل * وابي الذي حدثته عمرو * في الجلبة الغر تهتاميته *
للناظرين كانها البيد * لا ارهب الحجرات ان غدت * حتى يواري ذكرنا القبر * لسنا كاقوام اذا كلحت
احدى السنين فجادهم قطر * مولاهم لحم على وضم * تنتابه العقبان والنسر * ناري ونار الجار واحدة
واليه قبلي تنزل القدر * يقال انه كانت له امراة فاضمته فلما قال ذلك قالت له اجل انها نارك ونار
واحدة لانك اوقد ولم توقد والقدر تنزل اليه قبلك لانه يطبخ ولو تطبخ وانشد تنظمه * ما ضر جاري
ان اجاوره * ان لا يكون لبيته ستر * قال * ويقال انها قالت له في هذا البيت صدقت اجل انه كان له ستر
هتكته * اعمى اذا ما جارتي خرجت * حتى يواري جارتي الخدر * ويصم عما كان بينهما * سمعي وما في سمعي وقر
وانشد عمرو بن شبة لمسكين ايضا * لا تجعليني كاقوام علمتهم * لم يطلبوا النيب يوما ولا دجاء * اني
لا علامتهم باللحم قد علموا * نيا وارحضهم باللحم ان ضحيا * يا ربة البيت قد فرحت بينهما * اذا هم انكحوا
في الصد واعتلجا * ادم حلفتهن ذات خلفيته * وامزج الحلو لحيا بالمر مزجا * واقطع الخرق بالخرقاء
لاهية * اذا الكواكب كانت في الدجى سرجا * ما انزل الهم من امر اكرهه * الا سيجعل لي من بعده فرجا
ما مد قوم بايديهم الى شرف * الا رافنا فيما فوقهم درجا * وانشد ابو العباس ثعلب له *
اضاحك ضيفي قبل انزال رحله * ولم يلهني عنه غزال مقنع * احدثه ان الحديث من القرى * وتعلم
نفسي انه سوف يهجع * اضاحك ضيفي قبل انزال رحله * ويخصب عندي والمكان جديب * وما
الخصب للاضياف ان يكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب * ويغلب لحاظ العيف في البيت
بجنبه * ولم يلهني عنه غزال مقنع * احدثه ان الحديث من القرى * وتعلم نفسي انه سوف يهجع * ومعنى
احدثه ان الحديث من القرى اي اصبر على حديثه واعلم انه سوف ينام ولا اعرض بحاديثه فاكون قد
قريته بالحديث الحسن من تمام القرى * وقال الاصمعي احسن ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارمي * الا

في الغيرة

ايها الغاير المستشيط * علام تغار اذا لم تغر * فما خير عرس اذا خفتها * وما خير بيت اذا لم يزر *
تغار على الناس ان ينظروا * وهل يفتن الصالحات النظر * فاني ساخلي لها بيتها * فتحفظ لي نفسها او تذر
اذا الله لم يعطه ودها * فلن يعطي الود سوط ممر * ومن ذا يراعي له عرسه * اذا ضمه والمطي السفر * قال
وكان مسكين كثير اللهج بالقول في هذا المعنى فمن ذلك قوله * واني امرؤ لا الف البيت قاعدا الى جنب
عرسي لا افرطها شبرا * ولا مقسم لا ابرح الدهر بينها * لاجعله قبل الممات لها قبرا * اذا هي
لم تحصن امام فنائها * فليس بمنجيها بناني لها قصرا * ولا حاملي ظني ولا قيل قايل * على غير شيء ان احطمها كسرا

بها

تأويل ولقد همت به وهم بها الآية

بها خبرا * وينفي اثر الغيث ما دمت شاهدا * فكيف اذا ما سرت من بيتها شهرا * وانشد ابو العباس عن ابي
العالية لمسكين * ما احسن الغيرة في حينها * واقبح الغيرة في كل حين * من لم يزل متهما عرسه * مناصبا
فيها لرجم الظنون * يوشك ان يغريها بالذي * يخاف ان ينصبها للعيون * حسبك من تحصينها ضمها * منك
الى خلو كريم ودين * لا تظهرن منك على عورة * فيتبع المقرون حبل القرين * مجلس آخر تأويل آية ان
سال سايل عن قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فقال هل يسوغ ما تأول بعضهم في هذه
الاية عليه من ان يوسف عليه السلام عزم على المعصية وارادها وانه جلس مجلس الرجل من المراة ثم
انصرف عن ذلك بان رأى صورة ابيه يعقوب عليه السلام عاضا على اصبعه متوعدا على مواقعة المعصية
او بان نودي بالنهي والزجر في الحال على ما وردت به الحديث الجواب قلنا اذا ثبت بادلة العقل التي لا يدخلها
الاحتمال والمجاز ووجوه التأويلات ان المعاصي لا تجوز على الانبياء عليهم السلام صرفنا كل ما ورد ظاهره
بخلاف ذلك من كتاب وسنة الى ما يطابق الادلة ويوافقها كما نفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهره مخالفا
لما تدل عليه العقول من صفاته تعالى وما يجوز عليه او لا يجوز ولهذه الاية وجوه من التأويل كل
واحد منها يقتضي نزاهة نبي الله من العزم على الفاحشة وارادة المعصية اولها ان الهم في ظاهر الاية متعلق
بما لا يصح ان يتعلق به العزم والارادة على الحقيقة لانه تعالى قال ولقد همت به وهم بها فعلق الهم بهما و
ذاتاهما لا يجوز ان يرادا ويعزم عليهما لان الموجود الباقي لا يصح ذلك فيه فلا بد من تقدير محذوف
يتعلق العزم به وقد يمكن ان يكون ما تعلق به همه عليه السلام انما هو ضربها او دفعها عن نفسه كما يقول
القايل قد كنت هممت بفلان وقد هم فلان بفلان اي بان يوقع به ضربا او مكروها فان قيل فاي معنى
لقوله تعالى لولا ان راى برهان ربه والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها قلنا يمكن ان
يكون الوجه في ذلك انه لما هم بدفعها وضربها اراه الله تعالى برهانا على انه ان اقدم على ما هم به اهلكه
اهلها او قتلوه او انها تدعي عليه المراودة على القبيح وتقذفه بانه دعاها اليه وان ضربه لها كان
لامتناعها فقطن من ذلك بعض من لا تأمل له ولا علم بان مثله لا يجوز عليه فاخبر الله سبحانه بانه صرف
بالبرهان عنه السوء والفحشاء ويعني بذلك القتل والمكروه اللذين كانا يوقعان به لانهما يستحقان
الوصف بذلك من حيث القبح او يعني بالسوء والفحشاء ظنهم به ذلك فان قيل هذا الجواب يقتضي ان جواب
لولا ان يتقدمها ويكون التقدير لولا ان راى برهان ربه لضربها ودفعها وتقدم جواب لولا قبيح
مستقل او يقتضي ان يكون لولا بغير جواب قلنا اما تقدم جواب لولا فجايز وسنذكر ما فيه عند
الجواب المختص بذلك على انا لا نحتاج اليه في هذا الجواب لان العزم على الضرب والهم به قد وقع الا انه انصرف
عنه بالبرهان والتقدير ولقد همت به وهم بدفعها لولا ان راى برهان ربه لفعل ذلك فالجواب في

ابو العيناء

الحقيقة محذوف وفي الكلام تقديم كما حذف الجواب في قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم معناه ولولا فضل الله عليكم لهلكتم ومثله كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم معناه لو تعلمون علم اليقين لما تنافستم في الدنيا وتفاخرتم فيها وقال امرؤ القيس فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط انفسا اراد فلو انها نفس تموت سوية لانقضت وفنيت فحذف الجواب على ان من تأول هذه الآية على الوجه الذي لا يليق بنبي الله واضاف العزم على المعصية اليه لا بد له من تقدير جواب محذوف ويكون التقدير عنده ولقد همت بالزنا وهم به لولا ان رأى برهان ربه لفعله

فان قيل قوله هم بها كقوله همت به فلم جعلتم همها به متعلقا بالقبيح وهمه بها متعلقا بما ذكرتم من الضرب وغيره قلنا اما الظاهر فلا يدل على ما تعلق به الهم والعزم فيهما جميعا وانما اثبتنا همها به متعلقا بالقبيح لشهادة الكتاب والآثار وهي ممن يجوز عليها فعل القبيح ولم يؤمن دليل من جوازه عليها كما امن ذلك فيه عليه السلام والموضع الذي يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه الى قوله انا لنراها في ضلال مبين وقوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وقوله عز وجل حاكيا عنها الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وفي موضع اخر قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم والآثار واردة باطباق مفسري القرآن ومتأوليه على انها همت بالفاحشة والمعصية والوجه الثاني في تأويل الآية ان يحمل الكلام على التقديم والتأخير ويكون تلخيصه ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها ويجري ذلك مجرى قولهم قد هلكت لولا ان تداركتك وقتلت لولا اني خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصي لقتلت وان لم يكن وقع هلاك ولا قتل قال الشاعر فلا يدعني قومي صريحا لحرة لئن كنت مقتولا ويسلم عامر وقال الآخر فلا يدعني قومي ليوم كريهة لئن لم اعجل ضربة او اعجل فقدم جواب لئن في البيتين جميعا وقد استشهد عليه ايضا بقوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك والهم لم يقع لمكان فضل الله عز وجل ورحمته ومما يشهد لهذا التأويل ان في الكلام شرطا وهو قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه فكيف يحمل على الاطلاق مع حصول الشرط وليس لهم ان يجعلوا جواب لولا محذوفا مقدرا لان جعل جوابها موجودا اولى وقد استبعد قوم تقديم جواب لولا عليها قالوا لو جاز ذلك لجاز قام زيد لولا عمرو وقصدتك لولا بكر وقد بينا بما اوردناه من الامثلة والشواهد جواز تقديم جواب لولا والذي ذكروه لا يشبه ما جئنا به ويجوز ان يقول القائل قد كان زيد قام لولا كذا وكذا وقد كنت قصدتك لولا ان صدني فلان وان لم يقع قيام ولا قصد وهذا هو الذي يشبه الآية وليس تقديم الجواب بابعد من حذفه جملة من الكلام واذا جاز عندهم الحذف لئلا يلزمهم تقديم الجواب جاز لغيرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف

اى جواب لولا

الجواب

والجواب الثالث ما اختاره ابو علي الجبائي قال كان عزمه قد تقدم الى امضائها وهو ان يكون معنى همها شهوتها وميل الطبع الى ما دعته اليه وقد يجوز ان تسمى الشهوة في مجاز اللغة هما كما يقول القائل فيما لا يشتهيه ليس هذا من همي وهذا اهم الاشياء الي ولا قبح في الشهوة لانها من فعل الله تعالى فيه وانما يتعلق القبيح بتناول المشتهى وقد روي هذا التأويل عن الحسن البصري قال اما همها فكان اخبث الهم واما همه فما طبع عليه الرجال من الشهوة للنساء ويجب على هذا الجواب ان يكون قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه متعلقا بمحذوف كانه قال لولا ان رأى برهان ربه لعزم او فعل والجواب الرابع ان من عادة العرب ان يسمي الشيء باسم ما يقع في الاكثر عنده وعلى هذا لا ينكر ان يكون المراد بهمها خطر ببالها امرها ووسوس اليها الشيطان بالدعاء اليها من غير ان يكون هناك هم وعزم فسمي الخطور بالبال هما من حيث كان الهم يقع في الاكثر عنده والعزم في الاغلب يتبعه وانما ينكر ما ادعاه جهلة المفسرين ومحرفوا القصاص وفي نبوته عليه السلام لما في العقول من الادلة على ان مثل ذلك لا يجوز على الانبياء عليهم السلام من حيث كان منفرا عنهم وقادحا في الغرض المجرى اليه بارسالهم والقصة تشهد بذلك لانه قال كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ومن اكبر السوء والفحشاء العزم على الزنا ثم الاخذ فيه والشروع في مقدماته وقوله تعالى ايضا انه من عبادنا المخلصين يقتضي تنزيهه عن الهم بالزنا والعزم عليه وحكايته عن النسوة قولهن حاش لله ما علمنا عليه من سوء تدل ايضا على براءته من القبيح فاما البرهان الذي رآه فيحتمل ان يكون لطفا لطفه الله له في تلك الحال او قبلها اختار عنده الانصراف عن المعاصي والتنزه عنها ويحتمل ايضا ما ذكره ابو علي وهو ان يكون البرهان دلالة الله تعالى له على تحريم ذلك عليه وعلى ان من فعله استحق العقاب وليس يجوز ان يكون البرهان ما ظنه الجهال من رؤية صورة ابيه يعقوب عليه السلم متوعدا له او النداء له بالزجر والتخويف لان ذلك ينافي المحنة وينقض الغرض بالتكليف ويقتضي ان لا يستحق على امتناعه وانزجاره مدحا ولا ثوابا وهذا سوء ثناء على الانبياء عليهم السلم واقدام على قرفهم بما لم يكن منهم ونحمد الله على حسن التوفيق حدثنا احمد بن عبيد الله بن العباس الصولي الملقب بطماس قال كنت يوما عند عمي ابرهيم بن العباس فدخل اليه رجل فرفعه حتى جلس الى جانبه او قريبا من ذلك ثم حادثه الى ان قال له عمي يا ابا تمام ومن بقي ممن يعتصم به ويلجأ اليه فقال انت لا عدمت وكان ابرهيم طويلا انت في الله كما قيل بممتد نجاد السيف حتى كانه باعلى سنامي فالج يتطوح ويدلج في حاجات من هو نائم ويورى كريمات الندى حين يقدح اذا اعتم بالبرد اليماني خلته هلالا بدا في جانب الافق يلمح يزيد على فضل الرجال فضيلة ويقصر عنه مدح من يتمدح فقال له ابرهيم انت تحسن قائلا وراويا ومتمثلا فلما خرج تبعته وقلت له اكتبني الابيات فقال هي لابي الجويرية العبدي فخذها من شعره ودع عنك مخبئ البختري قال ابياتي بذكرها غيره من الرأي

منها نحو ذلك

اى التكليف

مأمون بن هارون بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم

اهل الشام بمعان من الشعر فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه فانشدوا اشياء كثيرة فقال
لهم ابي فلم يخرج من هذا كاتب كان بالعراق فقال الحب النوم حتى كانما * اذ رأى مثلك حقا كا *
مثل الصبر عند الهجر فابلغ بي مدا * كان يعرف همة عين تطمع ان تراكا * اوما خط لعيني *
ان ترى من بعد ذاكا * ليت حظي منك ان تعلم فاني من هواكا * قال ابي انظر كيف تصرف في معاني الشعر
في هذه الابيات قال فكتبناها عند جماعة من حضر والابيات لابراهيم بن العباس الصولي واخبرنا علي
بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال لما بايع المامون لعلي بن موسى الرضا عليهما السلام بالعهد
امر الناس بلبس الخضرة وصار اليه دعبل بن علي وابراهيم بن العباس الصولي وكانا صديقين لا يفترقان
فانشد دعبل * مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات * وانشد ابراهيم بن العباس
على مذهبها قصيدة اولها * ازالت عزاء القلب بعد التجلد * مصارع اولاد النبي محمد * قال
فوهب لهما عشرين الف درهم من الدراهم التي عليها اسمه وكان المامون امر بضربها في ذلك الوقت
فاما دعبل فصار بالشطر منها الى قم فاشترى اهلها منه كل درهم بعشرة دراهم فباع حصته بمائة
الف درهم واما ابراهيم فلم يزل عنده بعضها الى ان مات قال الصولي ولم اقف على قصيدة ابراهيم على اكثر
من هذا البيت قال وكان الشيخ في غير هذا الفن من شعره ما تخير ابو العنبس صديقا لاسحق
ابن ابراهيم اخي زيدان الكاتب المعروف بالزمن فانتسخ شعره في علي بن موسى الرضا عليهما السلام
وقد انصرف من خراسان ودفع اليه شيئا بخطه منه ولم تكن النسخة عنده الى ان ولي المتوكل وولى
ابراهيم بن العباس ديوان الضياع وقد كان تباعد ما بينه وبين اخي زيدان فعزله عن ضياع كانت
في يده بحلوان وغيرها وطالبه بمال والح عليه واساء مطالبته فدعا اسحق بعض من يثق به من اخوانه
وقال له امض الى ابراهيم بن العباس فاعلمه ان شعره في علي بن موسى الرضا بخطه عندي وبغير خطه و
الله لئن استمر على ظلمي ولم يزل عن المطالبة لاوصلن الشعر الى المتوكل قال فصار الرجل الى ابراهيم بن
العباس فاخبره بذلك فاضطرب اضطرابا شديدا وجعل الامر في ذلك الى الواسطة حتى اسقط جميع
ما كان يطالبه به واخذ الشعر منه واحلفه انه لم يبق عنده منه شيء فلما حصل عنده احرقه بحضرته
وذكر ابو احمد يحيى بن علي المنجم ان اباه علي بن يحيى كان الواسطة بينهما قال الصولي وما عرفت من شعر ابراهيم
في هذا المعنى شيئا الا ابياتا وجدتها بخط ابي قال انشدني اخي لعمه في علي بن موسى الرضا عليهما السلام
من قصيدة * كفى بفعال امرئ عالم * على اهله عادلا شاهدا * ارى لهم طارفا مؤتنفا * ولا يشبه
الطارف التالدا * يمن عليكم باموالكم * وتعطون من مائة واحدا * فلا حمد الله مستنصرا * يكون لا
عدائكم حامدا * فضلت قسيمك في قعدد * كما فضل الوالد الوالدا * قال الصولي يعني في قوله فضلت
قسيمك في قعدد ان علي بن موسى والمامون متساويين في قعدد النسب في هاشم التاسع من آبائهما جميعا

اشعار دعبل

وذكر الصولي انه انشد ابراهيم بن العباس وهو في مجلسه في ديوان الضياع ربما تكره النفوس من الامر
له فرجة كحل العقال فقال فنكت بقلمه ساعة ثم قال * ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله
منها المخرج * كملت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج * فعجب من جودة بديهته
واخبرنا ابو الحسن علي بن محمد قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني العنبر بن اسماعيل ابو ذكوان قال
كنت بالاهواز ايام الواثق وابراهيم بن العباس يلي معونتها وخراجها فوصفت له بالادب فراسلني
فلما دخلت عليه قربني واجلسني ثم قال احسب انك [illegible] فانبسطت حتى سألني
عن الاشعار فما رأيت احدا قط اعلم بالشعر منه فقال لي ما عندك في قول النابغة الم تر ان الله اعطاك
سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب * فانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب *
فقلت اراد تفضيله على الملوك فقال صدقت [illegible] في الشعر [illegible] وهو انه اعتذر الى النعمان من قصده
الى الجفنة الى الشام وقال انما فعلت لهم هذا لجفائك لي فاذا اصطنعتني لم ارد غيرك كما ان من اضاءت
له الشمس لم يحتج الى ضوء الكوكب * فانه بهذين قصد تفضيله فاستحسنت ذلك منه وكان ابراهيم بن العباس
من احسن الناس ولاحمد بن ابي دؤاد غضب على ابن ابي الوليد من شيء [illegible] وصلح اباه واحسن في الخلق
كل الاحسان فقال * عفت عن ما اتيت منك [illegible] * على مجالس بناها ابوك لكا * لئن تقدمت ابناء
الكرام به * لقد تقدم آباء اللئام بكا * ولابراهيم ايضا * من الصبا صفحا لنا كن ذي الغضا و
يصدع قلبي ان يهب هبوبها * قريبة عهد بالحبيب انما * هوى كل نفس حيث كان حبيبها * تطلع من نفسي
اليك نوازع * عوارف ان اليأس منك نصيبها * واخذ هذا من قول ذي الرمة * اذا هبت الارواح من نحو
جانب * به آل مي هاج شوقي هبوبها * هوى تذرف العينان منه وانما * هوى كل نفس حيث كان حبيبها
ولابراهيم ايضا * دنت باناس عن تناء زيارة * وشط بليلى عن دنو مزارها * وان مقيمات بمنعرج اللوى *
لاقرب من ليلى وهاتيك دارها * روى ابن [illegible] بن عبد الملك الزيات [illegible]
يقولون هذا ام عمرو قريبة * دنت بك ارض نحوها وسماء * الا انما بعد الحبيب وقربه * اذا هو لم يوصل
اليه سواء * ووجدت بعض اهل الادب يظن ان ابراهيم بن العباس سبق الى هذا المعنى في قوله كن كيف
شئت وانى شئت وابرق يمينا واذهب شمالا * [illegible] الذباب [illegible] مقادير ان ينالا *
حتى رأيت مسلم بن الوليد قد سبق الى هذا المعنى واحسن غاية الاحسان فقال اما الهجاء فدق عرضك
دونه والمدح عنك كما علمت جليل * فاذهب فانت طليق عرضك انه * عرض عززت به وانت ذليل
مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى حاكيا عن يوسف قال رب السجن احب الي مما
يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فقال اذا كانت المحبة عندكم هي
الارادة فهذا تصريح من يوسف عليه السلام بارادة المعصية لان حبسه في السجن وقطعه عن التصرف معصية

مجلس آخر

تأويل آية

من فاعله ويمنع من المقدم عليه ويقوى القبيح مجرى ما دعى اليه من الزنا وقوله من تعيذ والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن يدل على امتناعه من القبيح مشروط بمنعهم وصرفهم عن كيده وهذا خلاف مذهبكم لانكم تذهبون الى ان ذلك لا يقع منه صرف النبوة عن كيده اولم يصرفهن الجواب قلنا اما قوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه ففيه وجهان من التاويل اولهما ان المحبة متعلقة في ظاهر الكلام بما لا يصح على الحقيقة ان يكون محبوبا مرادا لان السجن انما هو الجسم نفسه والاجسام لا يجوز ان يريدها وانما يريد الفعل فيها والمتعلق بها والسجن نفسه ليس بطاعة ولا معصية وانما الافعال فيه قد تكون طاعات ومعاصي بحسب الوجوه التي تقع عليها فادخال القوم يوسف الحبس واكراههم له على دخوله معصية منهم وكونه فيه وصبره على ملازمته والمشاق التي تنالها بسببها طاعة منه وقربة وقد علمنا ان ظالما لو اكره مؤمنا على ملازمة بعض المواضع وترك التصرف في غيره لكان فعل المكره حسنا وان كان فعل المكره قبيحا وهذه الجملة تبين انه لا ظاهر للآية يقتضي ما ظنوه وانه لا بد من تقدير محذوف يتعلق بالسجن وليس لهم ان يقدروا ما يرجع الى الحابس من الافعال الا وقلنا ان نقدر ما يرجع الى المحبوس واذا احتمل الكلام الامرين وقد دل الدليل على ان النبي لا يجوز ان يريد المعاصي والقبائح اختص المقدر المحذوف بما يرجع اليه مما ذكرناه وذلك لا لوم على مريده ومحبه فان قيل كيف يجوز ان يقول السجن احب الي مما يدعونني اليه وهو لا يحب ما دعوه اليه جملة ومن شان مثل هذه اللفظة ان تدخل بين شيئين وقع اشتراكهما في معناها وان فضل البعض على البعض قلنا قد تستعمل هذه اللفظة في مثل هذا الموضع وان لم يكن في معناها اشتراك على الحقيقة الا ترى ان من خير بين ما يحبه وما يكرهه جاز ان يقول هذا احب الي من هذا وان لم يحبه البتة ان يقول من غير ان يخير هذا احب الي من هذا اذا كان لا يحب احدهما جملة وانما يسوغ ذلك على احد الوجهين بدون الاخر من حيث كان المخير بين الشيئين لا يخير بينهما الا وهما مرادان له او مما يصح ان يريدهما فموضع التخيير يقتضي ذلك وان حصل مما ليس هذه صورته الجيد على مذاهبهم قال كذا احب الي من كذا كان مجيبا على ما يقتضيه موضع التخيير وان لم يكن الامران على الحقيقة يشتركان في تناول محبته ومما يقارب ذلك قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون ونحن نعلم انه لا خير في العقاب وانما حسن ذلك لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيار المعاصي على الطاعات وانهم اكرهوا لاعتقادهم ان فيها خيرا او نفعا فقيل اذلك خير على ما تظنونه وتعتقدونه ام كذا وكذا وقد قال قوم في قوله تعالى اذلك خير ام جنة الخلد انما حسن لاشتراك الحالين في باب المنزلة وان لم يشتركا في الخير والنفع كما قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ومثل هذا قد تاتي في قوله تعالى رب السجن احب الي لان الامرين يعني المعصية ودخول السجن مشتركان في ان لكل واحد

منهما

تمنعهم وصرفهم

وحده

للآية

عنوه

يقع

شيئا

عن قصد

لاعتقادهم

من تتبع المشمعة يشمع الله به   روى عن النبي ص

منهما داعيا وعليه باعثا وان لم يشتركا في تناول المحبة فجعل اشتراكهما في داعي المحبة اشتراكا في المحبة نفسها واجري اللفظ على ذلك ثم من قرا هذه الآية بفتح السين فالتاويل ايضا ما ذكرناه لان السجن المصدر فيحتمل ان يريد ان سجنهم لي بقيني فيصيري على حبسهم احب الي من مواقعة المعصية ولا يرجع الى فعلهم بل الى فعله والوجه الثاني ان يكون معنى احب الي اي اهون علي واسهل علي وهذا كما يقال لاحدنا في الامرين يكرههما معا ان فعلت كذا والا فعلت بك كذا فيقول بل كذا احب الي بمعنى اسهل واخف وان كان لا يريد واحدا منهما وعلى هذا الجواب لا يمتنع ان يكون انما عنى فعلهم بدون فعله لانه لا يخبر عن نفسه بالمحبة التي هي الارادة وانما وضع احب موضع اخف والمعصية قد تكون اخف واهون من اخرى فاما قوله والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن فليس المعنى فيه ما ظنه السائل بل المراد متى لم تلطف لي بما يدعو الى مجانبة المعصية ويدعو الى تركها ومفارقتها صبوت وهذا منه عليه السلم على سبيل الانقطاع الى الله تعالى والتسليم لامره وانه لولا معونته ولطفه ما نجا من كيدهن ولا شبهة في ان النبي عليه السلم انما يكون معصوما عن القبائح بعصمته تعالى وبلطفه وتوفيقه فان قيل الظاهر خلاف ذلك لانه قال والا تصرف عني كيدهن فيجب ان يكون المراد ما يمنعهم من الكيد ويدفعه والذي ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لا يقتضي ارتفاع الكيد والانصراف عنه قلنا معنى الكلام والانصراف عني ضرر كيدهن والغرض به لانهن انما اجرين بكيدهن الى مساعدته لهن على المعصية فاذا عصم منها ولطف له في الانصراف عنها كان الكيد قد انصرف عنه ولم يقع من حيث لم يقع ضرره وما اجري به اليه ولهذا يقال لمن اجرى بكلامه الى غرض لم يقع ما قلت شيئا ولمن فعل ما لا تاثير له ما فعلت شيئا وهذا بين بحمد الله ومنه تاويل خبر ان سال سائل عن تاويل الخبر الذي يرويه عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في خطبة طويلة من تتبع المشمعة يشمع الله به الجواب ان المشمعة هي الضحك والمزاح واللعب يقال شمع الرجل يشمع شموعا وامراة شموع اذا كانت كثيرة المزاح والضحك قال ابو ذويب يصف الحمير بعراد فبعان سفا بادرا ابله واده فانجم نرفه لا نقلع فلبثن حينا يعتلجن بروضة فيجد حينا في العلاج ويشمع اراد ان الحمار الذي وصف الحمر الاتن وانه معهن ياتي بعض الفعل المعارك لبعض الاتن ومعنى يعتلجن يعاض بعضها بعضا ويمرحن من النشاط فيجد الفحل معهن مرة واخرى ياخذ معهن في اللعب ويشمع وفي يجد لغتان يجد ويجد والفتح اولى لغة هذيل ويقال فلان جاد ومجد على اللغتين معا وقيل ان معنى ويشمع في الحمار انه يتشمم ثم يرفع راسه فيكشر عن اسنانه فجعل له ذلك بمنزلة الضحك قال الشماخ ولو اني اشاء كننت نفسي الى لبات هبكنة شموع وقال المتنخل الهذلي ولا والله نادي الحي ضيفي هدوا بالمساءة والعلاط سابدهم بمشمعة واثني بجهدي من طعام

بروضة

بمنزلة الضحك

او بناط اراد بقوله نادّ الحي صنيعي اي لا يناد ونهز من النداء بالسوء والمكروه ولا يشلقونه الا بما
يؤثر والعلاط من علّطه واعتلطه اذا خاصمه وشاغبه ووسمه بالشر واصله من علاط البعير
وهو وسم في عنقه وقيل ان المعنى نادّ الحي من النادي اي لا يجالسونه في المكروه والسوء ومعنى
سامرهم بمثمير اي يلعب ويضحك لان ذلك من علامات الكرم والتودد بالضيف والفضل الى
ايناسه وبسطه ومنه قول الاخر ودو ضيف طرق الحي سرى صادف زادا وحديثا ما اشتهى
ان الحديث جانب من القرى ورواه الاصمعي عن خلف الاحمر قال سمعت الاعراب اذا حل بها
الرجل الغريب في هذه السنة بخوه ايفق بالقرى واذا اعرضوا عنه عرف الحرمان ومعنى اني نجهد
من طعام او بناط اي اتبع ذلك بهذا ومعنى الخبر على هذا ان من شأن العبث بالناس والاستهزاء
بهم والضحك منهم اصاره الله تعالى الى حالة يعبث به فيها ويستهزا منه ويقارب هذا الحديث
من وجه حديث اخر وهو ما روي عنه صلى الله عليه وآله من سمّع الناس بعلمه سمّع الله به والمعنى
من يرائي باعماله ويظهرها تقربا الى الناس واتخاذا للمنازل عندهم شهّره الله تعالى بالرياء ويفضحه
ويهتكه ويمكن ايضا في الخبرين وجه اخر لم نذكره وهو ان من عادة العرب ان يسموا الجزاء على الشيء
باسمه ولذلك نظائر في القرآن واشعار العرب كثيرة مشهورة فلا ينكر ان يكون المعنى من يتبع
اللهو من الناس والاستهزاء بهم يعاقبه الله ويجازيه على ذلك به فسمي الجزاء على الفعل باسمه وهذا
الوجه ايضا ممكن في الخبر الثاني اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا
عبد الرحمن ابن اخي الاصمعي عن عمه قال اني لفي سوق ضرية وقد نزلت على رجل من بني كلاب كان
مثريا سمحا بالبصرة وكان له ابن بضرية اذ اقبلت عجوز على ناقة لها حسنة البزة فيها بقايا من جمال
فعقلت ناقتها واقبلت تتوكأ على محجن لها فجلست قريبا منا وقالت هل من منشد فقلت للكلابي
ايحضرك شيء قال لا فانشدتها شعر البشر بن عبد الرحمن الانصاري وقصير الايام في جليسها
لو باع مجلسها بفقد حميمه من محدثات اخي الهوى غصص الحجى بدلا لاغانية ومقلة ريم
صفراء من بقر الجواء كانما خفر الحياء بها ذراع سقيم قال فجثت على ركبتيها واقبلت تخط
الارض بمحجنها وانشأت تقول فدى يا اميم القلب نفرة محنة وتشكو الهوى ثم افعلي ما بدا
لك فلو قلت طأ في النار اعلم انه هوى لك او مدن لنا من وصالك لقدمت رجلي نحوها
فوطئتها هدى منك لي او ضلة من ضلالك سل البانة العلياء من الاجرع الذي به البان
او كلمت اطلال دارك وهل قمت في اطلالهن عشية قيام سقيم القلب لحزنه ذلك ليهنك
امساكي بكفي على الحشا ورقراق دمعي رهبة من زيالك لئن ساءني ان نلتني بمساءة لقد
سرني اني خطرت ببالك قال الاصمعي فظلمت والله على الدنيا ظلاما وقد منطقها وفصاحتها

طرف

انهم

من براغي

اي ...
فدنوت منها فقلت انشدتك الله لما ازددتني من هذا فرايت الضحك في عينيها وانشدت ومستخفيا
ليس يخفين ذو رئاء بحجبن اذ قال للصبابة والشكل جمعن الهوى حتى اذا ما ملكنه نزعن وقد اكثر
فينا من القتل مريضات رجع القول خرس من الخناء تالفن اهواء القلوب بلا بذل تمواد في
مرحيل الحب عن لطف تخيل في ذكر الالباب بالجد والهزل تبغض في العذال فيهن والهوى تجدد في
من ان الطبع ذو العذل. قال السيد المرتضى قدس الله روحه اما قول الانصاري وقصير الايام
فاراد بذلك ان السرور يتكامل بحضورها لحسنها وطيب حديثها فتقصر ايام جليسها لان ايام
السرور موصوفة بالقصر ويمكن ان يريد بقصير الايام ايضا حداثة سنها وقرب عهدها بولادها و
ان كان الاول اشبه بما اتى في اخر البيت ومعنى لو باع مجلسها بفقد حميمه اي ابتاعه فهذه اللفظة من
الاضداد لانه يستعمل في البايع والمشتري قال الفراء سمعت اعرابيا يقول بع لي تمرا بدرهم اي اشتر لي تمرا
بدرهم وقال الشاعر فباع فلنبت الثاني لاذخال كحيناه ويعلن باع الود لي منك تاجرا اي ابتاع وقوله
من محدثات اخي الهوى اي معطيات يقال احذيت الرجل العطية والغنيمة الحذية احذاه اذا اعطيته
الاسم الحذية والحذوة والحذيا بالكل ذلك العطية وقوله كانما خفر الحياء بها ذراع سقيم فالذراع
هو الوجع في الجسد فاراد انها منقبضة منكسرة من الحياء كالسقيم او يريد تغير لونها وصفرتها من
الحياء كما يتغير لون السقيم ويجري ذلك مجرى قول الاخطل وتخرق منه الغمض تحاله بين البيوت
من الحياء سقيما اخبرني المرزباني قال حدثنا ابو عبيد الله الحكيمي قال اخبرنا ميمون بن هارون الكاتب
قال حدثني ابن اخي الاصمعي عن عمه قال لقيت اعرابيا بالبادية فاسترشدته الى مكان فارشدني وانشد
ليس العمى طول السؤال وانما تمام العمى طول السكوت على الجهل ثم رجعت الى البصرة فمكثت بها حينا
ثم قدمت البادية فاذا انا بالاعرابي جالسا بين ظهراني قوم وهو يقضي بينهم فما رايت قضية اخطات
فصلها الجنس من تضيعه لحسنه السير فقلت يرحمك الله اما من دثوره اما من هدنة اما من صلة فقال
لا اذ لغا هذا ذهب الموحش فشكوت اليه ما القى من هذا الحليلة لى باى في طلب المعيشة فقال
لست فيها باوحد واني لشريكك لقد قلت في ذلك شعرا فقلت انشدنيه فانشدني يا ابنة خير في
الاقشاب في العدماء لهار انت لا يخطأ المال والخطا يعنف لراب ما الا درأى من جلبة ولا من العجز
بل هضوتها يا امة الله انني لم ادع طلبا للرزق قد تعلمين الشرق والشاما وكل ذلك بالاجمال
في طلب الم ادري عرضا ولم اسفك ذلك ماء لو كان من جلب ذا المال والادب لكنت اكثر من مثل
القرى نعما ارضى من العيش ما لا يخرجني معه ان تقتفي لنوال الاغنياء فما واستشعر الصبر على
خال القنا يوما سيكشف عنا الفقر والعدما لا تحوجني الى ما لو بذلت له نفسي لا عقبك التهام في
الندما تاسه ستران الله خولني ما كان خوله الاعراب والعجما ما سرني انني خولت ذلك ولا

ابو عبيدة

القرّ

النهام النعم

حاجبيه أقذ ان لا اقول للباغي حاجتي نعما وانني لم اخن عقلا ولا ادبا ولم اردت والله مجدا ولا كرما ومعرفة المرء اجرى من معاشك من امر يجر عليك الحرم والالما قال فواهه ما انشدتها حتى حلفت ان لا تعذلني ابدا حدثنا على بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابو دريد قال اخبرنا عبد الرحمن ابن اخي الاصمعي عن عمه قال رايت بقبا شابا من بني عامر ما رايت ابلغ منه ولا افصح منه ولا اظرف فوالله لكانه شواظ يتلظى فاستنشدته فانشد فلم انسكم يوم اللوى اذ تعرضت لنا ام طفيل خادلا قد تخلت وقالت ساتسيك العشية ما مضى واصرف عنك النفس عما اجنت فما فعلت الا والذ انا عبده على ما بدا من حسنها اذ ادلت الا ان سابقات الحب لا تغفرها لنا اليك وما تنثنى اذا ما استقرت هواك الذى فى النفس امسى حليلها عليه انطوت احشاؤها واستمرت وانشد لى ايضا ديار للتى طرفتك وهنا بريا روضة وذكاء ند تناسلي واصحا فهجود وتثنى عطفها من غير صد فلما ان شكوت الحب قالت فانى موثق بحبك كان حبك ولكن حال دونك ذو شذاة اغر يغقده وبهز قعكه وبهذا الاسناد عن الاصمعى قال قعدت الى اعرابى يقال له اسماعيل بن عماد واذا هو يفتل اصابعه ويتلهف فقلت له علام تلهفك فانشا يقول عينان سحتا بدمعهما والقلب حيران مبتلى بهما عرفنا الهوى بظلمهما يا ليتني قبل ما عرفتهما هما الى الحين قادنا وهما دلا على ما يجن دمعهما ساعة القلب هو انهما سبب هذا البلاء غيرهما وبهذا الاسناد قال الاصمعى قال نزلت ذات ليلة فى وادى بنى العنبر وهو اذ ذاك يغان باهله اى ممتلئ واذا فتية يريدون البصرة فاحببت صحبتهم فاقمت ليلتى تلك عليهم وانى لوصب محموم اخاف ان لا استمسك على راحلتى فلما قاموا ليرحلوا انفطرحى فلما ارادوا ان يرحلوا لى وحملونى وركب احدهم وراى ممسكنى فلما ان سيرنا دوا الا فتى يحدو بنا او ينشد فاذا منشد فى سواد الليل بصوت ندى حزين ينشد لعمرك انى يوم بانوا فلم امت خفاتا على اثارهم لصبور غداة المنتقى اذ رميت بنظرة ونحن على متن الطريق نسير فقالت لقلبى حين خف به الهوى وكاد من الوجد المبرح يطير فهذا ولما تمض للبين ليلة فكيف اذا مرت عليه شهور واصبح اعلام الاحبة دونها من الارض غول نازح ومسير ونحو الهوى منهم النوى اذ بدا شيئا فان نحن لعبرة عسى الله بعد النأى ان يسعف النوى ويجمع شمل بعدها وسرور قال فكشف الله الحمى عنى فقلت ما احسن بها فقلت لو دنا ان يرحمك الله الى قائلها سل وجزاك الله عن الصحبة خيرا اخبرنا المرزبانى قال حدثنا محمد بن يزيد النحوى قال حدثنى بعض اصحابنا عن الاصمعى قال كان بالبصرة اعرابى من بنى تميم يطفل على الناس فعاتبته على ذلك فقال والله ما بنيت المنازل الا لتدخل ولا وضع الطعام الا ليؤكل وما قدمت هدية فاتوقع رسولا ولا اكره ان اكون ثقيلا ثقيلا على من اراه شحيحا بخيلا اقحم عليه مستانفا واضحك ان رايته

تأويل ونادى نوح ربه فقال الآية

غائبا فاكل مرغما وادع بغيه وما الغرثى للشهوات طعام الطيب من طعام لا ينفق فيه درهمه ولا يعنى اليه خادم ثم انشد كل يوم ادور فى عرصة الحى اشم القتار شم الذبابة فاذا ما رايت اثار عرس او ختان او مجمع لاصحاب لم ادع دون التقحم لاذا ادهب دفعا ولكزا بالبواب مستهينا بما وجهت عليه غير مستاذن ولا هياب فترى الف بالرغم منهم كل ما قدموه لف العقاب ذاك ادنى من التكلف والغرم وغيظ البقال والقصاب

مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين فقال ظاهر قوله تعالى انه ليس من اهلك يقتضى تكذيب قوله ان ابنى من اهلى والنبى لا يجوز عليه الكذب فما الوجه فى ذلك وكيف يصح ان يخبر عن ابنه بانه عمل غير صالح وما المراد به الجواب قلنا فى هذه الاية وجوه اولها ان تكون نفيه لان يكون من اهله لم يتناول نفى النسب وانما نفى ان يكون من اهله الذين وعده الله بنجاتهم لانه عز وجل كان وعد نوحا بان ينجى اهله الا ترى الى قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول فاستثنى من اهله من اراد اهلاكه بالغرق ويدل عليه ايضا قول نوح عليه السلم ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وعلى هذا الوجه يتطابق الاخبار ولا يتنافيان وقد روى هذا التاويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين والجواب الثانى ان يكون المراد بقوله تعالى ليس من اهلك انه ليس على دينك واراد انه كان كافرا مخالفا لابيه فكان كفره اخرجه عن ان يكون له احكام اهله ويشهد لهذا التاويل قوله عز وجل على طريق التعليل انه عمل غير صالح فبين انه انما خرج من احكام اهله لكفره وسوء عمله وقد روى هذا الوجه ايضا عن جماعة من المفسرين وحكى عن ابن جريج انه سئل عن ابن نوح فسبح طويلا ثم قال لا اله الا الله يقول الله ونادى نوح ابنه ويقول ليس منه ولكنه خالفه فى العمل فليس منه من لم يؤمن وروى عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكن كان مخالفا له فى النية والعمل فمن ثم قيل انه ليس من اهلك والوجه الثالث انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما ولد على فراشه فقال عليه السلم انه ابنى على ظاهر الامر فاعلمه الله تعالى ان الامر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امراته وليس فى ذلك تكذيب خبره لانه انما خبر عن ظنه وعما يقتضيه الحكم الشرعى فاخبره الله تعالى بالغيب الذى لا يعلمه غيره وقد روى هذا الوجه عن الحسن وروى قتادة عن الحسن قال كنت عنده فقال نادى نوح ابنه لعمر الله ما هو ابنه قال قلت يا ابا سعيد يقول الله ونادى نوح ابنه وتقول ليس بابنه قال افرايت قوله ليس من اهلك قال قلت معناه ليس من اهلك الذين وعدتك ان انجيهم معك ولا يختلف اهل الكتاب انه ابنه فقال اهل الكتاب يكذبون وروى عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك وهذا الوجه بعيد اذ فيه منافاة للقران لانه تعالى قال ونادى نوح ابنه فاطلق عليه اسم النبوة ولانه ايضا استثناه من جملة اهله

الذباب لا اكرم

بقوله تعالى واهلك الا من سبق عليه القول ولان الانبياء عليهم السلم يجب ان ينزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعر وتشين وتغض من القدر وقد جنب الله انبيآءه عليهم السلم ما هو دون ذلك تعظيما لهم وتوقيرا ونفيا لكل ما ينفر عن القبول منهم وقد حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على ان تاول قوله تعالى في امراة نوح وامراة لوط فخانتاهما على ان الخيانة لم تكن منهما بالزنا بل كانت احداهما تخبر الناس بانه مجنون والاخرى تدل على الاضياف والمعتمد في تاويل الاية هو الوجه الاول

فاما قوله تعالى انه عمل غير صالح فالقراءة المشهورة بالرفع وقد روي عن جماعة من المتقدمين انهم قرءوا انه عمل غير صالح بنصب اللام وكسر الميم ونصب غير ولكل وجه فاما الوجه في الرفع فيكون على تقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح وصاحب عمل غير صالح فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء ❊ ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت ❊ فانما هي اقبال وادبار ❊ اراد انما هي ذات اقبال وادبار وقال قوم ان المعنى اصل ابنك هذا الذي ولد على فراشك ليس بابنك على الحقيقة عمل غير صالح يعني الخيانة من امراته وهذا جواب من ذهب الى انه لم يكن ابنه على الحقيقة والذي اخترناه خلاف ذلك وقال آخرون ان الهاء في قوله عز وجل انه عمل غير صالح راجعة الى السؤال والمعنى ان سؤالك اياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح لانه قد وقع من نوح دليل السؤال والرغبة في قوله رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق ومعنى ذلك اي نجه كما نجيتهم ومن يجيب بهذا الجواب يقول ان ذلك صغيرة من النبي لان الصغائر يجوز عليهم ومن يمنع ان تقع على الانبياء شيء من القبائح يدفع هذا الجواب ولا يجعل الهاء راجعة الى السؤال بل الى الابن ويكون تقدير الكلام ما تقدم فاذا قيل له فلم قال فلا تسالن ما ليس لك به علم وكيف قال نوح عليه السلم من بعد رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين قال لا يمتنع ان يكون نهي عن سؤال ما ليس له به علم وان لم يقع منه وان يكون تعوذ من ذلك وان لم يوقعه الا ترى ان الله قد نهى نبيه عن الشرك والكفر وان لم يكن ذلك قد وقع منه فقال لئن اشركت ليحبطن عملك كذلك لا يمتنع ان يكون نهاه في هذا الموضع عما لم يقع منه ويكون عليه السلم انما سال الله تعالى نجاة ابنه باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع وهكذا يجب في كل مثل هذا الدعاء فاما القراءة بنصب اللام فقد ضعفها قوم وقالوا كان يجب ان يقال انه عمل عملا غير صالح لان العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن حتى يقولوا عملا غير حسن وليس وجهها بضعيف في العربية لان من مذهبهم اظهار اقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس فيقول القائل قد فعلت صوابا وقلت حسنا بمعنى فعلت فعلا صوابا وقلت قولا حسنا وقال عمر بن ابي ربيعة المخزومي ❊ ايها القائل غير الصواب ❊ اخر النصح واقلل عتابا ❊ وقال ايضا وكم من قتيل ما يباء

اراد ومن علق اذا دخل بين يفيء ان المحب يرى محبوبه ساكنا فيصير قلبه رهنا فقلقا بكبيره
اراد ومن انسان ما لم من شيء غيره يعني منه رجل غيره فحذف الموصوف واقام الصفة مقامه

به دم ومن قلق ❊ من ذا لقصتي ❊ ومن مالى عيني من بقي غيره ❊ اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى ❊ اراد وكم انسان قتيل وانشد ابو عبيدة لرجل من بجيلة ❊ كم من ضعيف العقل منتكث القوى ❊ ما ان له نقض ولا ابرام ❊ نالت له الدنيا علية بر هلة ❊ فعليه من رزق الاله ركام ❊ ومشيع جلد بازل ❊ حازم ❊ متبرئ فيما يروم مرام ❊ اعمى عليه سبيله ومكانه ❊ فيما يحاوله عليه حرام ❊ اراد كم انسان ضعيف القوى اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن العباس قال حدثنا ميمون بن هارون قال حدثنا اسحاق بن ابرهيم الموصلي قال كان محمد بن منصور بن زياد الملقب بفتى العسكر يميل الى الاصمعي ويفضله ويقوم بامره قال فجئته يوما بعد موت محمد وعنده عبد كان لمحمد اسود وقد رث الناس واقبل عليه وبيا له ويحتفي به ويحادثه فلما خرج لمته على ذلك فقلت من هذا حتى اقبلت عليه بوملته فقال هذا غلام ابن منصور ثم انشدني وقالوا يا جميل اتى اخوها فقلت اتى الحبيب اخ الحبيب ❊ احبك والقريب لنا بعيد ❊ لان ناسبت بغية من قريب ❊ فقلت له وكنت افعل كثيرا به لاستخراج كلامه علمه يا ابا سعيد ذا اخوها وهذا غلامها فضحك وقال انشدنا ابو عمرو وقال غيره ❊ ارى كل دار لو طعنتها وان خلت ❊ لما جئت بيت بتسلب من اهلها ❊ واقسم ان لو ادركت قبابها ❊ ذئاب لقضاعيت الى ذيابها ❊ قال فجعلت اعجب من قرب ابنه من قلبه ولجابته حفظه له على ما اراده وهذا الاسناد عن اسحق الموصلي قال قرأت على الاصمعي شعر امرئ القيس فلما بلغت الى هذا البيت ❊ امن اجل اعرابية حل اهلها ❊ بروض الحمى عيناك تبتدران ❊ فقال لي انعرف في هذا البيت خباء باطنا غير ظاهر قلت لا فكشف عني فقلت ان كان فيه شيء فلعل فيه فقال نعم اما يدل البيت على انه تغط ملك متشبهين ذي قدرة على ما ابدى قال اسحاق فما رايت احدا قط مثل الاصمعي في العلم بالشعر ودرى عن اسحاق ايضا انه قال قال لي الاصمعي ما يعني امرؤ القيس بقوله ❊ فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ❊ فالهيتها عن ذي تمائم محول ❊ فقلت يخبر فقال اكان مفركا ❊ فيقول الخطيب هو لا علي كرامتهن ❊ للرجال فكيف انا عند الحبائب لهم وروي الشيبة الذي فاج الشاذري ... وابن الاعرابي ان الاصمعي دخل ذات يوم على سعيد بن سلم وابن الاعرابي حينئذ يؤدب ولده فقال لبعضهم انشد يا سعيد فانشد الغلام ابياتا لرجل من بني كلاب واملاها ابن الاعرابي وهي ❊ رات نضو اسفار امية قاعدا ❊ على نضو اسفار فجن جنونها ❊ فقالت من اي الناس انت ومن تكن ❊ فانك راعي صرمة لا تزينها ❊ فقلت لها ليس الشحوب على الفتى ❊ بعار ولا خير الرجال سمينها ❊ براعي ثلة مسلحبة ❊ يروح عليها محضها وحقينها ❊ سمين الضواحي لم تؤرقه ليلة ❊ وانعم ❊ ابكار الهموم وعونها ❊ فرفع ليلة قال له الاصمعي من رواك هذا قال مؤدبي فاحضره وسئل فانشده ورفع ليلة فاخذ ذلك عليه وفسر البيت فقال انما اراد لم تؤرقه ليلة ابكار الهموم وعونها

وانتم اي نار دعلى هذه الصفة وقوله بين الضواحي اي ظاهر منه وبدا منه ثم قال الاصمعي لابن سلم من لم يحسن هذا المقدار فليس موضعاً للتأديب لله الملوك واخبرنا المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكي قال حدثنا ابو العيناء قال حدثنا الاصمعي قال ولد بشار بن برد اكمه لم ينظر الى الدنيا قط وكان ذا فطنة وذكاء فقلت له يوماً من اين لك هذا الذكاء قال من فقد العمى وعدم النظر يمنع من كثير من الخواطر المذهلة فيكثر في فراغ الذهن وصفاء الذكاء وانشد لنفسه

بالعمى عمت جنيباً والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا وفاض ضياء العين للعقل رافداً بقلب اذا ما ضيع الناس حصلا وشعر كنور الروض لاءمت بينه بقول اذا ما احزن الشعر اسهلا

واخبرنا المرزباني قال اخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ابو العيناء قال حدثنا الاصمعي قال انشد رجل وانا حاضر بشاراً قول الشاعر فقد جعل الاعداء ينتقصوننا وتطمع فينا ألسن وعيون الا انما ليلى عصى خيزرانة اذا غمزوها بالاكف تلين فقال بشار والله لو جعلها عصى مخ او زبد لما كان الا عطيشا مع ذكر العصى الا قال كما قلت وحوراء المدامع من معد كأن حديثها قطع الجنان اذا قامت لسبحتها تثنت كأن عظامها من خيزران وخبيثك المنى نظر اليها وبصر في محاسنها وجه الزمان واخبرني المرزباني قال حدثنا علي بن عبد الله الفارسي قال حدثنا ابي عن عمر بن شبة قال قال لي ابو عبيدة رحل بشار الى الشام فمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً بحران فقال قصيدة طويلة اولها نأتك على طول التجاور زينب وما علمت ان النوى سوف تشعب وكان سليمان بخيلاً فاعطاه خمسة الاف ثم سبب عنها بعد ان طال مقامه فقال ان امس منقطع المديد عن المدى وعن العقد محتبس لدى الشيطان فلقد اروح على اللئام مسلحاً المغيل منعم الندمان في ظل عيش عشيرة محمودة تندى يداك ويخاف فرط لسانه ... من عسر الشباب مذلل واذا الامير علت من مجرانه [illegible] افاد لا يوقف عليه كلة المرجان فاكحل تعيش مقلتيك من القذى ويوشك دونهما من الهملان فاطرف من تهوى وانت منيم اشتى لما لك من بني مروان فلما رجع الى العراق برة ابن هبيرة ووصله وكان ابن هبيرة يعقمه ويؤثره لمدحه قيساً وافتخاره بها فلما جاءت دولة اهل خراسان عظم شانه

اخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا احمد بن يحيى النحوي قال قال الاصمعي ما وصف احد الثغر الا احتاج الى قول بشر بن ابي خازم يفلجن الشفاه عن اقحوان جلاه غب سارية قطار ولا وصف احد اللون الا احسن من قول عمر بن ابي ربيعة وهي مكنونة تحير منها في اديم الخد ماء الشباب تشفه عنها محقوق جيبها فهي كالشمس في خلال السحاب ولا وصف احد حسن امرأة الا احتاج الى قول عدي بن الرقاع لولا الحياء وان راسي قد بدا فيه المشيب لزرت ام القاسم

وكانما وسط النساء اعارها عينيه احور من جآذر جاسم وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم ولا وصف احد عجيباً الا احتاج الى قول حميد بن ثور وعلى باطراف العناق بينهما على الضمر راعي الضان لو يتفوق ولا وصف احد ظليماً الا احتاج الى قول علقمة بن عبدة فوه كأن جناحيه وجؤجؤه بيت اطافت به خرقاء مهجوم ولا اعتذر احد الا احتاج الى قول النابغة فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع قال السيد المرتضى علم الهدى قدس الله روحه اما قول حميد بن ثور وعلى باطراف العناق فانه يريد ان عليه خيار الكرم والعتق [illegible] ولا لنيها وسمانها حليته له من حيث كان موسوماً بها ومعنى بينهما وبين فقهاهما الراعي فيعلم انه كريم والتفوق من الضان فاما قول علقمة بيت كالنعام ومعنى الحافظ بالخرقاء اي علمت ذ الخيمة ويقال الخرقاء ههنا هي الحاذقة وان هذه اللفظة تستعمل على سبيل الاضداد في الحاذقة وغير الحاذقة ومعنى مهجوم اي مهدوم وقال الاصمعي معنى اطافت به علمته بخرق في عملها يقول ارسل جناحيه كانه خباء امرأة خرقاء كلما رفعت ناحية استرخت ناحية اخرى والوجه الثاني واملح فاما قول بشر في وصف الثغر واحسن منه واكثر في استيفاء المعنى قول النابغة كالاقحوان غداة غب سمائه جفت اعاليه واسفله ند واما وصفنا اليه بالجفوف ليكون متفرقاً متنضداً غير متلبد ولا مجتمع فيشبه حينئذ الثغور ثم قال واسفله ند حتى يكون خلالاً باليا بل يكون فيه الغضاضة والصفاء فيشبه عروض الاسنان التي تلمع وتبرق وفي رواية قال سمعت الاصمعي يقول احسن ما قيل في وصف الثغر قول ذي الرمة وتجلو بفرع من اراك كانه من العنبر الهندي والمسك يصبح ذرى اقحوان واجه الليل وارتقى اليه الندى من رامة المتروح هجان الثنايا مغرباً لو تبسمت لاخرس عنه كاد بالقول يفصح

مجلس آخر

ان سأل سائل عن تأويل قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون فقال كيف يعذبهم بالاموال والاولاد ومعلوم ان لهم فيها سروراً ولذة وما تأويل قوله وهم كافرون فظاهره يقتضي انه اراد كفرهم من حيث اراد ان تزهق انفسهم في حال كفرهم لان القائل اذا قال اريد ان يلقاني فلان وهو لابس على صفة كذا وكذا فالظاهر انه اراد كونه على تلك الصفة الجواب قلنا اما التعذيب بالاموال والاولاد ففيه وجوه اولها ما روي عن ابن عباس رحمه الله وقتادة وهو ان يكون في الكلام تقديم وتأخير ويكون التقدير فلا تعجبك يا محمد ولا يعجب المؤمنين معك اموال هؤلاء الكفار المنافقين ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها واستشهد على ذلك بقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون فالمعنى فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم

قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم

وانشد في ذلك قول الشاعر عشية ابدت جيدا ذماء مغزل وطرفا يريك الاثمد الجون لو دنا بريد في طرفا أحور يريك الاثمد الجون وقد اعتمد هذا الوجه ايضا ابو علي قطرب ذكره ابو القسم البلخي والزجاج وثانيها ان يكون معنى التعذيب بالاموال والاولاد في الدنيا هو ما جعله للمؤمنين من قتالهم وغنيمة اموالهم وسبي اولادهم واسترقاقهم في ذلك لا محالة ايلام لهم واستخفاف بهم وانما اراد تعالى بذلك اعلام نبيه صلى الله عليه واله والمؤمنين انه لم يرزق الكفار الاولاد والاموال ولم يبقها في ايديهم كرامة لهم ورضى عنهم بل للمصلحة الداعية الى ذلك فانهم مع هذه الحالة معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه فلا يجب ان يغبطوا بها ويحسدوا عليها اذ كانت هذه عاجلتهم ثم العقاب في النار اجلتهم وهذا الجواب لابي علي الجبائي وقد طعن عليه بعض من لا تامل له فقال كيف يصح هذا التاويل مع انا نجد كثيرا من الكفار لا تنالهم ايدي المسلمين ولا يقدرون على غنيمة اموالهم وكذلك اهل الكتاب ايضا خارجين عن هذه الجملة لمكان الذمة والعهد وليس هذا الاعتراض بشيء لانه لا يمتنع ان يخص الاية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد ممن اوجب الله تعالى محاربته فاما الذين هم بحيث لا تنالهم الايدي او هم من القوة على حد لا يتم معه غنيمة اموالهم فلا يقدح الاعتراض بهم في هذا الجواب لانهم ممن اراد الله تعالى ان يسبي ويغنم ويجاهد وان لم يقع ذلك لم يخرج ارتفاعه بالتعذر دلالة على انه غير مراد وثالثها ان يكون المراد بتعذيبهم بذلك كل ما يدخله في الدنيا عليهم من الغموم والمصائب باموالهم واولادهم التي هي لهؤلاء الكفار المنافقين عقاب وجزاء وللمؤمنين محنة وجالبة للنفع والعوض ويجوز ايضا ان يراد به ما ينال به الكافر قبل موته وعند احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع ترجيه من العذاب الدائم الذي قد اعد له واعلامه انه صائر اليه ومنتقل الى قراره وهذا الجواب قد روي معناه الكثير عن قوم من متقدمي المفسرين وذكره ابو علي الجبائي ايضا ورابعها جواب يحكى عن الحسن البصري واختاره الطبري وقدمه على غيره وهو ان يكون المراد بذلك ما الزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في اموالهم لان ذلك يؤخذ منهم على كره وهم اذا انفقوا فيه انفقوا بغير نية لا عزيمة فتصير نفقتهم غرامة وعذابا من حيث لا يستحقون عليها اجرا قال السيد المرتضى قدس الله روحه وهذا وجه غير صحيح لان الوجه في تكليف الكفار اخراج الحقوق من مالهم الوجه في تكليف المؤمن ذلك ومحال ان يكون انما كلف هذه الحقوق على سبيل العذاب والجزاء لان ذلك لا يقتضي وجوبه عليه

اخراج

والوجه في تكليف الجميع هذه الامور هو المصلحة واللطف في التكليف ولا يجري ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل هذا من ان المصائب في النعم قد تكون للمؤمنين محنة وللكافرين عقوبة لان تلك الامور مما يجوز ان يكون وجه حسنها العقوبة والمحنة جميعا ولا يجوز في هذه الفرائض ان يكون لوجوبها على المكلف الا وجه واحد وهو المصلحة في الدين فاما قولهم ان الحق وليس لهم ان يقولوا ان التعذيب في ايجاب الفرائض عليهم وانما هو في اخراجهم لاموالهم على وجه التكره والاستثقال وذلك انه اذا كان الامر على ما ذكروه خرج ان يكون مرادا لله تعالى لانه تعالى ما اراد منهم اخراج المال على هذا الوجه الذي هو طاعة وقربة فاذا اخرجوها متكرهين مستثقلين لم يرد ذلك فكيف يقول انما يريد الله ليعذبهم بها ويجب ان يكون ما يعذبون به شيئا يصح ان يريده الله تعالى قال قدس الله روحه وجميع هذه الوجوه التي حكيناها في الاية الا جواب التقديم والتاخير مبنية على ان الحيوة الدنيا ظرف للعذاب فتحمل كل متاول من القوم ضربا من التاويل يطابق ذلك وما يحتاج عند الجميع ما تكلفوه ولا الى التقديم والتاخير اذا لم يجعل الحيوة ظرفا للعذاب بل جعلناها ظرفا للفعل الواقع بالاموال والاولاد المتعلق بهما لانا قد علمنا اولا ان قوله ليعذبهم بها لا بد من الانصراف عن ظاهره لان الاموال والاولاد انفسهما لا تكون عذابا فالمراد على سائر وجوه التاويل الفعل المتعلق بها والمضاف اليها سواء كان انفاقها او المصيبة بها او الغم عليها او اباحة غنمها واخراجها عن ايدي مالكيها فكان تقدير الاية انما يريد الله ليعذبهم بكذا وكذا مما يتعلق باموالهم واولادهم الذي ينتصب ثم ويتسقط كانفاقهم الاموال في وجوه المعاصي وحملهم الاولاد على الكفر والزامهم الموافقة في النحلة وتقدير الكلام انما يريد الله ليعذبهم بتهم بنعمهم في اموالهم واولادهم الواقع ذلك منهم في الحيوة الدنيا وهذا وجه ظاهر يغني عن التقديم والتاخير وسائر ما ذكروه من الوجوه فاما قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون فمعناه يحتمل وتخرج اي انهم يموتون على الكفر وليس يجب اذا كان مريدا للحال نفسها على ما ظنوه لاننا لو احلفنا قد يامر غيره ويريد منه ان يقاتل اهل البغي وهم محاربون ولا يقاتلونهم وهم منهزمون ولا يكون مريدا لحرب اهل البغي للمؤمنين وان اراد قتالهم على هذه الحال وكل قد يقول لغلامه اريد ان تواظب على الحضور الى السجن وانا محبوس وللطبيب صر الي لا رصدك وانا مريض وهو لا يريد المرض ولا الحبس اذا كان قد اراد بها ما هو متعلق بها من الحالتين وقد ذكر في ذلك وجه اخر على ان لا يكون قوله وهم كافرون حالا لزهوق انفسهم بل يكون كانه كلام مستانف والتقدير فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم مع ذلك كلهم كافرون صائرون الى النار وتكون الفائدة انهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الاخرة ويكون معنى تزهق انفسهم على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة بل المشقة الشديدة والكلفة الصعبة كما يقال ضربت فلانا حتى مات وتلفت نفسه وخرجت روحه وما اشبه ذلك قال السيد قدس الله ونور الله مرقده ذاكرني قوم من اهل الادب باشعار المحدثين وطبقاتهم وانتهوا وطبقاتهم وانتهوا الى مروان بن يحيى ابن ابي حفصة فافرط بعضهم في وصفه وتقريظه

لان تزهق انفسهم وهم على هذه الحالة مريدا لم

وتقريضه وتفضيله آخرون في زمنه وبعده والازراء على شعره وطريقته واستجهلوا ما اعتقد
فيه فقلت لهم كان مروان متسق الكلام متشاكل الالفاظ غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها
ونهاية قولها قلت لك قلت قطائع شعره ومدائحه مكررة الالفاظ والمعاني وهو غزير الشعر
قليل المعنى الا انه مع ذلك شاعر له جزيل وحذق وهو اشعر من كثير من اهل زمانه وطبقته والشعر
شعراء واهله ويجب ان يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الالفاظ وتدقيق المعاني وحسن الالفاظ
ووقوع التشبيهات ودون بشار بن برد في الابيات النادرة السائرة فكانه طبقة بينهما وليس
يقصر دونهما شديدا ولا ينحط عنهما بعيدا وكان اسحاق بن ابرهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم
وكذلك ابو عمرو الشيباني وكان الاصمعي يقول مروان مولد ولم يكن له علم باللغة واختلاف الناس في
الشعر بحسب اختلافهم في التنبه على معانيه وبحسب ما يشترطونه من مذاهبه وطرائقه فسألت عن
ذلك ان اذكر مختار ما وقع الي من شعره واتبعه على شرح غامضه ونظائر شعره وان املي تلك في خلال المجالس
واشا ابتدأ فيما اختاره من شعره قصيدة يمدح بها المهدي اولها اعادك من ذكر الاحبة عائد فما جل
واستحقت الرسوم البوائد ويقول فيها اذكرت من تهوى فابكاك ذكره فلا الذكر منسي ولا الدمع
جامد تحن ويابى ان يساعدك الهوى ولو شئت من هو لا يساعد الا طالما ... عليها
وتجارت عليك الاثاث المواهد تذكرنا انصارنا مثل المهاة واعناقها ادم الظباء العواقد
تساقط منهن الاحاديث غضة تساقط در اسلمته المعاقد اليك امير المؤمنين تجاذبت بنا
الليل خوص كالقسي شوارد يمانية ينأى الغريب محلها يمين ويدنو الطاحط المتباعد تجل البرى
عنها وللعنس اعين سوام وامنا قليك قواصد الى مالك تحكى اذا يبس الثرى بنانل كفيه الاكف
الجوامد له غوث محل الناس جل انضيها طريف عادي الحيا التلد والحواض عنوطه الموت دونها
والحواض عرف ليس عنهن رايد اذا ادي فيه العباس بيض سوابغ على كل قوم بادنات عوابد هم بعاد
التيجان من فيه الهدى كما عدل البيت الحرام القواعد سواعد عز المسلمين وانما تنوء بصولات الاكف
السواعد يكون ثرارا يومه من حذاره على فتنة الاسلام والخلق ذابد كان امير المؤمنين محمدا
لرافته بالناس للناس والد قال السيد قدس الله روحه اما قوله تساقط منهن الاحاديث غضة
تساقط در اسلمته المعاقد فكثير في الشعر واظن ان الاصل فيه ابو حية النميري في قوله اذا هن ساقط
الاحاديث للفتى سقوط حصى المرجان من كف ناظم وانما عنى بالمرجان صغار اللؤلؤ وعلى هذا
يتاول قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ومنه قول الآخر هي الدر منثورا اذا ما تكلمت وكالدر
منظوما اذا لم تكلم ومثله من نثرها الدر النظيم ولفظها الدر النثير ونظيره قول البحتري
فاتر الالحاظ ولما التقينا والنقا موعد لنا تعجب رائي الدر حسنا ولاقطه فمن لؤلؤ تجلوه عند

ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه ومثله قول الاخطل يصف هوادج خلوت بها ونحن الليل
ملتق وقد اصغت الى الغرب النجوم فكان كلامها ذر نثير ودونه ثغرها در نظيم ولغيره فنثرت
لي بنا اللؤلؤ منظوما وحدثت فرايت اللؤلؤ منثورا وللاخر وتحفظ لامر بينه يحيد دونها ولكنها
من اعين الناس تحفظ وتلفظ درا في الحديث اذا جرى ولم نر قبل ذلك يلفظ وللبعض من تاخر
من الشعراء وقرب من عصرنا هذا اذا نطقت وصلا اذ رحمن شيبتها وابن هجرا دخشين نهرا قيا
فتظن من دررا للمباسم جامدا وترى من لؤلؤ الدموع ذائبا قال السيد قدس الله روحه وليس قول ابن هيل
في صفة الحديث كتساقط الرطب الجني من الافنان لا نزرا ولا نزرا من هذا الباب في شي لانه جمع
ما تقدم انما هو في صفة الثغر وقلائه وصفه حسن الحديث وانه متوسط في القلة والكثرة لان المقصد
كانتثار الرطب من الافنان ويشبه ان الاولى فيه مع ذلك صفة بالحلاوة والفصاحة لتشبيهه له
بالرطب ثم انه عض ما روي عنه من كثرة ولا معاني لقوله الرطب الجني فجمع له اغراض الوصف ما بالاقتصاد في
القلة والكثرة ثم وصفه بالحلاوة ثم الفصاحة ثم العفة ونظير قول ابي دهبل قول ذي الرمة لها بشر
مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر فاما قول مروان الى ملك تندى اذا يبس الثرى
بنائل كفيه الاكف الجوامد فمثل قول ابي حنش النميري في يحيى بن خالد البرمكي لا ان في مصا فما كف
يحيى ما انتهى ان فعلت الفضائل لو يمس البخيل راحتي يحيى لسخت نفسه ببذل النوال ومثله قول
الخياط المدني في المهدي لمست بكفي كفه ابتغي الغنى ولم ادر ان الجود من كفه يعدي فلا انا منه ما
افاد ذوو الغنى افدت واعداني فاتلفت ما عندي وقد قيل ان هذا الشاعر كانه مصرح بالهجاء لانه زعم ان
الذي مس كفه لم يفده شيئا بل اغنى اخوته فاتلف ما عنده ثم يرد الشاعر الى المدح والقول وجه ان هو
ذوي الغنى هم الذين يستفيدون الاموال في ايديهم ونلت تحت ايمانهم من اخرج ما يملكه الى الاعجال الا
يوصف بانه ذو غنى فاذا الشاعر انه لم يفده منه ما انتفع فاستخرجت ملكي فلهذا قال لم افد ما افاد
ذوو الغنى ومن هذا المعنى قول اسلم الى ملك لو كنا في الناس كلهم لما كان حي في البرية بخيل ومثله
الى العكوك لو لمس الناس راحته ما بخل الناس بالعطاء واحسن من هذا كله واشبه بالمدح وادخل في
طريقته قول البحتري من شاكر عني الخليفة بالذي اولاه من طول وعز احسانا ملأت يداه يدي وشرد
جوده بخلي فافقرني كما اغناني حتى لقد افضلت من افضاله ورايت نهج الجود حيث اراه وقد
اخلف الجميل معجلا منه فاعطيت النهي لطالبي ومن هذا المعنى قول الآخر رايت الندى في آل عوف
خليقة اذا كان في قوم سواهم تخلقا ولو جن في ابيائهم لتعلقت ايديك التي تكفهم فاصبحت ملقا
يجود البخيل اذا ما راك ويسطو الجبان اذا ما تلك فاما قوله والحواض عز عوصم
الموت دونها والحواض عرف ليس عنهن رايد فيشبه ان يكون ابرهيم بن العباس الصولي اخذه في قوله

لنا ابل كوم يضيق بها الفضاء ويفتر عنها ارضها وسماؤها، فمن دونها ان تستباح دماؤها ومن دونها
ان تستباح دماؤها حمى وقرى فالموت دون مرامها، واليسر خطب عند حق فناؤها وقد احسن
ابو تمام البائية كل الاحسان فاما قوله يكون غرارا نومه من حذاره تعلى فتية الاسلام والخلوق وقد
نكير هذا اول من اخذه قول محمد بن عبد الملك الزيات نعم الخليفة للرعية من اذا رقدت قطاعها
الكرى لم يرقد ومثله ويظل يحفظنا ونحن بغفلة ويحب يكلؤنا ونحن نيام ومثله للبحتري
ابيت القريرا شكوى بل معتم وهل الاساءة للمثنى الجانب رقعتم جانبه فعشتم منه حمية انف عن
لم تكن من فاحل الرعية عينه فنام عن نومة القريب لذا ذنب فاما قوله كان امير المؤمنين محمدا لو انه
للناس للناس والد فنظر قول بعض الشعراء في يحيى بن خالد البرمكي احيا لنا يحيى بن خالد
فاصبح اليوم كثير الحامد يحنو بكل طارف وتالد على بعيد غائب وشاهد الناس في احسانه كواحد
وقولهم اجمعهم كالوالد ومن جيد قول مروان بن ابي حفصة اولها خلت لعبد الله من آل الصاحب المصانع
وهاجت لنا الشوق الديار البلاقع ويقول فيها وقال الى المهدي لو كنت مذنبا سوى حلة الشافعة على
الناس شافع ولا هو عند السخط منه ولا رضي بغير الذي يرضى به الله قانع تغض له طرف العيون
وطرفه تعلق عبرة من خشية الله خاشع اما قوله ولا هو عند السخط فسره الرضى البيت فمثل قول اشجع
ولست مخائف لابي علي ومن خاف الاله فلن يخافا ومثله امنني منه ومن خوفه جنيته من خشية الباري
ولابي نواس قد كنت خفتك ثم امنني من ان اخافك خوفك الله ويشبه هذا المعنى ما يحكى عن امير
المؤمنين عليه السلام انه دعا غلاما له مرارا فلم يجبه فخرج فوجده على الباب فقال له ما حملك على ترك
اجابتي قال كسلت عن اجابتك وامنت عقوبتك فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلني ممن يامنه
خلقه فاما قوله تغض له الطرف العيون فيشبه ان يكون ماخوذا من قول الفرزدق ومن ينسب اليه هذه
الابيات يغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلم الا حين يبتسم مجلس آخر تاويل آية ان سال
سائل عن قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول
بين المرء وقلبه فقال ما معنى الحول بين المرء وقلبه وهل يصح ما تاوله قوم من انه يحول بين الكافر و
الايمان وما معنى قوله لما يحييكم وكيف تكون الحياة في اجابته الجواب قلنا اما قوله تعالى يحول بين
المرء وقلبه وجوه اولها ان يريد بذلك انه تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا
حث منه عز وجل على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع التكليف وتعذر ما يسوفه الكافر
نفسه من التوبة والاقلاع فكانه تعالى قال بادروا الى الاستجابة لله وللرسول من قبل ان ياتيكم الموت
فيحول بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم وتتعذر عليكم ما تسوفون به نفوسكم من التوبة بقلوبكم
ويقوي ذلك قوله تعالى وانكم اليه تحشرون وثانيها انه يحول بين المرء وقلبه بازالة عقله وابطال تمييزه

يا ايها الذين آمنوا استجيبوا

وان كان حيا ولهذا يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه انه بغير قلب قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان
له قلب قال الشاعر ولي الف وجه قد عرفت مكانه ولكن بلا قلب الى اين اذهب وهذا الجواب يقرب من
الاول لانه تعالى اخرج هذا الكلام مخرج الانذار لهم والحث على الطاعات قبل فوتها لانه لا فرق بين
تعذر التوبة وانقطاع التكليف بالموت وبين تعذرها بازالة العقل وثالثها ان يكون المعنى المبالغة
في الاخبار عن قربه من عباده وعلمه بما يبطنون ويخفون وان الضماير المكنونة له ظاهرة والخفايا المستورة
لعلمه بادية ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ونحن نعلم انه لم يرد تعالى بذلك
قرب المسافة بل المعنى الذي ذكرناه واذا كان جل وعز هو اعلم بما في قلوبنا منا وكان ما نعلمه ايضا يجوز ان
ننساه ونسهو عنه ونضل عن علمه وكل ذلك لا يجوز عليه جاز ان يقول انه يحول بيننا وبين قلوبنا لانه
معلوم في الشاهد ان كل شيء يحول بين شيئين فهو اقرب اليهما ولما اراد تعالى المبالغة في وصف القرب
خاطبنا بما نعرف ونالف وان كان القرب الذي عناه جلت عظمته لم يرد به المسافة والعرب تضع كثيرا لفظة
القرب على غير معنى المسافة فيقولون فلان اقرب الى قلبي من فلان وذلك معنى قريب وعمرو بعيد ولا
يريدون بذلك قرب المسافة ورابعها ما اجاب به بعضهم من ان المؤمنين كانوا يفكرون في كثرة عد
وهم وقلة عددهم فيدخل قلوبهم الخوف فاعلمهم الله تعالى انه يحول بين المرء وقلبه بان يبدله بالخوف الامن
ويبدل اعداءهم بظنهم انهم قادرون عليهم وغالبون لهم الجبن والخور ويمكن في الآية وجه خامس
وهو ان يكون المراد انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه اليه قلبه من القبائح بالامر والنهي والوعد
والوعيد لانا نعلم انه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيه من الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح مانع
ولا عن مواقعته رادع فكان التكليف حائلا بينه وبينه من حيث يزجر عن فعله ويصرف عن مواقعته و
ليس يجب في الحائل ان يكون في كل موضع ما يمتنع معه الفعل لانا نعلم ان المشير على غيره في امر كان
قد هم به وعزم على فعله ان يجتنبه والمنبه له على ان الحظ في الانصراف عنه يصح ان يقال حال منه وحال
بينه وبين فعله وقال عبيد الله بن قيس الرقيات حال دون الهوى ودون سرى الليل مصعب
وسياط على اكف رجال ونحن نعلم انه لم يحل الا بالتخويف والترهيب ودون غيرهما فان قيل يطابق هذا
الوجه صدر الآية قلنا وجه المطابقة ظاهر لانه تعالى امرهم بالاستجابة لله ولرسوله فيما يدعوان
اليه من فعل الطاعات والامتناع من المقبحات واعلمهم انه بهذا الدعاء والانذار وما يجري مجراهما
يحول بين المرء وبين ما تدعوه اليه نفسه من المعاصي ثم ان المآب بعد هذا كله اليه والمنقلب الى
ما عنده فيجازي كلا بما استحقه فاما قوله تعالى اذا دعاكم لما يحييكم ففيه وجوه اولها ان يريد بذلك
الحياة في النعيم والثواب لان تلك هي الحياة الطيبة الدائمة التي يؤمن تغيرها ولا يخاف انتقالها فكانه
تعالى حث على اجابته التي تكسب هذه الحال وثانيها انه يختص ذلك بالدعاء الى الجهاد وقتال العدو

فكأنه تعالى امرهم بالاستجابة للرسول عليه السلام فيما يأمرهم به من قتال عدوهم ودفعهم عن حوزة الاسلام واعلمهم ان ذلك يحييهم من حيث كان فيه قهر المشركين وتقليل عددهم وفل حدهم وحسم اطماعهم لانهم متى كثروا وقووا واستولوا نالوا جانب المؤمنين واقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره فمن ههنا كانت الاستجابة له في القتال تقتضي الحياة والبقاء وتجري مجرى قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وثالثها ما قاله قوم من ان كل طاعة حيوة ويوصف فاعلها بانه حي كما ان المعاصي يوصف فاعلها بانه ميت والوجه في ذلك ان الطايع لما كان منتفعا بحياته وكانت مؤدية الى الثواب الدائم قيل ان الطاعة حياة ولما كان الكافر العاصي لا ينتفع بحياته من حيث كان مصيره الى العقاب الدائم كان في حكم الميت ولهذا يقال لمن كان منغص الحياة غير منتفع بها فلان بلا عيش ولا حياة وما جرى مجرى ذلك من حيث لا ينتفع بحياته ويمكن في الاية وجه اخر وهو ان يكون المراد بالكلام الحياة في الحكم لا الفعل لانا قد علمنا انه عليه السلم كان مكلفا مأمورا بجهاد جميع المشركين المخالفين المفرقين لهم وان كان فيما بعد كافة ذلك يمن عدا اهل الذمة على شرطها فكأنه تعالى قال استجيبوا للرسول فلا تخالفوه فانكم اذا خالفتموه كنتم في حكم غير الاحياء من حيث نعتقد نفيا لكم وقتلكم وان اطعتم كنتم في الحكم احياء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ومن دخله كان امنا وانما اراد تعالى يجب ان يكون امنا في الحكم ولم يخبر ان ذلك لا محالة واقع فاما الخبر فلا شبهة لهم في الاية ولا متعلق بها لانه تعالى لم يقل انه يحول بين المرء وبين الايمان ولا ظاهرها يقتضي انه يحول بينه وبين افعاله وانما يقتضي ظاهرها انه يحول بينه وبين قلبه وليس للايمان ولا للكفر ذكر ولو كان للاية ظاهر يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك لا نصرفنا عنه بادلة العقل الموجبة انه تعالى لا يحول بين المرء وبين ما امر به واراده وكلفه فعله لان ذلك قبيح والقبائح عنه منفية اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني احمد بن محمد الجوهري قال اخبرنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا احمد بن عمر بن اسماعيل بن عبد العزيز بن عمرو بن عبد الرحمن بن عوف قال حدثني محمد بن خالد بن عبد الله بن الحجاج السلمي قال لما اشتد حصين بن حذيفة بن بدر وجعه من طعنة كرز بن عامر اياه يوم بني عقيل فقال ولده فقال ان الموت اهون مما اجد فايكم يطيعني قالوا كلنا نطيعك فبدأ باكبرهم فقال قم وخذ سيفي والطعن به حيث امرك ولا تعجل قال يا ابتاه ايقتل المرء اباه فاتى على القوم كلهم فاجابوه بمثل الاول حتى انتهى الى عيينة فقال يا ابتاه اليس لك فيما تأمرني به راحة ولي بذلك لك طاعة وهو هواك قال بلى قال فمرني كيف اصنع قال قم فخذ سيفي فضعه حيث امرك ولا تعجل فقام فاخذ سيفه ووضعه على قلبه ثم قال يا ابتاه كيف اصنع قال الق السيف انما اردت ان اعلم ايكم امضى لما امرته فهو خليفتي وبيش قومك من بعدي فقال القوم انه سيقول فيما يجيئنا فاحضروه فلما امسى قال ولوا

حكاية الحصين

ازالة الشبهة عليه من جهة الشبه

عيينة من بعدي امور كم ۞ واسيقنوا انه بعدي لكم خام ۞ اما هلكت فاني قد بنيت لكم ۞ عز الحياة بما قد مت قد امي ۞ ولست تعقوا اللتين فيهما منهكم ۞ قوم الحيا وضرب القوم في الهام ۞ والقرب من قومكم والقرب ينفعكم ۞ والبعد بان باعدوا والرمي للرامي ۞ وابن حذيفة اذ تل فخلفني ۞ يوم الهباتين وسطا نيام ۞ لا ارفع الطرف ذلا عند مهلكة ۞ الا العدو بوجه غير ذي ذام ۞ حتى اعتقدت لواء قومي بعثت به ۞ ثم ارتحلت الى الخفية بالشام ۞ لما قضى ما قضى من حق زايرهم ۞ عجنا المطي الى النعمان من عام ۞ انتموا لما كانت الاباء تطلبه ۞ عند الملوك فطرف عندهم سام ۞ والدهر اخره شبه لاوله ۞ قوم كقوم واهام كايام ۞ فابنوا ولا تهدموا فالناس كلهم ۞ من بين بان الى العلياء وهدام ۞ قال ثم اصبح فدعا بنيه فقال اوصيكم يا بني بعيينة واسمعوا مني ما اوصيكم به لا يتكل اخركم على اولكم انما يدرك الاخر ما ادرك الاول وانكحوا الكفي الغريب فانه عز حادث واذا حضركم امر ان تختلفوا الخير فيما اقصدوا فان كل ورد معروف واصحبوا قومكم باجمل الخلاق ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه فان الخلاف يرزي بالرئيس المطاع واذا حاربتم عدوكم فاوقعوا ثم قولوا فانه لا خير في الكذب وصونوا الخيل فانها حصون الرجال واطيلوا الرماح فانها قرون الخيل واعزوا الكبير بالكبر فاني بذلك كنت اغلب الناس لا تعرفوا الا ما العيون ولا تمرحوا حتى تأمنوا العقبى واعطوا على حسب واعجلوا للضيف بالقرى فان خير الاعمال وتقوا قضيات البغي وفلتات المزاح ولا تجيروا على الملوك فان ايديهم اطول من ايديكم واقتلوا كرز بن عامر قال ثم مات حصن فاخذ عيينة الرياسة وقال اطعت اباعيينة في هواه ولم تخلج صريمته الظنون وقد عرض الزبير على يعنيه فقال القوم هذا لابكو سيحيي او يموت قطار لوه وقتل المرء والده جنون فلم اقتل بعمد المشحنا في كل قرن شاكه المنون ولم انكل عليه كل امر اذا فعلته يوما يهون فان بك بعد هذا الارعثا فاخر بني قتيبة سمين وحكى عمرو بن بحر الجاحظ ان اسم عيينة بن حصن حذيفة وانما اصابته اللقوة فجحظت عينه فذاك فكر متمي لذلك عيينة واذا عظمت عين الانسان تسمى اما عيينة واما عيناء وحكي ابن ابي خالد ان عيينة بن حصن دخل على رسول الله صلى الله عليه واله فقال هذا احمق مطاع وقد رأيته كان يدلع لسانه للحسين بن علي عليهما السلم وهو صبي فيري الصبي لسانه فيهش له فقال له عيينة الا اراك تصنع هذا بهذا والله ليكون لي الابن قد خرج وجهه ما قبلته قط فقال رسول الله صلى الله عليه واله من لم يرحم لم يرحم ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فمما يختار من شعره قوله من قصيدة اولها صحا بعد جهل فاستراحت عواذله واقصر عنه حين اقصر باطله ومن مدحي انامه فتاخرت منيته فالشيب لا شك شامله يقول في المديح فيها هو المرء اما دينه فهو مانع مصون واما ماله فهو باذله اخو اخلى ما بالناس طعمه عقاب

يا امير المؤمنين وتالله ان المنايا ابي ذو الحرص والتقى فقول اذا ما جد بالاسر عاله ترول الحق
لا السخط ولا الرضى لدى موطن الاعلى الحق حامله يرى ان سر الحق احلى مغبة وانجى ولو كانت
دماؤنا مناهله فان طليق الله من هو مطلق وان قتيل الله من هو قاتله وانك عبد الله الحكم
الذي تصاب من كل حق مفاصله ومن بله من نفي ايامه فتاخرت منيته فالشيب لا شك شامله
فاخوذ من قول طريح بن اسماعيل الثقفي والشيب من تاخر عاده حينه لا يستطيع دفاعه من يجزع
والاصل في هذا قول امية بن ابي الصلت من لم يمت عبطة يمت هرما للموت كاس والمرء ذايقها وشبه
ذلك قول الاخر قل لمن يرى ليس بشي يعجب من عيش يا اعايبه ومثله قول ابي العتاهية من يعش
يكبر ومن يكبر يمت والمنايا لا تبالي من اتت ومثله قول البحتري ولا بد من ترك احدى اثنتين اما
الشباب واما العمر بقاء بعد قوله انفينا والشيب من بعد في محاوية ولا يجاوز عنك الهرب وقد سبق
ابن المعتز وقالت كبرت وانتهيت عن الصبى فقلت لها الا الاكبرا ولبعضهم ولا بد من موت فاما
شيبه واما شيبه فالشيبة اصلح لان الانسان اذا مات شابا كان اكثر للحزن عليه و
الاسف على مفارقته واذا اسن برم به اهله وهان عليهم واتد افقده واما قوله هو المرء
اما دينه فهو مانع صون واما ماله فهو باذله فمعناه متكرر في الشعر كثير جدا واحسن شعر جمع
بين وصف الممدوح بمنع ما يجب منعه وبذل ما يجب بذله قول مسلم بن الوليد بذ كرمنك الجود
والبخل بالنهى وقول الحيا والحلم والعلم والجهل فالقاك من عرضه موهما متى منهما والقاك ذي محمود
ولك الفضل واحمد من اخلاقك البخل انه بعرضك لا بالمال حاشى لك البخل وقد احسن البحتري
في قوله بلونا ضرايب من قد نرى فما ان وجدنا للفتح ضريبا تنقل في سلقى سود سماحا سجي
وباسا مهيبا وكالسيف ان جيته صارخا وكالبحر ان جئته مستثيبا فاما قوله تزول الهوى
لا السخط منه ولا الرضى البيت لدى موطن الاعلى الحق حامله فمعنى مطروق متداول في الشعر
وقد كرره في قوله اذا مضى القينين الرجال بيا بهر خطط بها ثقلا وادركن معنيا اللحظ الاخلاق
نالى رضى ولا غضب لا الا ما اراد ولا رهبا واحسن من هذا قول ابي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات
ثبت الخطاب اذا اصطكت بمظلمة في رحلة السن الاقوام والركب لا المنطق اللغو يركو في مقاومه
يوما ولا حجة الملهوف تستلب كانما هو في نادى قبيلته لا القلب يهفو ولا الاحشاء تضطرب
و يحت ذاك تضاحر شفرته كما يعض بظهر الغارب القتب لا سوق تسوقه ولا بله ولا يخاف
رضى منه ولا غضب ومنه قول البحتري في ابن الزيات ايضا وصبر الحق بين اخذ واعطاء وقصد
في الجمع والتبديد واستوى الناس فالقريب قريب عنده والبعيد غير بعيد لا يميل الهوى به
حيث يمضي الامر بين المقلي والمودود وسواء لديه ابناء ابرهيم في حكمه وابناء هود ميسرتيح

مر شيئ ومشابه ... والكعبة ... للناس ... كل عام

كما ... المعنى ماخوذ من قول البرج العدل في الغضب والرضى

يعني بابناء ابراهيم المسلمين وابناء هود اليهودي

الاحشاء

تاويل قوله تعالى فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ الآية

الاحشاء في كل ضيق بارد القلب من غليل الحقود فاما قوله ان قتيل الله من هو قاتله فيشبه ان يكون
ماخوذا من قول يزيد بن مفرغ في عبيد الله بن زياد ان الذي عاش ختالا بذمته ومات عبدا قتيل الله
بالذاب فاما قوله وانك عبد الله الحكم الذي تصاب به من كل حق مفاصله فيشبه قول ابي تمام
يصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات اجمع العلماء ان هذه الابيات احسن وافخم من جميع ما قيل
في القلم لك القلم الاعلى الذي بشباته تصاب من الامر الكلى المفاصل له الخلوات اللاء لولا
نجيها لما احتفلت للملك تلك المحافل لعاب الافاعي القاتلات لعابه واري الجنا اشتارته ايد
عواسل له ريقة طل ولكن وقعها باثاره في الشرق والغرب وابل فصيح اذا استنطقته وهو
راكب واعجم ان خاطبته وهو راجل اذا ما امتطى الخمس اللطاف وافرغت عليه شعاب الفكر وهي
حوافل اطاعته اطراف القنا وتقوضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل اذا استغزر الذهن الذكي
واقبلت اعاليه في القرطاس وهي اسافل وقد رفدته الخنصر وسددت ثلاث نواحيه الثلاث الانامل
رايت جليلا شانه وهو مرهف ضنى وسمينا خطبه وهو ناحل مجلس اخر تاويل ان سال سايل
عن قوله تعالى فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء
الله رب العالمين فقال ما وجهها في الاية اوليس ظاهرها يقتضي انا لا نشاء شيئا الا والله تعالى شاء
له ولم يخص الباري من كثير الطاعة من معصية الجواب قلنا الوجه المذكور في الاية ان الكلام متعلق بما تقدم
من ذكر الاستقامة لانه تعالى قال لمن شاء منكم ان يستقيم ثم قال وما تشاؤن الا ان يشاء الله اي وما
تشاؤن الاستقامة الا والله تعالى مريد لها ونحن لا ننكر ان يريد الله تعالى الطاعات وانما انكرنا
ارادته المعاصي وليس لهم ان يعتبروا ان تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع
من عمومه كما ان السبب لا يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعداه وذلك ان الذي
ذكروه انما يجب فيما يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل وقوله وما تشاؤن الا ان يشاء
الله لا ذكر للمراد فيه فهو غير مستقل بنفسه واذا علق بما تقدم من ذكر الاستقامة استقل على انه
لو كان للاية ظاهر يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك لوجب الانصراف عنه بالادلة الثابتة على ان الله
تعالى لا يريد المعاصي ولا القبائح على ان مخالفينا في هذه الاية لا يمكنهم حمل الاية على العموم لان
العباد قد يشاؤن عندهم ما لا يشاء الله تعالى بان يريد الشي ويعزموا عليه فلا يقع لمنع او غيره
كذلك قد يريد النبي صلى الله عليه وآله من الكفار الايمان ويتعبدنا بان نريد من القدم على القبيح
وان كان تعالى عندهم لا يريده ذلك اذ كان المعلوم انه لا يقع فلا بد لهم من تخصيص الاية فاذا جاز لهم
ذلك بالشبهة جاز لنا مثله بالحجة وتجري هذه الاية مجرى قوله تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه
سبيلا وما تشاؤن الا ان يشاء الله في تعلق الكلام بما قبله فان قالوا فالاية تدل على مذهبنا لان

ما ذهبكم من ادجاء خردموا انه عز وجل وما تشاؤن الا ان يشاء الله وذلك يقتضي ان يشاء الاستقامة
في حال مشيتنا لها الان ان الخفيفة اذا دخلت على الفعل المضارع اقتضت الاستقبال وهذا يوجب
انه يشاء افعال العباد في كل حال ويبطل ما تذهبون اليه من انه انما يريد الطاعات في حال الامر بها
لم يخط الاية انما الاشاء الا ما يشاء ربكم في حال مشيتنا كما ظننتم وانما يقتضي حصول مشيته
ما نشاؤه من الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تأخر ويجري ذلك مجرى قول القائل ما يدخل
هذه الدار الان بدخلها عمرو ونحن نعلم انه غير واجب بهذا الكلام ان يكون دخولهما في حالة
واحدة بل لا يمتنع ان يتقدم دخول عمرو ويتلوه دخول زيد وان الخفيفة وان كانت للاستقبال
على ما ذكروه فلم يبطل على تاويلنا معنى الاستقبال فيها لان تقدير الكلام وما تشاؤن الطاعات
الا بعد ان يشاءها الله تعالى لها قد كانت لها حال الاستقبال وقد ذهب ابو علي محمد بن
في حاله
عبد الوهاب الى انه لا يمتنع ان يريد الطاعات حال الاستقبال وان كان قد اراد ها الامر كما يصح
ان يامر بها الله بعد الامر قال لانه قد يصح ان يتعلق بارادته ذلك منا بعد الامر في حال الفعل فلا يعلم
ويعلم انا نكون متى علمنا ذلك كنا الى فعل الطاعات اقرب على هذا المذهب معترض ما ذكرناه
والجواب الاول واضح اذا لم نذهب الى مذهب ابي علي في هذا الباب على ان اقتضاء الاية للاستقبال
من اوضح دليل على فساد قولهم لان الكلام اذا اقتضى حدوث المشيئة وابطل استقبالها بطل قول
من قال منهم انه مريد لنفسه او مريد بارادة قديمة وصح ما نقوله من ان ارادته محدثة محدثة
ويمكن في الاية وجه اخر مع حملنا اياها على العموم ومن غير ان نخصها بما تقدم ذكره من الاستقامة
الآن
ويكون المعنى وما تشاؤن شيئا من افعالكم الا ان يشاء الله تمكينكم من مشيئته واقداركم عليها والتخلية بينكم
وبينها وتكون الفائدة في ذلك الاخبار عن الافتقار الى الله تعالى وانه لا قدرة للعبد على ما لم يقدره
الله تعالى عليه وليس يجب ان يستبعد هذا الوجه لان ما يتعلق به المشيئة في الاية محذوف وغير مذكور
وليس لهم ان يعلقوا قوله الا ان يشاء الله بالافعال دون ان نعلقه بالقدرة لان كل واحد منهما
الامر غير مذكور وكل هذا واضح بين بحمد الله ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر عروة
فما اختاره له قوله من قصيدة اوله طرقتك زائرة فحي خيالها بيضاء تخلط بالخيال دلالها قولها
فيها ما لت بقلبك فاستقاد ومثلها قاد القلوب الى الصبى فاما لها وكأنما طرقت بنفخة
روضة سحت بها ديم الربيع ظلالها باتت تنازلني المنام معرسا ما بالبيد اشعث لا يمل سؤالها
في فتية هجعوا غرارا بعدما سئموا مراعسة السرى ومطالها قال المرتضى رحمه الله تعالى يحتمل قوله الرقى
السير من النوم وكان حشوتيا بهم هبد نبهت واغفلت الفيوء صقالها اما ذكره في اول القصيدة طروق
الطيف فلم يات فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعمل بديع قد قال الشاعر في الطيف والخيال فانسبها
فاكثروا وقد سبق
زيد المهم

معنى كل الناس فيه عيال عليه وهو قوله اني تهديت كنت غير مهدوبه وتقرب الاحلام غير
قريب ما تمتنع يقظى فقد تؤتينه في النوم غير مصرد ومحسوب كان المنى بلقائها فلقيتها
فلهوت من لهو امري مكذوب وقد احسن جرير في قوله انخي اذ طرقت عنا سليمى بعزع
تبا ما نسقي البشام نفسي من تجنبه عزيز علي ومن زيارته لمام ومن امسي واصبح
لا اراه ويطرقني اذا هجع النيام وهذه الابيات وان خلت من معنى لطيف غريب فلم تخل
في ذكر
من لفظ مستعذب معقول لابي عبادة البحتري في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتاخر
فانه تغلغل في اوصافه واهتدى من معانيه الى ما لا يوجد لغيره وكان يشغف بتكرار العوارض
فيجانبا بديعه واغاديه وان كان لابي تمام في ذلك مواضع لا يجهل فضلها ومحاسن لا يبلغ شاؤها
فما لابي تمام قوله زار الخيال لها لابل ازاركه فكر اذا نام فكر الخلق لم ينم ظبي تقنصته لما
نصبت له من اخر الليل اشراكا من الحلم ثم غنيت وبنا من كونه ثم بالوداد كان يشعوا عن السقم
وقوله عاد لك الزور وليلة الرمل من بعد ما بين الحمى وبين المطالع ثم نما ازار له الخيال وكان
بالفكر زور طيف الخيال وقوله الليالي الحي يقلبي اذا ما جرحته النوى من الايام يا لهما
لذة تنزهت الارواح فيها تراهن الاجسام مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير انا في دعوة الاحلام
فاما البحتري فقوله هذا المعنى اكثر من ان يذكر جميعه ههنا غير انا ناتي الى نادره فمن ذلك قوله
فلا وصل الا ان يطيف خيالها بنا في خفوق من الليل سقع الم بنا بعد الهدو فساحة
بوصل متى تطلبه في الجد يمنع وما بوحت بعضي الليل فانقضى واعجلها داعي الصبا الملمع
ولو كان البين يخلع خصبها اوان تولت من حشاي واضلعي وزرت لقاء لم يؤمل فرقه
لا سماء لم تجد ممنوعه من قبل الا انقات في كل ليلة تعاودنا بها الملائكة مضجعي اسرى
يطرب من يلام سليما وانحني بين من حبيب مودع وكان لنا بعد النوى من تفرق تروح احلام
الكرى وتجمع وقوله وانها زمنت على بعدها لانه احضها للخيال الموثق يعز الوائق
لو تعيروها لنيال لنا من دونه بها وتلتقي فكم غلة للشوق لهان حرها الطيف منه يطرق دجى
الليل يطرق ضم عليه جفن عيني تعلقا به عند اجلاء النعاس المرنق وقوله بلى وخيال من اثيلة
كلما تاوهت من وجد يعترض لطيف اذ زرنه منتقضا مع الكرى تنبهت من وجد له المتنزع
ترى مطلقي ما لا ترى في الغائب ولا تسمع اذني رجع ما الست تسمع ويكفيك من حق تخيل باطل تردته
عشم
نفس اللهيف فترجع وقوله اذا ما الكرى اهدى الي خياله شفى قربه التبريح او نقع الصدى اذا انتزعته
من يدي انتباهه عددت حبيبا راح مني او غدا ولم ار مثلينا ولا مثل شاننا نعذب ايقاظا وننعم
هجدا فما تلتقي الا على حلم هاجد يحل لنا ما جد وقال وهي حرام اذا ما بذلنا النعاس خلتنا

من الجد ايقاظا ونحن نيام ۞ وقوله وليلة هومنا على العيس ارسلت ۞ بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي ۞ بعطفي غزال بت فيه اغازله ۞ وقوله امنك تاوب الطيف الطروق
حبيب جاء يهدي من حبيب ۞ تخطى رقبة الواشين كرها ۞ وبعد مسافة الخرق المجوب ۞ يكاد يفي
واصدق فروداذا ۞ ومن كلف مصافاة الكذوب ۞ وقوله ما تقضى لبانة عند لبنى ۞ والمعنى
بالغانيات معنا ۞ فهجرنا يقضي وكادت على عمد ۞ هبها في الصدود هجر وسنا ۞ تعيد لا ئي وقد
تعرض منها ۞ طائف عرجت على الركب منا ۞ قال السيد قدس الله روحه ووجدت ابا القاسم الحسن
بن بشر الآمدي مع ميله الى البحتري واعظامه في شعره اجتهاد في تاول ما اخذ عليه من خطا وزلل يزعم
ان البحتري اخطأ في قوله فهجرنا يقضي على عمد ۞ هبها في الصدود هجر وسنا قال لان خيالها
يتمثل له في كل احواله يقظان كان او وسنان قال ولكن الجيد في هذا المعنى قوله اردد دونك يقظانا
ويأذن لي عليك سكر الكرى ان جئت سنانا فا قال والذي اوقع البحتري في هذا الغلط قول قيس بن
الحطيم ۞ ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه ۞ في النوم غير مصرد محسوب ۞ وكان الاجود ان يقول ما تمنعي
في اليقظة فقد تؤتينه في النوم اي ما تمنعينه في يقظتي فقد تؤتينه في حال نومي حتى يكون النوم
واليقظة المنسوبين اليه لان خيال المحبوب يتمثل في حال نومه ويقظته جميعا قال الا انه يتسع من النافي
في هذا القسم لا يتسع للبحتري لان قيسا قال فقد تؤتينه في النوم ولم يقل تؤتينه نائمة وقد
يجوز ان يحمل على انه اراد ما تمنعي يقظى وانا يقظان فقد تؤتينه في النوم اي في نومي ولا يسوغ مثل
هذا في بيت البحتري لانه قال وسنى ولم يقل في الوسن قال قدس الله روحه وقد يمكن من التاويل للبحتري
ما امكن مثله لقيس لكن الآمدي ذهب عن ذلك لان البحتري لما قال وسنى دل على حال الوسن والحال
المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها في النوم بالعادة كما ان الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة بالعادة
فقوله وسنى يغني عن كونه هو ايضا نائما وانما اراد المقابلة في نفس اللفظ بين يقظى ووسنى وقوله
يقظى متى لم يحمل ايضا على هذا المعنى لم يصح لانه لا يدان يريد بذلك هجرنا في حال اليقظة ويكون معنى
يقظى يتعدى اليه لا الينا الآمدي ان الآمدي حمل قول قيس بن الحطيم يقظى على معنى وانا يقظان ولم يبين الوجه
فيه فكيف ذهب عليه مثل ذلك في قول البحتري وقوله وسنى ويقظى مثل قول قيس يقظى ولو كان وسنى
وذلك الشعر من ان يقول وسنى في مقابلة يقظى لعله ما عدل عنه الى النوم لانه لم يكن عليه في وسنى الا
ما عليه في يقظى وما نتاول له في احد الامرين يتاول له في الآخر قال قدس الله روحه ولي في الخيال وطروقه
معنى ما علمت انه سبق اليه من جملة قصيدة ۞ وزور تخطى جوب الملا ۞ فنادمت اهلا بذا الزائر
اتاني هدوا وعين الرقيب ۞ مطروفة بالكرى الغامر ۞ فاعجب به يسعف الهاجرين ويحرمه مقلة
الساهر ۞ وعهدي بتمويه عين المحب ۞ يتم على قلب الطاهر فلما التقينا بعزم الرقاد ۞ قوة قلبي على ناظري

الكلف الحب ۞ الغمر اي المتعب من العناء وهو التعب ... عن شيء من ... وكادت كذا ... شعبة من ... الحاجة ...

في طروق الخيال ولطفه

تأويل آية أولئك لم يكونوا معجزين الآية

ومعنى البيت الاخير ان الاحلام ثمار في اعتقاد الحاصل في القلب لا حقيقة له وكثيرا لان الان يعتقد
انه راى لما بين ايدي الحقيقة وقد ولا يلتبس عند ذكره على الحقيقة فالقلب يتخيل في النوم العين ما لا حقيقة
له كان العين يتخيل في كثير من الاحوال القلبية ما لا حقيقة له فاما قول ابن الرومي فكانما طرقت بنفحة روضة
البيت فيشبه ان يكون ماخوذا من قول ابن مقبل يجري طرقت اسماء الرحال ودونها تنيار من ليل
التمام الاسود ۞ ومهامه وصل الفلاة جنوبها ۞ بجنوب اخرى غيرانه تعقلت ۞ وصل اذا ابد الركاب
نطعه ۞ فرعشا منها بغير قرتب ۞ وكان ريح لطيمة هندية ۞ وذكي جادي تضع محمد ۞ وبد
خزامى الحزيم موثقه ۞ طرق الخيال به بعيد المرقد ۞ او من قول الآخر طرقتك زينب والركاب مناخة
بمنى ونحن معرسون هجود ۞ فكانما طرقت بريا روضة ۞ انفا تحمم نبتها وتجود وهذا المعنى كثير
في الشعر المتقدم والمتاخر جدا فاما قوله بانت تنائل في المنام معرسا البيت البيتان اللذان بعده
فهذا الناس في وصف لذة النوم ومواصلة السرى والادلاج وسبق الشاعرين فاكثروا فمن حسن
ما قيل في ذلك قول الحية ومجود من صبابات الكرى ۞ عاطف النمرق صعب المنزل ۞ قال
مجدنا فقد طال السرى ۞ وقدرنا ان خنا الدهر غفل ۞ قلت اعرس حتى تجنه ۞ بالتباشير من الصبح
الاول ۞ ليس الاخلاق من منزله ۞ بيديه كاليهودي المصل ۞ يتمارى في الذي قلت له ۞ ولقد يسمع
قولي حيهل ۞ ومن ذلك قول ذي الرمة وليل كاثناء الرويزي جبته ۞ بازبعة والشخص في العين واحد
والرويزي هو الطيلسان وقد روى اثنا كجلباب العروس ادرعته وكان ذلك وصف له بالسواد لان
الطيلسان اسود وجلباب العروس اخضر والعرب تجمع بين الخضرة والسواد ۞ احم علافي وابيض صارم ۞
واعيس مهري واشعث ماجد ۞ اخو شقة جاب الفلاة بنفسه ۞ على الهول حتى لوحته المطارد ۞
واشعث مثل السيف قد لاح جسمه ۞ وجيف المهاري والهموم الاباعد ۞ سقاه الكرى كاس النعاس فراسه
لدين الكرى من آخر الليل ساجد ۞ اقمت له صدر المطي فما درى ۞ اجائرة اعناقها ام قواصد ۞
ترى الناشئ الغريد يضحى كانه ۞ على الرحل مما منه السير عاصد ۞ ومن ذلك قول الراعي النميري
واغيد من طول السرى برحت به ۞ افانين نهاض على الاين مرجم ۞ سريت به حتى اذا ما تمزقت ۞ نواحي
الرجى عن واضح اللون معلم ۞ اتحنا فقلنا انجر بشخص مناخه ۞ وعينيه كاس النوم قلت له قم فما قام
الا بين ايدي تقيمه ۞ كما عطفت ريح الصبا خوط ناسم ۞ تخطا الكرى معلوما كان لسانه ۞ لما ازد
رجع لسان المبلسم ۞ وود بوسطي الحمس منه لو انتنا ۞ رحلنا وقلنا في المناخ لديهم مجلس اخر تاويل
آية ان سال سائل عن قوله تعالى اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء
يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فقال اي معنى لاختصاص
الارض بالذكر وهم لا يعجزون الله تعالى ولا يعجزونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حال وفي كل

مكان ولم ينف الأولياء عنهم وقد نجد أهل الكفر يتولى بعضهم بعضاً وينصرونهم ويحمونهم من المكا
وكيف نفى استطاعتهم للسمع والأبصار وأكثرهم كان يسمع بأذنه ويرى بعينه الجواب قلنا أما
الوجه في اختصاص الأرض بالذكر فلأن عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك مني ولا
منفذ ولا نفق ولا وزر ولا الجبل والنفق والسرب وكل ذلك مما يلجأ إليه الخائف المطلوب فكأنه تعالى نفى
أن يكون لهؤلاء الكفار ناصر يمنعه ومانع من عذابه وأن جبال الأرض وسهولها لا تحجز بينهم
وبين ما يريد إيقاعه بهم كما أنها تحجز عن كثير من أفعال البشر ولأن معاقل الأرض هي التي يهرب
إليها البشر من المكاره ويلجأ إلى الاعتصام بها عند المخاوف فإذا نفى تعالى أن يكون لهم في الأرض
معقل فقد نفى المعقل من كل وجه فأما قوله تعالى وما كان لهم من دون الله من أولياء فمعناه أنه
لا ولي لهم ولا ناصر من عذاب الله وعقابه لهم في الآخرة ولا أيضاً يريد إيقاعه بهم في الدنيا وإن
إن كان لهم من يحميهم من مكروه البشر وينصرهم ممن أرادهم بسوء وقد يجوز أن يكون ذلك أيضاً بمعنى
الأمر وإن كان مخرجه مخرج الخبر فيكون التقدير وليس لهم أن يتخذوا أولياء من دون الله بل الواجب
أن يرجعوا إليه في معونتهم ونصرهم ولا تعولوا على غيره فأما قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع
وما كانوا يبصرون ففيه وجوه أحدها أن يكون المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون
السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً للحق وذهاباً عن سبيله فأسقط
الباء من الكلام وذلك جائز كما جاز في قولهم لأجزينك ما عملت ولأجزينك بما عملت ولأحدثنك
بما علمت ولأحدثنك ما علمت وكما قال الشاعر نغالي اللحم للأضياف نياً ونبذله إذا نضج القدور
فأراد نغالي باللحم والوجه الثاني أنهم لاستثقالهم استماع آيات الله تعالى وكراهتهم تذكرها وتدبرها
وتفهمها جروا مجرى من لا يستطيع السمع كما يقول القائل ما يستطيع فلان أن ينظر إلى فلان
إلى فلان وما يقدر أن يكلمه وكما تقول لمن عهدناه العناد واستثقال الاستماع للحجج والبينات
ما تستطيع أن تسمع الحق وما تطيق أن يذكر لك وكما قال الأعشى ودع هريرة إن الركب مرتحل
وهل تطيق وداعاً أيها الرجل ونحن نعلم أنه قادر على الوداع وإنما نفى قدرته عليه من حيث الكراهة
والاستثقال ومعنى وما كانوا يبصرون أي إن أبصارهم لم تكن نافعة لهم ولا مجدية عليهم مع
الإعراض عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها ولما انتفت عنهم منفعة الأبصار جاز أن ينفي عنهم الأبصار
نفسه كما يقال للمعرض عن الحق العادل عن تأمله ما لك لا تبصر ولا تسمع ولا تعقل وما أشبه ذلك
والوجه الثالث أن يكون معنى نفي السمع والبصر راجعاً إلى آلهتهم لا إليهم وتقدير الكلام أولئك
وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض يضاعف لهم العذاب ثم قال مخبراً عن الآلهة ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون وهذا الوجه يروى عن ابن عباس رحمة الله عليه وفيه أدنى بعد لأنه

المَوْتَة محركة الجبل المنيع وكل معقل والملجأ والمعقل والمنفق محركة سرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر

معنى الاستطاعة

نبعه

وخبر وهو أن يكون ما في قوله ما كانوا يستطيعون السمع ليست النفي بل يجري مجرى قولهم
لأواصلنك ما لاح نجم ولأقيمن على مودتك ما طلعت شمس فيكون المعنى أن العذاب يضاعف
لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أي أنهم معذبون ما كانوا أحياء فإن قيل
كيف يعبر عن كونهم أحياء باستطاعة السمع والأبصار وقد يكون حياً من لا يكون كذلك قلنا للعرب في
مثل هذا عادة لأنهم يقولون والله لا كلمتك ما نظرت عيني وما مشت قدمي وهم يريدون ما
بقيت وحييت لأن الأغلب في أحوال الحي أن تنظر عينه وتمشي قدمه فجعلوا الأغلب كالواجب ومن ذلك
قول الشاعر وما أنس من شيء تقادم عهده فلست بناس ما هدت قدمي نعلي عشية قالت والدموع
بعينها هنيئاً لقلب عنك لم يسل مسلي وإنما أراد أنني لا أنسى ذلك ما حييت فكذلك لا يمتنع
أن يعلق على هذا المذهب دوام العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والأبصار ويعود المعنى إلى تعلقه
ببقائهم وكونهم أحياء والمرجع في ذلك إلى التأبيد لأنه إذا علق العذاب ببقائهم وأحيائهم وعلمنا
أن الآخرة لا موت فيها ولا خروج عن الحياة علمنا تأبيد العذاب نعود إلى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على
شعر مروان فمما يختار له قوله من القصيدة التي أولها قد مضى وتكلمنا عليها وضعوا الحدود ولذلك قوم
خبّ تشكوا كلوم صفاحها وكلالها طلبت أمير المؤمنين فواصلت بعد السرى بغدوها آصالها
نزعت إليك صوادياً فتقاذفت بالقطع الفلا فحزونها ودمالها يتبعن ناجية تهز مراحها
بعد النحول تليلها وقذالها هوجاء ناجية الزمام تشقها شوق النفوس إذا تراجع حالها تنجو
إذا رفع القطيع كأنما خرجت بأدون الظلام ريالها كالقوس ما هي إن تنكك وقد برى كالبرج
تملأ رحلها وحبالها هذه الأبيات في وصل الرواحل بالسرعة والنحول جيدة معرقة النسع
وقد سبق الناس في هذا المعنى إلى ضروب من الإحسان فمن ذلك قول الأخطل يخوض كأعطال القسي تقلقلت
أجنتها من شقة ودؤوب إذا معجل غادرنه عند منزل أتيح لجواب الفلاة كسوب المعجل الملقي
من الأجنة لغير تمام وجواب الفلاة الذئب وهن بنا عوج كأن عيونها بقايا قلات قلصت لنضوب
مسانيف نطويها مع الخيط والسرى تكاليف طلاع النجاد ركوب ترى بهن للأصواء فيه كأنها
رجال قيام عصبوا بالسبوب تعوم بنا عوم السفين إذا انجلت سحابته وضاح السراب جنوب
وقال مسلم بن الوليد الأنصاري إلى الإمام تهادانا بأرحلها خلق من الريح في أشباح ظلمان كأن
أفلاذها والفجر يأخذها أفلاذ صارة عن قوس حسبان وقال بشار وإذا المطي سبحن في أعطانه
فأما المطي بكاهل وتليل فكأنه والناجيات فدح تطلع من قداح مجيل ولبعض المحاربيين
نهش الهواجر والظهائر لحمها حتى تحدد لحمها المتطاير حرف تناهبها النجاء فلا يرى مما تحمل
شدقم أو داعر صبر إذا عطفت سوالفها البرى سمعت لهن كما كش قحاحر ويحلن من غرر النفوس

تشبيه البقاء بالحياة

في وصف الإبل والحمير بالسرعة والنحول

وجدتها جنادف من اذا الخبر ابا عزا اما اذا ما اقبلت فكانها ذعرتها وفيها الغلاء ولوانه

بشامة

اما اذا ما اعرضت فكانها كذى قوة دون النطاق صوادره اما اذا ما اركبت فكانها صرح مشيد

وهى صوامر قال السيد قدس الله روحه ولا استحسن قول بشامة بن الغدير فى وصف ناقة بالسرعة

كان يديها اذا ارقلت وقد جرن ثم اهتدين السبيلا يدا سابح خر فى غمرة وقد شارف الموت

الا قليلا اذا اقبلت قلت مشحونة اطاعت لها الريح قلعا جفولا وان ادبرت قلت مقعودة

من الرمل تتبع منها ذيولا ومعنى قوله وقد جرن ثم اهتدين السبيلا يعنى المطايا يقول كن

فيشطان يمرحن ويجرن فلا يلزمن لقم الطريق بل ياخذن يمينا وشمالا فلما نقص من الكلال السقوط

على المحجر فكانه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال المطى وكنى عن الكلال بلزوم الجادة الطريق

بعد شكيمها وهذه كناية فصيحة مليحة ومثله قول الاخر كان يديها حين جد نجاؤها يدا سابح

فى غمرة يتبرع ومما يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول الشماخ كان ذراعيها ذراعا مدلة

بعيد السباب حاولت ان تعذرا محرجة الاعراق قال ابن قتيبة يعنيها كلاما جاذفيه محرما

شبه ذراعيها وهى تذرع فى سيرها بذراعى امراة مدلة على اهلها بيراة يساجيهما وقد حكى

عنها ابن صبرتها كلما اصحر عنه اى الحق فهى ترفع يديها وتضعها بغشاة وتخلف وتنضح عن نفسها

وقد قيل ان معنى مدلة انها مدلة بحسن ذراعيها فهى تبدى ظهرها وهما البرى حسنهما وقوله بعيد

السباب اى فى عقيل السابة فامنه تعتذر الى الناس وقوم يروونه بعيد الشباب ومعنى هذه الرواية

لشباب
من السب

انها نصف من النساء فهى اقوم بحجتها من الحديثة العزة ويشهد لهذه الرواية الاخيرة قول الاخر

كان يديها حين يقلق ضفرها يدا نصف غبرى تعذر من جرم وقوله حين يقلق ضفرها فيه

سر قد فاته لان الضفر هو الانساع وانما تقلق اذا جهدها السير فضمرت فكانه وصف بالنشاط

والنشاط مع الجهد الى الكلال ومثله كان ذراعيها ذراعا بذية مفجعة لاقت صبرا بعض

عفيرة سمعن لها واستعجلت بكلامها فلا شى يفرى باليدين كما تفرى ويقاربه قول الاخر

الاهل بتلغيهم على اللاو والقنه وا ناجيه المغرار فى اخفافها اذا ما عسفت فلت عاثة

فاصفقت كفه ومن شبه سرعة ايدى الابل بايدى النوايح كعب بن زهير فقال كان اوب ذراعيها

اذا عرقت وقد تلفع بالقور العساقيل وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ورق الجنادب

بجادبها

يركضن الحصى قيلوا شد النهار ذراعا عيطل نصف قامت فجاوبها نكد مثاكيل نواحة

رخوة الضبعين ليس لها لما نعى بكرها الناعون معقول العساقيل الرابل السراب لا قوله

لها من لفظها وا لخبران ناقته من شدة الحر واتقاد الظهيرة تمرح فى سيرها وتشتد سيها كما

ذراعيها بذراعى امراة نصف تنوح على ابنها وقد نعى اليها فهى تشير بيديها وتوالى تحريكهما والعطل

الطويلة العنق تحليها نصفا لانها قد كادت تياس من الولد فهو اشد لحزنها على ابنها وتجعيها

والقود جمع قادة وهى التى تتقدم واسنادها من الرمل واراد ان يقول كما تلقع القور العساقيل

فلم يمكنه فقلب فى مثله وكانما وقعت يد بولها شمطا قامت عن ذات الخار والتمام الشمطا

لما ذكرناه من الياس من الولد كما قال عمرو بن كلثوم ولا شمطا لم يترك شقاها لها من تسعة

الا جنينا وقد بين فى بيت عمرو بل شبه الناقة بشمطا لما على راسها من اللغام ومثل ابعد

من المعانى قول الشاعر بالسير والسنن لا اسمع هل غدون يوما وامرى مجمع وتحت رحلى

ذفيان مبلع كان ناجية نخع يبكى ليث فى سواها الوجع الزفيان الناقة الخفيفة والمبلع

تماده

الترتغيه وشبه رجع يديها فى السير لنشاطها بيدى ناجية تنوح على ميتهم باجرة فهى تريد الا

بيدها البرى كافها ومثله بعينه قول ذى الرمة كانها اينق تضحى وهى عوج كانها مجزوبا الغلام

فنصار التفواح بالحانيق الى البحر يضرب بعد بين ومن السانح انه من النوايح للمعنى الذى

ذكرناه وقال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى من وصف السرعة كان اوب يديها حين اعجلها اوب

المراح وقد نادوا برحالهم مقط الكرين على مكنونة زلق فى ظهر حشائش الميزان ومقوله معنى اوب

ذراعيها اى رجعهما واوب المراح اذا راح القوم فادب لقولهم ان رحلوا وقد دعى اوب المراح يكبر

ومعناه رجع المراح والنشاط والمقط اللعب بالكرة والكرين جمع كرة والمكنونة الارض البراح التى لا

شى فيها والزلق المستوية من الارض والحنان الريح والميزان جانبا هذه الارض ومعنى القيل انه

صفات الريح وقيل من صفات الارض فان كان الريح فمعناه ان الريح تقول الارض باسرها اى تملاها

وان كان للارض فالمعنى انها تقول من سلكها اى تهلكه والخص معنى البيت انه شبه يدى ناقته

بيدى حنا ذيب بكرة فى الارض الواسعة فى يوم عاصف وهذا من دقيق المعانى وحسن التشبيه والمبالغة

كانها

ومثل بيتى الشماخ قول المسيب بن علس مرحت يداها للنجاء كانها تكرو بكفى لاعب فى قاع

فعل السريعة بادرت حدادها قبل المساء تهم بالاسراع معنى تكرو اى كانها لاعب بكرة فى

المريعة يعنى ناحية والحداد الغزل الضعيف فاراد انها تسرع الضرب بالحف قبل المساء

قناحة

وقال عنتر فشبه يدى ناقته فى تدفعها بيدى هذه الناحية قال الاصمعى الحداد هدب الثوب يعنى

ان هذه الناسجة قد طلبت الفراغ من الثوب بلغت هدبه فهى تبادر لتفرغ منه قبل المساء وقريب

منه قول الاخر كان ايديهن بالقاع القرق ايدى جوار يتعاطين الورق فالقرق الحشن الكثير

الحصى وشبه حذفهن بمناسمهن له بحذف جوار يلعبن بدراهم وخص الجوارى لانهن اخف يدا من

النساء وقال اخرون القرق ههنا المستوى من الارض الواسع وانما خص بالوصف لان ايدى الابل اذا

اسرعت فى المستوى منه اخف لها واذا ابطات فى غيره فهو احمد لها ومن احسن ما قيل فى الاسراع قول

المراد من صحبته فتنا ولو اشعب الرحال فقلت تسوق البطون كفضلة المنتسي ذكر فيها اسفا
هبوا من بعد نومهم الى رحالهم ليسيروا وتعني تسوق البطون الابل والمنتسي العصا بلد الله قد اتخذنا اموسا
وهو خاليه من الحنين الصهيل فشبه المطايا في ضمرها بقطا قد رماها الصايد بعضها او افلت بعضها
فهن يطرن طيرانا شديدا ومثل هذا وان كان في وصف الخيل قول النابغة كالطير تنجو من الشؤبوب
ذي البرد فاما قول مروان مهريه اجمها بعد النحول ليلها وقد لها فقد مضى من وصف المطايا
بالنشاط بعد السآمة والجهد بما معنى واحسن من قول مروان واشد افصاحا بالمعنى واعرابا عنه
قول البحتري ومن شرها الصنو المستبطر والعرقية بعد الكلال واتما كان هذا احسن لانه
صرح بنشاطها بعد كلالها وقول مروان بعد النحول لا يجري هذا المجرى لان النحول قد يكون
من جهة السفر والتعب ويكون من غير فاما قوله كالقوس فانهما اثنان معا كثيرا ما العرب تجد وصف
المطايا بالنحول وتشبيهها بالقسي في ضمرها وقد اكثر في قوله تنحي السير عنها كل ناجية فهن
وذا يابي الطريق ثوابت وحملت الحاجات حرضا كانها وقد ضمرت صغر القسي العوجات وقال
سلم بن عمرو الخاسر فكانهن من الكلال اهلة او مثلهن عطائف الاقواس قود حطوا اما
من بعدهم فاني الصبح ومنا في اذناس وقال ابو تمام يصف فيرانها القاف حتى وهي من نواه
الى تعبين شيطان تجيء فما المعتب عنقا خنى ذنب بلحاظ القمان الحكيم وقد لها السرى بالجهد حلا
وغادرتها قد الاديم اذا بت سلها قطع الفيافي ومن بعد لها فانضح العصيم يدك البند واو في ليل
سعد لواحب مثل ما حوت قديم وقال البحتري وحدان القلاص حولا اذا قابلن حولا من انجم الاسحار
يترفن كالسراب وقد خضن غمارا من السراب الجاري كالغسي المعطلات بل الاسهم مبرية بل
الاوتار وله ايضا وهي العيس دهرها في ارتحال من حلول او فرقة من جميع دئب سير قد شرقن
غاذب قطرنه شرابا كالنهل المشروع لو نرى تعتيه بالوبخه حتى نضيع الآبل عن نابل الصدع
كالبرء في البرج وتحسبن لغيانا فشوقا عد ولكن تنوع مجلس اخر تاويل اليات ان سائل سائل عن قوله
تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي الآية فقال اضاف الخلق نفسه اليه وهو متعال عن قولك
الجوارح فلنتامل هذه الآية وجوه او لها ان يكون قوله لما خلقت بيدي جاريا مجرى قوله تعالى لما
خلقت انا وذلك مشهور في لغة العرب يقول احدهم هذا ما كسبت يداك وما جرت عليك يداك
واذا ارادوا نفي الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون فلان لا تمشي قدمه
ولا ينطق لسانه ولا تكتب يده وكذلك في الاثبات ولا يكون للفعل رجوع الى الجوارح في الحقيقة
بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل وثانيها ان يكون معنى اليد ههنا النعمة ولا اشكال في ان احد محتملات
لفظة اليد النعمة واما الوجه في تثنيتها فقد قيل فيه ان المراد بها نعمة الدنيا ونعمة الآخرة فكانه تعالى

قال ما منعك ان تسجد لما خلقت لنعمتي واراد بالباء اللام وثالثها ان يكون معنى اليد ههنا القدرة
وذلك ايضا من محتملات اللفظة معروف يقول القايل ما لي بهذا الامر يد ولا يدان وما جرى
مجرى ذلك المعنى انني لا اقدر عليه ولا اطيقه وليس المراد بذلك اثبات قدرة على الحقيقة بل اثبات
كون القادر قادرا ونفي كونه قادرا فكانه تعالى قال ما منعك ان تسجد لما خلقت وانا قادر على خلقه
نعبر عن كونه قادرا بلفظ اليد الذي هو عبارة عن القدرة وكل ذلك واضح في تاويل الآية ونعود الى ما
كنا ابتدأناه من الكلام على شعر مروان في قصيدته التي تقدم بعضها ووقع الكلام عليها قوله
احيا امير المؤمنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها ملك تفرع نبعة من هاشم مد الاله على الانام
ظلالها جبل لامته تلوذ بركنه رست تجاه عدوها فازالها لم تغشها مما تخاف عظيمة الا اجال
لها الامور مجالها حتى يفرجها اقرمبارك الفى اباه مفرجا امثالها ثبت على زلل الحوادث راكب
من صرفهن لكل حال حالها كلتا يديك جعلت فضل نوالها في المسلمين وفي العدو وبالها وقعت
مواقعها بعفوك انفس اذهبت بعد مخافة اوجالها اذ امنت من هيبة خطرادها وكففت من
امرائها اغلالها وضعت عنهم بفضلك عنهم اثقالها وجعلت مالك واقيا اموالها اما قوله
احيا امير المؤمنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها فقد عابه عليه بعض من لا معرفة عنده بنقد
الشعر فقال كيف يكون في سنن النبي حرام وما الذي يعيبه الا انه اراد بقوله حرامها وحلالها التحريم و
التحليل من سنته صلى الله عليه واله تحريم الحرام وتحليل الحلال فاما المعيب من هذا المعنى قول ابن
الرقاع العاملي ولقد اراد الله اذ ولاكها من امة اصلاحها ورشادها ومثل قول مروان قول سلم
الخاسر ولما ولي ذكر النبي بتحليله وتحريمه فاما قوله حتى يفرجها اغر مبارك البيت فيكثر الشعراء
المحدثين والاصل فيه قول زهير وما كان من خير اتوه فانما توارثه آباء آبائهم قبل وهل ينبت
الخطي الا وشيجه وتغرس الا في منابتها النخل ومثله للاخر وحمزة والعباس منهم ومنهم عقيل وماء
العود من حيث يعصر ومثله للربيع بن ابي الحقيق اليهودي اذا مات منا سيد قام بعده له خلف يكفي
السيادة بارع من ابناء والعرق يسري فرعه على اصله والعرق للعرق نازع ومثله لمزاحم العقيلي
وفد عيا لقد لدنه وفي اروحه ما ينبت العود واخذ هذا المعنى وبعض اللفظ الكميت فقال يخرجن
اصاغرهم مجرى اكابرهم وفي اروحه ما ينبت الشجر ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات
تخلفك البيض من جنيك كما يخلف عود النضار في شعبه ومثله قول نهشل بن حري اري كل عود
ناميا في اروفيه الى نسب العيدان ان يتغيرا بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لآباء صدق يلقهم
حيث سيرا ومثله لمسلم بن الوليد الانصاري الح على الايام يفري خطوبها على منهج الفى اباه به قبل
وليثاد على اعراقها تجري الجياد ومثله وما في من خير وشر فانها بحبيته ابائي فعل جدي

هم القوم فرحي منهم مُتقرّع، وعودهم عند الحوادث عُودي، وللنجي، واذا ابو الفضل الشعاعية
للكرمات ثمن ابي يعقوب، شرف تتابع كابرًا عن كابرٍ كالرمح انبوبًا على انبوب، ولدى النجابة
لا يكون تمامها لنجيب قوم ليس بابن نجيب، وله ايضا ما سعوا لخلق غير ابيهم، كل ساعٍ مثل ابيه
بين مضاربه، وله ايضا وما تابع في الخد … عادة، كمتبع في الجد … ابيه، وفي هذه القصيدة يقول
مروان: هل تعلمون خليفة من قبله ناجى الغاية التي اجرى لها، طلع الدروب مشمرًا عن ساقه
بالخيل … نعالها … الى … امامها وخلالها، … حمايله
عليه فغاضت، ولقد تحفظ فيها ما الها حتى اذا ورث … جيله، … على العدو …
… بلاد المسلمين عليهم، واباح سهل بلادهم وجبالها، … حيله …
… لم يبق بعد … وطرافها، … الخليفة ناظرين … والشيء
بيد … وحسنت حتى قيل الصبح اعتيا، في الشيء … ولقد …
لمن اطاع ومن عصى نعلا ورثت عن النبي مثالها اما قوله … حمائله … قول عنترة
بطل كان ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوأم … كهلال السماء …
وفاء … طويل النجاد رفيع العماد يحمي المضاف يعني الفقير، ومثله طويل نجاد السيف
… كنصل اليماني اخلصته صياقله اذا … بالمعروف لم … محوشا ولم يترك نداه
عواذله، ومثله قول طريح بن اسماعيل الثقفي … الثنايا مبارك يطول نجاد السيف
وهو طويل، ولابن جرير … نجاد السيف حتى كانه … على … فالج …
اهتز في البر … ولابي … وازهر من … عمرو
… حمائله … آل المهلب … اعز الناس جارا واقتلهم اذا
عُدّوا … وان كانت طوالا نجادها عن شمائلكم قصارا … العنبري في معنى الطول
فجاءت به عبل العظام كانما عمامته بين الرجال لواء، وللاخر … طويل الساعدين كانما
يناط الى جذع طويل حمائله، ولابن هرمة … الهندي منه بعاتق … الكف …
ولكن … مع الرمح الرديني فانما
ويقصر عنه طول كل نجاد، وللخثعمي … ويقصر عنه نجاد الحسام وللواء
طول … بالطول … وطوله … يوم الوغى … وقصر
نجاد الحسام فاما قوله ولقد حذوت لمن اطاع ومن عصى نعلا ورثت عن النبي مثالها فقد
ردد مروان معناه في مواضع من شعره فقال شبيه ابيه منظرا وخليقة كما حذيت يوما على اختها
النعل وقال في موضع آخر احيا الناس سنن النبي بسيرته … الشراك … شراكا وقال ايضا …

المنبر … مثل حمزة قياس الشراك بالشراك تضاليه، وقال ايضا … خلقا غدا … وفا بلا
… اذا ام … هدي على اصل عرق كان افخر …
كما قاس … الحضرمي فقد … على اخيها … واخذ هذا المعنى ابو نواس فقال تنازع
الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان، والاصل في هذا المعنى قول ابن ربيعة
فلما تواقفنا عرفت الذي بها كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل، ومثله للسيد الحميري …
اخلاق النبي وفعله كالنعل … في المثال طرافها، وتقدم هذا المعنى يزيد بن المكسر بن ثعلبه
بن سنان البجلي بقوله في يوم ذي قار … على القتال من فر منكم فر عن حريمه وجاره
عن … انا ابن سيار على شكيمة مثل الشراك قده من ادمه وكلهم يجري على قديمه فاما
قوله وحسنت حتى قيل … اعيا البيت فمعنى قول البحتري … الايام …
عاتبت … والنبي … على … الود …
مروان قوله موفق لسبيل الرشد متبع … كل … فيجتنبه … العقول …
للناس … صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب
وقد بلغت بعض من ينقد الشعر يقول ليس في شعر مروان بيت يتمثل به غير هذا البيت الاخير من
الثلاثة ابيات وكان ابن مناذر … وقد … هو مجاور … بغداد من الشعراء
فقيل له العباس بن الاحنف فقال … لو كنت … لسكن … امل …
… لكن ملكت … صد الملوك … العاتب فقال ابن
مناذر … الخلق … التراب ان يصيب … ولا شك في قلبه
الامثال في شعر مروان ولكن ليس له هذا الحذق وهذا المعنى الذي تضمنه البيت قد سبق اليه
قال طريح بن اسماعيل … خلا … سبيك
النضار لا يعمل الذم فيها افسادا … ومثله للخزيمي … وزيد الفخار وزيد الكرم
تزيد على نائبات الخطوب … كذا الجمر والذهب المعتلي … القدر
وفي قوله الذهب المعتلي فائدة لانه اذا خلص الذهب صفا لم يفسد واذا امتزج بغيره لم يكن
هذا حكمه ومثله … خلق … طبعًا كان جوهره من جوهر الذهب ولبعضهم
ما … خلق … كسبيكة الذهب التي لا تكلف … وقد اخذ … هذا المعنى قوله
… لصورة حسنها الاصلي يكفيها ان الدنانير لا تخلى وان عتقت ولا
زاد على النقش الذي فيها … مثله صديق لي … رعاه وما
… فوق ما يجب، ولو … عندنا الذهب مجلس آخر …

تأويل آية نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ الآية

سأل سائل عن قوله تعالى نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا فقال كيف قال وإذ هم نجوى وهو خبر عن جميع وما معنى مسحورا وما جرت عادة مشركي العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك بل عادتهم جارية بقرفهم بأنه ساحر الجواب قلنا أما قوله تعالى وإذ هم نجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وهو مفرد على لفظه ويجري ذلك مجرى قولهم الرجال صوم والمنازل حمد يعني بصوم صائمون وبحمد محمودة وقد قال قوم معناه وإذ هم أصحاب نجوى فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ويقال القوم نجي والقوم أنجية فمن وحده بنى على مذهب المصدر ومن جمع جعله منقولا عن المصدر ومجازا بغيره وادغفو وما أشبه ذلك وقد قال الشاعر في التوحيد * إني نجي نعيد هد ونقله * ولم يك فيما قد بلوت بكاذب * وأنشد الفراء في الجمع * خلت نساءهم والقوم أنجية * لعيد يلهما كما يعد على الغنم * فأما قوله تعالى إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ففيه وجوه أولها أن يكون المراد إن تتبعون إلا رجلا مسحورا متغير العقل لأن المشركين كان من مذهبهم عيب النبي صلى الله عليه وآله وتضعيف أمره وتوهين رأيه فكانوا في وقت ينسبونه إلى أنه ساحر وفي آخر يرمونه بالجنون وأنه مسحور متغير العقل وتارة يقذفونه بأنه شاعر وحوشي من ذلك كله وقد جرت عادة الناس بأن يصفوا من يضيفونه إلى البله والغفلة وقلة التحصيل بأنه مسحور وثانيها أن يريد وأما المسحور المخدوع المعلل لأن ذلك أحد ما تستعمل فيه هذه اللفظة قال امرؤ القيس * أرانا موضعين لأمر غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب * وقال أمية بن أبي الصلت * فإن تسألينا فيم نحن فإننا * عصافير من هذا الأنام المسحر * وثالثها أن السحر في لغة العرب الرئة وما تعلق بها وفيها ثلاث لغات سَحْر وسُحْر وسَحَر وقيل السحر ما لصق بالحلقوم والمريء من أعلى الجوف وقيل إنه الكبد فكان المعنى على هذا إن تتبعون إلا رجلا ذا سحر خلقه الله بشرا كخلقكم ورابعها أن يكون معنى مسحور أي ساحر وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل قال الله تعالى وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا أي ساترا والعرب تقول للمعسر ملفج ومعناه ملفج لأن ماضيه ألفج فجاؤا بلفظ المفعول وهو الفاعل ومن ذلك قولهم فلان مشؤم على فلان وميمون وهم يريدون شائم له ويامن لأنه من شأمهم ويمنهم قال السيد قدس الله روحه ورأيت بعض العلماء يطعن على هذا الاستشهاد الأخير فيقول العرب لا تعرف فلان مشؤم على فلان وإنما هذا من كلام أهل الأمصار وإنما تسمي العرب من لحقه الشؤم مشؤما كما قال علقمة بن عبدة * ومن تعرض للغربان يزجرها * على سلامته لا بد مشؤم * والوجوه الثلاثة الأول أشبه وأوضح ومما يختار من قول مروان بن أبي حفصة في قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني أولها * أرى القلب أضحى بالأوانس مولعا * وإن كان من عهد الصبي قد تمتعا * يقول فيها * ولما سرى الهم الغريب قريته * قرى من أزال الشك عنه وأزمعا *

بهن إلى الجهل ومن أكن * كذي لوثة لا يطلع الهم مطلعا * فأمت كأن بأرض معن ولم تزل * إلى أرض معن حيث ما كان تنزعا * نجائب لولا أنها سخرت لنا * أبت عزة من جهلها أن توقعا * كسونا رحال الميس منها غواربا * تدارك فيها النص صيفا ومربعا * فما بلغت صنعاء حتى تواضعت * ذراها وزال الجهل عنها وأقلعا * يقول فيها * هو الغيث إلا أن البلاد يصوبه * على الناس من معروفه معن باد وساعيا * تدارك معن قبة الدين بعدما * خشينا على أوتادها أن تنزعا * أقام على الثغر المخوف وهاشم * تساقي سماما بالأسنة منقعا * مقام امرئ يأبى سوى الخطة التي * تكون لك الخطب الجليل رفعا * وما أحجم الأعداء عنك بقية * عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا * رأوا مخدرا قد جربوه وعاينوا * لدى غيله منهم مجرا ومصرعا * وليس ثانيه إذا شدا يرى * لذي مخره ذوق الأسنة شرعا * له راحتان الحتف والغيث فيهما * أبى الله إلا أن تضر وتنفعا * أقد ذوي الأعداء معن فأصبحوا * وأمنعهم لا يدفع الذل مدفعا * بخيب مناجيب سيد سادة * ذوي المجد من قرعي نزار تفرعا * لبانت خصال الخير فيه وكملت * وما كملت خمسا سنوه وأربعا * لقد أصبحت في كل شرق ومغرب * بسيفك أعناق المريبين خضعا * وطئت خدود الحضرميين وطأة * لها هد ذكنا عزهم فتضعضعا * فأضحوا على الأذناب فيما معشر * ترى لهم السلم أبقى وأودعا * فلو مدت الأيدي إلى الحرب كلها * لكفوا وما مدوا إلى الحرب إصبعا * أما قوله فما بلغت صنعاء حتى تواضعت ذراها وزال الجهل عنه وأقلعا فقد ردده في موضع آخر فقال * فما بلغت حتى حماها كلالها * إذا عرضت أصلابها أن تقيدا * وهذا المعنى كثير في الشعر القديم والمحدث فمنه قول جرير * إذا بلغوا المنازل لم تقيد * وفي طول الكلام لها قيود * وأنشد قبل النصيب لك بيت تنازع فيه جرير والحكم فيه أشعر قال فما هو فقيل قولك * أضر بها التهجير حتى كأنها * بقايا سلال لم يدعها سلالها * وأنشد بيت جرير الذي تقدم فقال قاتل الله ابن الخطفي فقيل له قد فضلته عليك فقال هو ذاك وأخذ هذا المعنى المؤمل بن أميل المحاربي فقال * كانت تقيد حين تنزل مرة * فاليوم صار لها الهزال قيودا * ولأبي نخيلة في ذا * الجهد لم تقيده * فهي سوام كالقنى المسند * وما لها معقل من مزود منها ولا من شاحط مستبعد * ومعنى قوله سوام أي هي رافعة رؤسها وشبهها بالقنى لأن القنى إذا ذكر مال قليلا مع الريح فيقول في أعناقها ميل من الضعف كما قال الشماخ * فأضحت تغالي بالستار كأنها * رماح نحاها وجهة الريح راكز * وكما قال حميد بن ثور * نمشي حرام والمطي كأنه * قنى مسند هبت لهن جريف * والخريف ريح شديدة تحرق من كل وجهة ومعنى قول أبي نخيلة من مزود أي من قبيلة يحرفها من الاختبار ويزدادونه لأنه في أجوافها فتعلل به والمستبعد ما بعد من المرعى وأنشد أبو العباس ثعلب * إذا بلغوا المنازل لم تقيد * ركابهم ولم تشد بعقل * فهن وعينا أنه مطلقات * تعضم ما تشد في المحال * والأصل في هذا قول امرئ القيس مطوت بهم

حتى تحل مطيته ذي الجبل انيقت بارسان ولعبادين انفذ لكلب الصيد او قميص لاقيد ها مجبل
فيا طول الضراوة في الكلال ومن جيد هذا المعنى قول القرشي في صفة الابل بدا انابها بين منيع
وسيل كبيلة وفيها نشاط من مراح ثم عرف فما بلغت حتى تقارب خطوها وبادت فرادها في المناسم
وعقف وحتى قتلنا الجهل عنها وغودرت اذا ما اينخت في المدامع ذرف وحتى المثل الحاد الحي المطي
تبو قبها لما نقص بايام وذاك لمجالف النجم تحت الخف الذي نطا عليه والذي قفار الظهر والجلف
القشور وحتى بعثنا ها و نا في يد رقها اذا خلع عنها ارقه وهي يشف الرسن الحبل واذا انها تي
كما يرسف المقيد وان لم يكن في يد ها قيد اذا ما زلنا قال لمن عن لحوقها اجراجيح امثال الاهلة
شسف الجراجيح الطوال من الابل والشسف اليابس من الجهد في الكلال ومعنى قالنها اللغربان
انها اذا عرتها ظهورها تقع الغربان عليها لتاكل دبرها فالابل تدفع الغربان بافواهها عن ظهورها و ذلك
لمثالها اذا ما اذيناها الاوقه اقبلت الينا بحران الحد ودتضلف فاقت مراح الذاعر بسوقها
بنا الليل اذنام الذنود الملفف ومن احسن ما قيل في وصف الابل بالتحول من الكلال والجهد بعد
السمن قول الشاعر وذات ما آبن قد عيت جمجمها بحيث تمسك الارواح بالجحر وتدعو الحيطا
الفلاة بحث تمثل اليالة من حائل العشر قوله ذات ما آبن يعني سمنا على سمن وقيل بل عني لها عمر
كلا عامين وقوله قد غيضت جمجمها يعني انه اتعبها بالسير حتى ذهبا فرط العبد بسمن فكانه عنى
بذلك ماء ها ومعنى بحيث تمسك الارواح بالجحر يعني الفلاة حيث لا يكون الماء فيقسم الركب الماء
الذي معهم بالحجر الذي يقال له المقلة فيمسك لدمائهم وقوله وتدعو الحيطان الفلا اي ما دعي
من كلاء هذه الاماكن وتمتنع عنه كان كعا بيز عند ماوذ تحيث جهد ها السير و هزلها الا
الايباله الحريرة من الحطب اليابس اخذ هذا المعنى بعينه ابو تمام فقال دعته الغيا بعد ما كا
حقبة ترعاها وماء المزن ينهل ساكبه فكم جزع واد حبت ذروة غارب ومن قبل كانت تمكث بذا
فاما قوله فما اجم الاعداء عنك بقية عليك ولكن لم ير وا فيك مطمعا فهو من قول الاخر
فما ابقيا على تركتماني ولكن خفتما صرد النبال وقريب منه قول الاخر لعمرك ما الناس اثنوا
عليك ولا قرظوك ولا عظموا ولو انهم وجدوا مطعنا الى ان يعيبوك ما اجملوا فانت فضلك
الجأتهم الى ان يجلوا وان يعظموا ومثله اما الورى فبنات العقد نقيضه للحب يعرف العيوب
والوضعا ولكنه ما زالت مبراة من العيب فطى راسه ونقفعا ومثله قد طلب العاذل عيبا
فما اصاب عيبا فانثنى عاذرا وللبحتري في معنى قول مروان فما اجم الاعداء عنك بقية من قصيدة
يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الاسد غداة لقيت الليث والليث خادر تحيد ذنابا للقاء
فجليناه شهدت لقد انصفته يوم تبريه له مصلتا عضبا من البيض مقضبا فلم ار ضرغاما

أصدق

ما قيل في قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه

أصدق في منكما غراكا اذ الهيابة النكس كذباه هزبر و مشي نحو هزبرا واغلب من القوم يمشي باسل
الوجه اغلبا اذل تقنعت ثم هالته صولة راى لها امضى جنانا واشغبا فاحجم لما لم يجد عنك مهربا
مطمعا واقدم لما لم يجد عنك مهربا فلم يغنه ان كر نحوك مقبلا ولم ينجه ان حاد عنك منكبا
حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ولا يدك ارتدت ولا حدّه نبا وكنت متى تجمع يمينك تهتك الفقر
او لا تبق للسيف مضربا ومن فحل كلام مروان ولايقه وما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ
واطراد النسج قوله بنو مطر يوم اللقاء كانهم اسود لها في غيل خفان اشبل هم يمنعون الجار حتى
كانما لجارهم بين السماكين منزل بهاليل في الاسلام سادوا ولم يكن كاولهم في الجاهلية اول
هم القوم ان قالوا اصابوا وان دعوا اجابوا وان اعطوا اطابوا واجزلوا وما يستطيع الفاعلون
فعالهم وان احسنوا في النائبات واجملوا ثلاث بامثال الجبال حباهم واحلامهم منها لدى
الوزن انقل ومن جيد قوله من قصيدة يمدح بها معنا ما من عدو يجمع ابناجنه الا
بظن المنايا اشبل الغدا بلقى اذ الخيل لم تقدم فوارسها كالليث يزداد اقداما اذا زجرا
اغر يحسب يوم الروع ذا لبد وتد او يحسب فوق المنبر القمرا ولم من قصيدة يصف يوما حارا
ويوم عسول الاكام كانما لظى شمسه مشبوبة بلهب نصبنا له منا الوجوه وكنها عصنا
اسمال بها نتعصب وتشبه ان يكون اخذ ذلك من قول الشنفرى ويوم من الشعري يذوب
لعابه افاعيه في رمضائه تتململ نصبت له وجهي ولا كن دونه ولا ستر الا الاتحمي المرعبل
ولمروان من ابيات يصف فيها خيلا يقودها الى الهيجا ويذكر نحولها تجر ما اجادتها نواصر عليها
لقد تداءت روسها من الجنب حتى ما يطير غرابها ترى البارقات الغر فيها كانها ظعائن
مصروب عليها قبابها ترى بابها سهلا لكل مدقع اذا انبعث تخل فا غلق بابها يكون لنا ما
بجتني من ثمارها ربيعا اذا الافاق قل سحابها خطابه لم يخلط ما تمامها الرقى ولم يك من اخذ
الدنيات اكتسابها ولكن عطاء الله من كل منعم بحرا من المتخلفين ثوابها ومن كضها الخيل
في كل غارة حلالا بارض المشركين نهابها حوت غنمها اباؤنا وجدودنا بضم العوالي والدماء
خضابها اما قوله خطابه لم يخلط باثمانها الوغى ولم يك من اخذ الدنيات اكتسابها فكان ابن المعتز
نظر اليه في قوله لنا ابل ما فرقتها دماؤها ولا ذعرتها في الصبا الصوامح وفي ضد هذا القول لمج
تمام كثرت فيهم المواشي لانها من مناكح ودياث ومثل الاول قول حسان يحيى قوما من قريش
وما لكم لا من طرادتوارث ولكن من التر فيحنا آل مالك بمجلس احرناويل الهزان سائل عن
قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وقوله ويبقى وجه ربك وما
شاكل ذلك من الآي المتضمنة لذكر الوجه الجواب قلنا الوجه ينقسم في اللغة العربية الى اقسام

فالوجه المحرز المركب فيه العينان من كل ذي عين من الحيوان والوجه ايضا اول الشي وصدره ومن ذلك قوله
تعـ وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره اي اخر
اول النهار واكفروا اخره اي اخره ومنه قول الربيع بن زياد من كان مسرورا بمقتل مالك فليات
نسوتنا بوجه نهار اي غداة كل يوم ويقال يوم وجه نهار موضع والوجه القصد بالفعل من ذلك قوله
تعـ ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن معناه من قصد بامره وفعله الى الله سبحانه واراده بهما وكذلك قوله
ومن احسن ممن اسلم وجهه لله وهو محسن وقال الفرزدق واسلمت وجهي حين شدت ركابي الى
المرو ان بناة المكارم اي جعلت قصدي وارادتي لهم وانشد الفراء استغفر الله ذنبا لست
محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل اي القصد ومنه قولهم في الصلاة وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض اي قصدت بعبادتي وقصدي بعملي وكذلك قوله تعـ فاقم وجهك للدين والوجه
الاحتيال للامر من قولهم كيف الوجه لهذا الامر وما الوجه فيه اي ما الحيلة والوجه المذهب والجهة
والناحية قال حمزة بن بيض الحنفي اي الوجوه انتجعت قلت لها لاي وجه الى الحكم متى يقل صاحبا
سرادقه هذا ابن بيض بالباب يبتسم والوجه القدر والمنزلة ومنه قولهم لفلان وجه عريض
وفلان اوجه من فلان اي اعظم قدرا وجاها ويقال اوجهه السلطان اذا جعل له جاها قال
امرؤ القيس ونادمت قيصر في ملكه فاوجهني وركبت البريدا والوجه الرئيس المنظور اليه يقال
فلان وجه القوم وهو وجه عشيرته ووجه الشي نفسه وذاته قال احمر بن جندل السعدي وبحن
حفزنا الحوفزان بطعنة فافلت وجه منه بهلل اراد فلته ونجاه ومنه قوله انما افعل ذلك لوجهك
ويدل ايضا على ان الوجه يعبر به عن الذات قوله تعـ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه
يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة وقوله تعـ وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية لان جميع
ما اضيف الى الوجوه في ظاهر الاي من النظر والظن والرضى لا يصح اضافته على الحقيقة اليها
وانما يضاف الى الجملة يعني قوله كل شي هالك الا وجهه اي كل شي هالك الا اياه وكذلك قوله تعـ
كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ومما يدل على ان المراد بوجهه نفسه قوله
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام لما كان المراد بالوجه نفسه ولم يقل ذي الجلال كما قال تبارك
اسم ربك ذي الجلال والاكرام لما كان اسمه غيره ويمكن في قوله كل شي هالك الا وجهه وجه اخر
قد روي عن بعض المتقدمين وهو ان يكون المراد بالوجه ما يقصد به الى الله تعـ ويوجه نحو القربة
اليه جلت عظمته فيقول لا تشرك بالله ولا تدع مع الله الها غيره فان كل فعل يتقرب به الى غيره ويقصد
به سواه فهو هالك باطل وكيف يجوز للمشبهة ان يحملوا هذه الاية والتي قبلها على الظاهر وليس ذلك بموجب
انه تعـ يفنى ويبقى وجهه هذا كفر ممن قاله فاما قوله تعـ انما نطعمكم لوجه الله وقوله الا ابتغاء

وجه ربه الاعلى وقوله وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فمعلوم ان هذه الافعال مفعولة له
ومقصود بها ثوابه والقربة اليه والزلفة عنده فاما قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله فيحتمل ان يراد به
فثم الله لا على معنى الحلول لكن على معنى التدبير والعلم ويحتمل ان يراد به فثم رضى الله وثوابه والقربة
اليه ويحتمل ان يراد بالوجه الجهة ويكون الاضافة بمعنى الملك والخلق والانشاء والاحداث لانه عز
وجل قال ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله اي ان الجهات كلها لله وتحت ملكه و
هذا واضح بين بحمد الله اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال نحن
مع المكتفي بالله في اخر سفرة سافرها للصيد من الموضع المعروف بنجنة الى تكريت في حراقة فكانت
تجنح كثيرا فيشتد فزع من معه من الجلساء لذلك وكنت اشدهم فزعا وكان في الحراقة سوانا من الجلساء
يحيى بن علي المنجم ومفتح بن محمد بن مروان والقاسم المعروف بابن حبابة فكان يضحك لفزعنا ويقول
لقد سلم الله نكم خطامن الشجاعة جزيلا فقلت له ان البحتري يقول شعرا يصف فيه مثل ما نحن فيه
يمدح احمد بن دينار بن عبد الله وقد غزا الروم في مراكب فقلت قال البحتري قلت نعم فقال قصيدة الميمية وما خلت
من شي الا باض المنشر فقال انشدني الموضع الذي ذكر هذا فيه منها وكان حسن العلم بالاشعار حافظا
للاخبار فانشدته غدوت على الميمون صبحا وانما غدا المركب الميمون تحت المظفر اذا زمجر النوتي فوق علاته
رايت خطيبا في ذرا ابن منبر يغضون دون الاشتيام عيونهم وفوق السماط للعظيم المؤمر اذا ما
علا فيه الجنوب لمقلة رايتها عقبان في السماء مجرر اذا ما انكفى في هبوة الماء خلته تلفع في
اثناء برد محبر وحولك ركابون للهول عاقروا كوس الردى من دارعين وحسر تميل المنايا حيث
مالت اكفهم اذا اصلتوا حد الحديد المذكر اذا رشقوا بالنار لم يك رشقهم ليقلع الا عن شواء
مقتر صدقوا سطوا كانت سفينة نحاب صيف من جهام وممطر صدمت بهم صهب العثانين دونهم
ضرائب كانقاد اللظى المتسعر كان ضجيج البحر بين رماحهم اذا اختلفت ترجيع عود مجرجر تقارب
من زحفيهم فكانما تؤلف من اعناق وحش منفر فما رمت حتى اجلت الحرب عن طلى مقصصة فيهم
وهام مطير على حين لا نقع يطوحه الصبا وقد ارض تلفي للصريع المقطر وكنت ابن كسرى
قبل ذلك وبعده مليا بان توهي صفاة ابن قيصر جدحت له الموت الذعاف فعافه وطار
على الواح شطب مسمر مضى وهو مولى الريح يشكر فضلها عليه ومن يول الصنيعة يشكر قال فاستحسن
المكتفي قوله على حين لا نقع يطوحه الصبا فقال لي يحيى بن علي انشد ابن الرومي شعرا له في هذا المعنى
جيد ولم اعلم قط من ذوي سباحة سوى الغوص والمضعوف غير مغالب ولم لا ولو الفيت فيها وصخرة
لوافيت منها القعر اول راسب واير اشفاقي من الماء انني امر به في الكوز مر المجانب واخشى
الردى منه على كل شارب فكيف امنيه على نفس راكب فقلت لما انشد ابن الرومي بيته الثالث

من قول ابي نواس فقال المكتفي وما قال فقلت حدثني علي بن سراج المصري قال حدثني ابو وائل الحجري قال حدثني ابرهيم بن الخصيب قال وقف ابو نواس بمصر على النيل فرای رجلاً قد اخذه التمساح في النيل فقال أضمرت للنيل هجراناً ومقلية مذ قيل لي انما التمساح في النيل فمن رای النيل رای العين من كثب فما ارى النيل الا في البواقيل قال الصولي البواقيل سفن صغار ثم اجرى المكتفي ذكر الشيب فقال العرب تقول اظلم من شيب وقد شبت وظلمني الشيب وشبت يا صولي فقلت جواب عبيد الله هذا جواب معن بن زائدة الشيباني لعبد الملك المنصور وقد قال له كبرت يا معن فقال في طاعتك يا امير المؤمنين قال انك لتتجلد قال على اعدائك قال وفيك بقية قال هي لك فنزع المكتفي عمامته فاذا شيبتان في مقدم راسه فقال الغد حتى طلوع هاتين الشيبتين فقلت انما يعيش الناس في الشيب فاما السواد فلا يصحب الناس خالصاً اكثر من اربعين سنة الى الخمسين وقد يعاشر البياض الذي لا سواد فيه ثمانون سنة فانشدته يحيى بن علي بن يحيى المنجم في معنى طول العمر مع الشيب قول امرء القيس الآن بعد العدم للمرء قنوة وبعد المشيب طول عمر وملبساً وانشدته ايضاً ابياتاً انشدها اسحق بن ابرهيم الموصلي لبعض العقيليين ثم ينقص منه المشيب قلائد الآن حين بدا الب وأكيس والشيب ينظر ان خلا له عمر يكون خلاله متنفس قال قدس الله روحه اما قول البحتري فمعنى هو قول الوجه فقد كرر معناه في قوله من قصيدة يمدح بها ابا العيص الثغري أشلى على سنبل اطراف القناة فجاحتى عتيق خرداء ولوانه ابطالهن هنيهة لصدرن عنه وهن غير ظماء فليس نبقا القضاء لو تثنية فلقد عممت جنود نفاء وظنه اخذ هذا المعنى من ابي تمام في قوله من قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر فتح الخرمية لولا الطلا وعلله علوا بها ناءت رقابهم بغير ظلال فليشكروا اجنح الظلام ودروا فهم لذي دود والظلام موالي وقد اخطا الصولي في تفسير بيت ابي نواس ما انا البواقيل سفن صغار لان البواقيل جمع بوقال وهو الذي على هيئة الكوز معروف قد يعمل في الزجاج وغيره وهذا مثل قول ابن الرومي أمرته في الكوز من المحابب وانما اراد انني لا اشرب ماء النيل الا اذا ورد شربه في كوز او بوقال وما واظن الصولي استمر عليه الوهم من جهة قوله فما ارى النيل وقدر ذلك الى انه اراد النيل بعينه على الحقيقة وانما اراد ماء النيل وما علمت ان السفن الصغار تسمى بواقيل لا من قول الصولي هذا ولو كان ما ذكره صحيحاً من ان ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت ابي نواس بما ذكرنا اشبه والبق ادخل في معنى الشعر كيف تدخل شبهة في ذلك مع قوله فمن رای النيل رای العين من كثب ومن رای النيل في السفن فقد راه من كثب فاما مدح الشيب في تفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس واكثروا فيما تقدم في ذلك قول ذؤيب بن العجاج ويقال ان ذؤيبة لم يقل من القصيد الا هذين

في صفة الشيب

البيتين

البيتين إنما الشامت المعير بالشيب اقلّ بالشباب افتخارا قد لبست الشباب غضاً جديدا فوجدت الشباب ثوباً معارا ولعلي بن جبلة حين طرب للغنا وهو طروب واعقبه قرب الشباب مشيب تجافت عنه البيض وربما مددن اليه الوصل فهو حبيب لعمر ابيهم الصاحب الشيب غلطا وان كان عند العيون نكوبا خليط نهى منتاب حلم وانه على ذاك مكروه الخلاط مريبة ولآخر وتنكرت شيبي فقلت لها ليس المشيب فهو غيرها شبابا شيبي الشبا اذا ما كنت من عمري على فدك ولآخر ان كن قد ذمتنا سود كالفحم واعقبت مثل لون الثغام فلقد اسعف الكريم واحبوا اهله بالتدلل الى الظلامة غيرتها الشباب كان رداءه عنا فيه كغمي غمامة ولآخر ان المشيب رداء الحلم والادب كما الشباب رداء الجهل واللعب تعجبت ان رات شيبي فقلت لها لا تعجبي من يطل عمر به يشب ولابن الجهم حسرت عن القناع ظلوم وتولت فدمعها مسجوم انكرت ما رات براسي فقالت امشيب ام لؤلؤ منظوم فقلت شيب و لين عينيا فانته انتزليه نشيرها المهموم شدتما انكرت تصرم عهدي لم يدم لي يا ولابي هفان تعجبت درّ من شيبي فقلت لها لا تعجبي فطلوع الشمس في السدف وزادها عجبا لما رات سملي ومادرت دران الدر في الصدف وقد احسن ابو تمام غاية الاحسان في قوله ابدت اسى ان رات نجل النحول ما كان من عجب العجب ست وعشرون تدعوني واتبعها الى الشيب ولم نظلم ولم تخب فلا يؤرقك ايماض القتير به فان ذاك ابتسام الراي والادب وللبحتري عيرتني بالشيب وهي بدمته في عذارى بالصد والاجتناب لا تريه عاراً فما هو بالشيب ولكنه جلاء الشباب وبياض البازي اصدق حسناً ان تاملت من سواد الغراب وله هل هو الشيب لازماً فانيقي وانزكيه ان كان غير مفيق فلقد كف من غناء المعني ونهى من اشتياق المشوق عذلتنا في عشقها ام عمرو هل سمعتم بالعاذل المعشوق ورات لمة الم بها الشيب فريعت من ظلمة في شروق ولعمر لولا الاقاحي لابصرت انيق الرياض غير انيق وسواد العيون لو لم تكحل ببياض ما كان بالموموق ومزاج الصهباء بالماء املى بصبوح مستحسن وغبوق اي ليل يبهى بغير نجوم او سماء تندى بغير بروق وقبيل ان يكون اخذ قوله اي ليل يبهى من قول الشاعر اشيب لم اقض الشباب حقوقه ولم يمض من عهد الشباب قليل ذات وضحا في مفرق الراس راعها وشتان مبيض به وبهيم تفاريق شيب في الشباب لوامع وما حسن ليل ليس فيه نجوم او راق مثل هذا المعنى قوله ما الذي منظوما باحسن من شيب يحلل هامة الكهل وكانه فيها النجوم اذا دجا لليل بها على مهل لا تكبرن على الشباب اذا يبكي المجهول عليه للجهل واشكر لشيبك حسن صحبته فلقد كساك جلالة الفضل ولآخر في

مدح المشيب لابن علي المشيب ما ابيضت عندنا الا قد قالشيب حلية وبها وقار انما يحسن الرياض اذا ما
ضحكت في خلالها الانوار قال السيد المرتضى قدس الله روحه ولي في هذا المعنى من قصيدة
جزعت لوخطات الشيب وانما بلغ الشباب مدى الكمال فنورا والشيب زين ذوي النهى لكنه مورده لا
بد يورد كما الفتى ان عمرا يبيض بعد سواد الشعر الذي ان لم يرده الشيب وارا الثرى ومما علي
بين الشيب والشباب في مدح كل واحد منهما طريح بن اسماعيل فقال والشيب للحكماء من سفه
الصبا بد لا يكون له الفضيلة مقنع والشيب غاية من تاخر حينه لا يستطيع دفاعه من يجزع
ان الشباب له لذاذة جدة والشيب منه في المغبة انفع لا يبعد الله الشباب فمرحبا بالشيب
حين اوى اليه المرجع وكان الشباب الغض لي فيه لذة فموقري عن المشيب فاذا ما سقيا
ورعيا للشباب الذي مضى واهلا وسهلا بالمشيب مرحبا مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل
عن قوله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي و
ليؤمنوا بي لعلهم يرشدون فقال كيف ضمن الاجابة وتكفل بها وقد نرى من يدعو فلا يجاب
الجواب قلنا في ذلك وجوه اولها ان يكون المراد بقوله اجيب دعوة الداع اي اسمع دعوته ولهذا
يقال دعوت من لا يجيب اي دعوت من لا يسمع يقال سمع الله لمن حمده يراد اجاب الله لمن حمده وانشد
ابن الاعرابي دعوت الله حتى خفت ان لا يكون الله يسمع ما اقول اي يجيب ما اقول وثانيها انه
تعالى اخبر بقوله قريب قربه بالمسافة بل اراد انه قريب باجابته وسمعه وبعلمه وتعليمه
بما ياتي العبد ويذره وما يسره ويجهره تشبيها بقرب المسافة لان من قرب من غيره عرف احواله و
لم يخف عليه ويكون قوله اجيب على هذا تاكيدا للقرب فكانه اراد اني قريب قربا شديدا او
انني بحيث لا يخفى علي احوال العباد كما يقول القائل اذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله انا
بحيث اسمع كلامك واجيب نداءك وما جرى هذا المجرى ولقد روي ان قوما سالوا الرسول صلى الله عليه
وآله ربنا قريب فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله تعالى هذه الآية وثالثها ان يكون معنى الآية
اني اجيب دعوة الداعي اذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب ان يقارن الدعاء وهو ان يدعو
باشتراط المصلحة ولا يطلب في فوع ما يدعو به على كل حال ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال
لانه ان كان صلاحا لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو ايضا مجاب الى دعائه ورابعها ان يكون معنى دعاني
اي عبدني وتكون الاجابة هي الثواب والجزاء على ذلك فكانه تعالى قال اني اثيب العباد على دعائهم لي
وهذا مما لا اختصاص فيه وخامسها ما قاله قوم من ان معنى الآية ان العبد اذا سأل الله تعالى شيئا
في اعطائه صلاح فعله به واجابه اليه وان لم يكن في اعطائه اياه في الدنيا صلاح وخيرة لو تعطه لك
في الدنيا واعطاه اياه في الآخرة فهو مجيب لدعائه على كل حال وسادسها انه تعالى اذا دعا العبد

لم يخل من احد الامرين اما ان يجاب دعاؤه واما ان يختار له بعض ما سال ودعا في اختيار الله
له يقوم مقام الاجابة فكانه مجاب على كل حال وهذا الجواب ضعيف لان العبد ربما سال ما فيه
صلاح ومنفعة له في الدنيا وان كان منه فسادا في الدين لعبره فلا يعطى ذلك لان الامر يرجع اليه لكن لما فيه
من فساد غيره فكيف يكون مجابا مع المنع الذي لا يرجع اليه منه شيء من الصلاح اللهم الا ان يقال انه دعاؤه
مشروط بان يكون صلاحا ولا يكون فسادا وهذا مما تقدم ومعنى فليستجيبوا لي اي فليجيبوا لي وقد
ورد قال الشاعر وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب اي لم يجبه قال
السيد قدس الله روحه واذا كنا قد ذكرنا في المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرفا من الشعر في تفضيل
الشيب وتقديمه والتعزي عنه والتسلي عن نزوله فنحن نتبعه بطرف مما قيل في ذمه والتالم به والجزع
منه فمن ذلك قول ابي حية النميري فرحل بالشباب الشيب عنا فليت الشيب كان به الرحيل وقد
كان الشباب لنا خليلا فقد قضى مآربه الخليل لعمر ابي الشباب لقد تولى حميدا ما يراد به بديل اذا الايام
مقبلة علينا وظل اراكة الدنيا ظليل وقال الفرزدق اري الدهر ايام المشيب تمر علينا وايام الشباب
اطايبه وفي الشيب لذات وقرة اعين ومن حيلة عليش تعلل جادبه اذا ما نزل الشيب الشباب فاصلتا
بسيفيهما فالشيب لا بد غالبه فيا خير مزدوم ويا شر هازم اذا الشيب دانت للشباب كتائبه ولم ار شيئا
بعد شيب براجع بل الدهر حتى يرجع الدهر ما له وما المرء منه وعا بتجريب والغنى اذا لم تعظم نفسه
تجاربه وانشد اسحاق الموصلي لعمري لئن حليت عن منهل الصبا لقد كنت وراد المشارب العذب
ليالي امشي بين بردي لاهيا اميل كغصن البانة الناعم الرطب سلام على سير القلاص مع الركب
ووصل الغواني والمدامة والشرب سلام امرئ لم تبق منه بقية سوى منظر العينين او شهوة القلب
وللمنصور النمري ما تنقضي حسرة مني ولا جزع اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع بان الشباب وفاتتني
بشرته صروف دهر وايام لها خدع ما كنت اوفي شبابي كنه عزته حتى مضى فاذا الدنيا له تبع
ولمحمد بن ابي حازم عهد الشباب لقد ابقيت لي حزنا ما جد ذكرك الا جد لي شجنا سقيا ورعيا لايام
الشباب وان لم يبق منك له رسم ولا طلل جر الزمان ذيولا في مفارقه وللزمان على احسانه علل
ودعا مر اذيال الصبى مرحا وبين برديه غصن ناعم خضل لا تكذبن فما الدنيا باجمعها من الشباب
بيوم واحد بدل كفاك بالشيب عيبا عند غانية وبالشباب شفيعا ايها الرجل ولابن نواس الحسن
بن هانئ كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل كان الجميل اذا ارتديت به ومشيت
اختال ضليلا النعل كان البليغ اذا نطقت به واصاخت الآذان للتحلي كان المشفع في مآربه
عند الحسان وسيد لك التبل والباعثي والناس قد رقدوا حتى اتيت حليلة البعل والآمري حتى
اذا عرفت نفسي اهاب بي بالفعل فالآن صرت الى مقاربة وحططت عن ظهر الصبى رحلي قال السيد قدس الله

دونه وعلى هذا الكلام طلاوة وفخره من اغراضه ليسنا الغير ولبثا بين بردي الشيب كرة وكرة
ان بقا فيه اعجب شي على البغضاء مودود بمضى الشباب بنابي بعد مخلف والشيب يذهب مفقود
بمفقود وهذا البيت الاخير نحو قول مسلم بن الوليد الانصاري وقد احسن فيه مسلم قوله في هذا المعنى
طرفت عيون الغانيات وربما املن الى الطرف كل مميل وما الشيب الا شعرة غير انه قليل فذاك الحين
غير قليل ولا اعدم الفايدة للشيب في احدها وان نزلت بشخص غير مودود لا اجمع الحلم والصهبا فقد
سكنت نفسي الى الماء عن ماء العناقيد لم ينهني كبر عنها ولا فند لكن صحوت وغصني غير مخضود
او في بي الحلم واقتاد النهى طلقا انشاو في عقب الصبى من غير تقييد ولقد احسن بعض في قوله
الشباب والشيب كالن كحال المنايا فيها فضائل عنيها انجح ولعمري ان طالعا للشيب عملت اسرعه
لم تشهد اكف الخواضب فقالت لشيب طارى قلت شامر فقالت لقد شانتك عند الحبايب والجود
الوراق ويرى كما بن حازم اليه عجبا بالى القرض بضار ببعض الذي في يديه ودفن بين بالك موجع
وبين بعزي معتد اليه وبين الشيخ شرخ الشباب فليس يعزيه خلق عليه ولا بي دلف في كل
يوم ارى بيضا طالعة كانما طلعت في اسود البصر لئن قصصتك بالمقراض عن بصري لما قصصت
عن همي وعن فكري ونحو ليحيى بن خالد البرمكي قير في لعمرو الليل شيب في النهار كلاهما راسبي
بكثرة ما ندور رحاهما ينخا هبا نفوسنا ودماشا وتحو منا عمدا ونحن نراهما والشيب
احد الميتين تقدمت اولاهما وتاخرت اخراهما وقد اتى الفحلان المبرزان ابو تمام وابو عبادة
البحتري في هذا المعنى بكل غريب عجيب من ذلك قول ابي تمام غدا الهم مختطا بفودي خطة طريق
الردى منها الى الموت مهيع هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى وذو الالف يغلى والجديد يرقع
له منظر في العين ابيض ناصع ولكنه في القلب اسود اسفع ونحن نرجيه على الكره والرضى و
انف الفتى من وجهه وهو اجدع شعلة في المفارق استوعبتني في صميم الفؤاد ثكلا صميما
تستثير الهموم ما اكتن منها صعدا وهي تستثير الهموما غرة مرة الا انما كنت اغرا ايام
كنت بهيما دقة في الحياة تدعى جلالا مثلما سمي اللديغ سليما حلمتني زعمتم واراني قبل
هذا التحليم كنت حليما وقال البحتري الشيب بالمفارق الجديد فابكى تماضرا ولعوبا خضبت خدها
الى لولو العقد دما ان رات شواتي خضيبا كل داء يرجى الدواء له الا الفظيعين ميتة
ومشيبا يا نسيب الثغام ذنبك ابقى حسنا عند الحسان ذنوبا ولئن عبن ما راين لقد انكر
مستنكرا وعبن معيبا اوتصدعن عن قلى لكفى بالشيب بيني وبينهن حسيبا لو رايت
الله ان للشيب فضلا جاورته الابرار في الخلد شيبا قال السيد قدس الله روحه وحكي
الامدي يذكر ان قوما ادعوا المناقضة على ابي تمام في هذه الابيات بقوله فابكى تماضرا ولعوبا وقوله

خضبت

خضبت خدها الى لولو العقد دما ان رات شواتي خضيبا وقوله يا نسيب الثغام ذنبك ابقى وقوله
ولئن عبن ما راين لقد انكرن مستنكرا وعبن معيبا قالوا كيف يبكين دما على مشيبه ثم يعبنه قال
الامدي ليس هذا تناقضا لان الشيب لما ابكاهما تماضرا ولعوبا اسفا على شبابه وتحسرا الذي فاتهما
عنه غير هاتين المراتين فيكون من اشفق عليه من الشيب منهن واسف على شبابه بكى كما قال الاخطل
لما رات بدل الشباب بكت له ان المشيب لرذل الابدال ولم تكن هذه حال من عابه قال هذا
مستقيم واضح قال السيد وليس يحتاج في الاعتذار لابي تمام الى ما تكلفه الامدي بل المناقض
زايل عنه على كل حال وان كان من قد بكى بشبابه وتلهف عليه من النسا هن اللواتي انكرن مشيبه
وعبنه به وما المنكر من ذلك وكيف يتناقض ان يبكي على شبابه بنزول شيبه بهن من
راين الشيب به وعبنه منكرا وفي هذا غاية المطابقة لانه لا يبكي الشيب ويجزع من حلوله
وفراق الشباب الا من راه منكرا وعيبا قال ابو تمام راحت غواني الحي عنك غوانيا يلبسن نايا تا
وصدودا من كل سابغة الشباب اذا بدت تركت عميد القريتين عميدا اربين بالمرد الغطارف
بدنا عبيدا الغضنم لذا ناعيدا اسلي الرجال من النسا مواقعا من كان اشبههم بهن خدودا
قوله اربين بالمرد من ارب بالشي اذا لزمه واقام عليه يقال ارب الب بالمكان اذا لزمه واقام به
وربما يعني لزمن هوى المرد واقمن عليه ورواه قوم اربين بالمرد من الربا الذي معناه الزيادة يقال
اربى الرجل اذا زاد فيقول اربين بالمرد اي زدن عليها بهم وجعلن للمرد زيادة اخترنها علينا وقوله
انزاهك قوله اسلى الرجال من النسا مواقعا البيت من قول الاعشى واري الغواني لا يواصلن امرا
فقد الشباب وقد يصلن الامردا وللمفضل النمري مثله كرهن من الشيب الذي لو رايته بهن رايت
الطرف عنهن ازورا ونحوه قول الاخر ارى شيب الرجال من الغواني كموقع شيبهن من الرجال
وقال ابو تمام شاب راسي وما رايت مشيب الراس الا من فضل شيب الفواد وكذاك القلوب في
كل بوس ونعيم طلايع الاجساد طال انكاري البياض وان عمرت شيئا انكرت لون السواد زارني شخصه
بطلعة ضيم عمرت مجلسي من العواد نال راسي من ثغرة الهم ما لم تنله من ثغرة الميلاد ومعنى هذا البيت
الاخير ان الثغرة هي الفرجة والثلمة تكون في الشي ولذلك سمي كل بلد حاور عدوا ثغرا كان معناه
انه مكشوف للعدو ويجوز ان يكون اصله من ثغر الانسان لانه اول ما يقابلك من اسنانه واول ما
يظهر عند الكلام واول ما يسقط فيرى مثلوما فشبه الثغر الذي هو البلد به ويقال ثغر الصبي واثغر
ويسمى تلك الفرجة في موضع السن ثغرة وفي كل موضع منفرج ومنه ثغرة النحر واراد بقوله نال راسي
من ثغرة الهم اي وجد الشيب الهم فرجة يدخل راسي منها علي لان الهم يشيب لا محالة وقوله ما لم ينله من
من ثغرة الميلاد اراد بثغرة الميلاد الوقت الذي يهجم عليه فيه الشيب من عمره لا بتحيل السبيل في ذلك

الوقت الى الحلول براسه فجعله نفرة من هذا الوجه فاراد ان الشيب حل براسه من جهة توقيه وانتظاره
لبلوغ السن التي توجب حلوله به من حيث كبره قال السيد قدس الله روحه ورايت الآمدي يطعن على
قوله عمرت مجلسي من العواد ويقول لا حقيقة لذلك ولا معنى لانا ما راينا ولا سمعنا احدا جاءه
عواد يعودونه من الشيب ولا ان احدا امرضه الشيب ولا عزاه المعزون عن الشباب وهذا من
الآمدي قلة نظر في نقد الشعر وضعف بصيرة بدقيق معانيه التي يغوص عليها حذاق الشعراء ولم
يرد ابو تمام بقوله عمرت مجلسي من العواد العيادة الحقيقية التي يغشى فيها العواد مجالس المرضى وذوي
الاوجاع وانما هذا استعارة وتشبيه واشارة الى الغرض خفية وكانه اراد ان شخص الشيب لما زاد في
كثر المتوجعون لي والمتاسفون على شبابي والمتفجعون من مفارقته فكانهم في مجلسي عوادي لان من شان
العائد للمريض ان يتوجع ويتفجع وكنى بقوله عمرت مجلسي من العواد عن كثرة من تفجع وتوجع من مشيبه
وهذا من ابي تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن فما المعيب الا من عابه وطعن عليه ونحن نذكر في
المجلس الثاني بمشيئة الله وعونه ما للبحتري في هذا المعنى ان شاء الله تعالى مجلس آخر تاويل آية ان سال
سائل عن قوله تعالى هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون فقال اذا
كان الشجر ليس بعض الماء كما كان الشراب بعضا له فكيف جاز ان يقول ومنه شجر بعد قوله شراب
وما معنى قوله تسيمون وهل الفائدة في هذه اللفظة هي الفائدة في قوله تعالى والخيل المسومة والانعام
وقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك الجواب قلنا في قوله تعالى ومنه
شجر وجهان احدهما ان يكون المراد ومنه سقي شجر وشرب شجر فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه
وذلك كثير في لغة العرب منه قوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل والوجه الآخر
ان يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وانباته شجر فحذف الاول وخلفه الثاني كما قال عوف
بن الخرع: امن آل ليلى عرفت الديارا * بجنب الشقيق خلاء قفارا اراد من ناحية ليلى وقال زهير
امن ام اوفى دمنة لم تكلم * بحومانة الدراج فالمتثلم اراد من ناحية ام اوفى وقال ابو ذؤيب امنك
البرق ارقبه فهاجا * فبت اخاله دهما خلاجا وقال ايضا امنك برق ابيت الليل ارقبه * كانه
في عراض الشام مصباح وقال الجعدي لمن الديار يعفون بالبطال * بعثت على حجج خلون طوال
اراد بعثت على مر حجج وتكرار حجج فاما قوله تعالى فيه تسيمون فمعناه ترعون وترسلون انعامكم
يقال اسام الابل يسيمها اسامة اذا رعاها واطلقها فرعت متصرفة حيث شاءت وسومها
ايضا يسومها من ذلك فسامت اذا رعت فهي تسوم وهي ابل سائمة ويقال سومتها اذا قصرتها
على مرعى بعينه وسمتها الخسف اذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل لمن اذل واهتضم سيم فلان
الخسف وسيم خطة الضيم قال الكميت بن زيد في الاسامة التي هي الاطلاق في الرعي راعيا كان مسجحا

فقدناه

فقدناه وفقد المسيم هلاك السوام وقال آخر سكنت بطن واد ما ظعنت فلا اسيم
ذهب قوم ان السوم في البيع من هذا لان كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن
او نقصانه الى ما يهواه كما تذهب سوائم المواشي حيث شاءت وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع
الشمس فحمله قوم على ان الابل وغيرها من الانعام قبل طلوع الشمس لئلا تنتشر ويفوت الراعي تحفظ
عليه مقاصدها وحمله آخرون على ان السوم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروه لان السلعة
المبيعة تستر عيوبها او بعضها فيدخل ذلك في بيوع المنهي عنها فاما الخيل المسومة فقد قيل انها
المعلمة بعلامات ماخوذة من السيما وهي العلامة وروي عن الحسن البصري في قوله تعالى والخيل المسو
مة قال سوم نواصيها واذنابها بالصوف وقيل ان المسومة هي الحسان وروي عن مجاهد في قوله تعالى والخيل
المسومة هي المطهمة الحسان وقال آخرون بل هي الراعية وروي ذلك عن سعيد بن جبير وكل يرجع الى اصل واحد
وهو معنى العلامة لان تحسين الخيل يجري مجرى العلامة فيها التي تعرف بها ويتميز لمكانها وقيل
السوم من الرعي يرجع الى هذا المعنى ايضا لان الراعي يجعل في الموضع التي يرعاها علامات كالعلامات
بما يزيله من نباتها ويمحوه من آثارها فكان الاصل في الكل غير مختلف فقال لبيد في التسويم الذي
هو الاعلام: وغداة قاع القرنتين اتينهم * رهوا يلوح خلالها التسويم اراد التعليم فاما قوله
تعالى في الملائكة مسومين فالمراد به معلمين وكذلك قوله تعالى حجارة من سجيل منضود مسومة
اي معلمة وقيل انه كان عليها كامثال الخواتيم قال السيد قدس الله روحه ونعود الى ما كنا وعدنا
به من ذكر ما للبحتري في ذم الشيب قال فالثالم من فقد الشباب فمن ذلك قوله وكنت ارجي في الشباب شفاعة
فكيف لباغي حاجة بشفيعه * مشيب كثغث الرمح تحمله محدثا او صار صدقا جمة تلاحق خصبه
كادبات بطيئة لحث الليالي قبل حين نعيه وما احسن هذا من كلام وابلغه واطبعه وقال ايضا
ذدي على القصار ان كنت فاعلة * اذا عقلي ليس من شاني ولا اربي جاوزت حد الشباب النضر ملتفتا
الى بنات الصبا يركضن في طلبي * والشيب مهرب من جاري منيته * ولا نجاء له من ذلك الهرب وقال
لو كانت الشعر له وطنا صبت عليه صروف الدهر من صبب * وقال ايضا لابن شيبة
ام ناصل واذا ما المعضب من وبيع الشيب برايه لم يعن ذاك اصطلاح لغير رضوى عن الزمان مروءة
منه الا عن غفلة او تغاض والبوالي من الليالي وان خالفن شبه الشيبات المواضي فاكرب اللثي
وما كرب مثله سوه وهذه الابيات الى الاغراض شعر القضاة ويرجعن رجوع السهام في
الاغراض وابن توكل العذيات ... صال حتى حضنت المقاريض غير نقع الا التعلل من
شخص عدو قلم تغنه الغاض وذواء المشيب كالبخس في عينيه فقل فيه في العيون المراض لحسب
نقا عن الشباب ما شوته من صبغ برده القضفاض فهل الحادثات يا ابن عويف تاركاتي

فقل فيه في العيون المراض

ولبس هذا البياض وقال أيضا نعت الغانيات على شيبي ومن لي ان امتع بالمعيب ووجدي بالشباب
وان تولى عهدا دون وجدي بالمشيب وقال ايضا ارابته من بعد جثل فاحم جون المفارق
بالنهار حضيبا فعجبت من حالين خالف منهما صرف الزمان وما رايت عجيبا ان الزمان اذا
تتابع خطوه سبق الطلوب وادرك المطلوبا وقال ايضا رات فلتات الشيب فابتسمت لها
وقالت نجوم لو اطلعن باسعد اما انك ما كان الشباب بمقربي اليك فالحى المشيب اذ كان مبعدي
وقال ايضا عرت كبدي مشوة منك ما ان تزال تجد دفيها اندوبا وحملت عندك ذنب المشيب
حتى كاني ابتدعت المشيبا ومن يطلع شرف الاربعين يحيي من الشيب شخصا غريبا وقال
قدس الله روحه في هذا المعنى فلن لما رابن وخطا من الشيب براسي اعيا على مجهودي
كسنا بارق يعترض وهنا في حواشي بعض الليالي السود ابياض مجد دمن سواد كان قدما لا
مرحبا بالجديد يا لحاكي من زماني بالحسن لتغتربنا بغير حنوده للبس بعضهن فاجزي عليهن
صدودا ولبس هكن سودي فلما صرن من شعرات كن يوما على الوقار شهودي وقال
البحتري ايضا خليليا وجدة اللهو ما دام وردا الشباب غضا جديدا ان ايامهن البيض بيض ما
رابن المفارق السود سودا وقال ايضا ترك السواد للابسيه وبيضا ونضا من السنين عنه
ما نضا وشاه اعينه تعترف بخطر مرض بها القلوب وامرضنا وكان وجد الصبي وجد با دنيا
دنا مبيضا تران معتضى اسيان اثرى من هوى وصبابة واسان من وصل الحسان وانفضنا وقال
ايضا هل انت صارف شيبة ان غسلت في الوقت او عجلت من الميعاد جاءت مقدمة امام
طوالع هدى تراوحني وتلك تغادى داخ الغيبة تاجرة لم تشتري جد بلي بياضها بسواد الا نكد
فما الصبي بمختلف هواه وكان من الصبي بعباد واري الشباب على غضاضة حسنه وجماله عدا من الاعدا
وقال ايضا ابكي الشباب ام ما تولى منه في الدهر ولهما تعود لا اري العيش والمفارق
بيض اسوة العيش والمفارق سود راعه الشيء جدا ولو اعطى غفا حتى يقال سعيد من
عدته العيون وانصرفت عنه القنا الى سواه الخدود وقال ايضا فذلك مني فما جرى الدمع
الا في ضلوع وعلى جرى الحب بحنا لورات حادثة الخضاب لانت وادنت من احمرار البرنا
كلفت لبيض بالمعمر قد را حين يكلفن والمصغر سنا يتشاغفن بالعزيز المسمى من نصابي
دون الجليل المكنى وقال ايضا اخي ان الصبي استمر به سبين الليالي فانهبت بردة نصل عنه
الحسان مبعدة اذا انا الاوبر ولا صدده شيب على الفرقين بارضه يكثرني ان ابليه عدد
تعللت عندي الشباب طالمة بعيد حسين حين لا نجده لا تعجبي ان ملت خلتنا فاستقل الوزر
منك مفتقدة من يتطاول على طالة العيش تقعقع من ملة عمدة قال قدس الله روحه ورابت الامدي

جعل النهار خضيبا لانه شي قد شاع ومن زعليه
كان الاونسانه اي غفانه القلة الفاجانة
عيب مسيه ي ... عليه وصه ... اسرابه ...
الفريد سيد ي ...
ذي الخبر وصلت عندك ... عن انه حسن جدا
العيبة من الصن كالشبهة من الشتم
اي عجز مجهودي وهو الطاقة
... في البلد ... الرجل ... الخبيثة ...
اي لا ادري العيش في حال بياض مفارق كالعيش في حال اسود او مفارقة الاسود الخرب
اسان الحزن غيل نابته
اسان امان مرض ذهزل
والبادي اول ما يخرج الارض من نبت بنبات يتبين اجناسه

قد اخطا في معنى هذا البيت الاخير لانه قال معنى تقعقع من ملة عمده اي انه عظامه يجي لها صوت
اذا قام او قعد من كبره وضعفه فقال في قوله من ملة اي من تملى العيش يريد طوله ودوامه ومنه
تمليت حبيبك والاستمتاع في ما توهمه ومعنى يقعقع في ملة عمده اي من تطاول عمره تعجل نوحه له و
اشغاله عن الدنيا فكنى عن ذلك بتقعقع العمد وهذا مثل معروف للعرب يقولون من يجتمع تتقعقع
عمده يريدون ان للتجمع داعي التفرق وان الاجتماع تعقبه فرقة ما يدعو الى الانتقال الذي
يتقعقع معه العمد قال الامدي مع كثرة ما يدعيه من التفتيش والتنقير علوم العرب ان كان لم يسمع
هذا المثل ومعناه فهو ظريف وان كان قد سمعه وجهل ان معنى بيت البحتري يطابقه فهو اطرف
فاما قوله في ملة فانما اراد به من يمل ومله فعله من الملل كيف يكون من تملى العيش ولم يسمع
في تمليت عمله وهذا خطاء على خطاء وقال البحتري ما كان شوقي ببدع يوم ذاك ولا دمعي
بابن دمع في الهوى سخا وليته كنت مشغوفا بجدتها ثم اعتاد الشيب لي عنها ولي صفيا وقال
ايضا وما انس لا انس عهد الشبابة وعلوه ازعير نيل الكبر كواكب شيب علقن الصبي
فقللن من حسنه ما كثر واني وجدت ولا تكذبن سواد الهوى في بياض الشعر ولا بد من ترك
احدى اثنتين اما الشباب واما العمر قال الامدي وعليه في قوله ولا بد من ترك احدى الاثنتين
معارضة وهو ان يقال له ان من مات شابا فقد فارق الشباب فارق العمر ايضا فهو قد فارقهما
معا ومن شاب فارق الشباب هو مفارق العمر لا محاله فهو ايضا فارقهما جميعا وقوله اما
واما لا يوجب الا احدهما قال والعذر للبحتري ان يقال ان من مات شابا فقد فارق الشباب وعمره
لانه لم يعمر فيكون مفارقا للعمر الا ترى انهم يقولون عمر فلان اذا اسن وفلان لم يعمر اذا
مات شابا ومن شاب عمر ثم مات لم يكن مفارقا للشباب في حال موته لانه قد قطع ايام الشباب
ونقدمت مفارقته له وانما يكون في حال موته مفارقا للعمر وحده قال هذا مذهب البحتري
وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة التي يعمرها الانسان وانما اراد بالعمر ههنا الكبر كما قال
زهير رايت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطي يعمر فيهرم قال قدس الله روحه
ما رايت اشد تهافتا في الخطاء منه فيما تعذره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ومعنى
البيت غير ما توهمه وهو اظهر من ان يخفى حتى يحتاج فيه الى هذا التعليل والتعسف انما اراد البحتري
ان الانسان بين حالين اما ان يفارق الشباب بالشيب او يفارق العمر بالموت فمن مات شابا و
ان كان قد خرج عن العمر وخرج بخروجه عن سائر احوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما فانه لم
يفارق الشباب وحده دائما فارق العمر الذي فارق بمفارقته الشباب وغيره وقسمة الرجل تناولت
احد الامرين اما مفارقة الشباب وحده بلا واسطة ولن يكون ذلك الا بالشيب او مفارقة العمر بالموت

وتلخيص كلامه انه لا بد للحي من شباب وموت فكان الشيب والموت متعاقبان والبحتري انما جعل
قوله العمر بمقام قوله الحياة والبقاء وانما قال العمر لاجل القافية فمع انه من صيغ من مراده ولو قال
ولا بد من ترك الشباب وترك الحياة لقام مقام قوله العمر اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال
حدثني علي بن محمد الكاتب قال حدثنا احمد بن عبيد الله قال من معاني ابن الرومي التي سبق اليها قوله
يذم من جميل وصيته عنده صبر لمصيبة وعايب من تعلل بالتاسي بما نال الغير وهو يرد شيئا
واحسن يا شباب وان يعني شيئا اذ نفى ايامه بانقضاب لهف نفسي على نعيمي ولهوي تحت افنانك
اللدان الرطاب ومعزى الشباب عوض بمشيب للذات والاحباب تلك نعمى تعد من اسنى
من مصاب شبابه فمصاب ليس ياسو كلوم عنه كلوم ما بمابي ما بي وقال ابن الرومي
لهو على الدنيا وما الحقر شيمة منها ان تلهفنها بحالها قبحا على انها ابيح شيء كشفتها
وقد يعزي شبابا مضى ومدة للعايش اسلفتها فكرت في خمسين عاما مضت كانت امامي ثم
خلفتها ابجلتها اذ هي موفورة ثم تقضت مني فعرفتها فهرجت الموهوب اعدمتها وتجبر السالف
اعقبتها لوان عمري مائة هدني تذكري اني تنصفتها وله في هذا المعنى وقد سبقت هذه الابيات
في الامالي السالفة وقد احسن فيه معنا مما كل الاحشا كمن بسراج الشيب في الراس هاديا الى من اضلته
المنايا اللياليا امن بعد ابداء المشيب مقاتلي لرامي المنايا تحسبيني ناجيا غدا الدهر يرميني فتدنو
سهامه لشخصي اخلق ان يصبن سواديا وكانت كرامي الليل يرمي ولا يرى فلما اضاء الشيب
شخصي رمانيا

مجلس اخر

تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى ليس لك من الامر شيء
او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون فقال كيف جاءت او بعد ذلك ولا يجوز ان يعطف عليه
وما الناصب لقوله او يتوب عليهم وليس في الكلام ما يقتضي نصبه **الجواب** قلنا قد ذكرت في ذلك
وجوه اولها ان يكون قوله او يتوب عليهم معطوفا على قوله تعالى ليقطع طرفا والمعنى ان الله تعالى جعل
لكم هذا النصر ومكنكم به ليقطع طرفا من الذين كفروا اي قطعة منهم وطائفة من جميعهم او يكبتهم
او يغلبهم ويهزمهم بالخيبة مثمعهم وتكذب فيكم ظنونهم او يعظهم ما يرون من تظاهر ايات
الله تعالى الموجبة لتصديق نبيه صلى الله عليه واله فيتوبوا ويؤمنوا فيقبل الله ذلك منهم و
يتوب عليهم او يكفروا بعد قيام الحجج وتاكد البينات والدلائل فيموتوا ويقتلوا كافرين فيعذبهم
الله باستحقاقهم النار ويكون على هذا الجواب قوله تعالى ليس لك من الامر شيء معطوفا على قوله
تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم اي ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء وانما
هو من الله تعالى والجواب الثاني انه يكون او بمعنى حتى او الا ان والتقدير ليس لك من الامر شيء حتى يتوب
عليهم والا ان يتوب عليهم كما قال امرؤ القيس بكى صاحبي لما راى الدرب دونه وايقن انا لاحقان

بقيصرا

الريان م

اللدان جمع لدن والرطاب جمع رطب

حين م

فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا اراد الا ان نموت وهذا الجواب
تضعف من طريق المعنى لان لقائل ان يقول ان امر الخلق ليس الى احد سوى الله تعالى قبل توبة العباد
وعقابهم وبعد ذلك فكيف يصح ان يقول ليس لك من الامر شيء الا ان يتوب عليهم او يعذبهم حتى
كانه اذا كان احد الامرين كان اليه من الامر شيء ويمكن ان ينصر ذلك بان يقال قد يصح الكلام اذا حمل
على المعنى وذلك ان قوله ليس لك من الامر شيء معناه ليس يقع ما تريده وتؤثره من ايمانهم وتوبتهم
او ما تريده من الاستئصال باسيفها لهم وقتلهم على الخلاف الروايتين في معنى الاية وسبب نزولها
الا بان يلطف الله لهم في التوبة فيتوب عليهم او يقتلهم ويعذبهم وتقدير الكلام ليس يكون ما تريده من توبتهم
او عذابهم بك وانما يكون ذلك بالله تعالى والجواب الثالث ان يكون المعنى ليس لك من الامر شيء او
من ان يتوب عليهم فاضمر من اكتفاء بالاولى واضمر ان لدلالة الكلام عليها واقتضائه لها
وهي مع الفعل الذي بعدها بمنزلة المصدر وتقدير الكلام ليس لك من الامر شيء ومن توبتهم ومن
عذابهم قال قدس الله روحه وحكي ابا بكر محمد بن القسم الانباري يطعن على هذا الجواب فيستبعده
قال لان الفعل لا يكون محمولا على اعراب الاسم الجامد الذي لا تصرف له الا على اضمار ان مع الفعل لانه ليس
من كلام العرب عجبت من قيامك ويقوم على معنى عجبت من قيامك ومن ان يقوم لان الاسم هاهنا
محض لا يعطف عليه الا ما شاكله قال فهذا اذن يستقيم ويصلح في رد الفعل على المصدر كقولهم
كرهت غضبك ويغضب ابوك على معنى كرهت غضبك وان يغضب ابوك فيطرد هذا في المصادر
لانها تناول ان فيقول القريقون يعجبني قيامك وتاويله يعجبني ان تقوم فاما الاسم الجامد فلا يمكن
هذا فيه قال السيد المرتضى قدس الله روحه وليس الذي ذكره ابن الانباري مستبعدا وان ضعف هذا
الجواب انه من حيث ذكرناه ليس بضعيف في ذلك ان فيما امتنع منه مثل الذي اجازه لانه قد اجاز ذلك في
المصادر ولم يجوزه في غيرها وقوله تعالى ليس لك من الامر شيء فيه دلالة على الفعل لا انه لا مصدر
امره امرا فكانه تعالى قال ليس لك من ان تامرهم وان تامر فيهم شيء ولا من ان يتوبوا وجرى ذلك مجرى
قولهم كرهت غضبك ويغضب ابوك في رد الفعل على المصدر والوجه الاول اقوى الوجوه والله اعلم
تاويل خبر ان سال سائل عن معنى الحديث الذي يرويه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه واله
انه قال لا تناجشوا ولا تدابروا وكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه الجواب قيل له اما التناجش فهو
المدح والاطراء قال نابغة بني شيبان يذكر الخمر ورجالا من شربها وتقدكرمها عند التناجش
اي عند مدحها ومنه النجش في البيع وهو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من غير ارادة لشرائها بل
ليغتر بالزايد في الزيادة غيره واصل النجش استخراج الشيء والتنقير عنه قال بعض الفقعسيين
لما يابن لبني كباش فما لها الليلة من انقاش غير السرى وسائق نجاش النجاش اسم مثل الخبة الخشخاش

فالنجاش هو المستثير لشيء ها والمستخرج لما عند صاحبه ومعنى اجرس لها اى احدلها اسمع الحداء
ليستمر وهو ماخوذ من الجرس وهو الصوت ومعنى الانعاش ارادتها الاثرك نرعى لبلا والنفش ان ترعى
الابل ليلا وقد انفشتها اذا ارسلتها بالليل ترعى والحنحاش الخفيف الحركة السريع التقلب والنجش في البيوع
يرجع معناه الى هذا ايضا لان الناجش يستثير بزيادته في الثمن ومدحه للسلعة الزيادة في ثمنها
فيكون معنى الخبر على هذا لا تناجشوا اى لا يمدح احدكم السلعة ويزيد في ثمنها وهو لا يريد شراءها
ليسمعه غيره فيزيد وقد يجوز ان يريد بذلك لا يمدح احدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعي
منفعته ويستثير فايدته وهذا المعنى اشبه بان يكون مراده لان قوله ولا تدابروا اشد مطابقة له
ومعنى لا تدابروا اى لا تهاجروا ويولى كل واحد منكم صاحبه دبره وجهه قال الشاعر واوصى ابو قيس بان
تتواصلوا واوصى ابوكم ويحكم ان لا تدابروا فكانه قال لا تتمادحوا وتتواصلوا بالمدح الذي لا يستحق ولا
تتهاجروا وتتقاطعوا فاما قوله صلى الله عليه والكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه فقد ذهب قوم
الى ان عرض الرجل هو سلفه من ابائه وامهاته ومن جرى مجراهم وذهب ابن قتيبة الى ان عرض الرجل
نفسه واحتج بحديث النبي صلى الله عليه والحين ذكر اهل الجنة فقال لا يبولون ولا يتغوطون
وانما هو عرق يجرى من اعراضهم مثل المسك اى من ابدانهم قال ومنه قول ابي الدرداء اقرض من
عرضك ليوم فقرك اراد من شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره ودع ذلك قرضا لك
ليوم الجزاء والقصاص واحتج ايضا بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه واله انه قال ايعجز احدكم
ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من منزله قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على عبادك
فقال معناه قد تصدقت بنفسي واحللت من اغتابني فلو كان العرض الاسلاف ما جاز ان يحل
من سب الموتى لان ذلك اليهم لا اليه قال ويدل على ذلك حديث سفين بن عيينة لو ان
رجلا اصاب من عرض رجل شيئا ثم تورع من بعد فجاء الى ورثته بعد موته فاحلوه لم يكن ذلك
كفارة له ولو اصاب منه الرشيا ثم دفعه الى ورثته لكنا نرى ان ذلك كفارة له قال ويدل على
ان عرض الرجل نفسه قول حسان هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء فان ابي
ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء اراد فان ابي وجدي ونفسي وقاء لنفس محمد صلى الله
عليه واله وقال الاخرون وهو الصحيح العرض موضع المدح والذم من الانسان فاذا قيل ذكر عرض فلان
فمعناه ذكر ما يرتفع او يسقط بذكره ويمدح او يذم به وقد يدخل في ذلك ذكر الرجل نفسه وذكر
ابائه واسلافه لان كل ذلك مما يمدح به ويذم والذي يدل على هذا ان اهل اللغة لا يفرقون بين
قولهم شتم فلان عرض فلان وبين ان يكون ذكره في نفسه بقبيح الافعال او شتم سلفه واباءه ويدل
عليه قول مسكين الدارمي رب مهزول سمين عرضه وسمين الجسم مهزول الحسب فلو كان العرض نفس

الانسان

الانسان لكان الكلام متناقضا لان السمن والهزال يرجعان الى شيء واحد وانما اراد رب مهزول
كريمة اباؤه وكرم اباؤه واسلافه وقال ابن عبدل الاسدي وانى لا ستغنى فما ابطر الغنى و
ابذل لمعسوري لمن يبتغى قرضى واعسر احيانا فتشتد عسرتى وادرك ميسور الغنى ومع عرضى ولا
يليق ذلك الا بما ذكرناه قال السيد المرتضى قدس الله روحه ووجدت ابا بكر بن الانباري قد
رد على ابن قتيبة قوله وهذا الطعن على ما احتج به فقال في الحديث المروى عنه في وصف اهل الجنة ان
المراد بالاعراض معابن الجسد وحكى عن الاموى انه قال الاعراض المغابن التي تعرق من الجسد نحو الابطين
وغيرها وقال في حديث ابي الدرداء معناه من عابك وذكر اسلافك فلا تجازه ليكون القصاص هو المبلغ
ذلك وقال في قول ابي ضمضم معناه انا احل من اوصل اليه اذى بذكره وذكر ابائه فلم يحل الامر اليه
وقال في قول حسان المراد بعرضه ههنا ايضا اسلافه كانه قال وان ابي ووالده وجميع سلفي الذين
امدح واذم من جهتهم وقاء له عليه السلام فاتى بالعموم بعد الخصوص كما قال تعالى ولقد اتيناك سبعا
من المثاني والقران العظيم فاتى بالعموم بعد الخصوص ولم احد ذكر في خبر سفين بن عيينة شيا
وقد يليق بهذا من تاويل خبر ابي ضمضم لان من اذى رجلا بسبه في نفسه او بسب سلفه وادخل عليهم
بذلك وضعا ونقصا لم يكن الى ورثته بعد موته الاحلال من ذلك لان الاذى لم يدخل عليهم و
لو كان داخلا عليهم ايضا مع دخوله على المسبوب لكان احلالهم مما يرجع اليهم لا يصح على ان
في الاحلال من الضرر وسقوط العوض المستحق عليه وهل يسقط باسقاط مستحقه او لا كلاما ليس
هذا موضعه وقد ذكرناه في مواضع وبعد فلو سلم لابن قتيبة ان المراد بالعرض في كل المواضع
التي يذكرها النفس دون السلف وسلم له ذلك في بيت حسان خاصة فانه اقرب الى ان يكون المراد به
ما ذكره لم يقدح فيما ذكرناه لانا لم نقل ان العرض مقصور على سلف الانسان بل ذكرنا انه موضع
المدح والذم من الانسان ولا فرق بين نفسه وسلفه فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه
النفس طعنا علينا وانما ينفع ابن قتيبة ان ياتي بما يدل على ان العرض لا يستعمل الا في النفس دون
السلف كل شيء اورده انما المراد بالعرض فيه النفس والمراد به السلف فهو تاكيد لقولنا في ان هذه
اللفظة مستعملة في موضع المدح والذم من الانسان وانما يكون ما استشهد نا به وما جرى مجراه
مما يدل على استعمال لفظة العرض في السلف حجة على ابن قتيبة لان قصر معناه على النفس والذات
دون السلف وهذا واضح بين بحمد الله ومنه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسين بن دريد
قال اخبرنا ابو حاتم قال كان ابو عبيدة معمر بن المثنى صغيرا وكان يكتم ذلك فانشد لبعض الحمران بن حطان
نكرت بعدك من قد كنت اعرفه ما الناس بعدك يا مرداس بالناس اما تكن ذقت كاسا دار اولها
على القرون فقد اوتيتها الكاس قد كنت ابكيك حينا ثم قد بلغت نفسي فاردد عنى غيري يا نفسي

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال حدثنا الأشنانداني قال قال التوزي كنت أود
أن أنشط أبا عبيدة فأسأله عن أخبار الخوارج فأتيح لي من نبع بحر فحبسته يوما وهو مطرق ينكت في الأرض
في صحن المسجد فلما قربت منه الشمس قلت فلم يرد علي السلام فتمثلت وما للمرء خير في حياة إذا
ما عد من سقط المتاع والبيت لقطري بن الفجاءة فنظر إلي فقال ويحك أتدري من يقول هذا قلت قطري بن
الفجاءة فقال اسكت فض الله فاك ألا قلت أمير المؤمنين أبو نعامة ثم اختبر فقال اكتب يا علي أبا نوح
فقلت هي لي ابنة الأرض فأنشدني أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعي فإنك لو
طلبت حياة يوم على الأجل الذي لك لن تطاعي فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع
وما طول الحياة بثوب مجد فيطوى عن أخي الخنع اليراع سبيل الموت غاية كل حي فداعيه لأهل الأرض
داعي ومن لا يغتبط يسأم ويهرم وتسلمه المنون إلى انقطاع وما للمرء خير في حياة إذا ما عد
من سقط المتاع فكتبتها وقت لا أنصرف فقال اقعد ثم أنشدني لأبي نعامة في السيوف لا أرى
مغادرا أنها تدعو إلى حمامها بقادح عن ذا الخلود ولا أرى بقاء على حال لحالين باقيا فلو قرب
الموت القراع لقد أرى من الموت ولكن بد من طول قراعيا أغادي جلاد المعلمين كأنني على العسل
الماذي أصبح غاديا وأدعو الكماة للنزال إذا القنا تحطم فيما بيننا من طعانيا ولست أرى نفسا
تموت وإن دنت من الموت حتى يبعث الله داعيا قال ابن دريد وهذا الشعر لقطري بن الفجاءة
أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال جئت أبا عبيدة يوما
ومعي شعر عروة بن الورد فقال لي فارغ حمل شعر عروة بن الورد على ثقله فقلت معي غيره فأنشدني ما
شئت فأنشدني يا رب ظل عقاب قد وقيت بها مهري من الشمس والأبطال تجتلد ورب يوم حمى
أرعيت عقوته خيلي اقتسارا وأطراف القنا قصد ويوم هول أهل الخفض ظل به يهوى اصطلا
الوغى إذا ما هي نقعة أشهرا موقفي والحرب كاشفة عنها القناع وبحر الموت يطرد وقد هاجرة
نزل جلها بحر مطايا غارة تحدى بجتاب أو دبر الأفراع آمنة كأنها أسد تفتادها أسد
فإن أمت حتف أنفي لا أمت كمدا على الطعان وقصر العاجز الكمد ولم أقل لم أساق الموت شاربه
في كأسه والمنايا شرع ورد ثم قال لي هذا الشعر لما نعلا ونبهم أنفسكم من أشعار المخانيث والحجر
لقطري بن الفجاءة وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كان أبو عبيدة
يأثر لي في أول ما أخذت العبد بالذي من خوارج حسنا الآية كان يطعن على رأيهم وكتب أو
هم إلى على رأيهم فقال الشيء منه لذلك عنا بخاصته وكان كثيرا ما ينشد من أشعارهم ثم يتمثل
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا قال فأنشدني يوما
لرجل من طيء من الخوارج ألا كابن ملحان من شاد أخي ثقة أو كابن علقمة المستشهد الشاري

سرى بنفسه عن القوم تقدم بين أيديهم فقاتل منهم

صادق

صادق كنت أصفيه مقالتي فباع ودادي بأعلى صفقة الدار إخوان صدق أرجيهم وآملهم
أشكو إلى الله إخواني وأحذرني فصرت صاحب بيت لست أملكها وقد أصابني حيثا نائبها

تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا
بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء فقال ما اليد التي أضافتها اليهود إلى الله تعالى وادعوا
أنها مغلولة وما نرى عاقلا من اليهود ولا غيرهم يزعم أن لربه يدا مغلولة واليهود تتبرأ من أن يكون
فيها قائل بذلك وما معنى الدعاء عليهم بغل أيديهم وهو تعالى ممن لا يصح أن يدعو على غيره لأنه
قادر على أن يفعل ما يشاء وإنما يدعو الداعي بما لا يتمكن من فعله طلبا له الجواب قلنا يحتمل أن يكون
قوم من اليهود وصفوا الله تعالى بما يقتضي تناهي مقدوره فجرى ذلك مجرى أن يقولوا إن يده مغلولة
لأن عادة الناس جارية بأن يعبروا بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون يد فلان منقبضة عن كذا
ويده مغلولة لا تنبسط إلى كذا إذا أرادوا وصفه بالفقر والقصور ويشهد لذلك قوله تعالى في موضع
آخر لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ثم قال تعالى بل يداه مبسوطتان أي
أنه ممن لا يعجزه شيء وثنى اليدين تأكيدا للأمر وتفخيما له ولأنه أبلغ في المعنى المقصود من أن يقول بل يده مبسوطة
وقد قيل إن اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطئوا رزقه وقيل إنهم قالوا على سبيل الاستهزاء إن إله
محمد الذي أرسله يداه إلى عنقه إذ لم يوسع عليه وعلى أصحابه فرد الله تعالى عليهم قولهم وكذبهم
بقوله بل يداه مبسوطتان واليد هاهنا النعمة والفضل وذلك معروف في اللغة متظاهر في كلام
العرب وأشعارهم ويشهد له من الكتاب قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها
كل البسط ولا معنى لذلك إلا الأمر بترك إمساك اليد عن النفقة في الحقوق وترك الإسراف
إلى القصد والتوسط ويمكن أن يكون الوجه في تثنية النعمة من حيث أريد بها نعم الدنيا ونعم الآخرة
لأن الكل وإن كانت نعم الله تعالى فمن حيث اختص كل واحد من الأمرين بصفة تخالف صفة الآخر صار
كأنهما جنسان أو قبيلان ويمكن أيضا أن تكون تثنية النعمة أريد بها النعم الظاهرة والباطنة فأما
قوله عز وجل غلت أيديهم ففيه وجوه أولها أن لا يكون ذلك على سبيل الدعاء بل على سبيل الإخبار
منه جل وعز عن نزول ذلك بهم وفي الكلام ضمير قد قبل قوله غلت وموضع غلت نصب على
الحال كأنه تعالى قال وقالت اليهود كذا وكذا في حال ما غل الله أيديهم ولعنهم وعلى حكم بذلك
فيهم ويسوغ إضمار قد هاهنا كما ساغ في قوله تعالى إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو
من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والمعنى فقد صدقت
وقد كذبت وثانيها أن يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة فغلت أيديهم أو وغلت
أيديهم وأضمر الفاء والواو لأن كلامهم تم واستؤنف بعده كلام آخر ومن عادة العرب أن تحذف

فمما يجري مجرى هذا الموضع من ذلك قوله تعالى وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا
أتتخذنا هزوا فأضمر القول لتمام كلام موسى عليه السلام ومنه قول الشاعر لما رأيت نبطا أنصارا
شمرت عن ركبتي الإزارا كنت لها من النصارى جارا أراد وكنت فأضمر الواو وثالثها أن يكون
القول خرج مخرج الدعاء إلا أن معناه التعليم من الله تعالى والتأديب فكأنه جلت عظمته
لقننا الدعاء عليهم وعلمنا ما ينبغي أن نقوله فيهم كما علمنا الاستثناء في غير هذا الموضع
بقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين وكل ذلك جلي واضح بحمد الله تأويل خبر
إن سأل سائل عن الخبر الذي يروى عنه صلى الله عليه وآله أنه قال لعن الله السارق يسرق البيضة
فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده الجواب قلنا قد تعلق بهذا الخبر صنفان من الناس فالخوارج
يتعلقون به ويدعون أن القطع في الكثير والقليل ويحتجون به على ذلك وبظاهر قوله تعالى السارق
والسارقة فاقطعوا أيديهما ويتعلق بهذا الخبر أيضا الملحدة والشكاك ويدعون أنه مناقض
للرواية المتضمنة أنه لا قطع إلا في ربع دينار ونحن نذكر ما فيه فأولها أن نقول إن الخبر مطعون عليه عند
أصحاب الحديث في سنده وقد حكى ابن قتيبة في تأويله وجها عن يحيى بن أكثم طعن عليه وضعفه
وذكر عن نفسه وجها آخر ونحن نذكرهما وما فيهما ونتبعهما بما نختاره قال ابن قتيبة كنت حضرت يوما
مجلس يحيى بن أكثم بمكة فرأيته يذهب إلى أن البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التي تغفر الرأس في الحرب
وأن الحبل من حبال السفن قال وكل واحد من هذين يبلغ دنانير كثيرة قال ورأيته يعجب به الناس
ويبدي فيه ويعيد ويرى أنه قد ظفر بحجة الخصم قال ابن قتيبة وهذا إنما يجوز على من لا معرفة له
باللغة ومخارج الكلام وليس هذا موضع تكثير لما يأخذه السارق فيصرفه إلى بيضة تساوي دنانير
وحبل لا يقدر على حمله السارق ولا من عادة العرب والعجم أن يقولوا أخزى الله فلانا عرض نفسه للضرب في
عقد جوهر وتعرض لعقوبة الغلول في جراب مسك وإنما العادة في مثل هذا أن يقال لعنه الله
تعرض للقطع في حبل رث وإداوة خلق أو كبة شعر وكلما كان ذلك أحقر كان أبلغ قال
والوجه في الحديث أن الله عز وجل لما أنزل على رسوله صلى الله عليه وآله والسارق والسارقة
فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعن الله السارق يسرق البيضة
فتقطع يده على ظاهر ما نزل عليه في ذلك الوقت ثم أعلمه الله تعالى بعد أن القطع لا يكون إلا في
ربع دينار فما فوقه ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم من حكم الله تعالى إلا ما علمه الله وما
كان الله عز وجل يعرفه ذلك جملة بل ينزل شيئا بعد شيء قال السيد الشريف المرتضى
علم الهدى قدس الله روحه وجدت أبا بكر بن الأنباري يقول ليس الذي طعن به ابن قتيبة على تأويل
الخبر بشيء لأن البيضة من السلاح ليست علما في كثرة الثمن ونهاية في علو القيمة فتجري مجرى

العقد

العقد من الجوهر والجراب من المسك اللذين ربما ساويا الألوف من الدنانير والبيضة من الحديد
ربما اشتريت بأقل مما يجب فيه القطع وإنما أراد عليه السلام أنه يكتسب قطع يده بما لا غنى له به لأن
البيضة من السلاح لا يستغني بها أحد والجوهر والمسك في اليسير منهما غنى قال السيد قدس الله
روحه والذي يقوله إنما طعن به ابن الأنباري على كلام ابن قتيبة متوجه وليس في ذكر البيضة والحبل
تكثير كما ظن ابن قتيبة فليسا كالعقد والجراب من المسك غير أنه بقي في ذلك أن يقال أي وجه
لتخصيص البيضة والحبل بالذكر وليسا النهاية في التقليل فإن كان كما ذكره ابن الأنباري من أن
المعنى أنه يسرق ما لا يستغني به فليس ذكر ذلك بأولى من غيره ولا بد من ذكر وجه في ذلك وأما تأويل ابن
قتيبة فباطل لأن النبي صلى الله عليه وآله لا يجوز أن يقول ما حكاه عند سماع قوله تعالى
والسارق والسارقة لأن الآية مجملة مفتقرة إلى بيان ولا يجوز أن يصرفها إلى بعض محتملاتها
دون بعض بلا دلالة على أن أكثر من قال إن الآية غير مجملة وأن الظاهر من القول يقتضي العموم يذهب
إلى أن ما اقتضى تخصيصها بسارق دون سارق لم يتأخر عن حال الخطاب بها فكيف يصح ما قاله
ابن الأنباري من أن الآية تقدمت ثم تأخر تخصيص السراق ولو كان ذلك كما ظن لكان المتأخر ناسخا
للأول على تأويله هذا يقتضي أن يكون كل الخبر منسوخا وإذا أمكن تأويل أخباره عليه السلام على ما
لا يقتضي رفع أحكامها ونسخها كان أولى والأشبه أن يكون المراد بهذا الخبر أن السارق يسرق الكثير
الجليل فتقطع يده ويسرق القليل الحقير فتقطع يده فكأنه تعجيز له وتضعيف لاختياره من
حيث باع يده بقليل الثمن كما باعها بكثيره وقد حكى أهل اللغة أن بيضة القوم وسطهم وبيضة
الدار وسطها وبيضة السنام شحمته وبيضة الصيف معظمه وبيضة البلد الذي لا نظير له وإن كان
قد يستعمل ذلك في المدح والذم على سبيل الأضداد وإذا استعمل في الذم فمعناه أن الموصوف
بذلك محتقر بمنزلة البيضة التي تفسدها النعامة فتتركها ملقاة ولا تلتفت إليها فمما استعمل
من ذلك في المدح قول أخت عمرو بن عبد ود تذكر قتل أمير المؤمنين عليه السلام له وقيل إن الأبيات
لامرأة من العرب غيرها لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنت أبكي عليه آخر الأبد لكن قاتل عمرو لا يعاب
به من كان يدعى قديما بيضة البلد وقال آخر في المدح كانت قريش بيضة فتفلقت فالمح
خالصه لعبد مناف وقال آخر في الذم تأبى قضاعة أن تعرف لكم نسبا وابنا نزار فأنتم
بيضة البلد وقال آخر في ذلك لكنه حوض من أودى بإخوته ريب الزمان
فأمسى بيضة البلد فمعنى البيضة كله يعود إلى التفخيم والتعظيم وأما الحبل فذكر على
سبيل المثل والمراد به المبالغة في التحقير والتقليل كما يقول القائل ما أعطاني فلان عقالا وما ذهب
من فلان عقال ولا يساوي كذا نقيرا كل ذلك على سبيل المثل والمبالغة في التحقير والتقليل وليس الغرض

بذكر الجبل الواحد من الجبال على الحقيقة واذا كان هذا تأويل الخبر زالت المناقضة التي ظنها من لا
شبهة الخوارج في ان القطع يجب في القليل والكثير اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني ابو عبد الله
الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني ابو وهب علي بن ثابت قال قال الاصمعي تصرفت في
الاسباب على باب الرشيد مؤملا الظفر به والوصول اليه حتى انني صرت لبعض حرسه خدينا فاني
في ليلة قد نثرت السعادة والتوفيق فيها الارق بين اجفان الرشيد اذ خرج خادم فقال اما بحضرتك احد
يحسن الشعر فقلت الله اكبر رب قيد مضيق قد حله التيسير فقال الخادم ادخل فلعلها ان تكون ليلة
تعرس في صباحها بالغنى ان قربت الحظوة عند امير المؤمنين فدخلت فواجهت الرشيد في بهو و
الفضل بن يحيى الى جانبه فوقف الخادم بحيث يسمع التسليم فسلمت فرد السلام ثم قال يا غلام ارحه
قليلا ليفرخ روعه ان كان قد وجد للروع حسا فدنوت قليلا ثم قلت يا امير المؤمنين اذاعة مجدك
وبهاء كرمك مجيران لمن نظر اليك من اعتراض اذية فقال ادن فدنوت فقال اشاعر ام راوية فقلت
راوية لكل جد وهزل بعد ان يكون محسنا فقال تالله ما رأيت ادعاء اعم من هذا فقلت انا على
الميدان فاطلق من عناني يا امير المؤمنين فقال قد انصف القارة من راماها ثم قال ما المعنى في هذه الكلمة
بدءا فقلت فيها قولان القارة هي الحرة من الارض وزعمت الرواة ان القارة كانت رماة للتبابعة
والملك اذ ذاك ابو حسان فواقف عسكره عسكر السغد فخرج فارس من السغد قد وضع سهمه في كبد قوسه
فقال اين رماة العرب فقالت العرب قد انصف القارة من راماها فقال لي الرشيد اصبت ثم قال
اتروي لرؤبة بن العجاج والعجاج شيئا فقلت هما شاهدان لك بالقوافي وان غيبا عن بصرك بالاشخاص
فاخرج من ثني فرشه رقعة ثم قال انشدني ارقني طارق هم ارقا فمضيت فيها مضي الجواد في سنن
ميدانه تهدر بها اشداقي فلما صرت الى مديحه لبني امية ثنيت لساني الى امتداحه المنصور
في قوله قلت لزير لم تصله مريمه فلما رأى عدولي عن ارجوزة الى غيرها قال لي اعن حيرة ام عن
عمد قلت عن عمد تركت كذبه وعدلت الى الصدق فيما وصف به المنصور من مجده فقال الفضل
احسنت بارك الله عليك مثلك يؤهل لمثل هذا المجلس فلما اتيت على آخرها قال لي الرشيد اتروي
كلمة عدي بن الرقاع عرف الديار توهما فاعتادها قلت نعم قال هاتها فمضيت فيها حتى اذا
صرت الى وصف الجمل قال لي الفضل ناشدتك الله ان تقطع علينا ما امتعتنا به من السهر في ليلتنا
هذه بصفة جمل اجرب فقال له الرشيد اسكت فالابل هي التي اخرجتك عن دارك واستلبت تاج ملكك
ثم ماتت وعملت جلودها سياطا ضربت بها انت وقومك فقال الفضل لقد عوقبت على غير جرم
والحمد لله فقال الرشيد اخطأت الحمد لله على النعم ولو قلت واستغفر الله لكنت مصيبا ثم
قال لي امض في امرك فانشدته حتى بلغت الى قوله تزجي اغن كأن ابرة روقه استوى جالسا وقال

المحفوظ في هذا ذكرا قلت نعم ذكرت الرواة ان الفرزدق قال كنت يوما في المجلس وجرير الى جانبي فلما ابتدأ
عدي في قصيدته قلت لجرير مسرا اليه هلم نسخر من هذا الشامي فلما ذقنا كلامه يئسنا منه فلما
قال تزجي اغن كأن ابرة روقه وعدي كالمستريح قال جرير اما تراه يستلب بها مثلا فقال الفرزدق
يا لكع انه يقول قلم اصاب من الدواة مدادها فقال جرير ما كان سمعك مخبوءا في صدرك فقال
لي اسكت شغلني سبك عن جيد الكلام فلما بلغ الى قوله ولقد اراد الله اذ ولاكها من امة اصلاحها
ورشادها قال الاصمعي فقال لي ما تراه قال اذا انشده الشاعر هذا البيت قال قلت كذا اراد
الله فقال الرشيد ما كان في جلالته ليقول هذا احسبه قال ما شاء الله وكذا جاءت الرواية
فلما اتيت الى آخرها قال لي اتروي لذي الرمة شيئا قلت الاكثر قال فما اراد بقوله ممر امرت
فتلا اسكتيه ذراعيه حلالة المصايغ قلت وصف حمار وحش اسمنه بقل روضة تواشجت
اصوله وتشابكت فروعه من مطر سحابة كانت بنوء الانجم الذراع من ذلك فقال الرشيد ارح
فقد وجدناك ممتعا وعرفناك محسنا ثم قال اجد ملالة ونهض فاخذ الخادم يصلح عقب النعل في
رجله وكانت عربية فقال الرشيد عقرتني يا غلام فقال الفضل قاتل الله الاعاجم اما انها لو كانت
سندية لما احتجت الى هذه الكلفة فقال الرشيد هذه نعلي ونعل آبائي كم تعارض فلا تترك
من جواب ممض ثم قال يا غلام يؤمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين الف درهم على هذا الرجل في ليلته
ولا يحجب في المستأنف فقال الفضل لولا انه مجلس امير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره لامرت لك بمثل
ما امر لك به وقد امرت لك به الا الف درهم فتلق الخادم صباحا قال الاصمعي فما صليت من غد
الاولى حتى صار في منزلي تسعة وخمسون الف درهم **مجلس آخر** تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فقال ليس ظاهر هذه الآية يقتضي انه هو
الفاعل للايمان فيهم لان النور ههنا كناية عن الايمان والطاعات والظلمة كناية عن الكفر والمعاصي
ولا يعقل الا الذي ذكرناه واذا كان مضيفا للاخراج اليه فهو الفاعل لما كانوا به خارجين
وهذا خلاف مذهبكم الجواب قلنا اما النور والظلمة المذكوران في الآية فيجوز ان يكون
المراد بهما الايمان والكفر ويجوز ايضا ان يراد بهما الجنة والنار والثواب والعقاب فقد تصح الكناية
عن الثواب والنعيم في الجنة بانه نور وعن العقاب في النار بانه ظلمة واذا كان المراد بهما الجنة والنار
ساغ اضافة اخراجهم من الظلمات الى النور اليه تعالى لانه لا شبهة في انه عز وجل هو المدخل للمؤمنين
الجنة والعادل بهم عن طريق النار والظاهر بما ذكرناه اشبه لانه يقتضي ان المؤمن الذي ثبت كونه مؤمنا
يخرج من الظلمة الى النور فلو حمل على الايمان والكفر لتناقض المعنى وصار تقدير الكلام انه يخرج المؤمن
الذي قد تقدم كونه مؤمنا من الكفر الى الايمان وذلك لا يصح فاذا كان الكلام يقتضي الاستقبال

في الاخراج من قد ثبت كونه مؤمنا كان حمله على دخول الجنة والعدول بهم عن طريق النار اشبه
بالظاهر على انا لو حملنا الكلام على الايمان والكفر لصح ولم يكن مقتضيا لما توهموه ويكون وجه
اضافة الاخراج اليه وان لم يكن الايمان من فعله من حيث دل وبين وارشد ولطف وسهل
وقد علمنا انه لولا هذه الامور لم يخرج المكلف من الكفر الى الايمان فيصح اضافة الاخراج اليه
ليكون ما عددناه من جهته وعلى هذا يصح من احدنا اذا اشار على غيره بدخول بلد من البلدان و
رغبه في ذلك وعرفه ما فيه من الصلاح وجانبه ضربا من الافعال ان يقول انا ادخلتك فلانا
البلد الفلاني وانا اخرجتك عن كذا وكذا وانقذتك منه ويكون وجه الاضافة ما ذكرناه من
الترغيب في تقوية الدواعي الا ترى انه تعالى قد اضاف اخراجهم من النور الى الظلمات الى الطواغيت
وان لم يدل ذلك على ان الطاغوت هو الفاعل للكفر في الكفار بل وجه الاضافة ما تقدم لان
الشياطين يغوون ويدعون الى الكفر ويزينون فعله فيصح اضافته اليهم من هذا الوجه و
الطاغوت هو الشيطان ومن يعبد وكل عدو لله تعالى صد عن طاعته واغرى بمعصيته يصح اجراء
هذه التسمية عليه فكيف تقتضي الاضافة الاولى ان الايمان من فعل الله في المؤمن ولم تقتض
الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين في الكفار لولا بله المخالفين وغفلتهم وبعد
فلو كان الامر على ما ظنوه لما اضاف الله تعالى نفسه وليا للمؤمنين وناصرا لهم على ما اقتضته الاية لان الايمان
من فعله لا من فعلهم ولما كان خاذلا للكفار ومضيفا لولايتهم الى الطاغوت والكفر من فعله
بهم ولما فصل بين المؤمن والكافر في باب الولاية وهو المتولي لفعل الامرين فيهما وفي هذا
لا بد ظهر على احد ولا يعزب عنه [illegible] اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال
قال ابو بكر محمد بن القاسم الانباري وحدثنا احمد بن يحيى قال حدثنا ابو عبد الله بن النطاح قال
اخبرنا ابو عبيدة قال قال عبد الملك بن مسلم كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج انه ليس شيء من
هذه الدنيا الا وقد اصبت منه ولم يبق لي من لذة الدنيا الا مناقلة الاخوان الاحاديث وقبلك
عامر الشعبي فابعث به الي يحدثني فدعا الحجاج الشعبي فجهزه وبعث به اليه وقرظه واطراه في
كتابه فخرج الشعبي حتى اذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استاذن لي قال من انت قال عامر
الشعبي قال حياك الله ثم نهض فاجلسه على كرسيه فلم يلبث ان خرج اليه الحاجب فقال ادخل
فدخل قال فدخلت فاذا عبد الملك جالس على كرسي وبين يديه رجل ابيض الراس واللحية جالس
على كرسي فسلمت فرد السلام ثم اومأ الي بقضيبه فقعدت عن يساره ثم اقبل على الذي بين يديه
فقال ويحك من اشعر الناس قال انا يا امير المؤمنين قال الشعبي فاظلم علي ما بيني وبين عبد الملك
ولم اصبر ان قلت ومن هذا يا امير المؤمنين الذي يزعم انه اشعر الناس فعجب عبد الملك من عجلتي

قبل ان يسالني عن اسمي ثم قال هذا الاخطل فقلت يا اخطل اشعر منك الذي يقول هذا غلام حسن وجهه
مستقبل الخير سريع التمام للحارث الاكبر والحارث الاصغر والحارث خير الانام خمسة اباؤه هم ما هم
فقال عبد الملك رددها علي فرددتها حتى حفظها فقال الاخطل من هذا يا امير المؤمنين قال هذا
الشعبي قال صدق والله النابغة اشعر مني قال الشعبي ثم اقبل على عبد الملك فقال كيف انت يا شعبي
فقلت بخير لا زلت به ثم ذهبت لاضع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن
الاشعث فقال مه فانا لا نحتاج الى هذا المنطق ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا ثم اقبل
على عبد الملك فقال ما تقول في النابغة قلت يا امير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن
على جميع الشعراء وذلك انه خرج يوما وببابه وفد غطفان فقال يا معشر غطفان اي شعرائكم الذي
يقول حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب لئن كنت قد بلغت عني خيانة
لمبلغك الواشي اغش واكذب ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب قالوا النابغة
قال فايكم الذي يقول فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع خطاطيف
حجن في حبال متينة تمد بها ايد اليك نوازع قالوا النابغة قال فايكم الذي يقول الى ابن محرق
اعملت نفسي وراحلتي وقد هدت العيون اتيتك عاريا خلقا ثيابي على خوف تظن بي الظنون
فالفيت الامانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون قالوا النابغة قال هذا اشعر شعرائكم ثم اقبل
عبد الملك على الاخطل فقال اتحب ان لك قياضا بشعرك شعر احد من العرب ام تحب انك قلته
فقال لا والله الا اني وددت اني كنت قلت ابياتا قالها رجل منا كان والله مغدف القناع قليل
السماع قصير الذراع قال وما قال فانشده انا محيوك فاسلم ايها الطلل وان بليت وان طالت بك
الطيل ليس الجديد به تبقى بشاشته الا قليلا ولا ذو خلة يصل والعيش لا عيش الا ما تقر به
عين ولا حال الا سوف تنتقل ان ترجعي من ابي عثمان منجحة فقد يهون على المستنجح العمل والناس
من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولام المخطي الهبل قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع
المستعجل الزلل قال الشعبي فقلت قد قال القطامي افضل من هذا قال وما قال قلت قال
طرقت جنوب رحالنا من مطرق ما كنت احسبها قريب المعنق حتى اتيت على اخر القصيدة فقال عبد
الملك ثكلت القطامي امه هذا والله الشعر قال فالتفت الي الاخطل فقال يا شعبي ان لك فنونا في
الاحاديث وانما لنا فن واحد فان رايت ان لا تحملني على اكتاف قومك فادعهم حرضا فقلت لا اعرض
لك في شيء من الشعر ابدا فاقلني هذه المرة قال من يتكفل بك قلت امير المؤمنين فقال عبد الملك
هو علي ان لا يعرض لك ابدا ثم قال يا شعبي اي شعراء الجاهلية كان اشعر من النساء قلت الخنساء قال
ولم فضلتها على غيرها قلت لقولها وقائلة والنعش قد فات خطوها لتدركه يا لهف نفسي على صخر

ألا ثكلت أم الذين غدوا به ... إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر. فقال عبد الملك: أشعر منها والله ليلى الأخيلية حيث تقول:

مهفهف الكشح والسربال منخرق ... عنه القميص لسير الليل محتقر

لا يأمن الناس ممساه ومصبحه ... في كل فج وإن لم يغز ينتظر

ثم قال: يا شعبي لعله شق عليك ما سمعته. قلت: إي والله يا أمير المؤمنين أشد مشقة، إني لمحدثك منذ شهر لم أفدك إلا أبيات النابغة في الغلام. ثم قال: يا شعبي إنما أعلمتك هذا لأنه بلغني أن أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ويقولون إن كانوا غلبونا على الدولة فليس يغلبونا على العلم والرواية، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق. ثم ردد علي أبيات ليلى حتى حفظتها وأذن لي فانصرفت فكنت أول داخل وآخر خارج. قال سيدنا قدس الله روحه: الصحيح في الرواية أن البيتين اللذين رواهما عبد الملك ونسبهما إلى ليلى الأخيلية لأعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب الباهلي، وهذه القصيدة من المراثي المفضلة المشهورة بالبراعة والبلاغة، وهي:

إني أتتني لسان لا أسر بها ... من علو لا عجب منها ولا سخر

فظلت مكتئبا حران أندبه ... وكنت أحذره لو ينفع الحذر

فجاشت النفس لما جاء جمعهم ... وراكب جاء من تثليث معتمر

يأتي على الناس لا يلوي على أحد ... حتى التقينا وكانت دوننا مضر

إن الذي جئت من تثليث تندبه ... منه السماح ومنه النهي والغير

تنعى امرأ لا تغب الحي جفنته ... إذا الكواكب أخطأ نوءها المطر

وراحت الشول مغبرا مناكبها ... شعثا تغير منها النيّ والوبر

وألجأ الكلب موقوع الصقيع به ... وألجأ الحي من تنفاحها الحجر

عليه أول زاد القوم قد علموا ... ثم المطي إذا ما أرملوا جزر

قد تكظم البزل منه حين تبصره ... حتى تقطع في أعناقها الجرر

أخو رغائب يعطيها ويسألها ... يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

لم تر أرضا ولم تسمع بساكنها ... إلا بها من نوادي وقعه أثر

وليس فيه إذا استنظرته عجل ... وليس فيه إذا ياسرته العسر

فإن يصبك عدو في مناوأة ... يوما فقد كنت تستعلي وتنتصر

من ليس في خيره شر يكدره ... على الصديق ولا في صفوه كدر

أخو شروب ومكساب إذا عدموا ... وفي المخافة منه الجد والحذر

مرد حروب ونور يستضاء به ... كما أضاء سواد الظلمة القمر

مهفهف أهضم الكشحين منخرق ... عنه القميص لسير الليل محتقر

طاوي المصير على العزاء منجرد ... بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر

لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه ... وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر

يا مزمعي لا يصعب الأمر إذ لا يجد صعبا ... لا يتأرى لما في القدر يرقبه

ولا يعض على شرسوفه الصفر ... لا يغمز الساق من أين ولا وصب

ولا يزال أمام القوم يقتفر ... لا يأمن الناس ممساه ومصبحه

في كل فج وإن لم يغز ينتظر ... تكفيه حزة فلذ إن ألم بها

من الشواء ويروي شربه الغمر ... لا تأمن البازل الكوماء عدوته

ولا الأمون إذا ما اخروط السفر ... كأنه بعد صدق القوم أنفسهم

باليأس تلمع من قدامه البشر

قال الكميت [illegible]

تأويل قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا

وكان النابغة أبدع من هذا البيت:

لا يجهل القوم أن تغلي مراجلهم ... ويدلج الليل حتى يفسح البصر

عشنا به حقبة حينا ففارقنا ... كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر

أصبت في حرم منا أخا ثقة ... هند بن أسماء لا يهنئ لك الظفر

لو لم تخنه نفيل وهي خائنة ... لصبح القوم وردا ماله صدر

وأقبل الخيل من تثليث مصغية ... وضم أعينها غزوان أو حضر

إما سلكت سبيلا كنت سالكها ... فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر

وقد روي هذه القصيدة لدعجاء أخت المنتشر، وقيل لليلى الأخيلية، ولعل الشبهة الواقعة في نسبها إلى ليلى الأخيلية من ههنا، والصحيح ما ذكرناه. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: وفد الأخطل على معاوية فقال: إني قد مدحتك بأبيات فاسمعها، فقال: إن كنت شبهتني بالحية أو الأسد أو الصقر فلا حاجة لي فيها، وإن كنت قلت في كما قالت الخنساء:

وما بلغت كف امرئ متناول ... بها المجد إلا حيث ما نلت أطول

وما بلغ المهدون في القول مدحة ... وإن صدقوا إلا الذي فيك أفضل

فهات. فقال الأخطل: والله لقد أحسنت، وقد قلت بيتين ما هما بدون ما سمعت، وأنشد:

إذا امتنعت العرف وانقطع الغيث ... فلم يسق إلا من قليل مصرد

وردت أكف الراغبين وأمسكوا ... من الدين والدنيا بخلف مجدد

فأحسن صلته. وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد النحوي قال أخبرنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي، أنشدهم:

مررنا عليه وهو يكعم كلبه ... دع الكلب ينبح إنما الكلب نابح

قوله يكعم كلبه أي يشد فاه خوفا أن ينبح فيدل عليه. وقال آخر:

وتكعم كلب الحي من خشية القرى ... وقدرك كالعذراء من دونها ستر

قال: ومثله قال الأخطل:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم ... قالوا لأمهم بولي على النار

قال أبو عبيد الله: وسمعت محمد بن يزيد الأزدي يقول: هذا من أهجى ما هجي به حي، لأنه جعل نارهم تطفئها البولة، وجعلهم يأمرون أمهم بالبول استخفافا بها.

مجلس آخر تأويل آية: إن سأل سائل فقال: ما تأويل قوله تعالى: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، وليس تأويل هذه الآية يقتضي أنه تعالى يجوز أن يزيغ القلوب عن الإيمان حتى تصح مسألته أن لا يزيغها، ويكون هذا الدعاء مفيدا. الجواب: قلنا في هذه الآية وجوه، أولها أن يكون المراد بها لا تشدد علينا المحنة في التكليف ولا تشق علينا فيه فيفضي بنا ذلك إلى زيغ قلوبنا بعد الهداية، وليس يمتنع أن يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى المحنة عليهم إليه، كما قال تعالى في السورة: فزادتهم رجسا إلى رجسهم، وكما قال تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام: فلم يزدهم دعائي إلا فرارا. فإن قيل: كيف يشدد عليهم في المحنة؟ قلنا: بأن يقوي شهواتهم لما قبح في عقولهم ونفورهم عن الواجب عليهم، فيكون التكليف عليهم بذلك شاقا، والثواب المستحق عليه عظيما متضاعفا، وإنما يحسن أن يجعله شاقا تعريضا للمنزلة. وثانيها أن يكون ذلك دعاء بالتبقية لهم

على انهم اذا امدهم بالالطاف التي معها يثبتون على الايمان فان قيل وكيف يكون مزيغا للقلوب
بان لا يفعل اللطف قلنا من حيث كان المعلوم انه متى قطع امدادهم بالطافه وتوفيقه زاغوا وانصرفوا
عن الايمان ويجري هذا مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه لا تخل بيننا وبين
من لا يرحمنا فيتسلط علينا ومثله قول الشاعر اناخ وجلى بالمدينة وقعة لآل نهيم اصبحت
كآل نهيم اراد بقوله [illegible] فكانهم قالوا لا تخل بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا الطافك فنزيغ
ونضل وثالثها ما اجاب به ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي الاستقال المراد بالاية ربنا لا تزغ
قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعنى هذا السؤال انهم سالوا الله تعالى ان يلطف لهم في فعل الايمان حتى
يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بتركه الايمان ان تزيغ قلوبهم عن الثواب وان
يفعل بهم بدلا منه من العقاب فان قال قائل فما هذا الثواب الذي في قلوب المؤمنين حتى زعمتم انهم سالوا
الله تعالى ان لا يزيغ قلوبهم عنه واجاب بان من الثواب الذي في قلوب المؤمنين ما ذكره الله تعالى
من الشرح والسعة بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقوله لرسوله
الم نشرح لك صدرك فذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبة
قال ومن ذلك ايضا التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين وهو الذي منعه الكافرين فقال تعالى
اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قال ومن ذلك ايضا كتابته الايمان في قلوب المؤمنين كما
قال تعالى اولئك كتب الله في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وضد هذه الكتابة هي سمات
الكفر التي في قلوب الكافرين فكانهم سالوا الله تعالى ان لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب الى ضده من
العقاب ورابعها ان تكون الاية محمولة على الدعاء بان لا يزيغ القلوب عن اليقين والايمان ولا
يقتضي ذلك انه تعالى سئل كان لا يجاب ان يفعل ولولا المسالة لجاز فعله لانه غير ممتنع ان يتعبدنا
على سبيل الانقطاع اليه والافتقار الى ما عنده بان يفعل ما نعلم انه لا بد من ان يفعله وبان لا يفعل
ما نعلم انه واجب ان لا يفعله اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكيا عن ابراهيم ولا تخزني
يوم يبعثون وكما قال تعالى في تعليمنا ما ندعو به قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن وكقوله تعالى
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وكل ما ذكرناه واضح بين بحمد الله قال سيدنا ادام الله علوه واني
لاستحسن قول الراعي في وصف الاثافي والرماد فقد طبق في صفته المفصل مع جزالة الكلام وفوق
واستواءه واطراده واوردنا بعده [illegible] خواضبن النعف على غير مشرب وذا الدعاء
امسك بجودها على السيح ذي شامه مشقوق كان بقايا لونه وضوءها بقايا هنا في فلا
مجرب الاودق الرماد وجعل الاثافي كالحواضن لاحتضانها واستدارتها حوله
الاغالي لانها مواضع القدر [illegible] والرائح هو الواضح وانما شبه الرماد بينهن بفصيل [illegible]

على العدل الاجور

الطار

الخائر والمقروب الذي قد اعتمر علاه وشبه ما سودت النار منهن باثر قطران على قلائص جرب والجرب
الذي قد جربت ابله وقد نظر في هذا المعنى بعينه اعني تشبيه تسويد النار بالهناء قول ذي الرمة عفا
الزرق من اطلال مية فالدحل فاجماد حوضى حيث زاحمها الحبل سوى ما ثوى سودا من غير جلة
تخطاها اهلها وارثت حبالها التقليل من الضمان البيض غيرا لونها نبات مراض المرخ واليابس الجزل
كجرباء دست بالهناء فاقصيت بارض خلاء ان تقاربها الابل قوله سوداء من غير جلة يعني
الثقيه لان السواد ليس بخلقة فيها وانما سودتها النار وقوله تخطاها [illegible] اي تجاوزها فلم يحمل
من مكان الى مكان بل بقيت منفردة وارثت حبالها يعني حبال اثافي اللواتي كن معها
والمرثث هو المنقول من مكان الى مكان واصل ذلك في الجريح والعليل يقال رثت الرجل اذا
احمل من المعركة وبه رمق قال النضر بن شميل معنى ارتث صرع وقال ابو زيد هو [illegible] قولهم
ارتث القوم اذا جمعوا ودق متاعهم [illegible] من موضعهم وكل المعنيين [illegible]
ذي الرمة لانه قد يجوز ان يريد بقوله وارثت حبالها اي نقلت عنها ويجوز ان يريد صرعت
ثابتة قائمة والرضمان حجارة بعضها على بعض والقراضم [illegible] وهو الحجر يكون في الرملة
جنات مراض المرخ شرار النار الخارجة من ذلك المرخ والمرخ شجر [illegible] ومن امثالهم في
كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وهذا المثل يضرب للرجل الكريم يفضل القوم وهو منهم
فكان المعنى كل القوم كرام واكرمهم فلان ومعنى كجرباء دست بالهناء انه شبه الاثفية المنفردة
بناقة جرباء وقد افردت وابعدت عن الابل حتى لا تجربها ولا تعديها ومعنى دست بالهناء طليت به
وفي قول الراعي وردا الاغالي اشبه من قول الشماخ بن ضرار [illegible] يعبهما جانب فاصعقا
كينا الاغالي جونتا مصطلاهما يعني يعبهما منزل الامراتين اللتين ذكرهما يعني بجاتبتا
الاثفيتين لانهما مقطوعتان من الصفا الذي هو الصخر ويمكن في قوله جارتا صفا وجه آخر
هو احسن من هذا وهو ان الاثفيتين توضعان قريبا من الجبل لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما
ممسكة للقدر معهما ولهذا تقول العرب رماه بثالثة الاثافي اي بالصخرة والجبل وشبه اعلاهما
بلون الكميت وهو لون الحجر نفسه لان النار لم تصل اليه فتسوده ومصطلاهما جونتان اي اسود
لان النار قد سفعته وسودته وقال الراعي في وصف الاثافي ايضا اناخ باعلاه وابقى شريده
ذرا مجحفات بينهن فروج كان بجزع الدار لما تحملوا سلائب وذ فا بينهن جذيع اذاع باعلاه
يعني الرماد لان الشافي عم بطاهره وما علاه منه وابقى شريده ابقى ما شرد على الصافي فلم
وذرا مجحفات يعني الاثافي وذرا كل شيء جانبه وما استذريته منه والمجحفات المشيلات
والسلائب جمع سلوب هي الناقة التي قد سلبت ولدها بموت او نحر فقد عطفت على حوار والجذيع

جزع الدار منقطعه

وهو الريح التي تطير التراب

الاؤ

الذي قد سقط لغير تمام والورق للواتي ألوانهن كلون الرماد وفي معنى قول الراعي وبقي شريدها
ذا محجات قول المخبل السعدي وأرى لها دارًا بأغدرة السيدان لم يدرس لها رسم إلا رمادًا
هامدًا دفعت عنه الرياح خوالد سحم إلا ههنا بمعنى الواو فكأنه قال وأرى رمادًا هامدًا
ولولا أن إلا ههنا بمعنى الواو لفسد الكلام ونقض آخره أوله لأنه قال في آخر البيت أن خوالد
السحم دفعت عنه الرياح فكيف يخبر بأنه قد درس وإنما أراد أنه باق ثابت لأن الأثافي دفعت عنه
فلم يستثنه إذًا من جملة ما لم يدرس بل هو داخل في جملته والراعي إنما عنى بالأثافي أنحن وهن
أثقال عليها فقد نزل الصلاء بين ثلاث شبه الأثافي سوفًا محزن حممًا إلا ليست عليهن
سمة ثم أخبر أن الوقود أثر فيهن آثارًا كالسمة والنار السمة تقول العرب ما نار بعيرك أي ما سمته وفي
أمثالهم نجارها نارها أي سمتها تدل على كرمها فيضرب ذلك للرجل ترى له ظاهرًا حسنًا يدل
على باطن خير وقال عدي بن الرقاع العاملي إلا رواكد كلهن قد اصطلى حمراء أشعل أهلها إيقادها
كانت رواحل للقدور فعريت منهن واستلب الزمان رمادها وقال الأشعر الجعفي إلا
رواكد بينهن خصاصة سفع المناكب كلهن قد اصطلى وقال حميد بن ثور فغيرت إلا آل أيها
ومعرسًا من جونة ظهرها عرش الثقاب لها بدا ومقامة للحي بين نظائر فوق الجونة القدر ويقال قد
ظهر في قدره ظهورًا إذا كانت قديمة وعرش أي جعل مثل العرش يعني الوقود والثقاب ما أثبت من
الوقود والنظائر هي الأثافي والوتر الفرد وأراد أنها ثلاث وقال الكميت بن زيد ولم يخيبك إلا
معطفة بالقاع لا تمات فيها ولا ميل لست بعوذ ولم تعطف على ربع ولا بهبع بهاذ والثنية الإبل
يعني الأثافي فشبه تعطفها على الرماد بتعوذ وقد عطفن على فصيل والتمول انتصاب السنام والميل
من صغر السنام والعائذ من النوق التي يتبعها ولدها والربع الذي نتج في أول الربيع والإهاب الذي
أهاب بإبله إذا دعاها وذو الثنية الذي يقودها يوم الرحيل والإبل صاحب إبل وقال ذو الرمة فلم يبق إلا
أن ترى في محلة رماد نحت عنه السيول جنادله كأن الحمام الورق في الدار وقعت على خرق بين
الظؤور جوازله شبه الأثافي بحمام ورق وجعلها ظؤورًا لتعطفها على الرماد وشبه الرماد بفرخ
خرق قد سقط ريشه والجوازل الفرخ واحدها جوزل وقال البعيث لأحيا الربيع القواء وسلما
كجثمان الحمامة أدهما وقيل إن الحمامة ههنا القطاة وإنما شبه ألوان الرسوم من الرماد وموقد النار ودمنة
بمحر طمسن وما أشبه هذه الأشياء بألوان ريش قطاة ومثله لجرير كأن رسوم الدار ريش حمامة
محاها البلى واستعجمت أن تكلما ولقد أحسن كل الإحسان كثير في قوله أمن آل سلمى بالدخول رسوم
وبحومل طلل يلوح قديم لعب الرياح برسمه فأجده جون عواكف في الرماد جثوم سفع الخدود
كأنهن وقد مضت حجج عوابد بينهن سقيم فقيل في قوله جون عواكف يعني الأثافي لأن الأثافي

لما كشفت عنها وظهرت صارت كأنها أحدثت الآن ويحتمل وجهًا آخر وهو أن يكون معنى جدد ألقى
حمت الرماد الذي أخذ طرفيه عن لعب الرياح فبقي بحاله لم يتبدل بر المتهم فكان الرياح درست الرسم
ومحته إلا ما أخذته هذه الأثافي من الرماد وصفته الريح منه ويجري ذلك مجرى قول المخبل إلا
رمادًا هامدًا البيت وقال الطرماح الفقعسي في الأثافي أثر الوقود على جوانبها بمخدودهن كأنما لطم
ويقال إن أبا تمام الطائي أخذ ذلك في قوله فقد لبط المنازل من عيون لها والشوق أحشاء غزاد
عفت آياتهن وأي ربع يكون له على الزمن الحياد أثاف كالخدود لطمن حزنًا ونؤي مثل ما انفصم
السواد وقد عاب عليه قوله لطمن حزنًا بعض من لا معرفة له وقال لا فائدة في قوله حزنًا ولله در فائدة وذلك
أن لطم الحزين يكون أوجع وأبلغ في التأثير والظهور وقد يكون اللطم لغير الحزن فأما قوله ونؤي مثل
ما انفصم السواد فمأخوذ من قول الشاعر نؤي كما نقص الهلال محاقه ومثل ما انفصم السوار المعصم و
قد شبه الناس النؤي بالسوار والخلخال كثيرًا وبغير ذلك قال كثير عرفت لسعدي بعد عشرين حجة بها درس
نؤي في المحلة منحن تقادم كوقف العاج ثبت حوله مغاد ذا وقاد يرضم موضن والوقف السوار من الذبل
ومن العاج والرضم صخور عظام والموضن الذي بعضه فوق بعض وقال الأبشار ونؤي كخلخال الفتاة
أثبج على ريب الزمان ركوبها العشايم الأشيج يعني الوتد وإنما وصفه بأنه صار بالفناء وثبا
لوقوعه بالانفراد والمرأة الرقوب التي لا يعيش لها ولد ومن مستحسن ما وصف به النؤي
قول أبي تمام كالنؤي أقصد شطره فكأنه تحت الحوادث حاجب مقرون وقال البحتري في تلك على
الدمشين بالدهر دين يا لخالية وجنحت خاله طلول كأنهن نجوم في عراض كأنهن ليال ونؤي
كأنهن عليهن خدام خرس بسوق خدال الخدام جمع خدمة وهي الخلخال وجعلها خرسًا لأنها غير قلقة
وشبه ما أحدق به النؤي من الأرض وامتلأ منه بامتلاء الخلخال من الساق الخدلة وهي الممتلئة

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوًا
قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض
ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها
بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا
إن شاء الله لمهتدون قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها
قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون فقال ما تأويل هذه الآيات وهل البقرة التي
بجميع النعوت هي البقرة المرادة باللفظ الأول وكان التكليف واحدًا أم الأمر مختلف وكان التكليف
متغايرًا الجواب قلنا أهل العلم في تأويل هذه الآية مختلفون بحسب اختلاف أصولهم فمن جوز تأخير
البيان عن وقت الخطاب يذهب إلى أن التكليف واحد وأن الأوصاف المتعلقة هي للبقرة المتقدمة وإنما

تاخير البيان ولما سال القوم عن الصفات ورد البيان شيئا بعد شيء ومن لم يجوز تاخير البيان يقول
ان التكليف متغاير وانهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم الا ذبح اي بقرة شاؤا من غير
تعيين صفة ولو انهم ذبحوا اي بقرة اتفقت لهم كانوا قد امتثلوا الامر فلما لم يفعلوا كلفوا
ذبح بقرة لا فارض ولا بكر ولو ذبحوا ما اختص بهذه الصفة من اي لون كان لاجزاهم فلما لم يفعلوا
كلفوا ذبح بقرة صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص بالصفات الاخيرة ثم اختلف هؤلاء
من وجه اخر فمنهم من قال في التكليف الاخير انه يجب ان يكون مستوفيا للكل صفة تقدمت حتى
تكون البقرة مع انها غير ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها صفراء فاقع لونها
ولا فارض ولا بكر ومنهم من قال انما يجب ان تكون بالصفة الاخيرة فقط دون ما تقدم وظاهر الكلام
القول الاول المبني على جواز تاخير البيان اشبه وذلك انه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا للرسول
ادع لنا ربك يبين لنا ما هي فلا يخلو قولهم ما هي من ان يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها او عن
غير التي امروا بها فاما على قول من يذهب الى ذلك وليس يجوز ان يكونوا سالوا عن الصفة غير التي تقدم
ذكرها لان الظاهر من قولهم ما هي بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضي ان يكون السؤال عن صفة البقرة
المامور بذبحها ولانه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة اخرى فيستفهموا عنها واذا صح ان السؤال انما كان
عن صفة البقرة المنكرة التي امروا في الابتداء بذبحها فليس يخلو قوله انها بقرة لا فارض ولا بكر
من ان يكون كناية عن البقرة الاولى او عن غيرها وليس يجوز ان يكون ذلك كناية عن بقرة ثانية لان
ظاهر قوله انها بقرة من صفتها كذا انه تعلق بقولهم ما هي يقتضي ان يكون كناية عما تضمنه سؤالهم
ولان الامر لو لم يكن على ما ذكرناه لم يكن ذلك جوابا لهم بل كان يجب ان يكونوا سالوا عن شيء فاجابهم
عن غيره وهذا لا يليق بالنبي عليه السلم على انه لما اراد ان يكلفهم تكليفا ثانيا عند تفريطهم في
الاول على ما يدعيه من ذهب الى هذا المذهب فقد كان يجب ان يجيب عن سؤالهم وينكر عليهم الاستفهام
في غير موضعه وتفريطهم فيما امر وليس مما لا حاجة بهم الى الاستفهام عنه فيقول في جواب قولهم
ما هي انما كلفتم اي بقرة شئتم وما يستحق اسم بقرة وقد فرطتم في ترك الامتثال واخطأتم في الاستفهام
مع وضوح الكلام الا انكم قد كلفتم ثانيا كذا وكذا لان هذا مما يجب عليه بيانه لازالة الابهام
واللبس فلما لم يفعل ذلك واجاب بالجواب الذي ظاهره يقتضي التعلق بالسؤال علمنا ان الامر على ما ذكرناه
وهب انه لم يفعل ذلك في اول سؤال كيف لم يفعله مع تكرار الاسولة والاستفهامات التي لم تقع على
هذا المذهب موقعها ومع تكرار المعصية والتفريط كيف يستحسن ان يكون جميع اجوبته غير متعلقة
باسولتهم لانهم يسالونه عن صفة شيء فيجيبهم بصفة غيره من غير بيان على اقوى الوجوه واوضحه
لتعلق الجواب بالسؤال لان قول القائل في جواب من سأله ما كذا وكذا الصفة الفلانية صريح في

الما

الماء كناية عما وقع السؤال عنه وهذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا لانهم لو تقولوا ذلك الا وقد
اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين فلم لم يقل لهم اي تشابه عليكم وانما امرتم في الابتداء باي بقرة
كانت وفي الثاني بما اختص بالصفة المخصوصة وفي اي بقر كان وفي الثالث بما اختص باللون المخصوص من
اي البقر كان فان قيل كيف يجوز ان يامرهم بان يذبحوا بقرة لها جميع الصفات المذكورة الى اخر الكلام ولا
يبين لهم ذلك وهل هذا الا تكليف ما لا يطاق قلنا لم يرد منهم ان يذبحوا البقرة في الثاني من حال الخطاب
لو كانت حال الفعل حاضرة لما جاز ان يتاخر البيان لان تاخره عن وقت الحاجة هو القبيح الذي لا
شبهة فيه وانما اراد ان يذبحوها في المستقبل فلو لم يستفهموا ويطلبوا البيان لكان قد ورد عليهم
عند الحاجة اليه فان قيل اذا كان الخطاب غير متضمن لصفة ما امروا بذبحه فوجوده كعدمه وهذا
يخرجه من باب الفائدة ويوجب كونه عبثا قلنا ليس يجب ما ظننتم لان القول وان لم يفد صفة البقرة
بعينها فقد افاد تكليف ذبح بقرة على سبيل الجملة ولم يكن ذلك عاريا ما قيل هذا الخطاب فصار
مفيدا من حيث ذكرناه وخرج من ان يكون وجوده كعدمه وفوائد الكلام لا يجب ان يحيط بها الاقرا
وليس يخرج الخطاب من تعلقه ببعض الفوائد كونه غير متعلق بغيرها ومما هو زيادة عليها فان قيل
ظاهر قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون يدل على استبطائهم وذمهم على التقصير في امتثال
الامر قلنا ليس ذلك بصريح ذم لان كادوا للمقاربة وقد يجوز ان يكون التكليف صعب عليهم لغلاء
ثمن البقرة التي تتكامل فيها تلك الصفات فقد حكي انهم ابتاعوها بملء جلدها ذهبا على ان الذي
يقتضي ظاهره ان نصرفه الى تقصيرهم في تاخيرهم امتثال الامر بعد البيان التام لان قوله تعالى وما
كادوا يفعلون انما ورد بعد تقدم البيان التام المتكرر فلا يقتضي ذمهم على ترك المبادرة في الاول
الى ذبح بقرة فليس فيه دلالة على ما يخالف ما ذكرناه فان قيل لو ثبت تقديرا ان التكليف في البقرة الاخيرة م
متغاير اي القولين اللذين حكيتموهما عن اهل هذا المذهب اصح واشبه قلنا قول من ذهب الى ان
البقرة انما يجب ان تكون بالصفة الاخيرة فقط لان الظاهر به اشبه من حيث انه اذا ثبت تغاير التكليف
وليس في قوله انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث الى اخر الاوصاف ذكر لما تقدم من الصفات
وهذا التكليف غير الاول فالواجب اعتبار ما تضمنه لفظه والاقتصار عليه فاما الفارض فهي
المسنة وقيل هي العظيمة الضخمة يقال غرب فارض اي ضخم والغرب الدلو ويقال ايضا لحية فارضة
اذا كانت عظيمة والاشبه بالكلام ان يكون المراد المسنة فاما البكر فهي الصغيرة التي لم تلد
فكانه تعالى قال تكون غير مسنة ولا صغيرة والعوان دون المسنة وفوق الصغيرة وهي النصف
التي ولدت بطنا او بطنين ويقال حرب عوان اذا لم يكن اول حرب كانت ثانية وانما جاز ان يقول
بين ذلك وبين لا يكون الا مع اثنين او اكثر لان لفظة ذلك تنوب عن الجمل يقول ظننت زيدا قائما

ويقول القائل قد صفنت ذلك ومعنى فاقع لونها اي خالص الصفرة وقيل ان كل ناصع اللون بياضا
كان او غيره فهو فاقع وقيل انه اراد بصفراء ههنا سوداء ومعنى قوله لا ذلول تثير الارض اي تكون صعبة
ليست بذلول للعمل في اثارة الارض وسقي الزرع ومعنى مسلمة مفعلة من السلامة من العيوب وقال قوم مسلمة
من الشية اي لا شية فيها تخالف لونها وقيل لا شية فيها اي لا عيب فيها وقيل لا وضح فيها وقيل
لا لون فيها يخالف لون جلدها والله اعلم بما اراد وتاويله قال الحسن التوفيقي قال السيد المرتضى علم الهدى
قدس الله روحه كنت اظن ان المتنبي قد سبق الى المعنى قوله في مرثيته لاخت سيف الدولة طوى الجزيرة
حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي الى الكذب حتى اذا لم يدع لي صدقه املا شرقت بالدمع حتى كاد
يشرق بي حتى رأيت هذا المعنى لمسلم بن الوليد الانصاري وللبحتري اما الذي لمسلم فقوله في قصيدة في
يا سهل بن صباح وفد العفاة عليك من متحير فله الرجاء وتعتني بسرجع وخادع النفس
النعي وقد خطب ألم يصادق ويخدع وقال البحتري يرثي وصيفا التركي اذ اصابه ناعيه توهمت
بكره من اخباره قول مازح وكنت اظن المتنبي قد سبق الى قوله يحل القنا يوم الطعان بعقوتي
فاحرمه عرضي واطعمه جلدي حتى رأيت هذا المعنى واللفظ بعينه لجهم بن شبل الكلابي من اهل اليمامة
في قوله تمنى نوعه عن جلد دخان وفي حشانا الى الموت من الفحيش كليهم اطعم الجلد بالجرح
كليهم واما عرضه فسليم وكنت اظن البحتري قد سبق الى معنى قوله في الفتح بن خاقان حملت عليه السيف
لا عزمك انثنى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا حتى وجدت لشاعر متقدم طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر
لها نفذ لولا الشعاع اضاءها ملكت بها كفي فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها وكل عود
جاد عن القصد قال محمد بن يحيى الصولي وصف الناس صفرة اللون في العلل فكل حكى ذلك بلا
فضيلة الا البحتري فقال اعرابي من ابيات جعلت حياة عاتبة عقرا كأنما تجري بين جلدك والعظام خلوق
وقال ابو تمام لم تشن وجه المليح ولكن جعلت ورد وجنتيه بهارا وقال غيره ولم تشن شيئا
تكتبها بذلك التفاح بالياسمين وقال بكر بن عيسى علة زعفرته ورد خده كاد من رقة ودى
يعصر ولاحمد بن يزيد المهلبي وقال ابو العوف غرا حمى شديدة فوجنتاها نشا بها صفاء هاتين
تعلك الحم فيهما هاتيك ورخصه مضت وقصها عنها وجاءتها بهارها وكدت العناقيد وكاني فهانقا
لي مثلك التفاح طليت بالورس وقال ابن المعتز وصفرته علته وجهه فصار كالدينار من حيثما
وقال البحتري بدت صفرة في لونه ان حمدهم من الدر ما اصفرت نواحيه في العقد وحرب على الايدي
يعنه كفيه كذلك موج البحر ملتهب الوقد وما الكلب محموما وان طال عمره ولكنما الحمى على الاسد
الورد قال السيد قدس الله روحه اما تشبيه صفرة اللون بصفرة الدر فهو تشبيه مليح موافق للعرض
الا انه خطأ في قوله ان حمدهم من الدر ما اصفرت نواحيه في العقد لان ذلك ليس بمحمود بل مذموم ولو انه

الجماعة … اكثر وعفيه

الاعرابي

قيل
دالفالي ن يامنا
عشق ن نشا على

دراد

وترك التعليل لكان اجود وروى ابو العباس احمد بن فارس المنبجي قال حدثني ابو احمد عبيد الله بن يحيى
البحتري قال حدثني ابي قال حدثني جدي البحتري قال كنت عند ابي العباس المبرد فتذاكرنا شعر عمارة بن
عقيل في قوله تخالد بن يزيد لما وجه اليه بمهدي بن البيتين لم استطع سير المدينة خالد فجعلت حسنة
اليه رسوله فلم رحلت الى بابل خالد ولكنني وقفني الرحيل قال البحتري فقلت له مولاي من
ابي حفصة في عبد الله بن طاهر هذا اناه من الجزيرة ما هو احسن من هذا وانشدته لعمري لنعم
الغيث غيث اصابنا ببغداد من ارض الجزيرة وابله فكنا كحي صبح الغيث اهله ولم ترحل الظعائن
ودواحله فقال نعم هذا احسن فقلت له ان لي في المعنى فقال انشد ما هو من حمص لا يفضح عن حسن
وانشدته شعري في السحب او الجزائكنه بني المعط ظاعنان النماحة والمجد هم وصلوني والهما يحيينا
كما ارفض غيث من تهامة منجد فقال هذا والله ادق فيما قالا واحسن قد حكى احمد بن فارس المنبجي
عن عبيد الله بن يحيى البحتري قال حدثني ابي عن جماعة من اهل العلم والادب منهم يموت بن المزرع
قال قلت لابي عثمان الجاحظ من انسب العرب قال الذي يقول عقيل الى فضل الجمار فاثرت عذابه موقع
التقبيل وهذا البحتري في قصيدته التي اولها صب يخاطب مفحمات طلول قال السيد قدس
الله روحه وفي نسيب هذه القصيدة بيت آخر ليس بقصر في ملاحة الكلام ورشاقته واخذه بمجامع
القلوب عن البيت الذي فضله الجاحظ وهو ان غيبت رد الصبي لي شافع واردد وتك في
وسوقي وفي مديح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحسن وهو لا تطلبن له الشبيه فانه فهو الشامل
من التامل وقد حكى الاشناعي عن يحيى بن البحتري قال انصرفت يوما من مجلس ابي العباس محمد بن
يزيد المبرد فقال لي ابي البحتري اي شيء ما الذي افدت يومك هذا من ابي العباس فقلت املى علينا
حسنة وانشدنا ابياتا للحسين بن الضحاك فقال لي انشدني الابيات فانشدته كاني اذا فارقت شخصك
ساعة لفقدك بين العالمين غريب وقد صرت اسباب السلو فيا حتى ضمير عليه من هواك رقيب
اقر لك صفحي عن ذنوب كثيرة وعضي على الاشيا منك نحيب كان لم يكن في الناس مثلي متيم ولم
يك في الدنيا سواك حبيب الى الله اشكو ان شكوت فلم يكن لشكواي من عطف الحبيب نصيب فقال
ما احسن هذا الكلام ثم انشدني لنفسه حبيب حبيب يكتم الناس انه لنا حين نلقانا العيون حبيب
يباعدني في الملتقى وفؤاده وان هو ابدى لي البعاد قريب ويعرض عني والهوى منه مقبل اذا خاف
او شاد دقيب فتطرق منا اعين حين نلتقي وتحرس منا السن وقلوب ثم قال اروها بني فهذين
فانهما من احسن الشعر وطريقه وروى احمد بن فارس المنبجي عن ابي نصر محمد بن اسحق النحوي قال سمعت
بعض اهل الادب يقول للزجاج قد كنت تعرف ابا العباس المبرد وكبره وانه لم يكن يقول لاحد ولا يبالي
لو وجد اذا اشرف عليه الرجل قبلا لان المصادف لا يخليه لقد رأيته يوما وقد دخل عليه رجل

فقال ابن ابي العلاء عمارة

تأويل قوله تعالى في قصة هابيل وقابيل لئن بسطت إلي يدك الآية

متدرّع فقام إليه أبو العباس فاعتنقه ونحّى عن موضعه لجلسه فجعل الرجل يستعفيه من ذلك فلما
كثر عليه أنشده أبو العباس أتكبرات قوم وقد نزلت إلى الأكرمين أعاظم هشام فلا تنكرن مباذلي
فإن لمثلك خلوّ الغيام فلما انصرف الرجل سألناه عنه فقيل هذا البحتري مجلس آخر تأويل آية
إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة قابيل وهابيل حاكيا عن هابيل لئن بسطت إلي يدك لتقتلني
ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون
من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فقال كيف يجوز أن يخبر عن هابيل وقد وصفه بالتقوى و
الطاعة بأنه يريد أن يبوء أخوه بالإثم وذلك إرادة القبيح وإرادة القبيح قبيحة عندكم على كل حال وقد
جعلكونها إنما يتعين وكيف يصح أن يبوء القاتل بإثمه وإثم غيره وهل هذا إلا ما يؤمن من أخذ البريء
بجرم السقيم الجواب قلنا أجوبة أهل الحق عن هذه الآية معروفة وهو أن هابيل لم يرد من أخيه قبيحا
ولا أراد أن يقتله وإنما أراد ما أخبر الله تعالى عنه من قوله إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك أي
أريد أن تبوء بجزاء ما أقدمت عليه من القبيح وعقابه وليس يصح أن يريد نزول العقاب المستحق بمستحقه
ويظهر قوله بإثمي مع أن المراد به عقوبة إثمي الذي هو قتلي قول القائل لمن يعاقب على ذنب جنى هذا
ما كسبت يداك والمعنى هذا جزاء ما كسبت يداك وكذلك قولهم لمن يدعون عليه لقاك الله
عملك وستلقى عملك يوم القيامة معناه ما ذكرناه فإن قيل كيف يجوز أن يحسن أن يريد عقابا
غير مستحق لم يقع سببه لأن القتل على هذا القول لم يكن وقع قلنا ذلك جائز بشرط وقوع
الأمر الذي يستحق به العقاب فهابيل إنما أراد من أخيه التصميم على قتله والعزم على إمضاء القبيح
فيه وقد غلب على ظنه وقوع ذلك جاز أن يريد عقابه بشرط أن يفعل ما هم به وعزم عليه فأما قوله
بإثمي وإثمك فالمعنى فيه والغرض لأنه أراد بإثمي عقاب قتله لي وإثمك أي عقاب المعصية التي أقدمت
عليها من قبل فلم يتقبل قربانك بسببها لأن الله تعالى أخبر عنهما أنهما قربا قربانا فتقبل من
أحدهما ولم يتقبل من الآخر بأن العلة في أن قربان أحدهما لم يتقبل أنه غير متق فليس يمتنع أن
يريد بإثمي ما ذكرناه لأن الإثم مصدر والمصادر قد تضاف إلى الفاعل والمفعول جميعا وذلك يستعمل
مطرد في القرآن والشعر والكلام فمثال ما أضيف إلى الفاعل قوله تعالى ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض ومن إضافته إلى المفعول قوله تعالى لا يسأم الإنسان من دعاء الخير
ولقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ومما جاء في الشعر من إضافته إلى المفعول في معنى الفاعل
قول الشاعر أمن رسم دار مربع ومصيف لعينيك من ماء الشؤون وكيف وفي الكلام يقول
القائل عجبت من ضرب عمرو خالدا إذا كان عمرو فاعلا ومن ضرب عمرو خالد إذا كان عمرو مفعولا وقد
ذكر قوم في الآية وجها آخر وهو أن يكون المراد أني أريد زوال أن تبوء بإثمي وإثمك لأنه لو يريد

عناه البيت وكيف من ماء الشؤون لأجل أن [illegible] وصيف [illegible]

لم لا

له لا الرشد الخ فحذف الزوال وأقام أن وما اتصل به مقامه كما قال تعالى وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم
أراد حب العجل فحذف الحب وأقام العجل مقامه وكما قال تعالى واسأل القرية وهذا قول بعيد لأنه لا دلالة
في الكلام على محذوف وإنما يحسن الحذف في بعض المواضع لاقتضاء الكلام للمحذوف ودلالته عليه وقد — استحسن العرب
ذكر أيضا وجه آخر وهو أن يكون المعنى إني أريد أن لا تبوء بإثمي وإثمك أي أريد أن لا تقتلني ولا أقتلك
فحذف لا واكتفى بما في الكلام كما قال تعالى يبين الله لكم أن تضلوا ومعناه أن لا تضلوا وكقوله تعالى
وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم معناه لئلا تميد بكم وكقول الخنساء فآليت آسى على هالك
وأسأل نائحة ما لها أراد لا آسى وقال امرؤ القيس فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي — ولا أسأل
لديك وأوصالي أراد لا أبرح وقال عمرو بن كلثوم نزلتم منزل الأضياف منا فعجلنا القرى أن تشتمونا
أراد أن لا تشتمونا والشواهد في هذا كثيرة جدا وهذا الجواب يضعفه كثير من أهل العربية لأنهم لا
يستحسنون إضمار لا في مثل هذا الموضع فأما قوله تعالى حاكيا عنه لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما
أنا بباسط يدي إليك لأقتلك فقال قوم من المفسرين إن القتل على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن
مباحا في ذلك الوقت وأن الله تعالى أمره بالصبر عليه وامتحن بذلك ليكون هو المتولي للانتصار وقال
آخرون بل المعنى أنك إن بسطت إلي يدك مبتدئا ظالما لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك على وجه الظلم
والابتداء فكأنه نفى عن نفسه القتل القبيح وهو الواقع على سبيل الظلم والظاهر من الكلام بغير ما ذكر
من الوجهين أشبه لأنه تعالى أخبر عنه أنه وإن بسط أخوه يده ليقتله لا يبسط يده ليقتله أي وهو مريد
لقتله ومجتر إليه لأن هذه اللام يعني كي وهي منبئة عن الإرادة والغرض ولا شبهة في حظر ذلك وقبحه
لأن المدافع إنما يحسن منه المدافعة للظالم طلبا للتخلص من غير أن يقصد إلى قتله والإضرار به ومتى
قصد ذلك كان في حكم المبتدئ بالقتل لأنه فاعل القبيح والعقل شاهد بوجوب التخلص من المضار بأي
وجه يمكن تعبدا أن يكون غير قبيح فإن قيل فكأنكم تمنعون من حسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار
والمدافعة وتوجبونهما على كل حال قلنا لا نمنع من ذلك وإنما بينا أن الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة
والانتصار على ما ذهب إليه قوم لأن قوله لأقتلك يقتضي أن يكون البسط لهذا الغرض والمدافعة لا
تقتضي ذلك ولا يحسن من المدافع أن يجري بها إلى الضرر فلا دلالة في الآية على تحريم المدافعة وفيه
أن يكون ما ذكرناه أولى تشبيها بالظاهر تأويل خبر إن سأل سائل عن معنى الخبر الذي يروى عن أبي هريرة — تأويل خبر
عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لا يموت لمؤمن ثلاثة من الأولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم
الجواب قيل له أما أبو عبيد القسم بن سلام فإنه قال يعني بتحلة القسم قوله تعالى وإن منكم إلا واردها كان
على ربك حتما مقضيا فكأنه قال لا يرد النار إلا بقدر ما يبر الله قسمه وأما ابن قتيبة فإنه قال وعيد هذه
آخرا شبه بكلام العرب في معانيهم وهو أن العرب إذا أراد تقليل مكث الشيء وتقصيره شبهوه

[illegible]

بتحليل القسم وذلك ان يقول الرجل بعد حلفه ان شاء الله فيقولون ما يقيم فلان عندنا الا تحلة القسم
وما ينام العليل الا كتحليل الالية وهو كثير وشهود وقال مزاحم ابن احمر وذكر الريح اذا عصفت وسما
فليس بدائم برقه الا تحلة مقسم يقول لا يثبت لونه الا قليلا كتحلة القسم من قبل الريح
بقلعه وقال اخر يكون يخفي التراب باظلاف ثمانية في اربع مسهن الارض تحليل يقول يقع
خفيف سريع فقوائمه لا يثبت في الارض الا كتحليل اليمين وقال ذو الرمة طوى طية فوق الكرى جفن
عينه على رهبات من جنان المحاذر قليلا كتحليل الالى ثم قلصت به شيمة روعاء تقليص
طائر الالى جمع الوة وهي اليمين ومعنى الحديث على هذا التاويل ان النار لا تمسه الا قليلا كتحليل
اليمين ثم ينجيه الله منها وقال ابو بكر محمد ابن القسم الانباري الصواب قول ابي عبيد لحجج ثلاث منها
اجماعة من كبار اهل العلم فرقوا على تفسير ابي عبيد ومنها انه ادعى ان النار تمس لله محبوا وتعظم منزلته
جليلة عند الله لكن مسا قليلا والقليل لا يقع به الالم العظيم وليس صفة الابرار في الاخرة صفة
من تمسه النار لا قليلا ولا كثيرا ومنها ان ابا عبيد لم يحكم على هذا المصاب بولد بمس النار
وانما حكم له بالورود والورود لا يوجب ان لا يكون من الابرار لان الاستثناء الاستثناء المنقطع
كانه قال فتمسه النار ولكن تحلة اليمين اي لكن ورود النار لا بد منه فجرى مجرى قول العرب سار
الناس الا الاثقال وارتحل العسكر الا اهل الخيام وانشد الفراء وصحبة المشي شمال اقطعت بها
ارضا يحار بها الهادي توهمها مهامها وحزونا لا انيس بها الا الضوابح والاصداء والبوم
وانشد الفراء ايضا ليس عليك عطش ولا جوع الا الرقاد والرقاد ممنوع فمعنى الحديث لا يموت
للمسلم ثلاثة من الولد فتمسه النار لكن تحلة يمين لا بد منها وتحلة اليمين الورود والورود لا
يقع فيه مس قال ابو بكر وقد سنح لي فيه قول اخر وهو ان تكون الا زائدة دخلت للتاكيد وتحلة
اليمين منصوب على الوقت والزمان ومعنى الخبر فتمسه النار وقت تحلة القسم والا زائدة قال الفرزدق
هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم وضحوا بلحم من محل ومحرم معناه هم القوم حيث سلوا سيوفهم
والا موكدة وقال الاخطل يقطعن الا من فروع بردها بمنخرق محمود ثناه قائله معناه يقطعن
الابل من فروع بردها والفروج الواسعة من الارض قال السيد قدس الله روحه والوجه المذكور
في تاويل الخبر المتقدم الا ان الوجه الذي اختص به ابن الانباري فيه ادنى تعسف وبعد من حيث
جعل الا زائدة وذلك كالمتعسف المستضعف عند جماعة من اهل العربية وقد بقي في الخبر مسئلة
والتشاغل بالجواب عنها اولى مما تكلفه القوم وهي متوجهة على كل الوجوه التي ذكروها في تاويله وهو
ان يقال كيف يجوز ان يخبر عليه السلام بان من مات له ثلاثة من الولد لا يمسه النار الا تحلة اذا فقدنا
تحلة القسم وهو النهاية في القلة او ليس ذلك يوجب ان يكون اغراء بالذنوب لمن هذه حاله واذا

الالية والالوة والالوة والالية والالوة اليمين والالى جمع الالوة

ثناه
ما نزل عنه

كان

كان من يموت له هذا العدد من الاولاد غير خارج عن التكليف فكيف يصح ان يؤمن من العقاب والجواب
عن ذلك انا قد علمنا ان مخرج هذا الخبر مخرج المدح لمن هذه صفته والتخصيص له والتمييز فلا
مدح في مجرد موت الاولاد لان ذلك لا يرجع الى فعله فلا بد من ان يكون تقدير الكلام ان النار لا تمس
المسلم الذي يموت له ثلاثة من الاولاد اذا احسن صبره واحتسابه وعزاءه ورضاه بما جرى به القضاء عليه
لانه بذلك يستحق الثواب والمدح واذا كان اضمار الصبر والاحتساب لا بد منه ثم يكن في القول اغراء
لان كيفية وقوع الصبر والوجه الذي اذا وقع عليه تفضل الله سبحانه بغفران ما لعله ان يستحقه
من العقاب في المستقبل اذا لم يكن معلوما متميزا فلا وجه للاغراء واكثر ما في هذا ان يكون القول — غير معلوم
مرغبا في حسن العزاء وحاثا عليه رغبة في الثواب ورجاء لغفران ما لعله ان يستحق في المستقبل
من العقاب وهذا واضح لمن تامله مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة فقال اما معنى او ههنا وظاهرها يفيد الشك الذي
لا يجوز عليه تعالى الجواب قلنا في ذلك وجوه اولها ان تكون او ههنا للاباحة كقولهم جالس
الحسن او ابن سيرين والق الفقهاء او المحدثين ولم يرد الشك بل كانهم قالوا هذان الرجلان
اهل للمجالسة وهذان القبيلان اهل للقاء فان جالست الحسن فانت مصيب وان جالست ابن سيرين — من العلماء والمحدثين
فانت مصيب وان جمعتهما فكذلك فيكون معنى الاية على هذا ان قلوب هؤلاء قاسية متجافية
عن الخير والرشد فان شبهتم قسوتها بالحجارة اصبتم وان شبهتموها بما هو اشد اصبتم وان
شبهتموها بالجميع فكذلك وعلى هذا يتاول قوله تعالى او كصيب من السماء لان او لم يرد بها
الشك بل على النحو الذي ذكرناه من انكم ان شبهتموهم بالذي استوقد نارا فجايز وان شبهتموهم
باصحاب الصيب فجايز وان شبهتموهم بالجميع فكذلك وثانيها ان تكون او دخلت للتفصيل والتمييز
ويكون معنى الاية ان قلوبهم قست فبعضها ما هو كالحجارة في القسوة ومنها ما هو اشد
قسوة منها ويجري ذلك مجرى قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا ومعناه وقال
بعضهم كونوا هودا وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى وهم النصارى فدخلت او للتفصيل و
كذلك قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون معناه فجاء بعض
اهلها باسنا بياتا وجاء بعض اهلها باسنا وقت القيلولة وقد يحتمل قوله تعالى او كصيب من
السماء هذا الوجه ايضا ويكون المعنى ان بعضهم يشبه الذي استوقد نارا وبعضهم يشبه اصحاب
الصيب وثالثها ان تكون او دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع الى المخاطب وان كان الله تعالى
عالما بذلك غير شاك فيه لانه تعالى لم يقصد في اخبارهم عن ذلك الا التفصيل بل علم ان خطابهم
بالاجمال ابلغ في مصلحتهم فاخبر ان قسوة قلوب هؤلاء الذين ذمهم كالحجارة او اشد قسوة والمعنى

انهما كاحد هذين لا تخرج عنهما او يجري ذلك مجرى قولهم ما اطعمتك الا حلوا او حامضا فيبهمون
على المخاطب ما يعلمون انه لا فائدة في تفصيله والمعنى ما اطعمتك الا احد هذين الضربين وكذلك
يقول احدهم اكلت خبزا او تمرا وهو قد علم ما اكل على التفصيل لانه ابهم على المخاطب وقال
تمنى ابنتاي ان يعيش ابوهما وهل انا الا من ربيعة او مضر اراد هل انا الا من احد هذين الجنسين
فسبيلي ان افنى كما فنيا وانما حسن ذلك لان قصد الذي اجرى اليه وغرضه الذي نحاه وهو ان يجعل
يكون ممن يموت ويفنى ولا يخل به اجماله لما اجمل من كلامه فاضرب عن التفصيل لانه لا فائدة فيه
ولانه سواء كان من ربيعة او مضر فموته واجب كذلك الاية لان الغرض فيها ان يخبر تعالى عن شدة
قسوة قلوبهم وانها مما لا يخشى لوعظ ولا تصغى الى حق سواء كانت في القسوة كالحجارة او اشد
منها فقد تم ما اجرى اليه من الغرض في وصفها وذمها وصار تفصيل تشبيهها بالحجارة او بما
هو اشد قسوة منها كتفصيل كونه من ربيعة او مضر في انه غير محتاج اليه ولا يقتضيه الغرض في الكلام
ورابعها ان تكون او بمعنى بل كما قال تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون معناه بل يزيدون
وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
قال كانوا مائة الف وبضعة وثلاثين الفا وانشد الفراء بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها
او انت في العين املح وقد يكون ام في الاستفهام بمعنى بل كقول القائل اضربت عبد الله ام
رجل منعتب معناه بل انت وقال الشاعر فوالله ما ادري أسلمى تغولت ام النوم ام كل الي
حبيب معناه بل كل فقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز ان يخاطبنا تعالى بلفظة
بل وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي والاضراب عنه وليس ذلك بشيء اما الا
الاستدراك فان اريد به الاستفادة او التذكر لما لم يكن معلوما فليس بصحيح لان احدنا قد يقول
اعطيته الفا بل الفين وقصدته دفعة بل دفعتين وهو عالم في ابتداء كلامه بما اخبر به في
الثاني ولم يتجدد له به علم وان اريد به الاخذ في كلام غير الماضي واستيناف زيادة عليه فهو
صحيح ومثله جائز عليه واما النقض للكلام الماضي فليس هو الحق في كل موضع تستعمل فيه لفظة
بل لان القائل اذا قال اعطيته الفا بل الفين لم ينقض الاول وكيف ينقضه والاول داخل في
الثاني وانما زاد عليه وانما يكون ناقضا للماضي اذا قال لقيت رجلا بل حمارا او اعطيته درهما
بل ثوبا لان الاول لم يدخل في الثاني على وجه وقوله تعالى او اشد قسوة غير ناقض للاول لانه لم
لا تزيد في القسوة على الحجارة الا بان تكون ساويها وانما تزيد عليها بعد المساواة وخامسها ان تكون
او بمعنى الواو كقوله تعالى ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم معناه وبيوت آبائكم وقال جرير
نال الخلافة او كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر وقال جرير ايضا اثعلبة الفوارس

او رياحا

اذا رفعت صورتها فهو الابتداء والمعنى وصورتها في العين املح بل انت ومن جر الصورة عطف على مثل قرن الشمس ...

او رياحا عدلت بهم طهية والخشابا اراد ورياحا وقال توبة بن الحمير وقد زعمت ليلى باني فاجر
لنفسي تقاها او عليها فجورها وقال الآخر فلو ان البكاء يرد شيئا بكيت على بجير او عفاق
اذا هلكا جميعا لشانهما بشجو واشتياق اراد على بجير وعفاق وقد حكى المفضل بن سلمة هذا
الوجه عن قطرب وطعن عليه بان قال ليس شيء يعلم اشد قسوة عند المخاطبين من الحجارة فيشبه به
عليها وانما يصح ذلك في قولهم اطعمتك تمرا او احلى منه لان احلى منه معلوم واختار المفضل
الوجه الذي يتضمن ان او بمعنى بل وهذا الذي طعن به المفضل ليس بشيء لانهم وان لم يشاهدوا او
يعرفوا ما هو اشد قسوة من الحجارة فقسوة الحجارة معلومة لهم فيصح ان يقيسوا ما هو اشد منه
قسوة وماله الزيادة عليها لان تقديرا ما اذا عرف فصح ان يعرف ما هو ازيد منه او انقص لان الزيادة
والنقصان انما يثبتان الى معلوم معروف على ان الاية خرجت مخرج المثل واراد تعالى بوصف قلوبهم
بالزيادة في القسوة على الحجارة انها قد انتهت على حد لا تلين معه بخير على وجه من الوجوه وان كانت
الحجارة ربما لانت وانتفع بها فصارت من هذا الوجه كانها اشد قسوة منها تمثيلا وتشبيها فقول
المفضل ليس يعرفون ما هو اقسى من الحجارة لا معنى له اذا كان القول على طريق المثل وبعد فان الذي
طعن به على هذا الجواب يعترض به على الوجه الذي اختاره لانه اذا كان او في الاية بمعنى بل فكيف جاز
ان يخبرهم بان قلوبهم اشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو اقسى من الحجارة واذا جاز بان يقول
لهم بل قلوبهم اقسى مما تعرفون من الحجارة جاز ان يخبر عن مثل ذلك بالواو فيقول قلوبهم كالحجارة
التي يعرفون في القسوة وهي مع ذلك تزيد عليها فان قال قائل كيف تكون او في الاية بمعنى الواو
والواو للجمع وليس يجوز ان تكون قلوبهم كالحجارة او اشد من الحجارة في حال واحدة لان الشيء اذا
كان على صفة لم يجز ان يكون على خلافها قلنا قد اجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بان قال ليس يمتنع ان تكون
قلوبهم كالحجارة في حال واشد من الحجارة في حال اخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وهذا قريب فتكون فائدة
هذا الجواب ان قلوب هؤلاء في بعض الاحوال مع القسوة والعدول عن قبول الحق والتفكر فيه ربما
لانت بعض اللين وهمت بالانعطاف وكادت تصغي الى الحق فتكون في هذه الحال كالحجارة التي
ربما لانت وفي حالة اخرى تكون في نهاية البعد عن الخير والنفور عنه فتكون في هذه الحال اشد
قسوة من الحجارة على انه يمكن في هذا الجواب عن هذا الاعتراض وجه آخر قد تقدم معناه في بعض كلامنا
وهو ان قلوبهم لا تكون اشد من الحجارة الا بعد ان تكون فيها قسوة الحجارة لان القائل اذا قال
فلان اعلم من فلان فقد اخبر بانه زائد عليه في العلم الذي اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة
فليس ههنا تناف على ظن المعترض ولا اثبات لصفة ونفيها وكل هذا واضح بحمد الله ومنته قال
قدس الله روحه واني لاستحسن من الشعر قول الاحوص بن محمد الانصاري وهو في تصحيف الراي

نعود نام من بالتين حنظلة فقال لهم اخشاب
ميتا
اراد عدلت بهم ارقا ... طهية
والخشاب ...
ورياحا ... بن
مالك بن حنظلة
عقاق اسم رجل ...
... في قطعة احسابها

يخونونه * اتاني وعيد من جهول عند ذمه * دملت ولولا غيره لاصبته * تشعبا باقي عارها
تعز العظام وخو حسد اضغنا على كانما * اداوجيرفي كل مجمعة كلما * وتجهل احيانا فلا يستخفني
ولا اجهل العتبى اذا نبح الحلما * يصدع بنيان في الرخاء بودّه * ويدعوا ويدعو اذا اخشى المضما
فيفرج عنه دبر الخصم مشهدي * وادفع عنه عند عثرته الظلما * الا دبر الدهماء والا دبر العقد وكلا
المعنيين يحتمل لفظ البيت * وكتب مزاعم الفعال يفرّح * ما شرمجد بنا الدهر تكون نعماء
بلا فوق سيد اساد ما لكا * فتنسبه لا ابا الوغماء وكنب وشيبى في اروس مالك * نبيى له
كالكلب اذ نبح النجا * سعلان عارني تقع قوفو * اماكا افديك ابا لك او عرما لقد اعرف
الايام مني وعرسها * الاعدا انيا نخلا او خشادنا دغماء * وكانت عروق السواد دف وضرب
بها ان ينال الحما فالتمس الدما * ومن مختار قوله * اني لاخفى الليام والبخيء كالشمس لا تخفى بكل مكان
ما من مصيبة نكبة امنى بها * الا تشرفني ويعظم شاني * وقوله حين نزول عن مختط مخرج
بوادد لكالا قران * ومن جيد قوله * خليلا تواجبا بالهوى فقد اخشى * افادنها في وصلها وافادن
الا ان اهوى الناس من او دونه * ويجا اذا ما الليل غارت كواكبه صحيح دنا منى تدلت عبرته
فبات بعيني وبت اغاشه * واخبره في السر عني وبعينه * ما ان لبس شئ عند نفسي يقاربه وقد
غير في وغير كل من وصف الضاجعه امرؤ القيس بقوله * تقول وقد جردتها من ثيابها كما رعت
مكحولا من العين اتلعا * وجدك لو شيء اتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا * فبتنا
تذود الوحش عنا كاننا * قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا * اذا اخذتها هزة الروع امسكت بمنكب
مقدام على الهول اروعا * وقال علي بن الجهم في شدة الالتزام * سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة وادنى
فؤادا من فؤاد معذب * فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الراح فيما بيننا لم تسرب * ولعبد الصمد بن
المعذل في هذا المعنى * كانني عانقت ريحانة * تنفست في ليلها البارد * فلو ترانا في قميص الدجى
حسبتنا في جسد واحد * ولبشار بن برد * انني اشتهي لقاءك والله فما ذا عليك ان تلقاني * قد
تلف الرياح عصا من * البان الرطبة فيلتقيان * ومثل هذا للبحتري * ولم انس ليلتنا في العناق
لف الصبا بقضيب قضيبا * كما امتد الريح في مرها فطورا حقوقا وطورا هبوبا * وكان في مثل
هذا المعنى بعينه ولسنا ندري هل سبق البحتري او تاخر عنه * وضم لا بهسه واعتناق كما التف
القضيب على القضيب * ولعلي بن الجهم * وبتنا على رغم الحسود كاننا * خليطان من ماء الغمامة
والخمر * وهذا وان جعل في العناق فهو ماخوذ من قول بشار * واذا نلتقي خلف العيون كاننا سلاف
عقار بالتفاح مشوب * والاصل في هذا المعنى قول الاخطل * والناس من يعتد على اثره * من الحادثات
الخمر ومطلب مزها * كبيض الانوق المستكنة في الوكر * ولهي واياها اذا ما لقيتها * لكالماء من صوب

قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها

الغمامة والخمر وقد اخذ ايضا من قول ابن ابي عيينة * فقال ذاك اذ دعيتها ورد * مزاجان كاصفى
خمر ماء عذب قار * واخذه العباس بن الاحنف فقال * ما انس لا انس عيناها معطفة * على فؤادي
بنزاها على زاهي * وقولها ليته ثوبا على جسدك * اوليتني كنت سرا العباس * اوليته كان خمرا وكنت له
من ماء مزن فكنا الدهر في كاس * ومثله للبحتري * جعل نفسك من نفسي بمنزلة هي المضافات بين الماء
والراح * ولقد احسن بشار في قوله * لقد كان ما بيني زمانا وبينها * كما بين ريح المسك والعنبر الورد
اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكي قال حدثنا ابو العيناء قال حدثنا
العتبي عن ابيه قال سير الوليد بن عبد الملك الاحوص الى دهلك فكتب الاحوص الى عمر بن عبد
العزيز حين استخلف * وكيف ترى للنوم طعما ولذة * وخالك امسى موثقا في الحبائل * فمن ذا الذي
سال العرش تنالني * لشتمني وشاتما غير نابل * فقد جمعت في الحوادث فاجدنا حسوعلى غاء
تلك لنيل الجليل * اذا سرها يفرح وليس لنكبة * الكئيب بالخاشع المتضائل * فبعث عمر بن عبد العزيز الى
عراك بن مالك الذي كان يشهد عليه وقد مات في هذا البابين فقال عراك مكانه خير له فتركه في
موضعه فلما وليت يزيد بن عبد الملك جلد الاحوص وسيره غيرانه قال السيد المرتضى علم الهدى قدس الله
روحه انما كان الاحوص عمر بن عبد العزيز من جهة ان ام عمر هي ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب
وامها انصارية فاما قوله اذا سرها يفرح البيت فماخوذ من قول لقيط بن زرارة لامراة ان رخاء
العيش ساعده وليس ان عض مكروه بخشعا والاخوص * وبطن مكة لا ابوح به * فرمته غلبت
على قلبي * ولولانها اذ مر وكيها * يوم الكديد اطاعني صحبي * فلنا واجبيت من شجن ولركبها
حيث من ركب * والشوق اقتله برودتها * فقل الظما بالبارد العذب * والناس ان خلوا جمعهم * فجعا
سلاما وكنت في شعب * حللت شعيك من شعبهم * ولكان قربك منهم حسبي * فقوله والشوق اقتله
برودتها نظير قول جرير * فلما التقى الحيان القيت العصا * ومات الهوى لما اصيبت مقاتله

مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم
على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فقال كيف يامرهم ان يخبروا
بما لا يعلمون اوليس ذلك قبيحا من تكليف ما لا يطاق الذي تابونه والذي يجوزون تكليف العاجم
ارتفاع القدرة لا يجوز الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجهان احدهما ان ظاهر الآية وان
كانت امرا فالمقتضى التعلق بشرط وهو كونهم صادقين عالمين بانهم اذا اخبروا اخبروا بذلك صدقوا
فكانه قال لهم خبروا بذلك ان علمتموه ومتى رجعوا الى نفوسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم وهذا
بمنزلة ان يقول القائل لغيره خبرني بكذا وكذا ان كنت تعلمه وان كنت تعلم انك صادق فيما تخبر به
فان قيل الخبر قد قال المفسرون في قوله تعالى ان كنتم صادقين انه اراد اذ كنتم تعلمون بالعلة التي من اجلها

جعلت خليفة فى الارض او ان كنتم صادقين فى اعتقادكم انكم تقومون بما انصب الخليفة له وتطيعون
به وتصلحون له قلنا قد قيل كل ذلك وقيل ايضا ما ذكرناه وان كان القول محتملا للامرين جاز ان يحمل
الكلام على كل واحد منهما وهذا الجواب لا يتم الا لمن يذهب الى ان الله تعالى يصح ان يامر بالفعل بشرط
قد علم انه لا يحصل ولا يحسن ان يريد منه الفعل على هذا الوجه ومن ذهب الى جواز ذلك لم يجز ان
يعتمد على هذا الجواب فان قيل فاى فائدة فى ان يامرهم بان يخبروا بذلك بشرط ان يكونوا صادقين
وهو عالم بانهم لا يتمكنون من ذلك لعقد عليهم به قلنا المذهب الى الاصل الذى ذكرناه ان يقول
لا يمتنع ان يكون الغرض فى ذلك هو ان يكشف باقرارهم وامتناعهم من الاخبار بالاسماء ما اراد
الله تعالى بيانه من استيثاره بعلم الغيب وانفراده بالاطلاع على وجوه المصالح فى الدين فان
قيل فهذا يرجع الى الجواب الذى نذكره من بعد قلنا هو وان رجع الى هذا المعنى فبينهما بون من حيث
كان هذا الجواب على تسليم انه امر وانه تضمن الامر والتكليف الحقيقيين والجواب الثانى لا تسليم
ان القول امر على الحقيقة فمن ههنا افترقا والجواب الثانى ان يكون الامر وان كان ظاهره ظاهر الامر فليس
امرا على الحقيقة بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجة وقد يرد بصورة الامر ما ليس بامر فى القران
والشعر وكلام العرب مملوء بذلك وتلخيص هذا الجواب ان الله تعالى لما قال للملائكة انى جاعل
فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك فقال لهم انى اعلم ما لا تعلمون اى انى اطلع من مصالحكم وما هو انفع لكم فى دينكم على ما لا تطلعون
عليه ثم اراد التنبيه على انه لا يمتنع ان يكون غير الملائكة مع انها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصى
اولى بالاستخلاف فى الارض وان كان فى ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فعلم ادم عليه السلام
جميع الاسماء او اكثرها ثم قال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين مقررا لهم ومنبها على ما
ذكرناه ودالا على اختصاص ادم بما لم يختصوا به فلما اجابوه بالاعتراف والتسليم الى علام الغيوب بما
لا يعلمونه فقال الله تعالى لهم الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
منبها على انه تعالى هو المنفرد بعلم المصالح فى الدين وان الواجب على كل مكلف ان يسلم لامره تعالى و
انه لا يختار لعباده الا ما هو الاصلح لهم فى دينهم علموا وجه ذلك ام جهلوه وعلى هذا الجواب
يكون قوله تعالى ان كنتم صادقين محمولا على كونهم صادقين فى العلم بوجه المصلحة فى نصب الخليفة
او فى ظنهم انهم يقومون بما يقوم به هذا الخليفة ويكملون له فلولا ان الامر على ما ذكرناه وان
القول لا يقتضى التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم الم اقل لكم انى اعلم غيب
السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون معنى لان التكليف الاول لا يتغير حاله بان
يخبرهم ادم عليه السلام بالاسماء ولا يكون قوله انى اعلم غيب السموات والارض الى اخر الاية مطابقا

لما ذكرناه معنى دون معنى التكليف فكانه قال تعالى اذا كنتم لا تعلمون هذه الاسماء فانتم عن علم الغيب
اعجز وبان تسلموا الامر لمن يعلمه ويدبر امركم بحسبه اولى فان قيل كيف علمت الملائكة ان فى ذرية
ادم عليه السلام من يفسد فى الارض ويسفك الدماء وما طريق علمها بذلك وان كان معنى
غائبا فكيف يحسن ان تخبر عنهم بغير علم قلنا قد قيل انها لم تخبر وانما استفهمت فكانها قالت
متعرفة اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وقيل ان الله تعالى اخبرها بانه سيكون من ذريته هذا المتخلف
من بعضه ويفسد فى الارض فقالت على وجه التعرف لما فى هذا التدبير من المصلحة والاستفادة لوجه
الحكمة فيه اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وهذا الجواب الاخير يقتضى ان يكون فى اول الكلام حذف
ويكون التقدير واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة وانى عالم بانه سيكون من ذريته
من يفسد فيها ويسفك الدماء فاكتفى عن ايراد هذا المحذوف بقوله تعالى اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء لان فى ذلك دلالة على الاول وانما حذف اختصارا وفى جملة جميع الكلام
اختصار شديد لانه تعالى لما حكى عنهم قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك فان فى ضمن هذا الكلام فنحن على ما نظنه ويظهر لنا من الامر اولى بذلك
لانا نطيع وغيرنا يعصى وقوله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون يتضمن ايضا انى اعلم من مصالح المكلفين
ما لا تعلمونه وما يكون مخالفا لما تظنونه على ظواهر الامور وفى القران من الحذوف العجيبة
والاختصارات الفصيحة ما لا يوجد فى شىء من الكلام فمن ذلك قوله تعالى فى قصة يوسف عليه
السلام والناجى من صاحبيه فى السجن عند رؤيا الملك البقر السمان والعجاف انا انبئكم بتاويله
فارسلون فنفعلوا فاتى يوسف فقال له يوسف ايها الصديق افتنا ولو بسط الكلام فاورد محذوفه
لقال انا انبئكم بتاويله فارسلون فارسلوه فنفعلوا فاتى يوسف فقال له يوسف ايها الصديق افتنا ومثله
قوله تعالى فى الانعام قل انى امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين اى وقيل لى لا
تكونن من المشركين وكذلك قوله تعالى فى قصة سليمان عليه السلام ولسليمان الريح غدوها
شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم
عن امرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الى قوله اعملوا ال داود
شكرا اى وقيل لهم اعملوا ال داود شكرا وقال الحزين الم تر ان قيسا حين خاذ مجاشع ... يحبر
وما ان ينبغى من خبرها ... بنى ادم من ذى حيلة يعيرها ... غداة الصفا لم يبق الا عشوبها
ودم على ... مجوز مجاشع ... فبوتهم على ساق بطىء جبورها ... اراد فبوتهم على ساق بكسورة
بطىء جبورها كما انه كان فى قوله بطىء جبورها دليل على الكسر فاقتصر عليه وقال عنترة هل تبلغنى
دارها شدنية ... لعنت بمحروم الشراب مصرم ... يعنى ناقته ومعنى لعنت دعاء عليها بانقطاع

لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك هذا كله والناقة اذا كانت لا تنتج كان اقوى لها على السير
قال تابط شرا ويروى للشنفرى فلا اندهي تسقي ان دمي محرم عليكم ولكن خامري ام عامر لانه
اراد لا اندهي فتحملي وعوني فاكلني التي يقال لها خامري ام عامر وهي الضبع وقال اوس بن حجر
حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا اراد لم ار كاليوم فحذف وقال ابو داود الايادي
ان من شيمتي لبذل تلادي دون عرضي فان رضيت فكوني اراد فكوني معي على ما انا عليه وان
سخطت فبيني فحذف هذا كله وقال آخر اذا قيل سيروا ان ليلى لعلها جرى دون ليلى مائل القرن اعضب
اراد لعلها قريب وهذا باب يتسع واكثر من ان نحيط به والحذف غير الاختصار وقوم يظنون انهما
واحد وليسا كذلك لان الحذف يتعلق بالالفاظ وهو ان نأتي بلفظ يقتضي غيره ويتعلق به ولا
يستقل بنفسه ويكون في الموجود دلالة على المحذوف فنقتصر عليه طلبا للاختصار والاختصار
يرجع الى المعاني وهو ان نأتي بلفظ مفيد لمعان كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتيج الى اكثر من ذلك
اللفظ فلا حذف الا وهو اختصار وليس كل اختصار حذفا فمثال الحذف قوله ولكن خامري ام عامر
ونظائره مما انشدناه لان القول غير مستقل بنفسه بل يقتضي كلاما آخر غيره لما كان فيه دلالة على
ما حذف حسن استعماله ومثال الاختصار الذي ليس بحذف قول الشاعر اولاد جفنة حول قبر
ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل اراد انهم اعزاء مقيمون بدار مملكتهم لا ينتجعون كالاعراب
فاختصر هذا المبسوط في قوله حول قبر ابيهم ومثله قول عدي بن زيد عالم بالذي يريد نقي الصدر
عف على جباه محمود وفي معنى الاختصار قول اوس بن حجر وفينا وان قيل اصطلحنا لا انجم لحامهم اذا اشبه النجم
الصوار النوافرا فقوله لا انجم لحامهم لفظ مختصر ولو بسطه لقال انهم لا يدخرون اللحم ولا يستبقونه
فيخم بل يطعمونه الضيفان والطراق ومعنى قوله اذا اشبه النجم الصوار النوافرا يعني في شدة البرد
وكلب الشتاء لان الثريا تطلع في هذا الزمان عشاء كانها صوار متفرق وهذا ايضا اكثر من ان
يحصى وانما فضل الكلام الفصيح بعضه على بعض لقوة حظه من افادة المعاني الكثيرة بالالفاظ
المختصرة فاما قوله تعالى ثم عرضهم على الملئكة بعد ذكر الاسماء التي لا تليق بها هذه الكناية فالمراد به
عرض المسميات لان الكناية لا تليق بالاسماء ولا بد من ان تكون تلك المسميات او فيها من يجوز ان يكنى
عنه بهذه الكناية لانها لا تستعمل الا في العقلاء ومن جرى مجراهم وقيل في قراءة ابي ثم عرضها وفي
قراءة عبد الله بن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح ان تكون الكناية عن الاسماء قال
قدس الله روحه وقد بقي في هذه الاية سؤال لم نجد احدا ممن تكلم في تفسير القران ولا في متشابهه
ومشكله تعرض له وهو من مهم ما يسأل عنه وذلك ان يقال من اين علمت الملئكة لما اخبرها آدم عليه
السلم بتلك الاسماء صحة قوله ومطابقة الاسماء للمسميات وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل اذ لو كانت

في الفرق بين الحذف والاختصار

الملئكة عالمة لاخبرت بالاسماء ولم تعترف بفقد العلم والكلام يقتضي انهم لما انبأهم آدم بالاسماء
علموا صحتها ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض معنى
ولا كانوا استفادوا بذلك نبوته وتميزه واختصاصه بما ليس لهم لان كل ذلك انما يتم مع العلم دون
غيره والجواب انه غير ممتنع ان تكون الملئكة في الاول غير عارفين بتلك الاسماء فلما انبأهم آدم عليه السلم
بها فعل الله لهم في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات اما عن طريق او ابتداء بلا طريق
فعلموا بذلك تميزه واختصاصه وليس لاحد ان يقول ان ذلك يؤدي الى انهم علموا نبوته اضطرارا
وفي هذا منافاة لطريقة التكليف وذلك انه ليس في علمهم بصحة ما اخبر به ضرورة ما يقتضي العلم
بالنبوة ضرورة بل بعده درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها ويجري هذا مجرى ان يخبر احدنا
نبي بما فعلناه على سبيل التفصيل على وجه يخرق العادة وهو وان كان عالما بصدق خبره ضرورة
لا بد له من الاستدلال فيما بعد على نبوته لان علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوته لكنه طريق
يوصل اليها على ترتيب وجه آخر وهو انه لا يمتنع ان تكون للملئكة لغات مختلفة فكل قبيل
منهم يعرف اسماء الاجناس في لغته دون لغة غيره الا ان تكون احاطة عالم واحد باسماء الاجناس
في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما اراد الله تعالى التنبيه على نبوة آدم عليه السلم علمه جميع تلك الاسماء
فلما اخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما اخبر به من الاسماء للغته وهذا لا يحتاج فيه الى الرجوع
الى غيره وعلم مطابقة ذلك لباقي اللغات بخبر كل قبيل ولا شك في ان كل قبيل اذا كانوا كثيرة وخبرا
يجري هذا المجرى علم بخبرهم فاذا اخبر كل قبيل صاحبه علم من ذلك في لغة غيره ما علمه في لغته
هذا الجواب يقتضي ان يكون قوله انبئوني باسماء هؤلاء اي ليخبرني كل قبيل منكم بجميع هذه الاسماء
وهذان الجوابان جميعا مبنيان على ان آدم عليه السلم لم يتقدم لهم العلم بنبوته وان اخباره
بالاسماء كان افتتاح معجزاته لانه لو كان نبيا قبل ذلك وكانوا قد علموا تقدم ظهور معجزات على
يديه لم يحتج الى هذين الجوابين معا لانهم يعلمون اذا كانت الحال هذه مطابقة الاسماء للمسميات
بعد ان لم يعلموا ذلك بقوله الذي قد امنوا فيه غير الصدق وهذا بين لمن تأمله قال السيد قدس
الله روحه رايت قوما ممن تكلم على معاني الشعر يذكرون في بيت حسان بن ثابت لم تفتها شمس النهار
بشيء غير ان الشباب ليس يدوم ان المراد به الاعتذار من كبرها وعلو سنها فكانه قال لم تفتها
شمس النهار بشيء غير انها كبيرة طاعنة في السن وعندهم في ذلك ان الشباب ليس مما يدوم لامحالة
وهذا الذي ذكروه ليس بشيء والاشبه الاولى ان يكون مراد حسان ان شمس النهار لم تفتها بشيء غير
شبابها مما لا يدوم ولا بد من ان يلحقها الهرم كذلك لا يلحق الشمس ولم يرد انها في الحال كذلك وكيف
يريد ما توهموه مع قوله يا لقومي هل يقتل المرء مثلي واهن البطش والعظام سؤوم شأنها

قوله تعالى وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ الآية

العطر والفراش وتعلوها الجبين ولؤلؤ منظوم او يدبّ الحولي من ولد الذرّ عليها لاندبتها الكلوم
وهذه الاوصاف لا تليق بمن طعن في السن من النساء ولا يوصف بمثلها الا الصبايا والاحداث ومن
العجائب ان الاستخراج على ما حكيته مسند الى الاصمعي ومن اولى من ان تكون نتيجة تغلغله ومن
تتبع امثاله هذه الثمرة بالاضراب عن استخراج المعاني والبحث عنها ومما فسره اصحاب المعاني على وجه
هو بغيره اشبه واقل ما يحتمل ان يكون محتملا للامرين فلا يقتصر احدهما قول الخنساء يا صخر ورّاد
ماء قد تناذره اهل الموارد ما في ورده عار لانهم يقولون مرادها بالبيت انه فرّ لا يرده ده
غاد يظنون انه متى لم يحمل على ذلك لم تكن له فائدة ولا فيه مدح ويجري مجرى قول المرقش على طول
الحياة ندم ومن وراء المرء ما لا يعلم وليس الامر كما ظنوه لانه يحتمل ان يريد بانه لا عار في ورده على طالب
الكلام والفائدة فيه ظاهرة لان البيت ان تضمن ذكر ورود الماء فهو كناية عن ركوب الامور الصعاب
التي من جملتها ايراد الماء عليه وهو اتكاثها فالت تلك تورديها وقد تناذره الناس وهو ركوب امر صعب
فلا يكاد عنه الخلوق فكان يذكر ذلك على الشجاعة والبسالة ومع ذلك فلا عار عليك فيه وكونه لا عار يعيبه
فعال الانسان فلا يجوز بلا اكثر الخطأ من الشجاعة وان يحفظ بعض العار من قطيعة رحم او نكث عهد
او ما جرى هذا المجرى فكانها نفت عن فعله وجوه العار وليس يجري في ذلك مجرى قول المرقش ليس
على طول الحياة ندم لان البيت في لو حمل على ان المراد به ليس على فوت طول الحياة ندم لو يفيد شيئا
وقد بحثنا فايدة بيت الخنساء اذا كان المراد ما ذكرناه

مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون الجواب
قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه اولها ان يكون المعنى واسأل اتباع من ارسلنا من قبلك من رسلنا
ويجري ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم والشعر زهير فهم يريدون السخاء سخاء حاتم فاقاموا حاتما
مقام السخاء المضاف اليه ومثله قوله تعالى ولكن البر من اتقى ومثله قول الشاعر لهم مجلس
صهب السبال اذلة سواسية احرارها وعبيدها والمراد بالسؤال في ظاهر الكلام النبي صلى
الله عليه وآله وهو في المعنى لأمته لانه عليه السلام لا يحتاج الى السؤال الكنه خوطب خطاب امته كما قال
تعالى المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه فافرده بالمخاطبة ثم رجع الى الخطاب الجمع فقال
اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وفي موضع آخر يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين فخاطبه عليه السلام
والمعنى لامته لانه بيّن ذلك بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا وقال تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم
النساء فوحد وجمع في موضع واحد للمعنى الذي ذكرناه وقال الكميت الى السراج المنير احمد لا
يعدلني رغبة ولا رهب عنه الى غيره ولو رفع الناس الي العيون وارتقبوا وقيل افرطت بل قصدت
ولو عنفني القائلون او ثلبوا اليج بتفضيلك اللسان ولو اكثر فيك الضجاج واللجب انت المصفى المحض

المهذب في النسبة ان نص قومك النسب فظاهر الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمقصود به اهل بيته عليهم السلام
لان احدا من المسلمين لا يمتنع من تفضيله عليه السلام والاطناب في وصف فضائله ومناقبه ولا يعنف
في ذلك احد وانما اراد الكميت ان اكثر في مدح اهل بيته وذويه الضجاج واللجب والتقريع والتعنيف
فوجه القول اليه والمراد به غيره ولذلك وجه صحيح وهو ان المراد بهم لانهم لا ينتسبون اليهم ولا ينقطعون
الى محبتهم لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو المقصود بذلك اجمع جاز ان يخرج الكميت الكلام
هذا المخرج ويضعه هذا الموضع وقيل ان المراد باتباع الانبياء الذين امر بمسألتهم هم مؤمنو
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام ونظائره وليس يمتنع ان يكون هو عليه السلام المأمور
بالمسألة على الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب وان لم يكن شاكا في ذلك ولا مرتابا به ويكون الوجه
فيه تقريره اهل الكتاب به واقامة الحجة عليهم باعترافهم او لان بعض مشركي العرب انكر ان تكون كتب
الله تعالى المتقدمة والانبياء عليهم السلام الاولون بها دعت الى التوحيد فامر عليه السلام بتقرير اهل
الكتب لتزول الشبهة عمن اعترضته والجواب الثاني ان يكون السؤال متوجها اليه عليه السلام دون امته
والمعنى ان لقيت النبيين في السماء بذلك فاسألهم عن ذلك لان الرواية قد وردت بانه صلى الله
عليه وآله لقي النبيين في السماء فسلم عليهم وامّهم ولا يكون امره بالسؤال لانه كان شاكا لان مثل
ذلك لا يجوز عليه والثاني فيه تكون لبعض المصالح الراجعة الى الدين مما لا يخفى عليه عليه السلام او يتعلق
ببعض الملائكة الذين يسمعون ما يجري بينه وبين النبيين من سؤال وجواب والجواب الثالث
ما اجاب به ابن قتيبة وهو ان يكون المعنى فاسأل من ارسلنا اليه قبلك رسلا من رسلنا يعني اهل
الكتاب وهذا الجواب وان كان يوافق في المعنى الجواب الاول ففيه مما اختلاف في تقدير الكلام وكيفية
تأويله فلهذا صارا مفترقين وقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل انه اخطأ في الاعراب لان لفظ
اليه لا يصح اضماره في هذا الموضع لانهم لا يجيزون الذي جلست عبد الله على معنى الذي جلست اليه
عبد الله لان اليه حرف منفصل عن الفعل والمنفصل لا يضمر فلما كان القائل اذا قال الذي اكرمت
اياه عبد الله لم يجز ان يضمر اياه لانفصاله عن الفعل كانت لفظة اليه بمنزلته وكذلك لا يجوز الذي
رغبت محمد بمعنى الذي رغبت فيه لان الاضمار انما يحسن في الهاء المتصلة بالفعل كقولك الذي اكلت
طعامك في الذي لقيت صديقك معناهما اكلته ولقيته وقال الفراء انما حذفت الهاء لان الذي
عليها وقال غيره في حذفها غير ذلك وكل هذا ليس مما تقدم في شيء فصح ان جواب ابن قتيبة مشتبه
والمعتمد على ما تقدم تأويل خبر ان سأل سائل عن معنى ما رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله
عليه وآله من قوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه الجواب قلنا اما
ابو عبيد القسم بن سلام فانه قال في تأويل هذا الخبر سألت محمد بن الحسن عن تفسيره فقال كان هذا

في اول الاسلام قبل ان تنزل الفرائض وتؤمر المسلمون بالجهاد قال ابو عبيد كانه ذهب الى انه لو كان يولد على الفطرة ثم مات قبل ان يهوده ابواه او ينصراه ما ورثاه وكذلك لو ماتا قبله ما ورثهما لانه مسلم وهما كافران وما كان ايضا يجوز ان يسبى فلما نزلت الفرائض وجرت السنن بخلاف ذلك علم انه يولد على دينهما قال ابو عبيد واما عبد الله بن المبارك فانه قال هو يفسره الحديث الآخر الذي يتضمن انه عليه السلام سئل عن اطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين يذهب الى انهم يولدون على ما يصيرون اليه من اسلام او كفر فمن كان في علمه تعالى انه يصير مسلما فانه يولد على الفطرة ومن كان في علمه انه يموت كافرا ولد على ذلك قال ابو عبيد ومما يشبه هذا الحديث حديثه الآخر انه قال يقول الله عز وجل اني خلقت عبادي جميعا حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وجعلت ما احللت لهم حراما قال ابو عبيد يريد بذلك البحائر والسيب وغير ذلك مما احل الله تعالى فجعلوه حراما واما ابن قتيبة فقال وقد حكى ما ذكرناه عن ابي عبيد لست ادري ما حكاه ابو عبيد عن عبد الله بن المبارك ومحمد بن الحسن مقنعا لمن اراد ان يعرف معنى الحديث لانهما لم يزيدا على ان ردا على ما قال به اهل القدر وتفسير محمد بن الحسن يدل على ان الحديث عنده منسوخ و النسخ لا يكون في الاخبار وانما يكون في الامر والنهي قال ولا يجوز ان يراد به على تأويل ابن المبارك بعض المولود دون بعض لان مخرجه مخرج العموم قال ولا ادري معنى الحديث الا ما ذهب اليه حماد بن سلمة فانه قال فيه هذا عندنا حيث اخذ العهد عليهم في اصلاب آبائهم حين مسح الله تعالى ظهر آدم فاخرج منه ذريته الى يوم القيامة امثال الذر واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فاراد عليه السلام ان كل مولود يولد في العالم على ذلك العهد وعلى ذلك الاقرار الاول وهو الفطرة قال السيد قدس الله روحه هذا كله تخليط وبعد عن الجواب الصحيح والصحيح في تأويل قوله يولد على الفطرة يحتمل امرين احدهما ان يكون الفطرة ههنا الدين ويكون على بمعنى اللام فكانه قال كل مولود يولد للدين ومن اجل الدين لان الله تعالى لم يخلق من يبلغه مبلغ المكلفين الا ليعبده فينتفع بعبادته يشهد بذلك قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والدليل على ان على يقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السكيت عن ابي زيد عن العرب انهم يقولون صف على كذا وكذا حتى اعرفه بمعنى صفه لي ويقولون ما اغبطك علي يريدون ما اغبطك لي والعرب تقيم بعض الصفات مقام بعض فيقولون سقط الرجل لوجهه يريدون على وجهه وقال الطرماح كان مخواها على ثفناتها معرس خمس وقعت للجناجن اراد على الجناجن وقال عنترة شربت بماء الدحرضين فاصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم معناه شربت الناقة من الماء الدحرضين وهما ماءان يقال لاحدهما واسع وللآخر دحرض فغلب الاشهر فهو الدحرض وانما ساغ ان يريد

اغبطك

بعضهم وفي الصفات

اباحس معظم الصدور

بالفطرة

بالفطرة التي هي الخلقة في اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها وقد يجري على الشيء اسم ما له هذا الضرب من التعلق والاختصاص وعلى هذا يتأول قوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها اراد دين الله الذي خلق الخلق له وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله اراد به ان ما خلق العباد له من العبادة والطاعة ليس مما يتغير ويختلف حتى يخلق قوما للطاعة و آخرين للمعصية ويجوز ان يريد بذلك الامر وان كان ظاهره ظاهر الخبر فكانه تعالى قال لا تبدلوا ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بان تعصوا وتخالفوا والوجه الآخر في تأويل قوله عليه السلام الفطرة ان يكون المراد به الخلقة وتكون لفظة على على ظاهرها لم يرد بها غيرها ويكون المعنى كل مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وعبادته والايمان به لانه جل وعز قد صور الخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والايمان به وان لم ينظروا ويعرفوا فكانه عليه السلام قال كل مخلوق ومولود فهو يدل بخلقته وصورته على عبادة الله تعالى وان عدل بعضهم فصار يهوديا او نصرانيا وهذا الوجه ايضا يحتمله قوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها واذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقوله عليه السلام حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه يحتمل وجهين احدهما من كان يهوديا او نصرانيا ممن خلقته لعبادتي ولديني فانما جعله ابواه كذلك او من جرى مجراهما ممن اوقع له الشبهة وقلده الضلال عن الدين وانما خص الابوين لان الاولاد في الاكثر ينشأون على مذاهب آبائهم ويألفون اديانهم ونحلهم ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن ضلال العباد وكفرهم وانه انما خلقهم للايمان فصدهم عنه آباؤهم او من جرى مجراهم والوجه الآخر ان يكون معنى يهودانه وينصرانه اي يلحقانه باحكامهما لان اطفال اهل الذمة قد الحق الشرع احكامهم باحكامهم فكانه عليه السلام قال لا تتوهموا من حيث لحقت احكام اليهود والنصارى اطفالهم انهم خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا الا للايمان والدين الصحيح لكن آباءهم هم الذين ادخلوهم في احكامهم وعبر عن ادخالهم في احكامهم بقوله يهودانه وينصرانه وهذا واضح فاما جواب ابي عبيد الذي حكاه عن محمد بن الحسن فانا اذا تمكنا من حمل الخبر على وجه يسلم معه من النسخ لم يخرج المخرج وانما توهم النسخ لاعتقاده ان خلقهم على الفطرة يمنع من الحاقهم بحكم آبائهم وذلك غير ممتنع واما الجواب الذي حكاه عن ابن المبارك ففاسد لان الله تعالى لا يجوز ان يخلق احدا للكفر وكيف يخلقه للكفر وهو يأمره بالايمان ويريده منه ويعاقبه ويذمه على خلافه فاما ما روي عنه عليه السلام وقد سئل عن اطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين فانه يحتمل ان يكون عليه السلام انما سئل عمن يبلغ من اطفال المشركين كيف يكون صورته والى اي شيء تنتهي عاقبته فقال الله اعلم بما كانوا عاملين فاراد ان ذلك مستور عني ولو كانت المسألة عن غير

ما خلقكم الله تعالى له من الدين

على معرفته وعبادة الله تعالى

وافلا لم يجز ان يكون الجواب ثان فاما ابن قتيبة فانه رد على ابي عبيد من غير وجه يقتضي الرد وعوّل
جواب ابن المبارك باعتبار العموم والخصوص وترك ان يفسده من الوجه الذي يفسد به وهو
الذي ذكرناه وكيف يتجه على ما يفسده من هذه الجهة وقد اختار في تاويل الخبر ما يجري في الفساد
والاختلال مجرى تاويل ابن المبارك فاما النسخ في الاخبار فجائز اذا تضمنت معنى الامر والنهي
ويكون ما دل على جواز النسخ في الاوامر دالا على جواز ذلك فيها وهذا مثل ان يقول عليه السلام الصلوة
واجبة عليكم ثم يقول بعد زمان ليست بواجبة فيستدل بالثاني على نسخ الحكم الاول كما لو قال
صلوا ثم قال لا تصلوا كان النهي الثاني ناسخا للاول واما الجواب الذي ذكره ابن قتيبة فقد بينا
فساده فيما تقدم من الامالي عند تاويلنا لقوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم
واشهدهم على انفسهم وافسدنا قول من اعتقد انه مسح ظهر آدم واستخرج منه الذرية واشهدها
على نفوسها واخذ اقرارها بمعرفته بوجوه من الكلام فلا طائل في اعادته مجلس آخر تاويل آية ان
سأل سائل عن قوله تعالى فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين
فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فقال ما معنى الاستثناء ههنا و
المراد التأبيد والدوام ثم ما معنى التمثيل بمدة السموات والارض التي تفنى وتنقطع الجواب
قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه اولها ان تكون الا وان كان ظاهرها الاستثناء فالمراد بها
الزيادة فكانه تعالى قال خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك من الزيادة لهم على
هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لي عليك الف دينار الا الالفين اللذين اقرضتكهما وقت كذا
وكذا والالفان زيادة على الالف بغير شك لان الكثير لا يستثنى من القليل وهذا الجواب يختار
الفراء وغيره من المفسرين والمعنى الثاني ان يكون المعنى الا ما شاء ربك من كونهم قبل دخول
الجنة والنار في الدنيا وفي البرزخ الذي هو ما بين الحياة والموت وفي احوال المحاسبة والعرض وغير
ذلك لانه تعالى لو قال خالدين فيها ابدا ولم يستثن لتوهم متوهم انهم يكونون في الجنة والنار من
لدن نزول الآية او من بعد انقطاع التكليف فصار للاستثناء وجه وفائدة معقولة والوجه
الثالث ان تكون الا بمعنى الواو والتاويل خالدين فيها ما دامت السموات والارض وما شاء ربك من
الزيادة واستشهد على ذلك بقول الشاعر وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان معناه
والفرقدان وبقول الآخر وارى لها دارا باغدرة السيدان لم يدرس لها رسم الا رمادا هامدا
دفعت عنه الرياح خوالد سحم والمراد الا ههنا الواو والا كان الكلام متناقضا والوجه
الرابع ان يكون الاستثناء في الاول متصلا بقوله لهم فيها زفير وشهيق وتقدير الكلام لهم في النار

قوله تعالى فاما الذين شقوا ففي النار لهم

زفير

زفير وشهيق الا ما شاء ربك من اجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين ولا يتعلق الاستثناء
بالخلود فان قيل فهبوا ان هذا امكن في الاستثناء الاول كيف يمكن في الثاني قلنا نحمل الثاني على
استثناء المكث في المحاسبة والموقف او غير ذلك مما تقدم ذكره والوجه الخامس ان يكون الا
الاستثناء غير مؤثر في النقصان من الخلود وانما الغرض فيه انه لو شاء ان يخرجهم ولا يخلدهم
لفعل وان التخليد انما يكون بمشيته وارادته كما يقول القائل لغيره والله لاضربنك الا ان ارى
غير ذلك وهو لا ينوي الا ضربه ومعنى استثنائه اني لو شئت ان لا اضربك لفعلت وتمكنت
غير انه مجمع على ضربك والوجه السادس ان يكون تعليق ذلك بالمشية على سبيل التاكيد للخلود
والتبعيد للخروج لان الله تعالى لا يشاء الا تخليدهم على ما حكم به ودل عليه ويجري ذلك مجرى
قول العرب والله لا اهجرك الا ان يشيب الغراب ويبيض القار ومعنى ذلك اني لا اهجرك ابدا من حيث
علقت بشرط معلوم انه لا يحصل وكذلك معنى الآيتين والمراد بهما انهم خالدون ابدا الا ان الله
تعالى لا يشاء ان يقطع خلودهم والوجه السابع ان يكون المراد بالذين شقوا من ادخل النار من اهل
الايمان الذين ضموا الى ايمانهم وطاعاتهم المعاصي فقال تعالى انهم معاقبون في النار الا ما شاء
ربك من اخراجهم الى الجنة وايصال ثواب طاعاتهم اليهم ويجوز ايضا ان يريد باهل الشقاء ههنا
جميع الداخلين الى جهنم ثم استثنى بقوله الا ما شاء ربك اهل الطاعات منهم ومن يستحق ثوابا
لا بد ان يوصل اليه فقال الا ما شاء ربك من اخراج بعضهم وهم اهل الثواب واما الذين سعدوا
فانما استثنى من خلودهم ايضا لما ذكرناه لان من نقل من النار الى الجنة وخلد فيها لا بد الا
عنه بتابيد خلوده من استثناء ما تقدم فكانه تعالى قال انهم خالدون في الجنة ما دامت السموات
والارض الا ما شاء ربك من الوقت الذي ادخلهم فيه النار قبل ان ينقلهم الى الجنة والذين شقوا
على هذا الجواب هم الذين سعدوا وانما اجرى عليهم كل لفظ في الحال التي تليق بهم فهم اذا ادخلوا
النار وعوقبوا فيها من اهل الشقاء واذا نقلوا الى الجنة من اهل السعادة وقد ذهب الى هذا
الوجه جماعة من المفسرين كابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم وروى بشر بن عمارة عن ابي روق عن
الضحاك عن ابن عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وانما هم قوم من اهل التوحيد يدخلون النار
بذنوبهم ثم يتفضل الله سبحانه عليهم فيخرجهم من النار الى الجنة فيكونون اشقياء في حال سعداء
في حال اخرى فاما تعليق الخلود بدوام السموات والارض ففيه وجوه منها انه لم يجعل ذلك شرطا
في الدوام وانما علقه على طريق التبعيد وتاكيد الدوام لان للعرب في مثل هذا عادة معروفة
خاطبهم الله تعالى عليها لانهم يقولون لا افعل كذا ما لاح كوكب وما اضاء الفجر وما اختلف
الليل والنهار وما بل بحر صوفة وما غنت حمامة ونحو ذلك فمرادهم التابيد والدوام ويجري كل

ما ذكرناه مجرى قولهم لا افعل كذا ابدا لانهم يعتقدون في جميع ما ذكرناه انه لا يزول ولا يفنى
وعلى انهم انما يجرونها بحسب اعتقادهم لا بحسب ما يجري عليه الشيء في نفسه الا ترى ان بعضهم لما
اعتقد في الاصنام ان العبادة تحق لها سماها الهة بحسب اعتقاده وان لم تكن في الحقيقة كذلك ومما
يشهد لمذهبهم الذي حكيناه قول ابي الجويرية العبدي ذهب الجود والجنيد جميعا فعلى الجود والجنيد
السلام اصبحا ثاويين في قعر مرط ما تغنى على الغصون الحمام وقال الاعشى الست منتهيا عن
ابلتنا ولست ضائرها ما اطت الابل وقال الآخر لا افعل الدهر ما ... ما اخضر ...
او حنت الى بلدة وقال زهير مخبرا عن اعتقاده دوام الجبال الا انها لا تفنى ولا تغيرها الا الاوابد على
الحوادث باقيا ولا خالدا الا الجبال الرواسيا فهذا وجه وقيل ايضا في ذلك انه اراد به الشرط
والتعليق بالابد بدوام السموات والارض المبدلتين لانه تعالى قال يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
فاعلمنا انهما تبدلان وقد يجوز ان يريد به انه تعالى يبدلهما بلا انقطاع وانما المنقطع هو دوام السموات
والارض قبل التبديل والفناء ويمكن ان يكون المراد انهم خالدون بمقدار مدة السموات والارض التي يعلم
الله تعالى انقطاعهما ثم يزيدهم الله على ذلك ويخلدهم ويؤبد مقامهم وهذا الوجه يليق بالاجوبة التي
تتضمن ان الاستثناء اريد به الزيادة على المقدار المتقدم لا النقصان قال السيد قدس الله روحه
وجدت الآمدي قد ظلم البحتري في تفسير بيت مضافا الى ظلمه له في اشياء كثيرة تأولها على خلاف
مراد البحتري حكى قوله كالبدر الا انها لا تختلى والشمس الا انها لا تغرب ثم قال وهذا فيه سؤال
لانه لما قال كالبدر الا انها لا تختلى فالمعنى ان عيون الناس كلهم ترى البدر وتختليه وهي لا تراها العيون
ولا تختلى ثم قال والشمس الا انها لا تغرب انما قال لا تختلى لانها محجوبة واذا كانت في حجاب فهي في
غروب لان الشمس اذا غربت فانما تدخل تحت حجاب في ظاهر المعنى كالبدر الا ان العيون لا تراها واراد
الشمس الا ان العيون لا تفقدها قال وهذا القول متناقض كأنه والحسنة اذا رآها وان كانت في حجاب
فانه لا يقال لها غربت تغرب كما يقال للشمس وانما يقال لها اذا سافرت بعدت واغتربت وغربت اذا
توجهت نحو الغرب وقد يقال للرجل اغرب عنا اي ابعد عنا ولو استعار لها اسم الغروب من الارض
التي تكون فيها اذا ظعنت عنها الى ارض اخرى كان ذلك حسنا احد الاسمين وقد جعلها شمسا كما قال ابو
بن العباس الصولي ونأت ذات زوال الشمس عن مستقرها فمن مخبري في اي ارض غروبها قال ولو
ان يقول قائل انه اراد لا تغرب تحت الارض كما تغرب الشمس فهذه معاذير ضعيفة لابي عبادة فان لم
يكن اخطأ فقد اساء قال قدس الله روحه واما الخطأ من الآمدي فظاهر لان البحتري يقول اوضح من ان يخفى
على متأمل لانه اراد بقوله والشمس الا انها لا تغرب انها لا تغيب بحيث تتعذر رؤيتها او تمتنع كما
تتعذر رؤية الشمس على من غربت عن افقه وبلده والمرأة وان احتجبت باختيارها فانه تمكن لمن يعرف

كغروب

اي ظلما مضافا
مضافا الى ظلمه

كغروب الشمس لانها اذا شاءت ظهرت وبرزت للعيون والشمس اذا غربت فرؤيتها غير ممكنة ولهذا لا
يصح ان يقال لمن استظل بدار او حجب عن الشمس انها قد غربت عنه وان كان غير راء لها لان رؤيتها
ممكنة بزوال ذلك المانع فكذلك القول في احتجاب المرأة فلا تناقض في بيت البحتري على ما ظنه الآمدي
ولبعضهم في مثل هذا المعنى قد قلت للملك واستغربت ... ما قيل يا بدر من وجهها خلف
يبدو لنا كلما شئنا محاسنها وانت تنقص احيانا وتنكسف فمعنى قوله وانت تنقص وتنكسف جار
مجرى غروب الشمس لانه فضلها على البدر من حيث كان بروزها للمبصر موقوفا على اختيارها والبدر
ينقص وينكسف ويغيب على وجه لا يمكن رؤيته كما فضلها البحتري بانها لا تغرب حتى تصير رؤيتها
مستحيلة والشمس كذلك وقد ظلم الآمدي البحتري في قوله ولا العذل يردعه ولا التعنيف عن كرم
يصده قال الآمدي وهذا عندي من الخطأ لانه مدح به خليفة والقبيح ان يوصف الخليفة على
الكرم او يصد وان هذا بالهجو اولى منه بالمدح وللبحتري عذر في هذا من وجهين احدهما
ان يكون الكلام خرج مخرج التقدير فكانه قال لو عنف وعذل لما صده ذلك عن الكرم وان كان لا
حق العذل له ولا التعنيف ان يصد او يحجر عن الشيء وهذا له نظائر في القرآن وفي كلام العرب وقد
مضى فيما امليناه شيء من ذلك والوجه الآخر ان العذل والتعنيف وان لم يتوجها اليه في نفسه فهما
موجودان في الجملة على الاسراف في البذل والجود بنفائس الاموال فلم يقل البحتري ان عذله يردعه او
تعنيفه يصده وانما قال لا العذل يردعه ولا التعنيف يصده فكانه اخبر بانه ما يسمعه من عذل
العذال على الكرم وتعنيفهم على الجود وان كان متوجها الى غيره فهو غير صاد له لقوة عزيمته ونفاذ
بصيرته ومما اخطأ الآمدي فيه على البحتري وان كان له فيه عذر صحيح لم يهتد اليه قوله ذنب كما سحب الرداء
يذب عن عرف وعرف كالقناع المسبل قال الآمدي وهذا خطأ من الوصف لان ذنب الفرس اذا
مس الارض كان عيبا فكيف اذا سحبه وانما الممدوح من الاذناب ما قرب من الارض ولم يمسها كما قال
امرؤ القيس بضاف فويق الارض ليس باعزل وقد عيب امرؤ القيس بقوله لها ذنب مثل ذيل
العروس تسد به فرجها من دبر وما ارى العيب يلحق امرأ القيس لان العروس وان كانت تسحب اذيالها
وكان ذنب الفرس اذا مس الارض عيبا فليس بمنكر ان يشبه به الذنب وان لم يبلغ الى ان يمس الارض
لان الشيء انما يشبه بالشيء اذا قاربه او دنا من معناه فاذا اشبهه في اكثر احواله فقد صح التشبيه ولان
امرأ القيس لم يقصد ان يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط وانما اراد السبوغ و
الكثرة والكثافة الا ترى انه قال تسد به فرجها من دبر وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الارض
ولا يكون كثيفا فلا يسد فرج الفرس فلما قال تسد به فرجها علمنا انه اراد الكثافة والسبوغ مع الطول
فاذا اشبه الذنب الذيل من هذه الجهة كان في الطول قريبا منه فالتشبيه صحيح وليس في ذلك ما يوجب العيب

قال الشريف

اي بذنب تام سابغ
او له كميت اذا استدبرته
سد فرجه بضاف

وانما العيب في قول البحتري ذنب كما سحب الرداء انفسح بان الفرس يسحب ذنبه ومثل قول امرئ القيس في قول خداش بن زهير لها ذنب مثل ذيل العروس الى جوجؤ ايد الزافر والهدى العروس التي تهدى الى زوجها والايد الشديد والزافر الصدر لانه ان فرمته قال فشبه الذنب الطويل السابغ بذيل الهدي وان لم يبلغ في الطول الى ان يمس الارض قال السيد قدس الله روحه وللبحتري وجه في العذر يعرى من عذر امرئ القيس في قوله مثل ذيل العروس غير ان الامدي لم يفطن له واقل ما نقوله ان الشاعر لا يجب ان يؤخذ عليه في كلامه التحقيق والتحديد فان ذلك متى اعتبر في الشعر بطل جميعه وكلام القوم مبني على التوسع والتجوز والاشارات الخفية والايماء الى المعاني تارة من بعيد واخرى من قريب لانهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة واصحاب المنطق وانما خاطبوا من يعرف اوضاعهم ويفهم اغراضهم وانما اراد البحتري بقوله ذنب كما سحب الرداء المبالغة في وصفه بالطول والسبوغ ولم يقل انه يجب ان يمس الارض ومن شان العرب ان تجري على الشيء الوصف الذي قد كاد يستحقه وقد قرب منه الشيء فيقولون قد قتل فلان فلانا وهو ما قتله وانما ضربه ضربة تقتل مثلها فاراد الفتك واخرج نفسه وكل ذلك لم يقع وانما ارادوا المبالغة وافادة المقاربة والمشارفة ونظائر ذلك اكثر من ان تحصى ومن شانهم ايضا اذا ارادوا المبالغة التامة ان يستعملوا مثل هذا فيشبهون الكفل بالكثيب في العظم والخصر بالزنبور وبالخنصر في الدقة بوسط الزنبور وبحلقة الخاتم ويعدون هذا غاية المدح والحسن الوصف ونحن نعلم ان الوسط اذا كان كالخنصر بل وسط الزنبور وكفل كالكثيب العظيم لاستحقناه واستقبحنا صورته ثم لو فتحنا واقبح ما يكون وانما ارادوا بالفاظ المبالغة صفة وانما لا نحمل على ظاهرها تحديدا وتحقيقا بل فهم منها الغاية المحمودة والنهاية المستحسنة ونترك ما وراء ذلك فكانا نفهم من قولهم ان خصرها كخصر الزنبور انه في نهاية الدقة المستحسنة في البشر ومن قولهم كفلها كالكثيب انه في نهاية الوثاقة والطول المحمودة لانه كالتل على الحقيقة فهكذا لا ينكر ان يريد البحتري بقوله كما سحب الرداء انه في غاية الطول المحمود لانه يسحب على الارض في الحقيقة وكلنا في المعنى معا وتقصيه الى العادة الجارية لنظائره من الشعراء في استعمال مثل هذا اللفظ الذي استعمله وقد قال بعضهم في ثقل العجيزة تثقلها اردافها فكانها تمشي الى خلف قال المؤمل من ابي حبيني تشبه البدر اذ بدا تدخل اليوم ثم تدخل اردافها غدا وقال ذو الرمة ورمل كاوراك العذارى قطعته وقد جللته المظلمات الحنادس وكل هذا كلام لو حمل على ظاهره وحقيقته لكان الموصوف به في نهاية القبح لان من يتأخر خلفه من يدخل كفله بعده لا يكون مستحسنا وقال بكر بن النطاح بيضاء تسحب من قيام شعرها وتغيب فيه وهو جثل اسحم فكانها فيه نهار مشرق وكانه ليل عليها مظلم فوصف شعرها بانه معها قيامها ونحن نعلم ان طول الشعر وان كان مستحسنا فليس الى هذا الحد وانما اراد بقوله تسحب شعرها

وقوله

متبلد

فرعها

نحف

تأويل قوله اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا الآية

مجلس آخر

ما اراده البحتري بقوله كما سحب الرداء من المبالغة في الوصف بالطول المحمود دون المذموم

تأويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين فقال ما تاويل هذه الآية وان كان المراد بها التعجب من قوة اسماعهم ونفاذ ابصارهم فكيف يطابق ما اخبر به عنهم في مواضع كثيرة من الكتاب بانهم لا يبصرون ولا يسمعون وان على ابصارهم وعلى اسماعهم غشاوة وما معنى قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين واي يوم هو اليوم المشار اليه وما المراد بالضلال المذكور الجواب قلنا اما قوله تعالى اسمع بهم وابصر فهو على مذهب العرب في التعجب وجار مجرى قولهم ما اسمعهم وما ابصرهم والمراد بذلك الاخبار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك الحال وانهم عارفون به على وجه لا تعترض الشبهة عليه وهذا يدل على ان اهل الآخرة عارفون بالله ضرورة فلا تنافي بين هذه الآية وبين الآيات التي اخبر عنهم فيها بانهم قوم لا يسمعون ولا يبصرون وبان على ابصارهم غشاوة لان تلك الآيات تناولت احوال التكليف وهي الاحوال التي كان الكفار فيها ضلالا عن الدين جاهلين بالله تعالى وصفاته وهذه الآية تناولت يوم القيامة وهو المعني بقوله تعالى يوم يأتوننا واحوال القيامة لا بد فيها من المعرفة الضرورية وتجري هذه الآية مجرى قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فاما قوله تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين فيحتمل ان يريد بقوله اليوم الدنيا واحوال التكليف ويكون الضلال المذكور انما هو الذهاب عن الدين والعدول عن الحق والمراد تعالى انهم في الدنيا جاهلون وفي الآخرة عارفون بحيث لا تنفعهم المعرفة ويحتمل ان يريد باليوم يوم القيامة ويعني بالضلال العدول عن طريق الجنة ودار الثواب الى دار العقاب فكانه تعالى قال اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا غير انهم مع معرفتهم هذه وعلمهم يصيرون في هذا اليوم الى العقاب ويعدل بهم عن طريق الثواب وقد حكي معنى هذا التاويل عن جماعة من المفسرين وحكي عن الحسن في قوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا قال يقول هم يوم القيامة سمعاء بصراء لكن الظالمون اليوم في الدنيا ليسوا سمعاء ولا بصراء ولكنهم في ضلال عن الدين مبين وقال قتادة وابن زيد ذلك والله يوم القيامة سمعوا حين لم ينفع السمع وابصروا حين لم ينفعهم البصر وقال ابو مسلم بن بحر في تاويل هذه كلاما جيدا قال معنى اسمع بهم وابصر ما اسمعهم وما ابصرهم وهذا على طريق المبالغة في الوصف يقول فهم يوم يأتوننا اي يوم القيامة بصراء سمعاء اي عالمون وهم اليوم في دار الدنيا في ضلال مبين اي جهل واضح قال وهذه الآية تدل على ان قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون ليس معناه الآفة في الاذن والعين والجوارح بل هو انهم لا يسمعون عن قلة ولا يتدبرون ما يسمعون ولا يعتبرون بما يرون بل هم عن ذلك غافلون فقد ترى انه جعل قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين مقابلا لقوله اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا اي ما اسمعهم وما ابصرهم

عليهم

القرب

لم ينفعهم

فاقام السمع والبصر مقام الهدى اذ جعله بازاء الضلال المبين واما ابو علي بن عبد الوهاب فانه
اختار في تاويل هذه الآية غير هذا الوجه ونحن نحكي كلامه على وجهه قال وعنى بقوله اسمع بهم و
ابصر اي اسمعهم وابصرهم وبين لهم انهم اذا اتوا مع الناس الى موضع الجزاء سيكونون في
ضلال مبين عن الجنة وعن الثواب الذي يناله المؤمنون والظالمون الذين ذكرهم الله هم هؤلاء
الذين توعدهم الله بالعذاب في ذلك اليوم ويجوز ايضا ان يكون عنى بقوله اسمع بهم وابصر اي اسمع
الناس بهؤلاء الانبياء وابصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم فيؤمنوا بهم ويقتدوا بافعالهم
واراد بقوله لكن الظالمون اليوم لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم وهو يعني يوم القيمة في ضلال
عن الجنة وعن الثواب مبين وهذا الموضع من جملة المواضع التي استدركت على ابي علي ونسب
فيها الى الزلل لان الكلام وان كان محتملا لما ذكره بعض الاحتمال من بعد فان الاولى والاظهر في معنا
ما تقدم ذكره من المبالغة في وصفهم وقوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين بعيد عما تقدم
لا يليق الا بالمعنى الذي ذكرناه لا سيما اذا حمل اليوم على ان المراد به الى يوم القيمة على ان ابا علي
جعل قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين من صلة قوله اسمعهم وبصرهم وتاوله على ان المعنى
اسمع بهم وابصر
اعلمهم وبصرهم بانهم يوم القيمة في ضلال عن الجنة والكلام يشهد بان ذلك لا يكون من صلة
الاول ولان قوله لكن استيناف الكلام ثان فيما يحتاج ابو علي الى هذا بل لو قال على ما اختاره من التاويل
انذارا واسمعهم وابصرهم يوم يأتوننا اي ذكرهم باهواله واعلمهم بما فيه ثم قال مستانفا لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين لم يحتج الى ما ذكره وكان هذا اشبه بالصواب فاما الوجه الثاني الذي ذكره
فباطل لان قوله اسمع بهم وابصر اذا تعلق بالانبياء الذين ذكرهم الله تعالى بقي قوله يوم يأتوننا بلا عامل
ومحال ان يكون ظرفا لا عامل له فالاقرب ان يكون على الوجه الاول مفعولا وقد رد بعض من
اعترض على ابي علي بقوله ردا عليه لو كان الامر على ما ذهب اليه ابو علي لوجب ان يقول اسمعهم
وابصرهم بغير باء وهذا الرد غير صحيح لان الباء في مثل هذا الموضع غير منكر زيادتها وذلك موجود
كثير في القرآن والشعر قال الله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق وعينا يشرب بها عباد الله
وهزي اليك بجذع النخلة وتلقون اليهم بالمودة وقال الاعشى ضمنت برزق عيالنا ارماحنا وقال امرؤ
القيس هصرت بغصن ذي شماريخ ميال واظن ابا علي انما اتي بهذا الجواب في حذف الباء لان
لفظ امر وهو قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة فحمل الاول على الثاني والكلام لا تشبيه معنا
من حيث المجاورة بل الواجب ان يوضع كل منه حيث يقتضيه معناه قال المرتضى رضي الله عنه وجدت
جماعة من اهل الادب يستبعدون ان يرتج على الانسان في خطبة او كلام قصد له فينبعث منه في تلك
الحال كلام هو احسن مما قصد اليه وابلغ مما ارتج عليه دونه ويقولون ان الدهشة لا يكون الا عن

في الحصر وانقطاع الكلام

حيرة و

حيرة وضلالة فكيف يجتمع معها البراعة الثاقبة والبلاغة المأثورة مع حاجتهما الى اجتماع الفكر
وحضور الذكر ويخبرون بجميع ما يحكى من كلام مستحسن ولفظ مستغرب عمن حصر في خطبة او تمنطق الى انه
موضوع مصنوع وليس الذي استبعدوه ببعيد ولا منكر لان الانسان قد يحصر شيئا دون شي ويتعلق
بجهة دون جهة وهذا امر متعارف فغير مستنكر ان يحصر الانسان شيئا قصده وعزم على الكلام
فيه وقد يكون مع ذلك ذاكرا لغيره متكلما بابلغ الكلام واحسنه بل ربما كان الحصر والذهاب عن
المقصد يحميان القريحة ويوقدان الفكرة فيبعثان على احسن الكلام وابرعه فيكون ذلك هربا من
العي وانتفاء من اللكنة ومن احسن ما روي فابرع من الكلام في حال الحصر والانقطاع عن المقصود
ما اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا ابو حاتم قال المرزباني واخبرني ابن دريد
مرة اخرى قال حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال صعد خالد بن عبد الله
القسري يوما المنبر بالبصرة فارتج عليه فقال ايها الناس ان الكلام وقال ابو حاتم ان هذا القول يجيء
احيانا ويذهب احيانا فيتسبب عند مجيئه سببه ويتعذر عند عزوبه طلبه وربما كوبر فابى وعولج
فابطأ وقال ابن الكلبي ربما طلب فابى وعولج فقسا فالتاني لمجيئه اصوب من التعاطي لابيه ثم نزل فما
روي حصر ابلغ منه وقال ابو حاتم والترك لابيه افضل من التعاطي لمجيئه وتجاوزه عند تعززه
اولى من طلبه عند تنزحه وقد يختلج من الجري جنانه ويرتج على البليغ لسانه ثم نزل فاخبرنا بهذا
الخبر ابو عبيد الله على وجه آخر قال اخبرنا ابرهيم بن محمد بن عرفة الواسطي قال كان خالد بن عبد الله لما
ولاه هشام بن عبد الملك يكثر الخطب فتبالغ فقدم واسطا فصعد المنبر فحاول الخطبة فارتج عليه
فقال ايها الناس ان هذا الكلام يجيء احيانا ويعزب احيانا فيعز عند عزوبه طلبه ويتسبب
عند مجيئه سببه وربما كوبر فابى وعوسر فقسا والتاني لمجيئه اسهل من التعاطي لابيه وتركه
عند تعذره احمد من طلبه عند تنكره وقد يرتج على البسيط لسانه فلا ينطق القول اذا اتسع
ولا يبسط اذا امتنع ومن لم تمكن له الخطوة فحقيق ان تعزله النبوة واخبرنا المرزباني قال اخبرنا ابو
عبد الله ابرهيم بن محمد بن عرفة قال حدثنا ابو عباس المنصوري قال صعد ابو العباس السفاح المنبر
فارتج عليه فقال ايها الناس ان اللسان بضعة من الانسان يكل اذا كل وينفسح بانفساحه اذا
انفسح ونحن امراء الكلام منا تفرعت فروعه وعلينا تهدلت غصونه الا وانا لا نتكلم هذرا ولا
نسكت الا معتبرين ثم نزل فبلغ ذلك ابا جعفر فقال لله هو لو خطب بمثل ما اعتذر لكان من اخطب
الناس وهذا الكلام يروى لداود بن علي بهذا الاسناد عن محمد بن الصباح عن قثم بن جعفر بن سليمان
عن ابيه قال اراد ابو العباس السفاح ان يتكلم في امر من الامور بعدما افضت الخلافة اليه وكان فيه
حياء مفرط فارتج عليه فقال داود بن علي بعد ان حمد الله واثنى عليه يا امير المؤمنين الذي قلد سنيا
ايها الناس

منها
وحصول
استبعدوه
القريحة الخاطر
واصل القريحة الماء الذي يظهر في البئر اول ما
القسري منسوب الى قسر وهو قبيلة من قبائل العرب
لغدده
النبوة والنباة الارتفاع
السفاح سمي بذلك لانه ... اسمه عبد الله

وعينه عقل من لسانه عندما تعهده من بيانه ولكل أمر توقيت حتى تنفسه العادات فاتقوا الله وابتغوا من الله في صلاح دينكم وصلاح معيشتكم. وأخبرنا أبو عبيد الله قال أخبرنا ابرهيم بن محمد بن عرفة قال حدثنا عبد الله بن إسحق بن سلام قال صعد عبد الله بن عثمان المنبر فأرتج عليه فقال أيها الناس سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عي نطقا وانكم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال. وروى محمد بن يزيد النحوي هذا الكلام بعينه عن سعيد بن أبي سفيان وقد خطب على بعض منابر الشام وان عمرو بن العاص لما بلغه كلامه قال هن مخرجات من الشام ستخنا الكلام. وروى محمد بن يزيد النحوي قال بلغني ان رجلا صعد المنبر أيام يزيد كان واليا على قوم فقال لهم أيها الناس ان لا أكن فارسا سلحتا بهذا القرآن فان معي من أشعار العرب ما أرجو ان يكون خلفا منه وما أنا أخو البراجم حيث يقول

وما عاجلات الطير يدنين بالفتى رشادا ولا عن ريثهن يخيب ورب أمور لا تضيرك ضيرة وللقلب من مخشاتهن وجيب ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب وفي الشك تفريط وفي الحزم قوة ويخطئ الفتى في حدسه ويصيب

فقال له رجل من كلب ان هذا المنبر لم ينصب للشعر بل ليحمد الله عليه ويصلى على النبي صلى الله عليه وآله وللقرآن فقال الا والله ان تكلم شعر رجل من كلب لشركهم فكتب الى يزيد بذلك فعزله وقال كنت أدري أنك جاهل ولو احسب الحمق يبلغ بك هذا كله فقال الحمق مني من وثقى. وكان يزيد بن المهلب ولى ثابت قطنة بعض قرى خراسان فصعد المنبر فحصر فنزل وهو يقول

فان لا أكن فيكم خطيبا فانني بسيفي اذا جد الوغى لخطيب

فقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت أخطب الناس فبلغ ذلك حاجب الفيل فقال

أبا العلاء لقد لاقيت معضلة يوم العروبة من كرب وتخنيق أما القرآن فما تهدى لمحكمه ولم تسدد من الدنيا لتوفيق لما رمتك عيون الناس هبتهم وكدت تشرق لما قمت بالريق تلوي اللسان اذا رمت الكلام به كما هوى زلق من جانبي نيق

وروى ان بعض خلفاء بني العباس واظنه الرشيد صعد المنبر ليخطب فسقطت ذبابة على وجهه فطردها فعادت فحصر وارتج عليه فقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ثم نزل فاستحسن ذلك منه. ومما يشاكل هذه الحكاية ما حكاه عمرو بن بحر الجاحظ قال كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكما قط ولا زميتا ولا ركينا ولا وقورا ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك وكان يصلي الغداة في منزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيحتبي فلا يتكئ ولا يزال منتصبا لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحول رجلا عن رجل ولا يعتمد على أحد شقيه حتى كأنه بناء مبني أو صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة

الظهر

قوله تعالى وإذ نجيناكم من آل فرعون الآية

الظهر ثم يرجع الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة العصر ثم يرجع الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ثم ربما عاد الى مجلسه بل كثيرا ما يكون كذلك اذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق ثم يصلي العشاء وينصرف لم يقم في طول تلك الولاية مرة واحدة الى الوضوء ولا احتاج اليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب وكذلك كان شأنه في طوال الأيام وفي قصارها وفي صيفها وفي شتائها وكان مع ذلك لا يحرك يدا ولا يشير برأسه ليس الا ان يتكلم ثم يوجز ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة فبينما هو كذلك ذات يوم وأصحابه حوله وفي السماطين بين يديه اذ سقط على أنفه ذباب فأطال المكث ثم تحول الى مؤق عينه فرام الصبر في سقوطه على المؤق وعلى عضته ونفاذ خرطومه كما رام من الصبر على سقوطه على أنفه من غير ان يحرك أرنبته او يغضن وجهه او يذب باصبعه فلما طال عليه ذلك من الذباب وأوجعه وأحرقه وقصد الى مكان لا يحتمل التغافل عنه أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض فدعاه ذلك الى ان والى بين الاطباق والفتح فتنحى ريثما سكن جفنه ثم عاد الى مؤقه أشد من مرته الأولى فغمس خرطومه في مكان كان قد أوهاه قبل ذلك فكان احتماله له أضعف وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى فحرك أجفانه وزاد في شدة الحركة وفي تتابع الفتح والاطباق فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد الى موضعه فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فألجأه الى ان يذب عن عينيه بيده ففعل ذلك وعيون القوم اليه يرمقونه كأنهم لا يرونه فتنحى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد الى موضعه فألجأه الى ان ذب عن وجهه بطرف كمه ثم ألجأه الى ان تابع بين ذلك وعلم ان ذلك كله بعين من حضره من امنائه وجلسائه فلما نظروا اليه قال أشهد ان الذباب ألح من الخنفساء وازهى من الغراب وأستغفر الله فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله ان يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستورا وقد علمت أني عند الناس من أزمت الناس وقد غلبني وفضحني أضعف خلق الله ثم تلا قوله تعالى ضعف الطالب والمطلوب

مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فقال أليس يجوز ان تكون في هذه الآية دلالة على اضافة الأعمال التي تظهر من العباد اليه تعالى من وجهين أحدهما انه قال بعد ذكر ما تقدم من أفعالهم ومعاصيهم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فأضافها اليه والثاني انه أضاف نجاتهم من آل فرعون اليه فقال وإذ نجيناكم ومعلوم انهم هم الذين ساروا واجتهدوا فيجب ان يكون ذلك السير فعله على الحقيقة حتى تصح الاضافة **الجواب** قلنا أما قوله تعالى وفي ذلكم فهو اشارة الى ما تقدم ذكره من نجاته لهم من المكروه والعذاب وقد قال قوم انه معطوف على ما تقدم من قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين والبلاء ههنا الاحسا

والنعمة ولا شك في ان تخليصه لهم من ضروب المكروه التي عددها نعمة عليهم وانما اليهم البلاء عند العرب قد يكون حسنا وقد يكون سيئا قال الله تعالى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ويقول الناس في الرجل اذا احسن القتال والثبات في الحرب قد ابلى فلان ولفلان بلاء والبلوى ايضا قد تستعمل في الخير والشر الا ان اكثر ما يستعملون البلاء الممدود في الجميل والخير والبلوى المقصور في السوء والشر وقال قوم اصل البلاء في اللغة الاختبار والامتحان ثم يستعمل في الخير والشر لانه تعالى يبلو عباده بالحسنات والسيئات ليعني اختبارهم وكما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون فالخير يسمى بلاء والشر يسمى بلاء غير ان الاكثر في الشر ان يقال بلوته ابلوه بلاء وفي الخير ابليته ابليه ابلاء وبلاء وقال زهير في البلاء الذي هو الخير جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم فابلاهما خير البلاء الذي يبلو فجمع بين اللغتين لانه اراد فانعم الله عليهما خير النعمة التي يختبر بها عباده وكيف يجوز ان يضيف ما ذكره عن آل فرعون من ذبح الابناء وغيره الى نفسه وهو قد ذمهم عليه ووبخهم وكيف يكون ذلك من فعله وهو تعالى قد عد تخليصهم منه نعمة عليهم وكان يجب على هذا ان يكون انما انجاهم من فعله بفعله وهذا مستحيل لا يعقل ولا يحصل على انه يمكن ان يرد قوله ذلكم الى ما حكاه عن آل فرعون من الافعال القبيحة ويكون المعنى في تخليته بين هؤلاء وبينكم وتركه منعهم عن ايقاع هذه الافعال بكم بلاء من ربكم عظيم اي محنة واختبار لكم والوجه الاول اقوى واولى وعليه جماعة المفسرين وروى ابو بكر الهذلي عن الحسن في قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قال نعمة عظيمة اذ انجاكم من ذلك وقد روي مثل ذلك عن ابن عباس والسدي ومجاهد وغيرهم فاما اضافة النجاة اليه وان كانت واقعة بسيرهم وفعلهم فلا دلالة على ما ظنوه لو جب ان نقلنا ان الرسول انقذنا من الشرك واخرجنا من الضلالة الى الهدى ونجانا من الكفر ان يكون فاعلا لافعالنا وكذلك قد يقول احدنا لغيره انا نجيتك من كذا وكذا وانقذتك وخلصتك ولا يريد انه فعل فعله والمعنى في ذلك ظاهر لانه انما وقع بتوفيق الله تعالى ودلالته وهدايته ومعونته والطافه فقد صح اضافته اليه تعالى على هذا وصحت اضافة النجاة الى الله تعالى ويمكن ان يكون مضيفا لها ايضا من حيث ثبط عنهم الاعداء وشغلهم عن طلبهم وكل هذا يرجع الى المعونة فتارة يكون بامر يرجع اليهم وتارة بامر يرجع الى اعدائهم فان قيل كيف يصح ان يقول واذ نجيناكم فخاطب بذلك من لم يدرك فرعون ولا نجا من شره قلنا ذلك معروف مشهور في كلام العرب وله نظاير كثيرة لان العرب قد تقول مفتخرا على غيره قتلناكم يوم عكاظ وهزمناكم وانما يريد ان قومي فعلوا ذلك بقومك قال الاخطل يهجو جرير بن عطية وكفيت قد سما لكم الهذيل فنالكم بارباب حيث تقسم الانفال الا فلقي يدعو الاله فانه الى ذلك فرسانه عن الانفال الا كفا الاله ولم يلحق حرى الهذيل الا

الهذيل بن هبيرة التغلبي وكان غزا بني رياح يوم ارباب وارباب اسم ماء

اليوم الذي ذكره غيرانه لما كان يوما من ايام قومه على قوم جرير اضاف الخطاب اليه والى قومه وكذلك خطاب الله تعالى بالآية انما توجه الى ابناء من نجى من آل فرعون واخلافهم والمعنى واذ نجينا آباءكم واسلافكم والنعمة على السلف نعمة على الخلف قال السيد قدس الله روحه ومن حسن الشعر في نعوت الضيافة والانس بها والاستبشار عليها قول حاتم بن عبد الله الطائي اذا ما بخيل الناس هرت كلابه وشق على الضيف الغريب عقورها فاني جبان الكلب بيتي موطأ اجود اذا ما النفس شح ضميرها وان كلابي قد اقرت وعودت قليل على من يعتريها هريرها اراد بقوله قليل على من يعتريها هريرها انها لا هرير لها ولذلك نظاير كثيرة ومثله قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون ومثله قوله فاني جبان الكلب معنى ولفظا قول الشاعر وما يك في من عيب فانني جبان الكلب مهزول الفصيل وانما اراد تكثر الضيوف والالبان فقصا الى مهازيل ومثل اللفظ والمعنى قول الاخر التغلبي والي الزبير بن عبد حرة مر واما الشيوخ الصدق والجبناء يموتون والقتل من دابهم وفي لعشون يوم الشيوخ والنساء فاني واجبن من صيادي كليهم وان قذفته حصاة اضافا يقول اذ ركوا حبنوفيهم ثارا ثم فكانهم تسعوا وعرفوا بهم وازالوا ما كان فيهم من الاحقاد ومعنى مر اي تحن كما تمري الناقة اذا اردت ان تحلبها لتدر والجبان فنا المايل ثم قال وان مات بعضهم على فراشه فان اكثرهم يموتون مقتولين لشجاعتهم واقدامهم فلذلك قال والقتل من دابهم وجعل كليهم جبانا لكثرة من يغشاهم ويطرقهم من النزال والاضياف فهذا القتهم كلابهم وانست بهم فهي لا تنبحهم وقيل ايضا انها لا تهر عليهم لانها تصيب مما يخرجهم وتشاركهم فيه ومعنى وان قذفته حصاة اضافا اشفقوا فهذا تاكيد لجبنه يقال اضاف الرجل من الامر اذا اشفق منه ومعنى اجبن من صياد قليل تقدم ذكره في الامالي ومثله في المعنى لحسان بن ثابت يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل وقال المرار بن منقذ العدوي اعرف الحق ولا انكره وكلابي انس غير عقر لا ترى كلبي الا آنسا ان اتى خابط ليل لم يهر وكثر الناس فما ينكرهم من اسيف يبتغي الخير وحر الاسيف العبد ههنا وقال الاخر الى ناجية لا ينبح الكلب ضيفه ولا بيناد احتمال المقادم معنى بيناده بثقله واراد ان يقول بيناوده فقلبه وقال ابن هرمة واذا انا طارق مستنبح تحت قد آلته على كلابي وفرحن اذ ابصرنه فلقينه يضربنه بشراشر الاذناب وانما تفرح لانها قد تعودت اذا نزلت الضيوف ان ينحر لهم مضيف من قراهم ومثله له ومستنبح تستكشط الريح ثوبه ليسقط عنه وهو بالثوب معصم عوى في سواد الليل بعدما اعتسا لينبح كلب او ليفزع نوم فجاوبه مستمع الصوت للقرى له مع اتيان المهبين مطعم يكاد اذا ما ابصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو اعجم اراد بقوله فجاوبه مستمع الصوت انه جاوبه كلب المهبين الموقطون له ولاشلة

وهم الاضياف وانما كان لهم مطعم لانه ينحر لهم ما يصيب منه واذا دعوا له بكلمة من خيره وهو اعجمهم بعبصته وتحريكه ذنبه فاما قوله ليفزع نوم فانما اراد ليغيث قوم يقال فزعت لفلان اذا اغثته ومعنى عوى في سواد الليل ان العرب تزعم ان سار الليل اذا اظلم عليه واد لهم فلم يبصر تحيّر ولم يهتد الى الجادة وضع وجهه على الارض وعوى عواء الكلب ليسمع ذلك الكلاب ان كان الحي قريبا منه فتجيبه فيقصد الابيات فهذا معنى قوله ايضا مستنبح اي ينبح نباح الكلاب قال الفرزدق في مثله وداع يلحن الكلب يدعو ودونه من الليل سجفا ظلمة وغيومها دعا وهو يرجوان يجيبه اذ دعا فتى كابن ليلى حين غارت نجومها ابن ليلى يعني اباه غالبا بعثت له دهماء ليست بلقحة تدر اذا ما هب نحسا عقيمها معنى بعثت له اي رفعتها على اثافيها والدهماء قدرا واللقحة الناقة والادان فلذ وتدر اذا هبت الريح عقيما الامطر فيها كان المال العزب في حجرانها عذارى بدت لما اصيب حميمها اراد ان قطع اللحم لا تنشر منها بشيء كالاشتر العذارى اللواتي اصيب حميمهن فيظهر حواسيرهن عضوا كحيزوم النعامة احمشت باجواز خشب زال عنها هشيمها الاجواز الاوساط واوساط الخشب صلبة التي تأتيها محضرة لا يحمل الستر ومنها اذا المرضع العوجاء جال بريمها البريم الحقاب فانما يجوز من الخزاز والحيد والطوي فالعوجاء التي قد اعوجت من الطوي وقال الاخطل في الضيف دعاني ضيو واحد فاجابه منادٍ بلا صوت في آخر صيت وذكر ضيفا عوى بالليل والصدى من الجبل يجيبه قد تكن معنى قوله بصوتي واحد وقوله فاجابه منادٍ بلا صوت يعني نارا رفعها له فرأى سناها فقصدها والآخر الصيت الكلب لانه اجاب عواه ومثله وسار ظلام مقفعل فهيّجه دعوت بصوت ساطع فاهتدى لما ينتحي نارا رفعها بالقصد طرا في الليل المقفعل المتقبض من شدة البرد وانشد محمد بن يزيد ومستنبح تهوي مسافط رأسه الى كل شخص فهو للصوت اصور حبيب الى كلب الكريم مناخه بغيض الى الكوماء والكلب ابصر دعته بغير اسم هلم الى القرى فاسرى يبوع الارض شقرا بوهم معنى اصور مايل اراد انه يميل رأسه الى كل شخص يخيل له يظنه انسانا ومعنى حبيب الى الكلب المعنى الذي تقدم ومعنى بغيض الى الناقة لانها تنحر له وقوله دعته بغير اسم يعني نارا ادى ضوءها فقصدها فكانها دعته وقال ابن هرمة وقد نزل به ضيف فقلت لقينتي ارفعاها وحر قالت لعل سنا نار دنا بآخر يمتنف وفي معنى قوله بغيض الى الكوماء قول بعض الشعراء يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله وابيك خيرا ان ابل محمد عزل تناوح ان شمال وسرا واذا ابن لهن ال فناء غريبة ذرفت لهن من الدموع سجال وتزى لها زنل اشنا على الثرى دخما وما يجنى لهن فصال اذا رأينك الخير فلما طرح الالف واللام نصب والعرب

الى

قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا

التي لا سلاح معها وسلاح الابل سمنها واولادها وانما جعلوا ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها اذا رأى سمنها وحسن اجسامها واولادها امتنع بها نفسه على الاضياف فامتنع من نحرها فلما كان ذلك صادا عن الذبح وصائنا منه جرى مجرى السلاح لها فكانه يقول هذه الابل وان كانت ذوات سلاح من حيث كانت بخيمة سمينة فهي كالعزل اذ كان سلاحها لا يغني عنها شيئا ولا يمنع من عقرها ومعنى تناوح يقابل بعضها بعضا اي هي حذقيات باسنمتها وادبارها الابل الى الشمال ولا يدخل بعضها في بعض من البرد وقوله واذا ابن لدى الفناء غريبة اي اذا نزل الضيف فعقل ناقته التي جاء عليها وهي الغريبة علمن انه سينحر بعضهن لا محالة فلذلك تذرف دموعهن وقوله وترى لها زمن الشتاء رخما وقيل انها ابن تذهب فصالهن فتبقى البانهن على الارض كمثل الرخم وحكي عن ابن العباس ثعلب انه قال الرخم قطع العلق من الدم وعند ان المعنى غير هذه جميعا وانما اراد انها تنحر وتعقر فتسقط الرخم على موضع عقرها وبقايا دمها واسلابها فهذا معنى قوله لا ما تقدم وقال آخر في معنى سلاح الابل يمدح بني عوذ بن غالب من عبس جزى الله عني غالبا خير ما جزى اذا حدثان الدهر نابت نوائبه اذا اخذت بزل المخاض سلاحها تجرد فيها متلف المال كاسبه اراد ان سمنها وحسنها وتمامها لا يمنع من عقرها للاضياف ومثله اذا البقل في اصلاب شول ابن مسهر نمى لم يرده البقل الا تكرما اذا اخذت شول البخيل رماحها دخا رماح الشول حتى تحطما وقوله اخذت رماحها من المعنى المتقدم وقال مسكين الدارمي فقمت ولم اخذ الى رماحها نعت الحي ولم ارحب عن ابنها عقرا ثم ارحب اي لم اكبر ذلك ولم يعظم علي وسمي رجب رجبا من ذلك لانه شهر يعظم وقالت ليلى الاخيلية ولا تأخذ الكوم الجلاد سلاحها لتوبة في قر الشتاء الصنابر ومثله لا اخون الصديق ما حفظ العهد ولا تأخذ السلاح لقاحي وقال المزني يولب ازمان لم تأخذ الي سلاحها ابلي بجلتها ولا ابكارها ابتزها البانها ولحومها فاهين ذاك لضيفها ولجارها وقال مضرس بن ربعي الاسدي وما تلعن الاضياف ان نزلوا بنا ولا يمنع الكوماء منا نصيرها ولا تلعنهم اي لا نبعدهم واللعين البعيد ونصيرها ههنا لا يمنع من عقرها من حسن تمام وولد وما جرى مجرى ذلك والنصير والسلاح في المعنى واحد مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فقال ما تنكرون ان يكون ظاهر هذه يقتضي ان يكون جميع ما نفعله يشاؤه ويريده لانه لم يخص من شيء وهذا بخلاف مذهبكم وليس لكم ان تقولوا انه خطاب للرسول صلى الله عليه وآله خاصة وهو لا يفعل الا ما يشاؤه الله تعالى لانه قد يفعل المباح بلا خلاف ويفعل الصغائر عند اكثركم فلا بد من ان يكون في افعاله ما لا يشاؤه عندكم ولانه ايضا تأديب لنا كما انه تعليم له عليه

الآية

وكذلك يحسن منا ان نقول لك فيما نفعله **الجواب** قلنا ان تأويل هذه الآية مبني على وجهين احدهما
ان يجعل حرف الشرط الذي هو ان متعلقا بما يليه وبما هو متعلق به في الظاهر من غير تقدير محذوف
ويكون التقدير ولا تقولن انك تفعل الا ما يريد الله وهذا الجواب ذكره الفراء وما رأيته الا
له ومن العجب تغلغله الى مثل هذا مع انه لم يكن متظاهرا بالقول بالعدل وعلى هذا الوجه لا
شبهة في الآية ولا سؤال للقوم علينا وفي هذا الوجه ترجيح ليس لغيره من حيث تبعنا فيه الظاهر
ولم نقدر محذوفا وكل جواب طابق الظاهر فلم يبن على محذوف كان اولى والجواب الآخر ان نجعل
ان متعلقة بمحذوف ويكون التقدير ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان تقول ان شاء
الله لان من عادتهم اضمار القول في مثل هذا الموضع واختصار الكلام اذا طال وكان في الموجود
منه دلالة على المفقود وعلى هذا الوجه يحتاج الى الجواب عما سألنا عنه فنقول هذا تأديب من الله تعالى
لعباده وتعليم لهم ان يعلقوا ما يخبرون به بهذه اللفظة حتى يخرج من حد القطع ولا شبهة في
ان ذلك مختص بالطاعات وان الافعال القبيحة خارجة منه لان احدا من المسلمين لا يستجيز ان يقول
اني ازني غدا ان شاء الله وكلهم يمنع من ذلك اشد المنع فعلم سقوط شبهة من ظن ان الآية عامة في
جميع الافعال واما ابو علي محمد بن عبد الوهاب فانه ذكر في تأويل هذه الآية ما نحن ذاكروه بعينه قال
انما عنى بذلك ان من كان لا يعلم انه يبقى الى غد حيا فلا يجوز ان يقول اني سافعل غدا كذا وكذا
فيطلق الخبر بذلك وهو لا يدري لعله سيموت فلا يفعل ما اخبر به لان هذا الخبر اذا لم يوجد مخبره على
ما اخبر به فهو كذب واذا كان المخبر لا يأمن ان لا يوجد مخبره لحدوث امر من فعل الله تعالى نحو الموت
او العجز او بعض الامراض او لا يحدث ذلك بان يبدو له هو في ذلك فلا يأمن ان يكون خبره كذبا في معلوم
الله عز وجل فاذا لم يأمن ذلك لم يجز ان يخبر به ولا يسلم خبره هذا من الكذب الا بالاستثناء الذي
ذكره الله تعالى فاذا قال اني صائر غدا الى المسجد ان شاء الله فاستثنى في مصيره مشيئة الله تعالى امن
من ان يكون خبره في هذا كذبا لان الله ان شاء ان يلجئه الى المصير الى المسجد عند الالجاء الى ذلك وكان
المصير منه لا محالة فاذا كان ذلك على ما وصفنا لم يكن هذا خبره هذا كذبا وان لم يوجد منه المصير
الى المسجد لانه لم يوجد ما استثناه في ذلك من مشيئة الله تعالى وقال ينبغي ان لا يستثني مشيئته
الله دون مشيئة لانه ان استثنى في ذلك مشيئة الله تعالى المصير الى المسجد على وجه التعبد فهو ايضا
لا يأمن ان يكون خبره كذبا لان الانسان قد يترك كثيرا مما يشاء الله تعالى منه ويتعبده ولو كان
استثنى مشيئة الله لان يبقيه ولان يقدره ويرفع عنه الموانع كان ايضا لا يأمن ان يكون
خبره كذبا لانه قد يجوز ان لا يصير الى المسجد مع تبقية الله له واقداره وتخليته فلا يأمن الكذب في هذا الخبر
دون ان يستثني المشيئة العامة التي ذكرناها فاذا دخلت هذه المشيئة في الاستثناء فقد امن ان

عنه

اخبر به المخبر

يكون

ان يكون خبره كذبا اذا كانت هذه المشيئة منه وجب ان يصل الى المسجد لا محالة قال وعلى مثل
هذا الاستثناء يزول الحنث عمن حلف فقال والله لاصيرن غدا الى المسجد ان شاء الله لانه اذا استثنى
على سبيل ما بيناه لم يحنث في يمينه ولو خص استثناءه بمشيئة الله تعالى بعينها ثم كانت ولم يدخل
معها المسجد لحنث في يمينه وقال غيره ان المشيئة المستثناة ههنا هي مشيئة المنع والحيلولة
فكانه قال ان شاء الله يخليني ولم يمنعني وفي الناس من قال المقصد بذلك ان يوقف الكلام عن
جهة القطع وان لا يلزم به ما كان يلزم لولا الاستثناء ولا ينوي في ذلك الجاء ولا غيره وهذا
الوجه يحكى عن ابي الحسن الكرخي واعلم ان الاستثناء الداخل على الكلام وجوه مختلفة فقد يدخل
على الايمان والطلاق والعتاق وسائر العقود وما يجري مجراها من الاخبار فان دخل في ذلك اقتضى
التوقف عن امضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به وازالته عن الوجه الذي وضع له ولذلك
يصير ما تكلم به كانه لا حكم له وكذلك يصح على هذا الوجه ان يستثني في الماضي فيقول قد دخلت
الدار ان شاء الله ليخرج بهذا الاستثناء من ان يكون كلامه خبرا قاطعا او يلزم به حكم وانما
لم يصح دخوله في المعاصي على هذا الوجه لان فيه اظهار الانقطاع الى الله والمعاصي لا يصح ذلك فيها
وهذا الوجه احد ما يحتمله تأويل الآية وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به اللطف و
التسهيل وهذا الوجه يخص الطاعات ولهذا يجري قول القائل لاقضين غدا ما علي من الدين و
لاصلين غدا ان شاء الله مجرى ان يقول اني افعل ذلك ان لطف الله تعالى لي فيه وسهله فعلم ان
المقصد واحد ومتى قصد الحالف بهذا الوجه لم يجب اذا لم يقع منه الفعل ان يكون حانثا او
كاذبا لانه اذا لم يقع علمنا انه لم يلطف له لانه لا لطف له ولكن لا حد ان يعترض هذا بان يقول
الطاعات لا بد فيها من لطف وعند ذلك لان فيها ما لا لطف فيه جملة فان انقطاع ما هذه سبيله يكشف
عن انه لا لطف فيه وهذا الوجه لا يصح ان يقال في الآية لانه يختص الطاعات والآية تتناول كل
ما لم يكن قبيحا بدلالة الاجماع على حسن استثناء ما تضمنته في فعل كل ما لم يكن قبيحا وقد يدخل
الاستثناء في الكلام ويراد به التسهيل والاقدار والتخلية والبقاء على ما هو عليه من الاحوال
وهذا هو المراد به اذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن في الآية الا انه يعترضه ما ذكره ابو علي فيما
حكيناه من كلامه وقد يذكر استثناء المشيئة ايضا في الكلام وان لم يرد به شيء مما تقدم بل يكون
الغرض اظهار الانقطاع الى الله تعالى من غير ان يقصد به شيء من الوجوه المتقدمة ويكون هذا الاستثناء
غير معتد به في كونه كاذبا او صادقا لانه في الحكم كانه قال لافعلن كذا اذا وصلت الى مرادي مع
انقطاعي الى الله عز وجل واظهار الحاجة اليه وهذا الوجه ايضا مما يمكن في تأويل الآية ومتى تؤمل جملة
ما ذكرناه من الكلام عرف منه الجواب عن المسئلة التي لا يزال يسأل عنها المخالفون من قولهم لو كان الله

المشيئة

اجود

بان لم يقع

اجماع

اجماع المسلمين

تعالى انما يريد بما ليبادر من الاقسام دون ما يتعلق بالوجوب فاما من قال لغيره عليه دين طالبه به والله
لاعطينك حقك غدا ان شاء الله ان يكون كاذبا او حانثا اذا لم يفعل لان الله تعالى قد شاء منه
ذلك عندكم وان كان لم يقع وكان يجب ان تلزمه الكفارة وان لا يؤثر هذا الاستثناء في يمينه
ولا يخرجه من كونه حانثا كما انه لو قال والله لاعطينك حقك غدا ان قدم زيد فقدم ولم يعطه
يكون حانثا وفي التزام هذا الحنث خروج عن اجماع المسلمين فصار ما اوردناه جامعا للبيان تاويل
الاية والجواب عن هذه الشبهة ونظائرها من المسائل والحمد لله قال السيد المرتضى قدس الله روحه
تاملت ما اشتملت عليه تشبيهات الشعراء فوجدت اكثر ما شبهوا فيه الشيء بالشيء الواحد و
الشيئين بالشيئين فقد تجاوزوا ذلك الى تشبيه ثلاثة بثلاثة واربعة باربعة وهو قليل ولم اجد
من تجاوز هذا القدر الا قطعة عرضت لابن المعتز فانها تضمنت تشبيه ستة اشياء بستة اشياء
فاما تشبيه الواحد بالواحد فمثل قول عنترة في وصف الذباب هزجا يحك ذراعه بذراعه فعل
المكب على الزناد الاجذم ومثله قول ابن الرقاع تزجي اغن كان ابرة روقه قلم اصاب من الدواة
مدادها ومثل قول امرئ القيس كان عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم يثقب وقوله
اذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض اثناء الوشاح المفصل وقول ذي الرمة وردت اعتسافا
والثريا كانها على قمة الراس ابن ماء محلق وهذا الباب اكثر من ان يحصى واما تشبيه شيئين بشيئين
فمثل قول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي وقوله
وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كانبوب السقي المذلل وكقول بشار كان مثار النقع فوق
رؤوسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه وقول الآخر كان سمو النقع والبيض حولنا سماوة
ليل اسفرت عن كواكب وقول ابي نواس كان صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على ارض
من الذهب ولآخر ان الشمول هي التي جمعت لاهل الود شملا شبهتها وحبابها شمسا تحملن
ملاء ولآخر ابصرته والكاس بين فم منه وبين انامل خمس فكانها وكان شاربها قمر يقبل
عارض الشمس ولآخر حتى اذا الحليت في الكاس خلت بها عقيقة حليت في قشر لؤلؤ تعلو اذا مزجت
في كاسها حبب كانه عرق في خد محموم وقال البحتري شقائق يحملن الندى فكانه دموع التصابي في
خدود الخرائد وقال آخر فكان الربيع يجلو عروسا وكان من قطره في نثار ولابي العباس الناشئ
كان الدموع على خدها بقية طل على جلنار وقال ابن الرومي فاحسن لو كنت يوم الفراق حاضرنا
وهن يطفين غلة الوجد لم تر الا الدموع سافحة تنضح من مقلة على خد كان تلك الدموع قطر
ندى يقطر من نرجس على ورد وقال جران العود النميري ابيت كان العين افنان سدرة
عليها سقيط من ندى الطل ينطف ولابن المعتز سقتني في ليل شبيه بشعرها شبيهة خديها

بغير

بغير رقيب فامسيت في ليلين بالشعر والدجى وشمسين من خمر ووجه حبيب وقال المتنبي
نشرت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فارت ليالي اربعا فارتني القمرين في وقت معا فاما تشبيه
ثلاثة بثلاثة فمثل قول ماني الموسوس نشرت غدائر شعرها لتظلني خوف العيون من الوشاة الرمق
فكانه وكانها وكانني صبحان باتا تحت ليل مطبق ولبعضهم وروض ورد خلاله نرجس غض
بجفان اكحلها نضير [illegible] وذا يحكي عيونا وذا يحكي خدودا ولآخر في [illegible]
ملاهن [illegible] لها عمد [illegible] وللبحتري يصف ضمر المطايا ونحولها
كالقسي المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار ولبعض الطالبيين وانا ابن معتلج البطاح اذا غدا
غيري وراح على متون ضوامر يفتر عني ركنها وحطيمها كالجفن يفتح عن سواد الناظر كجبالها
شرفي ومثل سهولها خلقي ومثل ظبائها من مجاوري فاما تشبيه اربعة باربعة فمثل قول امرئ القيس
له ايطلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تتفل ولآخر كيف تناول راحها بزجاجة
خضر تقذف بالحباب وتزبد فالكف ثلج والحباب لآلئ والراح تبر والاناء زبرجد ولبعضهم
وقد هكذا [illegible] والخوان وعشاق واس فكانك المهدي [illegible] الكرم
اهديت ما ناسبها حسنا وظرفا وشبها وما راينا مهديا مثلك في كل الامم اهديت العيون والخدود
والشعور والتمام [illegible] اوصاف تعالت عن كل ما اصف كالشمس تعلو والبدر
تشرق والغزال يعطو والغصن ينعطف وللمتنبي بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا
ورنت غزالا ومثله سفرن بدورا وانتقبن اهلة ومسن غصونا والتفتن جاذرا فاما تشبيه
خمسة بخمسة فقول الوأواء الدمشقي واسبلت لؤلؤا من نرجس فسقت وردا وعضت على العناب
بالبرد فاما تشبيه ستة بستة فلم اجده الا لابن المعتز في قوله بدر وليل وغصن وجه وشعر وقد
خمر ودر وورد ريق وثغر وخد مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى ربنا
لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا فقال كيف يجوز ان يامرنا على سبيل العبادة لنا بالدعاء بذلك
وعندكم ان النسيان من فعله تعالى ولا تكليف على الناسي في حال النسيان وهذا يقتضي احد امرين
اما ان يكون النسيان من فعل العباد على ما يقوله كثير من الناس او يكون متعبدين بمسئلته تعالى
ما نعلم انه واقع حاصل لان مؤاخذة الناسي مامونة منه تعالى والقول في الخطاء اذا اريد به ما
وقع سهوا او عن غير عمد يجري هذا المجرى الجواب قلنا قد قيل في تاويل هذه الآية ان المراد بنسينا
تركنا قال ابو علي قطرب بن المستنير معنى النسيان ههنا الترك كما قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل
فنسي اي ترك ولولا ذلك لم يكن فعله معصية وكقوله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوا طاعته
فتركهم من ثوابه ورحمته وقد يقول الرجل لصاحبه لا تنسني من عطيتك اي لا تتركني منها وانشد

غرضه ولم العنيد لحوى فالبيا ولا كنت يوم الروع للطعن ناسيا اى تاركا ومما يمكن ان
يكون شاهدا على ذلك قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم اى تتركون انفسكم ويمكن
في الابيات وجه آخر على ان يحمل النسيان على السهو وفقد العلوم ويكون وجه الدعاء بذلك ما قد
بيناه فيما تقدم من الامالي على سبيل الانقطاع الى الله واظهار الفقر الى مسئلته والاستعانة
به وان كان مأمونا منه المؤاخذة بمثله ويجري مجرى قوله تعالى فى تعليمنا وتأديبنا ربنا ولا
تحملنا ما لا طاقة لنا به ويجري مجرى قوله تعالى رب احكم بالحق وقوله ولا تخزني يوم يبعثون
وقوله تعالى حاكيا عن الملئكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم وهذا
الوجه ايضا يمكن فى قوله او اخطأنا اذا كان الخطأ ما وقع سهوا او عن غير عمد فاما على ما يطابق
الوجه الاول فقد يجوز ان يريد بالخطاء ما يفعل من المعاصي بالتأويل السيء عن جهل بانها معاص
لان من قصد شيئا على اعتقاد انه بصفة فوقع ما هو بخلاف معتقده يقال قد اخطأ فكأنه
امرهم بان يستغفروا مما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تأويل وفيما اقدموا عليه مخطئين
متأولين ويمكن ايضا ان يريد باخطأنا ههنا اذنبنا وفعلنا قبيحا وان كانوا له متعمدين و
عالمين لان جميع معاصينا لله تعالى قد توصف كلها بانها اخطاء من حيث فارقت الصواب وان
كان فاعلها متعمدا فكأنه امرهم بان يستغفروا مما تركوه من الواجبات وفيما فعلوه من المقبحات
ليشتمل الكلام على جميع الذنوب والله اعلم بمراده اخبرنا ابو عبيد الله قال حدثني محمد بن العباس
قال قال لي يوما ابو العباس محمد بن يزيد النحوي ما اعرف صادية احسن من صادية ابي الشيص فقلت له
وكم صادية حسنة لا تعرفها ثم انشده لبشار خمص الحشا يا صاحبيّ فغمضا لو بقيت لطلب
في الحبالة منهضا وكان قلبي عند كل مصيبة عظم تكرر صدعه فتهيضا واخ سلوت له
فاذكره اخ فمضى وتذكرك الحوادث ما مضى فاشرب على تلف الاحبة اننا جزر المنية ظاعنين
وخفضا ولقد جريت مع الصبا طلق الصبى ثم ارعويت فلم اجد لي مركضا وعلمت ما علم امرؤ
في دهره فاطعت عذالي واعطيت الرضا وصحوت من سكر وكنت موكلا ادعى الحمامة والغراب
الابيضا الحمامة المرأة والغراب الابيض الشعر الشائب فيقول كنت كثير العهد بقضي بالنظر في
المرأة وترجيل الشعر وقوله الغراب الابيض لان الشعر كان غربيبا اسود من حيث كان شابا ثم
ابيض بالشيب وما كل ذي نفس يجود بمائها وكذا الموصد والربيع لو وصا هكذا انشده
المبرد ويحيى بن علي وانشده ابن الاعرابي ما كل ذي نفس يجود بمائها ولربما صد الربيع فرقضا
قذفت القنة وذفت فراقه وجعلت فاعلا وزاجر العصا ياليت شعري عنا كان صدوده
ان كان ام وصد النحاب ومضا وعزم ذكوتابه وبلام الجلاد احمضا وعلقيه وبلى بزرادة

الثغام الابيض ... الرابع ... اى حتى ...

العذ بالكسر الماء الغزير لا ينقطع كالعين والكبر — الكنيف البئر التي تحفر في حجارة فلا ينقطع ماؤها — نفضا الفرس الخيل سبقها ونفضوها ونفضا خفضا به ذهب — الثمد الماء القليل

كان الذي قد كان حلما فانقضى سبحان من كتب الشقاء لذي الهوى ما كان الا كالخضاب نضا
وقال المبرد وهي طويلة وذكر يوسف بن يحيى بن علي عن ابيه ان ابا نواس اخذ قوله جريت مع الصبا
طلق الصبى قال السيد قدس الله روحه ولابي تمام والبحتري على هذا الوزن والقافية وحركة القافية
قصيدتان لم تزيدا على صادية بشار التي استحسنها المبرد لم تقصرا عنها فاول قصيدة ابي تمام
اهلوك اضحوا شاخصا ومقوضا ومن مما يصف النوى مفرضا ان يتبع عيشك انهم امّوا اللوى
فبما اضاءه وتحلى ذات الاضباء بدلت من برق الثغور وبرده برقا اذا ظعن الاحبة او مضا ما انصف
الشرخ الذي بعث الهوى فقضى عليك الوجهم انقضى عندك من الايام ما لو انه امسى لشان
نزعل ما عمضا لاطلبن الوفر بعد شماسه فترومه سبعا اذا ما غيضا انا عوض الصبر امرء الا
ما فاتد دون الذي قد عوضا بالحمد بن ابي دؤاد دعوة ذلت بذكرك لي وكانت ريضا لما انتضيتك
للخطوب كفيتها والسيف لا يرضيك حتى ينتضى قد كان صوح نبت كل قرارة حتى تروح في نداك
فروضا او ردتني العذب الحسيف وقد ارى ابرض الثمد البكي برضا فاما قصيدة البحتري فهي
ثرانا الثواذل الاسبية ومبيضا وقضاء البين عن ما انضا وسنا اغر تضرف لحظة مرض اعل
بر القلوب فامرضا وكانه وجد الصبي وجد بلية دنيا دنا ميقاتها ان تنقضي اسبا الثرى من جوى
وصبابة واسا من وصل الحسان وانقضا كلف يكفكف عبرة مهراقة اسفا على عهد الشباب وما فيه
انقضى عدد تكامل الشباب محيبة واذا مضى الشيء حان فقد مضى يقول فيها ضعف الخلاف
اخر جاشهم وتذبذب من فاصيل ان تنقضي وكفاك من حنش الصعيد مهددا ان مسه فضل اللثام
او نضنضا لا تشكرن من جار بجنبك ان طوى اطناب جانب بيته او قوضا فالارض واسعة
لنقلة راغب عمن تنقل وده وتنقضا لا هتبل اغمضا اما كنت قد اغمضت مشتملا على جمر
الغضا لست الذي ذعار ضمله في الحكم الزمان وقوضا لا يستفزك الطفيف ولا
ارى شعار البارق خلب ان او مضا انا من احب تحرها وكانني فيما اعامن مثل من انفضا
سيف كحجم وانما عمد الحسام المشرفي لينتضي وسكت الا ان اعرض قابلا نزرا وصرح جعد
من عرضا واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني يوسف بن يحيى عن ابيه قال من مختار شعر ابي
قوله في وصف الزمان عتبت على الزمان واي حي من الاحياء اعتبه الزمان ولينه من الحدثان
على وليس من حدث امان وليس بزايل روح بروح معان مرة او ممتنعا منه ناب الكرام
كريم فما لك عنهما لا المؤان يا خليلي صبيا او ذرا ليس كل البرق يهدي المطر الا تكون كامرئ ضاع
يترك العين ويبقى الاثر ذهب المعروف لا ذكره ربما ابكى الفتى ما ذكرا وبقينا في زمان يعتلي
يشرب القوم ويبقى الكدرا قال له قد ادرك الحاجة ممنوعة ونولع النفس بما لا تنال داء وبعض

لا يفتأل يا احتمل الهم على عاتق ان لم تساعفك العاتكة الجلال قال يحيى قوله عاتق يعني الخمر وهذا
مثل قوله وحلت عنقا من شراب بابلي فبتن يرفلن على نهر الجيل قال السيد قدس الله روحه وهذا
الذي ذكره يحتمله البيت على استكراه ويحتمل ايضا ان يريد بالعاتق العضو ويكون المعنى ان لم تجد من
يحمل عنك همومك ويقوم باثقالك ويخفف عنك فتحمل انت ذلك بنفسك واصبر عليه كانه يأمر
نفسه بالجلد والصبر عند اليأس وهذا البيت له نظائر في الشعر واخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن
هرون قال حدثني ابي قال من بارع شعر بشار قوله يصف جارية مغنية قال العلي وما في الدنيا القديم
ثم محادث من مثيره لا منطق منه بعذر الغنا والحسن انه مثل هذه الابيات وذاعية العين منها
عنيلة الاتراب لم تشو بطرح جحيد من المشهلات الهموم على الفتى خفا بريقها في عشر وعقود حسد
عليها اكاليل تشمتها وما كنت لولا حبها اتجنب واصفر مثل الزعفران شربته على صوت صفراء الترائب
كان امراها الشباب قبابها نوم يوم عيون وعود من البيض لم فرح على اهل ثلة سوامها ولم يرع
حلائج فعود نيسه البابنا وقلوبنا اسرار او جهن تعدهم اذا نطقت صحنا وصاح لنا الصدى
صياح جنود وجهت بجنود فظلنا بذاك الديا اليوم كله كانا من الفردوس تحت خلود ولا باس انا
عند اهلها شهود وما الباب البابنا لشهود قال وانشدني ابي له في وصف مغنية العراق تزادها
الصبا التام لئن منظرتها وحسن سماع تصلي له اذناه وعيونها اذا ما الفينا والقلوب دوامي
وصفراء مثل الخيزرانة لم تعش ببؤس ولم تركب مطية راكب جرى للؤلؤ المكنون فوق لسانها لزوارها
من مزهر ومزاهر اذا قلدت اطرافها العود زلزلت قلوبا دعاها للوساوس راغب كانهم في جنة قد
تلاحقت محاسنها من روضة وجنائب يروحون من تغريدها وحديثها نشاوى وما تسقيهم بشراب
لعوب بالباب الرجال وان دنت اطيع النهى والغي غير مطاع قال علي بن هارون الصواع المكيال
يقول اذا غنت شربوا اجزاها بلا كيل ولا معيار من حسن ما جاءهم قال السيد قدس الله روحه
وهذا خطأ منه وانما المراد ان غنائها وحديثها المفرط حسنه وشدة اطرابه يغنيان عن شرب الخمر
وان لم يكن هناك شرب بصواع وهذا يجري مجرى قول الشاعر ويوم ظللنا عند ام محمد نشاوى
ولم نشرب حلالا ولا خمرا وما كان عندي ان احدا يتوهم في هذا البيت ما ظنه هذا الرجل فاما قوله
في القطعة الاولى واصفر مثل الزعفران شربته على صوت صفراء الترائب رود فيحتمل وجوها
ثلاثة اولها ان يكون اراد بصفرة ترائبها الكناية عن كثرة تطيبها وتضمخها وان ترائبها تصفر للطيب
كما قال الاعشى بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعرار والعرار بهار البر وانما اراد انها تتضمخ
بالعشي بالطيب فيصفرها ومثله قول ذي الرمة بيضاء في نعج كحلاء في برج كانها فضة قد مسها
ذهب ومثله بيت قيس بن الخطيم فرأيت مثل الشمس عند طلوعها في الحسن او كدنوها لغروب

الدعج سواد الحدقة والبرج سعة العين لغيوب

والثاني احدهما ان يريد انها تطيب بالعشي فتصفر لان الطيب يصفر والوجه الاخر ان يريد المبالغة في
وصفها بالحسن وان الشمس احسن ما تكون في وقتيها ومن ذلك ايضا قول الشاعر صفراء اعجلها الشباب لدانها
ومثله للاعشى اذ تجرد حين تصبو عليها وجريال النضير الدلامص بالعبير ثوب ناعم
ليس شبيه بنعمة جسمها والنضير الذهب والجريال كل صبغ احمر وانما يعني لون الطيب عليها والذي يبعض
البراقع فيها وجه والوجه الثاني ان يكون اراد بوصفها بالصفرة رقة لونها ونضارته لان المرأة اذا كانت
صافية اللون رقيقه يضرب لونها بالعشي الى الصفرة وقال محمد بن علي بن محمد الاصبهاني
قال لي ابي قال الجاحظ زعموا ان المرأة اذا كانت صافية اللون رقيقه يضرب لونها بالغداة الى البياض
وبالعشي الى الصفرة واحتج بقول الراجز قد علمت بيضاء صفراء الاصيل وزعم ان بيت ذي الرمة
الذي انشدناه من هذا المعنى وكذلك بيت الاعشى الذي انشدناه والابيات تحتمل الامرين فاما الخبر
لا يحتمل الا وجها واحدا هو قول الشاعر وقد خفضها عبيره فلا هو عنها على خدها اخر نحوها
لانها لا تكون صفراء في نحرها الا من اجل الطيب فاما قوله على خدها احمر فانما اراد انها تصبغ بلون
والوجه الثالث ان تكون المرأة كانت صفراء على الحقيقة فان بشارا كثيرا ما يشبب بامرأة صفراء كقوله صفراء
من بني هواك ولا ودي فلا ما مضى بيني وبينك من عهد لقد كان ما بيني زمانا وبينها كما كان بين
المسك والعنبر الورد أصفراء كان الود منك ملالة بل الى كان الهجر منك مزاحا وقد يجعل الحواني
فيهم حياتها فلما غبت صرن ملاحا وقد يحمل ملاحا فلما غبت صرن قباحا وقوله قباحا فلما غبت صرن
ملاحا انه يشبه قول السيد بن محمد الحميري واذا حضرتهم مع الملاح بمجلس ابصرتهن وما يجني قباحا فاما قوله
من البيض لم تشرح سوادها فانه لا يكون مناقضا لقوله صفراء وانما اراد الصفرة لونها لان البياض
ليس بعبارة عن اللون وانما هو عبارة عن نقاء العرض وسلامته من الادناس والعرب لا تكاد تستعمل
البياض في هذا المعنى بمعنى اللون لان البياض عندهم البرص ويقولون في الابيض الاحمر ومنه
قول الشاعر جاءت به بيضاء تحمله من عبد شمس صلتة الخد ومثله بيض الوجوه كريمة احسابهم
فاما قول بشار في القطعة الثانية وصفراء مثل الخيزرانة فانه يحتمل ما تقدم من الوجوه وان كان لون
الصفرة اخص بقوله كالخيزرانة لان الخيزرانة تضرب الى الصفرة ويحتمل ايضا ان يريد بصفراء غير اللون
الثاني ان يكون قوله كالخيزرانة انها مثلها في التثني والتعطف ولقد احسن جران العود في قوله في المعنى
الذي تقدم كان سبيكة صفراء صبت عليها ثم ايث بها الازار برود العارضين كان فاها
النوم مسك مشار **مجلس آخر** تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم
يعمهون فقال كيف اضاف الاستهزاء اليه وهو مما لا يجوز في الحقيقة عليه وكيف خبر انه يمدهم في الطغيان
والعمى وذلك بخلاف مذهبكم الجواب قلنا في قوله تعالى الله يستهزئ بهم وجوه اولها ان يكون معنى

في قوله

الاستهزاء الذي اضافه تعالى الى نفسه تجهيله لهم وتخطئته اياهم في اقامتهم على الكفر واصرارهم على الضلال
وسمى الله تعالى ذلك استهزاء مجازا او تشبيها كما يقول القائل ان فلانا ليستهزئ به منذ اليوم اذا فعل
فعلا عابه الناس به وخطئوه فيه فاقيم عيب الناس على ذلك الفعل ولزوم الخطأ على فاعله مقام الاستهزاء به وانما
اقيم مقامه لتقارب ما بينهما في المعنى لان الاستهزاء الحقيقي هو ما يقصد به الى عيب المستهزأ به والازراء
عليه واذا تضمنت التخطئة والتجهيل والتبكيت هذا المعنى جاز ان يجري عليه اسم الاستهزاء ويشهد بذلك
قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ونحن نعلم ان الآيات لا يصح
عليها الاستهزاء على الحقيقة ولا السخرية وانما المعنى اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويزرى عليها والعرب قد
تقيم الشيء مقام ما قاربه في معناه فتجري عليه اسمه قال الشاعر: كم اناس في نعيم عمروا في ذرى ملك
تعالى فبسق. سكت الدهر زمانا عنهم ثم ابكاهم دما حين نطق. والسكوت والنطق على الحقيقة لا يجوز
على الدهر وانما شبه تركه الحال على ما هي عليه بالسكوت وشبه تغييره لها بالنطق وانشد الفراء: ان
دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان. ومثل ذلك في الاستعارة لتقارب المعنى قوله: سالتني
باناس هلكوا شرب الدهر عليهم واكل. وانما اراد بالاكل والشرب الافساد لهم والتغيير لاحوالهم
ومنه: يقر بعيني ان ارى باب دارها وان كان باب الدار يحسبني جلدا. والجواب الثاني ان يكون معنى الاستهزاء
المضاف اليه عز وجل ان يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون ولا يشعرون وروي عن ابن عباس انه قال
في معنى استدراجه اياهم انهم كلما احدثوا خطيئة جدد لهم نعمة وانما سمي هذا الفعل استهزاء من حيث
غيب تعالى عنهم من الاستدراج الى الهلاك غير ما اظهر لهم من النعم كما ان المستهزئ منا المخادع لغيره
يظهر امرا ويضمر غيره فان قيل على هذا الجواب فاي فائدة واي وجه لان يستدرجهم بالنعم من
الهلاك قلنا ليس الهلاك ههنا هو الكفر وما اشبهه من المعاصي التي يستحق بها العقاب انما يستدرجهم
الى الضرر والعقاب الذي استحقوه بما تقدم من كفرهم ولله تعالى ان يعاقب المستحق بما يشاء واني
شاء فكانه تعالى لما كفروا وبدلوا نعمه وعاندوا رسله لم يغير عليهم نعمه في الدنيا بل بقاها ليكون
نزعها عنهم وابدالهم بها النقم الحسرة منهم اعظم والضرر عليهم اكبر فان قيل فهذا يؤدي الى ان
يكون بعض ما ظاهره ظاهر النعمة على الكفار مما لا يستحق الله به الشكر عليهم قلنا ليس يمتنع هذا فيمن
استحق العقاب انما المنكر ان تكون النعم المبتداة بهذه الصفة على ما تدعيه مخالفنا الا ترى ان الحياة
وما جرى مجراها من حفظ التركيب والصحة لا تعد على اهل النار نعمة وان كانت على اهل الجنة نعما
حيث كان الغرض فيه ايصال العذاب اليهم والجواب الثالث ان يكون معنى استهزائه بهم انه جعل لهم
بما اظهروه من موافقة اهل الايمان ظاهر احكامهم من نصرة ومناكحة وموارثة ومدافنة وغير ذلك
من الاحكام وان كان تعالى معدا لهم في الآخرة اليم العقاب لما ابطنوه من النفاق واستسروا به من الكفر

قول الآخر

فكانه تعالى قال ان كنتم ايها المنافقون بما تظهرونه للمؤمنين من المتابعة والموافقة وتبطنونه من النفاق
وتطلعون عليه شياطينكم اذا خلوتم بهم تظنون انكم مستهزئون فان الله تعالى هو المستهزئ بكم من حيث جعل
لكم احكام المؤمنين ظاهرا حتى ظننتم ان ما لكم ما لهم ثم ميز بينكم في الآخرة ودار الجزاء من حيث
اثاب المخلصين الذين توافق ظواهرهم بواطنهم وعاقب المنافقين وهذا الجواب يقرب معناه من الجواب الثاني
وان كان بينهما خلاف من بعض الوجوه والجواب الرابع ان يكون معنى ذلك ان الله هو الذي يرد استهزاءهم
ومكرهم عليهم وان ضرر ما فعلتموه لم يتعدكم ولم يحط بسواكم ونظير ذلك قول القائل ان فلانا اراد ان
يخدعني فخدعته وقصد الى ان يمكر بي فمكرت به والمعنى ان ضرر خداعه ومكره عاد اليه ولم يضر بي
به والجواب الخامس ان يكون المعنى انه يجازيهم على استهزائهم فسمى الجزاء على الذنب باسم الذنب والعرب
تسمي الجزاء على الفعل باسمه قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال تعالى فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به والمبتدأ ليس
بعقوبة قال الشاعر: الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا. ومن شان العرب ان تسمي
الشيء باسم ما يقاربه ويصاحبه ويشتد اختصاصه وتعلقه به اذا انكشف المعنى وامن الايهام وربما
غلبوا ايضا اسم احد الشيئين على الآخر لقوة التعلق بينهما وشدة الاختصاص فمثال الاول قولهم
للبعير الذي يحمل المزادة راوية وللمزادة المحمولة على البعير راوية فسموا البعير باسم ما يحمل عليه قال الشاعر
مشي الروايا بالمزاد الاثقل. اراد بالروايا الابل ومن ذلك انهم يقولون صرعته الكاس واستلبت عقله وقال
الشاعر: وما زال الكاس تغتالنا وتذهب بالاول فالاول. والكاس محل الشراب فالفعل الذي
اضافوه اليها انما هو مضاف الى الشراب الذي يحل الكاس على ان الفراء يقول الكاس الاناء بما فيه من
الشراب فان كان الاناء فارغا لا يسمى كاسا وعلى هذا القول يكون اضافته ما ذكر من الفعل والصريع وما
يجري مجرى ذلك الى الكاس على وجه الحقيقة لان الكاس على هذا القول اسم للاناء وما حله من الشراب
ومثال الوجه الثاني ما ذكرناه عنهم من التغليب تغليبهم اسم القمر على الشمس قال الشاعر: اخذنا بآفاق السماء
عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع. اراد لنا شمسها وقمرها فغلب ومنه قول الآخر: فقولوا لاهل المكتين
تحاشدوا وسيروا الى آطام يثرب والنخل. اراد بالمكتين مكة والمدينة فغلب قال الآخر: فبصرة الازد
منا والعراق لنا والموصلان ومنا مصر والحرم. اراد بالموصلين الموصل والجزيرة وقال الآخر: نحن
سبينا امكم مقربا يوم صبحنا الحيرتين المنون. اراد الحيرة والكوفة وقال الآخر: اذا اجتمع العمران
عمرو بن عامر وبدر بن عمرو خلت ذبيان تبعا. والقوا مقاليد الامور اليهم جميعا وقاموا كارهين
وطوعا. اراد بالعمرين رجلين يقال لاحدهما عمرو وللآخر بدر وقد فسره الشاعر في البيت ومثله
جزاني الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء يجزى بالكرامة. اراد بالزهدمين رجلين يقال لاحدهما زهدم

يقصر به

اي تبعا لهم

ولا حركة ثم تغلب كل الذي ذكرناه يقوي هذا الجواب من حيث التسمية للجزاء على الذنب باسمه او تغليبه
عليه للمقابلة وللاختصاص التام بين الذنب في الجزاء عليه والجواب السادس وهو ما روي عن ابن عباس في قوله تعالى
يفتح لهم وهم في النار باب من الجنة فيقبلون اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم فيضحك المؤمنون
منهم اذا راوا الابواب قد اغلقت دونهم فلذلك قال عز وجل فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون
على الارائك ينظرون فان قيل فاي فائدة في هذا الفعل وما وجه الحكمة فيه قلنا وجه الحكمة فيه ظاهر
لان ذلك اغلظ على نفوسهم واعظم في مكروههم وهو ضرب من العقاب الذي يستحقونه بافعالهم القبيحة
لان من طمع في النجاة والخلاص من المكروه واشتد حرصه على ذلك ثم حيل بينه وبين الفرج ورد الى
المكروه يكون عذابه اصعب واغلظ من عذاب من لا طريق للطمع عليه فان قيل فعلى هذا الجواب ما
الفعل الذي هو الاستهزاء قلنا في فتح الباب لهم من باب الى الخروج على سبيل التعذيب معنى الاستهزاء
من حيث كان ظاهره الانعام والمراد بخلافه وان لم يكن فيه من معنى الاستهزاء ما يقتضي قبحه من اللهو واللعب وما
جرى مجرى ذلك والجواب السابع ان يكون ما وقع منه تعالى ليس باستهزاء على الحقيقة لكنه سماه بذلك
ليزدوج اللفظ ويخف على اللسان وللعرب في ذلك عادة معروفة في كلامها والشواهد عليه مذكورة
مشهورة وهذه الوجوه التي ذكرناها في الآية يمكن ان نذكرها في قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير
الماكرين وقوله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم فليتامل ذلك فاما قوله تعالى ويمدهم
في طغيانهم يعمهون فيحتمل وجهين احدهما ان املي لهم ليؤمنوا ويطيعوا وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم
وعمههم والوجه الآخر ان يريد بيمدهم انه يتركهم من فوائده ومنحه التي يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم ويمنعها
الكافرين عقابا كشرحه لصدورهم وتنويره لقلوبهم وكل هذا واضح بحمد الله قال السيد ادام
الله تمكينه واني لاستحسن لبعض الاعراب قوله يا خليلي هل يشوق من الشوق والحب بلا ذوي الابل
لا بل يشوقها ويزداد في قرب ليها صبابة ويبعد من فرط اشتياقي طريقها وما ينفع الحران ذا
اللوح ان يرى حياض القرى مملوءة لا يذوقها ولاخر في تذكر الاوطان والحنين اليها الا
لذاذة كبشة الحي وذات العضا خادت عليك لها واخت احتلها الا انها الا انقلبت ودموع
اصناعا حفظت سواكب دياديننا ثم الهواء تجوبها وقطا وعندها الهوى والحبايب الحبائب
لا الهجران تمنعنكم بها على وصل من اهوى ولا الظن كاذب وانشد ابو نصر صاحب الاصمعي لاعرابي
الا ليت شعري هل ابيتن ليلة باسناد نجد وهي خضر متونها وهل اشربن الدهر من ماء مزنة
بجرعاء ليلى حيث فاض معينها بلاد بها كنا نحل فاصبحت خلاء ترعاها مع الادم عينها نعيمنا
فيها بالشباب وبالصبا يميل بنا الهوى على غصونها وانشد الاصمعي لصخر بن الجعد الا
ليت شعري هل تحنن ناقتي بجنبك اهضبا خيلة بشربها فتلك بلاد حبب اهلها الي ان

نوادره من باب

ابعاد لهم عن الطمع في النجاة

ان يريد

يشفي النفوس من الجوى

الحران اي العطشان واللوح العطش

باكناف نجد

تخير

قوله تعالى وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو

نعيش بها امرها بلاد بها انقضت حاجة الصبوح ولاذت لنا ايامها وشهورها فقد نابها الحجم
المكد شرخه ودارت علينا النعيم سرورها وانشد ابو محلم السواد بن المضرب سقى الله اليمامة من بلاد
نوافحها كارواح الغوالي وجوفاء المريح فيه تسنم لا يروع الركب واني بها سفت الشباب الى
مشيب يقبح عندنا حسن الزمان وانشد اسحق الموصلي الا يا حبذا حبات سلمى وحادر ارضها
جون السحاب خلعت بها العذار وقلت فيها اماني بطاعة وما قضاب واصوم بالطلا
تهوى وبعلني بعض الشباب فكل هولا على ما ترى قد اقضوا بان سبب حنينهم الى الاوطان ما
لبسوه فيها من ثوب الشباب واستظلوه من ظله واقتضوه من زواله وان كان يعلل هم محبين فيها
فعلى اي شيء يعلو الناس في قول ابن الرومي وحبب اوطان الرجال اليهم مارب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم عهود الصبى فيها فحنوا لذلكا ويزعمون انه سبق الى ما لم يسبق اليه
كان عن هذا المعنى مستورا ودرس عطلا وقوله وان كان جيد المعنى سليم اللفظ فلم يزد فيه على
ما تقدم ولا ابدع بل اتبع ولكن الجيد اذا ورد ممن بعد من الحذر كثر استحسانه واستطرافه
احسن البحتري في قوله في هذا المعنى فسقى الغضا والنازليه وان هم شبوه بين جوانح وقلوب وقد
قضا ايام بهم سرقت لنا حسناتها من كاشح ورقيب اخضر ينافطها الصبى فكانها وقد انقضت
اصبح عصب كانت فنون بطالة فتقطعت عن هجر غانية ووصل مشيب واحسن في قوله
سقى الله اطلالا من الدهر طيبة سقتنا الجوى اذ ابرق الجو ابرق ليالي سرقنا فيها من الدهر
اغناء بالصبا اذ الشيب معرق تداويت من ليلى بليلى فما شفى بماء الزنا من بات بالريق يشرق
تمام في هذا المعنى ما لا يقصر عن احسانا وهو سلامي ويرفع الاحشاء ومنه علي بن الحسن بنو هب بالعراق
على البلد الحبيب الى عهوادا ولجدا والاخ العذب المذاق ليالي نحن في وسنات عيش كان الدهر
عنها في وثاق وايام لدولنا العادي غنينا في حواشيها الرقاق كان العهد عن عفر لدينا وان كان
التلاقي عن تلاقي مجلس اخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض
عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فقال كيف خاطب آدم وحواء عليهما السلام بخطاب الجمع
وهما اثنان وكيف نسب اليهما العداوة واي عداوة كانت بينهما الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية
وجوه اولها ان يكون الخطاب متوجها الى آدم وحواء وذريتهما لان الوالدين يدلان على الذرية ويتعلق
بهما ويقوي ذلك قوله تعالى حاكيا عن ابرهيم واسمعيل ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وثانيها ان يكون الخطاب لآدم وحواء عليهما السلم ولابليس اللعين وان
الجميع مشتركين في الامر بالهبوط وليس لاحد ان يستبعد هذا الجواب من حيث لم يتقدم لابليس ذكر في قوله
تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة لا مرة وان لم يخاطب بذلك فقد جرى ذكره في قوله تعالى فازلهما

والنقي الحاوالد

غبنا اي

في ديوان

سكن بعيد فعلان

كان الدهر عنا في وثاق

الشيطان عنهما فاخرجهما مما كانا فيه فيجوز ان يكون الخطاب الى الجميع وثالثها ان يكون الخطاب متوجها
الى آدم وحوا والحية التي كانت معهما على ما روي عن كثير من المفسرين وفي هذا الوجه بعد من قبل ان
خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن ولا بد من ان يكون قبيحا اللهم الا ان يقال انه لم يكن هناك قول في الحقيقة
ولا خطاب وانما كنى عن اهباطه لهم بالقول كما يقول احدنا قلت فلقيت الامير وقلت فضربت زيدا وانما
يخبر عن الفعل دون القول وهذا خلاف الظاهر وان كان مستعملا وفي هذا الوجه بعد من وجه آخر
وهو انه لم يتقدم للحية ذكر في نص القرآن والكناية عن غير مذكور لا تحسن الا بحيث لا يقع لبس ولا يسبق
وهم الى تعليق الكناية بغيره حتى يكون ذكره كتركه في البيان عن المعنى المقصود مثل قوله حتى
توارت بالحجاب وكل من عليها فان وقول الشاعر اماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق
بها الصدر فاما بحيث لا يكون الحال على هذا فالكناية عن غير مذكور قبيحة ورابعها ان يكون الخطاب
يختص آدم وحوا عليهما السلام وخاطب الاثنين بالجمع على عادة العرب في ذلك لان التثنية اول الجمع قال الله تعالى
اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين اراد لحكم داود وسليمان عليهما السلام وكان بعض اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ وكنا لحكمهما شاهدين وقال تعالى فان كان له اخوة فان كان له اخوان وقال الراعي اخليد
ان اباك ضاف وساده همان باتا جنبة ودخيلا طرقا فتلك هماهمي اقريهما قلصا لواقح كالقسي وحولا
فعبر بالهماهم وهي جمع عن الهمين وهما اثنان فان قيل فما معنى الهبوط الذي امروا به قلنا اكثر المفسرين
على ان الهبوط هو النزول من السماء الى الارض وليس في ظاهر القرآن ما يوجب ذلك لان الهبوط كما يكون
النزول من علو الى سفل فقد يراد به الحلول في المكان والنزول به قال الله تعالى اهبطوا مصرا فان لكم
ما سألتم ويقول القائل من العرب هبطنا بلد كذا وكذا اي حللنا قال زهير ما زلت ارمقهم حتى اذا
هبطت ايدي المطي بهم من ذي الاراك فقلنا قد يجوز على هذا ان يريد بالهبوط الخروج من المكان وحلول
غيره ويحتمل ايضا ان يريد بالهبوط غير المسافة بل الانحطاط من منزلة الى دونها كما يقولون
قد هبط فلان عن منزلته ونزل عن مكانه اذا كان على رتبة فانحط الى دونها فان قيل فما معنى
بعضكم لبعض عدو قلنا اما عداوة ابليس لآدم عليه السلام وذريته فمعروفة مشهورة واما عداوة آدم
عليه السلام والمؤمنين من ذريته لابليس عليه لعنة الله فهي واجبة لما يجب على المؤمنين من معاداة الكفار
المارقين عن طاعة الله تعالى المستحقين لمقته وعداوته وعداوة الحية على الوجه الذي تضمن ادخالها
في الخطاب لبني آدم معروفة وكذلك تخوفهم منها وتجنبهم لها فاما الوجه الذي يتضمن الخطاب لآدم وحوا
دون غيرهما فيجب ان يحمل قوله بعضكم لبعض عدو على ان المراد به الذرية كانه قال اهبطوا وقد علمت
من حال ذريتكم ان بعضهم يعادي بعضا وعلق الخطاب بهما للاختصاص بين الذرية وبين اصلها
فان قيل ليس ظاهر قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو يقتضي الامر بالمعاداة كما امر بالهبوط وهذا

تبر الغلق الصبيح وتبر الغلق الملطخ بين ...

يوجب ان يكون تعالى امر بالقبيح على وجه لان معاداة ابليس لآدم عليه السلام قبيحة ومعاداة الكفار من ذريته
للمؤمنين منهم كذلك قلنا ليس يقتضي الظاهر ما ظننتموه وانما يقتضي انه امرهم بالهبوط في حال عداوة
بعضهم بعضا فالامر مختص بالهبوط والعداوة تجري مجرى الحال وهذا له نظائر كثيرة في كلام العرب
يجري مجرى هذه الآية في ان المراد بها الحال قوله تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق
انفسهم وهم كافرون وليس معنى ذلك انه اراد كفرهم كما اراد تعذيبهم وازهاق نفوسهم بل اراد ان تزهق
انفسهم في حال كفرهم وكذلك القول في الامر بالهبوط وهذا بين قال السيد قدس الله روحه ومن
مستحسن مدح السادة الكرام قول الشاعر وبل ام قوم غدوا عنكم لطيتهم لا يكثبون غداة العل
والنهل تصدى السرابيل لا توكا مغابنهم ولا تجر البطون ولا تطوى على الفضل قوله وبل ام قوم من
الزجر المحمود الذي لا يقصد به الشر ومثل قولهم قاتل الله فلانا ما اشجعه وقبح الله ما اسمحه وقد قيل
في قول جميل رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغر من انيابها بالقوادح انه اراد هذا المعنى
بعينه وقيل ايضا انه دعا بالقذى وعلو السن لان الكبير يكثر قذى عينيه وتنهتم اسنانه وقيل
اراد بعينيها رقيبيها وبالغر من انيابها سادات قومها ووجوههم والاول اشبه بطريقة القوم وان كان الكل
محتملا للكل واما قوله لا يكثبون غداة العل والنهل فانما اراد انهم ليسوا برعاء يسقون الابل بل هم
من نجابتهم وشرفهم يكفيهم ويرعى ابلهم وانما يكثب ويتجر على الدلو السقاة والرعاة وفيه وجه آخر وقيل
انهم ليسوا يحبون شربهم ويؤثرون بالسقي قبل اموالهم ولا يصولون عليه ولا يكثبون عند الري
والتقنيل الا من الضعف وقيل ايضا بل عنى انهم اعزاء ذوو منعة اذا وردت ابلهم ماء افرج الناس
لها عنه فقد عرفت فليس يحتاج اربابها الى الاكثاب والتغمر وقال قوم في قوله يكثبون انه من قولهم
كثبت يده تكثب اذا خشنت من العمل فيقول ليسوا باهل مهنة فتكثب ايديهم وتخشن من العمل بل
لهم عبيد تكفيهم ذلك وقوله تصدى السرابيل فانما اراد به طول حملهم للسلاح ولبسهم له والمغابن هي
الاوعية التي يكون فيها الزاد فكانه يقول اذا سافروا لم يشدوا الاوعية على ما فيها واطعموا اهل الرفقة
وهذه كناية عن الاطعام وبذل الزاد والمجد ونجر البطون من صفات المغابن انها لا توكا كما نجر البطون
ولا تطوى على فضل الزاد وقال بعض بني اسد واحسن كل الاحسان وان صرمة لابني عبيد بمنعنف
من الحو او تنزل بحق فالها فقالت له لا تغدو اضالك هكذا فقلت ابت ضيفانها وعيالها فما حلبت
الا الثلاثة والثنى ولا قيلت الا قريبا مقالها تحد ابر من كل العيال كلهنها اناخي شبعا حيل عنها
جلالها شكا هذا الشاعر امراته وحكى عنها انها دانت بلا جبر انها لم تعط منها في حال البقي لمعتر
في حو ولم تحلب لضيف ولا جار فهي سمان ولقوله الي تول فالها الافعال الضمار وتوزن من الادار
وهو الضيق في العيش والشدة فيقول فضالك ولا سمان لم تلق بوسا لان الذي اتهانها موقوف على علها

ويحكى عن امرأة انها تقول له غذاءك فضالك فكذا فقال لها ابعد الله الحضوض فعيالها وهم الجيران
والضيفان ثم اخبر انه لو بلغت الى الوهاد من الابل ما احلبت بعقب منها الا مرتين او ثلاثا او ثلثا
من القابلة الا تقرب البيوت حتى تحرها او تهبها والحذا بير انها انما يعني فضالة وهو انها لا جل
انها لا تشرب الا البان وتعطر انها تهلو انا صنع جميع نضو فشيه فضاله من هزالها بانضاء خبيل شعر
وقوله هذا بيرهن كل العيال هنيه معنى حسن لانه اراد انها من جميع العيال بمنان بل وهذا تاكيد لان
سبب هزالها هو الايثار بالبانها واختصت بالهزال من بين كل العيال والعيال هيهنا الجيران والضيفان
وانما جعلهم عيالا لكرمه وان جوده الزمه مؤنتهم فصاروا كالعيال ومثل ذلك قول الشاعر
تعيرني الخلان ام محلم فقلت لها لا تعذليني بل انيا فانا ايت الضامرين من متاعهم يذم ويغني فاد فخج
من غائبا فلم تجد بي في المعيشة عاجزا ولا حصرا مما احتباسا شديدا وكانيا الخلان المملون المسكون
الفلاد والخلل الاصاك واى محلو انزله ومعنى قوله تعيرني الخلان اى بالخلان تقول مالك لا تكون
مثل هؤلاء الذين يحفظون اولادهم والضامرين اتيا البخلا فقال لها ارايت البخلا يضنون بما عندهم
وهو يفنى ويبقى الذم فاضحى من غا وهذا مثل اى اعطى الناس مما عنده وهو من قولك رضخ له بشيء
من عطيته والحصر البخيل تقول العرب حصر وقوم حصار اى شديد وبرمها وقوله فلم تجد بي في المعيشة عاجزا
اى انا صاحب عادات افيد واستفيد وانا مغرق انفق فلا تخاف الفقر وقال مسكين الدارمي
عاذلتي عقيلة قرم ام هي وحي للعقب اصبحت تعذل في شحم الذرى وتظن اللوم درا ينتهب
لا تلوميها انها من نسوة ملحها موضوعة فوق الركب يقول انما تكثرن لوما فكانها قرمة في اللوم كقرم
الى اللحم فهي تشتهي العتب والرحم شهوة القرام عند الحمل وشحم الذرى اي الاسنمة واراد تجعل منها انها
تعوتها بلي لئن بينها في بيته لو تعطم مدتها فلا اهب منها ولا انحر ثم اخبر ان اصلها من الزنج والملح الشحم
وشحم الزنج يكون على اوراكهم واكفالهم وانشد ابو العباس محمد بن يزيد أيا ابنة عبد الله وابنة مالك
ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني لست آكله وحدي
كريما او قريبا فانني اخاف مذمات الاحاديث من بعدي واني لعبد الضيف ما دام ثاويا وما من خصال
غيرها شيمة العبد قال ابو العباس استثنى الكرم من العقى البعيد ولم يستثنه في القريب لان اهله
جميعا عنده كرام واراد بقوله لعبد الضيف انه يخدم الضيف هو بنفسه لا يرضى ان يخدمه عبده قال الحميد
قدس الله روحه ويشبه ذلك قول المقنع الكندي واني لعبد الضيف ما دام نازلا وما شيمة لي غيرها
تشبه العبدا وانما اشترط في كونه عبدا للضيف في البيت الاول والثاني ثواءه ونزوله ليعلم ان الخدمة
له لم تكن لضعفه وصغره بل لما يوجبها الكرم من حق الاضياف وانه لا يخرج عن ان يكون عبده وما يحرم
من ان يكون ضيفا وقال وانما لعبد الضيف ولم يشترط لم يحصل هذا المعنى الجليل مجلس آخر تاويل آية ان سأل

سائل

قوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال الآية

سائل فقال بم تدفعون من خالفكم في الاستطاعة وزعم ان المكلف ربما لا يقدر عليه ولا يستطيعه
اذا تعلق بقوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا فان الظاهر من هذه
الآية يوجب انهم غير مستطيعين للامر الذي هم غير فاعلين له وان القدرة مع الفعل واذا تعلق بقوله
تعالى في قصة موسى عليه السلام انك لن تستطيع معي صبرا وانه نفى ان يكون قادرا على الصبر في حال هو
فيها غير صابر وهذا يوجب ان القدرة مع الفعل وبقوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون الجواب يقال له اول ما نقوله ان المخالف لنا في هذا الباب من الاستطاعة لا يصح له التعلق
بالسمع لان مذهبه لا يسلم معه صحة السمع ولا يتمكن مع المقام عليه من معرفة السمع بادلته وانما قلنا ذلك
لان من جوز تكليف الله تعالى الكافر الايمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم بنفي القبائح عن الله عز وجل
واذا لم يمكنه ذلك فلا بد من ان يلزمه تجويز القبائح على الله في افعاله واخباره ولا يأمن من ان يرسل
كذابا وان يخبر هو بالكذب تعالى عن ذلك فالسمع ان كان كلامه فقدح في حجته تجويز الكذب عليه وان
كان كلام رسوله قدح فيه ما يلزمه من تجويز تصديق الكذاب وانما طرق ذلك تجويز بعض القبائح
عليه وليس لهم ان يقولوا ان امره تعالى الكافر بالايمان وان لم يقدر عليه يحسن من حيث اتى الكافر
فيه من قبل نفسه لانه تشاغل بالكفر عن الايمان وانما كان يبطل تعلقنا بالسمع لو نسبنا ذلك اليه تعالى
على وجه يقبح ذلك لان ما قالوه اذا لم يؤثر في كون ما ذكرناه تكليفا لما لا يطاق ولم يؤثر في نفي الوجه
عنهم لانه يلزم على ذلك ان يفعل الكذب وسائر القبائح ويكون حسنه منه بان يفعلها من وجه لا يقبح
منه وليس قولهم وانا لم نضفه اليه من وجه يقبح شيئا يعتمد بل يجري مجرى قول من جوز عليه ان يكذب
ويكون الكذب منه حسنا ويدعي مع ذلك صحة معرفة السمع بان يقول انني لم اضف اليه قبيحا فيلزمني
اسقاط طريق السمع فلما كان ما ذكرناه لا عذر له في هذا الكلام لم يكن للمخالف في الاستطاعة عذر
ونعود الى تأويل الآيات اما قوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا
فليس فيه ذكر للشيء الذي لا يقدرون عليه ولا بيان له وانما يصح ما قالوه لو بين لهم انهم لا يستطيعون
سبيلا الى امر معين فاما وهو لم يكن ذلك فلا متعلق لهم فان قيل فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم
ان يكون المراد بقوله فلا يستطيعون سبيلا الى مفارقة الضلال قلنا انه تعالى كما ذكر الضلال فقد
ذكر ضرب المثل فيجوز ان يريد انهم لا يستطيعون سبيلا الى تحقيق ما ضربوه من الامثال وذلك غير مقدور
على الحقيقة ولا مستطاع والظاهر بهذا الوجه اولى لانه تعالى حكى عنهم انهم ضربوا له الامثال وجعل
ضلالهم وانهم لا يستطيعون السبيل متعلقا بما تقدم ذكره وذلك يوجب رجوع الامرين جميعا اليه
وانهم ضلوا بضرب المثل وانهم لا يستطيعون سبيلا الى تحقيق ما ضربوه من المثل على انه تعالى قد اخبر عنهم
بانهم ضلوا وظاهر ذلك الاخبار عن ماضي فعلهم فان كان قوله فلا يستطيعون سبيلا يرجع اليه فيجب

ان يدل على انهم لا يقدرون على تركه في الماضي والمستقبل وهذا مما لا يخالف فيه وليس فيه ما نأباه من انهم لا يقدرون
في المستقبل او في الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه وبعد تركه وبعد فاذا لم يكن في الآية
ظاهر فلم صاروا بان يحملوا نفي الاستطاعة على امر كلفوه باولى منا اذا حملنا ذلك على امر لم يكلفوه
او على انه اراد الاستثقال والخبر عن عظم المشقة عليهم وقد جرت عادة اهل اللغة بان يقولوا لمن
يستثقل شيئا انه لا يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتمكن منه الا ترى انهم يقولون فلان لا يستطيع
ان يكلم فلانا ولا ينظر اليه وما اشبه ذلك وانما غرضهم الاستثقال وشدة الكلفة والمشقة فان
قالوا كان لا ظاهر للآية يشهد بمذهب المخالف فما المراد بها عندكم قلنا قد ذكر ابو علي ان المراد انهم لا
يستطيعون الى ثبات تكذيبه سبيلا لانهم ضربوا له الامثال تكذيبا منهم بان ذلك يبين كذبه فاخبر تعالى
ان ذلك غير مستطاع لان تكذيب صادق وابطال حق مما لا يتمكن منه فلذلك ولا هو في الاستطاعة وقد
ذكر ابو هاشم ان المراد بالآية انهم لاجل ضلالهم بضرب المثل وكفرهم لا يستطيعون سبيلا الى الخير
الذي هو النجاة من العقاب والوصول الى الثواب وليس يمكن على هذا ان يقال كيف لا يستطيعون سبيلا
الى الخير والهدى وهم عندكم قادرون على الايمان والتوبة ومتى فعلوا ذلك استحقوا الثواب لان المراد انهم مع
التمسك بالضلال والمقام على الكفر لا سبيل لهم الى خير وهدى وانما يكون لهم سبيل الى ذلك اذا فارقوا
ما هم عليه ويمكن ايضا في معنى الآية ما تقدم ذكره من ان المراد بنفي الاستطاعة عنهم انهم مستثقلون
للايمان فقد يخبر عمن يستثقل شيئا بانه لا يستطيعه على ما تقدم ذكره فاما قوله تعالى في قصة
موسى عليه السلام انك لن تستطيع معي صبرا فظاهره يقتضي انك لا تستطيع ذلك في المستقبل ولا
يدل على انه غير مستطيع للصبر في الحال ان يفعله في الثاني وقد يجوز ان يخرج في المستقبل من ان يستطيع
ما هو في الحال مستطيع له غير ان الآية تقتضي خلاف ذلك لانه قد صبر عن المسألة اوقاتا وان لم يصبر عنها
في جميع الاوقات فلم تنتف الاستطاعة للصبر عنه في جميع الاحوال المستقبلة على ان المراد بذلك واضح
وانه تعالى خبر عن استثقاله الصبر عن المسألة عما لا يعرف ولا يقف عليه لان مثل ذلك يصعب على
النفس وهذا لحداثة جرى بين يديه ما ينكره ويستبدعه تنازعه نفسه الى المسألة عنه
والبحث عن حقيقته ويثقل عليه الكف عن الفحص عن امره فلما اعتمد صاحب موسى عليه السلام
ما يستنكر ظاهره استثقل الصبر عن المسألة عن ذلك ويشهد بهذا الوجه قوله تعالى وكيف تصبر على
ما لم تحط به خبرا فبين ان العلة في قلة صبره ما ذكرناه دون غيره ولو كان الامر على ما ظنوه لوجب ان يقول
وكيف تصبر وانت غير مطيق للصبر فاما قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
فلا تعلق لهم بظاهره لان السمع ليس بمعنى يكون مقدورا لان الادراك على المذهب الصحيح ليس بمعنى
ولو ثبت انه معنى على ما يقوله ابو علي لكان ايضا غير مقدور للعبد من حيث يختص القديم تعالى بالقدرة

عليه

عليه فهذا ان اريد بالسمع الادراك وان اريد به نفس الحاسة فهي ايضا غير مقدورة للعباد لان الجواهر
وما يختص به الحواس من البنية والمعاني التي يحتاج اليها الادراك مما يتفرد القديم تعالى بالقدرة عليه فالظاهر
لا حجة لهم فيه فان قالوا فلعل المراد بالسمع كونهم سامعين كانه نفى عنهم استطاعة ان يسمعوا قلنا هذا
خلاف الظاهر ولو ثبت ان المراد ذلك لحملنا نفي الاستطاعة ههنا على ما تقدم ذكره من الاستثقال وشدة
المشقة كما يقول القائل فلان لا يستطيع ان يرانا ولا يقدر على ان يكلمنا وما اشبه ذلك وهذا بين لمن تأمله

تأويل خبر ان سأل سائل فقال ما تأويل ما رواه عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم قال قلت يا رسول الله كانت لي
جارية كانت ترعى غنما لي قبل احد فذهب الذئب بشاة من غنمها وانا رجل من بني آدم آسف كما يا
سفون لكني غضبت فصككتها صكة قال فعظم ذلك على النبي صلى الله عليه وآله قال فقلت يا رسول
الله افلا اعتقها قال ايتني بها فاتيته بها فقال لها اين الله فقالت في السماء فقال من انا فقالت انت رسول
الله فقال عليه السلام اعتقها فانها مؤمنة فالجواب اما قوله انا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون فمعناه
اني اغضب كما يغضبون قال حبيب الاسف الغضب قال الراعي فما لخفنه العيس حتى وجدتني اسيفا
على عادتهم المتجبر والاسف ايضا الحزن قال ابن الاعرابي الاسف الحزن والاسف الغضب قال كعب بن سعد
في كل يوم ارى فيه مبينة تكاد تسقط مني منة اسفا وقوله لكني غضبت فصككتها اراد لطمتها
يقال صككت جبهته اذا لطمتها بيدك قال الله تعالى فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم
وقال بشر بن ابي خازم يصف حمار وحش واتانا فصك بمحجره اذا ما سافها وجبينه حجرا او فكب
سافها اي شمها وقولها في السماء فالسماء هو الارتفاع والعلو فمعنى ذلك انه تعالى عال في قدرته وفي
سلطانه لا يبلغ ولا يدرك يقال فلان سما يسمو سموا اذا ارتفع شأنه وعلا امره قال الله تعالى أأمنتم
من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فاخبر بقدرته
وسلطانه وعلو شأنه ونفاذ امره وقد يتأول أأمنتم من في السماء غير هذا وان المراد أأمنتم من في السماء
امره وآياته ورزقه وما يجري مجرى ذلك قال العتبة بن العلب شاهد لما تقدم وأشهد ان الله لا شيء
فوقه عليا واحسن بكره مستعانا ويقال سليمان بن يزيد العدوي ان الحمد لله ذي الطول والعز والغنى تعالى
مجدا كريما وجازيا بانه علون على قريب بعزه وقدرته وكنت قريبا في دنو تعاليا والسماء ايضا سقف
البيت ومنه قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع
فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وقال ابن الاعرابي يقال لاعلى البيت سماوته وسراته وصهوته وجحوته
والسماء ايضا المطر قال الله تعالى وارسلنا السماء عليهم مدرارا ومنه الحديث الذي رواه ابو هريرة
ان النبي صلى الله عليه وآله مر على صبرة طعام فادخل عليه السلام يده فيها فنالت اصابعه بللا فقال
ما هذا يا صاحب الطعام قال اصابته السماء يا رسول الله فقال عليه السلام فلا جعلته فوق الطعام يراه الناس

قوله تعالى حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور

غش فلبس منا، قال المثقب العبدي: فلما أتاني والسماء تبله، فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحبا، ويقال أيضاً
لظهر الفرس سماء، كما يقال في حوافره إنها أرض، ولبعضهم في فرس: وأحمر كالدينار أما سماؤه فمخضب
وأما أرضه فمحول، وإنما أراد تشبيه الأعلى عن أن العوالي تشوفها، وكل معاني السماء التي تتصرف
تتنوع ترجع إلى معنى الارتفاع والعلو والسمو، وإن اختلفت المواضع التي أجريت هذه اللفظة فيها
أولى المعاني بالخبر الذي سئلنا عنه ما قدمناه من معنى العز وعلو الشأن والسلطان، وما عدا ذلك
من المعاني لا يليق به تعالى، لأن العلو بالمسافة لا يجوز على القديم تعالى الذي ليس بجوهر ولا جسم ولا حال
فيهما، ولأن الخبر الذي تضمنت تضاد ذكر السماء خرج مخرج المدحة، ولا مدح في العلو بالمسافة، وإنما
المدح بعلو الشأن والسلطان ونفاذ الأمر، ولهذا لا نجد أحداً من العرب مدح غيره في شعر أو نثر
بمثل هذه اللفظة وأراد بها علو المسافة، بل لا يريدون إلا ما ذكرناه من معنى العلو، وما يظن في هذا المعنى
الموضع خلاف هذا من لا فطنة عنده ولا بصيرة له، والحمد لله وحده وصلى الله. **مجلس آخر** تأويل آية إن سأل
سائل عن قوله تعالى حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق
عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل، **الجواب** قلنا أما التنور فقد ذكر في معناه وجوه، أولها أن أراد بالتنور
وجه الأرض وأن الماء نبع وظهر على وجه الأرض ففار، وهذا قول عكرمة، وقال ابن عباس مثله، والعرب تسمي
وجه الأرض تنوراً، وثانيها أن يكون المعنى أن الماء نبع من أعالي الأرض وفار من الأماكن المرتفعة منها، و
هذا القول قتادة، ويروى عنه في قوله وفار التنور قال ذكر لنا أرفع الأرض وأشرفها، وثالثها أن يكون المراد
بفار التنور أي برز النور وظهر وتكاثف لما ارتفاع حلول النهار وتقضي الليل، وهذا القول يروى (النور)
عن أمير المؤمنين عليه السلام، ورابعها أن يكون المراد بالتنور الذي يخبز فيه على الحقيقة، وأنه تنور
كان لآدم عليه السلام، وقال قوم إن التنور كان في دار نوح عليه السلام بعين وردة من أرض الشام (وردة اسم امرأة نسب العين إليها)
وقال آخرون بل كان التنور في ناحية الكوفة، والذين روي عنهم أن التنور هو تنور الخبز الحقيقي ابن عباس
والحسن ومجاهد وغيرهم، وخامسها أن يكون معنى ذلك واشتد غضب الله تعالى عليهم وحل وقوع
نقمته بهم، فذكر التنور مثلاً لحضور العذاب كما تقول العرب قد حمي الوطيس إذا اشتدت الحرب وعظم
الخطب، والوطيس هو التنور، وتقول العرب أيضاً قد فارت قدر القوم إذا اشتد حربهم، وقال الشاعر: تفور
علينا قدرهم فنديمها، ونفثأها عنا إذا حميها غلا، أراد بقدرهم حربهم، ومعنى نديمها نسكنها، و
ذلك الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى عن البول في الماء الدائم يعني الساكن
ويقال قد حوم الطائر في الهواء إذا بسط جناحيه وسكنهما ولم يخفق بهما، ونفثأها معناه نسكنها
يقال قد فثأت غضبه عني، وفثأت الحار بالبارد إذا كسرته به، وسادسها أن يكون التنور الباب الذي يجتمع
فيه ماء السفينة فجعل فوران الماء منه والسفينة على الأرض علماً على ما أنذروا به من إهلاك قومه

وهذا القول يروى عن الحسن، وأولى الأقوال بالصواب قول من حمل الكلام على التنور الحقيقي لأنه الحقيقة
وما سواه مجاز، ولأن الروايات الظاهرة تشهد له، وأضعفها وأبعدها من شبهة الأمر قول من حمل ذلك
على شدة الغضب واشتداد الأمر تمثيلاً وتشبيهاً، لأن حمل الكلام على الحقيقة التي تعضدها الرواية
أولى من حمله على المجاز والتوسع مع فقد الرواية، وأولى المعاني أيضاً بالتنور أن الله تعالى جعل فوران الماء
منه علماً لنبيه عليه السلام وآية تدل على نزول العذاب بقومه لينجو بنفسه وبالمؤمنين، فأما قوله
تعالى من كل زوجين اثنين فقد قيل المراد به احمل من كل ذكر وأنثى اثنين، وأنه يقال لكل واحد من
الذكر والأنثى زوج، وقال آخرون الزوجان ههنا الضربان، وقال آخرون الزوج اللون، وإن كل ضرب
يسمى زوجاً، واستشهد على ذلك ببيت الأعشى: وكل زوج من الديباج يلبسه، أبو قدامة محبواً بذاك
معاً، ومعنى من سبق عليه القول منهم أي من أخبر تعالى بعذابه وحلول الهلاك به، والله أعلم بمراده.
تأويل خبر إن سأل سائل عن تأويل الخبر الذي يرويه شريك عن عمار الدهني عن أبي صالح الحنفي عن أمير
المؤمنين عليه السلام قال رأيت النبي صلى الله عليه وآله في المنام فأنا أشكو إليه ما لقيت من الأود واللدد
الجواب يقال إنما الأود فهو الميل، تقول العرب لأقيمن ميلك وجنفك وأودك ودرءك وصدعك
وصعرك وصغوك وصددك، كل هذا بمعنى واحد، وقال ثعلب الأود
كان من الإنسان في كلامه ورأيه فهو عوج، وما كان في الشيء المنتصب مثل عصا وما أشبهها فهو عوج، هذا
قول الناس كلهم إلا أبا عمرو الشيباني فإنه قال العوج بالكسر الاسم، والعوج بالفتح المصدر، قال ثعلب كأنه
مصدر عوج يعوج عوجاً، ويقال عصا معوجة وعود معوج، وليس في كلامهم معوج، وأما اللدد فهو
الخصومة، وقال ثعلب يقال رجل ألد وقوم لد إذا كانوا أشداء الخصومة، ومنه قوله تعالى ألد الخصام
وقال الأموي اللدد الاعوجاج، والألد الخصم الذي لا يستقيم أي هو أعوج الخصومة يميل فلا يقوم
عليه ولا يتمكن منه، ومن ذلك قولهم لددت الصبي وإنما اللدود يسقى في جنبه، وليس يلد مستقيماً فهو يرجع
إلى معنى الميل والاعوجاج، وقال قد فسر لنا الحكم بن ظهير فقال الألد الخصام أي أعوج الخصام، أنشد
أبو السمح لابن مقبل: لقد طال عن دهماء لدي وعذرتي، وكتمانها أكني بأم فلان، جعلت لها الرجال
هنا ختنة، ولو شئت قد بينتها باللسان، اللد الجدال الخصوم، وقال أبو عمرو الألد الذي لا
يقبل الحق ويطلب الظلم، وقولهم هما نشر يقولون إنهم يجفون في شعري ويطلبون معانيه فلا يقفون
عليها، وأنشد أبو السمح: لا أنغر الكذب القبيح فإنه، للمرء معيبة وباب لئام، وأصدق بقولك حين
نطق أنه للصدق فضل فوق كل كلام، فإذا صدقت على الرجال خصمتهم، والصدق مقطعة على
الظلام، وإذا رمى غشوم قوم فارمه، بالله مشتغل الهدى غشام، لا تعرضن على العدو وسيلة
واحذر عدوك عند كل مقام، واعلم بأنه ليس يوماً نافعاً، عند اللئيم وسائل الأرحام، ما يخفك

ويلقى عند الجاني؛ ويشفعه بكأس بمدام؛ واذا حللت فأكرم به؛ حتى تفرج حلبة الاظلام؛ واصبر على كرب البلاء فانه؛ ليس لباقه على الفتى بلزام؛ واعلم بانك ميت ومحاسب؛ عما فعلت معاشر الاقوام؛ معنى تشمر المدى اى يبعد المذهب قوله لا تعرض على العدو وسيلة اى لا تقاربه ولا تصافه ولا يكن بينك وبينه الا صدق العداوة وانشد ابو العباس هذا المتقدم؛ يا ذهب الشبه باطلى وجدى؛ اشبهت اخلاقى فاشبه مجدى؛ وجاء ابن اخت المخزوم اللذ؛ قال السيد قدس روحه وممن احسن ما وصف به الثغر قول فضالة بن وكيع البكرى؛ تبسم عن جم اللثات كانها؛ حصا برد او اقحوان كثيب؛ اذا ارتفعت عن مرقد على الذي به؛ من البارع الغوري نزع قضيب؛ تقضيب تجاه الركب ايام عرفوا؛ لها من ذرى مال البنات خضيب؛ يعنى من بانع الاراك ومعنى تجاه اى قطعه ومثله تستنبح ايضا ومال النبات نباعه ومختصر يقال عشب مال ومال سواء اى عشب وناعم ومعنى ايام عرفوا اى اجتنوه من عرفات وذكر انه مخضب بالطيب الذي يدهن به الا دهانها استعماله وقال الاخطل يصف ثغرا؛ شتيتا برقوق الظما تراه منه؛ اذا الجوزاء اجحرت الضباب ما؛ الشتيت المفرق المفلج الذي ليس بمتراكب ومعنى قوله اذا الجوزاء اجحرت الضباب فيه وجهان احدهما انه اراد عند سقوط الجوزاء وذلك في شدة البرد وطول الليل اذا انجحرت الضباب من البرد وتغيرت الافواه لطول الليل التنا يقول فثغرها عذب غير متغير والوجه الاخر انه اراد عند طلوع الجوزاء في شدة الحر اذا انجحرت الضباب من شدة الحر والقيظ فالناس حينئذ اشد عطشا والحر على تغيرها ابرد وهو يبرد غلته وقال؛ نوبل بها المزن يكون نجيجه؛ اذا ما الثريا ادبرت كل كوكب؛ قوله نوبل بها اى من اوجر المحجوب مثل قوله بل اخمد النجيجه وكانت تقول النجم النجيج هو عند السحر اذا تحادرت النجوم للغيب كما قال ذو الرمة وابدى الثريا جنح في المغارب مثل قول الاخر نعم شعار الفتى اذا برد الليل؛ سحرا وتقعقع الصرد؛ وانما يعنون بها ذلك الوقت الذي تتغير فيه الافواه طيبا اراد عذبته وانشد ابو العباس المبرد لام الهيثم؛ وعارض كجانب العراق؛ انبت برقا من البراق؛ براق مثل العسل المراق؛ قال ابو العباس في هذا قولان احدهما انه وصف ثغرا وعارضاه جانباه والعراق ما يثنى ثم يخرز كعراق القربة فاخبرت انه ليس فيه اعوجاج ولا تراكب ولا نقص وقولها انبت برقا من البراق تعنى الثغر نفسه اى له بريق من صفائه ورقته وشبهت الريق بالعسل لعذوبته والقول الاخر قال بعضهم العارض هنا الغيم وقولها كجانب العراق يعنى هذا البلاد اى هو ضخم متكاثف قد سد الافق وقولها انبت برقا من البراق ما تنبت الارض اذا مطرت من النور قال المبرد والقول الاول عندنا اصح لذكرها العسل وانشد احمد بن يحيى لتابط شرا؛ وشعب كشك الثوب شكس طريقه؛ مجامع ضوحيه نطاف مخاصر؛ تعسفته بالليل لم يهد لى له دليل ولم يحجز النعت

خابر

وصف الثغر

خابر؛ قال يعنى بالشعب فم جارية كشك الثوب يعنى كف الثوب اذا خاطه الخياط والشكس الضيق يصفها بصغر الفم وحسنه ودقة الشفتين وضوحياه جانباه وضوحا الوادي جانبه ويعني بالنطاف الريق والمخاصر البارد وهو من الخصر وقوله لم يهد لى له دليل اى لم يصل اليه غيرى كما قال جرير؛ الا رب لوم قد شربت بمشرب؛ شفى الغيم لم يشرب به احد قبلى؛ الغيم والغيم العطش وانما يعنى ريق جارية قال المبرد وقال اخرون بل يعنى شعبا من الشعاب مخوفا فتعسفه سالكه وحده قال ابو العباس انما كنى بالشعب عن فم جارية ثم اخذ في وصف الشعب ليكون الامر اشبه الالتباس قال السيد قدس الله روحه والاشبه ان يكون اراد بالشعب شعبا حقيقيا لان تابط شرا كان لصا وصفا للاهوال التي يقفو بها نغائه للصعلوك وكان كثيرا ما يصف تلك من الجبال المخلصة من المضايق وقطعه المفاوز واشباه ذلك والقطعة التي منها البيتان كلها تشهد بان الوصف للشعب لا لفم جارية لانه يقول بعد قوله كشك الثوب […] مطلع شعرى قبل الابيه؛ كان لطى في جانبيه معاجرا؛ […] وقد يضل الدلو بعض قرابها؛ […] للماء منتهى؛ وعاد وهو السيل فيها بغادر؛ به نطف زرق قليل ترابها؛ […] وهذه الاوصاف كلها لا تليق الا بالشعب ونعته وتاول ذلك على الفم تعسف بعيد ولقد احسن كثير في قوله يصف الثغر؛ ويوم الخيل قد سترت؛ […] العضب عن […] برد؛ وعن نجلاء تدمع في بياض؛ اذا دمعت وتنظر في سواد؛ وعن متكاوس في العقص جثل؛ اثيث النبت ذي غدر وجعاد؛ وقال ابو تمام في هذا المعنى وعلى العبس خرد يبتسمن؛ عن الاشنب المثبت البراد؛ كان […] فاضحى دون الفراق […] لتمادى؛ […] الورد؛ وبشمها […] التفاح؛ وشبيها بفص من لولؤ النظم؛ ويروى على شتيت الاقاحي؛ فاضاف […] للشرب؛ وكادت تعرى الصباح؛ وقال ايضا سفرت كما سفر الربيع الطلق عن وردة؛ برقرق الضحى مصقول؛ وتبسمت عن لولؤ في رصفه؛ برد يرد حشاشة المتبول؛ وقد جمع كل ما يوصف به الثغر في قوله؛ كانما يضحك عن لولؤ؛ منظم او برد او اقاح؛

مجلس آخر

تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل فقال ما انكرتم ان يكون هذه الاية دالة على انه تعالى جعل الكافر كافرا لانه اخبر بانه جعل منهم من عبد الطاغوت كما جعل القردة والخنازير وليس يجعل كافرا الا بان يخلق كفره؛ الجواب يقال له قبل ان نتكلم في تاويل الاية وما تحتمله من المعاني كيف يجوز ان يخبر الله تعالى بانه جعلهم كفارا وخلق كفرهم والكلام خرج مخرج الذم لهم والتوبيخ على كفرهم والمبالغة في الازراء عليهم واى مدخل لكونه خالقا للكفر في باب ذمهم واى نسبة بينه وبين ذلك بل الاشبه بالغرض في عذرهم وبراءتهم من ان يكون خالقا للذم من اجله وهذا يقتضي ان يكون الكلام متناقضا مستحيل المعنى ونحن نعلم ان احدنا اذا اراد ذم غيره وتوبيخه

هل انبئكم بشر من ذلك الاية

ويجيئه بمثل هذا الضرب من الكلام انما يقول الا اخبركم بشر من ذلك واحقهم بالذم واللوم من فعل كذا
وصنع كذا وكان على كذا وكذا فيعدد من الافعال والاحوال قبائحها ولا يجوز ان يدخل في جملتها ما
ليس بقبيح ولا ما هو من فعل الذام ومن جهته حتى يقول في جملة ذلك من يتشاغل في الصناعة الفلانية
التي هو سلمه اليها وحمله عليها وان عقلا يقبل هذه الشبهة لعقل ضعيف سخيف فان قيل اليس قد ذمهم في
الكلام بان جعل منهم القردة والخنازير ولا صنع لهم في ذلك فكيف يجوز ان يذمهم بجعلهم عابدين
للطاغوت وان كان من فعله قيل انما جعلهم قردة وخنازير عقوبة لهم على افعالهم وباستحقاقهم
فجرى مجرى افعالهم كما ذمهم بان لعنهم وغضب عليهم من حيث استحقوا ذلك بافعالهم وعبادتهم
للطاغوت ان كان هو خلقها فلا وجه لذمهم بها لان ذلك مما لا يستحق بفعل متقدم كاللعن والمسخ
ثم نعود الى تاويل الاية فنقول الظاهر للاية يقتضي ما ظنوه واكثر ما تضمنه الاخبار بانه خلق وجعل من
يعبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير ولا شبهة في انه تعالى هو خالق الكافر وانه لا خالق سواه
غير ان ذلك لا يوجب انه خلق كفره وجعله كافرا وليس لهم ان يقولوا كما قال نستفيد من قوله جعل منهم
القردة والخنازير انه جعل ما به كانوا كذلك كذا نستفيد من قوله جعل منهم من عبد الطاغوت انه خلق
ما به كان عابدا للطاغوت وذلك انا انما استفدنا ما ذكروه من الاول لان الدليل قد دل على ان
ما به يكون القرد قردا والخنزير خنزيرا لا يكون الا من فعله وليس ما به يكون الكافر كافرا مقصورا على فعله
ثم بل قد دل الدليل على انه تعالى عن فعل ذلك خلقه فافترق الامران وفي الاية وجوه اخر وهو ان لا
يكون قوله وعبد الطاغوت معطوفا على القردة والخنازير بل معطوفا على من لعنه الله وغضب
عليه تقدير الكلام من لعنه ومن غضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل الله منهم القردة والخنازير
وهذا هو الواجب لان عبد فعل والفعل لا يعطف على الاسم فلو عطفناه على القردة والخنازير لكنا قد
عطفنا على الاسم الاول عطفناه على ما تقدم من الافعال وقال قوم يجوز ان يكون عبد الطاغوت معطوفا
على الهاء والميم في منهم فكانه جعل منهم ومن عبد الطاغوت القردة والخنازير وقد يحذف من في الكلام قال
الشاعر: امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء. اراد ومن يمدحه ومن ينصره فان قيل فهبوا
هذا التاويل سائغ في قراءة من قرأ وعَبَدَ الطاغوتَ بالفتح فما انتم عن قراءة من قرأ وعَبُدَ الطاغوتِ بفتح
العين وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت ومن قرأ عُبُدَ الطاغوت بضم العين والباء ومن قرأ وعُبَّدَ الطاغوت
بالضم والتشديد ومن قرأ عُبّادَ الطاغوت قلنا المختار من هذه القراءات عند اهل العربية كلهم القراءة
بالفتح وعليها جميع القراء السبعة الا حمزة فانه قرأ عَبُدَ بفتح العين وضم الباء وباقي القراءات شاذة غير ماخوذ
بها قال ابو اسحق الزجاج في كتابه في معاني القرآن عبد الطاغوت نسق على من لعنه الله قال وقد قرئ وعبدة
الطاغوت وعُبَّدَ الطاغوت والذي اختار وعَبَدَ الطاغوت وروي عن ابن مسعود وعُبِدَ الطاغوت

بالصناعتين

قلنا:

فهذا

فهذا يقوي وعَبُدَ الطاغوت ومن قال وعَبُدَ الطاغوتِ بضم الباء وخفض الطاغوت فانه عند بعض
اهل العربية ليس بالوجه من جهتين احدهما ان عَبُدًا على فَعُل وليس هذا من امثلة الجمع لانهم فسروه خدم
الطاغوت والثاني ان يكون محمولا على وجعل منهم عَبُدَ الطاغوت ثم خرج لمن قرأ عَبُدَ وجها فقال
ان الاسم بني على فَعُل كما تقول رجل حَذُر اي مبالغ في الحذر فتاويل عَبُدَ انه بلغ الغاية في طاعة
الشيطان هذا كلام الزجاج وقال ابو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي محتجا لقراءة حمزة ليس عَبُد لفظ
جمع الا ترى انه ليس في ابنية الجموع شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة الا ترى ان في الاسماء
المفردة المضافة الى المعارف ما لفظه لفظ الافراد ومعناه الجمع كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وكذلك قوله عَبُدَ الطاغوت جاء على فَعُل لان هذا البناء يراد به الكثرة والمبالغة وذلك نحو يقظ
وندس فهذا كان تقديره انه قد ذهب في عبادة الشيطان والتذلل له كل مذهب قال وجاء على هذا
لان عَبْدًا في الاصل صفة وان كان قد استعمل استعمال الاسماء واستعمالهم اياه استعمالها لا يزيل
عنه كونه صفة الا ترى ان الابرق والابطح وان كانا قد استعملا استعمال الاسماء حتى كسرا هذا النحو
عندهم من التكسير في قولهم اباريق واباطح لم يزل عنه حكم الصفة يدلك على ذلك تركهم صرفه كتركهم
صرف احمد ولم يجعلوا ذلك كافكل وايدع وكذلك عبد فان كان قد استعمل استعمال الاسماء لم يخرجه
ذلك عن ان يكون صفة واذا لم يخرج عن ان يكون صفة لم يمتنع ان يبنى بناء الصفات على فَعُل وهذا كلام
معتمد في الاحتجاج لحمزة فاذا صحت قراءة حمزة وعادلت قراءة الباقين المختارة وصح ايضا ما روي
من القراءات التي حكاها السائل كان الوجه الاول الذي ذكرناه في الاية مزيلا الشبهة عنها ويمكن في الاية
وجه اخر على جميع القراءات المخالفة في عَبَدَ الطاغوت وهو ان يكون المراد بجعل منهم عَبَدَ الطاغوت
اي نسبهم اليهم وشهد عليهم بكونه من جملتهم وجعل مواضع قد تكون بمعنى الخلق والفعل كقوله تعالى وجعل
الظلمات والنور وكقوله وجعل لكم من الجبال اكنانا وهو ههنا تتعدى الى مفعول واحد وقد تكون
بمعنى التسمية والشهادة كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وكقول القائل جعلت
البصرة بغداد وجعلتني كافرا وجعلت حسني قبيحا وما اشبه ذلك فهي ههنا تتعدى الى مفعولين
ولجعل مواضع اخر لا حاجة بنا الى ذكرها فكانه تعالى قال ونسب عَبَدَ الطاغوت اليهم وشهد انهم من
جملتهم فان قيل لو كانت جعل ههنا على ما ذكرتم لوجب ان تكون متعدية الى مفعولين لانها الا لم
تتعد الا الى مفعول واحد فلا معنى لها الا الخلق قلنا هذا غلط ممن توهمه لان جعل ههنا متعدية الى
مفعولين وقوله تعالى منهم يقوم مقام المفعول الثاني عند جميع اهل العربية لان كل جملة تقع في خبر المبتدأ
فهي تحسن ان تقع في موضع المفعول الثاني كجعلت وظننت وما اشبههما وقد قال الشاعر: ابالاراجيز
يا ابن اللؤم توعدني. وفي الاراجيز خلت اللؤم والخور. وقد فسر هذا على وجهين احدهما على الغا

خلة من حيث توسطت الكلام فتكون في الاراجيز على هذا في موضع رفع بانه خبر المبتدأ او الوجه الثاني
على اعمال الخلة فتكون في الاراجيز في موضع النصب من حيث وقع موقع المفعول الثاني وهذا بين لمن
تدبره قال السيد المرتضى علم الهدى قدس الله روحه وانشد ثعلب عن ابن الاعرابي: اما واني لكاسب في كل خلة
افقر لعيني من غنى رهن ذلة: واني لاختار الظما في مواطن: على بارد عذب واغنى بغلة: واستر ذنب
الدهر حتى كانه: صديقي ولا اغناه عنده ذلة: ولست لمن كان ابن امي مقترا: فلما افاد المال عاد ابن
علة: فلا هو حتى تفضل الي بنيله: ولم اتمطق من نداه ببلة: وكنت له عند الملمات عدة: اسد عيالي [illegible]
كل خلة: قال المرتضى رضي الله عنه الاولى في هذه القطعة اطلاقها الخلة الحاجة والخلة ايضا الخصلة
والخلة بالضم المودة والخلة ايضا بالضم ما كان حلوا من المرعى والخلة بالكسر ما يخرج من الاسنان بالخلال
والخليل الحبيب من المودة والمحبة والخليل ايضا الفقير كلا الوجهين قد ذكر في قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم
خليلا ومنه حديث ابن مسعود تعلموا القرآن فانه لا يدري احدكم متى يختل اليه قال ابو العباس ثعلب يكون من
شيئين احدهما من الخلة التي هي الحاجة اي متى يحتاج اليه ويكون من الخلة وهي النبات الحلو ويكون معناه
يشتهي ما عنده [illegible] الابل لانها ترعى الخلة فاذا ملتها عدلوا بها الى الحمض فاذا ملت الحمض اشتهت الخلة ومن
امثالهم جاءوا مختلين فلاقوا حمضا اي جاءوا مشتهين لقتالنا فلاقوا ما كرهوا والخلة ايضا بنت المخاض والذكر
الخل ويقال الجسم خل اذا كان مهزولا قال الشاعر: اسقنيها يا سواد بن عمرو: ان جسمي من بعد خالي لخل
ويقال ايضا فصيل مخلول اذا شد لسانه حتى لا يرضع يقال خللته فهو خليل ومخلول ومثله اجررته قال
الشاعر: فلو ان قومي انطقتني رماحهم: نطقت ولكن الرماح اجرت: اي لم يعملوا في الحرب شيئا
فكنت افتخر بهم وقوله افقر لعيني من غنى رهن ذلة: يقول الخصاصة مع الفقر: احب الي من
الغنى مع الذل ومثله: اذا كان باب الذل من جانب الغنى: سموت الى العلياء من جانب الفقر: صبرت
وكان الصبر مني سجية: وحسبك ان الله اثنى على الصبر واستر ذنب الدهر حتى كانه: صديقي اراد اني لا
اشكو ما يمسني به الدهر من خصاصة: بل استر ذلك واظهر التجمل حتى لا اسوء الصديق واسر العدو
وهذا المعنى اراد بقوله ولا اغناه عند ذلة وقوله فلما افاد المال عاد ابن علة: والعرب تقول هم
بنو الاعيان اذا كان ابوهم واحدا وامهم واحدة فاذا كان ابوهم واحدا وامهاتهم شتى قيل اولاد علات ومنه
الحديث الماثور عن النبي صلى الله عليه وآله قال الانبياء اولاد علات اي امهاتهم شتى وابوهم واحد وكنى
الشاعر بذلك عن التباعد والتقالي والتقاطع لان الاكثر في بني العلات ما ذكرناه وقوله دابر ترى فالطعنة
وقوله لم اتمطق من نداه ببلة والتمطق يكون بالشفتين والتلمظ باللسان وكنى بذلك عن انه لم يصب من خيره شيئا
وصان نفسه عنه مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل فقال ما تاويل قوله تعالى الذي جعل لكم الارض
فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ثم

الخلة العطش

واذا

التلمظ

قوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء

ما تعني باثبات العلم لهم كيف يطابق وصفهم ههنا بالعلم او وصفهم بالجهل في قوله تعالى افغير الله تامروني
اعبد ايها الجاهلون الجواب قلنا اما هذه الآية فمعناها متعلق بما قبلها لانه تعالى امرهم بعبادته والاعتراف بنعمته
ثم عدد عليهم صنوف النعم التي ليست الا من جهته ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته وان العبادة انما تجب
لاجل النعم المخصوصة فقال جل من قائل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون
الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الى آخر الآية ونبه في آخرها على وجوب توحيده والاخلاص
وان لا يشرك به شيء بقوله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ومعنى قوله جعل لكم الارض فراشا اي مكن
من الاستقرار عليها والتصرف فيها وذلك لا يمكن الا بان تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون
وقد استدل ابو علي بذلك بقوله تعالى جعل لكم الارض بساطا على بطلان ما يقوله المنجمون من ان الارض كرية الشكل
وهذا القدر لا يدل لانه يكفي في النعمة علينا ان تكون فيها بسائط ومواضع مسطوحة يمكن التصرف عليها
وليس يجب ان يكون جميعها كذلك ومعلوم ضرورة ان جميع الارض ليس مسطوحا مبسوطا وان كان مواضع التصرف
منها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفعون ان تكون في الارض بسائط وسطوح يتصرف عليها ويستقر فيها وانما
يذهبون الى ان جملتها شكل الكرة وليس له ان يقول قوله جعل لكم الارض فراشا يقتضي الاشارة الى جميع
الارض وجملتها لا الى مواضع منها لان ذلك تدفعه الضرورة من حيث انا نعلم بالمشاهدة ان فيها ما ليس
ببساط ولا فراش ولا شبهه فاما جعله السماء على ما هي عليه من الصفة فما له تعلق بمنافعنا ومصالحنا
وكذلك انزاله منها الماء الذي هو المطر الذي يخرج الثمرات فينتفع بها ويتغذى بها فاما قوله تعالى
فلا تجعلوا لله اندادا فالند هو المثل والعدل قال حسان: اتهجوه ولست له بند: فشركما لخيركما
الفداء: فاما قوله تعالى وانتم تعلمون فيحتمل وجوها اولها ان يريد انكم تعلمون ان الانداد التي هي الاصنام
وما جرى مجراها التي تعبدونها من دون الله لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددها ولا بامثالها وانها
لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر ومعلوم ان المشركين الذين كانوا يعبدون الاصنام ما كانوا يعتقدون
ولا يعتقدون ان الاصنام خلقت السماء والارض من دون الله ولا تعالى الوصف لهم ههنا بالعلم
انما هو لتاكيد الحجة عليهم وتجنح لزومها لهم لانهم مع العلم بما ذكرناه يكونون ابعد عذرا والوجه الثاني ان
يكون المراد بقوله وانتم تعلمون اي تعقلون وتميزون وتعلمون ما تقولون وتفعلون وتاتون
وتذرون لان من كان بهذه الصفة فقد استوفى شروط التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره في التخلف عن
النظر واصابة الحق ونظير ذلك قوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب انما يخشى الله من عباده العلماء والوجه
الثالث ما قاله بعض المفسرين كمجاهد وغيره ان المراد بذلك اهل الكتاب من التوراة والانجيل خاصة ومعنى
وانتم تعلمون اي انكم تعلمون انه اله واحد في التوراة والانجيل فعلى الوجهين الاولين لا تنافي بين هذه
الآية وبين قوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون لان علمهم يتعلق بشيء وجهلهم يتعلق بغيره وعلى

الوجه الاخر ان يجعل الابيات التي سئلنا عنها مخصصة باهل الكتاب ممكن ان يجعل الابيات التي وصفوا فيها بالجهل تتناول غير هؤلاء ممن لم يكن ذا كتاب يجد فيه بيان التوحيد وكل هذا واضح بحمد الله قال السيد ذي ادام الله وجوده ومما يفسر من الشعر بتفاسير مختلفة والقول يحتمل الكل قول امرئ القيس: وقد اغتدى ومعى القانصان: وكل بمربائه مقتفر: فيدركنا فغم داجن: سميع بصير طلوب نكر: الص الضروس حبي الضلوع: تبوع اريب نشيط اشر: فانشب اظفاره في النسا: فقلت هبلت الا تنتصر: فكر اليه بمبراته: كما خل ظهر اللسان المجر: فظل يرنح في غيطل: كما يستدير الحمار النعر قال ابن السكيت القانصان الصائدان والمرباة الموضع المرتفع يربأ فيه والمقتفر الذي يقتفر اثار الوحش قال غيره القانص البازي الصقر والفغم الكلب الحريص على الصيد يقال ما اشد فغمه اي نهمه فغم اي مولع بالصيد والداجن الذي يالف الصيد والسميع الذي اذا سمع حسا لم يفته والبصير الذي اذا راى شيئا من بعيد لم يكن يه يقصر والتبوع الذي اذا تبع الصيد ادركه ولم يعجز عن لحوقه والنكر المنكر الحاذق بالصيد ويروى نكر بالفتح قال ابن السكيت غيره في قوله فانشب اظفاره في النسا اي فانشب الكلب اظفاره في نسا الثور والنسا عرق في الفخذ معروف فقلت هبلت اي فقالت للثور هبلت الا تنتصر من الكلب قال وهذا تهكم منه بالثور واستهزاء به والاصل في التهكم الوقوع على الشيء يقال تهكم البئر اذا وقع بعضه على بعض ومعنى فكر عليه بمبراته اي بقرنه قال ابن السكيت وغيره يقال كر البه الثور بمبراته اي بقرنه ومعنى كما خل ظهر اللسان المجر اي طعنه به كما يجر الرجل لسان الفصيل وهو ان يقطع طرف لسانه او يشقه حتى لا يقدر على الشرب من خلف امه وذلك اذا كبر واستغنى عن الشرب ومعنى فظل يرنح في غيطل اي ظل الكلب يرنح اي يميد ويتمايل كالسكران والغيطل الشجر الملتف ويكون ايضا الجلبة والصياح وقوله كما يستدير الحمار النعر فالنعر الذي يدخل في راسه ذباب ازرق او اخضر فيطيح براسه ويهز وشبه الكلب في اضطرابه ونزوه بالحمار النعر قال ابن مقبل: ترى النعرات الزرق تحت لبانه: احاد ومثنى اصعقتها صواهله: وقال احمد بن عبيد القانصان الفرس وصاحبه والمجر في ان الفرس يسمى قانصا قول عدى بن زيد: تقنصك الخيل وتصطادك الطير ولا تنكع لهو القنيص لا تمنع ويقال الاستنصر قال وقوله فانشب اظفاره في النسا فانشب الكلب اظفاره في نسا الثور فقلت لصاحب الفرس او لغلامه المسك للفرس هبلت الا تدنو الى الثور فتطعنه فقد امسكه عليك الكلب قال ومحال ان يكون امرؤ القيس يرى الثور يقتل كلبه لان امرأ القيس يفخر بالصيد في اكثر شعره وانه حرزوق منه مظفر فيه كقوله: اذا ما خرجنا قال ولداننا: تعالوا الى ان ياتي الصيد نحطب وكقوله: مطعم للصيد ليس له: غيره كسب على كبره: فمحال على هذا ان يرى الثور يقتل

كلبه الصيد تاويل الا تنتصر الا تدنو من الثور والدليل على ان تنتصر بمعنى تدنو قول الراعي واوغلن في وادي جلامية بعدما: علا البيد سافي الحفظة المتناصر: اي المتداني وقال مضرس بن ربعي فاياك لا تعطى امراحظ غيره: ولا تملك الشق الذي الغيث ناصره: اي دان منه ومعنى الص الضروس اي ببعض اسنانه ملتصق ببعض ومعنى حبي الضلوع اي مشرف الضلوع عاليها ويروى حتى الضلوع بالنون اي منحنيها ويقال ان الضلوع اذا تقوست كان اوسع لجوفه واقوى له ويروى خفق الضلوع اي ضامر خفيفها واظن في جنبه ومعنى فظل يرنح اي ظل الثور يرنح في غيطل الماخضة صاحب الفرس فلم يجد ان يكون يرنح الثور بظفر الكلب ولانه انشب اظفاره فيه وكل ذلك محتمل ومما يحمل ايضا على وجوه مختلفة قول امرئ القيس: فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها: لما نسجتها من جنوب وشمال: قال معناه لم يدرس رسمها النسج هاتين الريحين فقط بل بقيت لمتابع الرياح والامطار والدليل على هذا قوله في البيت الاخر: فهل عند رسم دارس من معول: وقال الاخرون معنى لم يعف اي لم يدرس فالرسم على هذا القول هو باق غير دارس اي فهل عند رسم دارس في المستقبل وان كانت الساعة موجودا غير دارس قال الاخرون معنى قوله لم يعف مثل الوجه الثاني انه لم يدرس رسمها لما نسجتها بل هي بواقي ثوابت فنحن نحزن لها وجزع عندها ولو عفت محت لاسترحنا وهذا مثل قول ابن احمر: الا ليت المنازل قد بلينا: فلا يرمين عن شزن حزينا: ومثل قول الاخر: الا ليت الديار التي تخزينا: كانت تبين اذا ما اهلها بانوا: وليس قوله فهل عند رسم دارس من معول نقضا لهذا انما هو كقولك درس كتابك اي ذهب بعضه وبقي بعض وقال ابو بكر العبدي معناه لم يعف رسمها من قلبي وهو دارس الموضع فلم يتناول قوله لم يعف ما تناوله قوله فهل عند رسم دارس من جميع وجوهه فيتناقض الكلام وقال الاخرون اراد بقوله لم يعف لم يدرس ثم اكذب نفسه بقوله فهل عند رسم دارس من معول كما قال زهير: قف بالديار التي لم يعفها القدم: بلى وغيرها الارواح والديم: وكما قال الاخر: فلا تبعدن يا خير عمرو بن مالك: بلى ان من زار القبور ليبعدا: اراد ليبعدن فابدل الالف من النون الخفيفة وهذا وجه ضعيف وبيت زهير ليس يجب فيه ما توهم من المناقضة والتكذيب لانه يمكن ان يحمل على ما ذكرناه في الجواب المتقدم من ان اراد ان رسمها لم يبطل كله وان كان قد غيرت الديم والارواح بعضه واثرت في بعض فاما البيت الثاني فلا حجة فيه لانه لم يتضمن اثباتا ونفيا وانما دعا له بان لا يبعد ثم رجع الى قوله بل انه ليبعد من زار القبور وما يدعى غير واجب ولا ثابت فكيف ما في البيت الثاني ويمكن في البيت وجه اخر وهو ان يكون معنى لم يعف رسمها اي لم يكثر فيطمهر حتى تعرفه المترسم ويتبينه المتامل بل هو خاف غير لايح ولا ظاهر ثم قال من بعد فهل عند رسم دارس فلم يناقض الاول لانه قد اثبت الدروس له في كلا الموضعين ولا شبهة في ان عفا من حروف الاضداد التي تستعمل تارة في الدروس واخرى في الزيادة والكثرة قال الله تعالى حتى عفوا اي كثروا ويقال قد عفا

الشعر اذا كثر قال الشاعر ؛ ولكنا نعض السيف منها ؛ باسوق عافيات اللحم كوم ؛ اراد كثيرات اللحم ويقال
قد عفا وبر البعير اذا زاد ويقال اعفيت الشعر وعفوته اذا كثرته وزدت فيه وامر رسول الله صلى الله
عليه وآله بان تحفى الشوارب وان تعفى اللحى اي توفر وهذا الوجه اشبه عندي مما تقدم مجلس آخر
تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى يا اخت هرون ما كان ابوك امرء سوء وما كانت امك بغيا فاشارت
اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا فقال من هرون الذي نسبت اليه مريم الى انها اخته ومعلوم
انها لم تكن اختا لهرون اخي موسى عليه السلام وما معنى من كان في المهد صبيا ولفظة كان تدل على ما مضى
من الزمان وعيسى عليه السلام في حال قولهم ذلك كان في المهد الجواب قلنا اما هرون هذا الذي نسبت اليه
مريم فقد قيل فيه اقوال منها ان هرون المذكور في الآية كان رجلا فاسقا مشهورا بالعهر والشر وفساد
الطريقة فلما انكروا ما جاءت به من الولد وظنوا بها ما هي البريئة منه من الشر نسبوها الى هذا الرجل
تشبيها وتمثيلا وكان تقدير الكلام يا شبيهة هرون في فعله القبيح وفعله وهذا القول يروى عن سعيد
بن جبير ومنها ان هرون هذا كان اخاها لابيها دون امها وقيل انه كان اخاها لابيها وامها وقيل انه
كان رجلا معروفا بالصلاح وحسن الطريقة والعبادة والتأله وقيل انه لم يكن اخاها على الحقيقة بل كان رجلا
صالحا من قومها وانه لما مات شيع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون من بني اسرائيل فلما انكروا
ما ظهر من مريم قالوا يا اخت هرون اي يا شبيهته في الصلاح ما كان هذا معروفا منك ولا كان والداك
ممن يفعل القبيح فتتطرق عليك الريبة وعلى قول من قال انه كان اخاها يكون معنى قولهم انك من اهل بيت
الصلاح والسداد لان اباك لم يكن امرء سوء ولا كانت امك بغيا وانت مع ذلك اخت هرون المعروف
بالصلاح والعفة فكيف اتيت بما لا يشبه نسبك ولا يعرف من مثلك ويقوي هذا القول ما رواه المغيرة
ابن شعبة قال لما ارسلني رسول الله صلى الله عليه وآله الى اهل نجران قال لي اهلها اليس نبيكم يزعم ان هرون
اخو موسى وقد علم الناس ما كان بين عيسى وموسى من السنين فلم ادر ما اردّ عليهم حتى رجعت الى النبي صلى الله
عليه وآله فذكرت له ذلك فقال لي فهلا قلت انهم كانوا يدعون بانبيائهم والصالحين قبلهم ومنها ان
يكون معنى قوله يا اخت هرون يا من هي من نسل هارون اخي موسى كما يقال للرجل يا اخا بني تميم ويا اخا
بني فلان وذكر مقاتل بن حيان في قوله يا اخت هرون قال روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال هرون
هذا الذي ذكروه هو هارون اخو موسى عليهما السلام قال مقاتل وتأويل يا اخت هارون يا من هي من
نسل هرون كما قال والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا يعني يا اخاهم انه من نسلهم وجنسهم وكل قول
من هذه الاقوال قد اختاره قوم من المفسرين فاما قوله تعالى من كان في المهد صبيا فهو كلام مبني على الشرط
والجزاء معقود بهما والمعنى من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه ووضع في ظاهر اللفظ الماضي موضع المستقبل
لان الشرط لا يثبت الا بما يستقبل فيقول القائل ان زرتني زرتك يريد ان تزرني ازرك قال الله

تعالى

تعالى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك يعني ان يشاء يجعل لك وقال قطرب معنى كان ههنا معنى صار فكانه
المعنى كيف نكلم من صار في المهد صبيا ويشهد بذلك قول زهير ؛ اجزت اليه حرة ارحبية ؛ وقد كان لون
الليل مثل الارندج ؛ ويكون كان بمعنى وجد وحدث وقال قوم لفظة كان وان اريد بها الماضي فقد
يراد بها الحال والاستقبال كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس اي انتم وكذلك قوله عز وجل
هل كنت الا بشرا رسولا وقوله وكان الله عليما حكيما وان كان قد قيل في هذه الآية الاخيرة ان
القوم شاهدوا من آثار علمه تعالى وحكمته ما شاهدوا فاخبرهم انه لم يزل عليما حكيما اي فلا
تظنوا انه استفاد علما وحكمة لم يكن عليهما ومما يقوى مذهب من وضع الماضي موضع الحال والاستقبال قوله
تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم وقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار وقولهم في الدعا
غفر الله لك واطال الله بقاك وما جرى مجرى ذلك معنى الكل يفعل الله ذلك بك الا انه لما امن من
اللبس وضع لفظ الماضي في موضع المستقبل قال الشاعر ؛ فادركت من قد كان قبلي ولم ادع ؛ لمن بعدكم
في الفضائل مقعدا ؛ اراد لمن يكون بعدي ومما جعلوا فيه المستقبل موضع الماضي قول الصلتان
العبدي يرثي المغيرة بن المهلب ؛ قل للقوافل والغزاة اذا غزوا ؛ والباكرين وللمجد الرائح ؛ ان الشجاعة
والسماحة ضمنا ؛ قبرا بمرو على الطريق الواضح ؛ فاذا مررت بقبره فاعقر به ؛ كوم الجلاد وكل طرف
سابح ؛ وانضح جوانب قبره بدمائها ؛ فلقد يكون اخادم وذبائح ؛ معناه فلقد كان كذلك تأويل خبر
ان سأل سائل كيف يطابق ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لا عدوى ولا هامة ولا طيرة
وانه قيل له ان النقبة تقع بمشفر البعير فيجرب لذلك الابل فقال عليه السلام فما اعدى الاول لما روي
عنه عليه السلام من قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح وقوله فر من المجذوم فرارك من الاسد وان رجلا
مجذوما اتاه ليبايعه بيعة الاسلام فارسل اليه بالبيعة وامره بالانصراف ولم يأذن عليه السلام
له وروي عنه عليه السلام انه قال الشوم في المرأة والدار والدابة وظواهر هذه الاخبار متنافية
متناقضة فبينوا وجه الجمع بينها الجواب قلنا ان ابن قتيبة سأل نفسه عن اختلاف هذه الاخبار واجاب عن
ذلك بما نذكره على وجهه ثم نذكر ما عندنا فيه فانه خلط واتى بما ليس بمرضي قال ان لكل من هذه الاخبار
معنى وموضعا فاذا وضع موضعه زال الاختلاف قال والعدوى جنسان احدهما عدوى الجذام فان
المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم من اطال مجالسته ومواكلته وكذلك المرأة تكون تحت المجذوم فتضاجعه في شعار
واحد فيوصل اليها الاذى وربما جذمت وكذلك ولده ينزعون في الكبر اليه وكذلك من كان به سل
ودق والاطباء تأمر بان لا يجالس المسلول والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى وانما
يريدون به تغير الرائحة وانها تسقم من اطال اشتمامها والاطباء ابعد الناس من الايمان بيمن
او شوم وكذلك النقبة تكون بالبعير وهي جرب رطب فاذا خالط الابل وحاكها واوصل اليها بالماء الذي

الارندج جلود سود

[illegible]

بسبيل منه خوفاً مما به فهذا هو المعنى الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله لا يوردن ذو عاهة على
مصح قال وقد ذهب قوم الى انه اراد بذلك ان لا يظن الذي نال ابله من ذوات العاهة فيأثم قال
وليس لهذا عندي وجه لانا نجد الذي خبرتك به عيانا قال واما الجنس الآخر من العدوى فهو الطاعون
ينزل ببلد فيخرج منه خوفا من الطاعون وحكى عن الاصمعي عن بعض البصريين انه هرب من الطاعون
فركب حمارا ومضى باهله نحو سفوان فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول لن يسبق الله على حمار ولا على
ذي منعة طيار او يأتي الحتف على مقدار قد يصبح الله امام الساري وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وآله اذا كان بالبلد الذي انتم فيه الطاعون فلا تخرجوا منه وقال ايضا اذا كان ببلد فلا تدخلوه
يريد بقوله لا تخرجوا من البلد اذا كان فيه كانكم تظنون ان الفرار من قدر الله تعالى ينجيكم ويريد بقوله
اذا كان ببلد فلا تدخلوه ان مقامكم بالبلد الذي لا طاعون فيه اسكن لانفسكم واطيب لعيشكم
قال ومن ذلك المرأة تعرف بالشوم والدار فينال الرجل مكروه او جائحة فيقول اعدتني بشومها قال
فهذا هو العدوى الذي قال النبي عليه السلام لا عدوى فاما الحديث الذي رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله
عليه وآله انه قال الشوم في المرأة والدار والدابة فان هذا يتوهم فيه الغلط على ابي هريرة وانه سمع فيه
شيئا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلم يعه ثم روى ابن قتيبة خبرا رفعه الى ابي حسان الاعرج ان رجلين
دخلا على عائشة فقالا ان ابا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال انما الطيرة في المرأة والدار
والدابة فطارت شفقا ثم قالت كذب والذي انزل الفرقان على ابي القاسم من حدث بهذا عن رسول الله
صلى الله عليه وآله انما قال رسول الله صلى الله عليه وآله كان اهل الجاهلية يقولون الطيرة في المرأة والدار
والدابة ثم قرأت ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها وروى خبرا
يرفعه عن انس بن مالك قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله انا نزلنا دارا
فكثر فيها عددنا وكثرت فيها اموالنا ثم تحولنا منها الى اخرى فقلت فيها اموالنا وقل عددنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله ذروها وهي ذميمة قال ابن قتيبة ليس هذا ينقض الحديث الاول وانما
امرهم بالتحول منها لانهم كانوا مقيمين فيها على استثقال لظلها واستيحاش لما نالهم فيها فامرهم بالتحول عنها
وقد جعل الله في غرائز الناس وتركيبهم استثقال ما نالهم السوء فيه وان كان لا سبب له في ذلك
وحب من جرى على يده الخير لهم وان لم يردهم به وبغض من جرى على يده الشر لهم وان لم يردهم به [illegible]
قال السيد [illegible] وجدنا ابن قتيبة عمل شيئا اكثر من انه لما اعجزه تأويل الاخبار التي ظاهرها نفسه
عنها والمطابقة بينها وبين قوله عليه السلام لا عدوى ولا طيرة ادعى الخصوص فيهما وظاهرهما العموم وخصص
العدوى في شيء دون شيء وكلاهما سواء في العموم وبلا بد فعمر قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم للاعرابي
لما سأل عن النقبة تقع بمشفر البعير فيجرب لذلك الابل قال فما اعدى الاول تكذيبا للعدوى هذه

النقبة

النقبة وتأثيرها فاطرح ابن قتيبة ذلك وزعم ان الجرب يعدو ويؤثر في المخالط والمواكل فعول في ذلك على
قول الاطباء وترك قول الرسول صلى الله عليه وآله ومن طريف امره انه قال ان الاطباء ينهون عن مجالسة المسلول
والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى وانما يريدون تغير الرائحة وانها تسقم من ادمن
اشتمامها وهذا غلط منه لان الاطباء انما تنهى عن ذلك خوفا من العدوى وسبب العدوى عندهم
هو اشتمام الرائحة وانفصال الاجزاء من السقيم الى الصحيح وليس اذا كان غير هذا عدوى عند قوم
يوجب الا يكون هذا ايضا من العدوى ولما تخلص عن عهدته تأويلا صحيحا في قوله لا يوردن
ذو عاهة على مصح ادعى ان العيان يدفعه واي عيان يدفعه ونحن نجد كثيرا ممن يخالط الجربى
فلا يجرب ونجد ابلا صحاحا تخالط ذوات العاهات فلا يصيبها شيء من ادوائها وكان انما يدعي
ان العيان يدفع قول النبي صلى الله عليه وآله فما اعدى الاول والوجه عندنا في قوله عليه السلام
لا يوردن ذو عاهة على مصح انه عليه السلام انما نهى عن ذلك وان لم يكن مؤثرا على الحقيقة لان فاعله
كالمدخل الضرر على غيره لان من اعتقد ان ذلك يعدي ويؤثر فاورده على ابله فلا بد من ان
يلحقه لما تقدم من اعتقاده ضرر وغم ولا بد من ان يذم من فعل به ذلك فكانه عليه السلام نهى عن
اذى الناس والتعرض لذمهم وقد يجوز ايضا مثل ما حكاه ابن قتيبة عن غيره ما لم يرتضه من انهم متى
ظنوا ذلك اثموا فنهى عليه السلام عن التعرض لما يؤثم ولو نقل ابن قتيبة ما قاله عليه السلام في الطاعون
اذا كان ببلد فلا تدخلوه وامره لمن شكا اليه ما لحقه في الدار بالتحول عنها لكان قد اصاب لانه
حمل ذلك على ان تجنب البلد اسكن للنفس واطيب للعيش وكذلك الدار وهذا يمكن في قوله لا يوردن
ذو عاهة على مصح بعينه فاما قوله فر من المجذوم فرارك من الاسد فليس فيه ان ذلك لاجل العدوى
وقد يمكن ان يكون لاجل نتن ريحه واستقذاره ونفور النفس عنه ولان ذلك ربما دعا الى تعييره
والازدراء عليه وامتناعه عليه السلام من ادخال المجذوم عليه يجوز ان يكون الغرض فيه غير
العدوى بل بعض الاسباب المانعة التي ذكرنا بعضها واما حديث الطاعون فالقول فيه على ما
قاله وقد كان سبيله لما عول في عدوى الجذام والجرب على قول الاطباء ان يرجع ايضا الى قولهم
في الطاعون لانهم يقولون ان الطاعون الذي يعرض من تغير الاهوية وما جرى مجراها يعدي
كعدوى الجرب والجذام والعيان الذي ادعاه ليس هو اكثر من وجوده من يجرب ويجذم بمخالطة
من كان بهذه الصفة وهذا العيان موجود في الطاعون لانا نرى عموم المرض لكل البلد الذي يكون
فيه ويطرأ اليه فاما الخبر الذي يتضمن ان الشوم في المرأة والدار والدابة فالذي نذكره من الوجوه
في معناه يزيل الشبهة به على تأوله وان لم تكن ههنا رواية تخصه وبلحاظ ان يحمل على ان الذي يتطير به
المتطيرون ويدعون ان الشوم فيه هو المرأة والدار والدابة ولا يكون ذلك اثباتا للطيرة والشوم

الكلام الذي ذكره ابو علي ليس بمستبعد والكلام محتمل لما ذكره ويمكن في الآية وجه آخر وهو ان يكون المراد بالحجاب البعد والخفاء ونفي الظهور وقد تستعمل العرب لفظة الحجاب فيما ذكرناه فيقول احدهم لغيره اذا استبعد فهمه واستبطأ فطنته بيني وبينك حجاب ويقول في الامر الذي يستبعده ويستصعب طريقه بيني وبين هذا الامر حجب وموانع وسواتر وما جرى مجرى ذلك فيكون معنى الآية انه تعالى لا يكلم البشر الا وحيا بان يخطر في قلوبهم او بان ينصب لهم ادلة تدلهم على ما يريده او يكرهه منهم فيكون من نصبها للادلة على ذلك والارشاد اليه مخاطبا او مكلما للعباد بما يدل عليه وجعل هذا الخطاب من وراء حجاب من حيث لم يكن مسموعا كما يسمع الخاطر من الرسول صلى الله عليه وآله ولا ظاهرا معلوما لكل من ادركه كما ان اقوال الرسل المؤدين عنه تعالى من الملائكة بهذه الصفة فصار الحجاب هاهنا كناية عن الخفاء وعبارة عما تدل عليه الادلة وليس لاحد ان يقول ان الذي تدل عليه الادلة لا يضاف الى الله تعالى ولا يقال انه مكلم للناس به وذلك انه غير ممتنع على سبيل التجوز ان يقال فيما يدل عليه الدليل الذي نصبه لنا ويرشد اليه انه يكلمنا ويخاطبنا به ولا يمتنع المسلمون ان يقولوا انه تعالى خاطبنا بما دلت الادلة العقلية عليه من عبادته واجتناب ما كرهه منا وفعل ما اراده وهكذا يقولون فيمن فعل فعلا يدل على امر من الامور وقد خاطبنا فلان بما فعل من كذا وكذا وقال لنا وامرنا وزجرنا وما اشبه ذلك من الالفاظ الموضوعة على الكلام الحقيقي وهذا الاستعمال اكثر واظهر من ان نورد امثلته ونظائره قال السيد قدس الله روحه ومن مستحسن ما قيل في الذئب قول اسماء بن خارجة بن حصن الفزاري ولقد ألمّ بنا لنقريه بادي الشقاء محارف الكسب يدعو الغنى ان نال علقته من مطعم غبا الى غب يطوي ويطوي ... بالصلب بعد لدونة الصلب يا ضل سعيك ما صنعت بما جمعت من شت الى رب لو كنت ذا لب تعيش به لفعلت فعل المرء ذي اللب وجعلت صالح ما احترفت به وما جمعت من نهب الى نهب والضنء شغبا ان ذل به ولقد صنعت بغابر الشغب او كان غير مناصل نعصى بها مشحوذة وركائب الركب فاعمد الى اهل الوقير فانما يخشى الرغيب مواضع الزرب اخبتنا مر طيف به فاغرتنا للامن الخصب ونعيم ... ولا تبت اني وشعبك ليس من شعبي لما راى ان ليس نافعه جد تهاون صادق الارب وابح الحاجة الحاجبه شكوى الضرير ومزجر الكلب بادى لتكلح ... وانا ابن تابل ... فرايت ان قد نلته باذى من عذم مثلبه ومن سب ورايت حقا ان اضيفه اذ ام سلمي واتقى حربي فوقفت معتاما ازاولها بمهند ذي رونق عضب فعرضته في ساق اسمنها فاجتاز بين الحاذ والكعب فتركتها لعياله جزرا عمدا وعلق رحلها صحبي ذكر ذيبا طرقه ليلا وقوله محارف الكسب اي يحارف ضربه اي لا ينعول كسب الاشقى بكسبه وقوله يدعو الغنى ان نال علقته اي ان وجد ما يتعلق به من مطعم غبا اي يوم بعد يوم ومن ذلك عندنا الغنى والنهلة ما يبقى في البطن من طعام او علف

وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا

في هذه الآية ابل على طريق الاخبار بان الحيرة الثابتة انما هي فيها العقوبة امرها عند اصحاب الطبع وما ذكره بعد ذلك في الدار والامر عليه فانتقال عنها تأويل قريب وكان يجب ان يهتدي اليه فيما تقدم وما التوفيق الا من عند الله تعالى مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل فقال ما تأويل قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم او ليس ظاهر هذا الكلام يقتضي جواز الحجاب عليه وانتم تمنعون من ذلك الجواب قلنا ليس في الآية اكثر من ذكر الحجاب وليس فيها انه حجاب له تعالى او لمحل كلامه او لمن يكلمه واذا لم يكن في الظاهر شيء من ذلك جاز صرف الحجاب الى غيره عز وجل مما يجوز ان يكون محجوبا وقد يجوز ان يريد بقوله او من وراء حجاب انه يفعل كلاما في جسم محتجب عن المكلم غير معلوم له على سبيل التفصيل فيسمع المخاطب الكلام ولا يعرف محله على سبيل التفصيل فيقع على هذا هو مكلم من وراء حجاب وروي عن مجاهد في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا قال هو داود عليه السلام اوحي في صدره فزبر الزبور او من وراء حجاب هو موسى او يرسل رسولا وهو جبرئيل ارسل الى محمد صلى الله عليه وآله فاما الجبائي فانه ذكر ان المراد بالآية وما كان لبشر ان يكلمه الله الا مثل ما يكلم به عباده من الامر بطاعته والنهي عن معاصيه وتنبيههم على ذلك من جهة الخاطر او المنام وما اشبه ذلك على سبيل الوحي قال وانما سمى الله تعالى ذلك وحيا لانه خاطر وتنبيه وليس هو كلاما على سبيل الافصاح كما يفصح الرجل منا لصاحبه اذا خاطبه والوحي في اللغة انما هو ما جرى مجرى الايماء والتنبيه على شيء من غير ان يفصح به فهذا هو ما ذكره الله تعالى في الآية قال وعنى بقوله او من وراء حجاب انه يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه الا من يريد ان يكلمه به نحو كلامه تعالى لموسى عليه السلام لانه حجب ذلك عن جميع الخلق الا عن موسى عليه السلام وحده في كلامه اياه اولا واما كلامه له في المرة الثانية فانه انما اسمع ذلك موسى والسبعين الذين كانوا معه وحجبه عن جميع الخلق سواهم فهذا معنى قوله تعالى او من وراء حجاب لان الكلام هو الذي كان محجوبا عن الناس وقد يقال انه حجب عنهم موضع الكلام الذي اقام الكلام فيه فلم يكونوا يهتدون من اين يسمعونه لان الكلام عرض لا يقوم الا في جسم ولا يجوز ان يكون اراد بقوله او من وراء حجاب ان الله تعالى كان من وراء حجاب يكلم عباده لان الحجاب لا يجوز الا على الاجسام المحدودة قال وعنى بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء ارساله الملائكة بكتبه وبكلامه الى انبيائه عليهم السلام ليبلغوا ذلك عنه عباده على سبيل انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وانزاله سائر الكتب على انبيائه فهذا ايضا ضرب من الكلام الذي يكلم الله تعالى به عباده ويأمرهم فيه بطاعته وينهاهم عن معاصيه من غير ان يكلمهم على سبيل ما كلم به موسى وهذا الكلام هو خلاف الوحي الذي ذكره في اول الآية لانه قد افصح لهم في هذا الكلام بما امرهم به ونهاهم عنه والوحي الذي ذكره في اول هذه الآية انما هو تنبيه وخاطر وليس فيه افصاح وهذا

طوى ثم انشاء ذهب بها واراد انه لم يبق في جسمه ما يسكره الا الدم وترك اللبن والدم كاللبن فاذا دنا من الحق بقيته
لما صير بجلبه بعد ان لا ان ما اصاب منهما ثم اقبل على الذئب كالعاذل له فقال ما صنعت كاجمعت
من شبّ الى دبّ وهذان اسمان للشباب والهرم لا يفردان ولا يلفظ بهما الا هكذا والمعنى فيهما هو
منذ كنت شابا حتى دببت على العصا ثم قال لو كنت ذا لب جمعت ما شيبه ومعنى احتزرت اكتسب
ومعنى من نهب الى نهب اي من عدوك على الغنم الى العدوة الاخرى ثم قال ان كان تعرضك لنا
شغبا علينا فقد منيت بغاية الشغب اي هو بنا اولك وبغايالك وليس هاهنا ما تغير عليه وانما يعني
مناصل او سيوف مشحوذة وركائبنا التي نمتطيها فاعمد الى اهل الوقير والوقير القطيع من الغنم
لا اشعر وبه الا اذا كان فيه حمار يقول فعليك بمواضع الغنم فانما يحفظها الراعي والمقرص الكلب
تخلل القرموص واصله المكان الضيق وهو هاهنا حفرة يحفرها الراعي في الرمل في شدة الحر للشاة الكريمة
السقيمة حتى اذا بركت كان نحرها في القرموص ومعنى غبيك ليس من شعبي اي لست من جنسي ولا
شكلي والارب الحديدة عند الحاجة وشكوى النصيب الذي قلمته الظفر ومزجر الكلب اي هو منا
قريب المكان بقدر مزجر الكلب اذ اخساته والسغب الجوع واراد بقوله وانا ابن قاتل شدة السغب
اي ابن من كان يقري ويطعم ثم رجع الى كرمه فقال ثم بعد ان سبته وعضضته بالاذى والعذل
اي اضيفه واثره الا من ضعيف وان كان ذئبا فوقفت انظر في ركابي اختار اسمنها والاعتيام الاختيار
وآثرته بها الا انها اماها ان حذا القديد من الذئب ولبان الذئب وخبزات رحل المطية التي يعقرها
علقه بعض اصحابه على مطية اخرى وقال النجاشي يذكر ذئبا وماء كلون الغسل قد عاد آجنا قليل
به الاصوات في بلد محل وجدت عليه الذئب يعوي كانه خليع خلا من كل مال ومن اهل فقلت
له يا ذئب هل لك في فتى يواسي بلا من عليك ولا بخل فقال هداك الله للرشد انما دعوت لما لم
ياته سبع قبلي فلست بآتيه ولا استطيعه ولا اسقني ان كان ماؤك ذا فضل فقلت عليك الحوض
اني تركته وفي صغوه فضل القلوص من السجل فطرب يستعوي ذئابا كثيرة وعدّيت كل من هواه على
شغل وروي ان الفرزدق نزل بالغريين فعراه باعلى ناره ذئب فابصره متقعيا يصفق وجع الفرزدق
مسلوخة ورمى اليه بيد فاكلها فرمى اليه باخرى فاكلها فلما شبع ولى عنه فقال وليلة بتنا بالغريين ضافنا
على الزاد موشي الذراعين اطلس تلمسنا حتى اتانا ولم يزل لدن فطمته امه يتلمس فلو انه اذ
جاءنا كان دانيا لالبسته لو انه كان يلبس ولكن تنحى جنبة بعدما دنا فكان كقاب القوس او
هو انفس فقاسمته نصفين بيني وبينه بقية زادي والركاب نعّس وكان ابن ليلى اذ قرى الذئب
زاده على طارق الظلماء لا يتعبس وكان ابن عنقاء الفزاري واسمه قيس بن بجرة وقيل بحرة بالضم لا بيات
المشهورة في الذئب هي واعوج من آل الصريح كانه بذي الشت سيد آبه الليل جائع بعيد مسافة

الطراف الجبل كانه وابن به تطلع من الخصاص طارق فلما اتاه الرزق من كل وجهه جنوب الملا واثنته
المطامع طوى نفسه طي الحرير كانه حوى حية في ربوة فهو هاجع فلما اضاءت متنه الشمس حكه
باعصل في انيابه السم ناقع وفكك لحييه فلما تعاديا صاح ثم اقعى والبلاد بلاقع وهم بامر ثم
ازمع غيره وان ضاق رزق مرة فهو واسع وعارض اطراف الصبا وكانه رجاع غدير هزه الريح
رائع فقلت تعلم انني غير نائم الى مستقل بالخيانة انيبا بعيد المطاف لا يهتدي على الغوث ولا يلي
ما استطاع ان يتكسبا معنى انيب اي غليظ الناب لا انام البادي لا اتقي من ذلك العشيات الى لان
اي اطمأننت اليه ومعنى لا يهتدي على الغوث اي لا يلتمس طمعا وهو شبعان وحميد بن ثور في الذئب فظل
يراعي الجيش حتى تغيبت حناش وحالت دونه الاجارع اذا ما غدا يوما رأيت غيابة من الطير
ينظرن الذي هو صانع خفيف المعا الا مصير ابيلة دم الجوف او سؤر من الحوض ناقع هو
البعل الداني من الناس كالذي له صحبة وهو العدو المنازع ينام باحدى مقلتيه ويتقي باخرى
المنايا فهو يقظان هاجع وصفه بانه يتبع الجيش طمعا في ان يتخلف رجل فيثب عليه لانه من السباع
لا يرغب في القتل ولا يكاد يأكل الا فريسة وحناش اسم هضبة وقال بعضهم وليس بمعروف ان حناش
اسم من اسماء الشمس والخيل تتبعه لتصيب مما يقتل والنصير المعا والبعل الاهش مجلس آخر تأويل آية
ان سأل سائل عن قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن
تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى
صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين فقال ما انكرتم ان تكون هذه
الآية دالة على جواز الرؤية عليه تعالى لانها لو لم تجز لم يجز ان يسألها موسى عليه السلام كما لا يجوز ان
يسأل اتخاذ الصاحبة والولد ولو كانت ايضا الرؤية مستحيلة لم يعلقها ايضا بامر يصح ان يقع وهو
استقرار الجبل فاذا علمنا ان استقرار الجبل في موضعه يجب ان تكون الرؤية ايضا صحيحة وفي حكم ما علق
به وقوله فلما تجلى ربه للجبل يقتضي جواز الحجاب عليه لان التجلي والظهور لا يكون الا بعد احتجاب واستتار
الجواب قلنا اول ما نقوله انه ليس في مسألة الشيء دلالة على صحته ووقوعه ولا جوازه لان السائل ربما سأل عن الصحيح
والمحال مع العلم ومع الجهل لاغراض مختلفة فلا دلالة في ظاهر مسألة الرؤية على جوازها ولا صحتها على
هذه الآية وجوه اولها وهو الاولى الاقوى ان يكون موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية لنفسه انما سألها
لقومه فقد روي انهم طلبوا ذلك منه فاجابهم بانه لا يجوز عليه تبارك وتعالى فلم يقنعوا بجوابه
وآثروا ان يرد الجواب من قبل ربه تعالى فوعدهم بذلك وغلب في ظنه ان الجواب اذا ورد من جهته عز
وجل كان احسم للشبهة وابلغ في دفعها عنهم فاختار السبعين الذين حضروا الميقات ليكون سؤاله بمحضر
منهم فيعرفوا ما يرد من الجواب فسأل واجيب بما يدل على ان الرؤية لا تجوز عليه تعالى ويقوى هذا الجواب

اشياء منها قوله تعالى يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ومنها قوله تعالى اذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ومنها قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فاضافة ذلك الى السفهاء تدل على انه كان بسببهم ومن اجلهم وانما سالوا ما لا يجوز عليه تعالى ومنها ذكر الجهرة في الرؤية وهي لا تليق الا برؤية البصر دون العلم وهذا يقوي ان الطلب لم يكن للعلم الضروري على ما ذكر في الجواب الثاني ومنها قوله انظر اليك لانا اذا حملنا الاية على طلب الرؤية لقومه امكن ان يحمل قوله انظر اليك على حقيقته واذا حملت الاية على طلب العلم الضروري احتيج الى حذف في الكلام وتصير تقديره ارني انظر الى الايات التي عندها اعرفك ضرورة ويمكن في هذا الوجه الاخير خاصة ان يقال اذا كان المذهب الصحيح عندكم ان النظر في الحقيقة غير الرؤية فكيف يكون قوله انظر اليك على حقيقته في جواب من حمل الاية على طلب الرؤية لقومه فان قلتم لا يمتنع ان يكون النظر الرؤية التي معها يكون النظر والتحديق الى الجهة فسال على حسب ما التمسوا قيل لكم هذا ينقض فرقكم في هذا الجواب بين سؤال الرؤية وبين (سؤال) جميع ما يستحيل عليه من الصاحبة والولد وما يقتضي الجسمية بان يقولوا الشك في الرؤية لا يمنع من معرفة السمع والشك في جميع ما ذكر يمنع من ذلك لان الشك الذي لا يمنع من معرفة السمع انما هو في الرؤية التي لا يكون معها نظر ولا تقتضي التشبيه فان قلتم نحمل ذكر النظر على ان المراد به نفس الرؤية على سبيل المجاز لان من عادة العرب ان يسموا الشيء باسم الطريق اليه وما قاربه وداناه قلنا انكم عدلتم من حقيقة الى مجاز بلا قوة في هذا الوجه والوجوه التي ذكرناها في تقوية هذا الجواب المتقدم اولى وليس لاحد ان يقول لو كان عليه السلام انما سال الرؤية لقومه لم يضف السؤال الى نفسه فيقول ارني انظر اليك ولا كان الجواب مختصا به وهو قوله تعالى لن تراني وذلك انه غير ممتنع وقوع الاضافة على هذا الوجه مع ان المسالة كانت من اجل الغير اذا كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس وتزيل الشبهة فلهذا يقول احدنا اذا شفع في حاجة غيره للمشفوع اليه اسالك ان تفعل بي كذا وتجيبني الى كذا ويحسن ان يقول المشفوع اليه قد اجبتك وشفعتك وما جرى مجرى ذلك وانما حسن هذا لان للسائل في المسالة غرضا وان رجعت الى الغير فتحققه بها وتكلفه كتكلفه لو اختصته ولم تتعده فان قيل كيف يجوز منه عليه السلام مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى ان يسالها لقومه ولئن جاز ذلك ليجوزن ان يسال لقومه سائر ما يستحيل عليه من كونه جسما وما اشبهه متى شكوا فيه قلنا انما صح ما ذكرناه في الرؤية ولم يصح فيما سالت عنه لان مع الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضي كونه جسما يمكن معرفة السمع وانه حكيم صادق في اخباره فيصح ان يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا

في

في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسما لا يصح معرفة السمع فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم وقد قال بعض من تكلم في هذه الاية قد كان جائزا ان يسال موسى عليه السلام لقومه ما يعلم استحالته وان كانت دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان المعلوم ان في ذلك صلاحا للمكلفين في الدين وان ورود الجواب يكون لطفا لهم في النظر في الادلة واصابة الحق منها غير ان من اجاب بذلك شرط ان يبين النبي عليه السلام في مسالته علمه باستحالة ما سال عنه وان غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفا والجواب الثاني في الاية ان يكون موسى عليه السلام انما سال ربه ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض اعلام الاخرة التي تضطر الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك والشبهات ويستغني عن الاستدلال فتخف المحنة عليه بذلك كما سال ابراهيم عليه السلام ربه ان يريه كيف يحيي الموتى طلبا لتخفيف المحنة وان كان قد عرف ذلك قبل ان يراه والسؤال وان وقع بلفظ الرؤية فان الرؤية تفيد العلم كما تفيد الادراك بالبصر وذلك اظهر من ان يدل عليه او يستشهد عليه فقال له عز وجل لن تراني اي لن تعلمني على هذا الوجه الذي التمسته ثم اكد ذلك بان اظهر في الجبل من اياته وعجائبه ما دل به على ان اظهار ما تقع به المعرفة الضرورية في الدنيا مع التكليف ثابتا لا يجوز وان الحكمة تمنع منه والوجه الاول اولى ما ذكرنا من الوجوه لان هذا الوجه لا يخلو موسى عليه السلام فيه من ان يكون شاكا في ان المعرفة الضرورية لا يصح حصولها في الدنيا او عالما بذلك فان كان شاكا فهذا مما لا يجوز على الانبياء عليهم السلام لان الشك فيما يرجع الى اصول الديانات وقواعد التكليف لا يجوز عليهم ولا سيما ان يعلم الله ذلك على حقيقته بعض من يبعثون اليه فيزيد عليهم في المعرفة وهذا ابلغ في التنفير عنهم من كل شيء يمنع منه فيهم وان كان عالما فلا وجه لسؤاله الا ان يقال انه سال لقومه فيعود الى معنى الجواب الاول والجواب الثالث في الاية ما حكي عن بعض من تكلم في هذه الاية من اهل التوحيد وهو ان قال يجوز ان يكون موسى عليه السلام في وقت مسالته ذلك كان شاكا في جواز الرؤية على الله تعالى فسال عن ذلك ليعلم هل يجوز عليه ام لا قال وليس شكه في ذلك بمانع من ان يعرف الله تعالى بصفاته بل يجري مجرى شكه في جواز الرؤية على بعض ما لا يرى من الاعراض في انه غير مخل بما يحتاج اليه في معرفته تعالى فلا يمتنع ان يكون غالطا في ذلك او شاكا فيه وتكون التوبة الواقعة منه لاجل ذلك وهذا الجواب يبعد من قبل ان الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضي تشبيها وان كان لا يمنع من معرفته تعالى بصفاته فان الشك في ذلك لا يجوز على الانبياء عليهم السلام من حيث يجوز من بعض من يبعثوا اليه ان يعرف ذلك على حقيقته فيكون النبي شاكا وغيره عارفا به مع رجوعهما الى المعرفة بالله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه وهذا اقوى في التنفير وابلغ من كل ما يوجب ان يجنبه الانبياء عليهم السلام فان قيل فاي شيء كانت توبة موسى عليه السلام على الجوابين المتقدمين قلنا اما من ذهب الى ان المسالة كانت لقومه فانه يقول انما تاب لانه اقدم على ان سال على لسان قومه ما لم يؤذن له فيه وليس للانبياء

عليهم السلام ذلك لانه لا يؤمن ان يكون الصلاح في المنع منه فيكون ترك اجابتهم اليه منفرا عنهم
ومن ذهب الى انه سال المعرفة الضرورية يقول انه تاب من حيث سال معرفة لا يقتضيها التكليف
وعلى جميع الاحوال تكون التوبة من ذنب صغير لا يستحق عليه العقاب ولا الذم والاولى ان يقال في توبته
عليه السلام انه ليس في الاية ما يقتضي ان يكون التوبة وقعت من المسالة او من امر يرجع اليها وقد يجوز
ان يكون ذلك عن ذنب صغير تقدم تلك الحال او تقدم النبوة فلا يرجع الى المسالة وقد
[illegible] الرجوع الى الله تعالى واظهار الانقطاع اليه والتقرب
[illegible]
وان لم يكن هناك ذنب معروف (معين) وقد يجوز ان يكون الغرض في ذلك مضافا الى ما قلناه تعليمنا
وتوقيفنا على ما نستعمله وندعوا به عند الشدائد ونزول الاهوال وتنبيه القوم المخطئين خاصة على
التوبة مما التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه تعالى فان الانبياء عليهم السلام وان لم يقع منهم القبيح عندنا
فقد يقع من غيرهم ويحتاج من وقع ذلك منه الى التوبة والاستغفار فاما قوله تعالى فلما تجلى ربه
للجبل فالتجلي ههنا التعريف والاعلام والاظهار لما يقتضي المعرفة كقولهم هذا كلام جلي اي واضح وكقول
الشاعر تجلى لنا بالمشرفية والقنا وقد كان عن وقع الاسنة اشيبا اراد ان تدبيره دل عليه حتى علم
انه المدبر له وان كان ما اتبع عن وقع الاسنة فاقام ما ظهر من دلالة فعله عليه مقام مشاهدته وعبر
عنه بانه تجلى منه وفي قوله للجبل وجهان احدهما ان يكون المراد لاهل الجبل ومن كان عند الجبل فحذف كما قال
واسال القرية وقوله فما بكت عليهم السماء والارض وقد علمنا انه بما اظهره من الايات انما دل من كان
عند الجبل على ان رؤيته غير جائزة والوجه الاخر ان يكون معنى للجبل اي بالجبل فاقام اللام مقام الباء
كما قال امنتم له قبل ان اذن لكم اي به وكما يقولون اخذتك بجرمك ولما كانت الاية الدالة على
منع ما سئل فيه انما حلت الجبل وظهرت فيه جاز ان يضاف التجلي اليه وقد استدل بهذه الاية كثير من علماء
الموحدين على انه تعالى لا يرى بالابصار من حيث نفى الرؤية نفيا عاما بقوله لن تراني ثم اكد ذلك بان
علق الرؤية باستقرار الجبل الذي علمنا انه لم يستقر وهذه طريقة للعرب (معروفة) في تبعيد الشيء لانهم يعلقونه
بما يعلم انه لا يكون كقولهم لا اكلمك ما اضاء الفجر وطلعت الشمس وكقول الشاعر اذا شاب الغراب اتيت
اهلي وصار القار كاللبن الحليب وما يجري مجرى هذا قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم
الخياط وليس لاحد ان يقول اذا علق الرؤية باستقرار الجبل وكان ذلك في مقدوره يجب ان تكون
الرؤية المعلقة به ايضا في مقدوره لانه لو كان الغرض بذلك التبعيد لعلقه بامر مستحيل كما علق دخولهم
الجنة بامر مستحيل من ولوج الجمل في سم الخياط وذلك ان تشبيه الشيء بغيره لا يجب ان يكون من جميع الوجوه
ولما علق وقوع الرؤية باستقرار الجبل وقد علم انه لا يستقر علم نفي الرؤية وما عدا ذلك من كون
الرؤية مستحيلة او غير مقدورة والجبل بخلافها يخرج (خارج) عما هو الغرض في التشبيه على انه انما علق جواز الرؤية

وما يجري هذا المجرى

واستقرار

باستقرار

باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكا وذلك محال لما فيه من اجتماع الضدين فجرى مجرى
جواز الرؤية في الاستحالة وليس يجب في كل ما علق بغيره ان يجري مجراه في سائر وجوهه حتى اذا كان
احدهما مع انتفائه مستحيلا كان الاخر بمثابته لان تعلق دخول الكفار الجنة انما علق بولوج الجمل في
سم الخياط وولوج الجمل في سم الخياط مستحيل ومعلوم ان الاول في المقدور وان كان لا يحسن والثاني ليس في
المقدور وهذه جملة كافية في تاويل هذه الاية وبيان ما فيها والحمد لله قال السيد قدس [illegible] وحضرني
لا استجيد قول ابي العيص جرام ابن عبد الله بن قتادة بن جابر بن ربيعة بن حارثة المازني وكم من
صاحب قد بان عني رميت بفقده وهو الحبيب فلم ابد الذي تحنو ضلوعي عليه انني لانا الكئيب
مخافة ان يراني مستكينا عدو او يساء به قريب فيشمت كاشح ويظن اني جزوع عند نائبة تنوب
فبعدك شدت الاعداء طرفا الي ورابني دهر مريب معنى شدت الاعداء طرفا اي نظرت الي
نظرا شزرا واظهر الغضب في عيونها وانكرت الزمان وكل اهلي وهرت لي بعدك الكليب ثم قال
كليب كلب مثل عبد وعبيد وكنت تقطع الابصار دوني وان وغرت من الغيظ القلوب
وتمنعني من الاعداء اني وان رغموا الخشي المهيب فلم ار مثل يومك كان يوما بدت فيه النجوم فما
تغيب وليل ما انام به طويل كان النجوم به رقيب وما ان جانبا الا بكيت منه اليك فسوف
يجلبه الجلوب مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها والله
مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون فقال
كيف ذكر هذا بعد ذكر البقرة والامر بذبحها وقد كان ينبغي ان يتقدم لانه انما امر بذبح البقرة لينكشف
امر القاتل فكيف اخر ذكر السبب عن المسبب وبنى الكلام بناء يقتضي انه كان بعده ولم قال واذ قتلتم
نفسا والرواية وردت بان القاتل كان واحدا فكيف يجوز ان يخاطب الجماعة بالقتل والقاتل من
بينها واحد والى اي شيء وقعت الاشارة بقوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى الجواب قيل له اما قوله
تعالى واذ قتلتم نفسا ففيه وجهان اولهما ان تكون هذه الاية وان تاخرت فهي مقدمة في المعنى على
الاية التي ذكرت فيها البقرة ويكون التاويل واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها فسالتم موسى فقال لكم
ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فاخر المقدم وقدم المؤخر ومثل هذا في القران وكلام العرب كثير ومثله
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما وقال الشاعر ان الفرزدق صخرة ملمومة
طالت فليس تنالها الاوعالا اراد طالت الاوعال فليس تنالها ومثله طاف الخيال واين منك
لماما فارجع لزورك بالسلام سلاما اراد طاف الخيال لماما واين هو منك الوجه الثاني ان يكون
وقع الخبر قوله تعالى واذ قتلتم نفسا انه علق بما هو متاخر في الحقيقة وواقع بعد ذبح البقرة وهو قوله
فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى لان الامر بضرب المقتول ببعض البقرة انما هو بعد الذبح فكا

قال فذبحوها وما كادوا يفعلون وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها أمرًا كان تضرب ببعضها
لينكشف أمره فأما إخراج الخطاب مخرج ما يتوجه إلى الجميع مع أن القاتل واحد فعلى عادة العرب في
خطاب الأبناء بخطاب الآباء والأجداد وخطاب العشيرة بما يكون من أحدها فيقول أحدهم فعلت
بنو تميم كذا وقتل بنو فلان فلانا وإن كان الفاعل أو القاتل واحدا من بين الجماعة ومنه قراءة من قرأ
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون بتقديم المفعولين على الفاعلين وهو اختيار الكسائي
وأبي العباس ثعلب في المعنى فيقتل بعضهم ويقتلون وهو أبلغ في وصفهم وأمدح لهم لأنهم إذا قاتلوا
وقتلوا بعد أن قتل بعضهم كان ذلك أدل على شجاعتهم وقلة جزعهم وحسن صبرهم وقد قيل إنه
كان القاتلان قتلا ابن عم لهما وأن الخطاب جرى عليهم بلفظ الجمع كما قال تعالى وكنا لحكمهم شاهدين
يريد داود وسليمان عليهما السلام والوجه الأول أولى وأقوى لشهادة الاستعمال الظاهر له ولأن
أكثر أهل العلم على أن القاتل كان واحدا ومعنى فادارأتم فتدارأتم أي تدافعتم وألقى بعضكم القتل على
بعض يقال دارأت فلانا إذا دافعته وداريته إذا لاينته ودريته إذا ختلته ويقال ادّارأ القوم إذا
تدافعوا والهاء في فادارأتم فيها تعود على النفس وقيل إنها تعود على القتلة أي اختلفتم في القتلة لأن القتل
يدل على المصدر والقتلة من المصادر التي تدل على الأفعال ورجوع الهاء إلى النفس أولى وأشبه بالظاهر
فأما قوله كذلك يحيي الله الموتى فالإشارة وقعت به إلى إقامة المقتول عند ضربه ببعض
البقرة لأنه روي أنه قام حيا وأوداجه تشخب دما فقال قتلني فلان ونبه الله تعالى بهذا الكلام في
هذه القصة على جواز ما أنكره مشركو قريش واستبعدوه من بعث وقيام الأموات لأنهم قالوا أئذا كنا
عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا فاحتج الله تعالى بأن الذي أنكروه واستبعدوه هين عليه
غير متعذر في اتساع قدرته وكان مما ضرب لهم من الأمثال ونبههم عليه من الأدلة ذكر المقتول الذي
ضرب ببعض البقرة فقام حيا وأراد تعالى أنني إذا كنت قد أحييت هذا المقتول بعد خروجه عن الحياة
ويأس قومه من عوده وإنطاقه بخبر كيفية قتله عنهم ورددته حيا ناطقا باسم قاتله فكذلك فاعلموا
أن إحياء جميع الأموات عند البعث لا يعجزني ولا يتعذر علي وهذا بيّن لمن تأمله قال السيد قدس الله
روحه ومن الشعر المشهور بالجودة في ذم الدنيا والتذكير بمصائبها ونوائبها قول نهشل بن حري يرثي
أخاه مالكا: ذكرت أخي المحول بعد يأس: فهاج علي ذكراه اشتياقي: فلا أنسى أخي ما دمت
حيا: وإخواني بأفرنة العناق: تجرّ بي الفضال إلى الندامى: بروض الحزن من كنفي أباق: وقالوا
السباء إذا أتوه: بضيم الخيل والشول الحقاق: إذا اتصلوا وقالوا يا لغوث: وراحوا في الحبرة
الرقاق: أجابك كل أروع شمري: رخي البال منطلق الخناق: أناس صالحون نشأت فيهم:
فأودوا بعد إلف واتساق: مضوا لسبيلهم ولبثت عنهم: ولكن لا محالة من لحاق: كذاك الإلف

أفرنة العناق اسم موضع [illegible]

الذي لم نجن عنه: يحن ولا يتوق إلى فراق: أرى الدنيا ونحن نعيث فيها: مولية تهيأ لانطلاق
أعاذل قد بقيت بقاء قيس: وما حي على الدنيا بباق: فقبلت السلاحين وذات عرق: وأورد
المطي على حذاق: كأن الشيب والأحداث تجري: إلى نفس الفتى فرسا سباق: فأما الشيب يدرك
وأما بالأحتف فيما يلاقي: فإن تك لمتي بالشيب أمست: شميط اللون واضحة المشاق:
فقد أغدو وبلجيتي أداني: بها المتطلعات من الرواق: الداجية اللمة السوداء وأراد أنه غل من
المزاة: إلى كأنهن ظباء قفر: يرعين والنواحي فتاق: برامض الحبال الغمر وصلي: ولبس
حبال وصلي بالرماق: وعهد الغانيات كعهد قين: ونت عنه الجعائل مستذاق: القين الحداد
والجعائل جمع جعالة وهي ... أراد أن القين إذا عدم الجعالة رحل واستقر في مكان كطلب
السوق هب من رآه: ولا يشفي الحوائم من لماق: الجلب الغيم الذي لا مطر معه والحوائم العطاش واللماق
شيء قليل: فلا يبعد مضائي في مواحي: وإشرافي العلاية وانصلاق: وعبراء القتام جلوت
عني: بعجل الطرف سالية الماق: وقد طوفت في الآفاق حتى: سئمت النص بالقلص العتاق
وكم قاسيت من سنة جماد: تعض اللحم ما دون العراق: إذا أفنيتها بدلت أخرى: أعد شهورها
عدد الأواقي: فأفنتني الشهور وليس تفنى: ونفدا لا لأهلة المحاق: وما سبق الحوادث ليث غاب
يجر لعرسه جند الرفاق: ولا بطل تفادى الخيل منه: بزار الطعن يوم تعاق: وأحسن حارثة
ابن بدر الغداني في قوله: يا كعب ما راح من قوم ولا ابتكروا: إلا وللموت في آثارهم حادي: يا كعب
ما طلعت شمس ولا غربت: إلا تقرب آجالا لميعاد: ولأبي العتاهية في هذا المعنى: إذا انقطعت
عني من العيش مدتي: فإن بكاء الباكيات قليل: سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي: ويحدث
بعدي للخليل خليل: أجلك قوم حين صرت إلى الغنى: وكل غني في العيون جليل: وليس الغنى
إلا غنى زين الفتى: عشية يقري أو غداة ينيل: ولم يفتقر يوما وإن كان معدما: جواد ولم
يستغن قط بخيل: إذا مالت الدنيا إلى المرء رغبت: إليه ومال الناس حيث يميل: أرى علل
الدنيا علي كثيرة: وصاحبها حتى الممات عليل: وإني وإن أصبحت بالموت موقنا: فلي أمل
دون اليقين طويل: وقد أحسن البحتري في قوله هذا المعنى: أخي متى خاصمت نفسك فاحتشد لها
ومتى حدثت نفسك فاصدق: أرى علل الأشياء شتى ولا أرى: التجمع إلا علة للتفرق:
أرى العيش ظلا يوشك الشمس نقله: فكن في ابتغاء العيش كيسا وموفق: أرى الدهر غولا للنفوس
وإنما: يقي الله في بعض المواطن من يقي: فلا تتبع الماضي سؤالك لم مضى: وعرج على الباقي فسائله
لم بقي: ولم أر كالدنيا حليلة صاحب: محب متى يحسن بعينيه تطلق: تراها عيانا وهي صنعة واحد
فتحسبها صنعي لطيف وأخرق: وقد قيل إن السبب في خروج البحتري عن بغداد في آخر أيامه كان هذه الأبيات

هو الذي خلقكم من نفس واحدة

لان بعض اعدائه شنع عليه بانه ثنوي من حيث قال فحبسها صنعي لطبعي واخرق وكانت العامة
غالبة على البلد فخاف على نفسه فقال لابنه ابي الغوث يا بني حتى تطفي عنا هذه النائرة
بحجة نلم فيها ببلدنا ونعود فخرج ولم يعد واحسن ايضا غاية الاحسان في قوله اغشى الخطوب فاما جئن
مأربتي فيما اسير او احكمن تأديبي ان تلتمس تمر اخلاف الخطوب وان تلبث مع الدهر تسمع
بالاعاجيب متى تستزد فضلا من العمر تغترف بسجليك من شهد الخطوب وصابها تبث بنا الدنيا
باخفض سعيها وغول الافاعي بل اشد لعابها يسر بعمران الديار مضلل وعمرانها مستانف
من خرابها يسر بعمران الديار مضلل وعمرانها مستانف من خرابها ولم ارتض الدنيا اوان
مجيئها فكيف ارتضائها اوان ذهابها اقول لمكذوب عن الدهر زاغ عن تخير آراء الحجى في
انتخابها سيرديك او يثويك انك مخلس الى شقة يابيك بعد مآبها وهل انت في مرسومة
طال اخذها من الارض الا حفنة من ترابها ووجدت الآمدي يروي في هذا البيت انك
محبس بالباء وتفسيره ان المعنى انك موقوف الى ان تصير الى هذا من قولك حبست فرسا
في سبيل الله واحبست ذاك اي اوقفتها والرواية المشهورة انك مخلس باللام والمعنى انك
منتهى ومتخذ حلسا والحلس هو الكساء الذي يوضع تحت الرحل وهذا اشبه بالمعنى الذي قصده
البحتري واولى بان يختاره مع رقة طبعه وسلاسة الفاظه مجلس اخر تاويل اية ان سأل سائل
عن قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها الى قوله
فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء
فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون فقال اليس ظاهر هذه الاية يقتضي جواز الشرك على الانبياء
لانه لم يتقدم الا ذكر ادم وحواء عليهما السلام فيجب ان يكون قوله جعلا له شركاء فيما اتاهما راجع
اليهما الجواب قلنا كما ان ذكر ادم وحواء قد تقدم فقد تقدم ذكر غيرهما في قوله تعالى هو الذي خلقكم
ومعلوم ان المراد بذلك جميع ولد ادم في قوله فلما اتيهما صالحا والمعنى فلما اتاهما ولدا صالحا
والمراد بهذا الجنس وقد يكون للواحد وان كان اللفظ لفظ واحد والمعنى فلما اتاهما جنسا من الاولاد صالحا
واذا كان الامر على ما ذكرناه جاز ان يرجع قوله جعلا له شركاء الى ولدهما وقد تقدم ذكرهما فان
قيل فلما وجب رده الى ادم وحواء لاجل التثنية في الكلام ولم يتقدم ذكر اثنين الا ذكرهما قلنا ان جعل هذا
ترجيحا في رجوعه اليهما جاز ايضا ان نجعل قوله في اخر الاية فتعالى الله عما يشركون وجها مقويا
لرجوع الكلام الى جملة الاولاد ويجوز ان يكون اشير بالتثنية الى الذكور والاناث من ولد ادم
او الى جنسين منهم فحسنت التثنية لذلك على انه اذا تقدم في الكلام امران ثم تلاهما حكم من
الاحكام علم بالدليل استحالة تعلقه باحد الامرين وجب رده الى الاخر واذا علمنا ان ادم

عليه

عليه السلام لا يجوز عليه الشرك لم يجز عود الكلام اليه فوجب عوده الى المذكورين من ولده
ابو علي الجبائي ما نحن نورده على وجهه قال انما عنى الله تعالى بهذا انه خلق بني ادم من نفس واحدة لا
الاضمار في قوله تعالى خلقكم انما عنى به بني ادم والنفس الواحدة التي خلقهم منها هي ادم لانه خلق حوا
من ادم ويقال انه خلقها من ضلع من اضلاعه فرجعوا جميعا الى انهم خلقوا من ادم وبين ذلك بقوله
وخلق منها زوجها لانه عنى به انه خلق من هذه النفس زوجها وزوجها هو حواء وعنى بقوله فلما
تغشاها حملت حملا خفيفا وحملها هو حبلها في ابتداء الحمل لانه في ذلك الوقت خفيف عليها وعنى بقوله
فمرت به مرورها بهذا الحمل وتصرفها به كان عليها سهلا لخفته فلما كبر الولد في بطنها ثقل ذلك
عليها فهو معنى قوله اثقلت وثقل عليها عند ذلك المشي والحركة وعنى بقوله دعوا الله ربهما انهما
دعوا عند كبر الولد في بطنها فقالا لئن اتيتنا يا رب نسلا صالحا لنكونن من الشاكرين لنعمتك علينا لانهما
ارادا ان يكون لهما اولاد يؤانسونهما في الموضع الذي كانا فيه لانهما كانا فردين مستوحشين فكان
اذا غاب احدهما عن الاخر بقي الاخر مستوحشا بلا مؤنس فلما اتاهما نسلا صالحا معافى وهم الاولاد الذين
كانوا يولدون لهما لان حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى فيقال انها ولدت خمسمائة بطن الف
ولد وعنى بقوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما اي ان هذا النسل الصالح الذين هم ذكر وانثى
جعلا له شركاء فيما اتاهما من نعمه واضافوا تلك النعم الى الذين اتخذوهم الهة مع الله عز وجل من الاصنام و
الاوثان ولم يعن بقوله جعلا ادم وحواء عليهما السلام لان ادم لا يجوز عليه الشرك بالله لانه نبي من
انبيائه ولو جاز الشرك والكفر على الانبياء عليهم السلام لما جاز ان يثق احدنا بما يؤديه الانبياء اليه عن الله
عز وجل لان من جاز عليه الكفر جاز عليه الكذب ومن جاز عليه الكذب لا يوثق باخباره فصح بهذا ان
الاضمار في قوله جعلا انما يعني النسل وانما ذكر ذلك على سبيل التثنية لانهم كانوا ذكرا وانثى فلما كانوا نوعين
جاز ان يجعل الخبار عنهما كالخبار عن الاثنين اذا كانا صنفين وقد دل على صحة تاويلنا هذا قوله تعالى في اخر
الاية فتعالى الله عما يشركون فبين ان الذين جعلوا له شركاء هم جماعة فلهذا جعلوا اضمارهم اضمار الجماعة فقال
يشركون معنى كلام ابي علي وقد قيل في قوله فلما اتاهما صالحا مضافا الى الوجه المتقدم الذي هو انه اراد بالصلاح
الاستواء في الخلقة والاعتدال في الاعضاء وجه اخر وهو انه لو اراد الصلاح في الدين لكان الكلام ايضا مستقيما
لان الصالح في الدين قد يجوز ان يكفر بعد صلاحه فيكون في حال صالحا وفي الاخرى مشركا وهذا لا يتنافى وقد
استشهد في جواز الانتقال من خطاب الى غيره ومن كناية عن مذكور الى غير مذكور بنحو ما قلناه من الانتقال
من الكناية عن ادم وحواء الى ولدهما بقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
فانصرف عن مخاطبة الرسول عليه السلام الى مخاطبة المرسل اليهم ثم قال وتعزروه وتوقروه يعني الرسول عليه السلام
ثم قال وتسبحوه يعني مرسل الرسول فالكلام واحد متصل بعضه ببعض والخطاب منتقل من واحد الى غيره

ويقول الهذلي: يا لهف نفسي كان جدة خالد ... وبياض وجهك للتراب الأعفر ... ولم يقل بياض
وجههم وقال كثير: أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ... لدينا ولا مقلية إن تقلت ... فخاطب ثم ترك الخطاب
وقال الآخر: فدى لك ناقتي وجميع أهلي ... ومالي إنه منه أتاني ... ولم يقل منك أتاني ... ووجدت باسناد
محمد بن جرير يحمل هذه الآية على ان الخطاب في جميعها غير متعلق بآدم وحواء ويحمل الهاء في تغشاها والكناية
في دعوا الله ربهما وآتاهما صالحا جعلا له الى من اشرك ولم يتعلق بآدم وحواء من الخطاب الا قوله خلقكم
من نفس واحدة لان الاشارة في قوله خلقكم من نفس واحدة الى الخلق عامة وكذلك في قوله تعالى وجعل
منها زوجها ثم خص منها بعضهم كما قال تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين
بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة بالتسيير في البر والبحر ثم خص راكب البحر بقوله وجرين بهم بريح طيبة كذلك هذه
اخبرت عن جملة امر البشر بانهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها وهما آدم وحواء عليهما السلام ثم عاد
الذكر الى الذي سأل الله تعالى ما سأل فلما اعطاه اياه ادعى الشركاء في عطيته قال وجائز ان يكون عنى بقوله
هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصا اذ كان كل بني آدم مخلوقا من نفس واحدة وزوجها ويجوز ان
يكون المعنى في قوله خلقكم من نفس واحدة خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وهذا يجيء كثيرا في القرآن وفي كلام
العرب قال الله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة اي فاجلدوا
كل واحد منهم ثمانين جلدة وقال عز وجل ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فلكل نفس
زوج هو منها اي من جنسها فلما تغشاها اي فلما تغشى كل نفس زوجها حملت حملا خفيفا وهو الماء فمرت به
اي مارت به والمور التردد والمراد تردد هذا الماء في رحم هذه الحامل فلما اثقلت اي ثقل حملها بصيرورة ذلك
الماء لحما ودما وعظما دعوا الله ربهما اي الرجل والمرأة لما استبان حمل المرأة فقالا لئن آتيتنا صالحا لنكونن من
الشاكرين فلما آتاهما صالحا اي اعطاهما ما سألا من الولد الصالح نسبا ذلك الى شركاء معه فتعالى الله
عما يشركون وقال قوم معنى جعلا له شركاء اي طلبا من الله امثالا للولد الصالح فشركا بين الطلبتين وكون
الهاء في قوله له راجعة الى الصالح لا الى الله تعالى يجري مجرى قول القائل طلبت مني درهما فلما اعطيتك
اشركته بآخر اي طلبت آخر مضافا اليه وعلى هذا الوجه لا يمتنع ان يكون قوله جعلا والخطاب كله متوجها
الى آدم وحواء عليهما السلام **مجلس آخر** تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى قال اتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وما تعملون فقال المجبر ظاهر هذا القول يقتضي انه خالق لاعمال العباد لان ما ههنا
بمعنى الذي فكأنه قال خلقكم وخلق اعمالكم والجواب قلنا قد احتج اهل الجبر بهذه الآية على ان المراد بقوله وما
تعملون اي وما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما مما كانوا يتخذونه اصناما ويعبدونه قالوا وما
ينكر ان يريد بقوله وما تعملون ذلك كما انه قد اراد بما ذكرناه بقوله اتعبدون ما تنحتون لانه لم يرد
انكم تعبدون نحتكم الذي هو فعلكم بل اراد ما تفعلون فيه النحت كما قال تعالى في عصا موسى عليه السلام

قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون

تلقف ما يأفكون وتلقف ما صنعوا وانما اراد ان العصا تلقف الحبال التي اظهروا سحرهم فيها وهي التي حلها
صنعتهم وافكهم فقال ما صنعوا وما يأفكون واراد ما صنعوا فيه وما يأفكون فيه ومثله قوله تعالى يعملون
له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان وانما اراد المعمول فيه دون العمل وهذا ايضا سائغ شائع لانهم يقولون
هذا الباب عمل النجار وفي الخلخال هذا عمل الصائغ وان كانت الاجسام التي اشير اليها ليست اعمالا
لهم وانما عملوا فيها فحسن اجراء هذه العبارة فان قيل كل الذي ذكرتموه وان استعمل فعلى وجه المجاز والاتساع
لان العمل في الحقيقة لا يجري الا على فعل الفاعل دون ما يفعل فيه وانما يستعمل في بعض المواضع قلنا ليس نسلم
لكم ان الاستعمال الذي ذكرناه على سبيل المجاز بل نقول هو المفهوم الذي لا يستفاد سواه لان القائل اذا
قال هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه الا انه عمل فيه وما رأينا احدا قط يقول في الثوب بدلا من قوله هذا
من عمل فلان هذا مما حله عمل فلان فالاولى ان يكون حقيقة وليس ينكر ان يكون الاصل في
الحقيقة ما ذكروه ثم انتقل بعرف الاستعمال الى ما ذكرناه وصار المختص به والمستفاد من الكلام سواه كما
انتقلت الفاظ كثيرة على هذا الحد ولا اعتبار بالمفهوم من الالفاظ الا ما استقر عليه استعمالها دون ما
كانت عليه في الاصل فوجب ان يكون المفهوم الظاهر من الآية ما ذكرناه على انا لو سلمنا ان ذلك مجاز وجب
المصير اليه من وجوه منها ما يشهد به ظاهر الآية ويقتضيه ولا يسوغ سواه ومنها ما تقتضيه الادلة القاطعة
الخارجة عن الآية فمن ذلك انه تعالى اخرج الكلام مخرج التقريع لهم والتوبيخ لافعالهم والازراء على اقدامهم
فقال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ومتى حمل قوله وما تعملون على المراد به تعملون فيه ليصح تقريعهم
الكلام اتعبدون الاصنام التي تنحتونها والله خلقكم وخلق هذه الاصنام التي تفعلون فيها التخطيط والنقوش
لم يكن الكلام معنى ولا مدخل في باب التوبيخ ويصير على ما ذكروه المخالف كانه قال اتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وخلق عبادتكم فاي حجة للتقريع وهذا الى ان يكون عذرا اقرب من ان يكون لوما وتوبيخا
لانه اذا خلق عبادتهم للاصنام فاي وجه للوم لهم عليها وتقريعهم بها على ان قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون
بعد قوله اتعبدون ما تنحتون انما خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره تعالى فلا بد من ان يكون متعلقا
بما تقدم من قوله اتعبدون ما تنحتون ومؤثرا في المنع من عبادة غير الله فلو افاد قوله وما تعملون نفس العمل
الذي هو النحت دون المعمول فيه لكان لا فائدة في الكلام لان القوم لم يكونوا يعبدون النحت وانما كانوا
يعبدون محل النحت ولانه كان لا اختصاص للكلام بالمنع من عبادة الاصنام وكذلك لو حمل قوله تعالى
ما تعملون على اعمال اخر ليست بنحت ولا هي ما عملوا فيه لكان اظهر في باب اللغو والبعد عن التعلق بما تقدم
فلم يبق الا انه اراد انه خلقكم وما تعملون فيه النحت فكيف تعبدون مخلوقا مثلكم فان قيل لم زعمتم انه لو كان
الامر على ما ذكرناه لم يكن للقول الثاني حظ في باب المنع من عبادة الاصنام وما تنكرون ان يكون لما ذكرناه
وجه في المنع من ذلك كما ان ما ذكرتموه ايضا لو اريد لكان وجها وهو ان من خلقنا وخلق الافعال فينا

لا يكون الا القديم الذي يحق له العبادة وغير القديم تعالى كما يستحيل ان يخلقنا يستحيل ان يخلق فينا
الافعال على الوجه الذي يخلقها القديم عليه فصار لما ذكرناه تاثير قلنا معلوم ان الثاني اذا كان
كالتعليل للاول والمؤثر في المنع من العبادة فلان يتضمن انكم مخلوقون وما تعبدون اولى من ان يشير
الى ما ذكرتموه مما لا يقتضي اكثر من خلقهم دون خلق ما يعبدونه فالاول اذا دل على المنع من عبادة
الاصنام من كونها مخلوقة كما ان عابدها مخلوق ويشهد بما ذكرناه قوله تعالى في موضع اخر ايشركون ما
لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فاحتج عليهم تعالى في المنع من عبادة
الالهة دونه بانها مخلوقة لا تخلق شيئا ولا تدفع عن انفسها ضرا ولا عنهم وهذا واضح على ان لو سلم
ما ذكروه وما ذكرناه في التعلق بالاول لم يمنع حمله على ما ادعوه لان من عادة العرب في الفعل الذي يتعلقوا به
وفرغوا من اجله وقبح ان يوبخهم بما يعبدونه ويتهمهم بما يحبونهم على ما تقدم على ان الاية انما تضمن بفعل فعل
العباد وخلقها يستحق العبادة لانه من جملة افعالهم القبائح ومن فعل القبائح لا يكون الها ولا يستحق العبادة
لمخرج ما ذكروه من ان يكون مؤثرا في انفراده بالعبادة على اضافة العمل اليهم بقوله تعالى تعملون وايهام
في الاية لانه لو كان خالقا له لم يكن عملا لهم لان العمل انما يكون عملا لمن يحدثه ويوجده فكيف يكون عملا لهم وهو
خالقه ومنه ما اقتضته لهم فثبت بهذا ان الظاهر شاهد لنا ايضا على ان قوله وما تعملون يقتضي الاستقبال
وكل فعل لم يوجد فهو معدوم ومحال ان يقول تعالى انه خالق للمعدوم فان قالوا اللفظ وان كان
للاستقبال فالمراد به الماضي كانه قال والله خلقكم وما عملتم قلنا هذا عدول منكم عن الظاهر الذي
ادعيتم انكم متمسكون به وليس انتم بان تعدلوا عنه باولى منا بل نحن احق لانا نعدل عنه لدلالة وانتم تعدلون
بغير حجة فان قالوا فانتم تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تاويلكم وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ
الماضي قلنا لا نحتاج نحن في تاويلنا الى ذلك لانا اذا حملنا قوله وما تعملون على الاصنام المعمولة فيها
ومعلوم ان الاصنام موجودة قبل عملهم فيها فجاز ان يقول تعالى انه خلقها ولا يجوز ان يقول اني
خلقت ما سيقع من العمل في المستقبل على انه لو اراد بذلك عملهم الا ما عملوا به على ما ادعوه لم يكن في
الاية حجة على ما يريدون لان الخلق هو التقدير والتدبير وليس يمتنع في اللغة ان يكون الخالق خالقا
لفعل غيره اذا قدره ودبره الا ترى انهم يقولون خلقت الاديم وان لم يكن الاديم فعلا لمن يقال ذلك
فيه ويكون معنى خلقه لافعال العباد انه مقدر لها ومعرف لنا مقاديرها وما يستحق عليه من الجزاء
وليس يمتنع ان يقال انه خالق للافعال على هذا المعنى اذا ارتفع الايهام وفهم المراد وهذا كله يقتضيه
الاية ولو لم يكن في الاية شيء مما ذكرناه مما يوجب العدول عن حمل قوله وما تعملون على خلق نفس الاعمال
لوجب ان نعدل بها عن ذلك على ما ذكرناه للادلة العقلية الدالة على انه لا يجوز ان يكون
خالقا لاعمالنا وان تصرفنا محدث بنا ولا فاعل له سوانا وكل هذا واضح لمن تدبره قال السيد قدس

روحه

روحه واني لا استغش لبعض نساء بني اسد قولها ؛ ألم تر انا غيبنا ما فوقنا ؛ ذمانا فظلنا نكد البنات الخطا
على الماء او طانه ؛ وحنت لنا فتات حزازا ؛ وخرجت الى بها في السماء ؛ روس العضاه تناجي
السرارا ؛ وفتحت الارض افواهها ؛ عجيج الجمال تردد الجفارا ؛ لبسنا الداعطيل ليلة ؛ على الليل ابنا
والخمارا ؛ وقلنا اعيروا الندى حقه ؛ وحشر الحفاظ وصونوا الجوارا ؛ فان الندى لعشيرته ؛ يرد الى
اهلها استعارا ؛ فبتنا نوطن احشاءنا ؛ اضاءة لنا عارض فاستطارا ؛ واقبل يزحف زحف الكسير
سياق الرعاء البطاء العشارا ؛ تعن وتضحك حافاته ؛ خلال الغمام وتبكي مرارا ؛ كانا تضيء لنا
حرة ؛ تشد ازارا وتلقي ازارا ؛ فلما خشينا بان لا نجاة ؛ وان لا يكون قرارا اقرارا ؛ اشار له امره
فوقه ؛ فهلم قام الى ما اشارا ؛ وانشد ابو عفان لولادة المهزمية ؛ لولا اتقاء الله بعض لا
يبلغ الثقلان فيه مقامي بابوتي في الجاهلية سادة ؛ وبذا العلى امراة في الاسلام ؛ جادوا فسادوا
مانعين ذمامهم ؛ لسؤالهم بذل لذي الاقوام ؛ قد لجبوا في الجود الاخوال والاعمام
اذا سكتوا تكلم مجدهم ؛ عنهم فاخرس دون كل كلام ؛ وقالت امراة من بني سعد بن بكر ؛ ابا الخوتي
ملامة ؛ اتعذلنا بالله من مثل ما بيا ؛ سالتكما بالله الا اجعلتما ؛ مكان الاذى واللوم ان تاولبا ابا ليا
حب الحلال في قائلين شطون النوى يحتل عرضا يمانيا ؛ اثم كغصن البان جعد مرجل ؛ شغفت
به لو كان امر الحلائنا ؛ فان لم اوسد ساعدي بعد هجعة ؛ غلاما هلاليا فسل بالنا ؛ نكلت ابي ان
دعت كربعة ؛ لنبي ولا سقيا الغمامة غاديا ؛ ولصاحبة الهلالية ؛ الم تر انه تم شهرت ؛ بحيلة
وقاتمانا ؛ الا الفتى والعرب يكن الغني ؛ بما نون الى الفتى لحبيبنا وان لاهوى القصد ثم
عن القصد ميلات الهوى فاميل ؛ وما وجد منجنون ؛ بساقيه من عقل الامير كبول
وما الليل مولى مسلم بجريرة ؛ لربعة نام العيون عويل ؛ باكثر مني لوعة يوم راعني ؛ فراق حبيب ما
اليه سبيل ؛ ولعمرة بنت العجلان اخت عمرو ذي الكلب الهلالي الكاهلي ترثي اخاها عمرا وكان في بعض
غاراته نائما فوثب عليه نمران فوجدت فيهم سلاحه عليه فادعت قتله ؛ سالت بعمرو اخي صحبه
فافظعني حين ردوا السؤالا ؛ فقالوا اتيح له نائما ؛ اعز السباع عليه احالا ؛ اتيح له نمرا اجبل ؛ فنالا
لعمرك منه منالا ؛ فاقسمت يا عمرو لو نبهاك ؛ اذن نبها منك امرا عضالا ؛ اذن نبها ليث عريسة
مفيدا نفوسا ومالا ؛ هزبرا فروسا لاعدائه ؛ هصورا اذا لقي القرن صالا ؛ هما مع تصرف ريب
المنون ؛ من الارض ركنا ثبيتا اما لا ؛ هما يوم حم له يومه ؛ وقال الخوفهم بطلا وفالا ؛ معنى فال اخطا
يقال رجل فال الراي وفال ؛ الا قتلنا مفخرة ؛ بايتمار ان ورثنا النبالا ؛ كانهما تهز بهم ونكذبهم
اي بالاتهام ثم النبال ؛ فهلا من قبل ريب المنون ؛ فقد كان رجلا وكنتم رجالا ؛ يقال رجل
ورجل ؛ وقد علمت فهم يوم اللقاء ؛ بانهم لك كانوا نعالا ؛ كانهم الحسوا فحلوا النساء الحجالا

ولم يزلوا بمحول السنين ؛ بر فيكونوا عليها الا ؛ وقد علم الضيف والمجتدون ؛ اذا اغبر افق وهبت
شمالا ؛ وخلت عن اولادها المرضعات ؛ ولم ترع عين لمزن بلالا ؛ بانك كنت الربيع المغيث ؛ لمن يعتريك
وكنت الثمالا ؛ وخرق تجاوزت مجهوله ؛ بوجناء حرف تشكى الكلالا ؛ فكنت النهار به شمسه ؛ وكنت
دجى الليل فيه الهلالا ؛ وخيل سمت لك فرسانها ؛ فولوا ولم يستقلوا قبالا ؛ وكل قبيل وان لم تكن
اردتهم منك باتوا وجالا ؛ مجلس اخر تاويل اية سال سائل عن قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي ان
اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون فقال اليس ظاهر هذه الاية يقتضي ان
نصح النبي عليه السلام لم ينفع الكفار الذين اراد الله بهم الكفر والغواية وهذا بخلاف مذهبكم الجواب قلنا
ليس في هذه الاية ما يقتضي خلاف مذهبنا لانه تعالى لم يقل انه فعل الغواية او ارادها وانما اخبر ان نصح
النبي عليه السلام لا ينفع ان كان الله يريد غوايتهم ووقوع الارادة لذلك وجوازه ووقوعها لا دلالة عليه
في الظاهر على ان الغواية ههنا الخيبة وحرمان الثواب ويشهد بصحة ما ذكرناه في هذه اللفظة قول الشاعر
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ؛ ومن يغو لا يعدم على الغي لائما ؛ فكانه تعالى قال ان كان الله يريد ان يخيبكم
ويعاقبكم بسوء عملكم وكفركم ويحرمكم ثوابه فليس ينفعكم نصحي ما دمتم مقيمين على ما انتم عليه الا ان
تقلعوا وتتوبوا وقد سمى الله تعالى العقاب غيا فقال فسوف يلقون غيا وما قبل هذه الاية يشهد
لما ذكرناه وان القوم استعجلوا عقاب الله تعالى فقالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما ياتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي الاية
فاخبرهم ان نصحه لا ينفع من يريد الله ان ينزل به العذاب ولا يغني عنه شيئا وقال جعفر بن حرب ان
الاية تتعلق بانه كان في قوم نوح طائفة تقول بالجبر فنبههم الله تعالى بهذا القول على فساد مذهبهم
وقال لهم على طريق الانكار عليهم والتعجب من قولهم ان كان القول كما تقولون من ان الله يفعل فيكم الكفر
والفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا مني نصحا فانتم على قولكم لا تنتفعون به وهذا جيد وروي عن الحسن
في هذه الاية وجه صالح وهو انه قال المعنى فيها ان كان الله يريد ان يعذبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول
العذاب بكم وان قبلتموه وامنتم به لان من حكم الله تعالى ان لا يقبل الايمان عند نزول العذاب وكل
هذا واضح في زوال الشبهة في الاية قال السيد قدس الله روحه ومن مستحسن ما قيل في صفة المصلوب قول
ابي تمام الطائي في قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر قتل الافشين وصلبه وحرقه ؛ ما زال سر الكفر بين
ضلوعه ؛ حتى اصطلى سر الزناد الواري ؛ نارا يساور جسمه من حرها ؛ لهب كما عصفرت شق ازار
طارت لها شعل يهدم لفحها ؛ اركانه هدما بغير غبار ؛ ففصلن منه كل مجمع مفصل ؛ وفعلن فاقرة
بكل فقار ؛ مشبوبة رفعت لاعظم مشرك ؛ ما كان يرفع ضوءها للساري ؛ صلى لها حيا وكان
وقودها ؛ ميتا ويدخلها مع الفجار ؛ وكذاك اهل النار في الدنيا هم ؛ يوم القيامة جل اهل النار

يا مشهدا

يا مشهدا صدرت بفرحته الى ؛ امصارها القصوى بنو الامصار ؛ رمقوا اعالي جذعه فكانما ؛ رمقوا
الهلال عشية الافطار ؛ واستنشقوا منه قتارا نشره ؛ من عنبر ذفر ومسك داري ؛ وتحدثوا عن هلكه
كحديث من ؛ بالبدو عن متتابع الامطار ؛ قد كان بواه الخليفة جانبا ؛ من قلبه حرما على الاقدار ؛
فسقاه ماء الخفض غير مصرد ؛ وانامه في الامن غير غرار ؛ ولقد شفى الاحشاء من برحائها ؛
ان صار بابك جار مازيار ؛ ثانيه في كبد السماء ولم يكن ؛ لاثنين ثان اذ هما في الغار ؛ وكانما انتبذا
لكيما يطويا ؛ عن ناطس خبرا من الاخبار ؛ سود اللباس كانما نسجت لهم ؛ ايدي السموم مدارعا من
قار ؛ بكروا واسروا في متون ضوامر ؛ قيدت لهم من مربط النجار ؛ لا يبرحون ومن راهم خالهم ؛
ابدا على سفر من الاسفار ؛ كادوا النبوة والهدى فتقطعت ؛ اعناقهم في ذلك المضمار ؛ وله
ايضا يذكر صلب بابك ؛ ما قضى رمضان منه قضاءه ؛ شالته الايام في شوال ؛ ما زال مغلول
العزيمة سادرا ؛ حتى غدا في القيد والاغلال ؛ مستشرفا للشمس منتصبا لها ؛ لما استبان فظاظة
الخلخال ؛ اهدى لمتن الجذع متنيه كذي ؛ عشق عاف متن الاسمر العسال ؛ لا كعب اسفل موضعا
من كعبه ؛ مع انه عن كل كعب عال ؛ سام كان العز يجذب ضبعه ؛ وسموه من ذلة وسفال ؛
متفرغ ابدا وليس بفارغ ؛ من لا سبيل له الى الاشغال ؛ قال السيد قدس الله روحه ومن عجيب
الامور ان ابا العباس احمد بن عبيد الله بن عمار يفضل هذه الابيات المفرطة في الحسن على جلالة مقدار
ابي تمام وما اخرجه ابن عمار من غلطه وسقطه ويقول في عقبها وانشد بشعر وصف فيه مصلوب
باغث من هذا الوصف ... كان يصف مثل قول ابراهيم بن المهدي يصف امر بابك في قصيدة يمدح بها
المعتصم ؛ ما زال يعنف بالنعمى فيغمطها ؛ عند الغموط وتاتيه الاواصيد ؛ حتى علا الاحيث لا يحط
مجتمعا ؛ كما علا ابدا ما اورق العود ؛ يا ربة ضربت فيها علاوته ؛ وشيبه ودنت اغصانه
الميد ؛ بوركت رضا واوطانا مباركة ؛ ما عنك في الارض للتقديس تعريد ؛ لو تعقد الارض
حيتان البلاد فلا ؛ يبقى على الارض الا جح جلمود ؛ لم يبك بابك الا من ابصره ؛ في زبيره وهو فوق الفيل
مصفود ؛ كنافة الغمر ترجو بيتها ؛ وحتى شغر بها الغمر مجلود ؛ ما كان احسن قول الناس يوم بدا
ايوم بابك هذا ام هو العيد ؛ صبرت جثته جيد الباسقة ؛ جرداء والراس منه ما الجيد ؛ فارض
ناعب هوج العاصفات به ؛ على الطريق صليبا طرفه عود ؛ كانه شلو كبش والهواء له ؛ تنور شاو
والجذع سفود ؛ وهكذا ينبغي ان يطعن على ابيات ابي تمام من يستجيد هذه الابيات ويفرط في
تقريظها وليت من جهل شيئا عدل عن الخوض فيه والكلام عليه فكان ذلك اولى وابيات ابي تمام
في نهاية القوة وجودة المعاني والالفاظ وسلامة السبك والمراد النسج وابيات ابن المهدي في غاية
الالفاظ مختلفة النسج متفاوتة الكلام وما فيها شيء يجوز ان يوضع عليها الا قولهم حتى علا الا

لا يحطّ مجتمعًا كما علا ابدًا ما اورق العود. وبعد فالبيت الاخير وان كان بارد الالفاظ وقد احسن مسلم
ابن الوليد في قوله: ما زال يعنف ويعطّها اخترامًا نعل برعونه على عوده. فصيّبته حيث تردّده
الرياح به. ونضد الطير فيه اضبع البيد. وللبحتري في هذا المعنى من قصيدة يمدح فيها ابا سعيد
اولها: لا دمنةٌ بلوى خبت ولا طَلَلُ. يردّ قولا على ذي لوعة يسلُ. ان عزّ دمعك في اي الرسوم
فلم. تصب بها فعندي ادمع ذُلُل. هل انت يومًا معيري نظرة فترى. في رملة بين عبرا شيرها
رَمَلُ. حثوا النوى مجراة ما لها وطن. عنه الهوى وجمال ما لها عقل. تحمل البرد من اقصى الثغور الى
وادي العراق بمراعًا بيتها عجل. ببشر من رآه منكوسًا لجاذبه. ايدي الشمال فضولا كلها فضل
لما سرى قحوًا للشمس جانبه. عن بابل شعرى البابين تشتعل. تقاو تواين مرفوع ومنخفض
على مراتب فالوا وما اقبلوا. ردّ الهجير لهم بعد شعلتها. سودًا فعادوا شبابا بعدما اكتهلوا
سما الحائل الاساد في لمة. من المنايا فاسرى وهو محتمل. خالي الذراعين والساقين لو صدقت
له المنى لتمنى انها غلل. من بعد ما طبق باب الشام في نفر. اسرى يودون ودًا انهم قتلوا. غابوا
عن الارض انا وعينيه وهم. فيها فلا وصل الا الكتب والرسل. ولي في المعنى ما زلت تقرع باب
بابك بالقنا. وتزوره في غارة شعواء. حتى اخذت بنصل سيفك عنوةً. منه الذي اعيا على
الامراء. اخليت منه البلد وهو قراره. ونصبته علمًا بكل فناء. لم يبق فيه خوف باسك مطعمًا مطعمًا
للطير في عود ولا ابداء. فطراه مطرد على اعواده. مثل اطراد كواكب الجوزاء. مستشرفًا للشمس
منتصبًا لها. في اخريات الجذع كالحرباء. مجلس آخر تاويل آية. ان سال سائل عن قوله تعالى شهر
رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر
فليصمه فقال كيف اخبر تعالى بانه انزل فيه القرآن وقد انزل في غيره من الشهور على ما جاءت به
الروايات والظاهر يقتضي انزال الجميع فيه وما المعنى في قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وهل اراد
الاقامة والحضور الذين هما ضد الغيبة او اراد المشاهدة والادراك الجواب قلنا اما قوله تعالى
انزل فيه القرآن فقد قال قوم ان المراد به انه تعالى انزل القرآن جملة واحدة الى سماء الدنيا في
شهر رمضان ثم فرق انزاله بعد ذلك على نبيه صلى الله عليه وآله بحسب ما تدعو الحاجة اليه وقال آخرون
المراد بقوله انزل فيه القرآن انه انزل في فرضه وايجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى في فرضه بقول القائل
كما يقال انزل الله في الزكاة كذا وكذا يريد في فرضها وانزل الله في الخمر كذا وكذا يريد في تحريمها وهذا الجواب
انما هرب صاحبه من شيء وظن انه قد اعتصم بجوابه عنه وهو بعد ثابت على ما كان عليه لان قوله تعالى
القرآن اذا كان يقتضي ظاهره انزال جميع القرآن فيجب على هذا الجواب ان يكون قد انزل في فرض الصيام
جميع القرآن ونحن نعلم ان قليلا من القرآن يتضمن ايجاب صوم شهر رمضان وان اكثره خال من ذلك

فان

فان قيل المراد بذلك انه انزل في فرضه شيئًا من القرآن وبعضًا منه قيل فهلا اقتصر على هذا وحمل
الكلام على انه تعالى انزل شيئا من القرآن في شهر رمضان ولم يحتج الى ان يجعل لفظة فيه بمعنى في فرض
وايجاب صومه والجواب الصحيح ان قوله تعالى القرآن في هذا الموضع لا يفيد العموم والاستغراق وانما
يفيد الجنس من غير معنى الاستغراق فكانه تعالى قال شهر رمضان الذي انزل فيه هذا الجنس من الكلام فاي
شيء نزل منه في الشهر فقد طابق الظاهر وليس لاحد ان يقول ان الالف واللام ههنا لا يكونان الا للعموم
والاستغراق لانا لو سلمنا ان الالف واللام صيغة العموم والصيغ المقتضية لاستغراق الجنس لم يجب ان
يكون ههنا بهذه الصفة لان هذه اللفظة قد تستعمل في مواضع كثيرة من الكلام ولا يراد بها اكثر من الاشارة
الى الجنس والطبقة من غير استغراق وعموم حتى يكون حمل كلام المتكلم بها على خصوص او عموم كالمناقض
لغرضه والمنافي لمراده الا ترى ان القائل اذا قال فلان ياكل اللحم ويشرب الخمر وضرب الامير اللصوص وخاطب
الجند لم يفهم من كلامه الا محض الجنس والطبقة من غير معنى خصوص او عموم حتى لو قيل له فلان ياكل
جميع اللحم او يشرب جميع الخمر او بعضها لكان جوابه انني لم ارد عموما ولا خصوصا وانما اردت انه ياكل هذا
الجنس من الطعام ويشرب هذا الجنس من الشراب فمن فهم من كلامه العموم او الخصوص فهو بعيد من فهم
مراده وقد اوتي كثير من الناس بغلطهم في هذا الموضع وظنون ان الاشارة الى الجنس من غير ارادة العموم
والاستغراق ليست مفهومة حتى حملوا قول من قال اردت الجنس في كل موضع على العموم وهذا بعيد
من الصحة لانه كما ان العموم والخصوص مفهومان في بعض المواضع بهذه الالفاظ فكذلك الاشارة الى
الجنس والطبقة من غير ارادة عموم ولا خصوص مفهومة متميزة وقد ذكرنا امثلة ذلك فاما قوله تعالى
فمن شهد منكم الشهر فليصمه فاكثر المفسرين حملوه على ان المراد بمن شهد من كان مقيما في بلد غير مسافر
وابو علي حمله على ان المراد به من ادرك الشهر وشاهده وبلغ اليه وهو متكامل الشروط فليصمه وذهب في معنى
شهد الى معنى الادراك والمشاهدة وقد طعن قوم على تاويل ابي علي وقالوا ليس يحتمل الكلام الا الوجه
الاول وليس الامر على ما ظنوه لان الكلام يحتمل الوجهين معا وان كان للقول الاول ترجيح ومزية على
الثاني من حيث يحتاج في الثاني من الاضمار الى اكثر مما يحتاج اليه في الاول لان على القول الاول
لا يحتاج الى اضمار الا الاقامة وارتفاع السفر لان قوله فمن شهد يقتضي الاقامة وانما يحتاج الى اضمار باقي
الشروط من الامكان والبلوغ وغير ذلك وفي القول الثاني يحتاج مع كل ما اضمرناه في القول الاول الى اضمار
الاقامة ويكون التقدير فمن شاهد الشهر وهو مطيق مقيم بالغ الى سائر الشروط فمن هذا الوجه كان
الاول اقوى وليس لاحد ان يقول ان شهد بنفسه من غير محذوف لا يدل على الاقامة وذلك انا نعلم
من قولهم في اللغة فلان شاهد اذا اطلق ولم يضف افاد الاقامة في البلد وهو عندهم ضد الغائب
والمسافر وان كانوا ربما اضافوا فقالوا فلان شاهد لكذا وشهد فلان كذا ولا يريدون هذا المعنى

في الملاقي شهد بدلالة على الالفة من غير تقدم محنة وغيره وهذه جملة كافية بحمد الله قال السيد قدس الله روحه ووجدت ابا العباس بن عمار يعيب على ابي تمام قوله: لما استحر الوداع المحض وانصرمت: اواخر الصبر الا كاظما وجما: رأيت احسن مرئي واقبحه: مستجمعين لي التوديع والعنما: قال ابو العباس وهذا قد تقدم مثله من شاعر متقدم وهو انه جمع بين كلمتين احداهما لا تناسب الاخرى وهو قول الكميت: وقد رأينا بها حورا منعمة: رودا تكامل فيها الدل والشنب: فقيل له اخطأت وباعدت بقولك الدل والشنب الا قلت كقول ذي الرمة: بيضاء في شفتيها حوة لعس: وفي اللثات وفي انيابها شنب: قال فقال الطائي مستجمعين لي التوديع والعنما فجعل المنظر القبيح للتوديع والتوديع لا يستقبح وانما استقبح عاقبته وهو الفراق وجعل المنظر الحسن ابيض غير التي شبهه بالعنم ولم يذكر الانامل المخضبة وانما سمع قول المجنون: ويبدي الحصا منها اذا قذفت به: من البرد اطراف البنان المخضب: قال وهذا هو الاصل استعاره الناس من بعد فقال الشاعر: النشر مسك والوجوه دنانير: واطراف الاكف عنم: واغرب ابو نواس في قوله: تبكي فتذري الدر من نرجس: وتلطم الورد بعناب: قال فلم يحسن هذا الطائي ان يستعير شيئا من محاسن القائلين قال السيد قدس الله روحه وهذا غلط من ابن عمار وسفه على ابي تمام لان الكميت جمع بين شيئين متباعدين وهما الدل وهو الشكل والحلاوة وحسن الهيئة والشنب هو برد الاسنان فتطرق عليه بذلك العيب وابو تمام جمع بين شيئين غير متفرقين لان التوديع انما اشار به الى ما اشارت اليه باصبعها من وداعه عند الفراق وشبه مع ذلك اصابعها بالعنم والعنم نبت اغصانه غضة دقاق تشبه الاصابع وقيل ان العنم واحده عنمة وهي العظاءة الصغيرة البيضاء وهو اشبه شيء بالاصبع البيضاء الغضة وهذا حكاه صاحب كتاب العين وقيل ان العنم نبت له نور احمر تشبه به الاصابع المخضوبة فوجه حسن قوله التوديع والعنم ان التوديع كان بالاصبع التي تشبه العنم فجمع بينهما لذلك فلا حاجة به الى ذكر الانامل المخضبة على ما ظن ابو العباس بل ذكر المشبه احسن واصح من ان يقول التوديع والانامل التي تشبه العنم فاما قوله ان التوديع لا يستقبح وانما تستقبح عاقبته فخطأ ومطالبة للشاعر بما لا يطالب بمثله الشعراء لان التوديع اذا كان منذرا بالفراق وبعد الدار وغيبة المحبوب فلا محالة انه مكروه مستقبح وقوله لا تستقبح عاقبته صحيح الا ان ما يعقب ويتضمن لما كان عند حضوره متيقنا مذكورا عاد الاستكراه والاستقباح اليه ونحن نعلم ان الناس يكرهون ويستقبحون تناول الاشياء الملذة من الاغذية وغيرها اذا علموا ان في عواقبها من المكروه فان من قدم اليه طعام مسموم واعلم بذلك يكرهه ويستقبح تناوله لما يتوقعه من سوء عاقبته وان كان ملذا في الحال والعلم بان الشعراء تذكر كراهيتها للوداع وهربها منه لما يتضمنه من الم الفرقة

قوله تعالى وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان الآية

وغصة مثل الوحشة وهذا مشهور معروف وقال ابو تمام: آلفة النحيب كم افتراق: اظل فكان داعية اجتماع: وليست فرحة الاوبات الا: لموقوف على ترح الوداع: فجعل للوداع ترحا يقابل فرح الاياب وهذا صحيح فاما قول جرير: اتنسى اذ تودعنا سليمى: بفرع بشامة سقي البشام: فانه دعا للبشام وهو شجر بالسقيا لانها ودعته عنده فسر بتوديعها وقول الشاعر: من يكن يكره الفراق فاني: اشتهيه لموضع التسليم: ان فيه اعتناقة لوداع: وانتظار اعتناقة لقدوم: فمن شان الشعراء ان يصرفوا المعاني بحسب اغراضهم وقصودهم فاذا اراد احدهم مدح شيء قصد الى حسن اوصافه فذكرها واشار بها حتى كانه لا وصف له غير ذلك الوصف واذا اراد ذمه قصد الى قبيح احواله فذكره حتى كانه لا شيء فيه غير ذلك كل متسبب بحسب قصده ولهذا ترى احدهم يقصد مدح الشيب فيذكر ما فيه من وقار وخشوع وان العمر معه اطول وما اشبه ذلك ويقصد الى ذمه فيذكر ما فيه من الادناء الى الاجل وانه آخر الالوان وابغضها الى النساء وما اشبه ذلك وهذه سبيلهم في كل شيء وصفوه ولمدحهم موضع ولذمهم موضع فمن ذم الوداع لما فيه من الانذار بالفراق وبعد الديار فقد ذهب مذهبا صحيحا كما ان من مدحه لما فيه من قرب المحبوب والتمتع بالنظر اليه وان كان يسيرا فقد ذهب ايضا مذهبا صحيحا ومن غلط ابن عمار القبيح قوله بعد ان انشد شعر المجنون قال وهذا هو الاصل ثم استعاره الناس من بعد فقال الشاعر: النشر مسك والوجوه دنانير: واطراف الاكف عنم: وهذا البيت للمرقش الاكبر وهو عم المرقش الاصغر جميعا كانا على عهد مهلهل بن ربيعة وشهدا حرب بكر بن وائل فكيف يكون المرقش الاكبر بعد قول المجنون لولا الغفلة مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون فقال كيف يكون ذلك الفرقان هو القرآن ولم يؤت موسى القرآن وانما اختص به محمد صلى الله عليه وآله الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه اولها ان يكون الفرقان بمعنى الكتاب المتقدم ذكره وهو التوراة فلا يكون هاهنا اسما للفرقان المنزل على محمد صلى الله عليه وآله ويحسن نسقه على الكتاب لاختلاف اللفظين كما قال تعالى الكتاب والحكمة وان كانت الحكمة مما يتضمنها الكتاب وكتب الله تعالى كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام ويستشهد على هذا الوجه بقول طرفة: فما لي اراني وابن عمي مالكا: متى ادن منه ينأ عني ويبعد: فنسق يبعد على ينأى وهو هو لعينه وحسن ذلك لاختلاف اللفظين وقال عدي بن زيد: وقددت الاديم لراهشيه: والفى قولها كذبا ومينا: وثانيها ان يكون الكتاب عبارة عن التوراة والفرقان انفراق البحر الذي اوتيه موسى عليه السلام وثالثها ان يراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام او الفرق بين موسى واصحابه المؤمنين وبين فرعون واصحابه الكافرين لان الله تعالى قد فرق بينهم في امور كثيرة منها انه نجى هؤلاء واغرق اولئك ورابعها ان يكون الفرقان

المراد به القرآن المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله ويكون المعنى في ذلك وآتينا موسى التورية و
التصديق والايمان بالفرقان الذي هو القرآن لان موسى عليه السلم كان مؤمنا بمحمد صلى الله عليه وآله
وبما جاء به مبشرا بنبوته وساغ حذف القبول والايمان والتصديق وما جرى مجراه واقامة الفرقان
مقامه كما ساغ في قوله تعالى واسئل القرية ومعناه اهل القرية وخامسها ان يكون المراد بالفرقان
القرآن ويكون تقدير الكلام واذ آتينا موسى الكتاب الذي هو التورية وآتينا محمدا الفرقان فحذف
ما حذف مما يقتضيه الكلام كما حذف الشاعر في قوله: تراه كان الله يجدع انفه * وعينيه ان مولاه
كان له وفر * اراد ويفقأ عينيه لان الجدع لا يكون بالعين فاكتفى بيجدع من يفقأ وقال الآخر
تسمع للاحشاء منه لغطا * ولليدين جسأة وبددا * اي وترى لليدين لان الجسأة والبدد لا يسمعان وانما
يريان وقال الآخر: علفتها تبنا وماء باردا * حتى شتت همالة عيناها * اراد وسقيتها ماء باردا
فدل علفت على سقيت وقال الآخر: يا ليت بعلك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا * اراد وحاملا رمحا
ووجدت ابا بكر بن الانباري يقول ليس الاستشهاد بهذه الابيات على هذا الوجه بجيد لان
الابيات اكتفى فيها بذكر فعل عن ذكر فعل غيره والاية اكتفى فيها باسم دون اسم والامر وان كان على
ما ذكره في الاسم والفعل فان موضع الاستشهاد صحيح لان الاكتفاء في الابيات بفعل عن فعل انما حسن
من حيث دل الكلام على المحذوف والمضمر واقتضاه فحذف تعويلا على ان المراد مفهوم غير مظنون
ولا مشتبه وهذا المعنى قائم في الاية وان كان المحذوف اسما لان التباس ذلك والشبهة فيه ممتنع
المراد بها فحسن الحذف لان الفرقان اذا كان اسما للقرآن وكان من المعلوم ان القرآن انما انزل على
نبينا محمد صلى الله عليه وآله دون موسى عليه السلام استغنى عن ان يقال وآتينا محمدا الفرقان كما
استغنى الشاعر عن ان يقول ويفقأ عينيه وترى لليدين جسأة وبددا وما شاكل ذلك الا انه يمكن
ان يقال فيما استشهد به في جميع الابيات ما لا يمكن ان يقال مثله في الاية وهو ان يقال لا حذف
فيها ولا تقدير لفعل مضمر بل الكلام في كل بيت منها محمول على المعنى ومعطوف عليه لانه لما قال تراه كان الله
يجدع انفه وكان معنى الجدع هو الافساد للعضو والتشويه به عطف على المعنى فقال وعينيه فكانه قال
تراه كان الله يفسد انفه ويشوهه ثم قال وعينيه كذلك لما كان السامع للغط من الاحشاء عالما
به عطف على المعنى فقال ولليدين جسأة وبددا اي انه يعلم هذا وذا معا وكذلك لما كان في علفت
معنى غذيت عطف عليه الماء لانه مما يغتذى به وكذلك لما كان المتقلد للسيف حاملا له جاز
ان يعطف عليه الرمح المحمول وهذا اوضح في الطعن على الاستشهاد بهذه الابيات مما ذكره ابن الانباري
اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال اخبرني محمد بن علي بن يحيى المنجم قال اخبرنا
احمد بن محمد بن يحيى بن جابر البلاذري عن الهيثم بن عدي قال لما دخل خالد بن صفوان الاهتمي على

البدد تباعد ما بين الالبين

قال المرتضى

الاهتم

هشام بن

هشام بن عبد الملك ذلك بعد عزل خالد بن عبد الله القسري قال فلقيته جالسا على كرسي في بركة
ماؤها الى الكعبين فدعا لي بكرسي فجلست عليه فقال يا خالد رب خالد قد جلس مجلسك كان
اوطأ بقلبي واحب الي منك فقلت يا امير المؤمنين ان خلك لا يضيق عنه فلو صفحت عن جرمه فقال
يا خالد ان خالدا ادل فامل واوجف فاعجف ولم يدع لراجع مرجعا ولا لعودة موضعا ثم قال
الا اخبرك عنه يا ابن صفوان قلت نعم قال انه ما بدأني بحاجة مذ قدم العراق حتى اكون انا
ابدأه بها قال خالد فقلت له فذلك احرى ان ترجع له فقال هيهات اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم
تكد تقبل بوجهها آخر الدهر عليه ثم قال سل حاجتك يا ابن صفوان فقلت تزيد في عطائي عشرة دنانير
فاطرق ثم قال ولم وفيم وبم العبادة احدثتها فنعينك عليها ام لبلاء حسن ابليته امير المؤمنين ام لماذا
يا ابن صفوان اذن يكثر السؤال فلا يحمل ذلك بيت المال قال فقلت يا امير المؤمنين وفقك الله
وسددك فانت والله كما قال اخو خزاعة: اذا المال لم يوجب عليك عطاءه * قرابة قربى او صديق
توامقه * منعت وبعض المنع حزم وقوة * ولم تفتلتك المال الا حقائقه * فلما قدم خالد البصرة
قيل له ما الذي حملك على تزيين الامساك له قال احببت ان يمنع غيري فيكثر من يلومه قال السيد رضي الله
عنه وكان خالد مشهورا بالبلاغة وحسن العبارة وبالاسناد المتقدم عن المدائني قال قال حفص بن
معوية بن عمرو الغلابي قلت لخالد يا ابا صفوان اني لاكره ان تموت وانت من اهل البصرة فلا
يبكيك الا الاماء قال فابغني امرأة قلت صفها لي اطلبها لك قال بكرا كثيب او ثيبا كبكر لا ضرعا صغيرة
ولا مسنة كبيرة لم تقرأ فتخبر ولم تفتن فتجن قد نشأت في نعمة وادركتها خصاصة فادبها الغنى واذلها
الفقر حسبي من جمالها ان تكون فخمة من بعيد مليحة من قريب وحسبي من حسبها ان تكون واسطة في قومها ترضى
مني بالسنة ان نشطت كرمتها وان مت ورثتها لا ترفع رأسها الى السماء بطرا ولا تضعه الى الارض سقوطا
فقلت يا ابا صفوان ان الناس في طلب هذه منذ زمان طويل فما يقدرون عليها وكان يقول ان المرؤة
لو خف محملها وقلت مؤنتها ما ترك اللئام فيها للكرام بيتة ليلة لكن ثقل محملها وعظمت مؤنتها فاجتنبها
الكرام وحاد عنها اللئام وكان خالد من اشح الناس وابخلهم كان اذا اعطى جائزة او غيرها قال للدرهم
اما والله لطالما اغتربت في البلاد واجدت والله لاطيلن ضجعتك ولاديمن صرعتك وسأله رجل
من بني تميم فاعطاه دانقا فقال يا سبحان الله تعطي مثلي دانقا فقال انك لو اعطيت كل رجل من بني تميم مثل ما
اعطيتك لجمعت مالا عظيما فسأله الرجل فاعطاه درهما فاستقله فقال يا احمق اما علمت ان الدرهم
عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر دية مسلم وكان يقول والله
ما طلبت نفسي بنفاق درهم الا درهما قرعت به باب الجنة او درهما اشتريت به موزا وقال لان يكون لي
ابن يحب الجمر احب الي من ان يكون لي ابن يحب الخمر لانه متى طلب الجمر وجده والخمر تفقد احيانا وكان يقول

يعني خالد القسري بعد العزل

اي لم يقطع المال

قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون الآية

من كان ماله كفافا فليس بغني ولا بفقير لان النائبة اذا نزلت اجحفت بكفافه ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقير ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غني وكان يقول لان يكون لاحدكم جار يغلب عليه بيت خير له من ان يكون لجار من التجار لانه احب ان يعطيه ماله ويكسب به الحكمة الا

مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فقال كيف يخبر عنهم بانهم لا يكذبونه ومعلوم منهم التكذيب له والعدول عن الاستجابة والتصديق وكيف ينفي عنهم التكذيب ثم يقول انهم بآيات الله يجحدون وهل الجحد بآيات الله الا التكذيب بنبيه عليه السلام الجواب قلنا في هذه الآية وجوه اولها ان يكون انما نفى تكذيبهم بقلوبهم تدينا واعتقادا وان كانوا مظهرين بافواههم التكذيب لانا نعلم انه قد كان في المخالفين له عليه السلام من يعلم صدقه ولا ينكر بقلبه حقه وهو مع ذلك يعاند فيظهر خلاف ما يبطن وقد قال تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ومما يشهد لهذا الوجه من طريق الرواية ما رواه سلام بن مسكين عن ابي يزيد المدني ان رسول الله صلى الله عليه وآله لقي ابا جهل فصافحه ابو جهل فقيل له في ذلك أتصافح هذا الصبي فقال والله اني لاعلم انه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف فانزل الله الآية وفي خبر آخر ان الاخنس بن شريق خلا بابي جهل فقال له يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس هاهنا من قريش احد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال له ابو جهل ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش والوجه الثاني ان يكون معنى الكلام فانهم لا يكذبونك اي لا يفعلون ذلك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت به ببرهان وانما يقتصرون على الدعوى الباطلة وهذا في الاستعمال معروف لان القائل يقول فلان لا يستطيع ان يكذبني ولا يدفع قولي انما يريد انه لا يتمكن من اقامة دليل على كذبه ومن حجة في دفع قوله وان كان يتمكن من التكذيب بلسانه وقلبه فيصير ما يقع من التكذيب من غير حجة ولا برهان غير معتد به وروي عن امير المؤمنين عليه السلام انه يقرأ هذه الآية بالتخفيف فانهم لا يكذبونك ويقول ان المراد بها انهم لا يأتون بحق هو احق من حقك وقال محمد بن كعب القرظي معناها لا يبطلون ما في يديك وكل ذلك يقوي هذا الوجه ويبين ان معنى هذه اللفظة مشددة يرجع الى معناها مخففة والوجه الثالث ان يكون معنى الآية انهم لا يصادفونك كاذبا ولا يلقونك كذلك كما يقولون قاتلناكم فما اجبنّاكم اي ما اصبناكم جبناء وما وجدناه جبانا ووعدته فما اكذبته اي لم القه كاذبا وقال الاعشى اثوى وقصّر ليلة ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا اراد انه صادف منها اخلافا للوعد ومنه افحمت القوم اذا صادفتهم مفحمين واخليت المواضع اذا صادفتها خالية قال الشاعر اتيت مع الحداث ليلى فلم ابن فاخليت فاستعجمت عند خلائي اي اصبت مكانا خاليا ومثله الحمّان بن ابي قحافة لسن

انيابها

انيابها لم تواجها او سعن من اشداقها المفارجا يعني اوسعن اصبن منابت واسعة فنبتن فيها وقال عمرو بن براقة فخالفت اقوام على ليسمنوا وجرّوا على الحرب اذا نا سالم يقال اسمن بنو فلان اذا رعت ابلهم فصادفوا فيها سمنا قال ابو النجم مستاسدا ذبابه في غيطل يقلن للرائد اعشبت انزل اي اصبت مكانا معشبا وقال ذو الرمة تريك بياض لبتها ووجها كقرن الشمس افتق ثم زالا اي وجد فتقا من السحاب ليس لاحد ان يجعل هذا الوجه مختصا بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لان في الوجهين معا يمكن هذا الجواب لان افعلت وفعلت يجوزان في هذا الموضع وافعلت بالتخفيف هو الاصل في الفعل ثم شدد تاكيدا وافادة لمعنى التكرار وهذا مثل اكرمت وكرّمت واعظمت وعظّمت واوصيت ووصّيت وابلغت وبلّغت وهو كثير قال الله تعالى فمهّل الكافرين امهلهم رويدا الا ان التخفيف اشبه بهذا الوجه لان استعمال هذه اللفظة مخففة في هذا المعنى اكثر والوجه الرابع ما حكي عن الكسائي من قوله ان المراد انهم لا ينسبونك الى الكذب فيما اتيت به لانه كان عندهم امينا صادقا لم يجربوا عليه كذبا وانما كانوا يدفعون ما اتى به ويدعون انه في نفسه كذب وفي الناس من يقوي هذا الوجه ويقول ان القوم كانوا يكذبون ما اتى به وان كانوا يصدقونه في نفسه بقوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وبقوله وكذب به قومك وهو الحق ولم يقل وكذبك قومك وهو الحق وكان الكسائي يقرأ فانهم لا يكذبونك بالتخفيف نافع من بين سائر السبعة والباقون على التشديد ويزعم ان بين اكذبت وكذبت فرقا وان معنى اكذبت الرجل انه جاء بكذب ومعنى كذبته انه كذاب في كل حديثه وهذا غلط ليس بين فعلت وافعلت في هذه الكلمة فرق من طريق المعنى اكثر مما ذكرناه من ان التشديد يقتضي التكرار والتاكيد ومع هذا لا يجوز ان يصدقوه في نفسه ويكذبوا بما اتى به لان من المعلوم انه صلى الله عليه وآله كان يشهد بصحة ما اتى به وصدقه وانه الدين القيم والحق الذي لا يجوز العدول عنه فكيف يجوز ان يكون صادقا في خبره ويكون الذي اتى به فاسدا بل ان كان صادقا فالذي اتى به حق صحيح وان كان الذي اتى به فاسدا فلا بد ان يكون في شهادته بصحته كاذبا وهذا تأويل من لا يتحقق المعاني والوجه الخامس ان يكون انما نفي في قوله فانهم لا يكذبونك ان تكذيبك راجع اليّ وعائد عليّ ولست المختص به لانه رسول الله فمن كذبه فهو في الحقيقة مكذب لله تعالى وراد عليه وهو كما يقول احدنا لرسوله امض في كذا فمن كذبك فقد كذبني ومن دفعك فقد دفعني وذلك من الله تعالى على سبيل التسلية لنبيه عليه السلام والتعظيم والتغليظ لتكذيبه والوجه السادس ان يريد فانهم لا يكذبونك في الامر الذي توافق فيه كتبهم وان كذبوك في غيره ويمكن في الآية وجه سابع وهو ان يريد ان جميعهم لا يكذبونك وان كذبك بعضهم وهم الظالمون الذين ذكرهم في آخر الآية انهم يجحدون بآيات الله لانه تعالى انما سلى نبيه عليه السلام وعزاه ولا ينكر ان يكون عليه السلام لما استوحش

الجزء الاول

من نكث بهم له وتلقيهم اياه بالرد وظن انه لا ينتفع احد منهم ولا ناصر له منهم فيهم اخبره الله تعالى بان
البعض وان كذبك فان فيهم من يصدقك ويتبعك بارشادك ويهتدي بك وهذا واضح والله اعلم
قال السيد قدس الله روحه ومن جيد الشعر قول مطرود بن كعب الخزاعي ۞ يا ايها الرجل المحول رحله
الا نزلت بآل عبد مناف ۞ هبلتك امك لو نزلت عليهم ۞ ضمنوك من جوع ومن اقراف ۞ الآخذون
العهد من آفاقها ۞ والراحلون لرحلة الايلاف ۞ والمطعمون اذا الرياح تناوحت ۞ ورجال مكة مسنتون
عجاف ۞ والمفضلون اذا المحول ترادفت ۞ والقائلون هلم للاضياف ۞ والخالطون غنيهم بفقيرهم
حتى يكون فقيرهم كالكافي ۞ كانت قريش بيضة فتفلقت ۞ فالمح خالصة لعبد مناف ۞ اما قوله
والراحلون لرحلة الايلاف فكان هاشم صاحب ايلاف قريش الرحلتين واول من سنهما فالفوا الرحلتين
في الشتاء الى اليمن والحبشة والعراق وفي الصيف الى الشام وفي ذلك يقول ابن الزبعرى ۞ عمرو العلى
هشم الثريد لقومه ۞ ورجال مكة مسنتون عجاف ۞ وهو الذي سن الرحيل لقومه ۞ رحل الشتاء
ورحلة الاصياف ۞ فاما المسنتون الذين اصابتهم السنة الجدبة الشديدة وقوله والخالطون
غنيهم بفقيرهم من احسن الكلام واخصره وانما اراد انهم يفضلون على الفقير حتى يعود غنيا
ذا ثروة ولاحمد بن يوسف ابيات على هذا الوزن والروي يمزح بها مع ولد سعيد بن سلم
وكان لهم صديقا ۞ ابني سعيد انكم من معشر ۞ لا يعرفون كرامة الاضياف ۞ قوم لباهلة بن يعصر ان
هم ۞ نسبوا حسبتهم لعبد مناف ۞ قربوا الى العشاء وقربوا ۞ زادا لعمر ابيك ليس بكاف ۞ وكانني لما
حططت اليهم ۞ رحلي نزلت بابرق العزاف ۞ بينا كذلك اذ اتى كبراؤهم ۞ يلحون في التبذير والاسراف
اراد بقوله قربوا العلة الى العشاء من بخلهم واقتصادهم واختصارهم في المطعم والمشرب يقال
ان هذا الشعر حفظ فصار اكثر ما يتسبون به ويسب قومهم ولرب مزح جر جدا وعثرة الشعر لا تستقال
والشعر نبح جودة ولقد احسن دعبل في قوله ۞ يقولون ولما يعني عنه شامت ۞ وعن عتيد
قد اصيبت مقاتله ۞ يقولون ان ذاق الردى مات شعره ۞ وهيهات عمر الشعر طالت طوائله
ساقضي ببيت يحمد الناس امره ۞ ويكثر من اهل الرواية حامله ۞ يموت ردي الشعر من قبل اهله
وجيده يبقى وان مات قائله ۞ ولآخر في هذا المعنى ۞ لا تعرضن بمزح لامرئ طبن ۞ ما راضه قلبه
اجراه في الشفتين ۞ فرب قافية بالمزح جارية ۞ مشومة لم يرد انماؤها نمت ۞ مجلس آخر ان سال
سائل عن قوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم
وضل عنهم ما كانوا يفترون وعن قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا
نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما
نهوا عنه وانهم لكاذبون فقال كيف يجوز من اهل الاخرة ان يكذبوا على انفسهم والقسم بالله تعالى عليه

وهم

وهم كاذبون ومع ذلك فانهم عندكم في تلك الحال لا يقع منهم شيء من القبيح لمعرفتهم بالله تعالى ضرورة
ولانهم ملجئون هناك الى ترك جميع القبائح وكيف قال من بعد ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم
لكاذبون فشهد عليهم بالكذب ثم علقه بما لا يصح فيه معنى الكذب وهو التمني لانهم تمنوا ولم يخبروا
والجواب قلنا اما الاول فقوله انه ليس في ظاهر الاية ما يقتضي ان قولهم ما كنا مشركين انما وقع في الاخرة
دون الدنيا واذا لم يكن ذلك في الظاهر جاز ان يكون الاخبار يتناول احوال الدنيا وسقطت المسالة
وليس لاحد ان يتعلق في وقوع ذلك في الاخرة بقوله تعالى قبل الاية ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين
اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون وان عقيب ذلك يقول ثم لم تكن فتنتهم فيجب ان يكون الجميع
مختصا بحال الاخرة لانه لا يمتنع ان يكون الاية تتناول ما يجري في الاخرة ثم تلوها اية تتناول ما جرى
في الدنيا لان مطابقة كل اية لما قبلها في مثل هذا غير واجب وقوله ثم لم تكن فتنتهم لا يدل ايضا على ان
ذلك يكون واقعا بعد ما خبر عنه في الاية الاولى فكانه تعالى قال على هذا الوجه انا نحشرهم في الاخرة
ونقول اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون وما كان فتنتهم وسبب ضلالتهم في الدنيا الا قولهم والله
ربنا ما كنا مشركين وقد قيل في الاية على تسليم ان هذا القول يقع منهم في الاخرة ان المراد بها انا ما كنا
عند نفوسنا مشركين بل كنا نعتقد انا على الحق والهدى وقوله انظر كيف كذبوا على انفسهم لم يرد
هذا الخبر الذي وقع منهم في الاخرة بل اراد انهم كذبوا على انفسهم في دار الدنيا باخبارهم انهم مصيبون
محقون غير مشركين وليس في الظاهر الا انهم كذبوا على انفسهم من غير تخصيص بوقت فلم يحمل على الاخرة دون
الدنيا ولو كان للاية ظاهر يقتضي وقوع ذلك في الاخرة لحملناه على الدنيا بدلالة ان اهل الاخرة لا يجوز ان
يكذبوا لانهم ملجئون الى ترك القبائح فاما قوله تعالى حاكيا عنهم يا ليتنا نرد الى قوله وانهم لكاذبون ففي الناس
من حمل الكلام كله على وجه التمني وصرف قوله وانهم لكاذبون الى غير الامر الذي تمنوه لان التمني لا يصح فيه الصدق
والكذب وانما يدخلان في الاخبار المحضة لان قول القائل ليت الله رزقني ولدا وليت فلانا اعطاني
مالا افعل به كذا وكذا لا يكون كذبا ولا صدقا وقع ما تمناه او لم يقع فيجوز على هذا ان يكون قوله تعالى
وانهم لكاذبون مصروفا الى حال الدنيا كانه قال وهم كاذبون فيما يخبرون به عن انفسهم في الدنيا من
الاصابة والاعتقاد الحق او يريد انهم كاذبون ان خبروا عن انفسهم بانهم متى ردوا آمنوا ولم يكذبوا وان
كان ما حكي عنهم من التمني ليس بخبر وقد يجوز ايضا ان يحمل قوله تعالى وانهم لكاذبون على غير الكذب الحقيقي
بل يكون المراد والمعنى انهم تمنوا ما لا سبيل اليه فكذب املهم وتمنيهم وهذا مشهور في الكلام لانهم يقولون
لمن تمنى ما لا يدرك كذب املك واكدى رجاؤك وما جرى مجرى ذلك قال الشاعر ۞ كذبتم وبيت الله
لا تاخذونها ۞ مراغمة ما دام للسيف قائم ۞ وقال الاخر ۞ كذبتم وبيت الله لا تنكحونها ۞ بني شاب قرناها
تصر وتحلب ۞ ولم يرد الكذب في الاقوال بل في التمني والامل وليس لاحد ان يقول كيف يجوز من اهل

الاخرة مع اشعار فهم ضرورته وانهم عالمون بان الرجوع الى الدنيا لا سبيل اليه ان يتمنوه وذلك
انه غير ممتنع ان يتمنى المتمني ما يعلم انه لا يحصل ولا يقع ولهذا يتعلق التمني بان لا يكون ما قد كان لقوة
اختصاص التمني بما يعلم انه لا يكون خلافا لقوم جعلوا الارادة ما علم المريد انه لا يكون تمنيا فهذا الذي
ذكرناه وجه في تاويل الاية وفي الناس من يجعل بعض الكلام تمنيا وبعضه اخبارا وعلق تكذيبهم
بالخبر دون التمني فكان تقدير الاية يا ليتنا نرد وهذا هو التمني ثم قال من بعد فانا لا نكذب بايات
ربنا ونكون من المؤمنين فاخبروا بما علم الله تعالى انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من انفسهم مثل
ذلك فلهذا كذبهم وكل هذا واضح بحمد الله اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثنا احمد بن
عبد الله وعبد الله بن يحيى العسكريان قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا ابو بكر محمد بن
عبد الله العبدي قال حدثنا ابو سعيد رجل من بني تيم بن عبد القيس قال ورد منصور بن سلمة النمري
على البرامكة وهو شيخ كبير وكان مروان بن ابي حفصة يتعالى علي اني كنت ابغضه وامقته في الله
فشكا الي قال دخل اليوم علينا رجل اظنه شاميا وقد تقدمته البرامكة في الذكر عند الرشيد
فاذن له فدخل فسلم فاجاد فاذن له الرشيد بالجلوس قال فاوجست منه خوفا فقلت يا نفس انا حجازي
نجدي شافهت العرب وشافهتني وهذا شامي افتراه اشعر مني قال فجعلت ارفو نفسي الى ان
استنشده هارون فاذا هو والله من افصح الناس فدخلني له حسد قال فانشده قصيدة تمنيت انها لي
وان علي غرمها قال فقلت له ما هي فقال احفظ منها ابياتا وهي امير المؤمنين اليك خضنا غمار
الموت من بلد شطير بخوص كالاهلة جانفات يملن على السرى وعلى الهجير حملن اليك امالا
عظاما ومثل الصخر والدر النثير فقد وقف المديح بمنتهاه وغايته وصار الى المصير الى من لا
تشير الى سواه اذا ذكر الندى كف المشير قال مروان فرفرفت انه اخذ جائزتي وسكت وعجبت
من تخلصه الى تلك القوافي ثم ذكر ولد امير المؤمنين عليه السلام فاحسن التخلص ورايت هارون
يعجب بذلك فقال يد لك في رقاب بني علي ومن ليس بالمن اليسير فان شكروا فقد انعمت
فيهم والا فالندامة للكفور مننت على ابن عبد الله يحيى وكان من الحتوف على شفير وقد سخطت
لتخطيك المنايا عليه فهي حانقة الثغور ولو كافات ما اجترحت يداه دلفت له بقاصمة
الظهور ولكن جل حلمك فاجتباه على الهفوات عفو من قدير فعاد كانما لم يجن ذنبا وكان
قد اجتنى حسك الصدور وانك حين تبلغهم اذاة وان ظلموا لمحترق الضمير قال وان الرشيد قال
لما سمع هذا البيت منه هذا والله معنى كان في نفسي وادخله بيت المال فحكمه فيه وعدنا الى الخبر
قال مروان وكان هارون يتبسم ويكاد يضحك للطف ما سمع ثم اوما الي ان انشده فانشدته
قصيدتي التي اقول فيها خلوا الطريق لمعشر عاداتهم حطم المناكب كل يوم زحام حتى اتيت على

اخرها

آخرها فوالله ما عاج ذلك الرجل بشعري ولا حفل به قال وانشده منصور يومئذ ان لهارون
امام الهدى كنزين من اجر ومن بر يرثهما ما يبرى للبالي ولا يثبت ابدا بهما يبري كانما
البدر على رحله ترهبك منه مقلتا صقر قال وانشده ايضا ولو اضاع لقد وجدت حافظا
لوصية العباس بالاخوال قال مروان واخلق به ان يغلبني وان يعلو علي عنده فاني ما رايت
احسن من تخلصه لذكر الطالبيين اخبرنا المرزباني قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني ابو عثمان
الجاحظ قال كان منصور النمري ينافق الرشيد ويذكر هارون في شعره ويريه انه من وجوه
شيعته وباطنه ومراده بذلك امير المؤمنين علي عليه السلام لقول النبي صلى الله عليه وآله انت مني بمنزلة
هارون من موسى الى ان وشى به عنده بعض اعدائه وهو العتابي فقال يا امير المؤمنين هو والله
الذي يقول متى يشفيك دمعك من همول ويبرد ما بقلبك من غليل وانشده ايضا شاء من
الناس راتع هامل يعللون النفوس بالباطل ومنصور يصرح في هذه القصيدة بالعجائب فوجه
الرشيد برجل من بني فزارة وامره ان يضرب عنق منصور حيث يقع عينه عليه فقدم الرجل راس
عين بعقب موت منصور بايام قلائل قال المرزباني ويصدق قول الجاحظ ان النمري كان يكني
هارون في شعره ويعني به امير المؤمنين عليه السلام ما انشده محمد بن الحسن بن دريد للنمري آل الرسول
خيار الناس كلهم وخير آل رسول الله هارون رضيت حكمك لا ابغي به بدلا لان حكمك
بالتوفيق مقرون وروى ان ابا عصمة الشيعي لما اوقع باهل ديار ربيعة اوفدت ربيعة وفدا
الى الرشيد فيهم منصور النمري فلما صاروا بباب الرشيد امرهم باختيار من يدخل عليه فاختاروا واعدوا
بعد عدد الى ان اختاروا رجلين النمري احدهما ليدخلا ويسالا حوائجهما وكان النمري مودبا لم
يسمع منه شعر قط قبل ذلك ولا عرف به فلما مثل هو وصاحبه بين يدي الرشيد قال لهما قولا
ما تريدان فاندفع النمري فانشد ما تنقضي حسرة مني ولا جزع فقال له الرشيد قل حاجتك
وعد عن هذا فقال اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع وانشد القصيدة حتى انتهى الى قوله ركب من النمر
عاذوا بابن عمهم من هاشم اذ الح الازلم الجذع متوا اليك بقربى منك تعرفها لهم بها في سنام
المجد مطلع ان المكارم والمعروف اودية احلك الله منها حيث تجتمع اذا رفعت امرا فالله رافعه
ومن وضعت من الاقوام متضع نفسي فداؤك والابطال معلمة يوم الوغى والمنايا بينهم قرع
حتى اتى على آخرها فقال الرشيد قل حاجتك فقال يا امير المؤمنين اخربت البلاد واخذت الاموال
وهتكت الحرم فقال اكتبوا له بكل ما يريد وامر له بثلاثين الف درهم واحتبسه عنده وتخصص صحابه
بالكتب ولم يزل عنده يقول الشعر فيه حتى استاذن في الانصراف فاذن له فانصرف ثم اتصل به
قوله شاء من الناس راتع هامل يعللون النفوس بالباطل تقتل ذرية النبي ويرجون خلود

قوله تعالى وإذا الموءودة سئلت

الجنان للقاتل إنما الشك عندي في كفر قاتله ❊ لكنني قد أشك في الخاذل ❊ فاستعرض الرشيد وانفذ
من يقتله فوجده في بعض الروايات ميتا وفي الأخرى عليلا لما به فسأل الرسول أن لا يأثم فيهرون
ينتظر موته ففعل ولم يبرح حتى توفي وعاد بخبر موته إلى هارون ❊ وللنمري ❊ لو كنت أخشى معادا
حتى خشيته ❊ لم أتم عيني إلى الدنيا ولم تنم ❊ يحاولون دخولي في سوادهم ❊ لقد حاولوا تصييع غير
ملتئم ❊ لكنني عن طلاب الدين محتبل ❊ والعلم مثل الغنى والجهل كالعدم ❊ ما يغلبون النصارى
واليهود على حب القلوب ولا العباد للصنم ❊ **مجلس آخر** ٦٠ تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى
وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت فقال كيف يصح أن يسأل من لا ذنب له ولا عقل
وأي فائدة في سؤالها عن ذلك وما وجه الحكمة فيه وما الموءودة ومن أي شيء اشتقاق هذه اللفظة
الجواب قلنا أما سئلت ففيه وجهان أحدهما أن يكون المراد أن قاتلها طولب بالحجة في قتلها وسئل
عن قتله لها وبأي ذنب كان على سبيل التعنيف والتوبيخ وإقامة الحجة فالقتلة ههنا هم المسؤولون على
الحقيقة لا المقتولة وإنما المقتولة مسئول عنها ويجري هذا مجرى قولهم سألت حقي أي طالبت به
ومثله قوله تعالى وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا أي مطالبا به ومسئولا عنه والوجه الآخر أن
يكون السؤال توجه إليها على الحقيقة على سبيل التوبيخ لقاتلها والتقريع له والتنبيه على أنه لا حجة في
قتلها ويجري هذا مجرى قوله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله
على طريق التوبيخ لقومه وإقامة الحجة عليهم فإن قيل على هذا الوجه كيف يخاطب ويسأل من لا عقل له ولا
فهم فالجواب أن في الناس من زعم أن الغرض بهذا القول إذا كان تبكيت الجاني وتهجينه وإدخال الغم عليه
في ذلك الوقت على طريق العقاب لم يمتنع أن يقع وإن لم يكن من الموءودة فهم له لأن الخطاب وإن علق
عليها وتوجه إليها فالغرض في الحقيقة به غيرها وهذا يجري مجرى من ضرب ظالم طفلا من ولده فأقبل
على الطفل يقول لم ضربت وما ذنبك وبأي شيء استحل هذا منك فغرضه تبكيت الظالم لا خطاب
الطفل فالأولى أن يقال في هذا إن الأطفال وإن كان من جهة العقول لا يجب في وصولهم إلى الأعواض
المستحقة أن يكونوا كاملي العقول كما يجب مثل ذلك في الوصول إلى الثواب فإن الخبر متظاهر والأمة
متفقة على أنهم في الآخرة وعند دخولهم الجنان يكونون على أكمل الهيئات وأفضل الأحوال وأن عقولهم
تكون كاملة فعلى هذا يحسن توجه الخطاب إلى الموءودة لأنها تكون في تلك الحال ممن يفهم الخطاب ويعقله
وإن كان الغرض منه التبكيت للقاتل وإقامة الحجة عليه وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن
عباس ويحيى بن يعمر ومجاهد ومسلم بن صبيح وأبي الضحى ومروان وأبي صالح وجابر بن زيد أنهم قرأوا
سألت بفتح السين والهمزة وإسكان التاء بأي ذنب قتلت بإسكان اللام وضم التاء الثانية على أن
الموءودة موصوفة بالسؤال وبالقول بأي ذنب قتلت وروى القطعي عن سليمان الأعمش عن حفص

عن عاصم

في الحديث عليكم بالسواد الأعظم [illegible]

[illegible]

عن عاصم قتلت بضم التاء الثانية وفي سئلت مثل قراءة الجمهور بضم السين وروي عن أبي جعفر المدني
قتلت بالتشديد وإسكان التاء الثانية وروي عن بعضهم وإذا المودة بفتح الميم والواو فأما من
قرأ بفتح السين فيمكن فيه الوجهان اللذان ذكرناهما من أن الله تعالى أكملها في تلك الحال وأقدرها على
النطق والوجه الآخر أن يكون معنى سألت أي سئل لها وطولب بحقها وانتصف لها من ظالمها فكأنها هي
السائلة تجوزا واتساعا ومن قرأ بفتح السين من سألت وبضم التاء الثانية من قتلت فعلى أنها هي
المخاطبة بذلك ويجوز على هذا الوجه أيضا قتلت بإسكان التاء الأخيرة كقراءة الجماعة لأنه إخبار عنها
كما يقال سأل زيد بأي ذنب ضرب وبأي ذنب ضربت ويقوي هذه القراءة في سألت ما
روي عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله يجيء المقتول ظلما يوم القيامة وأوداجه تشخب دما اللون
لون الدم والريح ريح المسك متعلقا بقاتله يقول رب سل هذا فيم قتلني فأما القراءة المأثورة
عن حفص عن عاصم في ضم التاء الأخيرة من قتلت مع ضم السين من سئلت فمعناها وإذا الموءودة
سئلت ما تبغي فقالت بأي ذنب قتلت فأضمر فعلها والعرب تضمر مثل هذا لدلالة الخطاب
عليه وارتفاع الإشكال عنه مثل قوله تعالى وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل
منا إنك أنت السميع العليم أي يقولان ذلك ونظائره في القرآن كثيرة جدا فأما قراءة من قرأ قتلت
بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل بالموءودة وإن كان لفظها لفظ واحدة فالمراد بها الجنس وإرادة
التكرار جائزة فأما من قرأ المودة بفتح الميم والواو فعلى أن يكون المراد بذلك الرحم والقرابة وأنه يسأل
قاطعها عن سبب قطعها وتضييعها قال الله تعالى فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض
وتقطعوا أرحامكم فأما الموءودة فهي المقتولة صغيرة وكانت العرب في الجاهلية تئد البنات بأن
يدفنوهن أحياء وهو قوله تعالى أيمسكه على هون أم يدسه في التراب وقوله تعالى قد خسر
الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ويقال إنهم كانوا يفعلون ذلك لأمرين أحدهما أنهم كانوا
يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات بالله فهو أحق بهن والأمر الآخر أنهم كانوا
يقتلونهن خشية الإملاق قال الله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقكم وإياهم
قال السيد المرتضى علم الهدى قدس الله روحه وجدت أبا علي الجبائي وغيره يقولون إنما
قيل لها موءودة لأنها ثقلت بالتراب الذي طرح عليها حتى ماتت وفي هذا بعض النظر لأنهم
يقولون من الموءودة وأد يئد وأدا والفاعل وائد والفاعلة وائدة ومن الثقل يقولون
آدني الشيء يؤودني إذا أثقلني أودا وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل عن العزل
فقال ذاك الوأد الخفي وقد روي عن جماعة من الصحابة أنهم كرهوا ذلك وقال قوم في الخبر
الذي ذكرناه إنه منسوخ بما روي عنه عليه السلام أنه قيل له إن اليهود يقولون في العزل هي

اختلاف القراءات في هذه الآية

أي في شيء قتلتني

الموؤدة الصغرى فقال كذبت يهود لو اراد الله تعالى ان يخلقه لم يستطع احد ان يصرفه وقد يجوز
ان يكون قولهم ذلك انه الوأد الخفي على طريق التاكيد للترغيب في طلب النسل وكراهية العزل الا على
ان يحظر تحريمه وصعصعة بن ناجية بن عقال جد الفرزدق بن غالب كان ممن فدى الموؤدات
في الجاهلية ونهى عن قتلهن ويقال انه احيا الف موؤدة وقيل دون ذلك وقد افتخر الفرزدق
بهذا في قوله ومنا الذي منع الوائدات ؛ واحيا الوئيد فلم توأد ؛ وفي قوله ومنا الذي
احيا الوئيد وغالب ؛ وعمرو ومنا حاجب والاقارع ؛ وفي ذلك يقول ايضا ؛ انا ابن عقال
وابن ليلى وغالب ؛ وفكاك اغلال الاسير المكفر ؛ ليلى ام غالب وعقال هو محمد بن سفيان
ابن مجاشع وفكاك الاغلال ناجية بن عقال والمكفر الذي قد كفر وكبل بالحديد ؛ وكان لنا
شيخان ذو القبر منهما ؛ وشيخ اجار الناس من كل مقبر ؛ ذو القبر غالب وكان يجار بقبره
وهو الذي اجار الناس من المقبر واحيا الوئيد صعصعة على حين لا تحيى البنات واذهم عكوف
على الاصنام حول المدور ؛ انا ابن الذي رد المنية فضله ؛ وما حسب دافعت عنه بمعور ؛
ابي احد الغيثين صعصعة الذي ؛ متى تخلف الجوزاء والنجم يمطر ؛ اجار بنات الوائدين ومن
يجر ؛ على القبر يعلم انه غير مخفر ؛ وفارق ليل من نساء اتت به ؛ فهاج ربحا ليلها غير مقمر فارق
يعني امراة ماخضا شبهها بالفارق من الابل وهي الناقة يضربها المخاض فتفارق الابل وتمشي على
وجهها حتى تضع ؛ فقالت اجر لي ما ولدت فانني ؛ اتيتك من هزلى الحمولة مقتر ؛ راى الارض
منها راحة فرمى به ؛ الى جدد منها وفي شر محفر ؛ فقال لها نامي فاني بذمتي ؛ لبنتك جار من
ابيها القنور ؛ واخبرنا المرزباني قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي
عن العباس بن بكار الضبي عن ابي بكر الهذلي قال الصولي وحدثنا القسم بن اسمعيل عن ابي عثمان
المازني عن ابي عبيدة بطرف منه قال وفد صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله
صلى الله عليه واله في وفد من بني تميم وكان صعصعة منع الوئيد في الجاهلية فلم يدع تميما تئد وهو
يقدر على ذلك فجاء الاسلام وقد فدى في بعض الرواية اربعمائة جارية وفي الرواية الاخرى ثلثمائة
فقال للنبي صلى الله عليه واله بابي انت وامي اوصني قال اوصيك بامك وابيك واختك واخيك
وادانيك ادانيك فقال زدني يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه واله احفظ ما بين لحييك
ورجليك ثم قال صلى الله عليه واله ما شيء بلغني عنك فعلته فقال يا رسول الله رايت الناس يموجون
على غير وجه ولم ادر اين الصواب غير اني علمت انهم ليسوا عليه فرايتهم يئدون بناتهم فعرفت ان
ربهم عز وجل لم يامرهم بذلك فلم اتركهم يئدون وفديت ما قدرت وفي رواية اخرى ان صعصعة
لما وفد على رسول الله صلى الله عليه واله فسمع من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة

شرا

شرا يره قال حسبي ما ابالي ان لا اسمع من القرآن غير هذا ويقال انه اجتمع جرير والفرزدق يوما
عند سليمان بن عبد الملك فافتخرا فقال الفرزدق انا ابن محيي الموتى فقال له سليمان انت ابن محيي
الموتى فقال ان جدي احيا الموؤدة وقد قال الله عز وجل ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا
وقد احيا اثنين وتسعين موؤدة فتبسم سليمان وقال انك مع شعرك لفقيه ؛ تاويل خبر ان سال
سائل عن معنى الخبر الذي روي عن النبي صلى الله عليه واله انه نهى ان يصلي الرجل وهو زناء الجواب قلنا
الزناء هو الحاقن الذي قد ضاق ذرعا ببوله يقال ازنأ الرجل ببوله فهو يزنئه ازناء وزنأ
ببوله يزنأ زنأ قال الاخطل فاذا دفعت الى زناء قعرها غبراء مظلمة من الاحفار يعني ضيق
القبر يقال للانثى فلان منزله زناء فيجوز ان يكون ضيقا ويجوز ان يكون عاليا ويرجع كلاهما
الى المعنى الواحد يقال وضع زناء اذا كان ضيقا صعبا من ذلك قول ابي زبيد يصف
اسدا ابن عرينة عنابها انست او دون غابتها مستورد شرع ؛ شاس الهبوط زناء الحاميين متى
يشمع بوارده يحدث لها فزع ؛ يعني بزناء الحاميين انه ضيق جانبي الوادي وقوله متى يشمع بوارده
اي يضيق بجماعة من يرده وانما يحدث لها فزع من الاسد والشاس الغليظ يقال مكان شاس اذا
كان غليظا ومن ذلك قولهم زنأ فلان في الجبل اذا اخذ الصعود وهو يزنأ في الجبل زنأ وروى
ابو زيد ان قيس بن عاصم المنقري اخذ صبيا له يرقصه وام ذلك الصبي منفوسة وهي بنت زيد
الفوارس بن ضرار الضبي فجعل قيس يقول له ؛ اشبه ابا امك او اشبه عمل ؛ ولا تكونن كهلوف وكل ؛
يرى على الوكل الجبان والهلوف الهرم المسن وهو ايضا الكبير الجسم وانما اراد به هاهنا الجبان وقي
الى الخيرات زناء في الجبل فاخذته امه فجعلت ترقصه وتقول ؛ اشبه اخي او اشبهن اباكا ؛ اما ابي
فلن تنال ذاكا ؛ تقصر عن مناله يداكا ؛ مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى فهديناه
النجدين فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا
مقربة او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب
الميمنة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشئمة عليهم نار موصدة فقال ما تاويل هذه الايات وما
معنى ما تضمنته الجواب ان ابتداء الاية فيه تذكير بنعم الله تعالى عليهم وما ازاح به عللهم في كل التكليف
وما تفضل عليهم من الالات التي يتوصلون بها الى منافعهم ويستدفعون المضار عنهم لان الحاجة
ماسة في اكثر المنافع الدينية والدنياوية الى العين للرؤية واللسان للنطق والى الشفتين لطلب الطعام
والشراب ومسكهما في الفم وللنطق ايضا واما النجد في لغة العرب فهو الموضع المرتفع من الارض
والغور الهابط منها وانما سمي الموضع من الارض نجدا لارتفاعه واختلف اهل التاويل في المراد
بالنجدين فذهب قوم الى ان المراد بهما طريقا الخير والشر وهذا الوجه يروى عن امير المؤمنين عليه السلام

يُروى

جمع حفر وهو الحفو

وابن عباس وابن مسعود وعن الحسن جماعة من المفسرين وروي انه قيل لامير المؤمنين عليه السلام
ان ناسا يقولون في قوله تعالى وهديناه النجدين انهما الثديان فقال عليه السلام لا بل هما الخير والشر وروي
عن الحسن انه قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال يا ايها الناس انهما نجدان نجد الخير ونجد
الشر فما استفهام جعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير وروي عن قوم آخرين ان المراد بالنجدين ثديا
الام فان قيل كيف يكون طريق الشر نجدا كطريق الخير ومعلوم انه لا شرف ولا رفعة في الشر قلنا
يجوز ان يكون انما سماه نجدا لظهوره وبروزه لمن كلف اجتنابه ومعلوم ان الطريقين جميعا
باديان ظاهران للمكلفين ويجوز ايضا ان يكون سمى طريق الشر نجدا من حيث يحصل في اجتناب
سلوكه والعدول عنه الشرف والرفعة كما يحصل مثل ذلك في سلوك طريق الخير لان الثواب الحاصل
في اجتناب طريق الشر كالثواب في سلوك طريق الخير وقال قوم انما اراد بالنجدين انا بصرناه وعرفناه
ما له وعليه وهديناه الى طريقي استحقاق الثواب ونفي العقاب على عادة العرب في تثنية الامرين اذا
اتفقا في بعض الوجوه واجرى لفظ احدهما على الآخر كما قيل في الشمس والقمر القمران قال
الفرزدق لنا قمراها والنجوم الطوالع ولذلك نظائر كثيرة فاما قوله تعالى فلا اقتحم العقبة ففيه
وجهان احدهما ان يكون فلا بمعنى الجحد وبمنزلة لم اي فلم يقتحم العقبة واكثر ما يستعمل هذا
الوجه مع تكرير لفظ لا كما قال تعالى فلا صدق ولا صلى اي لم يصدق ولم يصل وكما قال الحطيئة وان كانت
النعماء فيهم جزوا بها وان انعموا لا كدروها ولا كدوا وقلما يستعملون هذا المعنى من غير تكرير
لفظ لا لانهم لا يقولون لا جئتني وزرتني يريدون ما جئتني فان قالوا لا جئتني ولا زرتني
صلح الا ان في الآية ما ينوب مناب التكرار ويغني عنه وهو قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا
فكانه تعالى قال فلا اقتحم العقبة ولا امن فمعنى التكرار حاصل والوجه الآخر ان تكون لا جارية مجرى
الدعاء كقولك لا نجا ولا سلم ونحو ذلك وقال قوم فلا اقتحم العقبة اي فهلا اقتحم العقبة او افلا
اقتحم العقبة في تواميد لعلي ذلك قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر ولو كان
اراد النفي لم يتصل الكلام وهذا الوجه ضعيف جدا لان قوله فلا خال من لفظ الاستفهام وقبيح
حذف حرف الاستفهام في مثل هذا الموضع وقد عيب على عمر بن ابي ربيعة قوله ثم قالوا تحبها قلت
بهرا عدد القطر والحصى والتراب فاما الترجيح بان الكلام لو اريد به النفي لم يتصل فقد بينا انه
متصل مع ان المراد به النفي لان قوله ثم كان من الذين امنوا معطوف على فلا اقتحم العقبة اي فلا اقتحم
العقبة ثم كان من الذين امنوا والمعنى انه ما اقتحم ولا امن على ما بيناه فاما المراد بالعقبة فاختلف
فيه فقال قوم هي عقبة ملساء في جهنم واقتحامها فك رقبة وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه
قال ان امامكم عقبة كؤودا لا يجوزها المثقلون وانا اريد ان اخفف لتلك العقبة وروي عن ابن

اي جنبا فابناه

عباس

عباس انه قال هي عقبة كؤود في جهنم وروي ايضا انه قال العقبة هي النار نفسها فعلى هذا الوجه
يكون التفسير للعقبة بقوله فك رقبة على معنى ما يؤدي الى اقتحام هذه العقبة ويكون سببا
لجوازها والنجاة منها لان فك رقبة وما اتى بعد ذلك ليس هو النار نفسها ولا موضعا منها وقال
آخرون بل العقبة ما ورد مفسرا لها من فك الرقبة والاطعام في يوم المسغبة وانما سمي ذلك
عقبة لصعوبته على النفوس ومشقته عليها وليس يليق هذا الوجه بالجواب الذي ذكرناه في
معنى قوله فلا اقتحم العقبة وانه على وجه الدعاء لان الدعاء لا يحسن الا بالمستحق ولا يجوز ان يدعى
على احد بان لا يقع منه ما كلف وقوعه وفك الرقبة والاطعام المذكوران من الطاعات
فكيف يدعى على احد بان لا يقع منه فهذا الوجه يطابق ان تكون العقبة هي النار نفسها
او تكون عقبة فيها وقد اختلف الناس في قراءة فك رقبة فقرأ امير المؤمنين عليه السلام ومجاهد
واهل مكة والحسن وابو رجاء العطاردي وابو عمرو والكسائي فك رقبة بفتح الكاف ونصب
الرقبة وقرأوا او اطعم على الفعل دون الاسم وقرأ اهل المدينة واهل الشام وعاصم وحمزة
ويحيى بن وثاب ويعقوب الحضرمي فك بضم الكاف وخفض رقبة او اطعام على المصدر وتنوين
الميم وضمها فمن قرأ على الاسم ذهب الى ان جواب الاسم بالاسم اكثر في كلام العرب واحسن من
جوابه بالفعل الا ترى ان المعنى ما ادريك ما اقتحام العقبة هو فك رقبة او اطعام وذلك احسن
من ان يقال هو فك رقبة او اطعم ومال الفراء الى القراءة بلفظ الفعل ووجهها بقوله تعالى
ثم كان من الذين امنوا لانه فعل فالاولى ان يتبع فعلا وليس يمتنع ان يفسر اقتحام العقبة وان كان
اسما بفعل يدل على الاسم وهذا مثل قول القائل ما ادريك ما زيد زيد يقول الحق او يصنع الخير
ويفعل المعروف وما اشبه ذلك فياتي بالافعال والسغب الجوع وانما اراد انه يطعم في يوم
مجاعة لان الاطعام فيه افضل واكرم فاما مقربة فمعناه يتيما ذا قربى من قرابة النسب والرحم وهذا
حض على تقديم ذوي القرابة المحتاجين على الاجانب في الافضال والمسكين الفقير الشديد الفقر
والمتربة مفعلة من التراب اي هو لاصق بالارض من ضره وحاجته ويجري هذا الاشتقاق مجرى
قولهم في الفقير مدقع وهو ماخوذ من الدقعاء وهي الارض التي لا شيء فيها وقال قوم ذا متربة اي ذا
عيال والمرحمة مفعلة من الرحمة وقيل انه ماخوذ من الرحم وقد يمكن في مقربة ان يكون غير ماخوذة
من القرابة والقربى بل هو من القرب الذي هو الخاصرة فكان المعنى انه يطعم من انطوت خاصرته
من شدة الجوع والضر وهذا اعم من المعنى الاول واشبه بقوله ذا متربة لان كل ذلك مبالغة في
وصفه بالضر وليس من المبالغة في الوصف بالضر ان يكون قريب النسب والله اعلم بمراده قال السيد
المرتضى علم الهدى قدس الله روحه ومن طريف المدح ومليحه قول الشاعر وكانه من ... عفلة القرشي

اختلاف القراء في قراءة الاية

المجلس الثاني والثمانون

لولا مقام المادح المتكلم وكان احدى المتدى بنابنه لولا مقالته الطب للمؤدم وبقارب
ذلك في المعنى قول محمد بن خارجة سهل الفناء اذا حللت ببابه طلق اليدين مؤدب الخدام
واذا رايت صديقه وشقيقه لم تدر ايهما اخو الارحام ومثله لابي الهندي نزلت على
آل المهلب شاتيا غريبا عن الاوطان في زمن المحل فما زال بي اكرامهم واقتفاؤهم ولطفهم
حتى حسبتهم اهلي ولابن الدقعاء يمدح عقبة ابن سنان الحارثي الم ترني شكرت ابا
سعيد بنعماه وقد كفر الموالي ولم اكفر سحائبها اللواتي مطرن علي واهبتها العزالي
فمن يك كافرا نعماه يوما فاني شاكر اخرى الليالي فتى لم تطلع الشمس من افق ولم تعرض
ليمنى او شمال على يدي لكان عد مجد ومكرمة وآلاف لمال واصبر في الحوادث ان
المت واسعى للمحامد والمعالي فتى عم البرية بالعطايا فقد صاروا له ادنى العيال
قال ولآخر لم اقض من صحبة زيد اربي فتى اذا اغضبته لم يغضب موكل النفس بحفظ
الغيب اقصى الرفيقين له كالاقرب فانه لم يرد ان الضعيف السبب في المودة كالقوي
السبب وانما اراد انه يرعى من غيب الرفيق البعيد الغائب وحقه ما يرعاه من حق الشاهد
الحاضر وانه يستوي عنده الكريم وحسن حفاظه من بعدت داره وقربت معا بخلاف ما عليه
اكثر الناس من مراعاة الحاضر القريب واهمال حق البعيد هذا آخر مجلس املاه السيد المرتضى
ذو المجدين قدس الله روحه ونور ضريحه شاغلا بامور الحج والحمد لله رب العالمين والصلوة على نبيه محمد وآله الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر

قال الشريف الاجل المرتضى علم الهدى ذو المجدين ابو القسم علي بن الحسين الموسوي رضي الله عنه
انه لا يزال المتكلمون يخالفون النحويين في ان للفعل ثلاثة احوال ماض وحاضر ومستقبل
ويقول المتكلمون للفعل حالان بغير ثالث لان كل معلوم من الافعال لا يخلو من ان يكون موجودا
او معدوما وبالوجود قد صار ماضيا والمعدوم هو المنتظر ولا حال ثالثة فلا المتكلمون يحسنون
العبارة عما لحظوه وارادوه حتى يزول الخلاف في المعاني التي هي المهم ولا اعتبار بالعبارات
ولا النحويون لافهامهم ما قصدوه بلفظ غير مشتبه ولا محتمل فكم من معنى كاد يضيع لسوء العبارة
عنه وقصور الاشارة اليه واعلم ان المواضعات مختلفة والعرف يختلف باختلاف اهله ومذاهبهم
عاداتهم وقولنا فعل في عرف المتكلمين ليس هو الذي يعرفه النحويون لان الفعل في عرف اهل الكلام
هو الذات الحادثة بعد ان كانت معدومة من قادر وهذا الحد يقتضي ان يكون كل موجود من
الذوات غير الله تعالى وحده فعلا وفي كذلك فعل والاسماء كذلك والحروف الذي فرق النحويون بينه
وبين الاسم فعل ايضا والفعل ايضا على هذا الحد فعل لان الحرف صوت يقطع على وجه مخصوص

والاصوا

والاصوات

والاصوات كلها افعال لغير انه المحقق من عرف القوم ان النحويين ما فصلوا بين الاسم والفعل
والحرف من حيث نفي الاشتراك في الحدوث والفعلية بل فصلوا بينها مع اشتراكها في معنى الفعلية
التي يذهب اليها المتكلمون لما بينها من الفصل في احكام اخر يختص بها بعضها دون بعض فقالوا
الاسم ما دل على معنى لا يقترن بزمان والفعل ما اقتضى معنى مقترنا بزمان غير مخصوص والحرف
ما خلا منها بين العلامتين فكانهم قصدوا الى ما هو فعل حادث على المتكلمين فصنفوه ونوعوه
وسموا بعضه اسما وبعضه فعلا وبعضه حرفا لاختلاف الاحكام التي عقلوها فلو لوم في ذلك عليهم
ولا مناظرة فيه معهم وبالمناظرة الصحيحة تزول الشبهات وتنحسم التبعات والذي يجب تحصيله
والتعويل عليه ان الفعل الحادث في اول احوال وجوده يسمى فعل الحال فان انقضى وعدم صار ماضيا
والفعل المستقبل هو المنتظر المتوقع الذي هو الآن معدوم فان فرضنا ان الفعل الحادث
الذي فرضنا انه متى انقضى وعدم صار ماضيا بقي ولم ينقض اما على مذهب من يقطع على بقاء
الاعراض او على مذهب من يتوقف عن القطع فيها على بقاء او فناء فالواجب ان يكون استمراره لا
يخرجه من استحقاق الوصف بانه فعل الحال لان من هو عليه لم يتغير الحال التي وجبت له عنها ولا اخرج
الا ترى انا لو فرضنا انه انقضى وعدم وخلفه مثل له لكان ذلك الخالف له يستحق الوصف بانه للحال
وكذلك ما قام مقامه واوجب مثل ما يوجبه لانه لا فرق في التسمية للجالس بانه فعل حال بين ان يكون
المفتتح بالحدوث من اجزاء الجلوس يبقى واستمر وبين ان يكون يتجدد امثاله والاول باق او معدوم
بعد ان تكون الحالة المخصوصة ما تغيرت ولا تبدلت ولا فرق ايضا بين ان يكون ذلك الفعل
يوجب حالا مخصوصة كالالوان او حكما مخصوصا كالاعتمادات وما اشبههما في ان الذي انت فيه
ولم تخرج عن المنعوت بانه فعل الحال وما خرجت عنه فهو الماضي فان قيل كيف قولكم فيما انقضى
من الافعال ووصفتموه بانه ماض لتقضيه وعدمه ايجوز ان يكون مستقبلا على وجه من الوجوه او لا
يكون من الافعال مستقبلا الا ما لم يدخل في الوجود قط قلنا اما ما عدم وتقضى من الاعراض
على انها غير باقية في نفوسها كالادراكات والاصوات وما اشبه ذلك فلا شبهة في ان الماضي منه
لا يصح ان يكون مستقبلا من فعل قديم او محدث واما ما يبقى من اجناس الاعراض عند من قطع على بقائها
او شك في حالها بين جواز البقاء عليها او نفيه فنحن لا نقدر على اعادته والقديم تعالى قادر على اعادته
الى الوجود فهذا الضرب من فعله تعالى لا يمتنع تسميته بانه مستقبل لانه متوقع منتظر فاما الجواهر
المعدومة فلا شبهة في انها ماضية من حيث عدمت ومستقبلة من حيث كان وجودها مستانفا متوقعا
لان الله تعالى لا بد من ان يعيد المكلفين للثواب والعقاب والمكلف انما هو مؤلف من الجواهر فان
قيل هذا يقتضي ان يجتمع في الشيء الواحد ان يكون ماضيا مستقبلا وهذا كالمتناقض قلنا لا تناقض

النديّ بنبانه

الفناء

قوله المؤدم متخلق الاداب للاضياف

الدقعاء

اي الامراء

بافق

ولم تعرض ليمين او شمال

في تحقيق الفعل

لافهامهم

قوله استمراره اي الحادث

ذلك لان الجوهر الماضي يستحق الوصف بانه ماض اذا عدم وكذلك العرض الماضي من افعال الله تعالى
اذا عدم وان جاز من حيث صح وجود ذلك مستانفا ان يوصف بانه مستقبل الان معنى المستقبل
هو المعدوم الذي يصح وجوده فلا تنافي بين الامرين ولو ثبت بينهما عرف انهما لا يجتمعا وذلك
ليس بثابت لجاز ان يجعل حد المستقبل هو المعدوم الذي يصح وجوده مستقبلا من غير ان يكون
الوجود مستحصل له في حال من الاحوال فلا يلزم على ذلك ان يجتمع الوصفان في فعل واحد فقد كنا
ذكرنا املينا مسئلة في تحقيق الفرق بين الفعل الحال والماضي والمستقبل وهذا التلخيص الذي
ذكرناه ههنا اشرح واسبغ منها وتكلمنا هناك على ما كان ابو علي الفارسي يعتمده ويعول عليه قوله
تعالى ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وقول الشاعر: واعلم ما في اليوم والامس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عمي: ومن طريقه انه اجري في اعتبار تاثير الحروف في الاحوال المختلفة وانبسطنا واستوفينا الكلام
الكلام على هذه الشبهة فلا طايل في اعادة ذلك ههنا اذ الجمع بين المسئلتين يغني عنه وما التوفيق
الا بالله تعالى مسئلة قال رضي الله عنه لا معنى لقوله تعالى وما تتلو منه من قران على ان الهاء
انه للتاكيد لما بيناه ان التاكيد اذا لم يفد غير ما يفيده المؤكد لم يصح وقد علمنا بقوله تعالى من قران
انه من جملة القران فاي معنى لقوله منه ونكرره قال رضي الله عنه والصحيح ان معنى منه اي من اجل
والقصة من قران فيحمل على الشان والقصة لتفيد معنى اخر وقال انهم في قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا الا يجوز ان يجعل قوله فبذلك فليفرحوا على ما تقدم من فضل الله ورحمته ولا
معنى له على ايقول النحويين انه للتاكيد كما لا معنى لقول قايل زيد وعمرو فظاهر بدلالته وغيره والصحيح
ان نقول في هذا ان معناه قل بفضل الله ومعونة الله ورحمته لان معونة الله وفضل الله ورحمته
تؤثر في القول فيقول بفضل الله ومعونته يفرح فيرد قوله بفضل الله الى القول اي قل بفضله
ومعونته هذا القول فان بهذا القول معونته ورحمته يفرحون فيكون قوله فبذلك راجعا
الى الفرح بالفضل والرحمة حتى يكون قد افاد كل واحد من اللفظين فائدة مسئلة الحضرة
العالية الوزيرية ادام الله سلطانها واعلا ابدا شانها ومكانها ان اذكر ما عندي في ادخال لفظة
كان في كونه تعالى عالما في مواضع كثيرة من القران وقال ابن الله عز وجل في لفظة كان اذا كانت للماضي
وكيف خلت على ما هو ثابت في الحال ومستمر دايم وما الوجه في حسن ذلك والجواب وبالله التوفيق
ان الكلام قد تدخله الحقيقة والمجاز ويحذف بعضه وان كان مرادا ويختصر حتى يفهم ولو بسط لكان
طويلا الا في هذه الوجوه التي ذكرناه تظهر فصاحته وتقوى بلاغته وكل كلام خلا من مجاز وحذف
واختصار واقتصار بعد عن الفصاحة وخرج عن قانون البلاغة والادلة لا يجوز فيها مجاز ولا الحقيقة
وهي الحاكمة على الكلام والتي يجب بناؤه عليها والفروع ابدا تبنى على الاصول فاذا ورد عن الله تعالى

كلام

كلام ظاهره يخالف ما دلت عليه ادلة العقول وجب صرفه عن ظاهره ان كان له ظاهر وحمله على ما
يوافق الادلة العقلية ويطابقها ولهذا رجعنا في ظواهر كثيرة من كتاب الله تعالى اقتضى ظاهرها
الاجبار والتشبيه بما لا يجوز عليه تعالى ولو سلمنا تبرعا وتطوعا ان دخول كان على العلم
والقدرة يقتضي ظاهرها الماضي دون المستقبل لحملنا ذلك على ان المراد به الاحوال كلها لان
الادلة العقلية تقضي على ما نطلق من الكلام ولا تقضي الكلام على الادلة غير انا نبين ان دخول
كان على العلم والقدرة لا يقتضي ظاهرها الاختصاص بالماضي دون المستقبل فان لاهل العربية
في ذلك مذهبا معروفا مشهورا الا ان احدهم يقول كنت العالم وما كنت الا عالما وعليما خبيرا وما
كنت الا الشجاع والا الجواد ويريدون بذلك كله الاخبار عن الاحوال كلها ماضيها وحاضرها ومستقبلها
ولا يفهم من كلامهم سوى ذلك واذا كانت هذه عبارة عما ذكرناه فصيحة بليغة والقران نزل بافصح اللغات
وابلغها وابدعها وجب حمل لفظة كان اذا دخلت في كونه تعالى عالما وقادرا على ما ذكرناه ومما يستشهد
به على ذلك قول زياد الاعجم يرثي المغيرة بن المهلب بن ابي صفرة: مات المهلب بعد طول تعرض للقتل
بين الاسنة وصفايح الالباب في قبره: بين الاسنة فوق نهد قارح: فاذا مررت بقبره فاعقر
به كوم المطي وكل طرف سابح: وانضح جوانب قبره بدمائها: فلقد يكون اخادم وذبايح:
فقال في ميت قد مضى سبيله فلقد يكون وانما اراد فلقد كان فعبر بيكون عن كان كذلك
جاز ان يراد بلفظة كان الاحوال المستقبلة ووجه اخر وهو انه تعالى لما اراد ان يخبر عن كونه
عالما في الاحوال كلها لم يجز ان يقول هو عالم في الحال او في المستقبل لان ذلك لا ينبي عن كونه
ثابتا فيما مضى فعدل عن ذلك الى ادخال لفظة كان الدالة على الازمان الماضية كلها ومن كان
عالما فيما لم يزل من الاحوال فلا بد من كونه عالما لنفسه وذاته لان الصفات الواجبة فيما لم يزل لا
تكون الا نفسية والصفات النفسية يجب ثبوتها في الاحوال كلها الماضية والحاضرة والمستقبلة
فصار دخول كان في العلم والقدرة مطابقا للغرض وموجبا لثبوت هذه الصفة في جميع هذه
الاحوال وليس كذلك لو علق العلم بالحال والمستقبل وهذا وجه جليل الموقع ووجه اخر
وهو انا اذا سلمنا ان لفظة كان تختص بالماضي ولا تتعداه لم يكن في ادخالها في العلم الا انه تعالى
عالم فيما مضى من الاحوال وهو كذلك لا محالة اللهم الا ان يدعى ان تعليقها بالماضي يقتضي نفي
كونه تعالى عالما في المستقبل وليس الامر على ذلك لان هذا قول بدليل الخطاب وهو غير صحيح على ما
بيناه في مواضع من كتبنا لان تعليق الحكم بصفة او اسم لا يدل على انتفاء تلك الصفة او الاسم و
بينا ان قوله عليه السلام في سايمة الابل الزكاة لا يدل على ان العاملة والمعلوفة لا زكاة فيهما وقد
يقول القايل كان زيد عندي بالامس ان كان عنده في الحال وضربت من غلمان فلان وان كان قد

ضرب سواه فكانه تعالى ان اسلنا هذا الاصل الذي قد بينا انه غير صحيح واراد ان يثبت بهذا القول كونه
تعالى عالما فيما لم يزل وقد وكلنا في انه عز وجل عالم في جميع الاحوال الى الادلة العقلية الدالة على ذلك
والى اخباره تعالى عن كونه عالما في سائر الاوقات بقوله جل وهو بكل شيء عليم وما شاكل ذلك
من الالفاظ الدالة على الحال والاستقبال تاويل اية قال رضي الله عنه سئلت عن املاء تفسير قوله
تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء
من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله
الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فاجبت الى ذلك اما قوله تعالى الم تر فالمراد الم
تعلم وان كان هذا اللفظ مشتركا بين الادراك والعلم وانما اختص هنا بالعلم دون الادراك لان
اضافة ازجاء السحاب وتاليفه وجميع ما ذكر في الاية الى الله تعالى مما لا يستفاد بالادراك وانما يعلم
بالادلة فاما قوله تعالى يزجي سحابا فمعناه يسوق ولا بد ان يلحظ في هذا الموضع السوق الضعيف
الرفيق يقال منه ازجى يزجي ازجاء وزجى يزجي تزجية اذا ساق ومنه ازجاء الكسير من الابل اذا
سقته سوقا رفيقا حتى يسير ومنه قوله تعالى ببضاعة مزجاة اي مسوقة شيئا بعد شيء على ضعف
وقلة قال عدي بن الرقاع تزجي اغن كان ابرة روقه قلم اصاب من الدواة مدادها وقال
الاعشى الواهب المائة الهجان وعبدها عوذا تزجي خلفها اطفالها اراد بالعوذ الحديثة النتاج
ومعنى تزجي اي تسوق اطفالها وانما سوقا رفيقا لانها تحن فتتبع اطفالها وقال مالك بن الريب
المازني الا ليت شعري هل ابيتن ليلة بوادي الغضا ازجي القلاص النواجيا والسحاب
جمع سحابة ولهذا قال يؤلف بينه اي بين كل سحابة واخرى ولو كان ههنا ايضا اسما للجنس لجاز
لان الجنس يوصل بعضه ببعض ويؤلف بعضه ببعض وانما لا يصح ذلك في العين الواحدة فاما الركام
فهو الذي جعل بعضه فوق بعض ومنه قوله تعالى سحاب مركوم وقوله تعالى فيركمه جميعا فاما الودق
فهو المطر يقال ودق يدق ودقا وكل ما قطر منه ماء او دسم فهو وادق ويقال استودقت الفرس
والاتان اذا حنت الى الفحل واستدعت ماءه ويقال ايضا اودقت واتان وديق وودوق
اذا ارادت انزال الفحل الماء فيها وخلال الشيء خروقه وفروجه وقد قرئ من خلله بغير الف فاما
قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد فانني وجدت جميع المفسرين على اختلاف عباراتهم
يذهبون على انه اراد ان في السماء جبالا من برد وفيهم من قال ما قدره قدر جبال فالبرد
مقدار جبال من كثرته وابو مسلم بن بحر الاصبهاني خاصة انفرد في هذا الموضع بتاويل طريف فقال ان
الجبال ما جبل الله من برد وكل جسم شديد مستحجر فهو من الجبال الم تر الى قوله تعالى في خلق الامم واتقوا
الذي خلقكم والجبلة الاولين والناس يقولون فلان مجبول على كذا ووجدت ابا بكر محمد بن الحسن بن مقسم

النحوي يقول في كتابه المعروف بالانوار واما من الاولى والثانية فبمعنى حد التنزيل ونسبته الى الموضع
الذي نزل منه كما يقال جئتك من بلد كذا ومن بلد كذا واما الثالثة فبمعنى التفسير والتمييز لان الجبال تكون
انواعا في ملك الله تعالى فجاءت من لتمييز البرد من غيره وتفسير معنى الجبال التي انزل منها وقد يصلح في
مثل هذا الموضع من الكلام ان يقال من جبال فيها برد بغير من فيترجم برد عن جبال لانها مخلوقة من
برد كما يقال الحيوان من لحم ودم والحيوان لحم ودم بمن وبغير من ووجدت علي بن عيسى الرماني يقول
في تفسير ان معنى من الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال والثانية للتبعيض لان البرد
بعض الجبال التي في السماء والثالثة لتبيين الجنس لان جنس الجبال جنس البرد وهذه التفاسير على
اختلافها غير شافية ولا كافية وانا ابين ما فيها من خلل ثم اذكر ما عندي انه الصحيح اما من جعل في السماء
جبال برد او ما مقداره مقدار الجبال على اختلاف عباراتهم فيدخل عليه ان يبقى قوله تعالى
وينزل بغير مفعول ولما يتعلق به لان تقدير الكلام على هذه التفاسير وينزل من جبال برد في
السماء فالشيء الذي انزل فما تراه في الاية مذكورا والكلام كله خال منه على هذا التاويل فاما
ابو مسلم فيلزمه هذا الكلام بعينه ويلزمه زائدا عليه انه جعل الجبال اسما للبرد نفسه من حيث كان
مجبولا مستحجرا وهذا غلط لان الجبال وان كانت في الاصل مشتقة من الجبل والجمع فقد صارت اسما
لذي هيئة مخصوصة ولهذا لا يسمي احد من اهل اللغة كل جسم ضم بعضه الى بعض مع استحجار او
غير استحجار بانه جبل ولا يخصون بهذا اللفظ الا اجساما مخصوصة وليس يمتنع في اللغة هذا لان اسم
الدابة وان كان مشتقا في الاصل من الدبيب فقد صار اسما لبعض ما دب ولا يعم كل ما وقع منه
الدبيب وليس يعترض على هذه التاويلات التي ذكرناها ما يظنه بعض الناس من انه لا يجوز ان يكون
في السماء جبال برد او ما مقداره قدر الجبال من البرد لان ذلك غير ممتنع ولا مستحيل فان قالوا كيف
لا تهوي تلك الجبال من البرد قلنا يمسكها الله تعالى ويسكنها كما يمسك الارض والفلك وانما ينكر هذا
اصحاب الطبائع الذين لا يقرون بالخالق جلت عظمته ويذكرون في سبب سكون الارض المركز وهو
لا يعقل ولو اثبتوا الصانع جلت عظمته نسبوا سكون الارض اليه واستغنوا عن تكلفهم ما لا يعقل ولا
يفهم والاولى في تفسير هذا الموضع ان تكون من الاولى والثانية لابتداء الغاية والثالثة زائدة لا حكم
لها ويكون تقدير الكلام وينزل من جبال في السماء بردا وقد زيدت من كما تزاد في قولهم ما في الدار من احد
وكم اعطيتك من درهم وما لك عندي من حق وما اشبه ذلك وعلامة زيادتها في هذه المواضع انك
اذا اخرجتها والغيتها كان الكلام مستقلا لا يتغير معناه ويجري قوله تعالى وينزل من السماء من جبال
فيها من برد مجرى قول القائل كم حملت لك من الكوفة من سوقها من ثوب والمعنى كم حملت لك من سوق

الكوفة ثوبا والاولى ان يريد بلفظة السما هاهنا ما علا من الغيم وارتفع فصار سماء لنا لان سما البيت
سمكه وسقفه وما ارتفع منه ولان السحاب لا يكون في السما التي هي الفلك للكواكب انما هو تحتها واراد بالجبال
التشبيه لان السحاب المتراكب المتراكم تشبهه العرب بالجبال والجمال وهذا شايع في كلامها كانه تعالى
قال وينزل من السما التي هي السحاب الذي يشبه الجبال في تراكمه بردا فقد ظهر على هذا التاويل مفعول صحيح لينزل لا
مفعول لهذا الفعل على التاويلات المتقدمة فان قيل اذا جاز ان تجعلوا من الاخيرة زايدة حتى
يكون المنزل هو البرد فالا جعلتم من الثانية هي الزايدة ويكون تقدير الكلام وينزل من السما
جبالا من برد قلنا البرد يشبه البرد في نزوله الجبال على وجه ولا سبب السحاب المتراكم يشبه الجبال
وقد جرت عادة العرب بتشبيهه بها فيجب ان تكون الثانية غير زايدة لما ذكرناه وتكون الاخيرة
زايدة والا بقينا بلا مفعول ولانه تعالى قال فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء وهذه كناية
عن البرد لا الجبال لانه لو كنى عنها لقال فيصيب بها ولان الجبال على التاويلات التي حكيناها
كلها منزلة فيها لا منزل منها فان قيل الاكان المفعول محذوفا مقدرا وكانه قال وينزل من جبال فيها
في السماء بردا وان الكلام يقتضيه قلنا انما يقدر مفعول محذوفا في الموضع الذي لا يجد فيه مفعولا
ظاهرا وقد بينا ان في الاية مفعولا ظاهرا فيجب صرف الكلام اليه على انه لا بد من مفعول ظاهر
او هو الذي اشرنا اليه محذوف على ان في الكلام استعمالا لا استعمالا في الكلام كانه عنى في قوله
به من يشاء ويصرفه عمن يشاء وما رايت احدا من المفسرين في هذه الاية على اختلافهم وذكر اكثرهم كل
ما تقتضيه من وجوه الاعراب في ايات القران تعرض لذكر المفعول ولا قال انه ظاهر او مقدر ولا بد
في الكلام عليه هذا على كل حال تقصير ظاهر فاما قوله تعالى فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء
فالمراد به فيصيب بضرره من يشاء ويصرف ضرره عمن يشاء فان العادة جارية بان البرد يصيب ايضا
ويتعدى على النبات والثمار وبالاصابة فاما قوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار فسنا البرق ضوؤه وهو
مقصور وسناء المجد والشرف ممدود والهاء في برقه راجعة الى البرد او السحاب فقد جرى ذكر كل
واحد منهما ويجوز اضافة البرق اليهما فاما قوله يذهب بالابصار وقد قرئ يذهب بضم اليا فالمراد
ان البرق من شدة ضوئه يكاد يذهب بالعيون لان النظر الى ما له شعاع شديد يضر بالعين كعين الشمس
وما اشبهها والقراءة بفتح اليا اجود مع دخول البا تقول العرب ذهبت بالشي فاذا ادخلوا الالف
اسقطوا البا فقالوا اذهبت الشي بغير با فاما قوله يقلب الله الليل والنهار فانما اراد انه ياتي
بكل واحد منهما بدلا من صاحبه ومعاقبا له لما في ذلك من المصلحة والمنفعة فاما قوله تعالى ان في ذلك
لعبرة لاولي الابصار فانما اراد بالعبرة العظة والاعتبار وروي عن الحسن انه قال انما اراد ذوي
ابصار القلوب لا العيون لان العين لا تفضل انما العبرة والعظة وقال الكلبي لاولي الابصار لذوي

ورد قوم على الكلبي بان قالوا لو اراد ذلك لقال لاولي البصائر لان الذي يقال فيه بصيرة
لا بصر والاولى ان يكون المراد بالابصار هاهنا العيون لان بالعيون ترى هذه العجايب التي عددها
عددها الله تعالى ثم يكون الاعتبار والنظر في القلب بها ويكون من لا موعظة له ولا اعتبار
كانه لا بصر له من حيث لم ينتفع ببصره فجعل اولي الابصار اولي الاعتبار من حيث انتفعوا واعتبروا
بابصارهم ولم ينتفع بها من لا اعتبار عنده وهذا كثير في القران فانه تعالى جعل الكفار في مواضع كثيرة
صما وبكما وعميا من حيث شبهوا باعراضهم عن الفكر والتامل والاعتبار من لا جوارح له وهذا بين
لمن تامله مسالة ان سال سايل فقال اعلم ان من عادة العرب الايجاز والاختصار والحذف طلبا لتقصير الكلام واطراح
فضوله والاستغناء بقليله عن كثيره ويعدون ذلك فصاحة وبلاغة وفي القران من هذه الحذوف
والاستغناء بالقليل من الكلام عن الكثير مواضع كثيرة نزلت من الحسن اعلى منازله ولو افردنا لما في
القران من الحذوف وفي العربية والاختصارات العجيبة كتابا لكان واجبا فمن ظاهر ذلك قوله تعالى ولو
ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى ولم يات للو جواب في صريح الكلام
وانما اراد لو ان قرانا سيرت به الجبال لكان هذا ومثل هذا الحذف ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله
من قوله لو كتب هذا القران في اهاب ثم طرح في النار ما احرقته النار والمراد به كانت لنار ما
لا يحرق جسما جلالة لتقديره ما احرقته فحذف ذلك لخفضا الدلالة عليه ومثل هذا قوله تعالى انا
عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه
كان ظلوما جهولا وتقديره ان السموات والارض والجبال لو كن مما ياتي ويشفق وعرضنا عليهن الامانة
لابين واشفقن وجعل المعلوم بمنزلة الواقع فقال عرضنا من حيث علم ان ذلك المشروط لو وقع
شرطه لحصل هو وهذا التاويل الذي استخرجناه اولى مما ذكروه المفسرون من انه تعالى اراد عرضنا الامانة
على اهل السموات والارض وهم الملائكة والملك فاي معنى لقوله وحملها الانسان وهو من جنس من يظلم
لان اهل السموات
والارض
قول الشاعر امتلا الحوض وقال قطني والمعنى امتلا حتى لو كان ممن يقول لقال ذلك ومثل هذا في
في نفسه من قبيح شيم هذا البيت بانه ظهرت منه امارات القول والنطق وهذا الذي اشرنا اليه هو معنى
كل ما جرى مجرى هذا البيت من قول الشاعر واجهشت للتوباد حين رايته وكبر للرحمن حين رآني
التوباد اسم الله
فقلت له اين الذين عهدتهم بجنبك في خفض وطيب زمان فقال مضوا واستودعوني بلادهم
ومن ذا الذي يبقى على الحدثان ومن الحذوف ايضا قوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال
لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين فلم يات لاذا جواب في طول الكلام وانما حسن حذف
الجواب الذي هو فدخلوها لو رود ما يقوم مقامه ويدل عليه من قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده وذلك لا يكون الا بعد الدخول ومثل ذلك قول امرئ القيس فلو انها نفس تموت سوية

ولكنها نفس تنافط انفسنا فحذف جواب لو والجواب هو لكان ذلك اروح لها واخف عليها ومثله
قول الهذلي : حتى اذا اسلكوهم في قتائدة : شلاً كما تطرد الجمالة الشُّرُدا : ومثله هذا في الحذف
كلما اتمنى كذا لو أعطيته وظاهر هذا الكلام كانه مشروط وكانه قال انني اتمناه اذا اعطيته والامر
بالضد من ذلك والمعنى لو اعطيته لبلغت مناي ولقنعني وما اشبه ذلك المعنى والشعر القديم
والمحدث مملو من ذلك قال البحتري : ولو شئت يوم الجزع بلّ غليله : محبٌ بوصل منك لو نقع
الوصلة : وانما اراد لو نفع لوصل لنقعني وبلغني منيتي وما اشبه ذلك ومثله قوله : وتعجبت من
لو عتبي فتبسمت : عن واضحات لو لثمن عذاب : وانت اذا تاملت ضروب المجازات التي يتصرف
فيها اهل اللسان في منظومهم ومنثورهم وجدتها كلها مبنية على الحذف والاختصار ولان قوله تعالى
وجاء ربك واسئل القرية مما الحذف فيه ظاهر وانما كان الكلام ابلغ وافصح لان كلا منه قال بحذف
بعض معانيه مجازاً وكذلك قولهم في المدح فلان البدر والبحر والليث وفي الذم هو الحمار والحائط
انما هو مبني على الحذف لان المراد هو مشبه وهما ثلث لما ذكرنا اسقط من الكلام ما يقتضي التشبيه لدلالة
القول عليه فان قيل فاذا كانت الفصاحة في الاختصار فكيف قال تعالى ليس كمثله شيء فزاد الكاف ولا
معنى لها الا الفصاحة فقد صارت الفصاحة بالزيادة كما كانت بالنقصان قلنا دخول الكاف ههنا
ليست على سبيل الزيادة التي لو طرحت لما تغير المعنى بل تفيد بدخولها ما لا يستفاد مع خروجها لانه
اذا قال ليس مثله شيء جاز ان يراد من بعض الوجوه وعلى بعض الاحوال فاذا دخلت الكاف فهم نفي
المثل على كل وجه الا ترى انه لا يحسن ان يقال ليس كمثله احد في كذا بل على الاطلاق والعموم وبمثل هذا
الجواب يجيب من يسأل عن قولهم ما ان في الدار زيد لانه لو قال ما في الدار زيد لجاز ان يكون نفيه
لكونه فيها على وجه دون وجه فاذا قال ما ان فهم نفي كونه على كل حال وهذا يدل على انها مفيدة غير
زائدة ومن قال انها دخلت للتوكيد يجب ان يكون مراده ما قصدناه وشرحناه لان التوكيد متى لم يكن
تحته فائدة كان دخوله عبثاً وهذا الكلام الذي بسطناه في تاكيد فوائد كثيرة وكان السبب في ان بعض من
قرئ عليه كلام حكاية في وصف كاتب وجدت فيها من التغلغل والتوصل الى مكامن
الارهاف ومعاني الاستعطاف لا تطرق فجاجها ولا يفتح رتاجها ولا يتبع شعابها ولا يلم بابوابها
واطال الكلام ولم يات بجواب على قوله من التغلغل بتلك وهذا من الحذف الذي حسنه طول الكلام
ودلالة شاهده على المحذوف لان التقدير وجدت فيه من التغلغل الكثير فاستغني عن ذكره بالمفهوم
من الكلام كما استغني بالحذوف التي ذكرناها في القرآن والشعر بما في صحة الكلام وعلى ذلك فصحاء
وبلاغة وكم بين ان يفهم المعنى بالحفاء من غير لفظ صريح وبين ان ياتي فيه لفظ مصرح في البلاغة
والفصاحة وقد كنت املئت قديماً مسئلة اوضحت فيها ان التاكيد لابد فيه من فائدة وخطأ من ذهب

الى خلاف ذلك وبينت ان كل موضع ادعي فيه انه للتاكيد من غير فائدة مجددة ففيه فائدة مفهومة وان
قوله تعالى فانه يتوب الى الله متاباً انما ورد هذا المصدر للتاكيد على ما يقوله قوم بل لفائدة مجددة
لانه تعالى اراد متاباً جميلاً مقبولاً واقعاً في موقعه فحذف ذلك اختصاراً كما يقول العربي الفصيح في
الشعر المستحسن هذا هو الشعر والفرس الممدوح هذا هو الفرس انما حذف الصفة اختصاراً والمراد
هذا هو الشعر المستحسن والفرس الكريم ومثله قوله تعالى وكلم الله موسى تكليماً انه اراد الفضل والمدح
وقال قوم بل يسمع كلاماً من غير واسطة ولا متحمل له فاما قول القائل ضربته ضرباً وما اشبه ذلك
من ذكر المصادر مع الافعال وفي ذكر الافعال من غير ذكر المصادر لدلالتها عليها فلها وجهان احدهما
ان يكون نفي صفة الضرب اختصاراً واراد ضرباً شديداً مبرحاً فحذف او يكون اراد انه باشر الضرب
وتولاه لا انه امر به فقد يقال ضرب اذا امر بضربه ولا يكادون يقولون ضربته ضرباً اذا امر بضربه
ولم يباشره فاما قول العرب لامر ما جدع قصير انفه وقولهم لامر ما يسود من يسود وادعاء من
ادعى ان ما ههنا زائدة لا معنى تحتها وانما دخلت للتاكيد فلا ولى غير ما ذكره ومعنى قولهم لامر ما
كان كذا انه لامر مهم به عارف لانهم لا يكادون يقولون لامر ما كان كذا وكذا وانا به عارف وان
جاز ان يقولوا لامر كان كذا وانا به عارف وانما قالت الزباء لامر ما جدع قصير انفه لانها كانت جاهلة
بسبب قطع انفه وغير عالمة به وهذا يبطل قول من جعلها زائدة بغير فائدة فاما قوله تعالى فبما رحمة من الله
لنت لهم ويقدر قوم ان ما ههنا زائدة فليس الامر على ما ظنوه لان من شانهم ان لا يدخلوها الا
اذا ارادوا الاختصاص وزيادة فائدة على قولهم فبرحمة من الله لنت لهم لانه مع اسقاطها يجوز ان
تكون الرحمة سبباً للين وغير رحمة لا يكادون يدخلونها مع الا والمراد انها سببية دون غيرها فقد
افادت اختصاصاً لم يستفد قبل دخولها فاما قولهم ما ان في الدار زيد فليس ان يكون دخولها
لفائدة تزيد على قولهم ما في الدار زيد لانهم اذا قالوا ما في الدار زيد جاز ان يريدوا انه لا تصرف
له في الدار ولا تاثير لكونه فيها فكانه ليس حاصلاً فيها لانهم ابداً يقولون ما في هذه البلدة امير ولا احد
الذي يدبر يدلون على السياسة والتدبير فاذا قالوا ما ان في الدار زيد او ما ان للبلد امير علم
انه يريد ان لا امير فيها على الحقيقة ممن ذكره وهذا هو معنى قول اهل العربية ان ذلك للتاكيد ومعنى
التاكيد هو الذي ذكرناه الا ان التاكيد لا يجوز ان يكون لغير فائدة وان يكون دخوله كخروجه فليتفحص على
ما ذكرناه امثاله وليطلب لكل شيء ادعي انه محض التاكيد فائدة قلت او كثرت فانها توجد وليس
جهل الطالب بها يقتضي فقدها فان الادلة الواضحة قد دلت على ان العرب مع حكمتهم لا يتكلمون حكمتهم بياز
بما لا يفيد وان الكلام الذي ما وضع في الاصل الا للفائدة قليلة في وجوب الفائدة كثيرة وربما ظهرت
هذه الفائدة لكل متدبر وربما خفيت واصول اهل العربية مملوة من هذا فانهم يجعلون ويطلبون

الفواصل التي لا تظهر في تمام الكلام ويقلدون فيها التقديرات البعيدة حراسة للاصول المحررة
لما دل عليه الدليل ومن تصفح تحاليلهم للعامل في الحال الذي عرى الكلام كله من تصريح به وتعلقهم
الى الضعيف من كل بعيد وقريب علم ان الذي سلكناه في تخريج فوايد الحروف الزايدة الداخلة على
الكلام وظن قوم انها للتاكيد من غير فايدة زايدة طريق صحيح لا اعتراض عليه مسئلة في خبر بالحضرة
السامية الوزيرية العالية المنصورة ادام الله سلطانها واعلا ابدا شانها وكانها في بعض
الكلام ما روى عن النبي صلى الله عليه واله من قوله نية المؤمن خير من عمله فقلت على هذا الخبر
سؤال قوي وهو ان يقال اذا كان الفعل انما يوصف بانه خير من غيره اذا كان ثوابه اكثر من
ثوابه فكيف يجوز ان تكون النية خيرا من العمل ومعلوم ان النية اخفض ثوابا من العمل وانه لا يجوز ان
يلحق ثواب النية بثواب العمل ولهذا قال ابو هاشم ان العزم لا بد ان يكون دون المعزوم عليه في ثواب
وعقاب ورد على ابي علي قوله ان العزم على الكفر لا بد ان يكون كفرا والعزم على الكبير يجب ان يكون
كبيرا بان قال لو وجب ان يساوي العزم والمعزوم عليه في ثواب او عقاب فان كان ههنا دليل
سمعي يدل على ان العزم على الكفر كفر والعزم على الكبير كبير صرنا اليه الا انه لا يمنع ذلك من ان يكون
عقاب العزم دون عقاب المعزوم عليه وان اشتركا في الكفر والكبير وقع بالحضرة السامية العالية المنصورة
ادام الله سلطانها من التنبيه بذلك والخوض فيه كل دقيق غريب مستفاد وهذه عادتها حرسها الله نعمتها
في كل فن من فنون العلم والادب لانها المتقدمة في التحقيق والتدقيق والغاية التي لا يحسن الا ذلك الفن ولا
يعرف الا بذلك المنوع وقال بعض من حضر قد قيل في تاويل هذا الخبر وجهان حسنان فقلت لم اذكرهما فان
كان الذي عندي فيه ما استخرجته احدهما فقال يجوز ان يكون المعنى ان نية المؤمن خير من عمله العاري
من نية فقلت لفظة افعل لا يدخل الا بين شيئين قد اشتركا في الصفة وزاد احدهما فيها على الاخر ولهذا
لا يقول احد ان العسل احلى من الخل ولا ان النبي عليه السلم افضل من ابليس والعمل اذا عرى من نية لا خير
فيه ولا ثواب عليه فكيف تفضل النية الجميلة عليه وفيها خير وثواب على كل حال والوجه الاخر ان يكون
نية المؤمن في الجميل خير من عمله الذي هو معصية فقلت وهذا يبطل ايضا بما بطل به الوجه الاول لان
المعصية لا خير فيها فيفضل غيرها عليها فيه فالتمست الحضرة السامية العادلة المنصورة ادام الله دولتها
تحقيق الذي لك تقصد بها هذا الخبر وهو لنية المؤمن والكلام موضوع على مدحها واطرائها واي فضل لها ان
تكون خيرا من المعاصي انما الفضل ان تكون خيرا مما فيه خير فسئلت ح ذكر الوجه الذي عندي فقلت لا يمتنع
ان تحمل لفظة خير في الخبر على معنى افعل الذي هو للتفضيل والترجيح وقد سقطت الشبهة ويكون معنى الكلام ان نية
المؤمن من جملة الخير من اعماله حتى لا يقدر معتقد ان النية لا يدخلها الخير والشر كما يدخل ذلك في الاعمال

فاستحسن

فاستحسن هذا الوجه الذي لا يحوج الى التعسف والتكلف اللذين يحتاج اليهما اذا جعلناه لفظة خير
ههنا بمعنى افعل وانقطع الكلام لدخول الوقت المعتاد لدخول البلد ونهوض الحضرة السامية
ادام الله سلطانها للركوب فكان في نفسي ان اذكر شواهد لهذا الوجه لو لحق بعضها الكلام وخطر
بعد ذلك ببالي وجهان سليمان من الطعن اذا حملنا لفظة خير في الخبر على الترجيح والتفضيل وانا
اذكر ذلك تماما لما شاهده واستخرجته من التاويل من حمل لفظة خير على غير معنى التفضيل والترجيح
نظير وقد ذكرت في كتابي المعروف بالغرر عند كلامي في قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة
اعمى واضل سبيلا ان الكلام على هذا الوجه ما استوفيته وذكرت قول المتنبي ابعد بعدت بياضا
لا بياض له لانت اسود في عيني من الظلم وان الالوان لا يتعجب منها بلفظ افعل الموضوع للمبالغة
لكونها خلقة كلها وانما يقال ما اشد سواده وان معنى البيت ما ذكره ابو الفتح عثمان بن جني من انه اراد انك
اسود من جملة الظلم كما يقال حر من احرار ولئيم من لئام فيكون الكلام قد تم عند قوله لانت اسود ولو
اراد المبالغة لما كان تاما الا عند صلة الكلام بقوله من الظلم واستشهد ابن جني ايضا على صحة
هذا التاويل بقول الشاعر وابيض من ماء الحديد كانه شهاب بدا والليل داج عساكره كانه قال
وابيض كاين من ماء الحديد وقلت ان قول الشاعر يا ليتني مثلك في البياض ابيض من اخت
بني اباض يمكن حمله على ما حملنا عليه بيت المتنبي كانه قال ابيض من جملة اخت بني اباض ووصف
عشرتها وقومها ولم يرد المبالغة والتفضيل وهو احسن من قول الذي تعاطوا المبرد لما انشد هذا
البيت في ضيق ذرعاتها وبله على ما يطابق الاصول الصحيحة ان ذلك محمول على الشذوذ والندرة
فان قيل كيف تكون نية المؤمن من جملة اعماله على هذا التاويل والنية لا تسمى عملا في العرف وانما تسمى
بالاعمال افعال الجوارح ولهذا لا يقولون عملت بقلبي كما يقولون عملت بيدي ولا يصفون افعال الله
تعالى بانها اعمال قلنا ليس يمتنع ان تسمى افعال القلوب بانها اعمال وان قل استعمال ذلك فيها
الا ترى انهم لا يكادون يقولون فعلت بقلبي كما يقولون فعلت بجوارحي وان كانت افعال القلوب
تستحق التسمية بالفعل حقيقة بلا خلاف وانما لا تسمى افعال الله تعالى بانها اعمال لان هذه اللفظة
تختص بالفعل الواقع عن قصد وقدرة والقديم تعالى قادر لنفسه كما لا نصفه تعالى بانه مكتسب لاختصاص
هذه اللفظة بمن فعل لجر نفع او دفع ضرر ولو سلمنا ان اسم العمل يختص بافعال الجوارح جاز ان تطلق
ذلك على النية مجازا واستعارة فباب التجوز اوسع من ذلك واما الوجهان اللذان خطرا لي اذا قدرنا
ان لفظة خير في الخبر محمولة على المفاضلة فاحدهما ان يكون المراد بنية المؤمن مع عمله خير من عمله العاري
من نية وهذا مما لا شبهة انه كذلك والوجه الثاني ان يريد نية المؤمن لبعض اعماله قد تكون خيرا من عمل
اخر لا تتناوله هذه النية وهذا صحيح لان النية لا يجوز ان تكون خيرا من عملها نفسها وغير منكر

ان تكون بنية بعض الاعمال الشاقة العظيمة الثواب افضل من عمل اخر ثوابه دون ثوابها حتى لا يظن
ظان ان ثواب النية لا يجوز ان يساوي او يزيد على ثواب بعض الاعمال وهذان الوجهان فيهما على
كل حال ترك لظاهر الخبر لادخال زيادة ليست في الظاهر والتاويل الاول اذا حملنا لفظة خير على
خلاف المبالغة والتفضيل مطابق للظاهر وغير مخالف له وفي هذا كفاية بمشية الله مسئلة
سال بعض الاخوان وقد خطر بباله عند قراءة شي من اخبار الائمة وادعية السادة عليهم السلام
من ذكر اسم الله تعالى الاعظم وما خص به من الفضيلة دون ساير اسماء الله تعالى وما يحكى
من دعائه من سرعة الاجابة به مثل اصف بن برخيا وصي سليمان عليه السلام ومجيئه بعرش بلقيس من سبا
اليمن الى بيت المقدس في اقل من طرف العين وما نقله الانبيا والائمة والصالحون من المعجزات وعن
قول الائمة عليهم السلام في ادعيتهم اللهم اني اسالك باسمك الاعظم فمنهم من قال الاعظم الاعظم ومنهم من
زاد على ذلك ومنهم من قال الاكبر الاكبر قال فهل ترى ان الاعظم غير الاكبر او الاعظم الاعظم غير الاعظم
مرة واحدة قال واذا قلنا الاعظم فيجب ان يكون ثم الطف واذا قلنا اكبر فيجب ان يكون ثم اصغر والله
تعالى من ان يكون له اسم الطف من اسم او اصغر اذ كانت اسماؤه تعالى لا تذكر الا على معنى واحد
ولا يشار بها الا اليه وقد نطق القران بتساويها في المنزلة وهي قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وقال تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقد خير الله نبيه
عليه السلام في ان يدعوه بايها شاء وذكر انها كلها حسنى فلم خص الائمة عليهم السلم احدها صوابه الحسنى
بالتعظيم دون سايرها والمقصود بها والمراد منها واحد تبارك وتعالى وان قيل لان بعضها ما
يشاركه فيه المخلوقون مثل كريم ورحيم وعالم وحاكم وغير ذلك فلهذا كانت رتبة بعضها في التعظيم
اقل من بعض قال والجواب عن ذلك انه قد بقي منها عدة اسماء لا يشاركه فيها احد من المخلوقين ولا
يستحقها سواه مثل الله والرحمن وسبوح وقدوس وما اشبه ذلك مما لا يوصف بها غيره ولا تليق الا به
عز وجل فلم اختص الاسم الاعظم باحد هذه دون الاخر وهل الاسم الاعظم او الاكبر شي غير هذه
الاسماء المتعارفة بين العوام مسئلة وسال غير الاول من الاخوان عن قوله تعالى في سورة يس
لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون قال اذا كان اباؤهم لم ينذروا فاي شي حجته عليهم كيف
يعاقبهم على عبادة الاصنام وقد قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فكيف يصح ان تخلو
امة من الامم من نذير مع قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وقوله تعالى وما اهلكنا من قرية
الا لها منذرون وقد علم انهم كانوا امما لا يحصيها كثرة غيره تعالى وقرى كثيرة فكيف هذا وايش
المراد به ومعلوم ان كلامه تعالى لا يتناقض قال فان قال ان ما التي في الاية المتقدمة ليست للنفي
بل هي للاثبات والمعنى فيها مثل ما انذر اباؤهم او بمعنى الذي انذر اباؤهم او زائدة لان الكلام

وفيه الاعظم [illegible] بعض التعظيم ليس من جنس [illegible] نعم

يتم من دونها لتنذر قوما انذر اباؤهم قال والجواب عن ذلك ان هذا تاويل يفسد من قبل
ان المعلوم الذي لا شك فيه ولا اشكال ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد عيسى عليه السلام الا
المبعوث على فترة من الرسل صلى الله عليه وآله ولاجل ذلك وصفهم بالغفلة لما لم ينذر اباؤهم فثبت
بهذا ان ما التي في الاية المتقدمة للنفي دون الاثبات وان الاخذ بالمعلوم اولى من المظنون قال فان
قيل ان عيسى عليه السلم قد كان بعث اليهم وشاعت شريعته فيهم وانتشرت كلمته وسار الحواريون
بدعوته شرقا وغربا سهلا وجبلا قال فالجواب عن ذلك انا اذا سلمنا ان عيسى عليه السلام بعث اليهم
فان الفترة انما كانت بينه وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وان الحواريين لم يمكثوا بعده الا قليلا
وان الاباء المذكورين بانهم لم ينذروا هم الادنون دون الابعدين وللقائل ان يقول ان عيسى
لم يبعث الا الى بني اسرائيل خاصة دون العرب بذلك نطق القران فله ان يقول ان الاباء الابعدين
والادنين في الاية سواء والذي يؤيد ذلك قوله تعالى قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل
الاية الى اخرها وقد صح بالجملة والتفصيل ان الاباء لم ينذروا وان ما للنفي في موضعها من الاية دون
الاثبات فكيف نقول ان الحجة عليهم ولا يحتج محتج بان العقل هو الحجة عليهم دون الانذار والرسل
لان العقل حجة على من انذر وعلى من لم ينذر وعليه معول الغفلة غير ان الاستغناء عن الرسل و
الانبياء عليهم السلام الجواب عن المسئلة الاولى والاشبه ان يكون اسم الله تعالى الاعظم خارجا
عن هذه الاسماء والصفات التي في ايدي الناس يناجون الله تعالى بها ويدعونه ويسالونه لان ذلك
الاسم لو كان من جملتها وقد اجمعوا على ان الله تعالى لم يسال به شيئا الا اعطاه لكان يجب في كل داع بهذه
الاسماء والصفات اذ كان الاسم من جملتها ان تجاب دعوته وتنجح مسالته وقد علمنا خلاف ذلك وان
اكثر الداعين بهذه الاسماء المسطورة غير مجابين فعلمنا ان الاعظم ليس من جملتها فاذا قيل لنا فلم خص الله
تعالى بهذا الاسم قوما دون قوم ولم يجره مجرى ساير اسمائه فالجواب ان تابع المصلحة واذا كان المعلوم
ان كل سائل بذلك الاسم مجاب لا محالة فمن علم ان في اجابته مفسدة لا يجوز ان يمكن من ذلك الاسم
فاذا قيل فهب لم يسال الله تعالى وقال الحق بسمك الاعظم اعطني كذا ان يجاب لا محالة وقد علمنا خلاف
ذلك فالجواب انه غير ممتنع ان تكون الاجابة انما تكون واجبة عند التصريح والتلفظ بهذا الاسم دون
الكناية عنه فاما التسمية بانه اعظم وان ذلك يقتضي ان يكون من اسمائه ما ليس باعظم فالجواب عنه
من وجهين احدهما ان تكون لفظة افعل هنا راجعة الى باقي اسمائه والوجه الاخر ان ترجع الى اسماء
وصفات غيره وبيان الوجه الاول ان معنى اعظم هو اختصاصه بفضيلة ان الدعاء به مجاب وهذه
المزية ليست في باقي الاسماء فكانه اعظم منها لاختصاصه بمزية عالية ليست لباقيها واما الوجه
الثاني فيكون المعنى انه اعظم بالاضافة الى اسمائكم وصفاتكم لانه ليس لشي من صفاتكم هذه المزية

فلم تجعل هذه المزية لاجل فقد المشاركة في المعنى فلزم على ذلك قولهم وحمل على استحقاق التسوية بل لان الله تعالى خص هذا الاسم بهذه المزية لما علم من المصلحة فاما الزامنا ان يكون في اسمائه تعالى ما هو اصغر فلا يلزم على الجواب الثاني فاذا الزمناه على الجواب الاول قلنا اذا كان قولنا اعظم بالاضافة الى اسمائه تعالى معناه ان لهذه المزية والرتبة فلا محالة انه يجب فيما ليس له هذه المزية من اسمائه ان لا يكون الاعظم ولا يجوز ان نقول اصغر واحقر وما يجري مجرى ذلك لانه يوهم المهانة وما لا يجوز في شيء من اسمائه واما قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها فانما سماها كلها بالحسنى وليس يمتنع ان يكون فيما هو حسن تفاضل وتزايد وكذلك قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا ومعناه التخيير لنا بين ان ندعوه باي الاسمين شئنا وما يمضي في الفاظ الدعاء من اني اسالك باسمك الاكبر تارة واخرى بالاعظم الاشبه ان يراد باللفظتين معنى واحد واما تكرير لفظ الاعظم فهو على سبيل التاكيد والتفخيم لان الاعظم مرة واحدة غير الاعظم مرتين وبالله التوفيق والجواب عن المسئلة الثانية انه غير ممتنع عندنا ان يخلو الزمان الطويل والقصير من رسول مبعوث بشريعة وان كان لا يخلو من امام ولهذا يقول اصحابنا ان الامامة واجبة في كل زمان وليست كذلك النبوة والوجه في ذلك ان ارسال الرسول تابع لما يعلمه الله من المصالح للمكلفين في الشرايع والعبادات وغير بعيد في العقل ان يعلم تعالى انه لا شيء من الشرايع فيه مصلحة للمكلفين فلا يجب ارسال الرسل لا محالة فاما قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وان من امة الا خلا فيها نذير وقوله وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فيجوز ان يكون مخصوصا غير عام ويعني به من الشرايع والعبادات من الطائفة فان دل دليل قاطع على عموم هذه الظواهر قطعنا لاجله على ان الشرايع من الطاف المكلفين وان كان في العقل ان لا يكون الامر على ذلك فقد اختلف اهل التاويل في تاويل هذه الاية فقال جماعة ان لفظة ما هيهنا للنفي والمراد ان اباءهم ما انذروا لان المصلحة لم تقتض بعثة رسول اليهم وليس من المعلوم لنا ان عيسى عليه السلام كانت الحجة على كل مكلف كان بين زمانه وبين زمان نبينا عليه السلام ويقوي هذا الجواب اثبات الفترة وانه عليه السلام بعث على فترة من الرسل وذهب قوم من اهل التاويل الى ان ما في الاية ليست للنفي بل للاثبات والمراد لتنذر قوما ما انذر اباؤهم وهذا ايضا جائز ويقوي هذا الجواب ويضعف الاول ان قوله تعالى فهم غافلون يقتضي الذم لهم بالغفلة وذلك يقتضي انهم انذروا فغفلوا واعرضوا ولا يذمون بالغفلة مع انه لا سبيل لهم الى العلم والتبيين وفي الناس من حمل قوله تعالى ما انذر اباؤهم على النفي والمراد انه لم ينذرهم من هو منهم وعلى نبيهم من انفسهم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم فيكون تلخيص الكلام لتنذر قوما انت منهم ما انذر اباءهم من هو منهم اي من قومهم ومن انفسهم ويمكن في لفظة ما وجه اخر وهو ان يراد بها التنكير كانه قال لتنذر قوما وتقف ثم

يبتدي

يبتدي فيقول انذر اباؤهم فهم غافلون كما يقول القايل اكلت طعاما ما ولقيت جماعة ما ويكون الغرض التنكير والاجمال وليست لفظة ما هيهنا زائدة لان حمل الكلام على ان يكون دخوله في عدم الفائدة كخروجه وهو هيهنا مفيد على ما بيناه مسئلة اخرى في الاعتراض على من استدل بدليل السحارة على ان العالم ملاء وما ابطل به ذلك اعلم ان ذكرت فيما اجاب به ابو هاشم من يقول ان العالم ملاء اذا استدل بالالة التي تسمى السحارة على ذلك وادعى ان علة وقوف الماء عن النزول من الثقب الصغار التي في اسفلها انا اذا سددنا راسها وهو منع الهواء ان يدخل الراس من ان يحدث في مكان الماء وقول ابي هاشم ان العلة في وقوف الماء عن السيلان انا اذا سددنا راس السحارة بالاصبع فالهواء منع الماء من النزول لضعف ما يخرج من الماء من الثقب الصغار فاذا فتحنا الراس دفع الهواء الماء من اعلى السحارة فقوي الماء على النزول فوجد ذلك غير واضح لان الماء فيه اعتمادات سفلا وثقل وقوى الهواء على من مذهبنا وهو لطيف لا اعتماد فيه البتة فكيف يمنع ما لا اعتماد فيه الجسم الذي فيه اعتماد سفلا عن الحركة والنزول واذا كان الهواء على المانع من نزول الماء من الثقب الصغار ومن مذهب ابي هاشم جواز خلو الاماكن من الهواء فكان يجب ان يجوز ان يسيل الماء من اسفل السحارة مع سد اعلاها بالاصبع بان يصادف ذلك مكانا خاليا من الهواء الذي يدعي انه مانع من نزول الماء فاما تقويته لذلك بذكر الريشة وانها تقف في الهواء فلا تنزل لان الهواء يمنعها من الهبوط فاول ما فيه ان الريش يخفيه ربما ابطاء نزوله فظن انه واقف ثم ربما كان في الهواء اعتمادات مختلفة صعدا فتمنع هذه الاعتمادات التي هي في خلاف جهة اعتمادات الريشة من النزول فاما اذا كانت الريشة في موضع ساكن لا اعتماد فيه فان الهواء لا يجوز ان يمنعها من الهبوط ومن ظريف الامور قوله ان الهواء اذا فتحنا راس السحارة يدافع الماء ويكون سببا للنزول من الثقوب لان الهواء على مذهبنا لا اعتمادات فيه فكيف يدافع الماء ومن قال من العلماء ان فيه اعتمادات صعدا لا يليق دفع الماء بقوله لان تلك الاعتمادات في غير جهة اعتماد الماء واي عاقل يخفى عليه ان الهواء الساكن المعتدل لا يجوز ان يدفع الماء من داخل السحارة وبعد فمع القول بجواز خلو الاماكن من الهواء والقطع على ذلك في بعض الاحوال فقد كان يجب ان يجوز ان يفتح راس السحارة ولا يسيل الماء من الثقب من اسفلها لان الهواء الذي ادعوا انه يدافع الماء من راسها مفقود والذي يحكي عنه ابو هاشم من ان السحارة لو ملئت زيبقا وسد راسها نزل من الثقوب الصغار وقوله انما كان كذلك لثقل الزيبق وان الهواء الذي يلاقي من تحتها الثقوب لصغرها لا يقوى على منعه من النزول كما لا يتم ذلك في الماء موقوف على التجربة فاما ما جربناه فتكلم على العلة المفرقة بين الزيبق والماء الذي يجب ان يعتمد في نقض الاستدلال من القايلين بذلك في الماء والسحارة ان يقال لهم ما انكرتم ان يكون الله تعالى اجرى العادة بان جعل في الماء الملاء والوقوف

اي الزيبق

مع سد راسها فلا ينزل من اسفلها واذا فتحنا راسها لم يفعل ذلك السكون بجري الماء منها من الثقوب
وليس ينبغي ان ينكر اصحابنا خاصة ان يكون هذا بالعادة ونحن كلنا نقول ان انجذاب الحديد الى
حجر المغناطيس انما هو بالعادة والا فالمغناطيس وسائر الاحجار سواء وان العادة وقع الشبع عند
تناول الخبز واللحم وان يقع عند غيرهما والجنس واحد وما نقول جماعتنا انه بالعادة اكثر من ان يحصى
واذا انكر الفلاسفة الملحدون تعليقنا ذلك بالعادة لجهلهم بالصانع دللناهم على الاصل الذي جهلوه
ضعف ما نقوله في نفوسهم فبثبوته يسهل ذلك كله فاذا قيل لنا فما طريقه العادة يجوز فيه الاختلاف
فجوزوا ان تكون القحاف في بعض البلاد التي لا تتصل بنا اخبارها يسيل الماء من اسفلها مع سد راسها
ولا يسيل مع فتحها قلنا نحن نجوز ذلك لانا لا نمنع ان تختلف العادة فيه كما لا نمنع ان يستمر في كل بلد عند
كل احد ولا يخرج هذا الحكم مع استمراره من ان يكون مستندا الى العادة الا ترى ان القاطعين على

وقوع العلم الضروري بخبر الاخبار اذا كان العدد زائدا على اربعة واستيفاء باقي الشروط لا يجوزون ان
تختلف العادات في ذلك بل يقطعون على ان العادة مستمرة بذلك في كل موضع فاذا قيل لهم كيف يتم
قلنا ذلك وهو مستند مع الاستمرار من الوجوب فان المستند الى العادة لا بد ان يختلف على بعض الوجوه قلنا
بل ذلك الاختلاف لواجب ويتميز عنه والخبر الذي يجب عنده حصول العلم الضروري قد يقع مثله ومن
جنسه مع اختلال بعض هذه الشروط فلا يجب العلم فلو كان هناك ايجاب لوجب العلم على كل حال وهذا
بعينه قائم في القحاف لان الثقوب لو وجبت لسال الماء على كل حال ولو كانت هناك طبيعة موجبة
لوقوف الماء لم تختلف الحال على بعض الوجوه وبعد فان علة ابي هاشم في وقوف الماء من القحاف
عن السيلان ان كنا قد بينا بطلانها لا تجري في القدح المعروف بقدح العدل وهو قدح في وسطه
برج مجوف يبلغ ارتفاعا الى قريب من اعلاه وهذا البرج نافذ من جهة اسفله وعلى راس هذا البرج
في وسط القدح كالغشاء يحيط به من جوانبه على تجاف عنه وهو من اعلاه مسدود وهو من اسفله
مفروج فاذا طرحنا في هذا القدح ماء فهو ثابت حتى يبلغ الى محاذاة راس البرج فاذا زدنا عليها ولو
بالشيء خرج جميع الماء من القدح بان ينصب من اسفل القدح الى راس البرج حتى ينزل جميعه واصحاب
الخلاء يدعون ان العلة في صعود الماء الى فوق راس ذلك هو اضطرار الخلاء ومتى لا يخلو مكان من متمكن
فبين فما العلة في صعود الماء ثم هبوطه على مذهب ابي هاشم وما يعلل في القحاف لا يتاتى هاهنا وليس بعد
ذلك الا اسناده الى العادة وجريها والله ولي التوفيق مسألة سئل رضي الله عنه عن الفرق
بين الالثغ والاليغ فقال الالثغ الذي يكون في لسانه ردة في حرف بعينه كالطاء والسين وما
اشبههما من الحروف والاليغ الذي يكون في لسانه في سائر الحروف ردة مسألة وسئل رضي الله عنه عن
قول النبي صلى الله عليه وآله اعلمكم بنفسه اعلمكم بربه ما معنى هذا الخبر واحدنا اذا كان عالما

ينبغي ... وهو خزف ... يعمل من ... الى الارض

باحوال نفسه وصفاته فلا بد ان يكون عالما باحوال من جعله على هذه الصفات وصيره بهذه الاحوال
والاحكام لان من علم الفرع لا بد ان يكون عالما باصله الذي يستند اليه ويتفرع عليه واذا دخل التزايد
في العلم وكان بالفرع اعلم فهو بالاصل اعلم وشرح هذه الجملة ان من علم نفسه انه محدث مصنوع مخلوق
مربوب قادر عالم حي فلا بد من ان يكون عالما بمن جعله على هذه الصفات وصيره بهذه الاحوال
والاحكام ولولاه جل اسمه لم يكن على شيء منها فالتزايد والتفاضل في احد الامرين يقتضي التزايد والتفاضل
في الاخر ولا يلزم على هذه الجملة ان احدنا قد يعلم نفسه موجودا وان لم يكن بالله تعالى عارفا وهو جل عز
الذي اوجده ولولاه لم يكن موجودا الا ترى ان الدهرية يعلمون العالم وما فيه موجودا وان لم يعلموا ان له
موجدا وكذلك قد يعلم احدنا كونه قادرا عالما حيا وان لم يعلم من جعله على هذه الاحوال وذلك
انا اذا ادخلنا لفظة افعل فقلنا من كان اعلم بنفسه كان اعلم بربه ومن علم نفسه موجودا ولم يعلم موجده
وهذا القول ليس باعلم بنفسه وان قيل هو عالم ولفظة المبالغة تقتضي انه لا يمتنع فيمن علم قطعة من النحو ان
نقول انه عالم بالنحو الا اذا كان مستوليا على جميع علومه لا يذهب عليه شيء منها وليس يمتنع ان نعكس لفظ — ولا نقول انه اعلم بالنحو
هذا الخبر فنقول اعلمكم بربه اعلمكم بنفسه لانه من كان بالله اعلم فلا بد من ان يكون عالما بانه خالقنا
ورازقنا ومحيينا ومميتنا والجاعل لنا على هذه الاحوال والصفات من حيث تعلق كل واحد من الامرين
بصاحبه جاز ان يجعل كل واحد من الامرين تارة فرعا وتارة اصلا مسألة وسئل رضي الله عنه عن
قوله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم وهل يوجب قوله واختلاف
السنتكم ان يكون كلامنا على ظاهر الآية خلقا له تعالى فقال الجواب عن هذه الشبهة ثلاثة اجوبة منها ان معنى اختلاف
السنتكم اي اختلاف لغاتكم في اللسان والاشكال ومنها اختلاف مخارج من السنتكم ككلام الالثغ والاليغ
والارت والتمتام ونحوهم ومنها اختلاف في خلقتها واشكالها وصبغها كالطويل منها والقصير والعريض
والدقيق والله تعالى الموفق للصواب مسألة قال رضي الله عنه قد طعن من لا تامل له على استدلالنا
على ان الافعال الظاهرة منا من قيام وقعود واكل وشرب وما جرى مجرى ذلك متعلقة بنا وحادثة
اي استمرار — من جهتنا بوجوب وقوعها بحسب قصودنا واحوالنا ودواعينا بان قال كيف يجوز ان تدعوا العلم
الحدوث — الضروري بوجوب وقوع افعالكم بحسب احوالكم وانما تشيرون بالوقوع الى الحدوث واذا كان حدوث
هذه الافعال لا يعلم ضرورة وانما نعلم بدقيق الاستدلال والنظر فكيف يجوز ان تعلموا احكام الذات
ضرورة وانتم تعلمون تلك الذات بدليل والعلم بالذات اصل للعلم بالاحكام ولا يجوز ان يكون
العلم بالاصل مستدلا عليه والعلم بالفرع ضروريا والجواب عن ذلك ان الوجوب والجواز حكم
الاحوال الموجبة عن الافعال التي هي ذوات حادثة ونحن نعلم كون الجسم متنقلا او كائنا في جهة من
الجهات ضرورة وان كنا لا نعلم الكون الذي فيه الا بدلالة والوجوب حكم لكونه كائنا وليس بحكم

[illegible]

للكون الذي هو الذات فما علمنا على هذا التقرير الاصل والفرع الا ضرورة وهذان العلمان منفصلان عن العلم بالذات الذي يحتاج فيه الى الدلالة الا ترى ان الشيوخ نصوا في كتبهم على ان المدرك منا الجوهر يعلم ضرورة عند الادراك كونه متحيزا وكونه في جهة مخصوصة وكونه موجودا او نصوا على ان هذه العلوم ضرورية واقعة عند الادراك وان كان الادراك لا يتناول الا كونه متحيزا دون ما عدا هذه الصفة فكيف يشكل هذا الذي ذكرناه ومعلوم ان نفاة الاعراض من الموحدين والملحدين يعلمون كون الجسم متحركا او ساكنا وقريبا او بعيدا ضرورة ويعلمون كون احدنا قائما او قاعدا او اكلا او شاربا كما يعلمه غيرهم ويعلمون ما هو واجب من هذه الاحوال او واجب في الموضع الذي يجب فيه او يجوز ضرورة وان كانوا لا يثبتون المعاني التي هي الاعراض ولا يعرفونها فكيف يشكل على متامل ان الاحكام التي اشرنا اليها وادعينا وجوبها انما هي عن الوجود ليست احكاما للمعاني التي لا تعلم الا بالادلة وانما هي احكام للاحوال ومن حمل على نفسه ان يخالف في وجوب ما ذكرناه دافع للضرورة لان العلم بما ذكرناه من الضروريات والفرق بين وجوب كون احدنا اكلا وقد اشتد جوعه وارتفعت الموانع عنه وهو صحيح سليم وبين وجوب الكلام اذا جاء غيره معلوم ضرورة واخرها يبتدئه العقل واذا كان الفرق الذي ذكرناه معلوما ثبت ما هو مستند اليه من الوجوب عند قوة الدواعي وخلوصها والمعاد على هذه الطريقة بوجوب الشبع عند الاكل والسكر عند شرب الخمر وما جرى مجرى ذلك غير صحيح لانه لا وجوب في سائر ما ذكرناه الا ترى ان في الناس من يشبع باللقمة وفيهم من لا يشبع باكل العجينة وكذلك في السكر والري ولما استند ذلك الى العادة جاز ان يختلف بالاشخاص والاحوال ولما استند ما ذكرناه من الوجوب الى غير العادة كان مستمرا في كل شخص وعلى كل حال وعلى كل وجه وسبب فان وجد الامرين من الاخر هيئة مسئلة في تفضيل الانبياء على الملئكة عليهم السلام الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد واله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما اعلم انه لا طريق من جهة العقل الى القطع بفضل مكلف على اخر لان الفضل المرعي في هذا الباب هو زيادة استحقاق الثواب ولا سبيل الى معرفة مقادير الثواب من ظواهر فعل الطاعات لان الطاعتين قد تتساويان في ظاهر الامر حالهما وان زاد ثواب واحدة على الاخرى زيادة عظيمة واذا لم يكن للعقل في ذلك مجال فالمرجع فيه الى السمع فان دل سمع مقطوع به من ذلك على شيء عول عليه والا كان الواجب التوقف عنه والشك فيه وليس في القران ولا في سمع مقطوع على صحته ما يدل على فضل نبي على ملك ولا ملك على نبي وسنبين ان اية واحدة مما يتعلق به في تفضيل الانبياء على الملائكة عليهم السلام يمكن ان يستدل بها على ضرب من الترتيب نذكره والمعتمد في القطع على ان الانبياء افضل من الملائكة عليهم السلام على اجماع الشيعة الامامية على ذلك لانهم لا يختلفون فيه بل يزيدون على ذلك ويذهبون الى ان الائمة افضل من الملائكة عليهم اجمعين

العجينة قدر ما يعجز في

السلام

السلام واجماعهم حجة لان المعصوم في جملتهم وقد بينا في مواضع من كتبنا كيفية الاستدلال بهذا الطريق وبيناه واجبنا عن كل سؤال يسال عنه فيها وبينا كيف الطريق مع غيبة الامام الى العلم بمذاهبه واقواله وشرحنا ذلك فلا معنى للتشاغل به هاهنا ويمكن ان يستدل على ذلك بامره تعالى للملائكة بالسجود لادم عليه السلام وانه يقتضي تعظيمه عليهم وتقديمه واكرامه واذا كان المفضول لا يجوز تعظيمه وتقديمه على الفاضل علمنا ان ادم عليه السلام افضل من الملائكة وذهب الى ان جميع الانبياء عليهم افضل من جميع الملائكة لا احد من الامة فصل بين الامرين فان قيل ومن اين انه امرهم بالسجود على جهة التعظيم قلنا لا يخلو تعبده بالسجود له من ان يكون على سبيل القبلة والجهة من غير ان يقترن به تعظيم وتقديم او يكون على ما ذكرناه فان كان الاول لم يجز انفة ابليس من السجود وتكبره عنه وقوله ارايتك هذا الذي كرمت علي وقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والقران كله ناطق بان امتناع ابليس من السجود انما هو لاعتقاده التفضيل به والتكرمة فلو لم يكن الامر على هذا لوجب ان يرده الله تعالى عنه ويعلمه انه ما امره بالسجود على وجه تعظيمه له ولا تفضيله بل على الوجه الاخر الذي لا حظ للتفضيل فيه وما جاز اغفال ذلك وهو سبب معصية ابليس وضلالته فلما لم يقع ذلك دل على ان الامر بالسجود لم يكن الا على جهة التفضيل والتعظيم وكيف يقع شك في ان الامر على ما ذكرناه وكل نبي اراد تعظيم ادم عليه السلام ووصفه بما يقتضي الفخر والشرف نعته باسجاد الملائكة له وجعل ذلك من اعظم فضائله وهذا مما لا شبهة فيه واما اعتماد بعض اصحابنا في تفضيل الانبياء عليهم السلام اكثر واوفر من حيث كانت لهم شهوات في القبائح ونفار عن الواجبات فليس بمعتمد لانا نقطع على ان مشاق الانبياء اعظم من مشاق الملائكة في التكليف والشك في مثل ذلك واجب وليس كل شيء لم يظهر لنا ثبوته وجب القطع على نفيه ونحن نعلم على الجملة ان الملائكة اذا كانوا مكلفين فلا بد من ان تكون عليهم مشاق في تكليفهم لولا ذلك ما استحقوا ثوابا على طاعاتهم والتكليف انما يحسن في كل مكلف تعريضا للثواب ولا يكون التكليف شاقا عليهم الا ويكون لهم شهوات فيما حظر عليهم ونفار عما اوجب واذا كان الامر على هذا فمن اين ان مشاق الانبياء عليهم السلام اكثر من مشاق الملائكة واذا كانت المشقة عامة لتكليف الامة ولا طريق الى القطع على زيادتها في تكليف بعض ونقصانها في تكليف اخرين فالواجب التوقف والشك ونحن الان نذكر شبهة من فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام ونتكلم عليها بعون الله فما تعلقوا به في ذلك قوله تعالى حكاية عن ابليس ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين فرغبهما في التناول من الشجرة في منزلة الملائكة حتى تناولا وعصيا وليس يجوز ان يرغب عاقل في ان يكون على منزلة هي دون منزلته حتى يحمله ذلك على خلاف الله تعالى ومعصيته وهذا يقتضي فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وتعلقوا ايضا بقوله

والتعظيم

على الملئكة

الجماعة

تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون فاخبر ذكر الملائكة في مثل هذا
الخطاب يقتضي تفضيلهم لان العادة انما جرت بان يقال لن يستنكف الوزير ان يفعل هذا
ولا الخليفة فيقدم الادون ويؤخر الاعظم ولم تجر بان يقال لن يستنكف الامير ان يفعل كذا
ولا الحارس وهذا يقتضي تفضيل الملائكة عليهم السلام وتعلقوا بقوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم
وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا قالوا فليس
بعد بني آدم مخلوق يستعمل في الخبر عنه لفظة من التي لا تستعمل الا في العقلاء الا الجن والملائكة
ولما لم يقل وفضلناهم على من بل قال على كثير ممن خلقنا علم انه انما اخرج الملائكة عن تفضيل بني آدم
عليه لانه لا خلاف في ان بني آدم افضل من الجن واذا كان وضع الخطاب يقتضي مخلوقا لم يفضل بنو آدم
عليه فلا شبهة في انهم الملائكة وتعلقوا بقوله تعالى ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم
الغيب ولا اقول اني ملك فلولا ان حال الملائكة افضل من حال النبي لما قال ذلك فيقال لهم
فيما تعلقوا به اولا لم زعمتم ان قوله تعالى الا ان تكونا ملكين معناه ان تصيرا او تنقلبا الى صفة
الملائكة فان هذه اللفظة ليست صريحة لما ذكرتم بل احسن الاحوال ان تكون محتملة له وما انكرتم
ان يكون المعنى ان المنهي عن تناول الشجرة غيركما وان النهي يختص الملائكة والخالدين دونكما ويجري
ذلك مجرى قول احدنا لغيره ما نهيت عن كذا الا ان تكون فلانا وانما يعني ان المنهي هو فلان
دونك ولم يرد الا ان تنقلب فتصير فلانا ولما كان غرض ابليس ايقاع الشبهة لهما فمن اوكد
الشبه ايهامهما انهما لم ينهيا وانما المنهي غيرهما ومن وكيد ما تقيد به هذه الشبهة ان يقال ما انكرتم
ان يكونا رغبا في ان ينقلبا الى صفة الملائكة وخلقهم كما رغبهما ابليس في ذلك ولا تدل هذه الرغبة
على ان الملائكة افضل منهما لانه ربما انتقل الى خلقة غيره لا ينقلب ولا يتغير بانقلاب الصورة والخلق فان
الثواب يستحق على الاعمال دون الهيئات فغير ممتنع ان يكونا رغبا في ان يصيرا على هيئة الملائكة وصورها
وليس ذلك برغبة في الثواب ولا الفضل فان الثواب لا يتبع الهيئات والصور الا ترى انهما رغبا في
ان يكونا من الخالدين وليس للخلود ما يقتضي مزية في ثواب ولا فضل وانما هو نفع عاجل فكذلك
لا يمتنع ان يكون الرغبة منهما في ان يصيرا ملكين انما كانت على هذا الوجه ويمكن ان يقال للمعتزلة خاصة
وكل من اجاز على الانبياء الصغائر ما انكرتم ان يكونا اعتقدا ان الملك افضل من النبي وغلطا في
ذلك وكان منهما ذنبا صغيرا لان الصغائر عندكم يجوز على الانبياء فما انكرتم اذا اعتقدا ان الملائكة
افضل من الانبياء ورغبا في تلك المنزلة على ما اعتقداه مع تجويزكم عليهم الذنوب ليس لكم ان
يقولوا ان الصغائر انما تدخل في افعال الجوارح دون القلوب لان ذلك تحكم بغير برهان وليس يمتنع على
اصولهم ان تدخل الصغائر في افعال القلوب والجوارح معا لان حد الصغير عندهم ما نقص عقابه

عن ثواب

عن ثواب طاعات فاعله وليس يتبع معنى هذا الحد في افعال القلوب كما لا يمتنع في افعال الجوارح ويقال
لهم فيما تعلقوا به ثانيا ما انكرتم ان يكون هذا القول انما توجه الى قوم اعتقدوا ان الملائكة افضل
من الانبياء فاخرج الكلام على حسب اعتقادهم واخر ذكر الملائكة لذلك ويجري هذا القول مجرى قول
من قال منا لغيره لن يستنكف ابي ان يفعل كذا ولا ابوك وان كان القائل يعتقد ان اباه افضل وانما
اخرج الكلام على حسب اعتقاد المخاطب لا المخاطب انما يجوز ان يقال ايضا انه لا تفاوت في الفضل بين الانبياء
والملائكة وان ذهبنا الى ان الانبياء افضل منهم ومع التقارب والتداني يحسن ان يؤخر ذكر الافضل
الذي لا تفاوت بينه وبين غيره في الفضل وانما مع التفاوت والتباين لا يحسن ذلك الا ترى انه
يحسن ان يقول القائل ما يستنكف الامير فلان من كذا ولا الامير فلان من كذا وان كان متفاوتين
متناظرين او متقاربين ولا يحسن ان يقول ما يستنكف الامير من كذا ولا الحارس لاجل التفاوت
واقوى من هذا ان يقال انما اخر ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لان جميع الملائكة اكثر ثوابا لا محالة
من المسيح منفردا وهذا لا يقتضي ان كل واحد منهم افضل من المسيح عليه السلام وانما الخلاف في ذلك
ويقال لهم فيما تعلقوا به ثالثا ما انكرتم ان يكون المراد بقوله تعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا انا
فضلناهم على من خلقنا وهم كثير ولم يرد التبعيض ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا معناه
لا تشتروا بها ثمنا قليلا وكل ثمن تاخذونه عنها قليل ولم يرد التخصيص والمنع من الثمن القليل خاصة ومثله
قول الشاعر من اناس ليس في اخلاقهم ... عاجل الفحش ولا سوء الجزع ... وانما اراد نفي الفحش كله
عن اخلاقهم وان وصفه بانه عاجل ونفي الجزع عنها وان وصفه بالسوء وهذا من غريب البلاغة وقد
ونظايره في الشعر والكلام الفصيح اكثر من ان تحصى وقد كنا املينا في تاويل هذه الاية كلاما مفردا استقصينا
وشرحنا هذا الوجه واكثرنا من ذكر امثلته ووجها اخر في تاويل هذه الاية وهو انه غير ممتنع ان
يكون جميع الملائكة افضل من جميع بني آدم وان كان في جملة بني آدم من الانبياء عليهم السلام من يفضل كل
واحد منهم على كل واحد من الملائكة لان الخلاف انما هو في تفضيل كل نبي آدم على كل ملك وغير ممتنع
ان يكون جميع الملائكة فضلا ليستحق كل واحد منهم الجمع بل الاكثر من الثواب فيزيد ثواب جميعهم على
ثواب جميع بني آدم لان الافاضل من بني آدم اقل عددا وان كان في بني آدم احاد كل واحد منهم افضل
من كل واحد من الملائكة ووجه اخر وهو مما يمكن ان يقال في هذه الاية ايضا ان مفهوم الاية اذا تؤملت يقتضي
انه تعالى لم يرد الفضل الذي هو زيادة الثواب وانما اراد النعم والمنافع الدنيا وبين الا ترى الى قوله تعالى ولقد
كرمنا بني آدم والكرامة انما هي الترفيه وما يجري مجراه ثم قال وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
ولا شبهة في ان الحمل لهم في البر والبحر ورزق الطيبات خارج مما يستحق به الثواب ويقتضي التفضيل الذي
وقع الخلاف فيه فيجب ان يكون ما عطف عليه من التفضيل داخلا في هذا الباب وفي هذا القبيل فاشبه

من ان يكون المراد به غير ما تشتبه الآية وذلك يسقط علينا اقل الاحوال ان تكون اللفظة محتملة
للامرين فلا يجوز الاستدلال بها على خلاف ما نذهب اليه ويقال لهم فيما تعلقوا به رابعا الادلة التي
هذه الاية على ان حال الملائكة افضل من حال الانبياء لان الغرض في الكلام انما هو نفي ما لم يكن عليه
لا التفضيل لذلك على ما هو عليه الا ترى ان احدنا لو ظن انه على صفة الملائكة وهو ليس عليها جاز
ان ينفيها عن نفسه بمثل هذا اللفظ وان كان على احوال هي افضل من تلك الحال وارفع وليس يجب
انتفى مما تبرأ منه من علم الغيب وكون خزائن الله تعالى عنده ان يكون فيه فضل ان يكون ذلك معتمدا
في كل ما يقع النفي له فالتبرؤ منه واذا لم يكن ملكا ولم يكن عنده خزائن الله تعالى جاز ان ينتفي من
الامرين من غير ملاحظة لان حاله دون هاتين الحالتين ومما يوضح هذا ويزيل الاشكال فيه ان تعالى
حكى عنه قوله في هذه السورة ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ونحن نعلم ان هذه منزلة
غير جليلة وهو على كل حال ارفع منها واعلى فما المنكر ان يكون نفي الملائكة عنه في انه لا يقتضي انها
دون حال الملائكة بمنزلة نفي هذه المنزلة والتعلق بهذه الآية ضعيف جدا وفيما اوردناه كفاية بتاويله

تفسير البيت الذي ذكره السيد بن محمد الحميري في قصيدته المذهبية وهو ردت عليه الشمس لما فاته وقت الصلوة وقد دنت للمغرب؛

قال رضي الله عنه هذا خبر عن رد الشمس له عليه السلام
في حياة النبي صلى الله عليه وآله لانه روي ان النبي صلى الله عليه وآله كان نائما ورأسه في حجر امير المؤمنين
عليه السلام فلما حان وقت صلوة العصر كره ان ينهض لادائها فيزعج النبي صلى الله عليه وآله من نومه
فلما مضى وقتها وانتبه النبي عليه السلام دعا الله تعالى بردها له فردها فصلى عليه السلام الصلوة في وقتها
فان قيل هذا يقتضي ان يكون عليه السلام عاصيا بترك الصلوة قلنا عنه جوابان احدهما ان ازعاج النبي عليه السلام
ورؤيته لا يمكن ان يكون عذرا في ترك الصلوة فان جعل الاعذار في ترك جميع افعال الصلاة لا
تكون الا بفقد العقل والتمييز كالنوم والاغماء وما شاكلهما ولم يكن عليه السلام في تلك الحال بهذه الصفة
فاما الاعذار التي يكون معها العقل والتمييز ثابتين كالزمانة والرباط والقيد والمرض الشديد
واشتداد القتال فانما يكون عذرا في استيفاء افعال الصلاة وليس بعذر في تركها اصلا فان
كل معذور ممن ذكرناه يصليها على حسب طاقته ولو بالايماء قلنا غير منكر ان يكون عليه السلام صلى
مؤميا وهو جالس لما تعذر عليه القيام اشفاقا من ازعاج النبي صلى الله عليه وآله فعلى هذا تكون
فائدة رد الشمس ليصلي مستوفيا لافعال الصلوة وليكون ايضا فضيلة له ودلالة على علو شانه والجواب
الاخر ان الصلاة لم تفته بمضي جميع وقتها وانما فاته ما فيه الفضل والمزية من اول وقتها ويقوي هذا
الوجه شيئان احدهما الرواية الاخرى لان فيها حين تقوم تصريح في ان الفوت لم يقع وانما قارب
وكاد والامر الاخر قوله وقد دنت للغروب يعني الشمس وهذا ايضا يقتضي انها لم تغرب بل انما دنت

للغروب

الغروب فان قيل اذا كانت لم تفته فاي معنى للدعاء بردها حتى يصلي في الوقت وهو قد يصلي فيه
قلنا الفائدة في ردها ليدرك فضيلة الصلوة في اول وقتها ثم ليكون ذلك دلالة على علو محله
وجلالة قدره في خرق العادة من اجله فان قيل اذا كان النبي صلى الله عليه وآله هو الداعي بردها فالة
فان العادة انخرقت للنبي عليه السلام لا لغيره قلنا اذا كان النبي عليه السلام انما دعا بردها لاجل امير المؤمنين
عليه السلام وليدرك ما فاته من فضل الصلوة فخرق العادة والفضيلة به منقسم بينهما عليهما
السلام فان قيل كيف يصح رد الشمس واصحاب الهيئة والفلك يقولون ان ذلك محال لا تتأتى ردة
وعندهم انه لو جاز على هذا الفلك السكون البتة لو ردت الشمس من وقت الغروب الى وقت الزوال لكان
يجب ان يعلم اهل الشرق والغرب بذلك لانها تبطئ في الطلوع على بعض البلاد فيطول ليلهم على وجه
خلاف العادة ويمتد من نهار قوم اخرين ما لم يكن ممتدا ولا يجوز ان يخفى على اهل البلاد غروبها ثم
عودها طالعة بعد الغروب وكانت الاخبار تنتشر بذلك ويؤرخ هذا الحادث العظيم في التواريخ
ويكون ابهر واعظم من الطوفان قلنا قد دلت الادلة الصحيحة الواضحة على ان الفلك وما فيه من
شمس وقمر ونجوم غير متحرك لنفسه ولا بطبيعته على ما يهذي به القوم وان الله تعالى هو المحرك له والمصرف باختياره
وقد استقصينا الحجج على ذلك في كثير من كتبنا وليس هذا موضع ذكرها فاما علم اهل الشرق والغرب استوفيناه
والسهل والجبل بذلك فانما يضيق السؤال فيه واجب لانا لا نحتاج الى القول بانها ردت من وقت علمه
الغروب الى وقت الزوال وما يقاربه على ما تضمنه السؤال بل نقول ان وقت الفضل في صلاة
العصر هو ما يلي الانصراف من اداء المصلي فرض الظهر اربع ركعات عقيب الزوال وكل زمان وان
قصر فالجائز هذا الوقت فذلك الفضل فائت فيه واذا ردت الشمس لهذا القدر اليسير لكن
نغرض ان مقدار ما يؤدى فيه ركعة واحدة خفي على اهل الشرق والغرب وستر واستبهر لما هو ما يجري
ان يخفى على من حضر الحال وشاهدها ان لم يتهيأ النظر والتنبه عنها فبطل السؤال على جوابنا الثاني
المبني على فوت الفضيلة فاما الجواب الاخر المبني على انها كانت قد غربت بها للعذر الذي
ذكرناه فالسؤال ايضا باطل عنه لانه ليس بين مغيب جميع قرص الشمس في الزمان وبين مغيب بعضها وظهور
بعضها الا زمان يسير وقصير يخفى فيه رجوع الشمس بعد مغيب جميع قرصها الى الظهور بعضها على كل قريب وبعيد
ولا يخطر له ان لم يعرف سبب ذلك على وجه خارق للعادة ومن فطن بان الشمس غابت ثم عادت
لعله يجوز ان يكون ذلك لغيم او حائل

تفسير قول السيد في هذه القصيدة ايضا؛ وعليه قد حبست ببابل مرة؛ اخرى وما حبست لخلق معرب؛

هذا البيت يتضمن الاخبار عن رد الشمس ببابل على
امير المؤمنين عليه السلام والرواية بذلك مشهورة وانه عليه السلام لما فاته وقت العصر ردت له
الشمس حتى صلاها في وقتها وخرق العادة ههنا لا يمكن نسبته الى غيره عليه السلام كما امكن ذلك في

ايام النبي عليه السلام والصحيح في فوت الصلوة فيهما احد الوجهين اللذين تقدم ذكرهما في ذلك العصر
على عهد النبي صلى الله عليه وآله وهو ان فضيلة اول الوقت فاتته لضرب من الشغل فردت عليه
الشمس ليدرك الفضيلة بالصلاة في اول الوقت وقد بينا هذا الوجه في تفسير البيت الذي اوله ردت
عليه الشمس لما فاته فاما من يدعي ان ذلك كان يجب ان يعم الخلق في الآفاق معرفته حتى يذكروه
ويؤرخوه فاما من ادعى ان الصلاة فاتته بان تقضى جميع وقتها اما لتشاغله بتعبئة عسكر او
لان بابل ارض خسف لا تجوز الصلوة عليها فقد ابطل لان الشغل بتعبئة العسكر لا يكون عذرا
في فوت صلاة فريضة وامير المؤمنين عليه السلام اجل قدرا واثخن دينا من ان يكون ذلك
عذرا له في فوت فريضة واما ارض الخسف فانما تكره الصلاة فيها مع الاختيار فاذا لم يتمكن
المصلي من الصلاة في غيرها وخاف فوت الوقت وجب ان يصلي فيها وتزول الكراهية فاما قول
الشاعر وعليه قد حبست ببابل فالمراد بحبست ردت وانما كره ان يعيد لفظة ردت لانها قد
تقدمت فان قيل حبست بمعنى وقفت ومعناه يخالف معنى ردت قلنا المعنيان ههنا واحد
لان الشمس اذا ردت الى الموضع الذي تجاوزته فقد حبست عن السير المعهود وقطع الاماكن المالوف
واما المعرب فهو الناطق الفصيح يقال اعرب فلان عن كذا اذا ابان عنه مسئلة ان سأل سائل حماه الله
عن قول ما يقال لمن يدعي عندنا قيام الدليل على حدث الجسم والجوهر والعرض شيئا ليس بجسم ولا جوهر
ولا عرض احدث الله تعالى الاشياء منه وما الذي يفسد دعواه غير المطالبة له بالدلالة على صحتها
الجواب اول ما نقوله في هذا الباب ان احداث شيء من شيء غيره كلام محال ظاهر الفساد لان
المحدث على الحقيقة هو الموجود بعد ان كان معدوما واذا فرضنا انه احدث من غيره فقد جعلناه
موجودا في ذلك الغير فلا يكون محدثا في الحقيقة ولا موجودا بعد عدم حقيقي فكانا قلنا انه محدث
وليس بمحدث وهذا متناقض على ان الجواهر والاجسام انما حكمنا بحدثها لانها لم تخل من الاعراض ولم
تتقدم في الوجود عليها وما لم يتقدم المحدث فهو محدث مثله واذا كانت الاعراض التي دللنا
بحدوثها على حدوث الاجسام والجواهر محدثة لا من شيء ولا عن هيولى على ما تتوهمه الفلاسفة
فيجب ان تكون الجواهر والاجسام ايضا محدثة على هذا الوجه لانا اذا اوجبنا ان يساوي ما لم يتقدم
المحدث في حدوثه وجب ايضا ان يساويه في كيفية حدوثه على انا قد بينا ان ما احدث من غيره
ليس بمحدث في الحقيقة والعرض محدث على الحقيقة فيجب فيما لم يتقدمه في الوجود ان يكون محدثا
على الحقيقة ايضا وما ذكروه ان من احدث صنما من طين او شمع صورة فهو غير محدث لها على الحقيقة وكيف
تكون كذلك وهي موجودة الاجزاء في الطين والشمع وانما احدث تصويرها وتركيبها والمعاني
المختصة فيها وهذا يقتضي ان الجواهر والاجسام على مذهب اصحاب الهيولى غير محدثة على الحقيقة وانما احدث

التصوير والتركيب واذا كان الدليل على حدث جميع الاجسام والجواهر قد دل بطل هذا المذهب
فاما الذي يدل على بطلان قول من اثبت شيئا موجودا ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض من غير جهة الحدث
انه لم يجمع دعواه وتعبيره معنى ذلك فهو انه لا حكم لذات موجودة ليست بجسم ولا جوهر ولا عرض يعقل
ويمكن الاشارة اليه وما لا حكم له من الذوات والصفات لا يجوز اثباته وما لا فرق بين اثباته ونفيه
وتجويز ذلك يؤدي الى الجهالات والى اثبات ما لا يتناهى من الذوات والصفات وقد بينا هذه
الطريقة في مواضع من كتبنا لا سيما في الكتاب الملخص في الاصول على انا نقول لمن اثبت الهيولى وادعى
انه اصل العالم والاجسام والجواهر منها احدثت لا تخلو هذه الذات التي تسمونها بالهيولى من
ان تكون موجودة او معدومة وقولنا ما نريد بالوجود ما تعنونه انتم بهذه اللفظة لان الموجود قد
يكون بالفعل ويكون بالقوة ويكون المعدوم عندكم موجودا بالقوة او في العلم وانما نريد بالوجود
هذا الذي نعقله ونعلمه ضرورة عند ادراك الذوات المدركات لان احدنا اذا ادرك الجسم
فهو يعلم ضرورة وجوده وثبوته وكذلك القول في الالوان وما عداها من المدركات فان
قالوا هي موجودة على ما بيناه قلنا فيجب ان تكون متحيزة لانها لو لم تكن بهذه الصفة فما حصل منها
التحيز الا ترى ان الاعراض لما لم تكن متحيزة لم يمكن ان يحدث منها التحيز واذا اقروا انها متحيزة فهي
من جنس الجواهر ويبطل القول بانها ليست بجوهر ويجب لها الحدوث لان دليل حدث الاجسام
يتناولها ويشتمل عليها فيبطل ايضا القول بقدمها ونفي حدوثها وان قالوا هي معدومة قلنا
اذا كانت معدومة على الحقيقة فانتم بين اثبات قدم لها ولا حدوث لان هاتين الصفتين
انما تتعاقبان على الموجود فكانكم تقولون ان الله تعالى جعل من هذه الهيولى المعدومة جواهر
واجساما موجودة وهذه موافقة في المعنى لاهل الحق القائلين بان الجواهر في العدم على صفة تقتضي
وجوب التحيز لها متى وجدت وان الله تعالى اذا اوجد هذه الجواهر وجب لها في الوجود التحيز الذي
عليه تقتضيه من الصفة في العدم الموجبة لذلك بشرط الوجود وانما الفاعل انما يؤثر في صفة الوجود
ولا تاثير له في الصفة التي كانت عليها الجواهر في العدم على ان هذه الطريقة اذا صاروا اليها يقتضي
ان اجناس الاعراض كلها هيولى لان الدليل قد دل على ان للسواد ولكل جنس من الاعراض صفة ثابتة
في حال العدم تقتضي كونه على الصفة التي يدرك عليها اذا كان مما يدرك في حال الوجود وان
الفاعل انما يؤثر في احداثه وايجاده دون الصفة التي كان عليها في حال العدم والقول في الاعراض
كالقول في الجواهر في هذه القضية ويجب ان يكون الجميع هيولى لان الطريقة واحدة وكلام هؤلاء ابدا غير
محصل ولا مفهوم وهم يدعون التحقيق والتحديد وما ابعدهم من ذلك مسئلة ان سأل فقال ما
حقيقة العصمة التي يعتقد وجوبها للانبياء والائمة عليهم السلام وهل هي معنى يضطر الى الطاعة ويمنع

من المعصية ومعنى يختار الاختيار فان كان معنى يضطر الى الطاعة ويمتنع من المعصية فكيف يجوز
الحمد والذم لفاعلها وان كان معنى يختار الاختيار فاذكروه ودلوا على صحة مطابقته لوجوب
اختصاص المذكورين به دون من سواهم فقد قال بعض المعتزلة ان الله عصم انبياءه بالشهادة لهم
بالاستعصام كما اضل قوما بفعل الشهادة عليهم بالضلال فان يكن ذلك هو المعتمد انعم بذكره ودل
على صحته وبطلان ما عساه يعلمه من الطعن عليه وان يكن باطلا دل على بطلانه وصحة الوجه المعتمد فيه
دون ما سواه الجواب اعلم ان العصمة هي اللطف الذي يفعله الله تعالى فيختار العبد عنده الامتناع
من فعل القبيح فيقال على هذا ان الله عصمه بان فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح ويقال
ان العبد معصوم لانه اختار عند هذا الداعي الذي فعل له الامتناع من القبيح واصل العصمة في موضوع
اللغة المنع يقال عصمت فلانا من السوء اذا منعت من حلوله به غير ان المتكلمين اجروا هذه اللفظة على
من امتنع باختياره عند اللطف الذي يفعله الله تعالى به لانه اذا فعل به ما يعلم انه يمتنع عنده من فعل
القبيح فقد منعه من القبيح فاجروا عليه لفظة المانع قهرا وقسرا واهل اللغة يتعارفون ذلك ايضا ويستعملونه
لانهم يقولون فيمن اشار على غيره برأي فقبله منه مختارا واحتمى بذلك من ضرر يلحقه وسوء يناله
انه حماه من ذلك الضرر ومنعه وعصمه منه وان كان ذلك على سبيل الاختيار فان قيل افتقولون
فيمن لطف له بما اختار عنده الامتناع من فعل واحد قبيح انه معصوم قلنا نقول ذلك مضافا ولا نطلقه
فنقول انه معصوم من كذا ولا نطلق فيوهم انه معصوم من جميع القبائح ونطلق في الانبياء والائمة عليهم
العصمة بلا تقييد لانهم عندنا لا يفعلون شيئا من القبائح بخلاف ما يقوله المعتزلة من نفي الكبائر
عنهم دون الصغائر فان قيل فاذا كان تفسير العصمة ما ذكرتم فالا عصم الله تعالى جميع المكلفين وفعل
بهم ما يختارون عنده الامتناع من القبائح قلنا كل من علم الله تعالى ان له لطفا يختار عنده الامتناع
من القبائح فانه لا بد ان يفعل به وان لم يكن نبيا ولا اماما لان التكليف يقتضي فعل اللطف على ما دل
عليه في مواضع كثيرة غير انه لا يمتنع ان يكون في المكلفين من ليس في المعلوم ان شيئا متى فعل اختار
عنده الامتناع من القبيح فيكون هذا المكلف لا عصمة له في المعلوم ولا لطف وتكليف من لا لطف له
يحسن ولا يقبح وانما القبيح منع اللطف فيمن له لطف مع ثبوت التكليف فاما قول بعضهم ان العصمة هي
الشهادة من الله تعالى بالاستعصام فباطل لان الشهادة لا تجعل الشيء على ما هو به وانما تتعلق به
على ما هو عليه لان الشهادة هي الخبر والخبر عن كون الشيء لا يؤثر في كونه عليها فيحتاج اولا الى ان يتقدم
لنا العلم بان زيدا معصوم او معتصم ويوضح عن معنى ذلك ثم تكون الشهادة من بعد مطابقة لهذا
العلم وهذا بمنزلة من سئل عن حد المتحرك فقال هو المشهود بانه متحرك والمعلوم انه على هذه التفسير
وفي هذا الباب كفاية لمن تامله مسئلة ما القول في الاخبار الواردة في عدة كتب من الاصول والفروع

مدح

مدح اجناس من الطير والبهائم والماكولات والارضين وذم اجناس منها كمدح الحمام والبلبل والقبر
والحجل والدراج وما شاكل ذلك من تسبيحات الطير وذم الفواخت والرخم وما يحكى من ان كل
جنس من هذه الاجناس المحمودة ينطق بثناء على الله تعالى وعلى اوليائه ودعاء لهم ودعاء على اعدائهم
وان كل جنس من هذه الاجناس المذمومة ينطق بضد ذلك من ذم الاولياء عليهم السلام وكذم
الجري وما شاكله من السمك ما نطق به الجري من انه مسخ بجحده الولاية وورود الاثار بتحريم لذلك
وكذم الدب والقرد والفيل وسائر المسوخ المحرمة وكذم البطيخة التي كسرها امير المؤمنين عليه السلام
فصادفها مرة فقال من النار الى النار ودحا بها من يده ففار من الموضع الذي سقطت فيه دخان
وكذم الارضين السبخة والقول بانها جحدت الولاية ايضا وقد جاء في هذا المعنى ما يطول شرحه
وظاهره مناف لما تدل العقول عليه من كون هذه الاجناس مفارقة للقبيل الذي يجوز تكليفه وتوجه
امره ونهيه وفي هذه الاخبار التي اشرنا اليها ان بعض هذه الاجناس يعتقد الحق ويدين به وبعضها
يخالفه وهذا كله مناف لظاهر ما العقلاء عليه ومنها ما يشهد ان لهذه الاجناس منطقا مفهوما
والفاظا تفيد اغراضا وانها بمنزلة الاعجمي والعربي اللذين لا يفهم احدهما صاحبه وان شاهد ذلك
من قول الله سبحانه فيما حكاه عن سليمان عليه السلام يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل
شيء ان هذا لهو الفضل المبين وكلام النملة ايضا فيما حكاه سبحانه وكلام الهدهد واحتجاجه وجوابه
وفيما انعم بذكر ما عنده في ذلك مثابا ان شاء الله الجواب وبالله التوفيق اعلم ان المعول فيما يعتقد
على ما تدل الادلة عليه من نفي واثبات فاذا دلت الادلة على امر من الامور وجب ان نبني كل وارد
من الاخبار اذا كان ظاهره بخلافه عليه ونسوقه اليه ونطابق بينه وبينه ونجلي ظاهرا ان كان له ونشرط
ان كان مطلقا ونخصه ان كان عاما ونفصله ان كان مجملا ونوفق بينه وبين الادلة من كل طريق
اقتضى الموافقة وآل الى المطابقة واذا كنا نفعل ذلك ولا نحتشم في ظواهر القران المقطوع على صحته اي يجمع
المعلوم وروده فكيف نتوقف عن ذلك في اخبار احاد لا توجب علما ولا تثمر يقينا فمتى وردت
علينا اخبار فاعرضها على هذه الجملة وابنها عليها وافعل فيها ما حكمت به الادلة واوجبته الحجج العقلية
وان تعذر فيها بناء وتاويل وتخريج وتنزيل فليس غير الاطراح لها وترك التعريج عليها ولو اقتصرنا
على هذه الجملة لاكتفينا فيمن يتدبر ويتفكر وقد يجوز ان يكون المراد بذم هذه الاجناس من الطير انها
بالمقام بضد الثناء على الله وبذم اوليائه ونقص اصفيائه معناه ذم متخذيها ومرتبطيها وان هؤلاء
المغرين بمحبة هذه الاجناس واتخاذها هم الذين يلحقون بضد الثناء على الله تعالى ويذمون اولياءه
واحبائه فاضاف النطق الى هذه الاجناس وهو لمتخذيها ومرتبطيها اللذين ورد التقارب على سبيل التجوز
والاستعارة كما اضاف الله في القران السؤال الى القرية وانما هو لاهل القرية وكما قال تعالى وكاين

من دينه

من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال
امرها وكان عاقبة امرها خسرا وفي هذا كله حذوف وقد اضيف في الظاهر الفعل الى من هو في
الحقيقة متعلق بغيره والقول في مدح اجناس من الطير بوصفها بانها تنطق بالثناء على الله تعالى
والمدح لاوليائه يجري على هذا المنهاج الذي نهجنا فان قيل كيف يتحقق مرتبط هذه الاجناس مدحا
بارتباطها ومرتبط بعض اخر ذما بارتباطه حتى علقتم المدح والذم بذلك قلنا ما جعلنا الارتباط
هذه الاجناس حظا في استحقاق مرتبطها مدحا ولا ذما وانما قلنا انه غير ممتنع ان تجري عادة المؤمنين
الموالين لاولياء الله تعالى والمعادين لاعدائه بان يألفوا ارتباط الاجناس من الطير وكذلك تجري
عادة بعض اعداء الله تعالى باتخاذ بعض اجناس الطير فيكون متخذ بعضها مدحا ومما لا من اجل اتخاذه لكن
لما هو عليه من الاتخاذ الصحيح وفيضا المدح الى هذه الاجناس وهو لمرتبطها والنطق بالتسبيح والدعا
الصحيح لها وهو لمتخذها مجازا واتساعا وكذلك القول في الذم المقابل للمدح فان قيل فلم نهى عن اتخاذ
بعض هذه الاجناس اذا كان الذم لا يتعلق باتخاذها وانما يتعلق ببعض متخذيها لكفرهم وضلالهم
قلنا يجوز ان يكون في اتخاذ هذه البهائم المنهي عن اتخاذها وارتباطها مفسدة وليس يمتنع خلقها في
الاصل لهذا الوجه لانها خلقت لينتفع بها من سائر وجوه الانتفاع سوى الارتباط والاتخاذ الذي
يتبع تعلق المفسدة به ويجوز ايضا ان تكون في اتخاذ هذه الاجناس المنهي عنها شوم وطيرة فللعرب في
ذلك مذهب معروف ويصح هذا النهي ايضا على مذهب من نفى الطيرة على التحقيق لان الطيرة والتشائم
وان كان لا تأثير لهما على التحقيق فان النفوس تستشعر ذلك ويسبق اليها ما يجب على كل حال تجنبه والتوقي
منه عنه وعلى هذا يحمل معنى قوله عليه السلام لا يورد ذو عاهة على مصح فاما تحريم السمك الجري وما اشبهه
فغير ممتنع لشيء يتعلق بالمفسدة في تناوله كما تقول في سائر المحرمات فاما القول بان الجري نطق بانه مسخ
ويعيب ان بجحد الولاية فهو مما يضحك منه ويتعجب من قائله والملتفت الى مثله فاما تحريم الدب والقرد والفيل
فكتحريم كل محرم في الشريعة والوجه في التحريم لا يختلف والقول بانها ممسوخة اذا تكلفنا حملناه على انها كانت
جميلة على خلق حسنة غير منفور عنها ثم جعلت على هذه الصور الشنيعة على سبيل التنفير عنها والزيادة في العبد
عن الانتفاع بها لان بعض الاحياء لا يجوز ان يكون غيره على الحقيقة والفرق بين كل حيين معلوم ضرورة
فكيف يجوز ان يصير حي حيا اخر غيره واذا اريد بالمسخ هذا فهو باطل وان اريد غيره نظرنا فيه واما ركبته
ان يكون م فقد يجوز امير المؤمنين عليه السلام لما ذاقها ونفر عن طعمها وزادت كراهيته له قال من النار والى النار
هذا من طعام اهل النار وما يليق بعذاب اهل النار كما يقول احدنا لذلك فيما يستوبيه يكرهه ويجوز
ان يكون موزان الدخان عند الالقاء لها كان على سبيل التصديق لقوله عليه السلام من النار الى
النار واظهار معجز له واما ذم الارضين السبخة والقول بانها جحدت الولاية فلم يكن محمولا معناعلى

ما خلقناه من محجد اهل هذه الارض وسكانها الولاية لم يكن معقولا ويجري ذلك مجرى قوله تعالى
وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله واما اضافة اعتقاد الحق الى بعض البهائم واعتقاد الباطل
والكفر الى بعض اخر فمما تنفيه العقول والضرورات لان هذه البهائم غير عاقلة ولا كاملة ولا مكلفة
فكيف تعتقد حقا او باطلا واذا وردت في ظاهر شيء من هذه الروايات اما اطرح او تأول على المعنى
الصحيح وقد نهجنا طريق التاويل وبينا كيف التوصل اليه فاما ما حكاه تعالى عن سليمان عليه السلام يا ايها
الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين فالمراد به انه علم ما يفهم به ما
ينطق به الطير وتتداعى في اصواتها واغراضها ومقاصدها بما يقع منها من صياح على سبيل المعجز
لسليمان عليه السلام فاما الحكاية عن النملة فانها قالت يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
وقد يجوز ان يكون المراد به انه ظهر منها دلالة القول على هذا المعنى اشعرت باقي النمل وخوفتهم من
الضرر بالمقام وان النجاة في الهرب الى مساكنها فتكون اضافة القول اليها مجازا واستعارة كما قال
الشاعر وشكا الي بعبرة وتحمحم وكما قال الاخر وقالت له العينان سمعا وطاعة ويجوز ايضا
ان يكون وقع من النملة كلام ذو حروف منظومة كما يتكلم احدنا ما يتضمن المعاني المذكورة ويكون
ذلك معجزة لسليمان عليه السلام لان الله تعالى سخر له الطير وافهمه معاني اصواتها على سبيل المعجز له
وليس هذا بمنكر فان النطق بمثل هذا الكلام المسموع منها لا يمتنع وقوعه ممن ليس بكلف ولا كامل العقل
الا ترى ان المجنون ومن لم يبلغ الكمال من الصبيان قد يتكلمون بالكلام المتضمن للاغراض وان كان
التكليف والكمال عنهم زايلين والقول فيما يحكى عن الهدهد يجري على الوجهين اللذين ذكرناهما في
النملة فان احتجنا الى اعادتهما وامه حكايته انه قال لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان
مبين وكيف يجوز ان يكون ذلك في الهدهد وهو غير مكلف ولا يستحق مثله العذاب والجواب عن ذلك
العذاب اسم للضرر الواقع وان لم يكن مستحقا فليس يجري مجرى العقاب الذي لا يكون الا جزاء على امر
وابين منه تقدم فليس يمتنع ان يكون معنى لاعذبنه لا يلمنه ويكون الله تعالى قد اباحه الايلام له كما اباحه
لا وليمنه الذبح لضرب من المصلحة كما سخر له الطير يصرفها في مناهيه واغراضه كل هذا لا ينكر في نبي مرسل تخرق له
العادات وتظهر على يديه المعجزات وانما يشتبه على قوم يظنون ان هذه الحكايات تقتضي كون النملة
والهدهد مكلفين وقد بينا ان الامر بخلاف ذلك تأويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى قل
وكيف تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا فكيف يجوز ان يكون من جملة ما حرم علينا ان لا نشرك
سؤال به شيئا والامر بالعكس من ذلك الجواب قيل له هذا السؤال من لا تامل عنده بموضع الاية وترتيب خطابها
لان التحريم المذكور فيها لا يجوز ان يتعلق على ما ذهب اليه اهل العربية ان يكون متعلقا بقوله الا تشركوا به شيئا وانما
هو من صلة الجملة الاولى ولو تعلق بالتحريم المذكور بقوله الا تشركوا الفعل يكون تعلقه به تعلق الفاعل بالمفعول

ماخلقناه

وكأنه قال حرم الا تشركوا او المبتدأ والخبر وكأنه قال الذي حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا والتعلق الاول
يمتنع منه ان لفظة حرم من صلة لفظة ما التي هي بمعنى الذي ولا تعمل فيما بعدها الا ترى انك اذا قلت
احرمت كذا فالتحريم عامل فيما بعده عمل الفعل في المفعول فاذا قلت الذي حرمت كذا بطل معنى المعنى
ولم يجز ان يكون التحريم متعلقا بما بعده على معنى الفعلية بل على سبيل المبتدأ والخبر ولا يجوز ان يكون في
الاية التعلق على هذا الوجه لان صدر الكلام يمنع من ذلك الا ترى انه تعالى قال اتل ما حرم فما حرم نصب
على انه مفعول اتل واذا كان كذلك لم يجز ان يكون ما حرم مبتدأ حتى يكون الا تشركوا خبرا له واذا
بطل التعلق بهذا الكلام من كلا الوجهين نظرنا الى قوله تعالى الا تشركوا ماذا يتعلق به واحتجنا الى اضمار
متعلق به ولم يجز ان تضمر حرم الا تشركوا به لان ذلك واجب غير محرم فيجب ان يضمر ما او وصيكم الا
تشركوا به شيئا او اتل عليكم الا تشركوا والاضمار الاول فيشهد له اخر الاية في قوله تعالى ذلكم وصيكم به
لعلكم تعقلون والاضمار الثاني يشهد له اول الاية من قوله تعالى اتل وما وضعنا به فقد امرنا بتقديرنا
اليه فان قيل فما موضع ان من الاعراب قلنا في ذلك وجوه ثلاثة احدها الرفع ويكون التقدير ذلك
الا تشركوا به شيئا فكانه مبتدأ وخبر والثاني النصب اما على اوصى الا تشركوا او على اتل ان لا تشركوا
والثالث الا يكون لها موضع ويكون المعنى لا تشركوا به شيئا فاما موضع تشركوا فيمكن فيه وجهان النصب
بان والثاني الجزم بلا على جهة النهي فان قيل كيف يعطف النهي في قوله ولا تقتلوا اولادكم على
الخبر وهو اوصى الا تشركوا قلنا ذلك جائز مثل قوله تعالى قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن
من المشركين ومثل قول الشاعر حج واوصى بسليمى الاعبدا ان لا ترى ولا تكلم احدا ولا يزل شرابها
مبردا فعطف لا تكلم وهو نهي على الخبر ويمكن في الاية وجه غير مذكور فيها والكلام يحتمله وهو ان يكون
الكلام انقطع عند قوله تعالى اتل ما حرم ربكم والوقف ههنا ثم ابتداء عليكم الا تشركوا به شيئا واذا كان
على هذا الوجه احتمل عليكم الا تشركوا وجهين احدهما ان يراد به يلزمكم وواجب عليكم ذلك كما يقال عليك
درهم وعليك ان تفعل كذا ثم قال وبالوالدين احسانا اي وصينا بالوالدين احسانا والوجه الاخر ان يريد
الاغراء كما تقول عليك زيدا وعليك كذا اذا امرته باخذه والبدار اليه لم يبق بعد هذا الا سؤال واحد
وهو ان يقال كيف يجوز ان يقول تعالى اتل ما حرم ربكم عليكم ثم ياتي بذكر اشياء غير محرمة حتى عقد
لها الوصية والامر وصدر الكلام يقتضي ان الذي ياتي به من بعد لا يكون الا محرما الا ترى ان القائل اذا
قال اتل عليك ما وهبت كذا وكذا لا بد ان يكون ما يعدده ويذكره من الموهوبات والا خرج الكلام
من الصحة الجواب عن ذلك ان التحريم لما كان ايجابا والزاما الحق ما بعده من المذكورات على المعنى واللفظ
بذكر الامور الواجبات والمامورات للاشتراك في المعنى يضافان في الايجاب والالزام تحريما الا ترى ان
الواجب محرم الترك فكل شيء ذكر بعد لفظ التحريم مبني على بعض الوجوه تحريم ثم قال وقيل الاجل الاية على

اي اوصى الا عبدة بان سلمى

حملها قوم عليه من ان لفظة لا زائدة في قوله ان لا تشركوا فكانه عز وجل حرم ان تشركوا واستشهد
على زيادة لا بقوله تعالى ما منعك الا تسجد اذ امرتك وبقول الشاعر في اليوم البيض الا تسخر الها
وابن الاشمط الفقعسي او بقول الشاعر الا يا لقوم قد اشطت عواذلي ويزعمن ان اودى
بحقي باطلي ويلحينني في اللهو الا احبه وللهو داع دائب غير غافل قلنا قد انكر كثير من اهل
العربية زيادة لا في مثل هذا الموضع وضعفوه وحملوا قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك على انه خارج
على المعنى والمراد به ما دعاك الى الا تسجد وما امرك بان لا تسجد لان من منع من شيء فقد دعي الى
ان لا يفعله حتى حملنا قوله تعالى الا تشركوا به شيئا على ان لفظة لا زائدة على تضعيف قوم لذلك فلا
بد فيها ان تعلق بحرم هذا الكلام من تعلقه بفعل الخبر وهو قوله تعالى وبالوالدين احسانا لان ذلك لا يجوز
ان يكون معطوفا على المحرم ولا بد من اضمار وصينا بالوالدين احسانا واذا احتجنا الى هذا الاضمار
ولم يغننا ما ارتكبناه من زيادة لفظة لا فالاولى ان نكتفي بهذا الاضمار في صدر الكلام على حاله من غير
الغاء شيء منه ونقدر ما تقدم بيانه فكانه تعالى وصى الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا تاويل
لذلك ويقويه اخر الاية تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى
اليك وحيه وقل رب زدني علما فقال اما معنى هذه الاية فان ظاهرها لا يدل على تاويلها والجواب قلنا
قد ذكر المفسرون في هذه الاية وجهين نحن نذكرهما ونوضح عنهما ثم نتلوهما بما خطر لنا فيها اذ ابدا على المحمول
واحدهما ما قيل في هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وآله كان اذا نزل عليه القران يسمعه فيخبر بقراءه عليه السلام
معه ما يوحى به اليه من القران اولا اولا قبل استتمامه والانتهاء الى المنزل منه في الحال وقطع الكلام عليها
وانما يفعل النبي عليه السلام ذلك حرصا على حفظه وضبطه وخوفا من النسيان لبعضه فانزل الله تعالى
هذه الاية لتثبت النبي صلى الله عليه وآله في تلاوة ما يسمعه من القران حتى ينتهي الى غاية يتعلق بعض الكلام
ببعض قالوا ونظير هذه الاية قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع
قرانه ثم ان علينا بيانه فضمن الله تعالى انه يجمع له عليه السلام حفظ القران ثم تبيينه في صدره وتوديته
الى امته واسقط عنه كلفة الاستعجال بترداده وتلاوته والمسابقة الى تلاوته كلما يسمعه منه تخفيفا
عنه وترفيها له واكد ذلك بقوله تعالى فاذا قراناه فاتبع قرانه اي فاذا انتهينا الى غاية ما نريد انزاله
في تلك الحال فاتبع قراءة ذلك وتلاوته فلم يبق منتظرا ينتظر في الحال نزوله والوجه الاخر انهم قالوا انما
نهى النبي عليه السلام عن تلاوة القران على امته واداء ما يسمعه منه اليهم قبل ان يوحى اليه عليه السلام ببيانه
والايضاح عن معناه وتاويله لان تلاوته على من لا يفهم معناه ولا يعرف مغزاه لا يحسن قالوا ومعنى قوله
من قبل ان يقضى اليك وحيه المراد به من قبل ان يقضى اليك وحي بيانه وتفسير معناه لان لفظة القضاء وان كانت
على وجوه معروفة في اللغة فهي ههنا بمعنى الفراغ والانتهاء الى الغاية كما قال تعالى فقضاهن سبع سموات في

اي الشيخ

كانه

لتثبت النبي عليه السلام

ويثبته

الغرض والقصد

بوجه

يومين وكما قال الشاعر ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح اي فرغنا من حاجاتنا
وانتهينا الى غاية الوطر منها فاما الجواب الثالث الزائد على ما ذكر فهو انه عز وجل منع من ان يعجل بان
يستدعي من القرآن ما لم يوح اليه به فان الله تعالى اذا علم مصلحة في انزال القرآن عليه انزله ولم
يدخر عنه لانه لا يدخر عن عباده الاطلاع لهم على مصالحهم فان قيل على هذا الوجه انه يخالف الظاهر
لانه تعالى قال ولا تعجل بالقرآن ولم يقل بطلبه واستدعائه والظاهر يقتضي ان الاستعجال نفس القرآن
لا غيره قلنا الامر على ما ظنه السائل وعلى الوجوه الثلاثة في تأويل الآية لا بد من تقدير ما ليس في الظاهر
لان على الوجهين الاولين المذكورين لا بد من ان يقدر لا تعجل بتلاوة القرآن اما على سبيل الدرس
والتحفظ على ما ذكر في الوجه الاول وان يتلوه على امته قبل انزال البيان واي فرق في مخالفة الظاهر
بين ان يقدر ولا تعجل بتلاوة القرآن او يقدر لا تعجل بطلب القرآن واستدعاء نزوله فان قيل هذه
يدل على وقوع معصية من النبي عليه السلام في استدعائه ما لم يكن له ان يستدعيه من القرآن لان النهي
يكون الا عن قبيح قلنا النهي لا يكون الا عن قبيح لا محالة لكن النهي لا يدل على وقوع الفعل المنهي عنه لانه قد
ينهى عن الفعل من لم يواقعه قط ولا يواقعه الا ترى ان النبي عليه السلام نهي عن الشرك وسائر القبائح كما
نهينا ولم يدل ذلك على وقوع شيء مما نهي عنه منه وهذا ايضا يمكن ان يكون جوابا لمن اعتمد على
الوجهين الاولين اذا قيل له فوقع منه عليه السلام تلاوة القرآن على امته قبل نزول بيانه او عجل
بتكريره على سبيل الدرس كما نهي عنه ويمكن من اعتمد على الوجه الاول في تأويل الآية ان يقول في
قوله تعالى لا تعجل بالقرآن وان كان ظاهره النهي ليس بنهي على الحقيقة وقد يرد على ما هو بلفظ النهي
وهو غير نهي على التحقيق كما يرد ما هو بصيغة الامر وليس بامر وانما ذلك تخفيف عنه عليه السلام وترفيه
ودفع كلفة المشقة فقيل له عليه السلام لا تتكلف المشقة الى تكرير ما ينزل عليك خوفا من ان تنساه
فان الله تعالى يكفيك هذه المؤنة ويغنيك عن حفظه وضبطه كما قال تعالى في الآية الاخرى
ان علينا جمعه وقرآنه اي جمعه في حفظك وتامورك وبعد فان الاولى التوقف عن صرف غاية الكلام
التي ينتهي اليها ويقطع عليها والتلاوة لما يرد منه الاول فالاول تلاوة وقيل الا يعرف معنى تعلق
الكلام بعضه ببعض فندب عليه السلام الى الاولى من التوقف على غايته واما الوجه الثاني الذي
اعتمد فيه على ان النهي انما هو عن تلاوته على الامة قبل نزول بيانه فان كان المعتمد على ذلك يقول
ليس يمتنع ان تكون المصلحة في التوقف عن الاداء قبل البيان فنهي عليه السلام عن ذلك لان المصلحة في
خلافه فهذا جائز ولا مطعن فيه وان كان القصد الى ان الخطاب لا يحسن الا مع البيان على مذهب
من يرى ان البيان لا يتأخر عن الخطاب فذلك فاسد لان الصحيح ان البيان يجوز ان يتأخر عن وقت الخطاب
وانما لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة وقد بينا الكلام في هذه المسألة والادلة على صحة ما ذهب

اليه منها في مواضع من كتبنا وتكلمنا على فساد قول من اوجب قران البيان بالخطاب على ان من اعتمد
على هذه الطريقة في هذا الموضع فقد غلط لان الآية تدل على ان الله تعالى قد خاطب نبيه عليه السلام
بما يحتاج الى بيان من غير ان يضم البيان اليه واذا جاز ذلك في خطابه تعالى لنبيه عليه السلام جاز مثله في خطاب
النبي عليه السلام الامة لان من ابطل تأخير البيان عن زمان الخطاب يوجب ذلك في كل خطاب وليس يمكن ان
يدعى انه تعالى قد بين له لان تأويلهم يمنع من ذلك لانه قيل له على هذا الوجه لا تعجل بتلاوة القرآن
على امتك قبل ان يقضى اليك وحيه يعني قبل ان ينزل اليك بيانه فالبيان متأخر عنه على ذلك الوجه
وذلك يمتنع على مذهب من منع من تأخير البيان عن وقت الخطاب فالتأويل الذي ذكرناه زائدا على الوجهين
المذكورين يمكن ان يفسر به الآية الاخرى التي هي قوله تعالى لا تحرك به لسانك بطلب ما لم ينزل عليك
من القرآن فان علينا انزاله اذا اقتضت المصلحة انزاله عليك وجمعه لك وقوله تعالى فاذا قرأناه فاتبع
قرآنه ثم ان علينا بيانه يدل ظاهره على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب لانه تعالى امره اذا قرأ عليه الملك
واوحى اليه القرآن ان يتبع قراءته ثم صرح بان البيان متأخر عنه بعده فان ثم لا يكون الا للتراخي وما هو مقترن بالشيء لان
منه لفظة ثم الا ترى انه لا يقال اتاني زيد ثم عمرو وانما حضرا في وقت واحد مسألة ان سأل
سائل عن قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات فقال اي معنى لقوله تعالى اورثنا الكتاب للظالم لنفسه واذا كان اصطفاهم واختارهم واجتباهم
وذلك لا يليق الا بمن هو معصوم مأمون منه القبيح كالانبياء والائمة عليهم السلام فكيف قال بعد ذلك فمنهم
ظالم لنفسه وهذا وصف لا يليق بمن ذكرناه الجواب الذي يجب اعتماده في تأويل هذه الآية ان قوله تعالى
فمنهم يرجع الى الكناية في قوله عبادنا لا الى الذين اصطفوا وهو اقرب اليه في الذكر فكانه تعالى قال ومن عبادنا
ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فان قيل فاي فائدة في وصف العباد بهذه القسمة وكيف عدل عن
وصف الذين اصطفاهم وورثهم الكتاب قلنا الوجه في ذلك ظاهر لانه تعالى لما علق توريث الكتاب بمن
اصطفاه من عباده اراد ان يبين وجه الاختصاص وانما علق وراثة الكتاب ببعض العباد دون بعض لان
في العباد من هو ظالم لنفسه وهذا مقتصد ومن هو سابق بالخيرات فوجه المطابقة بين الكلام واضح ونحن
الآن نتبعه ما قيل في تأويل هذه الآية ونوضح عما فيه من صحيح واختلال ذكر ابو علي الجبائي ومن
تابعه ان المراد بالذين اصطفوا الانبياء عليهم السلام والظالم لنفسه من يرتكب الصغيرة منهم وانما وصف بذلك
من حيث فوت نفسه الثواب الذي زال عنه بفعل الصغيرة ويؤدي سائر الواجبات والسابق الى الخير
هو الذي يستكثر من فعل النوافل وهذا التأويل يفسد من جهة ان الدليل قد دل على ان الانبياء عليهم السلام
لا يقع منهم شيء من المعاصي والقبائح وقد اشبعنا الكلام في ذلك في كتابنا المعروف بتنزيه الانبياء
والائمة عليهم السلام ولو عددنا ذلك لم يجز ان يقال الآن قولنا فلان ظالم لنفسه من اوصاف الذم والذم

لا يستحق فاعل الصغيرة فكيف تجري عليه وصفا الذم ولا شبهة في ان قولنا فلان ظالم لنفسه من
اوصاف الذم لانهم يقولون في كل من فعل قبيحا انه قد ظلم من حيث فعل ما يستحق به العقاب فكانه
ادخل على نفسه ضررا ما كان يستحقه فاشبه بذلك الظالم لغيره ولا يجوز ان يوصف فاعل الصغيرة
بانه ظالم لنفسه من حيث فوت نفسه الثواب لانه ان عنى بذلك الثواب الذي يبطل بعقاب الصغيرة
فعندنا بل عند ابي علي ان الصغيرة يحبط عقابها بالثواب لكثيره من غير ان ينقص من الثواب شيء لانه لا يذهب
الى الموازنة التي يذهب اليها ابو هاشم فما فوتت الصغيرة عنده ثوابا كان مستحقا وان عنى بفوت
الثواب انه لو لم يفعل هذه المعصية لكان يستحق على الامتناع منها ثوابا فاذ فعلها فهذا يوجب ان يكون
الانبياء عليهم السلام في كل حال مفوتين لانفسهم الثواب بفعل المباحات لانهم لو فعلوا الطاعات
بدلا منها لاستحقوا الثواب ولوجب ان يوصفوا على الفائتة بانهم ظالمون لانفسهم على ان وضع
الكلام وترتيبه يقتضيان الظالم لنفسه في الاية في موضع ذم لانه تعالى جعله بازاء المقتصد والسابق بازاء
المقتصد الا المسرف المذموم فان قيل فقد قلتم في تاويل حكايته تعالى عن ادم وحواء عليهما السلام قولهما
ربنا ظلمنا انفسنا انما اراد انا نقصناها الثواب الذي كنا نستحقه لو فعلنا ما ندبنا اليه من الامتناع
من تناول الشجرة قلنا انما قلنا ذلك هناك وحملنا عليه هذه اللفظة لقيام الدليل ان النبي
لا يواقع الخطايا كبيرا ولا صغيرا من الذنوب وليس في الاية التي نحن في الكلام عليها ضرورة توجب العدول
عن الظاهر فيه بينا ان الترتيب للكلام ومقابلته يقتضيان لفظة ظالم لنفسه في الاية تقتضي الذم لانها
بازاء المقتصد على انه غير ممتنع ان تكون لفظة ظلم بخلاف لفظة ظالم في عرف الاستعمال كما ان عندنا ايضا
ان لفظة امن بخلاف لفظة مؤمن لانهم يصفون صاحب الكبيرة بانه امن ولا يسمونه بانه مؤمن ويجوز
ان الانتقال عن الاشتقاق الى افادة استحقاق الثواب انما هو مخصوص في مؤمن دون امن فلا يبعد ان يكون مثل
ذلك في ظلم وظالم وتاول قوم هذه الاية على ان المراد من اختاره الله تعالى للتكليف وتوريث الكتاب
من العقلاء البالغين ثم قسمهم الاقسام التي تليق بهم من غير ان يكون المراد بالاية الانبياء عليهم السلام
وهذا الجواب يفسد لان الله تعالى يقول ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا والمصطفى
والمختار والمجتبى بالاطلاق لا يكون الا محمودا ممدوحا فكيف يكون فيهم من يستحق الذم والعقاب ومن
يختار الله تكليفه شيئا يختص لا يقال بالاطلاق ان الله تعالى اصطفاه والمعتزلة ابدا تنكر على المرجئة
تاويلهم قوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى على ان المراد من ارتضى الشفاعة فيه ويقولون من ارتضى
شيئا يتعلق به لا يوصف بانه مرتضى على الاطلاق فكيف يثبتونه ههنا ووجدت ابا القاسم البلخي يقول
في كتابه تفسير القران انه تعالى اراد العقلاء البالغين ويجوز ان يكونوا عند الاصطفاء اخيارا اتقياء ثم
ظلم بعضهم نفسه فيكون كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه وهو في وقت الارتداد

غير

غير مؤمن كذلك يكون في حال ظلمه نفسه ليس من المصطفين قال ويجوز ايضا ان يكون منهم من ظلم
نفسه ثم تاب واصلح ويكون قوله منهم ظالم لنفسه اي منهم من كان قد ظلم نفسه ليس انه في هذا الوقت
ظالم لها هذه الفاظه بعينها حكيناها عنه وهذا فاسد لان من كان منهم ظالما فاعلا للقبيح لا يوصفون
على الاطلاق بان الله تعالى اصطفاهم فهذا الوصف يقتضي ان تكون الجماعة اخيارا وقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه بخلاف هذا لان وصفهم بانهم امنوا في الماضي لا يمنع من الردة في المستقبل
وقوله تعالى الذين اصطفينا يمنع ان يكون فيهم من ليست هذه صفته واما حمل ذلك على من ظلم
ثم تاب فهو غير صحيح لان من تاب لا يوصف بعد التوبة بانه ظالم لنفسه لان التوبة تمنع من اجراء الفاظ
الذم ووجدت بعضهم يتاول هذه الاية على ان المراد بظالم لنفسه من جهد نفسه في العبادة
وحملها عليها وقال هذا يليق باوصاف الانبياء عليهم السلام ولا يمنع النبوة منه وهذا ايضا غير صحيح
لانا قد بينا ان لفظة ظالم لنفسه يلزم بها في التعارف فكيف تجري على المدح ومن هذا الذي
يسمي من جهد نفسه في العبادة بانه ظالم لنفسه بالاطلاق على ان السابق الى الخيرات هو المجتهد في العبادة
الحامل على نفسه فيها فاي معنى للتكرار وهذا تاويل يفسد القسمة وهذه الجملة توضح ان التاويل
الصحيح ما قدمناه فاما قوله تعالى الكتاب فالظاهر انه كناية عن القران المنزل على رسول الله صلى الله
عليه واله فقد صارت هذه اللفظة بالاطلاق عبارة عنه مثلما اذا اطلق القائل فقال هذا
يتعلق به الكتاب محرم في الكتاب وورثة الكتاب لم يعنهم منه الا ما ذكرناه ومعنى اورثناه يعني
علمه وفوائده واحكامه ليس يليق ذلك بالانبياء المتقدمين فانه لاحظ لهم في علم هذا الكتاب وانما هم
بهذه الفائدة نبينا عليه السلام والائمة من اله عليهم السلام لانهم المتعبدون بحفظه وبيانه والعمل بما
وذلك كله واضح بحمد الله ومنه **تاويل اية** ان سال سائل عن قوله تعالى ولا يملك الذين يدعون
من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون الجواب قلنا اما الذين يدعون من دونه المراد به
ما كان يعتقده المشركون ويدعون الها من دون الله والهاء في دونه راجعة الى اسم الله تعالى تحقيق
الكلام ولا يملك الذين يدعون الها وارباباً من دون الله تعالى الشفاعة ولما كثر استعمال هذه
اللفظة فيمن يعبد من دون الله ويدعى الها استغنوا بالحذف لظهور الامر في المراد ولهذا حمل
محققوا المفسرين قوله تعالى قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم الا الهة من دونه وحذف ما يتعلق بهذا
الدعاء وفي هذه الاية اشكل من حذف في قوله تعالى الذين يدعون من دونه لان قوله وعز من قائل
قد نبهنا ونبه على ان المراد من كان يدعي الها من دونه والاية الاخرى لا دليل فيها من لفظها على
ما يتعلق به قوله دعاؤكم ومعنى انهم لا يملكون الشفاعة اي ليس لهم ان يفعلوها ويتصرفوا فيها الا ان
المالك ليس هو الا من كان قادرا على التصرف ليس لاحد ان يتصرف في ذلك في الشفاعة قد يبقى عن

موضع من كتبنا انها لا تستعمل على طريقة الحقيقة الا في طلب اسقاط المضار وانما استعملت في
ايصال المنافع تجوزا فيه واستعارة وقيل في معنى الاية وجهان احدهما ان المعبودين من عيسى بن مريم
والملائكة وعزير عليهم السلام لا يملكون الشفاعة عند الله تعالى في احد الا فيمن شهد بالحق واقر بالتوحيد
وبجميع ما يجب عليه الاقرار به والوجه الاخر ان الذين يدعون من دون الله من البشر والاحجار وجميع المعبودات
لا يملكون الشفاعة عند الله الا من شهد بالحق منهم يعني عيسى وعزيرا والملائكة عليهم السلام لا يملكون
الشفاعة عند الله تعالى الا اذا كانوا على الحق شاهدين به معترفين بجميعه فانهم يملكون الشفاعة عند الله
وان كان لا يملكها ما عداهم من المعبودات والفرق بين الوجهين ان الوجه الاول يرجع الاستثناء فيه الى من
تناوله الشفاعة وفي الوجه الثاني يرجع الاستثناء الى الشافع دون المشفوع فيه فان قيل اي
الوجهين ارجح قلنا الثاني وانما رجحناه لان المقصد بالكلام ان الذين يدعونهم من دون الله تعالى
لا يملكون لهم نفعا كما قال تعالى في مواضع انهم لا ينفعونكم ولا يضرونكم ولا يرزقونكم ووقع الكلام على
نفي شفاعة تصل اليهم من جهتهم ولا غرض في عموم من يشفعون فيه او خصوصه ولما كان فيهم عيسى وعزير
او ملك ممن يجوز ان يشفع فيمن يحسن الشفاعة له وجب استثناؤه حتى لا يتوهم ان حكم جميع من عبد دون الله
في انه لا ينفع منه الشفاعة وان من كان يصح منه الشفاعة انما يشفع فيمن يحسن الشفاعة له ممن لم يكن كافرا
ولا جاحدا ويترجح هذا الوجه من جهة اخرى هي انا لو جعلنا الاستثناء يرجع الى من يشفع فيه لكان
الكلام يقتضي ان جميع من يدعون من دون الله يشفع لكل من شهد بالحق والامر بخلاف ذلك لانه ليس كل
من عبد من دون الله تعالى يصح منه الشفاعة لانهم عبدوا الاصنام وبعضهم عبد الكواكب والشفاعة
لا تصح منها فلا بد من ان نخصص الكلام ونقدره فكانه لا يملك بعض الذين يدعون من دونه الشفاعة
الا فيمن شهد بالحق فعود الاستثناء الى الشافعين اولى حتى نخصص وايضا فلو عاد الاستثناء الى المشفوع
فيه لوجب ان يكون على غير هذه الصيغة فيقول الا فيمن شهد بالحق واذا قال الا من شهد بالحق كان ذلك
بان يرجع الى الشافع اولى لانه اليق باللفظ لانا اذا اردنا ان نستثني من جماعة لا يشفعون قلنا هؤلاء
لا يشفعون الا من كان بصفة كذا واذا كان الاستثناء ممن يشفع فيه قلنا لا يشفعون الا فيمن صفته كذا فان قيل
فعلى الوجه الاول قد تقدم عموم ظاهر في اللفظة يجوز ان يستثنى منه وهو قوله تعالى الذين يدعون من دونه
وما جرى ذكر المشفوع فيه عموما فيستثنى بعضه فان قيل الشفاعة لفظ جنس يقتضي العموم قلنا قد بينا في غير
موضع ان الفاظ الجنس لا تقتضي الاستغراق وضربنا المثل بمن يقول هنا انا اكل اللحم وفلان لبس الجبة
فانه يقتضي الجنس من غير استغراق وان توهم خصوص او عموم فخطأ وفيما لا يحتمل فان قيل اي فائدة في قوله
تعالى وهم يعلمون وباي شيء يتعلق علمهم قلنا ليس كل من شهد بالحق يكون عالما لان المقلد والمبخت ربما
شهد بالحق على وجه لا ينفع وانما ينفع ذلك مع العلم فكانه تعالى قال وهم يعلمون صحة ما شهدوا به فان قيل اذا

كان

كان المستثنى هم الانبياء والملائكة وهؤلاء لا يشهدون بالحق الا مع العلم قلنا ذلك صحيح الا ان الاستثناء
لما تناول في اللفظة من كان بصفة وكان بحرم هذه اللفظة لا ينبغي في المعنى الا مقصورا الا مشروطا بالعلم
وجب اشتراط العلم ليعلم افتقار تلك الصفة فيمن كانت الغيرة هذا الموضع فان قيل هذا ان لو صح لكان الذي
ذكرتموه او تحتمل احدهما يقتضي مشاركة نبينا عليه السلام في الشفاعة للمذنبين ومن مذهب المسلمين
انه يتفرد بالشفاعة قلنا ليس فيما ذكرتم تصريح بمشاركة الجانبين من وجوه احدها ان تفرده عليه السلام
بالشفاعة للمذنبين حتى لا يشاركه فيها البشر ولا يتطرق عليه انما يرجع فيه الى اقوال قوم غير
محصلين لانه ليس عند المسلمين كلهم الا عند المعتزلة وصح وانه ان للمؤمنين شفاعة لبعضهم
في بعض فكيف يدعى الاختصاص في هذه الرتبة وثانيها ان الرتبة المدعاة لنبينا عليه السلام
في الشفاعة انما هي على الانبياء المتقدمين دون الملائكة لانه لا خلاف في ان للملائكة شفاعة
وقد نطق القرآن بذلك فقال لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون واذا كان الامر
على ما ذكرناه فالاستثناء يعود الى الملائكة عليهم السلام لانهم من جملة المعبودين فلا يمنع نفي الشفاعة
عن الكل ان يثبتوا الا انهم شفاعة وثالثها ان الشفاعة قد تكون الى الله تعالى والى غيره فان
ثبت ما ادعوه من تفرد نبينا عليه السلام بالشفاعة عند الله تعالى لم يمتنع ان يثبت الشفاعة
لغيره عند غير الله تعالى فكانه قال انتم تعبدون من لا يشفع فيكم في الدنيا ولا يسعى في استنقاذ من يجور
عليه ان يشفع في الدنيا ورابعها ان يكون المراد بالشفاعة ههنا النصرة والمعونة والمنفعة لان
الشفاعة فيمن يستحق النفع يوصل اليه ارادة الشفاعة في الاثم معنى الشفاعة وهو المقصود بالنصر
وتقدير الكلام انكم تعبدون من لا ينفعكم ولا ينصركم ولا يغيثكم ولما كان في جملة هؤلاء المعبودين من يصح
ان ينصر وينفع استثني ليبين ان حكمه مغاير لحكم غيرهم وهذا بين لمن تامله مسئلة فان قيل ان المعترض
معترض على ما تقولون من ان الاستثناء انما يخرج من الجمل ما يصلح دخوله فيها وليس يوجب ان يخرج منها ما
وجب دخوله بان يقول هذا يقتضي حسن ان يقول القائل جاءني رجل الا زيدا لان لفظة رجل تصلح
ان تقع على زيد وعمرو ويقال لم يحسن الاستثناء في اللغة العربية ان يدخل على الجمل من الكلام فيخرج
منها ما يصلح دخوله على مذهب مخالفينا ولا يصح دخول الاستثناء على الفاظ الوحدة ورجل لفظ واحد
وان وقع في المعنى على الطويل والقصير وزيد وعمرو والاستثناء انما يخرج من الجمل ما يتناوله لفظها
دون معناها فلهذا لم يستحسنوا جاءني رجل الا زيدا وقد يستحسنوا في هذا الموضع ما يجري مجرى الاستثناء
بغير لفظة الا فيقولون جاءني رجل ليس زيدا وليس زيد فيخرجون من الكلام ما صح تناوله له وان لم
يسموه استثناء ولا استحسنوا لفظة الا اختصاصه بالاستثناء ولولا صحة الاصل الذي ذكرناه لما
استحسنوا ان يقولوا جاءني رجال الا زيدا لانهم اخرجوا بالاستثناء ما تصلح لفظة رجال له دون

ما تناوله

ما يتناوله وجوبًا فان قيل الا كان قوله جاءني رجال للجنس ودون ما يتنحى من يتناوله للثلاثة فصاعدا
فلهذا حسن الاستثناء منه بالا ولفظة رجل في قولهم جاءني رجل للجنس قلنا لو كان لفظة رجال واقعة
جنس الرجال على عموم حسن استثناء النكرة منه من غير وصف لها ولا تقريب من المعرفة حتى يقول
جاءني رجال الا رجلا لانه اذا اريد الجنس حسن ذلك لانها الى الجنس لو قال جاءني الرجال بالالف
واللام الا رجلا واجمعوا على ان ذلك لا يجوز لانه غير مفيد ولو اريد بلفظة رجال ههنا الجنس لكان
استثناء الرجل الواحد منها من غير وصف له مفيدا فاما لفظة رجل في الاثبات كقولهم جاءني رجل
رجل فانه لا يجوز ان يكون عبارة عن الجنس في شيء من كلامهم ولو اراد واريد الجنس فحسن الاستثناء
كما يحسن من الفاظ الجنس وانما يراد في بعض المواضع بلفظة رجل الجنس اذا كانت في النفي مثل قولهم
ما جاءني رجل وما ضربت رجلا وههنا يجوز ان تستثني فتقول الا زيدا مسئلة ان سأل
سائل عن قوله تعالى يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير
لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم فقال كيف يجوز ان يتعبدهم بقتل انفسهم والعبادة
بذلك لا تحسن الا ان تكون مصلحة لهذا المكلف في دينه اما بان يفعل الطاعة او يمتنع من قبيح وهو
بعد الموت قد خرج من كل تكليف فلا يصح شيء من الافعال الجواب ان المفسرين قد اختلفوا في
في هذه الاية فمنهم من ذهب الى انه تعالى كلفهم ان يقتلوا انفسهم القتل الحقيقي المعهود ومنهم من ذهب
الى انه تعالى كلفهم [?] بعضهم ان يقتل بعضهم بعضا ومنهم من حمل الاية على ان المراد بها التكليف لا
القتل ويقول انهم استحقوا بعبادة العجل القتل فلما تابوا امرهم الله تعالى بان يستسلموا لمن يقتلهم
كما كان قال القائل للغير ان يستسلم للقود منه فاما الوجه الاول فيبطل بما ذكر في السؤال ولا يجوز
ان يكون وجه حسن هذا التكليف المتعلق بنفس المقتول لان مصلحة زيد لا تكون وجها في وجوب الفعل
على عمرو ولا يمكن ان يقال ان مصلحة المامور بقتل نفسه في نفس الامر والتكليف قبل ان يقتل نفسه وان
ذلك ربما كان لطفا له في بعض العبادات وذلك لان الامر انما له وجه وجوب او ندب لا يحسن بل
يكون الامر قبيحا واذا كان الامر قبيحا لم يجز ان يكون فيه لطف لبعض المكلفين بل يمتنع منه كما يمتنع من
ان يلطف لبعض المكلفين بما هو قبيح في نفسه فلم يبق بعد ابطال هذا الوجه الا الوجهان الاخيران
من الاستسلام لمن يقتلهم القتل الذي استحقوه او قتل بعضهم بعضا فقد روي انهم برزوا باسيافهم
وقاموا واصطفوا صفين يضرب بعضهم بعضا فمن قتل منهم كان شهيدا ومن نجا كان تائبا ويمكن في الاية
وجه اخر ما رأينا احدا من المفسرين سبق اليه وهو انه لم يرد في القوة على ما ذكرناه بل يحتمل وهو ان يكون
المراد بقوله تعالى فاقتلوا انفسكم اي اجهدوها في التوبة مما اقدمتم عليه بالندم على ما فات ودخلتم
المشاق الشديدة عليكم في ذلك حتى تكادوا ان تكونوا قاتلين انفسكم وقد يسمى من فعل ما يقارب

الشئ

الشئ باسم ما قاربه عند اهل اللغة في ذلك معروف مشهور يقولون ضرب فلان عبده حتى قتله
العشق واخرج نفسه وابطل روحه وما جرى مجرى ذلك انما يريدون المقاربة والمشارفة
والمبالغة في وصف التناهي والشدة فلما اراد تعالى ان يامرهم بالتناهي والمبالغة في الندم على ما فاتهم
وبلوغ الغاية القصوى جاز ان يقول فاقتلوا انفسكم فان قيل لم يبق على هذا الجواب بما بعد معنى
القتل قتلا مجازا او توسعا حمل الكلام على حقيقته اولى الجواب ان الوجهين اللذين ذكرهما المفسرون
في هذه الاية من قتل بعضهم بعضا والاستسلام للقتل مبنيان ايضا على المجاز وظاهر التنزيل بخلافهما
لان الاستسلام للقتل ليس بقتل على الحقيقة وانما سمي باسمه من حيث يؤدي اليه وكذلك قتل بعضهم
بعضا مجاز لان القاتل هو المقتول واما استشهادهم في تقوية هذا الوجه بقوله ولا تقتلوا انفسكم
يعني اخوانكم لا يغني شيئا لان ذلك مجاز لا محالة وانما حمل على الاخوان بدليل والظاهر ان يكون تكليفا
لقتل الواحد نفسه سلامة على نفسه فان قيل كيف يجوز ان يستحق القتل بعد التوبة من الوجوه التي بها
استحق القتل قلنا غير ممتنع ان يكلفنا الله تعالى بعد التوبة من الكفر القتل امتحانا الا على سبيل العقوبة
فان قيل كيف يصح ان تكون التوبة نفسها قتل انفسهم والتوبة هي الندم والعزم وهما غير القتل قلنا الجواب الصحيح
عن السؤال ان الفاء في الاية عاطفة للقتل على التوبة وليست مبنية ان القتل هو التوبة على ما ظنه بعض
من لم يتامل وهو جار مجرى قول القائل ضربت زيدا فعمرا فالفاء ههنا عاطفة وقائمة مقام الواو الا انها
على حكم الواو فان الفاء يقتضي الجمع بمقتضى الواو ويقتضي الترتيب والتعقيب الذين لا يقتضيهما الواو
فكانه تعالى قال فتوبوا الى بارئكم واقتلوا انفسكم فلما امرهم بالقتل عقيب التوبة ادخل الفاء التي وضعها
على ذلك وقد اجاب بعض الناس بان قال لما كان تمام التوبة الا به وقع يصح ان يسمى باسمها كما يقال للغادر
اذا عزم على التوبة ان توبتك رد ما غصبت وانما يريد ان توبتك لا تتم الا به وقد بينا ما يغني عن ذلك
في الجواب الذي اخترناه وهو واضح مسئلة ان سال سائل عن قوله تعالى ليس على الذين امنوا
وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا
واحسنوا والله يحب المحسنين هذه الاية تشاغل المفسرون بايضاح الوجوه في التكرار الذي تضمنته وظنوا
انه المشكل منها وتركوا ما هو اشد اشكالا من التكرار وهو انه تعالى نفى الجناح عن الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيما يطعمونه بشرط الاتقاء والايمان وعمل الصالحات واذا اريد بالاتقاء تجنب القبائح والمحارم
كان ذلك شرطا صحيحا في نفي الجناح الا ان الايمان وعمل الصالحات ليس بشرط في نفي الجناح على وجه لا
سبب لان من اجتنب القبيح المحظور عليه لم يكن عليه جناح فيما طعمه ان لم يكن مؤمنا ولا من عمل الصالحات الا ترى ان
المباح اذا وقع من الكافر لا اثم عليه ولا وزر وهو وقوعه منه مع كفره في نفي الاثم كوقوعه من المؤمن والاشكال
انما هو في اشتراط الايمان وعمل الصالحات وليس لذلك تاثير معقول في الجناح نحن نبين ما يحل هذه

الشبهة لقوته ونتكلم على التكرار ولنا في ذلك طريقان احدهما ان نضم الى الشرط المصرح بذكره
غيره حتى يظهر تأثيره ما ذكره من الشرط او نجعل ما ولي الاتقاء من الايمان وعمل الصالحات ليس بشرط
حقيقي وان كان معطوفا على الشرط وكل ذلك جائز اذا دل الدليل ولا يحوج الى التعويل عليه اما
الوجه الاول فهو ان يكون تقدير الكلام ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
وغيره اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات لان الشرط في نفي الجناح لا بد ان يكون له تأثير حتى يكون
متى انتفى ثبت الجناح وقد علمنا ان باتقاء المحارم ينتفي الجناح فيما يطعم فهو الشرط الذي لا زيادة عليه
ولما ولي ذكر الاتقاء الايمان وعمل الصالحات ولا تأثير لهما في نفي الجناح وجب ان نقدر هناك ما
لو فقده الانسان لثبت الجناح عليه فاشرنا الى اضمار ما تقدم ذكره حتى يصح الشرط ويطابق المشروط
لان من اتقى الحرام فيما يطعم لكنه قد يصح ان يثبت عليه الجناح فيما اخل به من واجب ضيعه من فرض فاذا شرطنا
انه مع اتقاء القبيح ممن آمن بالله وبما اوجب الايمان به وعمل الصالحات ارتفع الجناح عنه من كل وجه
وليس بمنكر حذف ما قدرناه لدلالة الكلام عليه فان عادتهم ان يحذفوا ما يجري هذا المجرى وتكون قوة
الدلالة عليه وسوقها اليه مغنيين عن النطق به وفي القرآن وفصيح الكلام العربي واشعارها امثلة كثيرة
لذلك لا تحصى فمنه قوله تعالى واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان فقد ذكر في الآية وجوه من اوضحها انه
اراد آتينا موسى الكتاب ومحمدا الفرقان لانه لما عطف الفرقان على الكتاب الذي اوتيه موسى عليه السلام
وعلمنا انه لا يليق به لان الفرقان ليس مما اوتيه موسى عليه السلام وجب ان نقدر ما يطابق ذلك ومثله
قول الشاعر: تراه كأن الله يجدع انفه :: وعينيه ان مولاه بات له وفر: لما كان الجدع لا يليق
بالعين وهو ان كانت معطوفة على الانف الذي يليق به الجدع اضمرنا ما يليق بالعين وهو البخص وما
يجري مجراه ومثله بالبيت وجلد قد غدا متقلدا: سيفا ورمحا ومثله علفتها تبنا وماء باردا الا
مع قوة الدلالة احسن من الاظهار وادخل في البلاغة والفصاحة واما بيان الوجه الثاني فهو انا نعدل عن
ظاهر الشرط فيما ولي الاتقاء من ذكر الايمان وعمل الصالحات فنجعله ليس بشرط وان كان معطوفا على شرط
لان العدول عن الظاهر بالادلة القاهرة واجب لازم مستعمل في اكثر القرآن فكانه تعالى لما اراد ان يبين
وجوب الايمان وعمل الصالحات وتأكده عطفه على ما هو واجب لازم من اتقاء المحارم لاشتراكهما
في الوجوب وان لم يشتركا في كونهما شرطا في نفي الجناح فيما يطعم وهذا تقع وتوسع البلاغة تحتمله في
الفعل استحسانا واستظرافا ويعول على ان المخاطب بذلك عالم بما يراد والعدول عن تفصيله يشبع كل
شيء منه موضعه وفي القرآن من هذه الغرائب في الفصاحة والعجائب في الحذف والاختصار ما الذي
لا يتجاسر بليغ ولا فصيح على الاقدام عليها والمرور بشبهها خوفا من الزلل والخلل واما الجواب عن شكل
التكرار فالوجه فيه على الجملة ان نجعل الاحوال التي يقع فيها الاتقاء والايمان وعمل الصالحات مختلفة

بمعنى

بمعنى والاستقبال فيزول التكرار او نجعل المامور به من الاتقاء والايمان وعمل الصالحات مشروطا
مخصوصا يتناول الاول غير ما يتناوله الثاني والثالث غير ما يتناوله الاول فيزول ايضا بذلك التكرار وقد
اول المفسرون على اختلافهم بكثير من الجملة التي اشرنا ههنا اليها وذكروا ان الشرط الاول يتعلق بالزمان
الماضي والشرط الثاني يتعلق بالدوام على ذلك والاستمرار على فعله والثالث مختص باتقاء ظلم العباد
وذكر ابو علي الجبائي هذا بعينه واستدل على ان الاتقاء الثالث يختص بظلم العباد بقوله واحسنوا وان
الاحسان اذا كان متعديا وجب ان يكون ما امروا باتقائه من المعاصي ايضا متعديا وهذا مما اعتمده من
المفسرين ترجيح لاختلاف الاحوال باختلاف المامور به وما ينبغي ان يكون كذلك بل الواجب ان يبطل
التكرار اما من جهة اختلاف الاحوال من غير ان نرجحها باختلاف غيرها او نعدل عن اختلاف الاحوال فنبطل
التكرار من حيث اختلاف المامور به في عموم وخصوص ولعل ابا علي وغيره انما عدل في الشرط الثالث
عن ذكر الاحوال لما ظن انه لا يمكن فيه ما امكن في الاول والثاني ونحن نبين ان الامر بخلاف ما ظنه وهو انه
لا يمتنع ان يحمل الشرط الاول على الماضي من الزمان والثاني على الحال والثالث على المنتظر المستقبل
وليس لاحد ان يقول لا واسطة عند المتكلمين بين الماضي والمستقبل لان الفعل اما ان يكون معدوما
فيكون مستقبلا او موجودا فيكون ماضيا وانما يجعل الاحوال ثلاثة النحويون ولا يرتضي ذلك المتكلمون
والجواب عن هذا ان الصحيح انه لا واسطة بين العدم والوجود على ما ذكر غير ان الموجود في اقرب الزمان
لا يمتنع ان نسميه حالا ونبينه وبين الماضي الغابر السالف فرق كان كذلك بينه وبين المنتظر واما
بيان اختلاف المامور فان نجعل الاتقاء الاول على اتقاء المعاصي العقلية التي تختص المكلف ولا تتعداه
والايمان الاول الايمان بالله تعالى وبما اوجب الايمان به والايمان الثاني الايمان بقبح هذه المعاصي
ووجوب تجنبها والاتقاء الثالث الاتقاء لما يتعدى من المعاصي من الظلم والاساءة وليس ينبغي ان
يفزع في ان الاتقاء الثالث يختص بظالم العباد الى ما اعتمده ابو علي من قوله تعالى واحسنوا من حيث
كان الاحسان اذا كان متعديا فكذلك ما عطف عليه لان ذلك من ضعيف الاستدلال لان قول الله
تعالى واحسنوا ليس بصريح في ان المراد به الاحسان المتعدي لانه غير ممتنع ان يراد به فعل الحسن والمبالغة
فيه وان اختص الفاعل ولم يتعده الا ترى انهم يقولون لمن بالغ في فعل الحسن وتناهى فيه انه احسن
وفي احسنت واجملت ثم ان سلم ان المراد به الاحسان المتعدي لم يمتنع ان يعطفه وهو متعد على فعل
لا يتعدى الا ترى انه لو صرح بذلك فقال اتقوا المعاصي كلها والقبائح واحسنوا الى غيركم لكان حسنا
غير قبيح وانما ينبغي ان نفزع في التخصيص الى الفرار من التكرار وحمله على ما يفيد وذلك يغني عما
تكلفه ابو علي فان قيل اي فائدة في تخصيص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بنفي الجناح فيما طعموه
بالشرط المذكور ومن ليس بمؤمن يشاركهم في هذا الحكم مع ثبوت الشرط قلنا تعلق الحكم بالصفة

بان يجعل المامور

يتعلق به

اي خطأ

اولاسم لا يدل على نفيه عن عدا المسمى والموصوف وقد دل العلماء على ذلك في مواضع كثيرة وليس يمتنع
على المذهب الصحيح ان يعلق الحكم باسم او صفة ويكون من عدا الموصوف والمسمى مشاركا في ذلك
الحكم وقد قيل ان السبب في نزول هذه الاية انه لما نزل تحريم الخمر قال المسلمون كيف باخواننا الذين
تناولوا الخمر قبل نزول تحريمها وماتوا وهو في اجوافهم وكيف باخواننا الغايبين في اطراف البلاد
وهم لا يشعرون بهذا التحريم فانزل الله تعالى هذه الاية تطييبا لنفوسهم واعلاما لهم ان من طعم
ما لم يبين له تحريمه لا جناح عليه وقيل ايضا ان الاية وردت في قوم حرموا على انفسهم اللحوم وسلكوا
طريق الترهب كعثمان بن مظعون وغيره فبين الله سبحانه ان الحلال لا جناح في تناوله وانما يجب التجنب
للمحرم وهذه الاسباب لا تمنع مما ذكرناه من سبب تخصيص المؤمنين بنفي الجناح وكل هذا واضح مسألة
سئل رضي الله عنه عن قوله عز وجل حاكيا عن زكريا عليه السلام انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر
وامراتي عاقر فكانه سال امرا يستحيل كونه فقد علمنا ان زكريا يعلم ان الله تعالى لا يعجزه ما
يريد فما وجه الكلام فاجاب عن ذلك وقال انه غير ممتنع ان يكون زكريا عليه السلام في حال دعوته [illegible]
بل قبل هذه الحال فلما رزقه الله تعالى الولد على الكبر ومع كون امراته عاقرا قال انى يكون لي غلام
وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر من غير انكار منه لقدرة الله تعالى على ذلك بل ليرد من الجواب ما يزداد
به بصيرة ويقينا ويجوز ايضا ان يكون سال الولد مع الكبر وعقم امراته ليفعل الله تعالى ذلك على
سبيل الايات وخرق العادة من اجله فلما رزقه الله تعالى الولد تعجب من ذلك وانكره بعض من ضعف
بصيرته من امته فقال عليه السلام انى يكون لي ليرد من الجواب ما يزول به شك غيره فكانه سال
في الحقيقة لغيره لا لنفسه ويجري مجرى سوال موسى عليه السلام ان يريه تعالى الله نفسه لما
شك قومه في ذلك فسال لهم لا لنفسه مسألة وسئل ايضا رضي الله تعالى عنه عن قوله تعالى واذ
نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم فقال اي شي في استحياء
النساء من سوء العذاب وانما العذاب في ذبح الابناء فقال اما قتل الذكور واستبقاء الاناث فهو ضرب
من العذاب والاضرار لان الرجال هم الذين يدفعون عن النساء ما يهمهن من الشر هو واقع بهن في الاكثر تمام
مع الوحدة فاذا انفردن وقع الشر لا مانع وهذه مضرة عظيمة ووجه اخر وهو ان يرجع الى قوله يسومونكم
سوء العذاب هو قتل الابناء دون استبقاء النساء وانما ذكر استحياء النساء شرحا لكيفية الحال لا انه
من جملة العذاب كما يقول احدنا فلان عذبني بان دخل داري وعليه ثياب فلانية وضربني
بالمقارع وفلان حاضر وليس كل ما ذكره من جملة العذاب وانما العذاب هو الضرب دون غيره
وذكر الباقي على سبيل الشرح للحال ووجه اخر وهو انه روي انهم كانوا يقتلون الابناء ويدخلون
ايديهم في فروج النساء لاستخراج الاجنة من بطون الحوامل فقيل يستحيون النساء اشتقاقا من لفظة الحيا

وهو القبيح وهذا عذاب ومثلة وضرر شديد لا محالة وسئل ايضا فقيل ليس قد وعد الله
تعالى المؤمنين في عدة مواضع من كتابه المجيد بالجنة والخلود في النعيم فما معنى قول النبي عليه السلام ما ادري
ما يفعل بي ولا بكم فقال انه لا يجوز ان يريد النبي عليه السلام بقوله ما ادري ما يفعل بي ولا بكم الثواب
او الثواب او العقاب ودخول الجنة او النار لانه عليه السلام عالم بان الجنة ماواه والثواب عاقبته
ولا يجوز ان يشك في انه ليس من اهل النار وان شك في ذلك من حال غيره والمراد بالخبر اني
لا ادري ما يفعل بي وبكم من المنافع والمضار الدنياوية كالصحة والمرض والغنى والفقر والخصب
والجدب وهذا المعنى صحيح واضح لا شبهة فيه ويجوز ايضا ان يريد اني لا ادري ما يحدثه الله تعالى
من العبادات ويامرني به واياكم من الشرعيات وما ينسخ من الشرايع وما يقر منها ويستدام لان ذلك
كله مغيب عنه عليه السلام وهذا يليق بقوله تعالى في اول الاية قل ما كنت بدعا من الرسل وفي
اخرها ان اتبع الا ما يوحى الي وسئل ايضا عن قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسل الذين
يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين كيف يكون النبي عليه السلام
في شك مما اوحي اليه وكيف يسال عن صحة ما انزل اليه الذين يقرءون الكتاب من قبله وهم اليهود والنصارى
المكذبون له فقال ان قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك ظاهر الخطاب له عليه السلام والمعنى
لغيره كما قال تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فكانه قال فان كنت ايها السامع للقران في شك مما انزلنا
على نبينا فسل الذين يقرءون الكتاب وليس يمتنع عند من اجاز الظاهر ان يكون الخطاب متوجها الى النبي
صلى الله عليه وآله وليس اذا كان الشك لا يجوز عليه لم يحسن ان يقال له ان شككت فافعل كذا كما قال تعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان الشرك لا يجوز عليه ولا خلاف بين العلماء في انه عليه السلام داخل
في ظاهر ايات الوعيد والوعد وان كان لا يجوز ان يقع منه ما يستحق به من العقاب فان قيل له ان اذنبت
عوقبت فكذا لا يمتنع ان يقال له ان شككت فافعل كذا وكذا وان كان ممن لا يشك ووجدت بعض
المفسرين يجعل ان ههنا بمعنى ما التي للجحد ويكون تقدير الكلام ما كنت في شك مما انزلنا اليك
واستشهد على ذلك بقوله تعالى قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم اي ما نحن وقوله تعالى ان انت
الا نذير اي ما انت الا نذير ولا شك ولا شبهة في ان لفظة ان قد تكون بمعنى ما في بعض المواضع الا انه
لا يليق بهذا الموضع ان تكون ان بمعنى ما لانه لا يجوز ان يقول تعالى ما انت في شك مما انزلنا اليك
فسل الذين يقرءون الكتاب لانه لا حاجة به الى المسالة وانما يحتاج ان يسال الشاك وقد يمكن
نصرة هذا الجواب بانه تعالى امره بسوال الكتاب من غير ان ينفي شكه لانه لو امره بالسوال لظن انه شاك
في صدقه وصحة ما انزل عليه فقدم كلاما يقتضي نفي الشك عنه فيما انزل عليه ليعلم ان امره بالسوال
ليزول الشك عن غيره لا عنه فاما الذين امر بمسالتهم فقد قيل انهم المومنون من اهل الكتاب الراجعون

الى الحق

الى الحق ككعب الاحبار ومن جرى مجراه ممن اسلم من علماء اليهود لان هؤلاء يصدقون عما شاهدوه في كتبهم
من صفات النبي عليه السلام والبشارة به وان كان غيرهم ممن اقام على الكفر والباطل لا يصدق عن ذلك وقال
قوم اخرون ان المراد بالذين يقرءون الكتاب جماعة اليهود من امن منهم ومن لم يؤمن فانهم يصدقون عما وجدوه
في كتبهم من البشارة بنبي موصوف وان كانوا يدعون انه غيرك وانك اذا قابلت بتلك الصفات صفاتك علمت انت
اي نفي وكل من انصف ان المبشر به هو انت وقال اخرون ما امره ان يسالهم عن الشك لانهم يصدقون عن ذلك
الابنه بل امره عليه السلام ان يسالهم عما تقدم ذكره على هذه الآية بغير فصل من قوله تعالى ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا
صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون ثم قال تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك اي في
وما كانت شك مما تضمنته هذه الآية من النعمة على بني اسرائيل فما كانت اليهود تجحد ذلك بل تقربه وتفتخر بمكانه وهذا
الوجه يروى عن الحسن البصري وكل ذلك واضح بحمد الله مسئلة سئل رضي الله عنه فقيل ما القول
فيما يخبر به المنجمون من وقوع حوادث ويضيفون ذلك الى تاثيرات النجوم وما المانع من ان تؤثر
في الارض الكواكب على حد تاثير الشمس لا ذعر فيها وان كان تاثير الكواكب مستحيلا فما المانع من ان تكون التاثيرات
منشوفه من الله تعالى فعلا يجري العادة عند طلوع هذه الكواكب وامتعالها فليتبع ببيان ذلك فان النفس اليه متشوقة
او ظانون وكيف نقول ان المنجمين حادسون مع انه لا يفسد من اقوالهم الا القليل حتى انهم يخبرون بالكسوف
ووقته ومقداره فلا يكون الا على ما اخبروا به فاي فرق بين اخبارهم بحصول هذه التاثيرات في هذه
هذا التاثير الجسم بين حصول تاثيرها في اجسامنا الجواب ان المنجمين يذهبون الى ان الكواكب تفعل في الارض
ومن عليها افعالا يسندونها الى طباعها وما فيهم احد يذهب الى ان الله تعالى اجرى العادة بان يفعل
عند قربها وبعدها من بعض او بعدها افعالا من غير ان يكون للكواكب نفسها تاثير في ذلك ومن ادعى هذا
المذهب الآن منهم فهو قايل بخلاف ما ذهبت القدماء في ذلك ومتجمل بهذا المذهب عند اهل الاسلام
ومتقرب اليهم باظهاره وليس هذا بقول لاحد ممن تقدم وكان الذي كان يجوز ان يكون صحيحا وان دل
الدليل على فساده لا يذهبون اليه وانما يذهبون الى المحال الذي لا تمكن صحته وقد فرغ المتكلمون من الكلام
في ان الكواكب لا يجوز ان تكون فينا فاعلة وتكلمنا نحن ايضا في مواضع على ذلك وبينا بطلان الطبايع التي
يهذون بذكرها واضافة الافعال اليها وبينا ان الفاعل لا بد ان يكون حيا قادرا وقد علمنا ان الكواكب
ليست بهذه الصفة فكيف تفعل وما يصح الافعال معقودة بها وقد سطر المتكلمون طرقا كثيرة في انها
حي فاضل ليست بحية ولا قادرة اكثرها معترض واشف ما قيل في ذلك ان الحياة معلوم ان الحرارة الشديدة
كحرارة النار تنفيها ولا تثبت معها ومعلوم ان حرارة الشمس اشد واقوى من حرارة النار بكثير لان الذي
يصل الينا على بعد المسافة من حرارة الشمس شعاعها ما يماثل او يزيد على حرارة النار فما كان بهذه الصفة

من الحرارة يستحيل كونه حيا واقوى من ذلك كله في نفي كون الفلك وما فيه من شمس وقمر وكوكب احياء السمع
والاجماع فانه لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحيوة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب وانها مسخرة
مدبرة مصرفة وذلك معلوم من دين رسول الله صلى الله عليه واله ضرورة واذا قطعنا على نفي
الحياة والقدرة عن الكواكب فكيف تكون فاعلة وعلى اننا قد سلمنا لهم استظهارا ان الجهة انها حية
قلنا ان الجسم وان كان قادرا فانه لا يجوز ان يفعل في غيره الا على سبيل التوليد ولا بد من وصلة بين الفاعل
والمفعول فيه والكواكب غير مماسة لنا ولا وصلة بيننا وبينها فكيف تكون فاعلة فينا فان ادعى ان الوصلة
بيننا الهواء فالهواء اولا لا يجوز ان يكون آلة في الحركات الشديدة وحمل الاثقال ثم لو كان للهواء آلة
تحركنا بها الكواكب لوجب ان نحس بذلك ونعلم ان الهواء يحركنا ويصرفنا كما نعلم في غيرنا من الاجسام اذا
حركنا بالة على ان في الحوادث الحادثة فينا ما لا يجوز ان يفعل بالة ولا يتولد عن سبب كالارادات
والاعتقادات واشياء كثيرة فكيف فعلت الكواكب ذلك فينا وهو لا يصح ان تكون مخترعة للافعال لان
الجسم لا يجوز ان يكون قادرا الا بقدرة والقدرة لا يجوز لامر يرجع الى نوعها ان تخترع بها الافعال
فاما الادمغة فليس توثر فيها الشمس على الحقيقة في وجوهنا وابداننا وانما الله تعالى هو المؤثر لها وفيها
بتوسط حرارة الشمس كما انه تعالى هو المحرق على الحقيقة بحرارة النار والعادة لما اجراها بجعل
الشمس مسودة للاجسام من جهة معقولة مفهومة كما ان النار تحرق الاجسام على وجه معقول فاي تاثير
للكواكب فينا يجري هذا المجرى تمييزه والعلم بصحته فليشر اليه فان ذلك لا قدرة عليه وربما كان
يتمسك في ابطال ان تكون الكواكب فاعلة فينا معترضة لنا ان ذلك يقتضي سقوط الامر والنهي والمدح
والذم عنا وان نكون معذورين في كل اساءة تقع منا وتنجعها بايدينا وغير مشكورين على شيء من الاحسان
ينبغي ان يكون والافضال الى كل شيء نفيد به قول المجبرة فهو مفسد لهذا المذهب فاما الوجه الاخر وهو ان يكون الله
تعالى اجرى العادة بان يفعل افعالا مخصوصة عند طلوع كوكب وغروبه واتصاله ومفارقته فقد
بينا ان ذلك ليس بمذهب المنجمين البتة وانما يتجملون الآن بالتظاهر به وانه قد كان جايزا ان يجري الله
تعالى العادة بذلك لكن لا طريق الى العلم بان ذلك قد وقع وثبت ومن اين لنا بان الله تعالى اجرى العادة بان
يكون زحل او المريخ اذا كان في درجة الطالع كان نحسا وان المشتري اذا كان كذلك كان سعدا واي
سمع مقطوع به جاء بذلك واي نبي خبر به واستفيد من جهته فان عولوا في ذلك على التجربة بانا جربنا
على هذه الصفة ذلك ومن كان قبلنا فوجدناه واذا لم يكن موجبا وجب يكون معتادا قلنا ومن سلم لكم صحة هذه التجربة
وانتظامها واطرادها وقد رأينا خطاءكم فيها اكثر من صوابكم وصدقكم اقل من كذبكم فالا نسبتم الصواب
اذا اتفق منكم الى الاتفاق الذي يقع من المخمن والمرجم فقد رأينا من يصيب من هؤلاء اكثر ممن يخطي
وهو غير اصل معتمد ولا قاعدة صحيحة فاذا قلتم سبب خطاء المنجم زلل دخل عليه في اخذ الطالع او تسيير الكواكب

قلنا ولم لا كانت اصابته سببها التخمين وانما كان يصح لكم هذا التاويل والتخريج لو كان على صحة
احكام النجوم دليل قاطع غير اصابة المنجم فاما اذا كان دليل صحة الاحكام اصابة فالا كان دليل فسادها
الخطاء فما احدهما في المقابلة الا كصاحبه وما اكثر ما يخطي بالاحكام ولم يتحصل منهم عن جواب ان قيل لهم في القائلون بصحتها
شيء بعينه خذوا الطالع واحكموا هل يوخذ او يترك فان حكموا اما بالاخذ او الترك خولفوا وفعل
خلاف ما اخبروا به وقد اعضلتهم هذه المسئلة واعتذروا عنها باعذار ملفقة لا يخفى على عاقل
بعدها من الصواب فقالوا في هذه المسئلة يجب ان يكتب هذا المبتلي بها ما يريد ان يفعل او يخبر
به غيره فانا نخرج ما قد عزم عليه من احد الامرين وهذا التعليل منهم باطل لانه اذا كان النظر في النجوم
يدل على جميع الكائنات التي من جملتها اختيار احدنا من اخذ هذا الشيء او تركه فاي فرق بين ان يطوي
ذلك فلا يخبر به ولا يكتبه حتى يقول المنجم ما عنده وبين ان يخبر به ويكتبه قبل ذلك وانما فزعوا
الى الكتابة وما يجري مجراها حتى لا يخالف المنجم فيما يذكره ويحكم به من اخذ او ترك ولو كانت الاحكام
صحيحة ومهتدى لنا اليها على الكائنات لوجب ان يعرف المنجم ما اختاره من احد الامرين على كل حال ولو لزم
تحت حكمهم وكيفما نريد ان نفعل لما وجدنا اصابتهم في ذلك الا اقل من خطائهم ولم يزيدوا في ذلك على
ما يفعله المخمن المرجم من غير نظر في طالع ولا غارب ولا رجوع الى اصل والا فالبلوى بيننا وبينكم وبعض
الروساء بل الوزراء ممن كان فاضلا في الادب والكتابة ومشغوفا بالنجوم عاملا عليها قال لي يوما وقد
جرى حديث يتعلق باحكام النجوم ورأى من تمايلي التعجب ممن يتشاغل بذلك ويفني زمانه به اريد
ان اسالك عن شيء في نفسي فقلت سل عما بدا لك قال اتعرفني هل بلغ بك التكذيب باحكام النجوم ادبلم
الى ان لا تختار يوما للسفر ولبس ثوب جديد وتوجه في حاجة فقلت قد بلغت الى ذلك والحمد لله
وزيادة عليه وما في داري تقويم ولا انظر فيه وما رأيت مع ذلك الا خيرا ثم اقبلت عليه فقلت
ندع ما يدل على بطلان الاحكام مما يحتاج الى نظر دقيق وروية طويلة وههنا شيء قريب لا يخفى على النجوم م
احد ممن علت طبقته في الفهم وانخفضت خبرني لو فرضنا جادة مسلوكة وطريقا يمشي فيه الناس
ليلا ونهارا وفي محجته آبار متقاربة بعضها من بعض وطريق يحتاج سالكها الى تامل وتوقف حتى
يتخلص من السقوط في بعض تلك الآبار هل يجوز ان تكون سلامة من يمشي في هذا الطريق من العميان
كسلامة من يمشي من البصراء وقد فرضنا انه لا يخلو طرفة عين من المشاة من بصراء وعميان وهل يجوز
ان يكون عطب البصراء يقارب عطب العميان او سلامة العميان مقاربة لسلامة البصراء فقال هذا
مما لا يجوز بل الواجب ان تكون سلامة البصراء اكثر من سلامة العميان ولا يجوز في مثل هذا التقابل
فقلت اذا كان هذا محالا فاحيلوا نظيره وما لا فرق بينه وبينه وانتم تجيزون شبيه ما ذكرناه
لان البصراء هم الذين يعرفون احكام النجوم ويميزون سعدها من نحسها ويتوقون بهذه المعرفة

مضار

مضار الزمان ويتحفظون منها ويعتمدون منافعه ويقصدونها ومثال العميان كل من لا يحسن علم
النجوم ولا يلتفت اليه من العلماء والفقهاء واهل الديانات والعبادات ثم سائر العوام والاعراب
والاكراد وهم اضعاف اضعاف من يراعي هذا النجوم ومثال الطريق الذي فيه الابار الزمان الذي يمضي
عليه الخلق اجمعون ومثال الابار مصائبه ونوائبه ومحنه وقد كان يجب لو صح العلم بالنجوم واحكامها
ان تكون سلامة المنجمين اكثر ومصائبهم اقل لانهم يتوقون المحن لعلمهم بها قبل كونها وتكون محن كل
من ذكرناه من الطبقات الكثيرة اوفر واظهر حتى تكون السلامة هي الطريقة الغريبة وقد علمنا خلاف
ذلك وان السلامة والمحن في الجميع متقاربة غير متفاوتة فقال ربما اتفق مثل ذلك فقلت له فيجب
ان تصدق من خبرنا في ذلك الطريق المسلوك الذي فرضناه بان سلامة العميان كسلامة البصراء ونقول
لعل ذلك اتفق وبعد فان الاتفاق لا يستمر بل ينقطع وهو الذي ذكرناه مستمر غير منقطع فلم يكن عنده
عن ذلك جواب ومما يفسد مذهب المنجمين ويدل على ان ما يتفق لهم من الاصابة على غير اصل انا قد شاهدنا جماعة
من الزراعين الذين لا يعرفون شيئا من علم النجوم ولا نظروا قط في شيء منه يصيبون فيما يحكمون
به اصابات مستطرفة وقد كان المعروف بالشعراني الذي شاهدناه وهو لا يحسن ان ياخذ
الاسطرلاب للطالع ولا نظر قط في زيج بل ولا تقويم غير انه ذكي حاضر الجواب فطن بالزرق معروف
بكثرة الاصابة وبلوغ الغاية فيما يخبرهم من الاسرار ولقد اجتمع يوما بين يدي جماعة كانوا عندي
وكلهم قد اعتبر بما جربه نقصد هنا لبعض الاغراض فسالته عما نحن بصدده فاثبت من غير
اخذ طالع ولا نظر في تقويم فاخبرنا بالجهة التي اردنا قصدها ثم عدل الى كل واحد من الجماعة فخبر
عن كثير من تفصيل امره واغراضه حتى قال لاحدهم وانت من بين الجماعة قد وعدك واعدك بشيء ذو رجالب
يوصله اليك فقلبك به متعلق وفي كمك شيء مما يدل على هذا وقد نقضت حاجاتك انقرضت وضرب
الى كمه واستخرج ما به فاستحيا ذلك الرجل وتمم ومنع من الوقوف على ما في كمه بجهده فلم ينفعه
ذلك واعان الحاضرون على اخراج ما في كمه فاحضروا الاصابة من الرقاق فاخرج من كمه رقاع
كثيرة من جملتها اسآت على دار الضرب بصلة من خليفة الوزارة في ذلك الوقت فعجبنا مما اتفق
من اصابته مع بعده من صناعة النجوم وكان لنا صديق يقول ابدا من ادل دليل على بطلان احكام النجوم
اصابة الشعراني وجرى يوما مع من يتعاطى علم النجوم هذا الحديث فقال عند المنجمين ان السبب
في اصابة من لا يعلم شيئا من علم النجوم ان مولده وما يتولاه ويقتضيه كواكبها اقتضى له ذلك فقلت
له لعل يطلبه ومن كل عالم من علماء المنجمين ومصيب في احكامه عليها انما سبب اصابته مولده وما
تقتضيه كواكبه من غير علم ولا فهم فلا يجب ان يستدل بالاصابة على العلم اذا كانت تقع من جاهل
ويكون سببها المولد واذا كانت الاصابة بالمواليد فالنظر في علم النجوم عبث ولعب لا يحتاج

البطلان المولدان ما تقتضي الاصابة والخطأ فالتعلم لا ينفع وتركه لا يضر وهذه علة تسري الى كل
صنعة حتى يلزم ان يكون كل شاعر مفلق وصانع حاذق وناسج للديباج موشى لا علم له بتلك الصناعة
وانما اتفقت له الصنعة بغير علم لما تقتضيه كواكب مولده وما يلزم على هذا من الجهالات لا يحصى
ان التعب بعلم مراكز الكواكب وابعادها واشكالها وتسييراتها متى لم تكن ثمرته العلم بالاحكام والاطلاع
على الحوادث قبل كونها لا محصول ولا غرض فيه لانه لا فائدة في ان نعلم ذلك الكلكة وتختص نفس العلم به
وما يجري الاطلاع على ان ذلك ما لم تتعد المعرفة الى العلم بالاحكام الا مجرى ان نعلم بعدد الحصى وكيل الثرى
ومعرفة اطوال الجبال واوزانها وكما ان العناء في تعرف ذلك عبث لا يجدي نفعا فكذلك العلم بحركات
الفلك وتسييرات كواكبها وابعادها والمعرفة بزمان قطع كل كوكب للفلك وتفاصيلها فما شغف
القوم بهذا الشان وافنوا اعمارهم الا لتقديرهم انه يفضي الى معرفة الاحكام فلا تغتر بقول من يقول
منهم انا ننظر في ذلك لشرف نفوسنا بعلم الهيئة ولطيف ما فيها من الاعاجيب فان ذلك تجمل منهم وتقرب
الى اهل الاسلام ولولا ان غرضهم معرفة الاحكام لما تعنوا بشيء من ذلك كله ولا كانت فيه فائدة ولا عائدة
ومن ادل الدليل على بطلان احكام النجوم انا قد علمنا ان من جملة معجزات الانبياء عليهم السلام الاخبار
عن الغيوب وعد ذلك خارقا للعادات كاحياء الميت وابراء الاكمه والابرص ولو كان العلم بما يحدث طريقا
نجوميا لم يكن ما ذكرناه معجزا ولا خارقا للعادة وكيف يشتبه على مسلم بطلان احكام النجوم وقد اجمع المسلمون
قديما وحديثا على تكذيب المنجمين والشهادة بفساد مذاهبهم وبطلان احكامهم ومعلوم من دين الرسول
عليه السلام ضرورة التكذيب بما يدعيه المنجمون والازراء عليهم والتعجيز لهم وفي الروايات عنه عليه السلام من ذلك
ما لا يحصى كثرة وكذلك عن علماء اهل بيته عليهم السلام وخيار اصحابه فما زالوا يبرؤون من مذاهب المنجمين
ويعدونها ضلالا ومحالا وما اشتهر هذه الشهرة في دين الاسلام كيف يفتي بخلافه منتسب الى الملة
ومصل الى القبلة فاما اصابتهم في الاخبار عن الكسوفات فما مضى في اثناء المسائل من طلب الفرق بين ذلك
وبين سائر ما يخبرون به من تاثيرات الكواكب في اجسامنا فالفرق بين الامرين ان الكسوفات واقترانات
الكواكب وانفصالها طريقه الحساب وتسيير الكواكب وله اصول صحيحة وقواعد سديدة وليس كذلك ما يدعونه
من تاثيرات الكواكب في الخير والشر والنفع والضر ولو لم يكن في الفرق بين الامرين الا الاصابة الدائمة المتصلة
في الكسوفات وما يجري مجراها فلا يكاد يبين فيها خطأ البتة وان الخطأ المعهود الدائم هو في الاحكام الباقية
حتى ان الصواب فيها عزيز وما يتفق فيها من الاصابة قد يتفق من المخمن اكثر منه فحمل احد الامرين على الآخر
بهت وقلة دين مسألة في المنامات ما القول في المنامات اصحيحة هي ام باطلة ومن فعل من هي
ومن اي جنس هي وما وجه صحتها في الاكثر وما وجه الانزال عند رؤية المباشرة في المنام وان كان فيها صحيح وباطل
فما السبيل الى تمييز احدهما من الآخر الجواب اعلم ان النائم غير كامل العقل لان النوم ضرب من السهو والسهو

ينفي العلوم ولهذا يعتقد النائم الاعتقادات الباطلة لنقصان عقله وفقد علومه وجميع المنامات انما هي اعتقادات
يبتديها النائم في نفسه ولا يجوز ان تكون من فعل غيره لان من عدا القديم من المحدثين كانوا بشرا او ملائكة او جنا
اجسام والجسم لا يقدر ان يفعل في غيره اعتقادا ابتداء بل ولا شيئا من الاجناس على هذا الوجه وانما يفعل
ذلك في نفسه على سبيل الابتداء وانما قلنا انه لا يفعل في غيره جنس الاعتقادات متولدا لان الذي
يعدي الفعل من محل القدرة الى غيرها من الاسباب انما هو الاعتمادات وليس يولد الاعتقادات ولهذا
لو اعتمد احدنا على قلب غيره الدهر الطويل ما تولد فيه شيء من الاعتقادات وقد بين ذلك وشرح في
مواضع كثيرة والقديم تعالى هو القادر على ان يفعل في قلوبنا ابتداء من غير سبب اجناس الاعتقادات
ولا يجوز ان يفعل في قلب النائم اعتقادا لان اكثر الاعتقادات للنائم جهل وتناول الشيء على خلاف
ما هو به لانه يعتقد انه يرى ويمشي وانه راكب وعلى صفات كثيرة وكل ذلك على خلاف ما هو به وهو تعالى
لا يفعل الجهل فلم يبق الا ان الاعتقادات كلها من جهة النائم وقد ذكر في المقالات ان المعروف
بصالح قبة كان يذهب الى ان ما يراه النائم في منامه على الحقيقة وهذا جهل منه يضاهي جهل
السوفسطائية لان النائم يرى ان راسه مقطوع وانه قد مات وانه قد صعد الى السماء ونحن نعلم ضرورة
خلاف ذلك كله واذا جاز عند صالح هذا ان يعتقد اليقظان في السراب انه ماء وفي المردي اذا كان
في الماء انه مكسور وهو على الحقيقة صحيح لضرب من الشبهة واللبس فالا جاز ذلك في النائم وهو من
كمال العقل ابعد والى النقص اقرب وينبغي ان يقسم ما يتخيل النائم انه يراه الى اقسام ثلاثة منها ما يكون من
غير سبب يقتضيه ولا داع يدعو اليه اعتقادا مبتدأ ومنها ما يكون من وسواس الشيطان يفعل في
داخل سمعه كلاما خفيا يتضمن اشياء مخصوصة فيعتقد النائم اذا سمع ذلك الكلام انه يراه فقد نجد
كثيرا من النيام يسمعون حديث من يتحدث بالقرب منهم فيعتقدون انهم يرون ذلك الحديث في منامهم
ومنها ما يكون سببه والداعي اليه خاطرا يفعله الله تعالى او يامر بعض الملائكة بفعله ومعنى هذا الخاطر
ايضا ان يكون كلاما يفعل في داخل السمع فيعتقد النائم ايضا انه يرى ما يتضمنه ذلك الكلام والمنامات
الداعية الى الخير والصلاح في الدين يجب ان تكون الى هذا الوجه مصروفة كما ان ما يقتضي الشر منها
الاولى ان تكون الى وساوس الشيطان مصروفة وقد يجوز على هذا فيما يراه النائم في منامه ثم يصح
ذلك حتى يراه في يقظته على حد ما يراه في منامه وفي كل منام يصح تاويله ان يكون سبب صحته ان الله
تعالى يفعل كلاما في سمعه لضرب من المصلحة بان شيئا يكون او قد كان على بعض الصفات فيعتقد النائم
ان الذي يسمعه هو ما يراه فاذا صح تاويله على ما يراه فما ذكرناه ان لم يكن مما يجوز ان تتفق فيه الصحة اتفاقا
فان في المنامات ما يجوز ان يصح بالاتفاق وما يضيق فيه مجال نسبته الى الاتفاق فهذا الذي
ذكرناه يمكن ان يكون وجها فيه فان قيل فقد قال ابو علي الجبائي في بعض كلامه ان المنامات الحق

لا يجوز ان تكون مؤثرة فيها لان الطبايع لا يجوز على المذاهب الصحيحة ان تؤثر في شي وانه غير ممتنع
مع ذلك ان يكون بعض الماكل يكثر عندها المنامات بالعادة كما ان فيها ما يكثر عنده بالعادة تخيل الانسان
وهو مستيقظ ما لا اصل له قلنا قد قال ذلك ابو علي وهو خطاء لان تاثيرات الماكل بمجرى العادة
على المذاهب الصحيحة اذا لم تكن مضافة الى الطبايع فهو من فعل الله تعالى فكيف نضيف التخيل الباطل
والاعتقاد الفاسد الى فعل الله تعالى واما المستيقظ الذي يشتد به فالكلام فيه والكلام
في النائم واحد ولا يجوز ان نضيف التخيل الباطل الى فعل الله تعالى في نائم ولا يقظان فاما تخيل
من الفاسد وهو غير نائم فلا بد ان يكون ناقص العقل في الحال وفاقدا للتمييز بسهو وما يجري مجراه
فيبتدي اعتقادا لا اصل له كما قلناه في النائم فان قيل فما قولكم في منامات الانبياء عليهم السلام
وما السبب في صحتها حتى عد ما يرونه في المنام مضاهيا لما يسمعونه من الوحي قلنا الاخبار الواردة بهذا الجنس غير
مقطوع على صحتها ولا هي مما يوجب العلم وقد يمكن ان يكون الله تعالى اعلم النبي عم بحال تعمل عليه فيقطع
على صحته من هذا الوجه لا بمجرد رؤيته له في المنام وعلى هذا الوجه يحمل منام ابرهيم عليه السلام في ذبح ابنه ولولا
ما اشرنا اليه كيف كان يقطع ابرهيم عليه السلام بانه متعبد بذبح ولده فان قيل فما تاويل ما يروى عنه عليه السلام
من قوله من راني فقد راني فان الشيطان لا يتخيل بي وقد علمنا ان المحق والمبطل والمؤمن والكافر قد يرون النبي
عليه السلام في النوم ويخبر كل واحد منهم عنه بضد ما يخبر به الاخر فكيف يكون رائيا له في الحقيقة مع هذا قلنا
هذا خبر واحد ضعيف من اضعف اخبار الاحاد ولا معول على مثل ذلك على انه يمكن مع تسليم صحته ان يكون المراد
به من راني في اليقظة فقد راني على الحقيقة لان الشيطان لا يتمثل بي لليقظان فقد قيل ان الشيطان
ربما تمثل بصورة البشر وهذا التاويل اشبه بظاهر الفاظ الخبر لانه قال من راني فقد راني فاثبت غيره
رائيا له ونفسه مرئية وفي النوم لا رائي له في الحقيقة ولا مرئي وانما ذلك في اليقظة ولو حملنا على النوم لكان
تقدير الكلام من اعتقد انه يراني في منامه وان كان غير راء لي على الحقيقة فهو في الحكم كانه قد راني وهذا
عدول عن ظاهر لفظ الخبر وتبديل لصيغته وهذا الذي رتبناه في المنامات اسد تحقيقا من كل شي قيل في
اسباب المنامات وما سطر في ذلك معروف غير محصل ولا محقق فاما ما يهذي به الفلاسفة في هذا الباب
فهو مما يضحك الثكلى لانهم ينسبون ما صح من المنامات لما اعيتهم الحيل في سببه الى ان النفس اطلعت على عالمها
فاشرفت على ما يكون وهذا الذي يذهبون اليه في حقيقة النفس غير مفهوم ولا مضبوط وكيف اذا اضيف
اليه الاطلاع على عالمها وما هذا الاطلاع والى اي شي يشيرون بعالم النفس ولم يجب ان تعرف الكائنات عند
هذا الاطلاع وكل هذا زخرفة ومخرقة وتهاويل لا يحصل منها شي وقول صالح قبة مع انه تجاهل محض
اقرب الى ان يكون مفهوما من قول الفلاسفة لان صالحا ادعى ان النائم يرى على الحقيقة ما ليس يراه
ولم يشر الى غير معقول ولا مفهوم بل ادعى ما ليس بصحيح وان كان مفهوما وهؤلاء عولوا على ما لا يفهم

الاجتهاد لا يعقل مع قوة التامل والتدبر والفرق بينهما واضح واما سبب الانزال فيجب ان يبنى على التحقيق
سبب الانزال في اليقظة مع الجماع ليس هو ما يهذي به اصحاب الطبايع لانا قد بينا في غير موضع ان قول
اصحاب الطبع لا اصل له وان الاحالة فيه على سراب لا يحصل واما سبب الماء فان الله تعالى اجرى
العادة باخراج من ظهر الرجل عند هذه الحركة المخصوصة وليس يمتنع ان يجري الله العادة بان يخرج
هذا الماء من الظهر عند اعتقاد النائم انه يجامع وان كان هذا الاعتقاد باطلا مسئلة سئل
رضي الله عنه عن الخبر المنسوب الى الصادق عليه السلام من انه قال لقد اخا رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم بين سلمان وابي ذر ولو اطلع ابو ذر على ما في قلب سلمان لقتله كيف يجوز ان يواخي النبي
عليه السلام بين رجلين يستحل احدهما اذا اطلع على ما في قلب الاخر دمه وما القول فيمن تاول هذا
القول وهو قتله اي ان الحالة راجعة على ما في قلبه واراد لقتله علما وهل تاويل جائز ام لا وما ذلك
القول ايضا فيمن تاوله على غير هذا الوجه فقال ان معنى قوله لقتله اي لكد فكره وخاطره كدا
يجهده وانه عبر بالقتل ههنا على سبيل المبالغة في تعبيرهم عن شدة المبالغة والمشقة كما يقول القائل
قتلني انتظار فلان ومت الى ان رايتك والى ان تخلصت من الشدة التي كنت فيها دفعا
وهو يريد الاخبار عن شدة الكلفة والمشقة والمبالغة في وصفها الجواب بان التوفيق ان هذا الخبر
اذا كان من اخبار الاحاد التي لا توجب علما ولا تثلج صدرا وكان له ظاهر ينافي المعلوم المقطوع به
تاولنا ظاهره على ما يطابق الحق ويوافقه ان كان ذلك سهلا والا فالواجب اطراحه وابطاله واذا
كان من المعلوم الذي لا يختل سلامة سريرة كل واحد من سلمان وابي ذر ونقاء صدر كل واحد
منهما لصاحبه وانهما ما كانا من المدغلين في الدين ولا المنافقين فلا يجوز مع هذا المعلوم ان
يعتقد ان الرسول عليه السلام يشهد بان كل واحد منهما لو اطلع على ما في قلب صاحبه لقتله على سبيل
الاستحلال لدمه ومن اجل هذا المعلوم ان كان قال ذلك فلا بد من تاويل غير هذا الظاهر الذي لا يليق بهما واحد
ما يحتمل في تاويله ان الهاء في قوله لقتله راجعة الى المطلع لا الى المطلع عليه كانه اراد انه اذا اطلع على
ما في قلبه على موافقة باطنه وشدة اخلاصه له اشتد ضنه ومحبته له وتمسكه بمودته ونصرته فقتله
ذلك الضن والود بمعنى انه كاد يقتله كما يقولون فلان يهوى غيره وتشتد محبته له حتى انه قد قتله
حبه واتلف نفسه وما جرى مجرى هذا من الالفاظ وتكون فائدة هذا الخبر حسن الثناء من النبي عم
على الرجلين وانهما باطنهما وظاهرهما كظاهرهما وسرهما في النقاء والصفاء كعلانيتهما حتى ان لو ان
احدهما اطلع على ما في قلب الاخر لاعجب به وكاد يقتله محبة له وضنا به وهذا اشبه بمنزلة الرجلين في
نفوسهما وعند النبي عليه السلام واليق بان يكون مدحا وتقريظا وذلك الوجه الاخر يقتضي غاية الذم
ونهاية الوصف بالنفاق وسوء الطوية لان من يظهر جميلا ولو اطلع على باطنه لاستحل دمه هو عين

المنافق المداهن فاما تاويل هذه اللفظة وحملها على العلم فغير مرضي لان المطلع على ما في قلب غيره لا
يكون الا عالما وانما اطلع عليه فاي معنى للفظة قبله في هذا الموضع وهل ذلك الا تكرير وما الافائدة فيه
فاما حمله على انه كد خاطره وقسم فكره فكاد فيما المسائل التي عنه قاتمه ولم يكون مثل كل واحد من هذين
الرجلين متى اطلع على قلب صاحبه كد خاطره واتعب قلبه حتى كاد يقتله لولا انه يطلع على سوء ومكروه وهذا
هو النفاق تنزه الرجلين عنه ولا يليق بهما ولا بالنبي عليه السلام ان يصفهما به مسئلة الاجباء في
اللغة العربية هو ان يباع الزرع قبل ان يبدو صلاحه يقال اجبى الرجل يجبي اجباء اذا فعل ذلك
فمعنى ما روي عنه عليه السلام من اجبى فقد اربى اي من باع الزرع قبل ان يبدو صلاحه وقد نهى عن
ذلك وحظر عليه يجري مجرى من اربى لانه فاعل المعصية محظورة عليه وان لم يكن بيع ما لم يبد صلاحه
ربا في الحقيقة ولا معناه معناه غير انه جار مجراه في الحظر والمعصية وجار مجرى قول القائل من
فقد سرق اي هو عاص مخالف لله تعالى كما ان ذلك بهذه الحال مسئلة وما ورد في القران
من معاتبات الرسول عليه السلام مع عصمته وطهارته وكونه الحجة على الخلق اجمعين الجواب انه اذا ثبت
بالدليل عصمة الانبياء عليهم السلام فكل ما ورد في القران مما له ظاهر ينافي العصمة ويقتضي وقوع
الخطاء منهم فلا بد من صرف الكلام عن ظاهره على ما يليق بادلة العقول لان الكلام يدخله الحقيقة
والمجاز ويعدل المتكلم به عن ظاهره وادلة العقول لا يصح فيها ذلك الا ترى ان القران قد ورد بما لا
يجوز على الله تعالى من الحركة والانتقال كقوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا وقوله تعالى هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ولا بد مع وضوح الادلة على ان الله تعالى ليس بجسم واستحالة الانتقال
عليه الذي لا يجوز الا على الاجسام من تاويل هذه الظواهر والعدول عما يقتضيه صريح الفاظها قرب التاويل
او بعد ولو جهلنا العلم بالتاويل جملة لم يضر ذلك مع التمسك بالادلة وكان غايته ما فيه انا لا نعلم مقصد المتكلم
بما الملقه من كلامه ونعلم اذا كان حكيما ان له غرضا صحيحا على ان ظواهر الايات التي خوطب بها النبي عليه السلام
مما ظاهره كالعتاب منها المقصود به امته وان الخطاب متوجها اليه ولهذا روي عن ابن عباس انه قال نزل القران
باياك اعني واسمعي يا جارة ويشهد بذلك قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فخاطب النبي عليه السلام
والمراد بذلك جميع الامة ومنها ما يظن انه عتاب وليس كذلك بل هو تعليم وتاديب ولا محالة ان تاديب
النبي عليه السلام كان صادرا عن الله تعالى والمواعظ لم تترادف في كل وقت الشروع في ذكر جميع الايات والتنبيه
على المراد بها يطول غير ان جملة الكلام ما ذكرناه ونذكر بعض ذلك ليبين ان الكلام في الجميع على هذا المنهاج
فمن الايات قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكقوله تعالى ما كان لنبي
ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض وكقوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك وقوله تعالى
عفا الله عنك لم اذنت لهم الى اخر الاية اما قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه فالقصد فيه مشهور

وهو ان العرب كانت تحرم على نفوسها نكاح زوجة من استضافوه الى نفوسهم بالنبوة وادعوه كما يحرمون
ازواج الابناء في الحقيقة فلما اراد الله تعالى نسخ ذلك لما علم فيه من المصلحة اعلم نبيه قبل طلاق زيد بن
حارثة الذي كان النبي عليه السلام تبناه زينب بنت جحش زوجته وامره بتزويجها اذا فارقها
فلما خاصم زيد زوجته عازما على طلاقها وعظه النبي عليه السلام وكفه عن ذلك اشفاقا من شكوته
عنه مع ما عزم عليه من نكاحها ان يرجف عليه المنافقون ويضيفوا اليه ما قد نزهه الله تعالى
عنه اخفاء عزمه على تزويجها بعد فراق زيد لها لينتهي الى امر الله تعالى في ذلك ويشهد بصحة ما ذكرناه
قوله تعالى فلما زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا قضى
منهن وطرا فان قيل فالعتاب حاصل لانه كان ينبغي ان يظهر ما اضمره ويخشى الله ولا يخشى الناس
الجواب عن ذلك ان اخبار الله تعالى انه اخفى ما الله مبديه هو خبر محض لا يتعلق به ذم وقوله تعالى
وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فالشبهة به ايضا ضعيفة لانه خبر انه خشي الناس والله احق
بالخشية ولم يخبر انه لم يفعل الاحق وعدل الى الادون ثم ان حصول العتاب مع الذي بيناه على ان
غايته الاقتراح فيه هذا انه عليه السلام فعل ما غيره اولى منه وليس يكون بترك الاولى عاصيا وانما يكون
تاركا للافضل والاوجه في ترك العذر الذي بيناه واما قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن
في الارض فالعتاب في الحقيقة متوجه الى سواه لان الله تعالى قد صرح بذلك في تمام الاية بقوله تريدون
عرض الدنيا والله يريد الاخرة وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم والقصة
في هذه الاية ايضا مشهورة وانما اضاف الاسرى الى نبيه عليه السلام بقوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى
وان كان المراد بالخطاب من اسر لانهم اسروهم ليكونوا في يده عليه السلام فهم في الحقيقة اسراؤه ومضافون
اليه وان لم يامر باسرهم واما قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك اذا
تؤمل في الحقيقة لم يكن فيه عتاب وانما هو توجع له عليه السلام يدل على ذلك ان تحريم الرجل زوجته
او طلاقه اياها او اعتزاله بعض امائه ليس بقبيح بل هو مباح وهو بهذه الصفة لا يستحق الفاعل له
عتابا فلما فعل النبي عليه السلام ذلك لرضا بعض ازواجه ادخل المشقة على نفسه بفعله قال الله تعالى
لم فعلت ذلك والا امكنها على ما كنت عليه ولم تبتغي مرضات ازواجك بادخال المشقة على نفسك
هذا هو الظاهر واذا نزل على اقتراح الخصم في هذه الاية كان النبي عليه السلام قد عدل عن الاولى وكان الامساك
وترك التحريم افضل وله ان يجهر ويجري قوله تعالى له ما قال مجرى قول الواحد منا لغيره لم تركت صلاة
الليل ولم تترك صيام ثلاثة ايام في كل شهر وان كان بترك ذلك لم يفعل قبيحا بل اخل بندب وما
غيره اولى فاما قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فليس يقتضي معصية وذلك ان المقصد في الغالب
بمثل هذا الخطاب التعظيم للمخاطب واستفتاح ما عنده بما فعله الا ترى ان الواحد منا يقول لغيره

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ومنهم جناب بن مبارك	ومنهم الاصبغ بن [illegible]	ومنهم كعب الحبر	ومنهم الربيع بن صبيح الفزاري	ومنهم ابو الصباح [illegible]	ومنهم عبد المسيح بن بقيلة	مسئلة تتعلق بما ذكرناه من نظائره الاعمار	باب في الجواب الجامع [illegible]
[illegible]	سليمان بن عبد الله	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ما في [illegible]	[illegible]	[illegible]
خبر من لن يدخله عمله الجنة	فغشيهم من اليم ما غشيهم	نحن اعلم بما يستمعون	خبر ابن مسعود القرآن مادبة الله	وقالت اليهود عزير ابن الله	الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم	خبر لوا ذ ركنه الاسلام	والى الله ترجع الامور
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
واما الذين كفروا [illegible]	لا تثريب عليكم اليوم	خبر ان النبي نهى عن [illegible]	خلق الانسان من عجل	ولقد همت به وهم بها	قالت [illegible]	خبر [illegible]	ونادى نوح ربه
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب	خبر [illegible]	وقالت اليهود يد الله مغلولة	خبر لعن الله السارق	الله ولي الذين امنوا	ربنا لا تزغ قلوبنا	ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة	لعلي اطلع الى [illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا	الله يستهزئ بهم	وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو	انظر كيف ضربوا لك الامثال	خبر [illegible] ابراهيم [illegible] في السماء	حتى اذا جاء امرنا وفار التنور	خبر الذي [illegible] شريك [illegible]	هل انبئكم بشر من ذلك
الذي جعل لكم الارض فراشا	يا اخت هارون	خبر [illegible] طير	وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا	ولما جاء موسى لميقاتنا	واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها	هو الذي خلقكم من نفس واحدة	قال اتعبدون ما تنحتون
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
مسئلة الا تتبع ولا [illegible]	خبر اعلمكم بنفسه اعلمكم بربه	ومن اياته خلق السموات	مسئلة في [illegible] الطاهرة منا [illegible]	مسئلة في تفضيل الانبياء على الملائكة	مسئلة في حد الجسم والجوهر	مسئلة في العصمة	مسئلة في اجناس الطير والبهائم
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

لم كان كذا وكذا رحمك الله وغفر لك هو لا يقصد الا الملاطفة لدو حسن المحاورة ولا يقصد به الا
لرعن ذلك وانما الغرض الاجمال في الخطاب وقد صار ذلك عرفا بين الناس في المقصد به التوقير والاجلال
فاما قوله لم اذنت فليس يجب حمله على العتاب لان هذه اللفظة ليست موضوعة لذلك خاصة بل قد
تطلق ويراد بها الاستفهام وتارة يراد بها التقرير وتارة العتاب وهي محتملة لجميع المذكور فلم تحملها
في حق النبي عليه السلام على العتاب دون بقية الاقسام وغاية ما في حمله على ترك الاولى حسب ما تقدم
في الاباب واستقصاء ذلك ذكر ما في الاباب يطول ويكفي في التنبيه على الاي الباقية ما ذكرنا

مسئلة رسمت الحضرة العالية الوزيرية العميدية حرس الله سلطانها ذكر ما عندي
في تاويل قوله تعالى في سورة التغابن ذلك يوم التغابن ولفظة التغابن ههنا مشتقة من الغبن
الذي يكون في البيع والتجارة وما اشبه ذلك هو النقصان والخسران لان المغبون هو الذي زاد
غابنه عليه في ربح ولما كان يوم القيامة يبين فيه مستحق الثواب بدخول الجنة والتعظيم فيها من مستحق — من يستحق الثواب
العقاب في دخول النار وصار مستحق دخول الجنة كانه غابن لمستحق العقاب في دخول النار لانهما
جميعا عرضا بالتكليف لاستحقاق الثواب ففعل احدهما ما استحق به ذلك وقصر الاخر عن هذه
الغاية وعدل الى فعل ما استحق به العقاب وجريا مجرى متبايعين فاز احدهما بما هو جرى
عليه او نفع واصلح واختص الاخر بما ضره وهو له ووبال عليه فيسمى الغابن بالخير والصلاح غابنا
والاخر مغبونا وتسميته يوم القيمة بانه يوم التغابن من افصح كلام واخصره وابلغه والله الموفق
هذا اخر ما وجد مما اختاره رضي الله عنه لاضافته الى كتابه المعروف بغرر الفوائد ودرر القلائد
والحمد لله رب العالمين والصلوة على خير خلقه محمد واله الطاهرين حرره العبد المذنب [illegible] علي [illegible]
الخونساري التماس الدعاء من الناظرين في [illegible] سنة ثلث وسبعين ومائتين بعد الالف من الهجرة النبوية

[illegible]

واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها	تاويل خبر [illegible]	والارض مددناها والقينا فيها رواسي	خبر [illegible] فليتبعه	من مشهور الشعراء ومتقدميهم	[illegible] الاولى [illegible]	فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين	واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
تاويل خبر [illegible]	خبر مارية القبطية	تاويل [illegible] كان في هذه اعمى	[illegible] على تنصيصه	تاويل قوله [illegible] اهل القرى	ما في خبر [illegible] في سورة الكافرين	[illegible]	فاما ما طعن [illegible] ايات الكتاب